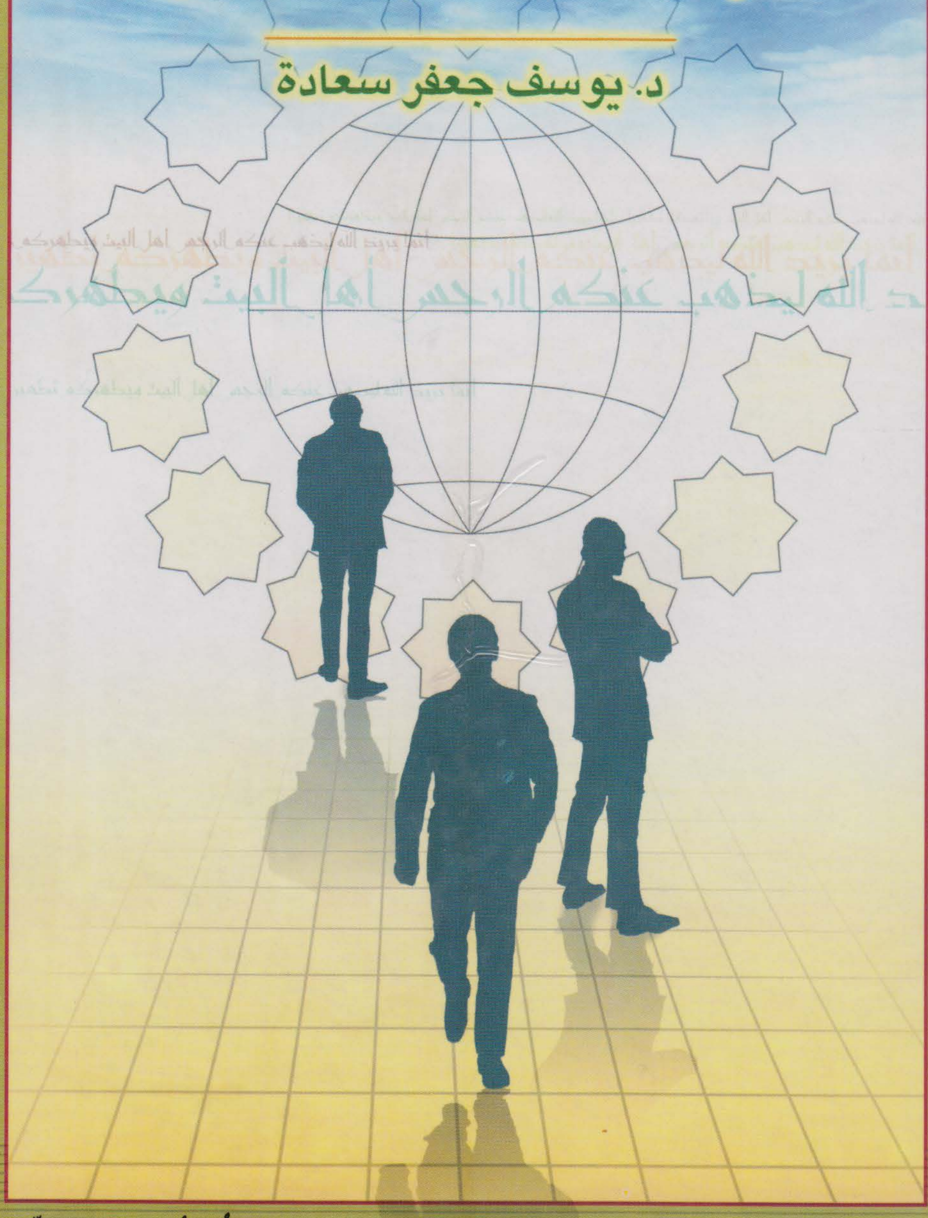
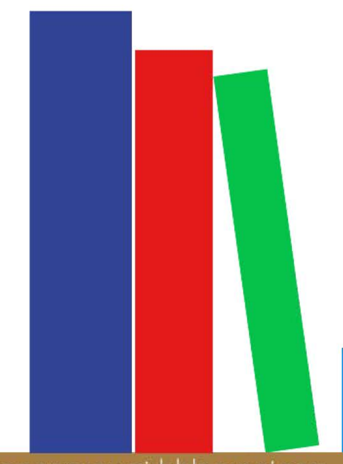
آثار أهل البيت عليهم السلام

في تطور المجتمع الانساني

د. يوسف جعفر سعادة



مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر



مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .

الإمام الصادق (ع)

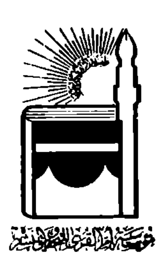
آثار أهل البيت عليهم السلام

في تطور المجتمع الإنساني

تأليف

د. يوسف جعفر سعادة

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر



مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: آثار أهل البيت في تطور المجتمع الإنساني

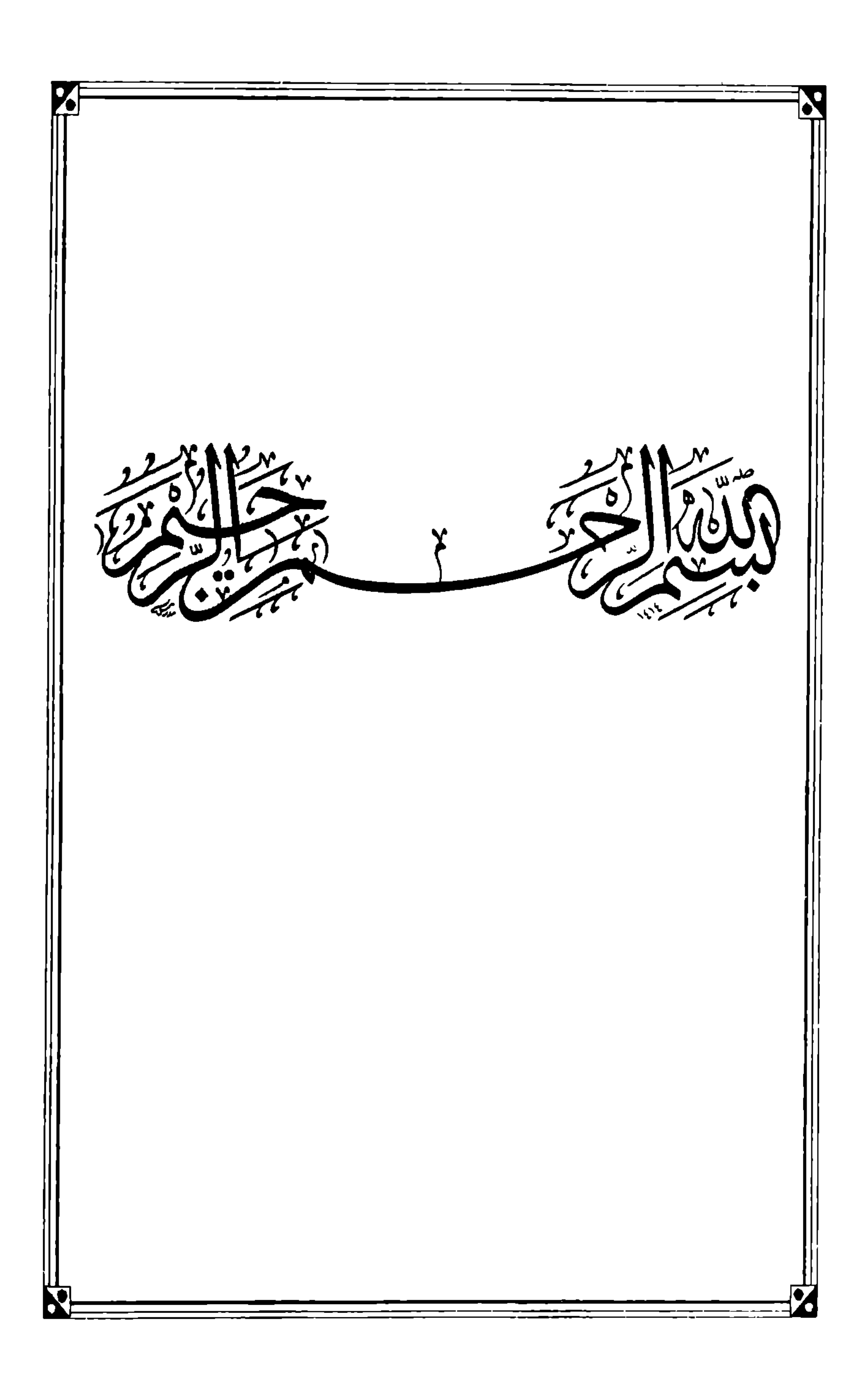
تأليف: د. يوسف جعفر سعادة

الناشر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

الطبعة الأولى / غرة رجب ١٤٢٢ هـ .

لبنان / بيروت / الغبيري ص ــ ب ٢٥/٢٧٨

Email: info@omalqora.com


بسم الله الرحمن الرحيم



أهـدي هذا الجهد اليسير المتواضع الى سادتي وموالـيّ أئمـتي أئمـة الهدى والحـق راجـياً القـبول، عسى ان ينفعني يوم شدتـي.

كمـا واهدي ثوابه الى روح والدي ـ «ربِّ اغفـر لـي ولوالـديّ وارحمهما كما ربّياني صغيرا».

شكر وتقدير

((من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق))

أحمد الله تعالى الذي منحني القدرة على انجاز هذا العمل العلمي المتواضع، ومن دواعي سروري وامتناني أن أرفع آيات الشكر والتقدير والعرفان بالجميل الى كل الأخوة والأصدقاء على ما قدموه من عون صادق ساهم في اثراء الكتاب بالمعلومات، وساهموا في طبعه واخراجه.

فمهما قلت فلن أوفيهم حقهم، فهم نعم الأخوة والاصدقاء منذ أن خرجت بالفكرة حتى ظهر الكتاب بشكله الحالي.

ولا يفوتني في هذا المجال أن أقدم شكري الجزيل الى الأخ العزيز السيد أياد الموسوي العوادي لعطائه العظيم وخدماته المميزة في سبيل العلم والبحث العلمي، فقد كان عوناً صادقاً فيما قدمه خدمة لأهل البيت(عليهم السلام) فلا أملك هنا إلا أن أدعو له بالخير وأن ينفع الله به العلم لخير الاسلام والمسلمين.

واتقدم بشكر خاص وتقدير مميز لمؤسسة ام القرى للطباعة والنشر لتفضلها بقبول طباعة الكتاب لافادة المكتبة الاسلامية والعربية.

كما يطيب لي في هذا المجال أن اسجل كلمة عرفان بالجميل لزوجتي التي تساندني دوماً وتقف الى جانبي متحملة في رضا ما احرمه منها من بعد ووحدة.

فأســـأل الله أن يوفقهـــم جمـــيعاً في حياتهم العلمية والعملية انه سميع مجيب.

د. يوسف سعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

اعتمد معظم الكتّاب والمؤرخين الذين تناولوا الحديث عن الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام في كتبهم ومؤلفاتهم على أن يتّخذوا أُسلوب السيرة والترجمة لحياتهم الشريفة، فقد اهتمّ هؤلاء الكتاب بسرد حياة كلّ فرد منهم منذ ولادته وحتّى نهاية حياته الشريفة، بالتركيز على الجانب السياسي، وخاصة فيما اتصل منه بالسلوك الذي تعامل معه الخلفاء تجاه الإمام عليه السلام من دون البحث في الأسباب والنتائج، أو تحليل المواقف المختلفة التي انتهت إلى مواجهات جرت بين الحكام والأئمّة عليهم السلام. كما أنّهم أغفلوا الفترات الخاصة لحياة الأئمّة عليهم السلام، وهي: الحياة الاجتماعية لهم، وأساليب تعاملهم مع الافراد في المجتمع الإسلامي. كما أنّهم لم يعطوا الاعتناء في شروحهم لبعضهم مثل الآخرين، فكانوا يتناولون في كتبهم بعض الأئمّة عليهم السلام بالتفصيل والشرح، ويختصرون الآخرين، أي: إنّهم ركّزوا في أفراد منهم البحث الواضح، وتفسير ما اختصّ من حياتهم جزئيّاً وكليّاً، أمّا الآخرون منهم فكانوا يكتفون ببعض المعلومات عنهم، ممّا جعل القارئ يتساءل عن بقيّة آثار حياتهم، وكيف قضى سنوات عمره، وما قام به من أعمال وأفعال، وكيف كان مصيره؟ كما أنّ هؤلاء الكتاب ركّزوا في معظم مؤلفاتهم وكتاباتهم على بيان

أثـــرهم فـــي الجانـــب الديني، فحدّدوا معلوماتهم عنهم عليهم السلام في هذه الناحية، وأســـرفوا فيها، وأوضحوها بالقصص والروايات المتعدّدة من دون تحليل أو تعليل.

كمـــا أنّ معظـــم تلك المؤلفات ركزت في تفسيراتها وتحليلاتها لحياة الأئمّة عليهم السلام على سرد الروايات والاحاديث التي تتناول المعجزات والكرامات التـــي اختصـــهم بها الله سبحانه وتعالى، فأكثروا منها في كتبهم، وتناولوها بالتفصيل والشرح؛ وذلك ليؤكّدوا مكانتهم ومنزلتهم المقدّسة عند الله سبحانه وتعالى، بالرغم من أنّ مكانتهم العالية ومنزلتهم الرفيعة معروفة لدى الجميع لم ينكرها فرد من المسلمين وخاصة الشيعة منهم.

وكانت هناك ــ أيضاً ــ قضايا جدليّة هامّة ارتبطت بحياة الأئمّة عليهم السلام كـــان لابدّ من مناقشتها وتحليلها لبيان أركانها وتوضيح أبعادها، مثل: موقف الإمـــام الحسن عليه السلام في مواجهة معاوية، وموقف الإمام الحسين عليه السلام من حكم يزيد بن معاوية، لماذا أعلن الثاني الحرب ولم يحارب الأوّل؟

كمـــا أنّ قضيّة المجالس الحسينيّة وما ارتبط بها من مظاهر وعادات وتقالـــيد وطقـــوس خاصـــة، كان لابدّ من إيضاحها واتخاذ الموقف والقرار الصائب حولها، فما هي أُسسها، وكيف ابتدأت، ومتى تأسّست. وأيضاً هناك مســـألة المدارس الدينيّة وخاصة الشيعية، والمرجعية والمراجع، وما الحكمة مـــن إقامـــتها، من الذي فكر فيها، وكيف ومتى اُنشئت، وما أهميّتها بالنسبة للمجتمع الإسلاميّ؟

وهناك ــ أيضاً ــ الدول الإسلاميّه التي أنشأها القادة والحكّام المسلمون، وهـــل أســـس أفراد من الشيعة وبالخصوص من أهل البيت عليهم السلام مدناً ودولا في أنحاء العالم الإسلاميّ، أم ذلك اقتصر على الأُمويّين والعباسيّين وغيرهم؟

وقــد تكرّر التساؤل عن مصير أولاد الإمام الحسن عليه السلام؛ إذ إنّ التاريخ الشيعي لايُظهِر بالصورة والعلن سوى أولاد الإمام الحسين عليه السلام وأحفاده، فهم الذين اشتهروا وعُرِفوا في صفحات التاريخ، وفي المجالس الدينيّة وغيرها. فهــل كــان لأولاد الإمــام الحسن عليه السلام وأحفاده دور في التاريخ الإنساني، أم انــزووا وابتعدوا عن الحياة السياسيّة، وتفرّغوا للعبادة والابتعاد عن الناس، وهــل انتهى دور الأئمّة وهؤلاء في الحياة العامّة بعد مماتهم أم ذلك استمرّ بنفس الأثر والقوّة بعد ذلك؟

والكتاب يتناول تلك الجوانب تفصيلياً، وقُسّم إلى أبواب خمسة، تتناول محاور متجانسة متداخلة:

فالباب الأوّل اختصّ بالمحور السياسي الذي يمكن عن طريقه معرفة دور الإئمّة عليهم السلام في المجتمع الإسلامي سياسيّاً، وتتناول فصوله وسائل مشاركتهم فــي الحــياة السياســيّة، ومواقفهم تجاه السلطات الحاكمة، مع بيان مميّزات وخصائص المجتمع الإسلاميّ وأحوال العالم الإسلاميّ في تلك الفترة.

أمّــا الباب الثاني فيركّز على المحور الاجتماعيّ، الذي تُحدّد فصولُه دور الأئمّة عليهم السلام في مشاركة المجتمع الإسلاميّ: أحواله الاجتماعية، وأساليب تعــاملهم مــع الأفراد، وجهودهم في تطهير المجتمع الإسلاميّ بالسعي إلى تطوّره نحو الأفضل.

وأمّــا الباب الثالث فهو الذي يُحدّد المحور العلميّ والثقافي الذي يُؤكّد دورهــم عليهم السلام الإيجابي والمؤثر في المجتمع الإسلاميّ عموماً، والأفراد على الخصوص علميّاً وثقافيّاً؛ إذ إنّ الطرفين كانا بحاجة ماسّة إليهم عليهم السلام للمساهمة في تفهم الظروف العلميّة الجديدة التي بدأت تظهر في الحياة الإسلاميّة.

أمّا الباب الرابع المحور العملي التطبيقي، فيتناول آثار أهل البيت عليهم السلام

والموالين لهم في المجتمع الإسلاميّ، والتي ظهرت عن طريق الثورات والانتفاضات، وتأسيس الدول والممالك المستقلّة في أرجاء العالم الإسلاميّ.

وبما أنّ تأثير هؤلاء الأنوار الأطهار عليهم السلام لم يقتصر على المسلمين وهم يعيشون بينهم أحياءً، بل إنّ ذلك امتدّ إلى ما بعد وفاتهم، فقد أصبحت مراقدهم الشريفة مراكز دينيّة، مدناً مقدّسة تمكّنت من التأثير في حياة الأفراد والدول من النواحي: السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة حتى يومنا هذا وإلى أن يُقدّر الله ــ جلّ جلاله ــ نهاية الكون، وهو ما تناوله الباب الخامس: المحور الأثري.

وإنّي أُقدّم كلّ عذر إلى الله سبحانه وتعالى وإلى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، ولاسيّما الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف عن كلّ قصور أو تقصير أو خطأ غير متعمد أو سهو غير مقصود في تفسير أو توضيح أو شرح بعض القضايا والأحداث التي جاءت في الكتاب. وكلّي رجاء وأمل أن ينال هذا الجهد المتواضع شرف القبول من الله عزّ وجلّ، فهو الذي يقبل اليسير ويعفو عن الكثير، كما أتمنّى أن ينال رضا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، وأرجو من الله ــ تعالى ــ أن يكون قد وفّقني فيما اجتهدت فيه، وأن يمنّ عليّ بالمزيد من التوفيق والنجاح لما يُحبّ ويرضى، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

يوسف جعفر سعادة

الدسمة ٢٠٠٠/٢٠٠١

تمهيد:

الأئمةعليهم السلام هم صفوة أهل البيتعليهم السلام والراسخون في العلم، وأهل الذكر الــذي أمرنا الله بالرجوع إليهم، وهم الذين جعلهم الرسولصلى الله عليه وآله عِدل القرآن والثقل الثاني الذي أمر كلّ المسلمين بالتمسك به بعد كتاب الله عزّ وجلّ. فقد جاء عن الرسولصلى الله عليه وآله أنـّـه قال:

«مــن ســره أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن التي غرســها ربــي، فلــيوالِ علياً من بعدي، وليوالِ وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعــدي، فإنّهم عترتي خُلِقوا من طينتي، ورُزِقوا فهمي وعلمي وعملي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي»[١].

فأهل البيت هم الإمام عليّ ونسله المختارون. فقد أوضح زيد بن أرقم المقصــود من (أهل بيت النبيصلى الله عليه وآله) في حديث الثقلين: إنّهم أَصله وعصبته الذي حُرِموا الصدقة بعده. وذكر حديثاً عن النبيصلى الله عليه وآله أنــّه قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم».

ويُــرجِعُ ابــن تيمــية ــ فــي كتابه ورسالته القيّمة في فضائل أهل البيتعليهم السلام (فضل أهل البيت وحقوقهم) ــ آية التطهير إلى النبيصلى الله عليه وآله والإمام علــيّ والزهراء وسيديّ شباب أهل الجنّةعليهم السلام كما يوجب الصلاة على محمّد وآلــه، ويثبّــت حديث الكساء عن أمّ سلمة(رض)، بأنّهم أهل بيته لا أزواجه،

---

(١) الطبــراني والرافعي من كتاب أبو تراب الظاهري ــ ملحق رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم لابن تيمية: ص١٣٠.

مثبتاً بذلك أنّ صلة النسب أقوى من صلة الصهر. وذكر ـ أيضاً ـ حديث واثلة بن الأسقع: «أللّهمّ هؤلاء أهلي أللّهم أهلي أحقّ».

كما ذكر ابن تيمية في (الفتاوى الكبرى)، أنّ آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هم الذين حُرّمت عليهم الصدقة، وكان ذلك رأى الإمام الشافعيّ وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء.

ولذا كان لابدَّ من التوجه إليهم وحبّهم والانتماء إليهم، فهم على قول الله عزّ وجلّ:

(إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) [1].

(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى).

وكما قال عنهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«أيّها الناس إنّي قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

«مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

فكان لابدّ من إبداء المحبّة لهم في حياتهم وبعد مماتهم. فمحبّة أهل البيت عليهم السلام في حياتهم هي: أن نقاتل أعداءهم بين أيديهم، ونأخذ بأقوالهم وأفعالهم، ونقدّمهم على غيرهم. أمّا محبّتهم بعد وفاتهم هي: أن نعمل عملهم الصالح، وننهج نهجهم، ونتبع مذهبهم الإسلامي الصحيح، فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«والذي نفسي بيده لايدخلون الجنّة حتى يحبّوكم من أجلي. أحبّوني

---

(١) الأحزاب/ ٣٣.

لحبّ الله وأحبّوا أهل بيتي لحبي».

وقد اعتبرهم الرسولﷺ مصدراً قوياً لتماسك المسلمين وصلابتهم وثباتهم على دينهم، فقال:

«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب الشيطان».

«النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي من الضلال والهلاك».

وقال ابن تيمية: من قصد منهم أهل البيت بذلك أو غيره أو فرح أو استشفى بمصائبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. كما ذكر: أنّ من أُصول أهل السنّة والجماعة: أنّهم يحبّون أهل بيت رسول اللهﷺ، ويتولّونهم، ويحفظون فيهم وصيّة رسول اللهﷺ حينما قال يوم غدير خمّ: «...أذكركم الله في أهل بيتي...» وإنّ آل البيت لهم حقوق يجب رعايتها، فإنّ الله جعل لهم حقّاً في الخمس والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول اللهﷺ وقد ورد عن النبيﷺ:

«قولوا: اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد».

فلا شكّ أنّ عقيدة أهل السنّة والجماعة هي: محبّة آل النبيﷺ، وتوقيرهم واحترامهم، والإحسان إلى محسنهم، والتجاوز عن مسيئهم. والكتب في ذلك طافحة بمحبّتهم والاعتقاد بهم وتوقيرهم اتّباعاً لأمر الله وأمر رسولهﷺ فمن أبغضهم فهو كافر أو منافق كما ورد في الأحاديث، كالخوارج الذين وردت فيهم الأحاديث الصحيحة: أنّهم يمرقون من الدين كما

تمرق الرمية من السهم، وهم الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله بقتلهم[١].

أمّا الشيخ عبد العزيز بن باز فقد ذكر عمّن ينتسب إلى أهل البيت في عصرنا: أنّ هذا النسب الشريف يجب أن يحترم، ولا يتّكئ به صاحبه، فإنّ نسب النبي صلى الله عليه وآله أفضل الأنساب، وبنو هاشم أفضل العرب، فلا يليق بهم أن يُدنّسوا نسبهم بما لا ينبغي من الأعمال والأقوال والصفات الذميمة. أمّا إكرامهم ومعرفة فضلهم وإنصافهم وإعطاؤهم حقوقهم والعفو عن بعض الأشياء التي تقع منهم على بعض الناس، فالصفح عنهم والتساهل في بعض الأخطاء التي لا تمسُّ الدين، أمر حسن، فقد جاء في الحديث: «أُذكِّركم الله في أهل بيتي»، فالإحسان إليهم، والصفح عن بعض زلاّتهم التي تتعلق بالأمور الشخصيّة، وتقديرهم بما يتعلق بممارستهم، ومعرفة قدرهم في الوظيفة، وعمل يقوم بحاجاتهم أو ما أشبه ذلك من إحسان وعناية بهم، وإيصال المعروف إليهم، فكلّ هذا طيّب، وعليهم أن يتنزّهوا عمّا حرّم الله[٢].

إنّ أهل البيت عليهم السلام وبني هاشم كما وصفهم الجاحظ: ملح الأرض، وزينة الدنيا وحليّ العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كلّ جوهر كريم، وسر كلّ عنصر شريف، والطينة البيضاء، والفرس المبارك، والنصاب الوثيق، ومعدن الفهم، وينبوع العلم.

فالأئمّة عليهم السلام هم الصفوة التي اختارها الله للبشريّة؛ ليتمّ بهم النور

---

(١) ابن تيمية في الفتاوى الكبرى.

(٢) رسالة الإمام الرضا عليه السلام محمّد علي البار. من صحيفة المدينة المنوّرة. حديث للشيخ الباز. في ردّه على ما يحدث في العتبات المقدّسة بالعراق من السادة الذين يكتبون الأدعية ويأخذون النذور والذبائح.

ونشـــره فـــي العالم، فقد اهتمُّوا بالأُمور الدينيَّة، وانقطعوا إلى العبادة والعلم والــورع والــبعد عــن الدنيا وشهواتها، ولم يحبّذوا أو يوافقوا على الإدارة السياســيّة في الدولة الإسلاميّة التي اتّجهت نحو الانحراف، واعتمدت على الكذب والخداع والمكر والرياء، في الوقت الذي اهتمّ فيه غيرهم من بني اُميّة والعــبّاس فــي نعيم الدنيا والمجاهرة بالملاهي والطرب. بل إنّ أهل البيت فرضــوا أنفسهم بأخلاقهم وعلومهم التي ملأت الخافقين، وبزُهدهم وتقواهم والكرامات التي حباهم الله بها.

فهــم وُجِــدوا في المجتمع الإسلاميّ ليصحّحوا المفاهيم والمعتقدات، ويــرجعوا بالمخالفيــن إلــى الحــقّ، فلولاهم لما عرف الناس معالم دينهم وعقائدهم. فقد رسموا معالم الاقتصاد والسياسة والاجتماع للدولة الاسلاميّة، إلاّ أنـــّـه لعدم تواجد السلطة في أيديهم لم تتمكن أهدافهم وتوجهاتهم من أن تشيع بين أفراد المجتمع، فقد اغتصب السلطة غيُرهم، واعتلوا مراكز الخلافة والقــيادة، فــبدّلوا الأحكــام كيفما شاءوا وعلى حسب مصالحهم الشخصيّة والسياســيّة والدينيّة، ولذا استمرّت تعاليم الأئمّة عليهم السلام أفكاراً ونظريات لم تجد مــن يطبقها، بل وجد من يحاربها ويخفيها، ويشرد أهلها ويطاردهم في بقاع الأرض فــي كــلّ زمن وعصر، بل إنّهم تمكّنوا من خلق أفكار ومفكرين؛ ليناقضــوا تلــك الأفكــار الزكيّة الناجية، والعداء الذي تأكّد في النفوس عن طريق الدعايات المزيفة، والأكاذيب، واختلاق الروايات المزوّرة، في مقابل المعتقدات الصحيحة التي كان يجتهد الأئمّة عليهم السلام لنشرها بين مسلمي المجتمع الإنســاني، في حين أنّ الحكّام والقادة ينظرون إلى أنّها تعارض مكانتهم أو أنّها تكون خطرة على منزلتهم ومقامهم؛ لأنّها لم تكن تؤيّد مواقفهم وآراءهم، بل كانت تصحّح أخطاءهم.

ولـــم يقتصــــر دور الأئمّـــة عليهم السلام أو يـــتحدّد فـــي نشر مبادئ الإسلام الصــــحيحة، أو الوقوف والصمود أمام المبادئ الخاطئة والمخرّبة للدين، بل إنّهم شاركوا المجتمع الإسلامي في حياته السياسيّة والإجتماعيّة والإقتصادية، وســـاهموا بجهـــد كبـــير ونصيب وافر في تعديل المسارات المنحرفة بكلّ جوانـــبها، ففي الجانب السياسيّ نرى أنّهم لم يبتعدوا عن الإسهام في الأمور السياسيّة، ولم يتنازلوا عنها، مثل ما تصوّره بعض حينما شعروا بعدم إقبالهم علـــى الإعداد للعمل المسلح ضد الوضع السياسي المنحرف، ففي الواقع: أنّ الأئمّـــة عليهم السلام أقدموا في تلك الأزمنة على العمل على تحسين الوضع الموجود بكـــلّ ما لديهم من طاقات وجهد؛ إذ اجتهدوا في إصلاح الأُمّة دينيّاً وسياسيّاً عـــن طريق تحريك ضمير الأُمّة من ناحية، ومساندة الحركات العلويّة ضد الحكّـــام الطغاة من ناحية أُخرى. حيث انصبّ اهتمامهم من أوّل الأمر على الاعتـــناء بـــالحكم وأخذه من المغتصبين، ونظراً للظروف الخطرة والوضع المـــتأزّم، في الفترات التالية، حين تمّ التوسّع في الدولة الإسلاميّة، وظهرت الفِـــرَقْ المخـــتلفة وتعدّدت الآراء السياسيّة والثقافيّة فقد أصبح جلّ اهتمامهم الاعتناء بتوضيح هذه الجوانب من ناحية، والردّ على المتناقضات من ناحية أُخرى.

فقد تعدّدت مواقفهم وأساليبهم في تعاملهم السياسي؛إذ اعتمد بعض منهم على العمل المسلح؛ لتقويم الانحراف، فقد كان الإمام على استعداد دائم للجوء إلـــى الأعمـــال المسلحة والقوّة ضد الحكومات الجائرة إذا وُجدت المصلحة، وتوافر الأنصار، والقدرة على تحقيق الأهداف المرجوّة من وراء ذلك العمل المسلح. فهم كانوا يرون في القيادة الشعبيّة الأمل الذي يعتمد عليه في تحقيق الأهـــداف، إذ إنّ الإيمـــان بتسلّم السلطة وحده لايكفي لتحقيق عملية التغيير

إســـلامياً مـــا لـــم تكن هذه السلطة مدعمة بقواعد شعبية واعية لأهداف تلك السلطة والإيمان بنظريتها في الحكم.

فالأئمةعليهم السلام في الواقع لم يتركوا العمل السياسي أو العمل المسلح ضد الحكـــام مباشـــرة، ولم يقتصر عملهم ـــ كما قيل ـــ على العبادة فقط، وإنما الأحوال المحيطة والبيئة التي عاشوا فيها هي التي دفعتهم إلى التصرف أمام المواقف بوسائل وطرق متعدّدة، فهم على العكس من ذلك اشتركوا في الحياة السياســـية إلى جانب إسهامهم الكبير في الحياة الاجتماعية والعلمية والدينية، باختلاف أحوالهم وتباين بيئتهم.

فهم لم يسكتوا في أي وقت عن التخطيط للناس والجماهير والدولة، فلم يكونـــوا ســـلبيّين، بـــل إيجابيّين تماماً، تدخلوا في أُمور الحكومات وسياسة الـــبلدان، وهـــو مـــا دفـــع تلك الحكومات إلى مراقبتهم والضغط عليهم، بل والتخلص منهم. فلو لم يكونوا إيجابيّين، أو كانوا بعيدين يعيشون حياة العزلة عـــن الأفـــراد والمجـــتمع؛ لما ترصد هؤلاء الحكام لهم، ووضعوهم تحت مراقبتهم طوال الفترات المختلفة للعصور الإسلامية.

فالحكام كانوا يعلمون قوة الأئمّةعليهم السلام، وتأثيرهم في المجتمع الإسلامي حتى لو لم يرفعوا السلاح عليهم، أو ينادوا بالثورة عليهم، فقد كانوا متأكدين من أنّ الأئمةعليهم السلام يؤمنون إيماناً قاطعاً (بحتمية وجود دولة إسلامية) وأنّ كل نظام سياسي غير إسلامي هو نظام يحمل الشرك؛ لأنّ حاكمه جبار طاغوت، وأنّ الأمـــر يســـتدعي ويوجب رفع آثار الشرك في المجتمع الإسلامي وفي الحياة العامة. فالحكام كانوا على ثقة بأنّ الأئمّةعليهم السلام يعتقدون بمبادئ الإسلام الحقّـــة التـــي تدعو لذلك، وإن لم يطبقوا تلك المبادئ بأساليب القوة والعنف، فـــرأوا فـــيهم الخطـــورة على أنظمتهم، وهو ما جعلهم يواجهونهم بالضغط

والمراقبة، والإقامة الجبرية، ثم التخلص منهم بالقتل.

وقد بيّنت السيدة الزهراء عليها السلام أن الإمامة وجدت لأجل حفظ النظام وتبديل افتراق المسلمين إلى اتحاد، فقالت: «...طاعتنا نظام للملة وإمامتنا لمّاً للفُرقَة...».

كما أنّ الإمام الصادق عليه السلام ذكر في هذا الصدد بأنّ الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

وهكذا، فإنّ الأئمّة عليهم السلام تركوا لنا أعظم وأضخم تراث من تعاليمهم التي تقاربت وتجاوبت مع العقول ومع آمال الشعوب وأمانيهم، فآثارهم وتعاليمهم هي كقوى الطبيعة لا يبلغها الإحصاء، كما أنّ استخراجها والانتفاع بها يحتاج إلى العلم والعمل، ولو أمكن فهمها ونشرها كاملة على حقيقتها لعمّت بركاتها ودامت إلى يوم البعث.

فبالرغم من إقصائهم عن مجال الحكم فإنّهم تحمّلوا باستمرار مسؤليتهم في الحفاظ على الرسالة وعلى التجربة الإسلامية وتحصينها ضد التردّي إلى الهاوية فاتّخذوا التدابير اللازمة ضد الانحراف، فمتى ضعف الحكام أمام التيارات الجامعة في المجتمع كان الأئمّة عليهم السلام يبادرون إلى وقاية الأُمة من الأخطار المحدقة، مما يؤكد دورهم الإيجابي في حماية العقيدة وتبني مصالح الرسالة والأُمة من إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، وإيقاف الزعامة المنحرفة، وإظهار هيبة الدولة الإسلامية أمام الأجانب، ومعارضتهم للقرارات المنحرفة دون أن يرفعوا السلاح والقوة المسلحة في ذلك كلّه.

والأئمّة عليهم السلام يشتركون جميعاً في صفات مميّزة علمياً ودينياً، إلاّ أنّ كلّ واحد منهم كان يختص بجانب من تلك الخصائص والصفات المشتركة، وذلك على حسب الأحوال والبيئة التي عاش فيها، فمن عاش منهم في عصر

النبـــيﷺ كــان يختلف في أدائه وعطائه للمجتمع عمّن عاش في العصر الراشــدي، وكذلك الذي عاش في بيئة حرة تمكن فيها من إبداء رأيه وأفكاره ونشرها بين الأفراد، وأن يجتمع بأتباعه ومواليه ومريديه، اختلف في تعامله عــن الذي عاش في بيئة ظالمة تميزت بوجود شخصيات معادية لأهل البيت ومــناوئة لأفكارهم ومعتقداتهم اتجهت إلى اتخاذ مواقف أكثر صلابة وعنف وقسوة تجاههم.

كما أنـّــه كان منهم من حكم الدولة الإسلامية وترأس قيادتها السياسية والدينية، فأدارها لفترات من الزمن طالت أو قصرت، وبرز منهم من واجه الحكــام الطغاة وحاربهم عسكرياً، بينما اتّخذ أفراد منهم مواقف سلمية تجاه هؤلاء الحكام، إلاّ أنّهم أعلنوا ونشروا الأفكار المعادية لهم في محاولة أرادوا بها تنحيتهم عن إدارة الدولة الإسلامية.

ولمــا كانوا كلهم فقهاء وعلماء وأُدباء عصرهم، إلاّ أنّ منهم من تميز فـــي تلك المجالات؛ نظراً لأحوال البيئة التي عاش فيها؛إذ تطلبت أن يكون كذلك: عالماً ومرشداً ومعلماً للمجتمع الإسلامي.

وإذا كــانوا كلهم كرماء تخصصوا في العطاء والمساعدة في كل وقت ولكل فرد، إلاّ أنّ منهم من تميز في هذا الجانب فأكثر من العطاء والجود.

ولكــل ذلــك وجب الاعتناء بهم وبأفكارهم ومعتقداتهم، والتمسك بها وتنفــيذها فـــي حياتنا، كما علينا أن نكنّ لهم كل حب وتقدير واعتزاز، حتى يرضـــى عنّا الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم الذي كثيراً ما كرر في كلامه وأحاديثه هذا الجانب فقالﷺ:

ــ «من مات على حب آل محمد مات شهيداً».

ــ «ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له».

ـ «ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان».

ـ «ومـــن مـــات على حب آل محمد بشره ملك الموت ومنكر ونكير بالجنّة، وفتح الله له في قبره بابين إليها».

ـ «ألا ومـــن مـــات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله، ولم يشم رائحة الجنة»[١].

ونحن في الفصول القادمة سنتناول ـ باذن الله تعالى ـ تلك الجوانب والمحاور التي بيناها سابقاً، مبتدئين بالمحور السياسي في حياة الأئمّة عليهم السلام.

---

(١) وأخرج الحاكم عن ابن عباس: لو أنّ رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى وصام، ثمّ لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمّد(ص) دخل النار.



المحور السياسي

- خصائص العصر الإسلامي.
- تعامل الأئمّة مع حكام وقادة تلك الفترة.
- تعاملهم الإيجابي مع المشكلات السياسية وأساليب مواجهتهم لها.

ابتدأ وجود الأئمة عليهم السلام في المجتمع الإسلامي منذ ظهور الإسلام وحتى العصر العباسي الثاني، فقد عاشوا في العصور التالية:

ـ عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ـ العصر الراشدي.

ـ العصر الأُموي.

ـ العصر العباسي الأول، وجزء من العصر العباسي الثاني.

الفصل الأوّل

عصر النبي محمّد ﷺ

ومن الأئمّة الذين عاصروا فترة حياة النبي ﷺ وبداية مبعثه ونشر الإسلام في المجتمع المكي والمدني: الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام والإمام الحسن والحسين عليهما السلام.

الإمام عليّ عليه السلام

فالإمام عليّ عليه السلام كان أبرز الشخصيات والقيادات التي ظهرت في أيام الإسلام الأولى بالتزامن مع النبي ﷺ فلم يفارق النبي منذ طفولته؛إذ اشتد إرتباطه به حتى آخر العهد به ﷺ مما جعله أعظم القوم في الدفاع عنه وعن الدين والعقيدة الإلهية. فإذا كان النبي ﷺ احتاج إلى أعوان متميزين كان الإمام علي عليه السلام أولهم، وإذا أراد من يعاضده في نشر الإسلام ومبادئه، كان الإمام علي عليه السلام أولهم، وإذا كان ينقصه ﷺ من أعوانه من يبارز أقوى الشجعان وأبطال المعارك والمواجهات الفردية في الحروب، كان الإمام عليه السلام أوّلهم. ولذا لم يبرز من المسلمين في فترة بزوغ الإسلام ونشر مبادئه الأوّلية أو الدفاع عنها سوى الإمام عليّ عليه السلام، فقد تميز عن غيره من الصحابة فيما قدّم من أفعال، وفيما انفرد به في تفانيه لتحقيق متطلبات الإسلام والمسلمين، فكان أكثر القوم جهاداً في سبيل الله، حارب المشركين والكفار، فشهد المعارك كلها مع النبي ﷺ، كما كان أوّل من بارز فيها. فكان صاحب

السيف الذي ظفر بالحروب دائماً، وشجاعاً من بين أكبر الشجعان، وفارساً لم تشهد لـــه الفروسية مثيلا قط، ما تحرّف إلاّ لقتال، ولا فرّ في موطن نزال، ولا ارتـــاع من كتيبة، ولا بارز إلاّ صرع وجندل، ولا هاجم إلاّ قتل وأنهى، كرته لاترتد ولاترد، ولم تكن ضربته تشفع بأُخرى.

كان أحب الخلق إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب حين قال الرسول الكـــريم صلى الله عليه وآله وسلم: «لأعطيـــن الـــراية غـــداً رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله».

كما وصفه بالإيمان يوم الخندق حينما برز لعمرو بن ودّ العامري:

«لمـــبارزة عليّ لعمرو بن ودّ أفضل أعمال أمتي إلى يوم القيامة. لقد برز الإيمان كله...»

وكان من بين القلة من الرجال الذين ثبتوا في معركة أُحُدْ يدافعون عن نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم حين فرّ الآخرون.

وقضـــى على قائد اليهود (مرحب) في خيبر حين جعل بابه ترساً عبر به الجنود الخندق الذي أنشأوه حول حصونهم.

وكـــان أوّل فدائي في الإسلام حين شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله، فنام فـــي فراش النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة، وقاد ركب الفواطم إلى المدينة بعد ذلك.

وكان أوّل الداخلين إلى مكة ومعه الراية الأُولى، فقد حمل العقاب أوّل راية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر، ولواءه في غزوة بني قريظة، ولواء المهاجرين يوم أُحُدْ وحنين. فكان لواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يده عند كل زحف، وكان المقاتلون يتشرفون بوقوفهم في الحرب أمامه لمواجهته ومبارزته. فاشتهر كفارس في التاريخ سَنَّ آداب الفروسية والحروب، حتى أحبه الغرباء والأجانب، وتقلدوا

به وتمثلوا بصوره، فاتخذه الإفرنج والروم رمزاً للتفوق الحربي.

أمّا في الإدارة فإنّه كان أوّل من ولاّه الرسول ﷺ الإمارة، حينما عيّنه ﷺ أميراً على المدينة يوم تبوك فقال ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي».

فكان الوحيد الذي نصّ عليه النبي ﷺ بالخلافة بعده دون الصحابة فقال ﷺ: «من كنت مولاه فإنّ مولاه عليّ عليه السلام». كما أنّه هو الذي تشرف بالتخلف على الودائع من قبل الرسول ﷺ، فبقى في مكة ثلاث أيام وليال حتى يرد ما كان عند الرسول ﷺ من ودائع لأصحابها.

أمّا في المدينة فقد اختاره النبي ﷺ أخاً له في الدنيا والآخرة عند ما أقرّ المؤاخاة بين المسلمين هناك.

هذا هو الإمام عليّ عليه السلام في عهد الرسول ﷺ تفانى في الصمود مع النبي في سبيل نشر الإسلام ودين الله سبحانه وتعالى، وجاهد بكل قوته وإيمانه في ذلك حتى أنّ فضائله لم يكن من السهل احصاؤها لكثرتها، كما ذكر الرسول ﷺ بنفسه؛إذ جاء عن جابر عن الرسول الأكرم ﷺ:

«أنّ الله ــ تعالى ــ جعل لأخي عليّ بن أبي طالب فضائل لاتحصى كثرة، فمن قرأ فضيلة من فضائله مقراً بها، غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة يستغفرون له ما بقي لتلك الكتابة من رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله الذنوب التي اكتسبها بالسمع، ومن نظر إلى كتابة من فضائله، غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر»[١].

---

(١) المجلسي: بحارالأنوار/ ٢٦/ ٢٢٩ ــ الشيخ عباس القمي: منتهى الأمال/ ١/ ١٧.

الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام:

كانـــا صـــغيرين في العهد النبوي الكريم، فلم تظهر لهما أعمال تجاه الإســـلام والمســـلمين في تلك الفترة المبكرة من ظهور الإسلام وانتشاره في الجزيـــرة العربـــية، إلاّ أنّه كانت لهما مكانة مميزة ومنزلة محببة بين أفراد المسلمين، فهما سبطا الرسول صلى الله عليه وآله، وسيدا شباب أهل الجنة، وإمامان قاما أو قعـــدا، وولـــدا فاطمة وعليّ عليهما السلام اللذان شكّلا مع النبي صلى الله عليه وآله أهل البيت الذين أذهـــب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وهما ذرية النبي صلى الله عليه وآله من صلب الإمـــام علـــيّ عليه السلام فقد ذكر النبي: أنّه لم يكن نبي إلاّ وذريته الباقية بعده من صـــلبه، وأنّ ذريتـــي بعدي من صلب الإمام عليّ عليه السلام، فالشرف من أولاده الحســـن والحســـين عليهما السلام؛ لانتســـابهما إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي كان من خصائصه أن ينسب إليه أولاد بنته بخلاف غيره من الأنبياء، وقال في ذلك:

«كـــل بنـــي آدم ينـــتمون إلى عصبته إلاّ ولد فاطمة، فأنا وليهم وأنا عصـــبتهم. إن الله جعـــل ذريـــة كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب عليّ».

وكـــان النبـــي صلى الله عليه وآله يحب ولديه الحسن والحسين عليهما السلام كل حب، ويبثهما عاطفـــته، ويوصي بهما خيراً في كل مناسبة، فكثيراً ما أخرج صلى الله عليه وآله أحاديث تخصـــهما وتميزهما. كما كان يداعبهما كثيراً، ويظهر حبّه لهما أمام الناس؛ كي يعلموا مكانة هذين الطفلين في قلب النبيّ صلى الله عليه وآله وكيف يخلفونهما من بعده، وكان الصغيران يعتزان بأُبوة النبي صلى الله عليه وآله ويهتفان به: يا أبت، في الوقت الذي كانا يناديان أباهما الإمام عليّ عليه السلام يا أبا الحسن.

وقـــد بايعا جدهما صلى الله عليه وآله بالرسالة وهما صغيران، فقد حدّث الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عليه السلام: «بايع رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسن والحسين عليهما السلام

وعبد الله بن جعفر وهم صغار، ولم يبايعه قط صغير إلاّ هم».

كما أنّ الإمام عليّ عليه السلام سعى للحفاظ عليهما من أي شر: «املكوا عني هذين الغلامين لايهدّاني، فإنّي أنفس بهما على الموت؛ لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله». فهم (أبناؤه) الذين أشار إليهم القرآن الكريم.

ولمكانـــتهما عند الرسول صلى الله عليه وآله فقد كان الناس يستغلونها واسطة عنده، فعندما تأزم موقف أبي سفيان بحث عن وساطة للتخلص من الموقف السيء الـــذي كـــان فـــيه، فكلـــم أبابكـــر وعمر والإمام علياً عليه السلام ثم السيدة فاطمة الزهـــراء عليها السلام مشـــيراً إلى ابنها الحسن عليه السلام: هل لَكِ يا ابنة محمد أن تأمري بُنيك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب الى آخر الدهر؟ فأجابت عليها السلام: «والله مـــا بلـــغ بُنـــيَّ ذاك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وآله».

كمـــا أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أعدهما للقيادة في العالم الإسلامي مستقبلا فيما كـــان يظهر من اعتناء بهما واهتمام نحوهما أمام جموع المسلمين، ويقدمهما إلى المجتمع سواءٌ في أحاديثه أو تصرفاته وسلوكه نحوهما.

فالإمامـــان الكريمان الحسن والحسين عليهما السلام ظهر منهما نسل النبي صلى الله عليه وآله وذريته الكريمة الذين تكاثروا فانتشروا في بقاع الأرض شرقاً وغرباً، فملؤوا الكون بأنوارهم الساطعة، ونشروا الإسلام، وأنشأوا المدن والدول والحكومات الإســـلامية الصـــحيحة، كمـــا ســـاهموا في تغيير مجرى الأحداث العالمية، وصـــنعوا الـــتاريخ مثل صنّاع السياسة والإدارة، ولولا هم لما عرف الناس الدين والدنيا والطريق إلى الله سبحانه وتعالى. وهو ما سنتعرض إليه في هذا الكتاب المتواضع.

الفصل الثاني

في العصر الراشدي

ـ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

ـ الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام

الإمام عليّ عليه السلام:

استمر الإمام عليّ عليه السلام في عطائه للإسلام والمسلمين في الفترة التي حكم فيها الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله مجنداً نفسه وأتباعه وشيعته للدفاع عن الإسلام وأرض المسلمين.

وعند ما واجه المسلمون بعد الرسول صلى الله عليه وآله مشكلات كبرى كان أهمها وأخطرها: مشكلة الخلافة التي اعتبرت القضية الأُولى الخطيرة في تاريخ الدولة الإسلامية؛ إذ تسببت في انقسام المسلمين وتفككهم، واشتعال الصراع بينهم، والنزاع بين شعوبهم وممالكهم، فإنّ القوى السياسيّة والاجتماعية في المجتمع الإسلامي لم تتمكن من إيجاد حل لها أو التخلص منها. أمّا المشكلات الأُخرى فقد استطاع المسلمون قيادة وأفراداً مواجهتها والتخلص منها والقضاء عليها واحدة بعد الأُخرى: كالمرتدين في الجزيرة العربية، والخلاف بين المهاجرين والأنصار، والحروب الخارجية التي بدأها المسلمون لتأمين حدود الدولة من الأعداء المحيطين بها، ونشر الإسلام في تلك البقاع.

وقد كان للإمام عليه السلام دوره الكبير، ومواقفه الإيجابية، ومشتركاته الفعالة، وتأثيره القوي، سواءٌ في إيجاد حلول لتلك المشكلات أو التخلص منها. ففي

مشـــكلة الخلافـــة الكبرى كاد الوضع السياسي والاجتماعي أن ينحرف عن مصالح الإسلام، فاتّخذ الإمام عليه السلام موقفاً جريئاً عقلائياً فريداً من نوعه، هدّأ به الأمور؛ لدوام المسيرة والحفاظ على تراث النبي صلى الله عليه وآله ورسالته السماوية.

فـــبالرغم من أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان قد أوصى بخلافته وإمامته من بعــده، إلاّ أنّ الوضـــع لـــم يـــتم لصالحه عليه السلام؛ إذ لم تعمل القوى المتنافسة والمتصـــارعة بـــتلك الوصية، فعقدوا مؤتمراً سياسياً في سقيفة بني ساعدة؛ لاختـــيار أحدهم خليفة وحاكماً. وكان من الممكن أن يستمر الصراع ويطول النزاع بين تلك الأطراف المتخاصمة المتنافسة، وينتهي إلى ما لايرضاه الله ورســـوله صلى الله عليه وآله، ومـــا لايحمـــد عقباه، فقد كاد الموقف أن ينفجر بين زعماء المهاجرين وقادة الأنصار في تلك الفترة الحرجة والحاسمة من تاريخ الإسلام والمســـلمين، إلاّ أنّ عمر بن الخطاب أنهى الموقف بإعلان أبي بكر خليفة. وكان الإمام عليّ عليه السلام لا يسمح لـــه الوضع برفض ما تم بين أفراد المؤتمر، وما أصدره من قرارات، وعدم قبول ما تم بينهم من اتفاق، ورفض شخص الحـــاكم خصوصـــاً أنّـــه لم يكن ممن حضر ذلك المؤتمر، ولم يشترك في صـــياغة قـــراراته، إلاّ أنّـــه استشعر الخطر الكبير الذي يهدد أركان الدين الإســـلامي وقواعـــد الدولة الإسلامية التي جاهد الرسول في تأسيسها طوال حـــياته لفترة زادت على ٢٣ عاماً، فأحس بانحلال كل ذلك وإنهاء لما جهد فـــيه الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمون الخلصاء والمؤمنون؛ اذ إنّ ذلك سيؤدي حتماً إلى تقويض أركان الدولة الناشئة، فلا مناص من أن يجتهد ويسعى للمحافظة على بيضة الإسلام، بدلا من أن يكون السبب في ضعفها وانحلالها، فيضيع بذلـــك الجهد الكبير والعمل المتواصل والسنوات العصيبة التي طالما قضاها النبـــي صلى الله عليه وآله والمؤمنون من أصحابه؛ لوضع قاعدة تلك الدولة الجديدة، فتذهب

سنوات تضحياته سدى.

و هكــذا تقــبّل الإمامعليه السلام الوضع الراهن مضحياً بنفسه في سبيل الله وسبيل الرسولصلى الله عليه وآله وسبيل الإسلام والمسلمين، فأسكت كلّ فرد من أصحابه الذين نادوا بالثورة على هذا الوضع المتردي، وعارضهم حينما قرروا اتّخاذ موقف المعارضة للحكومة الجديدة باستخدام العنف والقوة في مواجهتها. بل أنـّـــه أعطاهم درساً حقيقياً ـ وماأكثر دروسه ـ حينما اتّخذ موقفاً إيجابياً مشرّفاً بالتوجه إلى مساعدة المسلمين وخلفائهم، وحل مشكلاتهم المختلفة التي تعرضوا لها سياسياً واجتماعياً وعلمياً، فكان أفضل الخلق مشورة، وأقضاهم وأعلمهــم فــي القضـــايا المعاصرة. هكذا كان حال الإمامعليه السلام خلال الحكم الراشـــدي، مضحياً ومجاهداً في سبيل الله، ومحباً لدينه، ولأفراد المسلمين. وقـــد اتّضح كل ذلك في موقفه حينما عرض عليه أبو سفيان الخلافة وطلب مـــنه أن يـــبايعه؛ لأنـــّه أفضل القوم، إلاّ أنّ الإمامعليه السلام لم يكن ذلك الشخص الـــذي لايعـــرف ما في نفس هذا الشخص من عداء وبغض للإسلام، وفكر دنـــيء للقضـــاء عليه، ولذا فإنّه ردّه ورفض عَرْضه بشدة، مثلما رفض ـ أيضـــاً ـ عَرْض ابن عباس لمبايعته؛ إذ إنّ الوضع لايحتمل ازدياد الخلاف وإثـــارة الاضـــطراب أكثر ممّا هو فيه، كما لا يحتمل المزيد من إشعال نار العصبية الجاهلية، ويتأكد موقفه المحافظ للإسلام والمسلمين المدافع عنهم من خلال الأحداث التي جرت في أثناء خلافة عثمان بن عفان، حين التفّ حوله جماعته من أُسرة عبد شمس، وأسرع أهله للحصول على ما أمكن من المال وأنصـــبة لم تكن لها قط في صدر الإسلام أو أيام الخلافة، فلم يكن لهم شغل شاغل إلاّ هذا الطمع في جمع أموال المسلمين، وذلك بالرغم من أنّ عمر بن الخطـــاب قـــد رفض أن يساويهم بأهل السبق والهجرة فيما يأخذون من بيت

مــال المســلمين؛ إذ أعطــاهم على حسب منازلهم من دين الله، فعادوا إلى منزلــتهم في مؤخرة الصفوف. وقد أظهر عملهم هذا جمعاً من المعارضين للسياســة الجديــدة، فقــد ثار جمع من الشعوب الجديدة على الخليفة طالبين مــنه العــدل فــي الحكــم والولايــة، واشتدّت الحالة سوءاً عند ما حاصر هــؤلاء الــثوار المديــنة المــنورة، وتطور الأمر إلى حصار منزل الخليفة والضغط عليه؛ لتقديم استقالته وترك الحكم، مما أدّى إلى اضطراب الوضع السياســي والإجتماعــي في العاصمة والأمصار الأخرى وخصوصاً العراق ومصر، فتطلّب الأمر أن يتدخل الإمام عليّ عليه السلام لإنهاء هذه الأزمة والمحنة.

وكــان الموقــف صعباً ومحرجاً بالنسبة إليه، فقد كان عليه أن يحذر الفتنة، وخصوصاً أنّ الزمن كان في أوّل الإسلام، كما أنّ الخُلُق الإسلامي لم يكــن قد تأصّل بعد في النفوس، فجاهد أن يخذل الناس عن الثورة بالوسائل الصــحيحة التي رآها، فعمل سفيراً بين هؤلاء الناقمين من الثوار وعثمان، لعلّــه يستطيع أن يردهم عن المدينة، كما حاول أن يأخذ منه الرضا لهؤلاء، إلاّ أنّ الوضــع تطــور إلــى الأســوأ نتيجة عناد الطرفين، وسوء نصائح مستشــاري الخلــيفة، فأحاطوا منزله، ومنعوا عنه الطعام والشراب، فاجتهد الإمــام عليه السلام أن يوصــل إليه الماء العذب، وعندما رأى اجتماع الناس حول (طلحــة بــن عبيدالله) أسرع إلى بيت المال، فاستخرج ما فيه، وقسّمه بين الناس حتى يتفرق أصحاب طلحة عنه.

ومــن جانب آخر قدّم الإمام عليه السلام نصائحه لعثمان، بإزالة الأسباب التي أدّت إلــى هذه الاضطرابات: بإقصاء بطانته التي أبعدته عن رعاياه، وتغيير السياسة والمعاملة التي تقوّم تلك البطانة بتزيينها لــه وتغريه باتّباعها، فكان الــثوار يــنظرون إليه أنــه المسؤول الأوّل في السعي للإصلاح، والخليفة

يحسبه خير مسؤول في تهدئة الأحوال وكف أيدي الثوار.

ولكن ذهبت كلُّ مجهوداته سدىً؛ للموقف المتصلب الذي اتّخذه الخليفة وبطانته في المؤتمر الذي عقده للتشاور في الأمر وإصدار قرار بذلك، وهو المؤتمــر الذي اشترك فيه كلُّ الكارهين له كما ذكر الإمامعليه السلام الذي لم يدع إلــى الاشــتراك فــيه. وبالرغم من كل ذلك فإنّ الإمامعليه السلام قام بواجبه نحو الرجل، وأدّى ما عليه دينياً واجتماعياً بإجماع كل المؤرخين والمفكرين الذين تــناولوا هذه الفترة في مؤلفاتهم؛ إذ أكدوا أنّ الإمامعليه السلام وطائفة من أهل بيته حاولوا تفريق الثوار، ونصح عثمان والدفاع عنه، فهم أوّل من سلّوا سيفاً لرد هؤلاء الثائرين[1].

وقــد ذكر الطبري: أنّ علياً كان يدخل بالشيء مما يريد عثمان، وكان أوّلهم إنجاداً لــه، وأنّ ابن عباس ممن لزم الباب. وقد صرخ الإمامعليه السلام في القوم المحاصرين: «أيّها الناس أنّ الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمــر الكافريــن، لاتقطعوا من هذا الرجل المادة، فإنّ الفرس والروم لتأسر فتطعم وتسقى».

وإنَّ موقــف الإمامعليه السلام في مواجهة هؤلاء الثوار كان يدعو إلى تأكيد الحق والعدالة؛ حتى أنــّه تمكن من وضع حد لمطالبهم، إلاّ أنــّه لم يستطع أن يغــير من موقف الخليفة المتشدّد ومعاندة حاشيته، فتأزم الوضع سريعاً، وتمكنوا من القضاء عليه.

وينتهــي الموقــف ــ بعدئــذ ــ باختيار الإمامعليه السلام خليفة على الدولة الإسلامية.

---

(١) عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام عليّ بن أبي طالب، ج٢، ص١٩٤.

الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام
في العصر الراشدي

قـد كانا صغيرين أيام أبي بكر وعمر؛ إذ إنّهما عاشا مع جدهما النبي الأكـرم صلى الله عليه وآله سـبع أو ثمان سنوات، لقّنهما فيها الحكمة، وبث فيهما روحه ونفسه من أسرار السماء ما يؤهلهما للإمامة بعد أبيهما عليهما السلام.

وقد شاهدا وهما صغيران المصائب التي مرت على أبيهما وأُمهما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وحضرا الأحداث القاسية والمؤثرة التي تواجدت بعد فقدهم جدهما صلى الله عليه وآله: من مشكلة الخلافة، وميراث أُمهما الزهراء عليها السلام. كما أنّهما ظلا بجانب أبيهما ثلاثين سنة مخلصين لـه أمام أحداث الظلم والانحراف، ومع العدل والمساواة.

وكـان الناس يلتمسون الوسيلة إلى الإمام عليّ عليه السلام لدى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام، فلا يردّ لهم طلباً، ولايخيب رجاءهم، كما أنّ الناس وأصحاب الإمام عليه السلام آثروهما بالخير والبر.

وقيل: إنّهما اشتركا وهما شابان في الدفاع عن عثمان زمن الثوار، كما أنّهمـا اشـتركا فـي حـروب وفـتوحات شـمال إفريقيا وفارس وأوروبا (القسـطنطينية) وفـي حروب خراسان، وفي كثير من الفتوحات الإسلامية، وكان لهما دور بارز في سير تلك المعارك، كجنود مسلمين عملوا في الدفاع عـن الإسلام ونشر الدين الإسلامي، كما قد شهدا مع أبيهما مشاهده كلّها في البصرة وصفين والنهروان.

وأفضل ما تلقاه الإمامان في هذه الفترة هو ما أدّته أُمهم السيدة فاطمة الزهـراء عليها السلام من دور سياسي شيّدت به القواعد والأُسس الثابتة التي سيعمل بهـا الأئمّة عليهم السلام فيما بعد، فدور سيدة نساء العالمين عليها السلام السياسي لم يكن أقلّ

مـــن دور أي من الأئمّة في التاريخ الاسلامي عامة والشيعي خاصة؛ إذ إنّها تناولـــت قضية فدك كرمز للخلافة وحكم أهل البيت عليهم السلام، ودافعت عن مركز أهلهـــا وتأكيد أحقيتهم بالخلافة، كما أعلنت إضراباً سلمياً حينما اتّخذت موقفاً سلبياً لما تم بالسقيفة، مما يؤكد أنّ موقفها اتّخذ جانبين سياسيين هامين: أنّها أبـــرزت دور المـــرأة السياســـي في المجتمع الإسلامي وهو في أول نشأته، عـــندما دافعت عن الحقوق السياسية، وأوضحت تلك الحقوق في خطابها في المســـجد النبوي، وأنّها من جانب آخر قد وضعت أساس المعارضة الشعبية وقواعدها منذ الفترة الأُولى من حياة المسلمين السياسية.

ففـــي قضـــية الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله تناولت في خطبتها في المسجد النـــبوي أمـــام الصحابة، وكبار المسلمين، وجمع غفير من المسلمين، أحقية زوجهـــا الإمام عليّ عليه السلام بالخلافة مؤكدة ذلك بالأدلة الواقعية من خلال أفعال النبـــي صلى الله عليه وآله وأحاديـــثه، فأوضحت ذلك تماماً، وخاصة عندما ربطت فدك[1]

(١) فـــدك: قرية من قرى خيبر على مسافة ٣ أيام من المدينة، ذات شجر وأرض خصبة ومياه، وثروة واسعة في الزراعة، وكانت خيبر فيئاً للمسلمين، أمّا فدك فكانت خالصة للرســـول صلى الله عليه وآله؛ لأنـــه لم يقاتل عليها. ضمها أبوبكر إلى أملاك الدولة حتى أيام السفاح العباســـي، فدفعها إلى عبدالله بن الحسن بن الحسن، ثُمّ رُدّت عنهم إلى أيام المأمون، فـــردها إلى أولاد فاطمة عليها السلام في سنة ٢١٠هـــ فسلمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام، فكانت في أيدي أولاد فاطمة عليها السلام معظم فترات العصر العباسي. أمّـــا فـــي العصر الأُموي فقد أمر معاوية بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام بثلثها لمروان بن الحكـــم، والثلث الآخر لعمرو بن عثمان بن عفان، وليزيد ابنه الثلث، وتداولوها حتى خلصـــت لمروان. وهى أول ظلامة ردها عمر بن عبد العزيز للحسن بن الحسن بن عليّ، أو لعليّ بن الحسين عليهما السلام ثُمّ رجعت إلى أيدي بني مروان ثانية.
وكانت فدك تدر على الأُمويين عشرة آلاف دينار كل عام.

كحـــق لهـــا في وراثة أبيها بأحقية زوجها في الخلافة، أي: أنّها اتّخذت فدك رمـــزاً للحكم والخلافة، فحق تملكها كان يعني حق الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وبـــذا فإنّهـــا اتّخـــذت موقفاً سلبياً تجاه ما تمّ من اتفاق وقرار بين المسلمين والصـــحابة، مما دعى الخليفة أبو بكر وعمر أن يسرعا إلى طلب رضائها. ويـــتّخذ موقفهـــا هـــذا سمة المواقف المعارضة السلمية التي كثيراً ما يعلنها الأفراد الذين ينكرون على الحكام انحرافهم عن مسيرة العدل، ممّا يؤكد هنا أنّهـــا أوّل إمـــرأة في الإسلام اتّخذت موقف المعارضة في الأُمور السياسيّة والإجتماعـــيّة قبل أن تثيرها السيدة عائشة(رض) أيام خلافة الإمام علي عليه السلام، كمـــا أنّهـــا عندما توجهت إلى المسجد للمطالبة بحقوقها مع مجموعة النساء اتّخـــذت صـــورة مظاهـــرة نسائية، فأعلنت في خطبتها أمام القوم قضيتها، وأثبتت أحقيتها بأدلة دامغة معقولة ومقبولة؛ إذ أعلنت للجماهير وللتاريخ أنّ حقوقهـــا وحقـــوق أهلها قد أُغتصبت، كما تناولت الأحداث التي مرت على الإســـلام والمســـلمين منذ اللحظات الأُولى وحتى وفاة النبي صلى الله عليه وآله مشيرة إلى موقـــف أهـــل بيـــتها مـــن نشر الإسلام والدفاع عنه للحفاظ عليه أكثر من الآخرين.

وهكذا فإنّ الإمامين الشابين في هذه الفترة قد تعلّما الكثير مما مر بهما مـــن أحداث ووقائع، سيكون لهما دورهما الواضح أمام الأحداث التي تجري في عهدهما، فالأحداث الكبرى التي مرت عليهما:

ـ وفـــاة جدهمـــا النبـــي صلى الله عليه وآله وما ارتبط بها من مشكلات: كالخلافة والإرث الخاص بأُمّهما الزهراء عليها السلام وموقفها أمام تلك الأحداث.

ـ الأحداث التي جرت أيام خلافة أبيهما الإمام عليّ عليه السلام: من حروب أهلـــية، وفتن داخلية أثرت في مكانة الإمام عليّ عليه السلام وتطور الأمور السياسية

والعسكرية حينما انتهت بقتله عليه السلام.

كــلّ تلك الأحداث الجسام كان لها أثرها الكبير في نفسية الإمامين عليهما السلام ودورهمــا فــي المستقبل عندما يخلفان أبيهما في الخلافة والحكم، فيتّخذان مواقف إيجابية صلبة أمام ما يظهر لهم من مشكلات وقضايا مماثلة.

الفصل الثالث

خلافة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

السياسة العامّة لإدارته:

إذا لم تسنح الظروف السياسية والدينية أن يتولّى الإمام عليّ عليه السلام حكم المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله فإنّه تمّ انتخابه خليفة بإجماع المسلمين بعد عثمان، فجمع بين النص عليه من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وإجماع الأُمة الإسلامية، في حين أنّهم اختلفوا في غيره.

وعندما استلم مهام عمله كخليفة للمسلمين أعلن الثورة الشاملة على الوضع السائد الذي طالما انتقده هو وأفراد من المسلمين، فركز اهتمامه واعتناءه في جانبين مهمين يخصان الأُمة ويؤثّران فيها، وهما: الجانب الإداري، والمالي.

أمّا في الجانب الإداري فقد كانت له نظرته الخاصة نحو القياديين الذين يتولون شؤون الدولة وأُمورها، فقد رأى أن يكونوا من أهل الخبرة والتَّجربة ومن أُسر صالحة، لها أقدميتها في الإسلام؛ إذ إنّهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إسرافاً، وأبلغ في عواقب الأُمور نظراً، وهو ما يعني ألاّ يختار الفرد بالحسب والنسب والواسطة، بل بالخبرة والتَّجربة والاختبار. ولخَّص أُسلوبه في ذلك:

«لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام

وإمامة المسلمين بخيل، فيكون في أموالهم نهمة، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق يقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسُنَّة فيهلك الأُمة»

فالإمام عليه السلام لم يقبل مبدأ القرابة والقبيلة والعشيرة في الحكم والخلافة، وقال هنا:

«إن تكون الخلافة بالصحابة والقرابة ــ واعجباه ــ فلا شرف أعلى من الإسلام، ولا عزّ أعزّ من التقوى، ولامعقل أحصن من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا كنز أغنى من القناعة، ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت».

وهكذا فقد واجه مشكلة هؤلاء القياديين في الدولة بحزم وقوة، فقام بتغييرهم جميعاً من دون استثناء ليولّي بدلا منهم رجالا من أهل الدين والفقه والحزم، والخبرة والتَّجربة، وذكر هنا:

«ولكني آس أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا، والصالحين حرباً والفاسقين حزباً».

وهي الصفات التي تميّز بها الولاة والعمال الذين حكموا مناطق الإسلام قبل عهده، والذين كثيراً ما طالب الأفراد بتغييرهم؛ لأنّه كان ذلك مطلباً شعبياً ودينياً فرض على الخليفة الجديد إجراءه بالسرعة الممكنة من دون تأخير؛ إذ أنّهم كانوا سبباً في إثارة الناس وهيجانهم وثوراتهم أيام عثمان مما أودى بحياته، كما أنّهم كانوا السبب في إثارة الناس وتأزم الموقف نحو الإمام عليّ عليه السلام وارتباك الحياة السياسية في عهده، حتى أنّ ذلك أدّى إلى تغيير صورتها وشكلها إلى صور أُخرى أكثر اضطراباً وفوضى، فقد

أصــبحت حروباً ونزاعاً بين الحاكم الشرعي وهؤلاء المخالفين والمناوئين، مما أدّى إلى تغيير هيكل الحياة السياسية في الدولة الإسلامية تماماً من جميع الجوانب والوجوه.

فالإمــام علــيّعليه السلام هــو أول من جدّد في السياسة، فجعلها براعة في تطبيق الأحكام الدينية والمثل الإنسانية، وليس المراوغة والمداهنة، كما أنــه أول من نقل العاصمة إلى جهة أُخرى غير جزيرة العرب، مما أثر في تغيير العقلــية التقلــيدية إلـــى عقلية متطورة؛ إذ نقلهم من عقلية ضيقة إلى عقلية عالمية، وهو أول من اعتبر الولاة خُدّام الرعية، وليست الرعية إقطاعاً لهم، كما اعتبر أعظم الخيانة هي خيانة الأُمة، فدعا إلى أن يتّصل الوالي بالرعية، ولا يطيل الاحتجاب عنهم:

«فــلا تطوّلــنّ احتجابك عن رعيتك، فإنّ احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأُمور».

وهــو أول خليفة دُعِي له على المنابر؛إذ دعا له عبدالله بن العباس في البصرة: اللهم انصر عليّ الحق، فتبعه الناس بعد ذلك في الدعاء للخلفاء على المنابر في سائر الولايات.

إنّ دور الإمام عليّعليه السلام كان شاملا للجانب السياسي: في توطيد سلطة الدولة، والدفاع عنها، ومحاربة الطامعين في الداخل والخارج، وقمع الثورات والــتمردات، ومسالمة بعض، وإبرام الصلح معهم، وفي التعامل مع الشعوب الجديدة، وأهل الذمة وغيرهم.

أمّــا عن الأئمةعليهم السلام من بعده فقد تميّزوا بأمر من تلك الأُمور، فبرزوا في إيجاد الحلول لها، والتعامل معها كدرس وعبرة للأجيال.

سياسة الإمام عليه السلام تجاه الجهات المعارضة:

لقد واجه الإمام عليه السلام أخطاراً عدة من أطراف مختلفة سواءٌ من داخل الجزيرة العربية أو من خارجها في نطاق الدولة الإسلامية. وكان أخطر تلك الأحداث مواقف والي الشام معاوية بن أبي سفيان الذي رفض الإذعان لأوامر الخليفة بالتنازل عن ولايته والتوجه إلى العاصمة؛ لتسليم نفسه.

وخرجت فئة قليلة من المدينة لتسقط دولته، فتجهزت لمحاربته في البصرة، كما خرجت عليه طائفة من أفراد جيشه تبغي فرض رأيها عليه بالقوة والجبر.

وقد تعامل الإمام عليه السلام مع هؤلاء بأُسلوب ديمقراطي حر، فلم يتعرض لأحد منهم بسوء ما لم يصدر عنه ما يؤذي الأفراد ويضر بمصلحة الدولة، أمّا إذا انقلب موقفهم إلى غير ذلك فكان يستخدم الأساليب المناسبة في ردعهم وإيقافهم عند حدهم منعاً للاضطراب أو لتخريب أمن وسلامة الأفراد.

فهو مثلا لم يتعرض لمن امتنع عن بيعته، بل أعطاهم الأمان على ألاّ يثيروا في الأرض الفساد والفتنة. فالإمام عليه السلام تميز خلال حكمه بأمرين مهمين:

ـ لم يستكره الناس في بقائهم في ظل سلطانه وإجبارهم في الدخول معه في حروبه. ولم يتعرض لمن رحل عنه من الحجاز والعراق للالتحاق بجبهات أُخرى مناوئة، مُؤْثرين دنياهم على دين عليّ، فلم يستكرههم على البقاء معه، ولا صدّهم عن اللحاق بالمدن الأُخرى، فكان يرى أنّهم أحرار يتخذون ما يلائمهم من دار، فمن أحب الحق والهدى أقام معه، ومن رضي الضلال والباطل لحق بغيره.

فهو كان أعرف الناس بحقهم في الحرية الواسعة، فلم يجبرهم على

طاعــته، أو يرغمهم على ما لا يحبون، وإنّما كان يشتد عليهم حين يعصون الله، أو يخالفون أمره، أو يفسدون في الأرض.

وعــندما حارب الناكثين والقاسطين والمارقين لم يفرض على جنوده الاشــتراك معــه في جهاد العدو، ولم يدفعهم إليه بقوة السلطان، وإنّما كان يــندبهم لــه، فمن لم يرض منهم ويمتنع كان يعظه وينصحه ويحرضه، فهو لــم يجــند الناس تجنيداً، ولم يرغبهم في المال للانضمام إليه؛ لأنّه أراد أن ينصروه عن بصيرة وإيمان لا عن طمع وثروة وجاه.

وحــتى الثائريــن عليه الذين أعدوا الجيوش لمحاربته لم يكن يبدأهم بقتال، بل كان يجادلهم بالحسنى، وينصحهم، وحينما كانوا يرفضون حججه، ويصــمّمون على قتاله لم يكن يخرج عن طوره ويندفع إلى القتال، بل كان يــرفع المصــاحف أوّلا لــيجعلها حكمــاً بينهم، ثمّ يحل القتال. ونلاحظ أنّ الإمام عليه السلام كان يرفع المصاحف قبل القتال لا خلال المعركة، كما أنــّه اتّخذ مبادئ مميزة خلال الحروب، فكان يصيح: «لاتتبعوا مولّياً، ولا تجهزوا على جــريح، ولا تنهبوا مالا». فقد استخدم أساليب خاصة كفارس في الحروب، ملتزماً بآداب وخلق الفروسية: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فأنتم بحمد الله عــزّ وجــلّ على حجة، وترككم وإياهم حتى يبدؤوكم حجة اُخرى لكم، فإذا قاتلــتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل. وإذا وصــلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً الاّ بإذن الله، ولا تــأخذوا شــيئاً من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسببْنَ اُمراءكم وصلحاءكم، فإنّهن ضعاف القوى والأنفس».

وهــو كفــارس بطل خبر المعارك الفردية والمبارزات الشخصية بين

المحاربين الشجعان، كان يدعو الى المبارزة الفردية قبل الالتحام العسكري بين أفراد الجيش، لعلّه يُجَنِّب المسلمين إراقة الدماء، مثلما طلب ذلك من معاوية الذي جبن وهرب؛ لأنه لم يتعود الأساليب الرجولية والبطولية في المواجهات وفي حل القضايا المصيرية.

كما أنّه اتّبع أساليب عسكرية خاصة تجاه المسلم وغير المسلم، ولم يشمت بعدوه، ولم يشتم منهم فرداً. فلم يقبل أن يتقدم أحد أفراده بشتم معاوية وجماعته؛ إذ لم يكن يؤيد الأساليب الرخيصة في الترويج لسياسته وتأييد خلافته، وذلك بالحط من منافسه وتحقيره، وقال في ذلك: «كرهت أن تكونوا شتامين لعانين، ولكن قولوا: أَللهمّ احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم على ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لهج به».

وأكثر من ذلك، أنّه رفض أساليب اللعن والشتم والسب تجاه الأموات، فحينما كان في طريقه إلى الشام، ومرّ بآثار كسرى سمع أحدهم يتمثل:

جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فنهاه الإمام عليه السلام وقال: أفلا قلت: **(كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم)**[1] فهؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، ولم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية.

كان يعتني بالأولويات، فيهتمّ بها قبل كل شيء حتى تصلح الأحوال وتستقيم الأُمور، وكان من الأولويات الملحة تغيير الولاة الذين كانوا السبب

---

(١) الدخان/ ٢٥.

المباشر في إثارة المجتمع الإسلامي، إلاّ أن بعضاً نصحه بإقرار هؤلاء حتى يسكن الناس، ويبايعوا، ثمّ يعزل من يشاء، إلاّ أنـّـه لمّا لم يكن السكوت عن الحــق مــن مذهــبه ولا من سياسته ولو أضر هذا الحق بسياسته واستقامة سلطانه، فإنّه أقر مبدأه في هذا الجانب بقوله: «لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنــية مــن أمــري». ولذا فقد وقف موقفاً واضحاً صريحاً ثابتاً أمام رغبة معاويــة الظالمــة فــي رفضه لمطالبه، فكان لابدّ من الصراع بين طرفين متناقضين، وفئتين متضادتين، وفكرتين متباينتين. تؤمن إحداهما بأنّ الإسلام يشمل العدل الاجتماعي كأساس صلب من أُسس الإسلام، وتؤمن الأُخرى بأنّ الإسلام عبادة وتأدية فرائض لا غير. وتؤسس الثانية الفكرة العصبية القبلية العربــية، فــي مقابل فكرة تساوي المسلمين أمام الله والشريعة، وبين فكرة الديمقراطــية والحرية أمام الملك المتوارث والحكم المطلق، وتنادي إحداهما لفكــرة أنّ الإســلام يدعــو إلــى التأمل العقلي، والأُخرى إلى فكرة التسليم والإيمان غير المفكر أو المتدبر.

فكــان الإمــامعليه السلام يؤسّس لخلافة إسلامية، ومعاوية يدبر ملكاً. واهتمّ معاويــة بسياسته في أن يضم إليه كل من كان له شيء في الدنيا، وألاّ يتقيد بحــدود وأوضــاع، وإنّمــا يركب كل صعب وعوائق في سبيل الأغراض والمقاصــد، بيــنما الإمامعليه السلام كان يلتمس لكل إجراءاته وجوهاً من القانون، ويجــتهد بإيضــاحها قبل أن يقوم بحركة ما، وكان محافظاً على التئام وحدة الديــن، فقــد أدرك بعميق رؤياه مدى ما يراد بالإسلام من ويلات وشرور، فالإسلام عنده هو الوسيلة والغاية، فلن يسمح للغاية أن تبرر مسالك الوسيلة، بل إنّ الغاية السامية لا تتحقق إلاّ بالوسائل السامية.

كــان الإمــامعليه السلام واضحاً دبر أموره وأحواله على ملأ من الناس، فلا

تخفى على أصحابه من أمره خافية مهما كان خطرها. ولكن معاوية كان غامضاً يحتفظ بسره كله لا يظهر عليه إلاّ من أراد له ذلك من خاصته.

كان الطامعون يجدون عند معاوية ما يريدون، فيعطيهم ما وسعه إعطاؤهم، ويصل الذين يريد أن يتألفهم من القادة والرؤساء. وكان الزاهدون يجدون عند علي عليه السلام مايحبون، لايؤثر منهم أحداً على أحد، ويرى أنّ من الحق عليه أن يحفظ على المسلمين مالهم لاينفقه إلاّ بحقه.

أمّا رجالهم وأعوانهم والإداريون في الدولة، فكانوا عند علي عليه السلام من خيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وهدفهم السير على وفق مستلزمات الإسلام، وعند معاوية كانوا من الوصوليين والانتهازيين. فالناس عند علي عليه السلام ينظرون إلى سنّة الرسول صلى الله عليه وآله ومع معاوية ينظرون إلى هرقل وكسرى.

واشتهر رجال معاوية بالدهاء، الذي عندهم مزية وضرورة وغطاء للخوف والجبن وقلة الشجاعة، فأطلقوه على كل وسيلة غير صالحة يبلغ بها صاحبها مأربه. فكان هناك الفرق الشاسع بين ولي الأمر الذي يتّخذ الحكم خدمة للرعية، وبين الحكم الذي يجري على سُنّة المساومة، ويجعله قدوة لمن يقتدون به في السرف والمغالاة بصغائر الحياة. أمّا الإمام عليه السلام فكان له رأيه في هذا الموقف الساخن: «والله ما كان معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر. ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة. والله ما أُستَغفَلُ بالمكيدة ولا أُستَغمَزُ بالشديدة».

فالإمام عليه السلام كره وأبغض المكر والمكيدة وكل ما يتصل بأسباب من الجاهلية الأُولى.

وقد أدّى موقف معاوية المعاند والتمرد الذي أعلنه باستغلال أحوال

شعب الشام الموالي لـــه إلى حروب طاحنة استمرت ثمانية عشر شهراً، راح ضحيتها الكثير من الصحابة وأتقياء المسلمين، فلم يكن للإمامعليه السلام متسع من الفكـــر والوقـــت فـــي وقف تلك المجازر، فكان لابدّ من أن يصمد أمام من سيكون قدوة سيئة لغيره من الحكام وشعوب الإسلام في الفترات التالية. وما دام الإمـــامعليه السلام لـــم يـــنجح في إقناع معاوية للرضوخ لأمره وأمر الجماعة باعـــتزال العمـــل، بعـــد أن استخدم معه كافة السبل والوسائل السلميّة، فإنّ الطـــريق انســـد، وأصبحت المواجهة العسكرية حتمية بين الطرفين، فدارت معـــارك صفين التي شهدها من أصحاب محمّدصلى الله عليه وآله ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجره ٨٠٠ صحابي، قتل منهم ٣٦٠ فرداً.

أمـــا أصـــحاب الجمـــل فقد أعلنواالانقلاب على الدولة، واتّخذوا من البصرة قاعدة لهم، فأدّى الأمر أن يهدئ الإمامعليه السلام الوضع الساخن في الجبهة الشرقية ــ الشام ــ ليتفرغ للقضاء على هذا التمرد الجانبي الذي سيؤثر سلباً فـــي أمن وسلامة الدولة. والإمامعليه السلام كعادته حاول تهدئتهم سلمياً بمراسلتهم وإرسال الرسل إليهم يجادلهم بالحسنى، ولكنّهم رفضوا اُسلوبه ومنطقه، كما لـــم يقتـــنعوا بمقـــترحاته، فصـــمّموا علـــى القتال، فقتلوا الكثير من أعوانه وأصحابه، واستولوا على بيت المال، فأعدّ الإمامعليه السلام عدته لمحاربتهم جبراً، واستخدم الورقة الأخيرة لقبول السلم والإذعان للعقل، فرفع المصاحف يجعلها حكمـــاً إنصافاً منه لهم، إلاّ أنّهم قتلوا الشاب رافع المصحف، فأمر الإمامعليه السلام بقتالهم. وفي هذه الأحوال المضطربة والساخنة، قام الإمام بعدة إجراءات لا يعملهـــا إنســـان إلاّ هـــو؛ إذ لـــم يعـــرف في التاريخ شخص يقوم بذلك إلاّ الإمـــامعليه السلام. فهـــو لم يقبل لجنوده أن يستولوا على أموال العدو أو سبي أحد مـــنهم، وفسر ذلك حينما سألوه: «يا أمير المؤمنين كيف حلّ لنا قتالهم، ولم

يحل لنا سبيهم وأموالهم؟ فقال عليه السلام: ليس على الموحدين سبي، ولا يغنم من أموالهم إلاّ ما قاتلوا به وعليه، فدعوا ما لا تعرفونه والزموا ما تؤمرون».

فالحرب كانت بين طرفين مسلمين؛ ولذا تختلف هنا الأساليب والمعاملات التي ترتبط بها، فلا استرقاق ولا غنيمة في مال، إلاّ السلاح والعتاد الحربي الذي استخدموه تجاههم. كما أنّه صلّى على القتلى من الجانبين من أهل البصرة والكوفة، وأمر فدفنت الأطراف المجهولة في قبر واحد، هو ما نسميه اليوم «بقبر الجندي المجهول» أمّا الأسرى والهاربين فقد صفح عنهم، ولم يتعرض لهم بسوء أو يأمر بمطاردتهم، مثل ما حدث لعبد الله بن الزبير حينما طلبت السيدة عائشة أن يؤمن ابن أُختها، كما طلب الإمام الحسن والحسين عليهما السلام منه الأمان لمروان بن الحكم، وأمن الوليد بن عقبة، وأولاد عثمان وغيرهم من بني أمية، ثمّ أعطى الأمان للناس جميعاً. وعند ما عرف موضع الهاربين لم يمسهم بسوء، وكذلك أعرض عن أحدهم ــ سعيد بن العاص ــ حينما ظفر به في مكة. وأما السيدة عائشة فقد جهّزها بكل ما ينبغي، وبعث معها كل من نجا من الخارجين معها إلاّ من أحب المقام، وسيَّر معها أخاها محمد بن أبي بكر، ثم شيعها أميالا.

وقد لخص الموقف والإجراء الذي أحدثه بقوله عليه السلام: «سرت في أهل البصرة سيرة رسول صلى الله عليه وآله في أهل مكة» أمّا الذين اشتركوا في القتال فقال عنهم عليه السلام: «من قاتل صادق النية في نصرة الحق مبتغياً وجه الله ورضاه فمصيره مصير الشهداء. إنّ الحق والباطل ليعرفان بأقدار الرجال، اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله».

أمّا التمرد الجانبي الآخر الذي تعرض له الإمام عليه السلام فهو الخوارج، إلاّ أنّه عليه السلام بالرغم من أنّهم نقضوا عهده، وفرقوا شيعته، وأضعفوا جيشه،

واضطروه إلى قبول التحكيم، والتدخل في اختيار المندوب الذي اشترك في المؤتمر الذي انعقد بينهعليه السلام وبين معاوية، ثمّ الخروج عليه وإعلان الحرب عليه، فإنّه لم يحاربهم، ولم يظهر الغضب منهم، إلاّ عند ما يئس من فسادهم وعبثهم وآرائهم المتطرفة؛إذ إنّه حاول لفترة طويلة أن يرجعهم إلى موقفهم السليم وإلى الحق الذي كانوا فيه، فكلمهم وناقشهم وناظرهم ليدخلوا في طاعته، لعلّهم كانوا غافلين عن الحقيقة، ولكنّهم تمادوا في موقفهم المتصلب، وأكثروا من العبث والفساد حتى قتلوا الأبرياء، فاضطره هذا الوضع السيء وما وصل إليه الحال من قتل الأطفال والشيوخ والأبرياء، فأعدّ الجيوش وواجههم عسكرياً للتخلص من جرائمهم؛ ليحفظ للناس حقوقهم ودماءهم وأموالهم وأعراضهم.

وبالرغم من كل ذلك فإنّ الإمامعليه السلام أوصى أتباعه بعدم التعرض لهم من بعده: «لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه» فهم كما فسر الإمامعليه السلام الموقف، خرجوا في زمنه على إمام عادل وجماعة مؤمنة، وينبغي هنا قتالهم، أمّا إذا خرجوا على إمام جائر فلا يقاتلونهم. «فلا يقاتلهم بعدي إلاّ من هم أولى بالحق منهم» فهو إذن حارب الخوارج؛ لأنّهم تمردوا على حكم شعبي تجاوب مع مصالح الشعوب، متأثرين بأفكارهم الخاطئة، ولكنهم عند ما يترصدون للحكومات التالية كالدولة الأُموية، فإنّهم يرونها حكماً بغير حق، أي: يحل لهم مقاومة تلك الحكومة والتعرض لها. فالإمامعليه السلام كان حريصاً على أن تبقى روح النضال حية في الشعب حتى تظل له القدرة على الثورة حين تدعو لها الأحوال. وهو ما حدث بعد ذلك حينما أصبح الخوارج شوكة في جنب الحكم الأُموي، فهدّدوه وحاربوه، وكبدوه خسائر فادحةً في معارك طاحنة متواصلة، تمكنوا

فيها بالاشتراك مع القوى السياسية المعارضة الأُخرى من إسقاطه في النهاية.

وكذلك قامت في عهده ابنة كسرى بانتفاضة حاولت إعادة أمجاد أبيها، ولكن خليد بن فارس عامل الإمام عليه السلام على خراسان قضى عليها في نيسابور وأسرها، وعرضت على الإمام الزواج بها فرفض.

سياسته المالية

اعتنى الإمام عليه السلام بمصالح الأفراد والأُمة والدولة الإسلامية، فاهتم بحقوق الناس، ونادى بمساواة الجميع في الحقوق والواجبات: «فالذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه».

كان صارماً في المجال المالي؛ إذ صادر جميع ما أقطعه عثمان من الإقطاعات، وما وهب من أموال للطبقة المتميزة والفئة الخاصة، واتّبع مبدأ المساواة في العطاء: «فأيما رجل استجاب لله ولرسوله فقد صدّق ملّتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية، لافضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب».

فالمال هو مال المسلمين، وحق لهم أن يوزع عليهم دون أن يحتجز عنهم أو يستأثر به بعضهم، ويحرم منه الآخرون. لقد كان الإمام عليه السلام يوزّع ما يرد إلى بيت المال في حينه، فلا يختزن عنهم شيئاً منه حتى اشتهر عنه: أنّه كان يوزع الخيط والإبر، وأنّه كان يعتز كثيراً بأنّه يكنس بيت المال، ويرشه بعد تفريغ ما فيه، ثمّ يصلي فيه ركعتين. وهو في تصرفه هذا كان إماماً ومعلماً وقدوة وأسوة، فهو يُعلِّم المسلمين، ويعظهم بسيرته فيهم،

فَعلَّمهم بالقول والفعل[١].

ولكــن سياســة الإمام عليه السلام المالية والإدارية هدّدت المراكز الإقتصادية الممــتازة وأصــحاب الوظائف وطلاب المناصب، فقد علموا أنــّه سيختار لــتلك المراكــز والمناصــب من يعتقد أنــّه يستطيع إدارتها على المبادئ الإسلامية خير إدارة، أي: أنــّه لن يكون للوالي في عهده مغنم ومطمع في بيــت المــال أو في أيّ مجال آخر، سوى العمل الدائب في خدمة المسلمين وتأمين معاشهم. فالوالي لم يكن بالضرورة أحداً من أهله أو جماعته، إلاّ إذا كــان مــن طرازه هو؛ لأنّه إذا كانت: «رحمهم مني قريبة ولكن الفضل في غــيرهم» فقــد كان يطلب من كل مسلم أن يكون مسلماً على طراز رسول الله صلى الله عليه وآله أو طــرازه هو حتى يتحقق الإسلام في صورته المثلى. فالإمام عليه السلام كــان يعلــم جــيداً بــأنّ أعوان الظلم يتملقون أربابه، ويعيشون في ركابه، ويعيشــون للجباريــن يزيــنون لهم المقابح، ويرتكبون معهم الفضائح. وأمّا أنصار العَدل الإجتماعي وحماة الوحي الإلهي، فهم الذين يستنكرون المظالم، ويجتهدون في مكافحة الطغيان، ويوضحون معالم الخطر وطرق الشر.

وقــد أوضــح (طــه حســين) الأسباب التي منعت من نجاح سياسة الإمام عليه السلام المالية والإدارية في الاستمرار والبقاء: بأن ظروف العصر لم تمنح لها المجال، وأول تلك الظروف هو: ضعف سلطان الدين على نفوس المحدثين من المسلمين، وتغلب سلطان الدنيا على هذه النفوس، فقد استأثر سلطان المال والســيف بــالقلوب والنفوس. وهو ما سيتبين عندما نتناول المعالم السياسية والأحوال العامة للعصر الذي عاش فيه الإمام عليه السلام.

---

(١) طه حسين: الفتنة الكبرى/ عليّ وبنوه.

المعامله الإنسانية عند الإمام عليّ عليه السلام

كـان الإمـام عليه السلام فـي تعامله مع المجتمع الإسلامي يراعي الجوانب الإنسـانية المحضـة فـي ذلـك، فكان من أشد المهتمين بالحرية والاعتناء بأنواعهـا وأنماطهـا، فهو ممن وضع أساس الاعتناء بحرية الرأي والتعبير والتفكـير، والاهتمام بالحرية السياسية والمدنية، إذ إنّ الحرية هي الإنسانية، والإنسـانية هـي الحرية. وهي استعداد الإنسان للتفكير والموازنة فيما يفكر فيه، ثم يختار ما يراه جديراً بالتنفيذ، وهذا الاستعداد هو ما يميز الإنسان من الحيوان فيما يفرق فيه بين الضار والنافع وبين الحسن والقبيح، فالإنسان حر فـيما يعتقد، وفيما يعبر، وفيما يفكر، وفيما يملك، وفيما يعامل به غيره، ولا ضابط لحرياته هذه إلاّ فيما يؤذي نفسه وغيره في المجتمع، أي: أنّ الحرية لايحدهـا إلاّ إطـار المصـلحة العامة. فالكرامة والحرية ولدا مع الإنسان، وأحـس بهما، وكافح من أجلهما، وأراق دمه في سبيلهما، وهو ما يعني إذا ولـد الإنسـان حراً فهو طليق من كل نظام إلا الإطار الذي تحدّده المصلحة العامـة، والواجب الذي يتوجه إلى عقله من دون تغيير إرادته، والحقوق في جملتها ترجع في أُصولها إلى توفير الحرية للناس وتحقيق المساواة والعدالة بيـنهم، فالحياة بغير حرية موت حقيقي، والتساهل في أمر الحرية الشخصية يعدّ تنازلا عن حقوق الإنسانية وواجباتها.

والإمـام عليّ عليه السلام أعطى الجوانب السابقة كل اعتناء وعناية واهتمام، فهو كان يعلم تمام العلم أنّـه لا توجد حرية من دون حرية القول، فمن حق كل إنسان أن يعبر عن رأيه ويدافع عنه، وإذا حيل بينه وبين ذلك فإنّه يكون اعتداء على الحرية، فإذا كان الفرد خلية المجتمع الأُولى فإنّ أي اعتداء عليه هـو اعـتداء علـى المجتمع؛ إذ إنّ المجتمع هو الذي يبقى ويطول عيشه،

ويذهب الأفراد، وهو ما أظهره التاريخ حين برز الطغاة وتجبروا، وقامت امبراطوريات استعبدت الناس والشعوب، إلاّ أنّهم ذهبوا وبقي الأقوى، وهو الحرية.

وفي الشؤون السياسية، تعني الحرية هنا: أن يكون لكل إنسان ذي أهلية الحق في الاشتراك في توجيه سياسة الدولة في الداخل والخارج، وفي إدارتها ومراقبة السلطة التنفيذية؛ إذ إنّ رأي الأُمّة أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ من رأي الحاكم إذا ما اختلف الرأيان، ولا تتوافر هنا الحرية في الدولة إلاّ إذا كان كل فرد يعرف أنّ القرارات التي تتّخذها السلطة العليا لا تتعدى على شخصيته؛ إذ إنّ احترام رأي الفرد في نظام الحكم تأكيد لشخصيته، فيكون لرأيه سلطان وقوة ولو تعلق بشخص الحاكم، فيكون له الحق في معارضة إسناد الحكم إليه، وفي نقد أعماله بالوسائل النزيهة.

وفي الحريات المدنية كان ينظر إلى الأفراد بعين واحدة دون تفرقة بينهم، فليس من الحق السماح لطائفة من أبناء المجتمع في مواقع القيادة أو العلم، أن تتحول إلى طبقة، أو مركز قوة تستند إلى أساس من المكانة الإقتصادية أو الإجتماعية أو العصبية العنصرية، فتقوم بحكر خير المجتمع، وتحول دون وصول خيراته إلى كل الأفراد؛ ليزيد بذلك التمزق الأُفقي في المجتمع تمزيقاً رئسيّاً تصبح الأحقاد فيه وراء المكاسب أمراً موروثاً. فالحرية لا تتوافر إذا وجدت تيارات خصوصية تحتكر الحقوق على جزء فقط في المجتمع، كما لا توجد حرية إذا أمكن لرأي متسلط أن يتحكم في العادات الإجتماعية دون إقناع الآخرين بأنّ هناك أُسساً معقولة لهذا التحكم. إن روح الحرية وغرضها وحياتها هي الاتجاه نحو المساواة؛ لأنّها تعني زوال ممارسة القوة وجميع اللذات التي تصطحب ممارستها، فالمحتكرون من

الحكـــام وغيرهم يسمحون بالحرية في الضروريات، ولكن حينما يكون لب الحرية هو مهاجمة احتكارهم وصفوها بالفتنة والزندقة. إنّ أي مجتمع تسوده عــدم المســـاواة لابدّ أن ينكر الحرية، ومن ثمّ يثير التطاحن، فتتشوه قيمه، ويــزداد جهاز التشويه بحيث يعمى عن رؤية الحقائق التي تواجهه، فيعيش هذا المجتمع في خوف دائم يتملكه شعور بالكارثة المقبلة.

إنّ العدالة السياسية تربية وأخلاق وحركة روحية تلتزم بالتعاليم الدينية والمبادئ الاخلاقية كالإخاء والتعاون وحب الخير والصدق والاستقامة وحب الجـــار والإنســـانية، فحيـــثما كان أساس المجتمع عادلا لا يفكر الإنسان في التطاحن حول التفاصيل. فالإنسان عليه أن يفكر فيما ينفع نفسه وغيره، وفيما يحفظ نفسه وغيره من الضرر والإيذاء. والإسلام جاء لحماية العقل وإطلاق ســـراحه مـــن القيود والأغلال، فإذا تعسف الحكام بالتضييق على الناس في ممارسة الحرية في التفكير فيكون الدين بريئاً من هذا التعسف؛ لأنّ ما يضعه الحكـــام مـــن قوانين هو لحماية وسائل الطغيان، ومنع نقد أساليب الإستبداد والظلـــم، مع أنّ الحاكم في الدين هو فرد من الناس يخطئ ويصيب، ويحق لكلّ فرد أن يرشده ويقومه، فلا حرج ولا عقاب من حاكم إذا قام بذلك.

الفصل الرابع

الأئمة عليهم السلام في العصر الأموي

ـ السياسة العامّة للدولة الأُموية، مظاهرها والخطوط الرئيسة لها

ـ الأحوال العامّة للمسلمين في الدولة الأُموية

كـــان لابدّ من توضيح الصورة كاملة عن أحوال المسلمين في الأزمنة المخـــتلفة، والهـــيكل العـــام للدولة الإسلامية، وما تميز بها من خصائص؛ لمعـــرفة الأدوار التي قام بها الأئمّةعليهم السلام في تلك الفترات الحرجة من تاريخ الإســـلام. ولما كانت الدولة الأُموية هي التي سيطرت على شؤون المسلمين بعـــد استشهاد الإمام عليّعليه السلام، فإنّه كان علينا أن نتطرق في الفصول القادمة لهـــذه الدولـــة ومعـــرفة أحوالها فيها، ومجريات الأُمور فيها؛ لنتعرف على الأدوار المهمـــة التي قدمها الأئمةعليهم السلام فيما ظهر من انحراف وعدم استقامة في هذه الفترة؛ لتستمر الحكومة الإسلامية وشعوبها في السير نحو الاستقامة والطـــريق الســـليم، محافظين على مقدراتهم ومكاسبهم، فالأئمةعليهم السلام يشكلون حلقات متصلة يكمل أحدهم الآخر، كلٌ يؤدي دوره في حفظ الأمانة.

أساليب الإدارة والحكم في العهد الاموي:

ســـقطت آخـــر معـــاقل الخلافة الراشدة بعد تنازل الإمام الحسنعليه السلام، واستيلاء معاوية على السلطة، فبدأت مرحلة جديدة في تاريخ الإسلام اختلفت

تماماً في سياستها وإدارتها ومناهجها الدينية والتربوية والاقتصادية. فقد وصل الحزب المتطرف إلى الحكم، واختفت نظرية الشورى والحكم المعتمد على البيعة والانتخاب، أو عطلت تماماً عن العمل، وتركزت الأمصار في أيدي بني أُمية وأعوانهم. فاستتب الأمر لمعاوية في الشام، واتّخذ دمشق مركزاً للحكم وعاصمة للدولة الإسلامية، وانصرف بكل ما أُوتي من قوة وجهد إلى بناء مجتمع جديد مطبوع بشخصيته الاستغلالية والوصولية، متأثراً برواسبه القبلية إلى أبعد حدود التأثير؛ إذ اعتنق سياسته المعروفة المجردة من الضمير والنية الحسنة، واستخدم كل الوسائل والسبل للوصول إلى أهدافه، فتألّف الأحزاب بالمال والوعود والمناصب، ودسّ الدسائس، وحرّض على القتل، واغتال إذا اشتدّ عليه الأمر، وأثار الحروب بين الأحزاب، وهيج العصبية، وفرق بين المسلمين شيعاً وفرقاً ليتلهوا عنه، مثلما استخدم السياسي الماكر هذا المبدأ ليفرق بين الأمة فيسودها من ناحية، ويبقى كل واحد منهم في حاجة إليه من ناحية أُخرى.

وبذا فقد ظهرت في الخليفة صفة الحاكم السياسي، وأصبحت الخلافة تستند إلى الفكرة السياسية، واتّجهت نزعة الحكم اتجاهاً عنصرياً يثير في النفس عوامل العصبية، وأفسدوا على الناس أُمور دينهم ودنياهم. ولكل تلك الاعتبارات نقل نظام الملك إلى الدولة حتى قيل: إنه أوّل الملوك. فأبعد عن الخلافة التصاقها بالدين، فانتزعت إلى السياسة، وهو بذلك أسّس ملكاً عنيفاً لا يقوم على الدين، وإنّما على السياسة والمنفعة التي تعتني بتقوية النفوذ واستقرار النظام الحاكم.

ولم يكن ذلك صعباً عليه أو غريباً عنه، فقد نقل الكثير من نظم الحكم والإدارة عند الرومان وغيرهم، إلاّ أنّه ابتكر أموراً لم يسبقه إليها أحد،

فاستخدم أساليب غريبة في إدارة وأجهزة الدولة، كالتجسس، وإدارة المخابرات التي كان يجهد موظفوها في العثور على الأعداء وترصد حركاتهم للبطش بهم، حتى إن ذلك أجهد الشعب الإسلامي، فانتظر طويلا ظهور المثل الأعلى والعدل الذي افتقده الناس، وحين لم يظهر وفقدوا الصبر قاموا بالثورات المتلاحقة والاضطرابات الدامية، قابلها أجهزة الحكم وإدارته بالعنف والاستبداد حتى أصبح منطق القوة أصلا من أُصول الحكم الأُموي.

فالوسائل التي عُرِفَت في العهد الأُموي، والأساليب التي اُستخدمت لإدارته الدولة كثيرة، ويمكن حصر أهمها في المجالات التالية:

١ ــ إعلان الحروب وإباحتها.

٢ ــ العمليات الإرهابية.

٣ ــ تدبير المؤامرات والدسائس.

٤ ــ سياسة النفي من أرض الوطن.

٥ ــ الإعلام المزيف ونشر الإشاعات.

٦ ــ توزيع المال.

٧ ــ إنشاء الأحزاب المتعارضة.

٨ ــ اختيار عناصر مميزة للعمل في الإدارات.

٩ ــ سياسة التفرقة العنصرية وإثارة العصبية القبلية.

١٠ــ اختراع وسائل الاغتيال.

١١ــ التشجيع على الانغماس في حياة الترف والفساد.

أولا: ــ إعلان الحروب:

وقد اتّجهت هذه الحروب في اتجاهين، تحدّد أحدهما في الحرب على أعدائهم أو الثوار الذين قاوموهم، واتجه الآخر نحو الحرب على المدن أو

الدول، أي: الغزو والاجتياح لبعض المدن الآمنة.

ولأهمية هذه الحروب على حسب نظريتهم، فإنّهم ابتكروا نظام التجنيد الإلزامي؛ لأنّ الناس قبل ذلك كانوا يتجهون إلى الحرب جهاداً في سبيل الله، إلاّ أنّهم في هذا العهد لم يروا ما يدفعهم إلى الحرب طوعاً وثواباً، فتقاعدوا عنها وفروا، ممّا اضطر الخلفاء إلى تجنيدهم بالإجبار. وأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي خلال حكم عبدالملك بن مروان؛ إذ أنشأ الجيش الإسلامي من فئتين: متطوعة ومرتزقة، والتحق كثير من المتطوعة على نفقتهم الخاصة ومعداتهم كذلك، كما أسهموا أحياناً في نفقات وتكاليف الحرب، ولا يعودون إلى ديارهم إلاّ بعد أن يتنفذ الهدف(١).

أمّا الحروب الفردية التي أعلنوها ضد أعدائهم فهي التي أثاروها ضد الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام، وما أقدم عليه يزيد نحو الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته. وكذلك الحروب الأهلية التي استمرت في هذه الفترة مشتعلة حتى نهاية الدولة وسقوطها.

وأمّا الحروب الخارجية أو الفتوحات، فقد أقدموا عليها لصرف أنظار الناس عما يتم داخل الدولة، فلم تكن النية فيها صادقة، فليس هناك من دليل على أنّهم اعتنوا بالإسلام ونشروه بين أفراد البشر. فالمؤرخون عند ما يتناولون تلك الحروب والوقائع في هذا العصر يذكرون أنّهم فتحوا أقاليم جديدة ضمت إلى أراضي الدولة الإسلامية، إلاّ أنّهم لايذكرون شيئاً عن نشر الإسلام، أو المحافظة عليه في تلك البقاع، حتى يأتي بنو العباس فيؤكدون أنّهم هم الذين حافظوا على أراضي المسلمين، واعتنوا بنشر الإسلام بين هذه الشعوب الجديدة. فالأُمويون كثيراً ما أعلنوا الحرب على المدن والدول

---

(١) أخذ الحجّاج هذه الفكرة من الرومان.

والشعوب في سبيل إظهار هيبة الدولة على حسب قولهم، فلمّا كانوا ملوكاً فقد ظهــرت روح الملــك والرغبة في السلطان والسيطرة والتوسع؛ لأنّها تحقق الرغــبة فــي نفس الخليفة وتضمن الهيبة لهم أمام ملوك عصرهم. ولذا فقد أخفقوا في تحقيق الكثير من غاياتهم عندما بعثوا الجيوش إلى المناطق النائية، كالحملــة التــي شــنوها على القسطنطينية للسيطرة عليها، وانسحابهم منها خاســرين خســارة كبــيرة في الأرواح والمعدات والمال، كما أنّهم اشتروا ســلامتهم بالمــال أمام الروم، عندما صالح عبدالملك بن مروان ملك الروم لــيؤدّي لــه ألف دينار كل جمعة؛ حتى لا ينهار ملكه، وخسروا ــ أيضاً ــ الكثــير فــي الأرواح والمال عندما هاجموا كابل؛ لإخضاع أميرها (رتبيل) وإرغامه على دفع الأتاوة التي قطعها عن الأُمويين، فانقلبت الحرب إلى ثورة داخلــية ضــد الدولة نفسها،إذ حينما اختار الحجاج بن يوسف في (٧٩هـ) لقــيادة الجــيش عــبد الرحمن بن الأشعث، غير اتجاهه في السير إلى كابل لمحاربــة الحــاكم الأُموي الحجاج نفسه، فهزم في معركة دير الجماجم التي استمرت (١٠٣) يوماً وهرب الأشعث لاجئاً عند رتبيل الذي فاوضه الحجاج بشأن تسليمه مغرياً له بالمال مقابل ذلك، فقبل على أساس شرطين: ألاّ يغزوه الحجاج عشر سنين، ويدفع له مبلغ ٩٠٠ ألف درهم كل عام. وهكذا بدلا من تخلّــص الحجاج من الأمير الضعيف، فقد قوّى موقفه فوضع الشروط، وأخذ المــال، ممــا كــان أمراً مهيناً للمسلمين من جهتين، خسارتهم للآلاف من المجاهدين والشخصيات الإسلامية البارزة، وخسارتهم المالية الفادحة.

وفي غزوهم لشمال إفريقيا قاوم أهل البلاد من البربر الجيوش الأُموية لمدة ستين عاماً، حيث كرهوا قائدهم عقبة بن نافع، فحاربوه وقتلوه مع القائد الــذي تلاه أبي المهاجر وأصحابهما، وأسروا الباقي. كما ارتد زعيم البربر

(كسيلة) عن الاسلام، وتبعه عدد كثير من البربر، وعادت للروم سلطتهم على المنطقة، فانسحبت الجيوش الإسلامية من القيروان إلى برقة، في نفس الوقت الذي كانت الحروب الأهلية قد اشتعلت داخل الشام مما قلل من الصمود أمام هجمات أعداء المسلمين.

وعندما تولّى موسى بن نصير إفريقيا تمكن من الاستمرار في الفتوحات في المغرب والأندلس، وكذلك كان لاعتناء عبد العزيز بالجانب الديني من نشر الدين الإسلامي في تلك الجهات. إلاّ أنّ الأثر الذي تركه الأدارسة وغيرهم من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي أدّى إلى نشر الإسلام واللغة العربية في تلك الجهات.

ومن جانب آخر نرى أنّ غير المسلمين كان لهم الدور الأكبر في الفتوحات الأموية في تلك الديار؛ إذ إنّ أُمراء الأسبان والأندلس كان لهم الدور الأساس في تلك الحروب؛ لأنّهم شجعوا المسلمين على اقتحام ديارهم؛ لما كان بينهم من نزاع وصراع على السلطة، وبخاصة ما كان بين (الكونت جوليان) حاكم سبتة الذي ساعدهم بإعداد السفن اللازمة التي أتاحت لطارق بن زياد الفرصة للاستيلاء على أسبانيا، فقد عرض على موسى بن نصير القيام بفتح أسبانيا بعد أن صمد أمام المسلمين في اقتحامهم لسبتة لمدة سنوات.

فالصراع بين النبلاء على العرش هو الذي ساعد العرب على فتح تلك البقاع.

كما أنّ اليهود ساعدوهم في تلك الغزوات نتيجة ظروفهم السيئة، حيث تعرضوا للاضطهاد والتعذيب على يد النبلاء ممّا دفعهم إلى الوقوف مع العرب لحسن معاملتهم لليهود الذين رحبوا بالفتح العربي لأسبانيا.

وبالـــرغم مـــن ذلـــك فإنّ معظم المحاولات التي قام بها قوادهم لفتح جوانـــب أُخـــرى في أوربا كان مصيرها الإخفاق والخسارة، إلاّ ما كان من جهـــود أهالي البلاد، مثلما أخفق عبدالرحمان الغافقي عندما قرر العبور إلى فرنســـا، فانتهى أفراد جيشه كلهم، وقتلوا في معركة بلاط الشهداءـ (تور ـــ بواتيـــيه فـــي ١١٤هـ/ عام ٧٣٢م) فقد عبر جبال البرانس إلى مدينة بورد الفرنســـية، وواجه الجيش الإفرنجي بزعامة (شارل مارتل) القوي في سهل منبسط فسيح حيث دارت معركة بلاط الشهداء، فحلت الهزيمة بالعرب، وقتل عبد الرحمن والكثير من المسلمين، وانسحب الباقي. وكان العرب قد ابتعدوا عـــن قواعدهـــم الأصلية بأسبانيا كثيراً، فوضعت هذه الهزيمة حدا للفتوحات العربية؛ إذ إنّ الإفرنج ضغطوا عليهم حتى أجلوهم إلى أسبانيا.

وقـــد جاءت هذه الخسارة الكبيرة والإخفاق الذريع نتيجة سوء اختيار القـــائد، وفســـاد التخطـــيط والإدارة، فقد كان الغرب على علم تام بأساليب العـــرب، ومعـــرفة جيدة بكيفية مواجهتهم لالقاء الهزيمة بهم؛ إذ ذكر الأمير (شارل مارتل) عندما علم بهجوم المسلمين على فرنسا: «دعوهم يصنعوا ما يشاءون، فهم الآن كالسيل الذي يأتي على كل ما يعترضه، ولكنهم إذا أثقلتهم الغـــنائم، وطاب لهم المقام بالبيوت الجميلة، وألفوا رفاهية العيش، واستحوذ الطمـــع علـــى قـــادتهم، دب الشـــقاق في صفوفهم، زحفنا عليهم واثقين من النصـــر» وهـــو مـــا خططوا لـــه ونفذوه، فنجحت خطتهم، وأخفقت خطة المسلمين.

أمّـــا الحرب التي شنوها فيما وراء النهر والشرق، فقد اتّخذت صورة الغارات الخاطفة والغزو، فلم تصبح حملات منظمة إلاّ بقيادة قتيبة بن مسلم الـــذي وقـــف منه سليمان بن عبدالملك موقفاً معادياً، فأوقف زحف المسلمين

نحو الصين.

وفـــي بلاد السند (التي تكون جزءاً كبيراً من باكستان الحالية) فبالرغم من نجاح الحملات التي أرسلها الإمام عليّ عليه السلام بقيادة الحارث بن مرة العبدي مع جيش كبير من المتطوعين، وانتصارها وحصولها على مغانم كثيرة، فإنّ ملـــك الســـند أبدى عداءه للأمويين، فرفض حكمهم، وسمح بلجوء الخارجين عليهم إلى بلاده، كما أنّ القراصنة هناك تعرضوا لقوافل المسلمين وتجارتهم، وأســـروا نســـاءهم، مما جعل الحجاج بن يوسف يعدّ جيشاً لحرب داهر ملك السند بقيادة محمّد بن القاسم الثقفي الذي تمكن بعد حروب طاحنة مستمرة من السيطرة على المنطقة فوصل كشمير.

ومـــن جانـــب آخر نرى أنّ تلك الحروب كانت لها نتائج سلبية وآثار عكســـية علـــى المسلمين وديارهم، فالدخول بالحروب الخاسرة أدّت إلى قتل الكثـــير مـــن الصـــحابة، وإراقـــة دماء كثير من المثقفين والعلماء والأُدباء والمفكريـــن الذيـــن كانوا سيفيدون الإسلام والمسلمين أي إفادة، وكان على رأســـهم أبـــو أيوب الأنصاري الصحابي الجليل. كما أنّها مكّنت العداء بين طوائف المسلمين إلى ما لا نهاية، وخاصة بين أهل الكوفة والشام، والشرق الإسلامي وغربه ممّا أضعف قوتهم ومواردهم؛ إذ خسرت الدولة والشعوب أمـــوالا طائلـــة كـــان يمكـــن إنفاقها على إقامة المشاريع والمرافق اللازمة والضـــرورية. وهـــي قد شاركت في ضياع وقت المسلمين في أُمور جانبية هامشـــية كـــانوا في غنىً عنها، فكان الأجدر أن تُستغل فيما يهم مصالحهم، كنشـــر الديـــن، وتعاليمه، واللغة العربية، وتثبيت معالم الدين في قلوب هذه الشعوب الداخلة حديثاً في الاسلام. وخاصة في معاملتهم للبربر أهالي البلاد بالقســـوة والشـــدة كشعب مغلوب على أمره لا يدين بالإسلام، فقاوموا الفتح

الإسلامي، حتى إذا اعتنوا بهم وأعطوهم المكانة اللائقة بهم، تقلصت مقاومتهم وضعفت، وبدأوا الدخول في الإسلام، والقتال بجانب المسلمين لأتمام فتح المغرب، وخاصة بعد أن عقد الصلح مع الكاهنة زعيمة البربر وقبولها الإسلام مع إسناد القيادة إلى ولديها لفرقتين من الجيش تعداد كل منها ١٢ ألف مقاتل من البربر وبفضل هذه القيادة البربرية، وانخراطهم في الجيش الإسلامي، واشتراكهم مع الجنود المسلمين، أدّى إلى التسهيل في فتح المغرب الاوسط ــ الجزائر الحالية ــ وسرعة اعتناق سكانه الإسلام.

وهي من جانب آخر أثّرت في الجماهير ونفسياتهم حين اضطروا إلى تقبل ما يصدره الحاكم دون تفكير منهم في قراراته، الأمر الذي سيؤدي فيما بعد إلى تقبلهم لكل ما يصدر من إعلان مزيف.

كما أنّها دعمت مبادئ بني أُمية في إرضاخ الشعوب وقهرها باستخدام أساليب الاضطهاد والعنف، لمنعهم من الانتقاد أو إعلان المعارضة، فقد قتلوا روح النقد والمعارضة في قلوب المسلمين، ونعني بذلك: أنّهم قتلوا حرية الرأي والتعبير والكلام.

أما الحروب الداخلية: فقد اشتد نظام الحكم في إرهاب الشعوب بغزوهم، والإغارة عليهم، وسلبهم أموالهم، وسبيهم والتعرض لحرماتهم، فقد أرسل معاوية عام (٤٠هـ) أعداداً من أفراد جيشه إلى بعض المناطق الإسلامية ومدنها للإغارة عليها تخويفاً لها وإخضاعاً ودخولا في طاعته أو تأديباً. وقد نفذ تلك الأفعال الشنيعة خلال وجود الإمام عليّ عليه السلام على رأس الحكومة الإسلامية، أي: لما كان هو والياً معزولا من قبل الخليفة. فأرسل بسر بن أرطاة العامري على رأس ثلاثة آلاف بالسير في البلاد، وقتل كل من وجدوه من شيعة عليّ وأصحابه؛ إذ وصاه: «لا تنزل على بلد أهله على

طاعة عليّ إلاّ بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنّهم لا نجاء لهم، وإنّك محيط بهم، ثم اكفف عنهم، وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة عليّ حيث كانوا».

فمضى الرجل الذي اشتهر بقسوة القلب وغلظة الكبد وجفاء الطبع لينفذ أمر الحاكم، بل أضاف إليه من نفسه إسرافاً في الاستخفاف بالدماء والأموال والحقوق والحرمات، فأكثر من الفتك بالبوادي، وروع أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وآله حتى أراهم الكارثة، فقتل من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام خلقاً كثيراً، وهدم بها دوراً، ثم استعرض الناس لا يقال له عن أحد شرك في دم عثمان إلاّ قتله. وقد هرب عامل الإمام عليّ عليه السلام على المدينة أبو أيوب الأنصاري إلى الكوفة، كما أنّ جابربن عبدالله الأنصاري الصحابي الجليل عاذ بأم سلمة(رض) حينما أمر الجلاد بقتله، ثم مضى إلى مكة المكرمة، فقتل بها نفراً من آل أبي لهب، ثم قتل عدداً من أصحاب الإمام عليه السلام في السراة، وأيضاً في نجران قتل عبد الله بن عبد المدان الحارثي وابنه، وهما من أصهار بني العباس، ثم قتل في اليمن ابني عبيد الله بن العباس عامل الإمام عليّ عليه السلام الذي كان غائباً، وهما صغيران، ثم أغار على همدان وسبى نساءهم، فكنّ أوّل مسلمات سبين في الإسلام، ثم قتل أحياء من بني سعد، وكثيراً من الأبناء في صنعاء، متّبعاً في كل ذلك سياسة أنّ «من كان يمالىء علياً ويهواه يقتل».

وبعد تلك المجازر الوحشية قرر الرجوع، فقتل ونهب في أثناء عودته، وأخبر الحاكم الأُموي بما فعل فأجابه: «إنّ الله قد فعل ذلك لا أنت» وقد أحصى مجموع من تخلص منهم في رحلة الموت هذه، ثلاثين ألفاً غير من أحرقهم بالنار.

وأمّا زياد بن أبيه الذي يعتبر أفضل من أدّى المهمات الخطرة لمعاوية، فقد أسرف في فعل القبائح بشيعة الإمام عليّ عليه السلام حيث تكفل بالقضاء على كل العناصر القيادية في العراق مستخدماً أبشع الوسائل والسبل حتى عُدّ القتل أبسطها، فقد مثّل بالجثث، وصلب في الأشجار، وقطع الأيدي والأرجل، واستخدم ألوان العقاب البدني التي أصبحت لغة العصر اليومية، فقد لقي على يديه العلويون خاصة أبشع أنواع القتل والصلب والتقطيع؛ إذ هو أول من شدد أمر السلطان وأكدّ له الملك، فكان يأخذ بالظن، ويعاقب على الشبهة، فخافه الناس وهابوه.

وحينما تولّى أمر الكوفة جمع الناس في المسجد، وطلب منهم البراءة من الإمام عليّ عليه السلام فارتكب في ذلك الجرائم ما لا يمكن حصرها، فقد قتل سبعين رجلا في دفعة واحدة؛ لأنّهم رفضوا تلبية رغبته.

وعُرِف عنه حبّه للدم والتلذّذ بإراقته وشغفه برؤيته، ولذلك عندما جمع له معاوية أمر الحجاز مع العراق أرعب الخبر أهل المدينة، فاجتمع الكبير والصغير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وضجّوا إلى الله، ولاذوا بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أيام؛ لعلمهم بما هو عليه من ظلم وعسف وطغيان وجبروت.

فلا يداً رفع عن حرام، ولا الآخرة أدرك، ولا الدنيا بقيت عليه، كما قال عنه ابن عمر.

كما اشترك الضحاك بن قيس[١] في الإغارة على الأفراد والمدن؛ إذ أمره معاوية: «سر حتى تمر بناحية الكوفة، فمن وجدته من الأعراب في

(١) وقد خرج هذا القائد المطيع على الأُمويين بعد ذلك في أثناء الخلاف بعد موت يزيد بن معاوية، فقد رأى في نفسه الأهلية ليحكم الديار الإسلامية، فشق عصا الطاعة، وحاربهم للسيطرة على البلاد، وإبعاد بني أُمية عن المسرح السياسي.

طاعة عليّ فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة ــ أي مسلحين ــ فأغر عليها، وإذا أصبحت في بلدة فأمسِ في أُخرى» فسار القائد ينهب الأموال، ويقتل من لقــي مَن الأعراب، وأغار على الحجاج وسلبهم، إلاّ أنّ قائد الإمام عليّ عليه السلام: حجر بن عدي تمكن في كتيبة أن يمزق جيشه ويفرقهم، فيهرب. وقد جرت تلك الأحداث المؤلمة خلال فترة الهدنة التي انعقدت بين الطرفين.

ثانياً: ــ أساليب نشر الإشاعات والإعلام المزيف:

تمــيزت الإدارة الأُمويــة بنشر الإعلام المزور واختلاق أحداث غير حقيقــية، فتُصوِّر الحقائق والاشخاص على غير صورتها الواقعية. ومن أهم تلك الإعلانات والإشاعات:

١ــ قميص عثمان:

فقــد اتهم الإمام عليّ عليه السلام باشتراكه في قتل الخليفة السابق عثمان، أو أنّــــه كـــان المدبر والمحرض لذلك، أو رضاه بما حدث في الأقل، وذلك بنشر قميص عثمان الملوث بالدم. فقد سعى لإلصاق هذه التهمة الخطرة بكلّ الوســائل بالإمــام عليه السلام، ليصرف أنظار الناس عن القضية الأساسية، وهي: وجــوب إخضـــاعه لأمر الخليفة بالاعتزال، فهو كان ممّن يستخدم الأُسلوب السياســي المعروف: تغطية مشكلة أساسية باختلاق مشكلة جانبية؛ لصرف الأنظار عن الأساسية.

وقد استخدم هذا الأُسلوب فيما بعد كلّ الحكام والأُمراء والقادة، وساروا علــيه في إدراة شؤون البلاد، فاجتهدوا أن يغطوا مشكلة جوهرية تمس حياة الجماهــير وتؤثــر فيهم بمشكلة هامشية لا تهمهم في كثير وقليل سوى أنّها كانت تخفي القضايا والمشكلات الواقعية، فينشغلون بها عن تلك الأصلية التي

كانت ذات تأثير في مسار حياتهم ومجريات معيشتهم ومستقبلهم.

وممّـــا ساعد في تقبّل تلك الإشاعات والإدعاءات تعوّد أهل الشام على تصـــديقها، فكانوا يتناقلونها فيما بينهم ويتحدثون عنها، تاركين حدث الساعة والموضوع الرئيس الذي كان عليهم مواجهته.

ونحـــن قـــد تعرضـــنا لموقف الإمام عليّ عليه السلام من مشكلة قتل عثمان، وكيفية مواجهته لها وتصرفه حيالها، فالإمام عليّ عليه السلام اتّهم معاوية وبني اُمية فـــي تشجيعهم لقتل الخليفة حين تأخّر في مناصرته، وأبطأ في حمايته عندما طلـــب ذلك منه، وقد أوضح الإمام عليه السلام موقف معاوية المتخاذل وتهاونه في مساندة الخليفة في محنته في كثير من كتبه ورسائله وخطبه: «لعمري ما قتله غـــيرك، ولا خذلـــه سواك، ولقد تربّصت به الدوائر، وتمنّيت لـــه الأماني طمعاً فيما ظهر منك، ودل عليه فعلك».

فالإمام عليه السلام هنا يوضح القضية بكلّ صراحة؛ إذ إنّ معاوية يُعَد المدبر لـــتلك الاُمور حينما تقاعس عن نصرته حتى يحدث ما يحدث، فيستولي هو على كلّ شيء، وهو الأمر الذي أظهره فعله بعد ذلك من الصمود للإمام عليه السلام ومطالبته بالحكم.

كمـــا بينه ابن عباس ــ أيضاً ــ في كتاب بعثه إليه: «لقد أدركت في عـــثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره حتى صرت إلى ما صرت إليه، وبيني وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عقبة».

كمـــا ذكـــره ــ أيضاً ــ شبث بن ربعي رسول الإمام عليه السلام إليه: «وقد علمـــنا أنّـــــه قد أبطأت عنه بالنصر، وأحببت لـــه القتل بهذه المنزلة التي أصبحت تطلب».

كمـــا أنّ الإمـــام عليه السلام صرح بذلك في حرب الجمل حينما كانت عائشة

تحـــرّض الـــناس وتلعـــن قتلة عثمان، فقال الإمام عليه السلام «والله ما يلعنون إلاّ أنفسهم، فهم قتلوه، اللّهمّ العن قتلة عثمان».

ونحـــن يمكننا أن نؤكّد الأسباب التي دعت معاوية إلى اتّهام الإمام عليه السلام كانت:

ـ تغطـــية لموقفـــه السلبي تجاه ما حدث، واشتراكه الفعلي في مأساة عثمان.

ـ والانتقام من الإمام عليه السلام وبني هاشم بتخريب سمعتهم.

ـ وتقويض الخلافة الراشدة، وتأسيس دولة جديدة له ولأولاده.

ـ واتّهـــام بعـــض الصحابة بعد ذلك باشتراكهم في المؤامرة للتخلص منهم عندما ينوون القيام بالثورة عليه أو انتقاد أعماله.

وأمّا الذي شجعه بتدبير هذه المكيدة والإشاعة هم أهل الشام في الواقع، فقـــد كـــان معاوية أدرى بحالهم، فقد عرفهم وفهم طبائعهم وعقلياتهم؛ نظراً للفـــترة التي عاشها بينهم، فتمكن من السيطرة على عقولهم وأهوائهم، فهم لم يكونوا من الشعوب التي ترغب في المناقشة أو المجادلة في الأُمور الحكومية والسياسية، كما لم يستخدموا التفكير العقلي في القضايا المعاصرة المطروحة علـــى السطح، بل تعلموا الانقياد للأمير وتعوّدوا طاعته، فكثيراً ما اجتمعوا علـــى رأي موحد، ولكن دون بحث أو تفكير أو مجادلة. فأهل الشام كما قال عنهم الإمام عليه السلام: «أعراب أحزاب، وأهل طمع جفاة طغاة، يجتمعون من كل أوب مـــن كان ينبغي أن يؤدب، وأن يولى عليه ويؤخذ على يده. ليسوا من الأنصار ولا المهاجرين ولا التابعين بإحسان».

كما قال عنهم مرّةً أمام جنوده: «إخواننا بغوا علينا، لا تقولوا كفر أهل الشام، ولكن قولوا فسقوا وظلموا».

وقد وصف حالهم (أبو عثمان الجاحظ) حين قارنهم بأهل العراق: «وأهل الشام ذوو بلادة وتقليد، وجموع على رأي واحد، لايرون النظر، ولايسألون عن مغيب الأحوال».

وقد وضحت طبيعتهم هذه خلال أحداث صفين عندما لم يكونوا يتساءلون عن شيء ممّا يرد إلى معاوية، ليعلم ما جاء في تلك الرسائل، على عكس ما كان يحدث لأهل العراق، فقد يتسارعون لمعرفة مضامين ما يصل إلى ابن عباس من كتب ورسائل، حتى إنّهم ظنوا به الظنون إن كتمهم.

وقد أشار الحجّاج بن خزيمة إلى هذا الجانب السلبي في أخلاق أهل الشام وطبائعهم في قوله لمعاوية: «إنك تقوى بدون ما يقوى به عليّ، لأنّ معك قوم لا يقولون إذا سكتّ، ويسكتون إذا نطقت، ولايسألون إذا أمرت، ومع عليّ قوم يقولون اذا قال، ويسألون اذا سكت».

كما أوضح ابن الكواء: «هم أطوع الناس لمرشدهم، وأعصاهم لمغويهم».

كما فسّر موقفهم صعصعة بن صوحان: «هم أطوع الناس للمخلوق، وأعصاهم للخالق، عصاة الجبار، وحلفة الأشرار، فعليهم الدمار، ولهم سوء الدار».

إلاّ أنّ الإمام عليه السلام أبدى إعجابه لموقفهم الموحد في الصمود مع معاوية، حيث رغب أن يكون أصحابه مثلهم، فقال عن هؤلاء: «لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم، وأعطاني رجلا منهم».

وفي الواقع: أنّ معاوية يُعدّ المسؤول الأوّل عما جُبل عليه أهل الشام

مـن طباع وأخلاق، فهو الذي ربّاهم وعلّمهم على تلك الصفات المذلة حتى يتابعوه، وينفّذوا ما يطلب دون أدنى تفكير، ولذا كان يخشى عليهم كثيراً من التغيير وبخاصة إذا اختلطوا مع الشعوب الأُخرى، فقد حرص على إبعادهم عن الإجتماع بالفئات الأُخرى في المجتمع الإسلامي، حتى إنّه أوصى ابنه يزيد بذلك: «وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك، فإنّ نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فارددهم إلى بلادهم، فإنّهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم».

وهكذا تمكن من أن يجعل أهل الشام مؤيدين لكلّ ما يصدر هو والأُمراء من بعده طوال العهد الأُموي، فصدقوا كلّ ما قيل لهم من إشاعات ودعايات وإعلام مزور.

٢ـ الفئة الباغية:

أصبح اشتراك عمار بن ياسر في صف الإمام عليّ عليه السلام في حرب صفين مشكلة خطيرة وقضية حساسة، أقلقت بال معاوية على الخصوص وأهل الشام على العموم. فقد تردد خلال الأحداث أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر عماراً بأنّ الفئة الباغية هي التي ستقتله، فكاد هذا الحديث أن يهدّد سلطان معاوية، ويزلزل موقفه، وينهي مستقبله السياسي، كما كاد أن ينهي الحرب ويوقفها لصالح الإمام عليه السلام، أو يؤثر في أمزجة الناس، فيمتنعوا عن الحرب، أو يبتعدوا عن معاوية، أو أن ينقلب الوضع بمؤازرة أهل الشام لأهل العراق في محاربة معاوية، أو يتزعم أحدهم انقلاباً ضده، وخاصة إذا علموا بصحة الحديث وبالمبررات الزائفة للحرب.

وهو ما دفع معاوية وأعوانه للتصرف سريعاً أمام هذا الأمر الخطير والمأزق المهلك، فعملت وسائل إعلامه على وضع تفسير جديد للحديث؛

ليمسح التفسير المعروف والسائد عند الناس، وهو: أن الفئة الباغية التي ستقتل عماراً هي الفئة التي أخرجته معها، فأصبح بذلك الجانب الذي يشترك فيه عمار هو الباغي، أمّا الجانب الآخر المعادي لهم فهو الفئة الصالحة، ونجح الإعلام في سريان هذا المعنى عند أهل الشام الذين تقبلوه حتى أصبح عمار بين عشية وضحاها يحارب في صفوف الفئة الباغية التي أُعدّت لتحارب الفئة العادلة.

٣ـ رفع المصاحف والتحكيم:

استخدم المصحف الشريف للتخلص من أكبر هزيمة كانت ستحل بمعاوية ونظامه حين رفعه جنوده على أسنة الرماح طالبين النجاة، وذلك برغم كثرتهم واتّحادهم في حرب صفين، إلاّ أنّه فشل عسكرياً، وكاد أن ينهزم فيخسر كل شيء.

وفي الواقع لم يكن رفع المصاحف من ابتكاره أو اختراعه؛ إذ إنّ الإمام عليّ عليه السلام كان قد استخدمه من قبل في حرب الجمل، إلاّ أنّه لم يرفعه عند شعوره بالهزيمة والفشل أو خلال الأحداث العسكرية وعملياتها، بل رفعه قبل بداية الحرب والالتحام؛ ليجعله حكماً بين الفريقين كي لا يحدث القتال ويحقن الدماء.

ولذا فإنّ الإمام عليه السلام لم يقبل بموقف أهل الشام حين رفعوا المصاحف؛ لأنّه علم أنّ ذلك مجرد خدعة وحيلة فاشلة للتخلص من المحنة والفشل، فقال: «فلمّا عضهم السلاح رفعوا المصاحف، وإنّهم ليسوا أهل دين وقرآن».

ومن المعروف أنّ كلّ ذلك قد اتفق عليه مع الأشعث بن قيس

الكندي[١] الذي مثل دور الخيانة في جيش الإمام عليّ عليه السلام، فقد اتّفق معه أهل الشام على ذلك قائلين: «فاعمل على أن توقف القتال» إذا شعروا بالهزيمة.

وقد عُرِف عن الأشعث ومسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي قواداً لفئة متمردة في جيش الإمام عليه السلام؛ إذ إنّهم رفضوا تلبية أوامر الإمام عليه السلام بمواصلة العمليات العسكرية بقولهم: «لترجعن الأشتر أو لنفعلن بك ما فعلناه بعثمان». أي: القيام بثورة وتمرد على القائد، وتسليمه للعدو.

كما أنّ الأشعث هو الذي اتّفق مع معاوية بالإضافة الى ذلك بتحكيم كتاب الله، «فنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، تبعثون منكم رجلا ترضونه، ونبعث منّا رجلا على أن يعملا بكتاب الله، ثم نتبع ما اتفقا عليه».

والتحكيم كما هو معروف كان خدعة أيضاً ومؤتمراً يعمل لتنفيذ الغش والغدر، وليس لبحث قضية تهم المسلمين؛ إذ إنّ نتائجه ذهبت بالمسلمين بعيداً الى الهاوية والحروب والمنازعات الأهلية.

٤ـ لعن الإمام عليه السلام على المنابر وتسميته بأبي تراب:

أمر خطباء المساجد بلعن الإمام عليه السلام حتى أصبح سبّه في العصر الأُموي ديناً تدين به الدولة وأعوانها، كما أنّ أهل الشام أنشأوا الصغير على تلك السُنّة حتى هلك عليها الكبير. وبالرغم من أنّ أمّ سلمة(رض) زوج النبي صلى الله عليه وآله كتبت إليه تنكر عليه فعله: «إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم،

---

(١) عُرِف الأشعث بتاريخه الأسود، فقد ارتدّ عن الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وحاربه أبو بكر، وعندما شعر بالهزيمة أعلن عودته للإسلام. كما اشتهر ابنه محمّد في خيانته لمسلم بن عقيل عندما أمّنه، ثم سلمه إلى ابن زياد ليقتله، إلاّ أنّ حفيده عبدالرحمان حارب الحجاج عندما أعلن ثورة شعبية كبرى ضد الدولة الأُموية.

ذلـــك أنّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومن أحبه، وأنا أشهد أنّ الله أحبه ورسوله» إلاّ أنـــّه لم يلتفت إليها، ولم يهتم بسعيها. فكانوا يلعنون (أبا تراب) الذي حسبه أهل الشام لِصّاً من لصوص الفتن[١]، أو قاطع طريق.

وقد قصد معاوية بذلك أن يستفز الناس، ويقضي على سمعة أهل البيت النبوي الكريم وأنصارهم، حتى لا يتأثر بهم أي فرد، وأن يكون حجة تعذره الأُمـــة في التخلص منهم بعد ذلك، فكتب إلى ولاته بعد استشهاد الإمام عليه السلام: «ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة عليّ الذي يرون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادة. انظروا من قامت عليه البينة: أنـــّه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأســـقطوا عطـــاءه ورزقه. ومن اتهمتموه في موالاة هؤلاء القوم فنكلوا به، وأهدموا داره».

وقـــد أوضـــح موقف الحكومة من هذا الجانب عبد العزيز بن مروان حيـــنما سأله ابنه عمر فقال: «يا بني إنّ الذين من حولنا لو يعلمون من عليّ ما نعلم، تفرقوا عنّا إلى أولاده».

ولذا فقد أبطل عمر بن عبد العزيز تلك العادة السيئة والإعلام المشين حينما استخلف على الدولة الأُموية.

٥ـ نشر الأحاديث الموضوعة:

ساعد معاوية بنفوذه وماله في وضع أحداث غير صحيحة؛ إذ وضعت أحاديـــث في فضله والإشادة بذكره وفي مناصرته والتعصب له، حتى رفعوا مقـــام الشـــام التـــي يحكمها إلى درجة لم تبلغها مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو مكة، وأسرفوا في ذلك وأكثروا حتى تألفت فيها مصنفات خاصة.

كما حمل معاوية قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة

---

(١) المسعودي: مروج الذهب.

في الإمام عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم مالا، فاختلقوا لــه ما أرضاه، وكان أشهرهم: أبا هريرة وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وعروة بن الزبير.

ولمــا تركــت أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله بغير تدوين في عهده، ولم ينهض الصــحابة من بعده لكتابتها مثلما كتبوا القرآن، فإنّ أبواب الرواية عنه صلى الله عليه وآله اتّســعت لكلّ ذي هوىً زائغ من غير خوف من ضمير، ولاوازع من دين، فرووا ما شاءوا.

كمــا أنّ التاريخ يذكر ما حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله حينما أظهر بنو امــية ما يكنّون من حقد على بني هاشم ستره الإسلام فترة، حتى كان عهد عــثمان الــذي تحــول إلــى عصر اُموي، فرأى كلّ فريق أن يؤيد موقفه بالأحاديــث المنســوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وخاصة أنّ تلك الأحاديث لم تكتب أو تدون إلاّ في عصر متأخر في حوالي منتصف القرن الثاني الهجري.

وقد عيّن معاوية رجالا يقصون الحكايات في المسجد، فكانوا يسرفون في الكذب والإختلاق إلى حد أن الإمام عليّ عليه السلام طردهم من المسجد، إلاّ أنّ ذلك أصبح أحد الوسائل الإعلامية والدعاية السياسية لمعاوية.

وقــد أدخلــت القصــص كثــيراً من أساطير الأمم الاُخرى كاليهود والنصارى على المسلمين، كما أصبح باباً لدخول الكذب على الحديث فأفسد التاريخ بما تسرب منه من حكايات ووقائع وحوادث مزيفة(١).

---

(١) اُطلــق لفظ الأخبار على الرواية التاريخية، وأخبار الماضين، وحوادث الإسلام، أمّا المتخصص في روايتها الإخباري الذي عرف ــ أيضاً ــ في رواية الحديث بالمحدث. وعلــم التاريخ بدأ فرعاً من علم الحديث؛ لتأثره بطريقة المحدثين في جمع الروايات التاريخية ونقدها.

وقــد اشتهر في علم التاريخ وهب بن منبه اليهودي من صنعاء ومن أصل فارسي، عُرف بعدم توثقه بأخباره تماماً. كما أنّ كعب الأحبار لا يوثق بأخــباره التاريخــية، إلاّ أنـــّــه كان من مستشاري معاوية، فدخل التاريخ الإســلامي عــن طــريقهما أخبار يهودية عن الحوادث السالفة يغلب عليها الضعف.

وقــد قرب إليه كعب الأحبار، وأسكنه الشام؛ ليرويِ لـــه ما شاء من أكاذيب وإسرائيلياته تأييداً لحكمه وتثبيتاً لقوائم دولته.

كما أنّ أبا هريرة الذي كان أحد أهل الصفة برز أيّام عثمان ومعاوية، فأكثر هؤلاء في الأحاديث عن معاوية والشام والقدس والقسطنطينية والأبدال، نعرض هنا أجزاء منها:

١ــ أحاديث عن معاوية:

ــ قال النبيﷺ لمعاوية: «اللّهمّ اجعله هادياً مهدياً، اللّهمّ علّمه الكتاب والحساب، وقه العذاب، وأدخله الجنّة».

ــ عــن أبي هريرة، سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إنّ الله ائتمن على وحيه ثلاثة: أنا وجبرئيل ومعاوية. أو الأُمناء ثلاثة: جبرئيل وأنا ومعاوية».

ــ وعــنه أيضاً، أنــّه شاهد عائشة بنت طلحة التي اشتهرت بالجمال فقال: «سبحانه ما أحسن ما غذاك أهلك، والله ما رأيت وجهاً أحسن منك إلاّ وجه معاوية على منبر رسول اللهﷺ».

ــ وأخــرج الطبراني عن عوف بن مالك قال: «كنت نائماً في كنيسة بأريحــا وهي ــ يومئذ ــ مسجد يصلّى فيه، فانتبه عوف من نومه فإذا معه فــي البيت أسد يمشي إليه، فقام فزعاً إلى سلاحه، فقال لـــه الأسد: صه إنّما أرســلت إليك برسالة لتبلغها، قلت من أرسلك؟ قال: الله أرسلني إليك، لتعلم

معاوية الرحال أنّـه من أهل الجنة، قلت: مَنْ معاوية؟ فقال: ابن أبي سفيان رضي الله عنهما».

وقـد ذكر عبدالله بن أحمد بن حنبل أنّ أباه قال في معاوية: «إنّ علياً كان كثير الأعداء ففتّشوا له عيباً فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل حاربه، فأطروه كـيداً مـنهم لعليّ». مشيراً بذلك إلى ما اختلقوا لمعاوية من فضائل لا أصل لها، بالرغم من أنّ ما في البخاري وغيره لم يصحّ في فضائل معاوية شيء.

٢ـ أحاديث عن الشام:

ذكـروا عن الشام أنّها أرض المحشر والمنشر، وأرض الأبدال، وأنّ نزول عيسى سيكون بها، فروى المحدثون: «عليكم بالشام فإنّها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده، إنّ الله قد توكل بالشام وأهله».

ـ «الشـام صـفوة الله في بلاده يجتبي إليها صفوته من عباده. فمن خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه ومن دخلها من غيرها فبرحمته».

ـ عن أبي هريرة: «الخلافة في المدينة والملك بالشام».

ـ عـن كعب الأحبار: «أهل الشام سيف من سيوف الله ينتقم الله بهم ممن عصاه». ويقصد بهم الإمام عليّ عليه السلام وأصحابه.

ـ وقـال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيت عموداً من نور يخرج من تحت رأسي حتى استقر بالشام». رواه البيهقي في دلائل النبوة[١].

٣ـ عن دمشق ومدن أُخرى بالشام:

ـ «ستفتح عليكم الشام، فإذا خيرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق، وهي حاضرة الأمويين، فإنّها معقل المسلمين في الملاحم وفسطاطها

---

(١) العواصم والقواصم، ص١٨٧.

منها بأرض يقال لها: الغوطة».

ـ وفسروا الآية في القرآن: (**وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين**)، إنّ الربوة هي: دمشق.

كما جعلها أبو هريرة من مدائن الجنة في حديث الرسولﷺ: «أربع مدائن من الجنة: مكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق».

ـ وعن النبيﷺ: «ليبعثن الله تعالى من مدينة بالشام يقال لها: حمص سبعون ألفاً يوم القيامة، لاحساب عليهم ولاعذاب». وقد ذكر هذا الحديث بمناسبة دفن كعب الأحبار في حمص.

ـ أخرج الترمذي عن عبدالله بن سلام اليهودي، فروى عن صفة النبيﷺ في التوراة: «أنّه جاء بالسطر الأول، محمّد رسول الله عبده المختار، مولده بمكة مهاجره طيبة، وملكه بالشام».

ـ «لاتزال طائفة من اُمتي ظاهرين على الحق، لايضرهم من خذلهم، ولامن خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك».

وقد روى البخارى أنّهم بالشام.

ـ عن كعب الأحبار: «أول حائط وضع على وجه الأرض بعد الطوفان: حائط حران ودمشق، ثُمّ بابل».

ـ عن ابن عمر عن كعب: «تخرج نار تحشد الناس، فإذا سمعتم بها فاخرجوا إلى الشام».

وقد قسم كعب مناطق الشام في الأهمية والأولوية: فأهل دمشق يدخل الجنة منهم سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب. وأهل فلسطين ينظر الله إليهم في كلّ يوم مرتين. ويشفع الله شهيد حمص بسبعين.

ـ وفي مسلم عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال: «لا يزال أهل الغرب

ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة». وقال أحمد وغيره هم أهل الشام. ولكن بعد ما افتتحوا بلاد الأندلس جعلوها الغرب المقصود في الحديث.

٤ـ احاديث عن القدس:

وقد صنفت طائفة من الناس مصنفات في فضائل بيت المقدس بالإضافة إلى البقاع الأُخرى في الشام، فذكروا الآثار المنقولة عن أهل الكتاب، وعمّن أخذ منهم ما لا يحل للمسلمين أن يبنوا عليه دينهم.

فعن كعب: «أنّ العرض والحساب من بيت المقدس. وأن مقبور بيت المقدس لايعذب».

وقال: «هي أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلا، وهي أرض المحشر والمنشر».

وقال: «لاتقوم الساعة حتى يزور البيت الحرام بيت المقدس فينقادان جميعاً إلى الجنة، وفيهما أهلوهما».

وعنه وعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «الأنهار كلها والسحاب والبحار والرياح تحت صخرة بيت المقدس».

وعن كعب: أن الله ــ عزّ وجلّ ــ قال لبيت المقدس: «أنت جنتي وقدسي وصفوتي من بلادي، من سكنك فبرحمة مني، ومن خرج منك فبسخط مني عليه».

ــ «من مات فيه كأنّما مات في السماء، ومن مات حوله فكأنّما مات فيه».

وعن وهب بن منبه: «أهل بيت المقدس جيران الله، وحق الله ــ عزّ وجلّ ــ ألاّ يعذب جيرانه. ومن دفن في بيت المقدس نجا من فتنة القبر وضيقه».

ـ «مـــن أهَلَّ من المسجد الأقصى للحج غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

٥ ـ أحاديث عن القسطنطينية:

ذكر أبو هريرة عن النبيﷺ أنّـــه قال عن المدائن الأربعة في الجنّة، وأمّا مدائن النار القسطنطينية وطبرية وأنطاكية وصنعاء. إلاّ أنّـــه قد خرجت روايـــات بعد ذلك في فضلها، وخاصة عندما أرسل معاوية جيشاً بقيادة ابنه يزيد لغزوها وفتحها، فقيل: «لتفتحن القسطنطينية، فنعم الأمير أميرها، ونعم الجيش ذلك الجيش».

٦ ـ أحاديث عن الأبدال:

خطب معاوية بعد صلح الإمام الحسنعليه السلام: «أيها الناس إنّ رسول الله قال: إنّك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدسة، فإنّ فيها الأبدال». فظهرت بعد ذلك أحاديث مرفوعة عن هؤلاء الأبدال:

ـ «الأبدال في هذه الأُمة ثلاثون رجلا، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمان، كلمّا مات رجل أبدله الله مكانه رجلا».

ـ «الأبدال في أمتي ثلاثون، بهم تقوم الأرض، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون».

ـ «الأبدال في أهل الشام بهم ينصرون، وبهم يرزقون».

ـ «الأبـــدال أربعون رجلا وأربعون امرأة. كلمّا مات رجل أبدله الله مكانه رجلا، وكلمّا ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة».

إنّ تلك الأحاديث الموضوعة قد انتقدها كثير من المفكرين مثل: السيد رشـــيد رضا، فقال: إنّها باطلة رواية ودرايةً وسنداً ومتناً، وإنّما راجت في الأُمـــة بعناية المتصوفة، واشترك في وضعها الباطنية ورواة الإسرائيليات.

كما ذكرها الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات، وطعن فيها واحداً بعد واحد. كما نفى عن الشيعة أن يكونوا من وضع أحاديث الأبدال؛ لأنّه ليس عندهم أبدالٍ حتى يضعوا لهم أحاديث، فلا يعترفون بهم.

كما ذكر أنّ الأحاديث المروية في فضل الشام وغيرها دسائس إسرائيلية؛ إذ إنّ الأحاديث في أوّل الأمر قد صحّت في فضل المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولكن بعد بناء قبّة الصخرة على عهد عبد الملك بن مروان ظهرت أحاديث في فضلها وفضل المسجد الأقصى.

وقد تناقضت الأحاديث؛ إذ كثر واضعوها على حسب الأحوال التي يعيشون فيها، فكيف يمكن التوفيق بين أحاديث توقر الشام وتجلّها، والأحاديث التي ذكرت عن العباسيين الذين أخرجوا روايات عن أنفسهم، فعن أبي هريرة أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال للعباس: «فيكم النبوّة والمملكة». وأنّه صلى الله عليه وآله وسلم دعا له: «واجعل الخلافة باقية في عقبه». «وأنّ الخلافة في ولد عمي وصنو أبي حتى يسلموها إلى المسيح». «ويخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع الزمان وظهور الفتنة يقال له؛ السفاح».

وكيف يمكن موازنتها والتوفيق فيها وبين هذه الأحاديث:

ـ «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلا كلهم من قريش».

ـ «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يكون ملكاً». ولم يكن في الثلاثين سنة إلاّ الخلفاء الراشدين وأيّام الإمام الحسن عليه السلام. وقد رأى أحمد بن حنبل الكراهة في إطلاق اسم الخليفة على من يأتي بعد الحسن بن عليّ عليه السلام حيث قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «الخلافة في أُمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك». كما ذكر سعيد بن جهمان، أنّ بني أُمية يزعمون أنّ الخلافة فيهم، فقال: كذب بنو

الزرقاء، هم ملوك من شر الملوك.

وكـيف يمكـن موازنة تلك الأحاديث بما روى المحدثون عن الكوفة وأهميـتها أيضـاً. فجاءت روايات عن الأئمةعليهم السلام والصحابة تمتدح الكوفة وأهلهـا، فقـد جـاء عن الإمام عليّعليه السلام يزكيها: «أنّها كنز الإيمان، وحجة الإسـلام، وسيف الله ورمحه». وقال سلمان الفارسي عن أهلها: «إنّهم أهل الله، والكوفة قبة الإسلام يحنّ إليها كلّ مؤمن».

وعن الإمام الحسنعليه السلام عندما تحدث عن علامات ظهور المهديعجل الله فرجه وحكومـته: «أنّ أسـعد الـناس به أهل الكوفة» أي: في عهده؛ لأنّها تكون عاصمة الدنيا. وأكمل قائلا: «لموضع الرّجل في الكوفة أحب اليّ من دار في المديـنة». بالـرغم من أنّ الإمامعليه السلام ذكر بيت المقدس (في علامات ظهور المهـديعجل الله فرجه) «خير المساكن ــ يومئذ ــ بيت المقدس، ليأتينّ على الناس زمان يتمنى أحدهم أنـّه كان من سكانه».

وقـد جاء في أخبار فضلها: أنّ الكوفة هي إحدى الأربع التي اختارها الله تعـالى، وبهـا فسرت كلمة (طور سنين)، وفي الحديث: «أنّها حرم الله، وحـرم رسـولهصلى الله عليه وآله، وحرم أميرالمؤمنينعليه السلام، وأنّ درهم واحد يتصرف به يعـدل مـئة درهم في مكان أخر، والصلاة فيها ركعتان تعدل مئة ركعة في غـيرها». كما أنّ في الروايات أنّ فضله أكثر من المسجد الأقصى في بيت المقـدس. فقـد روى الإمام الباقرعليه السلام: «لو علم الناس ما لمسجد الكوفة من فضل شدوا إليه الرحال من أبعد البلاد».

فكـيف بهذه الأحاديث والأخبار والروايات بما جاء في روايات أُخرى عنها مناقضة وغير محببة تنفّر الإنسان منها ومن أهلها، فمن كلام (ابن أبي الحديد) في شرح نهج البلاغة: «إنّ أهل الفتنة والفرق من العراق ومساكني

الكوفة، وطينة العراق ما زالت تنبت أرباب الأهواء وأصحاب النحل العجيبة والمذاهب البديعة، وأهل هذا الإقليم أهل بصر وتدقيق، كان منهم أيّام الأكاسرة مثل ماني وديصان ومزدك وغيرهم[١]. كما ذكر ابن أبي الحديد: «ما زال العراق موصوفاً أهله بقلة الطاعة وبالشقاء على أولي الرئاسة».

وخطب الإمام عليّ عليه السلام أهل الكوفة قائلا: «لوددت أنّي لم أركم ولم أعرفكم معرفة، والله جرت ندماً وأعقبت سدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان».

وخطب الإمام الحسين عليه السلام فيهم: «والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، وتأزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر شج للناظر وأكلة للغاصب، اللّهمّ لا ترضِ الولاة عنهم أبداً».

والإمام الحسن عليه السلام: «عرفت أهل الكوفة وتلونهم ـ بلوتهم ـ ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، وأنّه لا وفاء لهم ولا ذمة في قول أو فعل. وإنّي رأيت أهل الكوفة قوماً لا يوثق بهم، وما اعتز بهم إلاّ من ذل، وليس أحد منهم يوافق رأي الآخر، وهي أسرع البلاد خراباً، وأهلها هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً».

والإمام عليّ عليه السلام قال فيهم: «إن أُهملتم خضتم، وإن حُوربتم خِرتم، وإن اجتمع الناس على إمامة طعنتم، وإن أُجبتم إلى مشقة نكصتم».

فضل الكوفة ومسجدها:

جامع الكوفة هو أحد المساجد الأربعة التي يشدّ إليها الرحال،

---

(١) وقد ظهر هؤلاء في فارس، وليس في الكوفة أو العراق.

والفريضة فيه تَعدِل حجة مقبولة، وتَعدِل الف صلاة في غيره. وفي الأخبار والروايات أنــّه موضع صلّى فيه الأنبياء، وسيصلي فيه القائم عجّل الله فرجه. كما أنّ فــي الحديث أنــّه صلّى فيه ألف نبي وألف وصي نبي، كما جاء في بعض الروايات أنّ فضله أكثر من المسجد الأقصى في بيت المقدس، فقد رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام: «لو علم الناس... والصلاة المكتوبة فيه تَعدل حجة مقبولة، والــنافلة تَعدل عمرة مقبولة». وفي رواية أُخرى: «أنّ الفريضة والنافلة فيه تَعــدل حجة وعمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله». وأنّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «لو كنت حاضراً بحضرته لرجوت ألاّ تفوتني فيه صلاة، أو تدري ما فضل ذلك الموضع، ما من نبي ولا عبد صالح إلاّ وقد صلّى في مسجد الكوفة حتى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أُسري به إلى السماء قال له جبرئيل: «أتدري أين أنت يا محمد؟ أنت الساعة مقابل مسجد كوفان. قال: فاستأذن ربي حتى آتيه فأُصلّي فــيه ركعتيــن، فــنزل فصـــلى فيه. وإنّ ميمنته لروضة من رياض الجنّة، وإنّ وســطه لروضـــة مـــن رياض الجنّة، وإنّ مؤخره لروضة من رياض الجـــنة، والصـــلاة فيه فريضة تَعدل بألف صلاة والنافلة بخمس مئة صلاة، والجلــوس فيه بغير تلاوة ولا ذكر لعبادة، ولو علم الناس ما فيه لأتوه ولو حبواً».

وفـــي الـــروايات: أنّ ميمنـــته أفضل من ميسرته. وقيل إنّ النبي صلى الله عليه وآله اســـتأذن الله تعالى ليلة المعراج فهبط إلى الأرض في هذه البقعة وهي (دكة المعراج) وصلّى ركعتين.

أمّـــا مســـجد السهلة فليس هناك في تلك البقاع مسجد يضاهي مسجد الســـهلة فضـــلا وشرفاً بعد مسجد الكوفة، فهو بيت إدريس عليه السلام وإبراهيم عليه السلام ومـــنزل الخضـــر عليه السلام ومسكنه. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كأني أرى نزول

القائم عجل الله فرجه في مسجد السهلة بأهله وعياله ويكون منزله. وما بعث الله نبياً إلاّ وقد صلّى فيه[1]. والمقيم فيه كالمقيم في فسطاط رسول الله صلى الله عليه وآله وما من مؤمن ولا مؤمنة إلاّ وقلبه يحن إليه، وفيه صخرة فيها صورة كل نبي، وما صلّى فيه أحد فدعا الله بنية صادقة إلاّ صرفه الله بقضاء حاجته، وما من أحد استجاره إلاّ أجاره الله مما يخاف منه، وهو من البقاع التي أحب الله أن يدعى فيها، وما من يوم ولا ليلة إلاّ والملائكة تزور هذا المسجد يعبدون الله، أما إني لو كنت بالقرب منكم ما صليت صلاة إلاّ فيه».

ثالثاً ــ تدبير المؤامرات والدسائس وإطلاق التهم الباطلة:

كان إطلاق التهم الباطلة وتدبير المؤامرات من الوسائل المميزة في سياسة الدولة حين تنزع الرغبة إلى التخلص من الأعداء والمناوئين. فقد اتُهمت شخصيات قيادية وسياسية وفكرية في المجتمع بمبررات واهية للتخلص منها، فاعتبروا أشخاصاً غير مرغوب فيهم، وخطرين على الأمن وسلامة البلاد والعباد.

ومن أشهر هؤلاء الذين اُبتلوا بتلك السياسة المشينة:

حجر بن عدي الذي تحدّدت صورة اتّهامه بأنّه انتقد الولاة، ورفض إطاعة أوامرهم، والعمل على التآمر ضد النظام، وإثارة الناس للثورة على

---

(١) هذا يعنى: أنّ المدينة أي: الكوفة قد وجدت قبل آلاف السنين ق.م، وأنّ المسجد بُنِيَ فيها أيّام الأنبياء منذ أقدم العصور، وقبل بناء الكعبة، فهذا الكلام قيل عن الكعبة المشرفة والبيت الحرام، كما أنّه لم يذكر في التاريخ أنّ ألف نبي قدم إلى العراق في أي وقت، مع العلم أنّ سعد بن أبي وقّاص قد اختط مسجد الكوفة في (١٥ أو ١٧هـ/ ٦٣٦م) وأعاد بناءه باللّبن زياد بن أبيه في (٥١هـ/٦٧٠م).

الدولة، وذلك بالرغم من أنّ كلّ ما دعا إليه هو: أنـّـه طلب من هؤلاء الولاة تــرك سب الإمام عليّ عليه السلام، ولعنه على المنابر، والعمل بدلا من ذلك باعطاء حقوق الناس وأرزاقهم عوضاً عن انشغالهم بهذه الأُمور الباطلة التي لا تنفع فــي شيء سوى ضياع الوقت. وفي الحقيقة: أن قضية حجر وثمانية آخرين اتُهمــوا معه بالمشاركة في حركته أوضحت أنّ الأمير والسلطان كان يعاقب الــناس على أية بادرة معارضة من جانب، وأنـّـه كان يكره أشراف الناس علــى الشهادة بالزور والبهتان؛ لتنفيذ حكم الموت في هؤلاء، دون أن يراهم أو يسمع لهم أو يأذن لهم بالدفاع عن أنفسهم.

ومــن المعــروف عــن حجر أنـّـه كان ينوي من وراء إبداء أفكاره وانــتقاده للوضـــع السيء أن يصحح الطريق الخاطئ الذي يستمر فيه نظام الحكــم وأجهــزته، فــرأى أنّ الواجــب يحتم عليه كشف الواقع وتصحيح الانحــراف للعودة إلى الحق. وقد تبيّن زيف كلّ ذلك فيما بعد عندما تساءل حجر وأصحابه عن أسباب القبض عليهم، فخيرهم الوالي بين البراءة من دين علــيّ ولعــنه أو القــتل: «فابرؤا من هذا الرجل نخل سبيلكم، أو لتلعننه أو لأضربن عنقك».

كمـــا أنّ حجــراً كشف موقفهم الباطل حينما قبل بالأمان الذي أعطاه «زياد بن أبيه» لِيُبيِّن للأُمة أمرين هامين: أنـّـه لم ينهض ليهرب، فهو ليس مجــرماً فــي حق أحد ليهرب، بل قام لنشر الأفكار والمبادئ السامية، وأنّ معارضته ليست خروجاً على الدولة أو تفريقاً للوحدة كما اتّهمه زياد الوالي، بل كان بدافع تصحيح الانحراف السائد في المجتمع. فهو أراد أن يعلن للناس واقــع الحكــم، بعــدم التزامه بالقيم الإنسانية، وتجاوز قيادته على الحريات بمــبررات باطلة مزورة، ومشعراً الرأي العام بخطورة الموقف السلبي الذي

يــتّخذه ويتقيد به نحو الحاكم السيء. فقد أعلن بكل قوة: «إنّا على بيعتنا لا نستقيلها ولا نقيلها، وأنه إنما شهد علينا الأعداء والأظناء».

وقــد أنكر المجتمع الإسلامي هذه الجريمة النكراء، وكانت لها ردود فعــل مؤثــرة في المجتمع؛ إذ أنكرها الإمام الحسين عليه السلام والسيدة عائشة التي روت لمعاوية حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عنها: «سيقتل في عذراء أُناس يغضب الله لهم وأهل السماء».

فكــانوا خــير الــناس في ذلك الوقت، فقد وصف المؤرخ أبو الفداء حجراً: أنــّه من أعظم الناس ديناً وصلاة.

كمــا ذكر عن ابن سعد: أنــّه كان من عباد الله وزهادهم وباراً بأُمه وكثير الصلاة والصيام.

وبمــوت حجر بدأت مرحلة جديدة وغريبة في سلوك الحكم الإسلامي قــام عمادها: على كبت الحريات العامة، وإخضاع الخصوم بالعنف، وعدم الــتورع عــن إراقــة الدماء البريئة، إرضاءً لنزوات الحاكم، وتثبيتاً للملك، ودعماً للسلطان، واحتياطاً لبقاء النظام.

كمــا اتّهــم عمرو بن الحمق الخزاعي الصحابي الجليل الذي اشتهر بالعبادة والتقوى، فتتبعته أجهزة الأمن والجاسوسية، وطاردته من بلد إلى بلد حــتى ظفــرت به، فأعلنت صورة اتهامه باشتراكه في قتل عثمان، إلاّ أنّهم خيروه بين إعلان براءته من الإمام عليّ عليه السلام وقتله، ولكنّه اختار القتل، فحُزّ رأسه، وطيف به على رمح.

وفــي الحقيقة: أنّ مطاردة الموالين للإمام عليّ عليه السلام وتهديدهم والقضاء علــيهم هــو عمل يشبه ما تقوم به الحكومات في العصور الحالية حين يتهم بعــض الأفــراد الأحــرار الناقمين على النُظُم الديكتاتورية، ممّا كان يدفع

بالحكومــات أن تلفق لهم التهم المزورة بانتمائهم إلى أحزاب أو فئات خاصة للتخلص منهم حفظاً للأنظمة الاستبدادية، بالرغم من أنهم يعتبرون في عداد الفئات المعارضه أو الجبهة الوطنية.

رابعاً ـ توزيع المال واستخدامه في إثبات السلطان.

سعى معاوية وخلفاؤه إلى توظيف المال في سبيل السيطرة على الأُمة والدولــة، فــتألف الأحزاب والأفراد بالوعود والمال والمناصب، يعطيهم ما وســعه إعطــاؤهم، ويصـــل الذين يريد أن يتألفهم من رؤساء وقادة، فكان الطامعون يجدون عنده ما يبغون. فقد كان يوزع الخراج على الأغنياء ومن يمــت إلـــى بني أُمية بعرق أو صلة، ومن تربطه بهم روابط مودة أو تابعية عمــياء، فيعتمد عليهم في تحقيق مآربه الذاتية وأغراضه البعيدة، وذلك تحت ســتار الجــود والسخاء والحلم. فالمال الذي جعله الله خادماً مطيعاً للإنسان تحــول إلى سيد مستبد، وصارت خيرات الأرض التي جعل الله للناس حقهم فيها متكافئاً حكراً ومزية، وتحولت السلطة التي هي مسئولية أمام حساب الله إلى سبيل للسيطرة والثراء والترف المدمر. وهو ما دفع أباذر ليواجه السلطة الحاكمــة، وينكر عليها القول: إنّ المال مال الله، بل إنما هو مال المسلمين. فأنكــر علـــى معاوية بناء القصور الفخمة؛ لأنّها السرف في التصرف بمال المســلمين، فهــو الخيانة. وقد حاول شراء ذمته بالمال، ولكنّه رفض بشدة وَحِــدَّة. فلــم تصـــبح الأموال العامة للأفراد، وإنّما هي إلى ملكهم وولاتهم يتصرفون فيها على ما يشتهون، لا على ما يقتضيه الحق والعدل والمعروف. لقد أثرى على حساب بيت المال طائفة من صغار القوم لاهمّ لهم إلاّ الإثراء مـــن أموال الدولة؛ إذ لم تكن إمرة الولاية سوى وسيلة للحصول على الثروة

وجمـــع المـــال، فـــي الوقت الذي حرموا غير الموالين من ذلك المال، حتى وصـــل الأمر إلى أن يحارب هؤلاء الدولة في سبيل الحصول على الأرزاق والعطاء، ونعني به: الثورات الداخلية التي حدثت نتيجة سوء أحوال الطبقات الإجتماعـــية الأدنى مستوىً في البلاد. فقد وصل الأمر بهم أن نقصوا عطاء أهـــل العـــراق عن أهل الشام، واقتصدوا في مصروفات العراق ليبقى منها فضـــل يحمـــل إلـــى دمشـــق. هذا في الوقت الذي اهتم فيه الأُمراء والقادة والســـلاطين فـــي التسابق والتفاخر ببناء القصور الفخمة والدور المزخرفة وصرف الأموال الطائلة عليها.

خامساً ـ تأسيس الأحزاب المتعارضة والمتناقضة

ســـعى الأُمويون إلى خلق أحزاب تتضارب مصالحها، أو تهدف إلى ضـــرب مصالح أحزاب أُخرى؛ للتخلص من شرورها وخطرها على الدولة، ولإلهـــاء الأفـــراد بمصـــالحهم الخاصـــة. فخلقوا حزب المرجئة في مقابل الخـــوارج، فقـــد عرض هذا الحزب أراء خاصة تساند مواقفهم وتصرفاتهم؛ إذ كـــانوا يرجـــئون الأحكام إلى يوم القيامة دون أن يحاسبهم أحد في الدنيا، فـــيرون شـــرعية حكومـــاتهم، ونادوا بأنّ الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله، وأداء الفـــروض، والكف عن الكبائر، فمن آمن بالله ورسله وترك الفرائض وارتكب شيئاً من الكبائر اُعتبر مؤمناً عندهم، ولكنه كافرٌ في نظر الخوارج.

فالمرجـــئة يقـــررون: أنّ الإيمـــان هو الإقرار بوحدانية الله وبرسالة محمد صلى الله عليه وآله فهو مؤمن سواءٌ أدى الفرائض أو لم يؤدها، ارتكب الكبائر أو لم يرتكـــبها، أمّا من قصر عن أداء الفروض أو ارتكب الكبائر فيرجئون الحكم علـــيه إلـــى الله يوم القيامة. وتحدّدت نظريتهم في: أنـــه لاتضر مع الإيمان

معصـــية، كمـــا لاتـــنفع مع الكفر طاعة، وأنّ العبد إذا مات على توحيده لا يضره ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات.

وخرجـــت كلُّ هذه الآراء والأفكار الجديدة في سبيل محاربة الخوارج الذيـــن كفروا الرؤساء والناس، واستحلوا الدماء حين قرروا «إذا كفر الإمام كفـــرت الرعية». كما أنّهم لم يقروا ضرورة اختيار أو وجود الإمام، وأنـــّه يمكـــن اختـــياره دون شروط، فقد يكون حراً أو عبداً وتلزم طاعته، وتجب الثورة عليه إذا لم يطع الله ورسوله.

أمّـــا المرجـــئة فرأوا أنّ الخوارج والشيعة والأُمويين مؤمنون، يخطئ بعضـــهم، ويكـــون الـــبعض الآخر على الحق، ولذا كان من الصعب تقرير الأمرين، فوجب إرجاء ذلك إلى الله يوم القيامة.

سادساً ـ سياسة النفي من أرض الوطن:

اســـتخدم هـــذا الأُســـلوب للـــتخلص من المنتقدين للأوضاع السائدة، والمعارضـــين لأدوات الحكم ورجاله الذين لم يكونوا مؤهلين للإشراف على جماهير الشعب الإسلامي، فسعوا إلى الإصلاح وتصحيح الإنحراف، واشتهر من هؤلاء أبو ذر الغفاري الذي تمسك بالأُسلوب الهادئ في إبداء معارضته، إلاّ أنـــّه نُفي إلى الربذة حيث مات وحيداً، ومالك الأشتر الذي اعترض على تصـــرفات الوالـــي وسلوكه في معاملة الأفراد حين اعتبرهم والأرض التي يعيشـــون فـــيها ملكاً خاصاً للحاكم وقبيلته، وكأنّهم اشتروهم بمالهم الخاص فاســـتعبدوهم، واشـــترك معه في هذا الموقف: صعصعة بن صوحان، وأخوه زيـــد، وكميل بن زياد، وابن الكوا، فنفوا إلى مكان بعيد عن الشام، ووضعوا تحـــت المراقـــبة الشديدة في كنيسة، إلاّ أنّ معاوية شعر بخطرهم حينما علم

باجـــتماع الناس إليهم، فنفاهم إلى حمص عند أميرها الشديد عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وقد هدّدهم معاوية بالقتل والتشريد وقطع الأرزاق، فلم يمنع كـــلّ ذلك من تغيير رأيهم في الوضع الراهن، بل أصبحوا أكثر جرأة وقوة، فكـــانوا يـُـردّون علـــى الحاكم بمثل رأيه وأمره، فحينما قال معاوية: آمركم بـــتقوى الله، وطاعته وطاعة نبيه، ولزوم الجماعة، وأن توقروا أئمتكم، رد صعصعة: إنا نأمرك أن تعتزل عملك، فإنّ في المسلمين من هو أحق به منك، لقد عطلت السُنّة، وأخفرت الذمة.

سابعاً ـــ الاعتماد على سياسة التفرقة العنصرية:

اعتمد الحكم الأُموي على التعصب للجنس العربي والميل إلى العروبة، فكانـــت دولـــتهم عربية لحماً ودماً، ووضعت الأقوام غير العرب في منزلة اجتماعـــية أدنـــى منهم، فأبعدوهم عن السياسة والقيادة، وفرضوا عليهم من الضـــرائب أكثر مما فرضوه على العرب، كما أنقصوا عطاءهم ومرتباتهم، ممّا أوجد هوّة بين طبقتين كبيرتين في المجتمع الإسلامي. هذا بالرغم من أنّ الإســـلام جـــاهد قويـــاً فـــي سبيل القضاء على العصبيات بأنواعها: القبلية والجنســـية، إلاّ أنّ الحكـــم أعادها. فإذا كان الفتح الإسلامي للبلاد والشعوب الجديـــدة وضع من بين أهم أهدافه القضاء على النظام الطبقي القديم وتحرير الملاييـــن من العمال والصناع والفلاّحين الذين عاشوا قبل ذلك في الاغلال الاجتماعـــية والاقتصـــادية، فـــإنّ اعتناقها للاسلام كان مقدمة لظهور طبقة وســـطى سكنت المدن واحرزت الثورات، بالإضافة إلى ما لديها من خبرات وثقافات. ممّا أثر في تسرع الموالي في تقبل الحضارات والتطورات الثقافية، فســـرعان ماظهـــروا فـــي ميدان الأدب والفقه، وأنتجوا في مختلف العلوم الإسلامية، إلاّ أنّهم شعروا بعد حصولهم على هذه الامتيازات أنّهم ليسوا أقل

مـــن العرب، وأنّهم أحق بالحصول على المساواة والحرية استناداً إلى مبادئ الدعـــوة الجديدة إلى الإسلام، الذي دعا إلى وحدةَ الأفراد على أساس الإيمان بـــالله، وليس على عصبية أو مادية، وتوزيع الحقوق والواجبات المتساوية، وإحلال الرباط الديني مكان رابطة الأُسرة والدم، وإيجاب التضامن والتعاون بين الجماعات الإسلامية: وإنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، أو إنّهم أُمة واحدة من دون الناس حسبما أقرّه النبي الاكرمﷺ في المدينة حينما كتب الصحيفة بين المهاجرين والأنصار.

إلاّ أنّ الحكـــم الأُموي رأى غير تلك الأهداف والغايات: فقد أصبحت العصـــبية ركيزة أساسية في سياسته ومعاملته نحو الشعوب الجديدة، فميزوا بين العرب وغيرهم ومارسوا ألواناً عدة من ألوان التفرقة العنصرية، فقد لقي الموالي أقسى معاملة منهم، فأنقصوا عطاءهم ومنعوه عنهم. وحتموا أن تكون لهـــم مساجدهم الخاصة لايصلون في غيرها. وجبانة خاصة يدفنون موتاهم فـــيها، ومنع تزاوجهم بالعرب، واعتبر العمل به جريمة لا تغتفر؛ إذ لم يقبل العربي أن يزوج ابنته للموالي، وكان على الوالي أن يفرق بينهما على الفور إذا حـــدث. وقـــالوا احتقاراً لهم: لايقطع الصلاة إلاّ ثلاثة: حمار أو كلب أو موالـــي. وإذا خطـــبوا بنتاً منهم خطبوها من مولاها، لا من أبيها أو أخيها. وأرغم الولاة الموالي على حمل الهدايا إليهم في عيد النيروز والمهرجان(١). وكره العرب أن يقاسموهم العطاء، فكانوا يحاربون بلا عطاء. وأُحصي منهم فـــي هـــذه الحالـــة عشـــرون ألف(٢). كل هذا بالرغم من أنّهم كانوا القاعدة

---

(١) بلغت قيمة تلك الهدايا إلى معاوية عشرة ملايين درهم.

(٢) وهم تسارعوا للاشتراك في جيش المسلمين رغبة في العطاء والرزق، ممّا جعلهم بعد ذلك يشتركون في الثورات المختلفة نظراً لسوء أحوالهم الاجتماعية.

الأساسية للبنية الأساسية في المجتمع حيث عملوا بالحِرَفْ والمهن والزراعة والصناعة والتجارة.

وعــندما أعلــنوا غضبهم للوضع السيء المتردي الذي كانوا فيه من ثورات وتمردات وانتفاضات، اشتركوا في جميع الثورات التي تصدت لسوء الــنظام الأُمــوي مــنذ ثورة أهل المدينة أيّام عثمان، إلى أحزاب الخوارج والتوابيــن والزبيريــن، والمختار، وابن الأشعث، وابن المهلب، والثورات العلويــة حتى ثورة أبي مسلم الخراساني، إلاّ أنّ الأُمويين كان لهم أُسلوبهم المميــز في التصدي لهم: فقد عمل النظام إلى تهجير طبقات منهم، وحملهم علــى الإقامة في بلاد الشام، أو حشد الآلاف منهم وإرسالهم لفتح الأطراف الشــرقية للدولــة، لابعــادهم عن مواطنهم، وإجبار الآلاف منهم للعمل في المستنقعات؛ لتفتك بهم الأمراض.

وبجانب تلك العصبية، فقد برزت عصبية القبائل؛ إذ إنّ الحكم الأُموي اعتمد على العنصر اليمني دون المضري حين حصل التزواج منهم، فارتفع شــأنهم، مما دفع مضر إلى تأييد حركة ابن الزبير في الحجاز، ورفض حكم يزيد. كما اشتدّ الخلاف بين قَيسْ وتَغْلِبْ، فأيدت الثانية مروان بن الحكم بينما وقفــت قَــيْس معارضة الحكم، كما أيدت تَغْلِبْ القبائل اليمنية ضد قيس في معركة مرج راهط.

وكــان الــنظام الأُمــوي قد حمل نفس بذور الانقسام التي وجدت في الجزيرة العربية إلى الأوطان الجديدة، أي: النزاع التقليدي بين عرب الجنوب والشــمال، بين العدنانيين والقحطانيين، فانتقل إلى كلّ بلد دخله العرب، ممّا أضــعفهم كجنس، وحاربوا بعضهم بعد ذلك إلى فترات طويلة، وذلك بالرغم من أنّ الهجرة العربية إلى الأمصار الأُخرى كان من المفروض والواجب أن

تساعد على التقارب الطبيعي بينهم وبين تلك الشعوب، وعلى تطور الحركة الإسلامية واشتدادها وتوسعها.

وقد تدخلت العصبية في اختيار الخلفاء لولاتهم من العصبية السائدة في كل إقليم، وكان الولاة بدورهم يتبعون نفس السياسة في اختيار عمالهم من جنس قبيلتهم، ممّا أدّى إلى أن يفقد العرب مقومات وجودهم حين تمكن الموالي من إسقاط دولتهم.

كما اشتعلت عصبية المدن؛ إذ تعصب أهل كل مدينة لها، وافتخر بخيراتها، فكانت الواحدة تحارب الأُخرى، مثلما جرى بين الكوفة والبصرة، والعراق والشام. كما برزت العصبية الإقليمة فقد تعصب كلّ إقليم عربي وإسلامي على الآخر، وتجلّى ذلك في تلك الفترة بين الشام الأُموية والعراق العلوية، والحجاز السنية، حين أيدت الحجاز حركة ابن الزبير، ووقفت العراق مع نهضة الإمام الحسين عليه السلام، كما ظهر التعصب ضد أهل الذمة الذين لقوا معاملة قاسية بوضع الجزية عليهم برغم إعلانهم الإسلام، كما فرضوا عليهم ضرائب استثنائية، كما فرضت الجزية على جميع الرهبان الذين أعفوا منها، وأبعدوهم عن الوظائف، وفرضوا عليهم أن يفسحوا المجال للمسلمين في الطرقات وأماكن الإجتماع، وأن يحملوا شعاراً معيناً على أكتافهم يكون لونه أزرق للمسيحيين، وأصفر لليهود، وأسود أو أحمر للمجوس كما أزيل بعض الكنائس والبِيَعْ لبناء منشآت أُخرى عليها.

وارتفعت الضرائب في عهدهم فلم يتبعوا قواعد الإسلام، بل تجاوزوا حدودها حتى أثرى على حساب بيت المال طائفة من صغار الموظفين لم يكن همهم إلاّ الإثراء من أموال الدولة، حتى أصبحت إمرة الولاية وسيلة للحصول على الثروة وجمع المال.

وفرضوا على غير العرب ضرائب أكثر، ونقصوا عطاءهم ومرتباتهم حـــتى كره الناس الدخول إلى الإسلام ممّا جعل عمر بن عبد العزيز يعاقب العمال الذين أكرهوهم على الإسلام.

وفـــي الواقـــع: أن سياسة المال والعصبية التي اعتمد عليها الأُمويون وأقـــروها كانـــت أوّل الأســـباب وأقوى العوامل في انحلالها ونهايتها، فهي إذا حققـــت لهـــم مكاســـب وقتـــية، إلاّ أنّها جعلت الدولة تنشغل طوال فترة تاريخهـــا بالـــثورات والانتفاضـــات حتى نهايتها. فقد وقع الشتات بين كلّ فـــئة وأُخـــرى، وســـرت الفُـــرْقَة بين الجميع، وتضارب الخصوم ببعضهم مـــن قـــبائل وأجناس وعناصر. فليس شيء من سياسة الناس يروج للآراء ويغـــري الناس باتباعها كالاضطهاد الذي يعطف القلوب على الذين تلم بهم المحن، وتصب عليهم الكوارث وتبسط عليهم يد السلطان، ويصرف القلوب عـــن الســـلطان الـــذي يدفـــع إلى الظلم ويمعنُ فيه، ويرهق الناس أمرهم عسراً[1].

وللتخلص من العصبية، كان النبي صلى الله عليه وآله قد حاربها، لأنّها الداء الذي يُفَرِقُ الجمـــوع، ويقضي على الشعوب، ويضعف العقائد، ويحل الأُمم، وينهي الدول، ويسفك الدماء دون ما سبب، ويشعل النار بين الأهل والإخوة.

ثامناً ـ مظاهر الحياة الإجتماعية في المجتمع الإسلامي:

تمـــيز العصـــر بانتشـــار الغـــناء والرقص ودور الملاهي في المدن الإســـلامية، فقد عُرف أهل البصرة بالمجون والفسق حتى قيل عنهم: إنّهم لا يفـــتحون بـــاب هـــدى، ولا يغلقـــون بـــاب ضلالة. فقد عرف أهل العراق

---

(١) طه حسين: الفتنة الكبرى.

(السماوية)، وهي: سفينة كبيرة تستخدم للنزهة والخلاعة تسير في الأنهار.

ويوضح الأحوال هذه خطاب زياد بن أبيه فيهم: إنّكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركّكم هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل. وظلت عادة شرب الخمر شائعة في بعض المدن كالعراق والشام، حيث اختلفوا في تحريم الخمر والنبيذ، فحلل بعض الخلفاء النبيذ، ووافقهم على ذلك بعض فقهاء العراق، بينما حرمه فقهاء الحجاز، فقد ذكر ابن عبد ربه: أنّ الخمر حرمه القرآن والنبيذ حرمته السُنّة، ولذا فإن فيه فسحة.

وقد كثرت الحانات في الحيرة، وسمح فيها الغناء وشرب النبيذ الذي أقبل عليه تجار الكوفة، كما أغرق بعض الخلفاء الأُمويين في شرب الخمر مثل: يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد، واشتهر ـ أيضاً ـ بعض الولاة بتناوله مثل الوليد بن عقبة، وبشر بن مروان الذي كان يؤدي مهام عمله وهو ثَمِلٌ مثلما اتّهمه البلاذري؛ إذ إنّه طلق زوجته لعدم مشاركتها له الشراب. أمّا الحجاج فقيل عنه: إنّه رفض دعوة الوليد بن عبد الملك إلى مشاركته شرب النبيذ، إلاّ أنّ المجالس الماجنة انتشرت في أيامه حتى أن الوليد بن يزيد كان يطلب ندماء له من الكوفة.

أمّا عن اللهو والغناء في الحجاز، فقد تأسّست الملاهي في مكة والمدينة منذ عهد يزيد بن معاوية، الذي أظهر الناس الشرب في أيامه على طريقة المثل: الناس على دين ملوكهم. ولما كان شباب الحجاز ينالون أسخى العطاء، كما ورث بعضهم المال الوفير من آبائهم، فإنّهم كانوا أكثر في الانغماس في اللهو والشراب، وكان أكثر الشباب المنحرف في الحجاز من ذوي قربى إلى الأُسرة الحاكمة. وقد أصبحت المدينة موطن طبقة جديدة

أرادت التمتع بالثروة الكبيرة التي حصلت عليها من الحروب أيّام بني اُمية، فساد الترف حتى أصبحت سمعتها سيئة.

وعندما كان عمر بن عبد العزيز يتفقد أحوال الناس في الليل تعرف على بعض البيوت التي ارتفعت فيها أصوات الغناء وليالي الاُنس خلف الأبواب المغلقة، كما وجد بعض الملاهي التي فُتحت أبوابها للرواد، وكان أخطرها ملهى تملكه امرأة اسمها: خليدة العرجاء، ارتادها أغنياء شباب الحجاز، وزوارها من التجار، كما احتوى على عدد كبير من الجواري المغنيات، وجلب إليه الشراب من بلاد الروم والجواري المولدات من كل الأسواق، ممّا دعا عمر أن تكف الملاهي عن تقديم الرقص والخمر والاقتصار على الغناء، فتقيدت كل الملاهي بتلك القرارات عدا ملهى خليدة الذي اشتهر روادها بأنّهم من شباب الاُسرة الحاكمة، ولكن عمر أمر الشرطة بمداهمته وكبس ما فيه.

وقد شارك الناس في تلك الاُمور المشينة والعبث قاضي البلاد الذي امتلك جارية مغنية سر بجمالها، واستخفه الطرب لغنائها، حتى إنّه رفض أن يبيعها لأحد تجار العراق الذي سمع بجمالها وحسن غنائها، إلاّ أنّ عمر علم بأمره فعزله.

كما انتشر في الحجاز شعراء الغزل، وساعد استماع الخلفاء للموسيقى والغناء على تطور هذين الفنين في العصر الاُموي. فقد أذن يزيد بن عبدالملك للندماء بالضحك والهزل في مجلسه، واشتهر بالمجون والخلاعة، وقد حزن لموت حبابة التي كان يحبها فمات بعدها.

كما امتلك جارية اُخرى اشتهرت في أيّامه وهي سلاّمة. وكان يطلق

علـــى مـــن يموت في سبيل محبوبته: سيد شهداء أهل الهوى[١]، وهو كان أحدهم. وكان على شاكلة أبيه، فقد كان مؤدبه مطعوناً في خلقه، فعلّمه على الشرب وصحبة الجواري والسقوط في الآثام، وهو الذي قيل عنه: إنّه حاول شرب الخمر في الكعبة والحرم، كما اتّهم باتصاله الجنسي بأمهات أولاد أبيه، كمـــا عرف عنه احتقاره للقرآن وهجومه على تعاليم الإسلام. وكان شاعراً تافهـــاً اشـــتملت موضـــوعات شعره على التفاهة؛ إذ تناولت الخمر والنساء والشـــماتة مـــن هشام بن عبد الملك الذي كرهه، وانتقم من أولاده بضربهم وأذيـــتهم وحبســـهم ومصـــادرتهم. والخليفة والولاة ورجالات الدولة كانوا يجلســـون للمـــنادمة والاســـتماع إلى اللهو وألوان الطرب والغناء فيقضون الأُمسيات والليالي في السَّمَرْ.

فأصـــبحت بذلك مكة والمدينة ملاذاً لمحبي الترف والترفيه، ومراكز للمجـــالس الاجتماعية والغناء والموسيقى قصدهما القيان الفارسية والرومية، حتى إنّ نساء العراق كانت تذهب إلى الحجاز لسماع الأغاني وشعر الغزل.

ومـــن الشعراء المشهورين في الغزل عمر بن أبي ربيعة الذي تغزل بالبـــنات والنساء في مواسم الحج عند الركن أو عند الجمرات. ومن اللاتي تغـــزل بهـــن: فاطمة بنت عبد الملك قبل زواجها من عمر بن عبد العزيز، وعائشة بنت طلحة اللتان اشتهرتا بالجمال والحسن. ولم يترك عادة التعرض للجمـــيلات بـــالحج؛ إلاّ بعـــد أن لطمته إحداهن، فأسقطت أسنانه من خواتم أصابعها، وتركت سواداً في وجهه.

كمـــا أنفق الوليد الثاني المغرم بالفن ببذخ على المغنيين والموسيقيين، ويدعوهـــم إلـــى دمشق من أقاصي البلاد، ويرقص عندما يطرب. فاعتاد أن

---

(١) وقد أفتى أحد علماء الحجاز بذلك، فاعتبر الشاعر الذي أحب وعف مات شهيداً.

يجلس في قاعة كبيرة في وسطها حوض كبير نصفه مملوء بالماء والآخر بالنبيذ، ويختم حفله دائماً بإغداق الهدايا على المغنيين؛ إذ كان هو فناناً موسيقياً ومغنياً يقدر أهلهما.

أمّا عن حياة الترف والغنى التي عاشها الخلفاء والولاة والأُمراء، فقد أسرفوا بصرف الأموال الطائلة على بناء القصور والدور الفاخرة، فاقتنوا الضياع والدور، وصرفوا لتجميلها آلاف الدنانير، فقد بنى الوليد بن عبدالملك مسجد دمشق على أنقاض كنيسة هدمها بعد أن أبدى النصارى معارضتهم الشديدة، وأنفق على بنائه أكثر من خمس ملايين ونصف مليون دينار، أو كما قدر بعضٌ خراج الدولة في سبع سنين، واستغرق بناؤه عشر سنوات. فرصع المحراب بالجواهر الثمينة، ووضع عليه قناديل الذهب وحلّي بالفسيفساء والسلاسل الذهبية، مما عابه المسلمون لإسرافه.

أمّا القصور فقد بنى منها الكثير، وصرف عليها الوفير حتى كان الناس عندما يلتقون يسأل بعضهم بعضاً عن الأبنية والعمارات، وقد تأثر بهذا الوضع الباذخ العلماء، فبنى أنس بن مالك قصراً في البصرة اشتهر فيها. وعندما بنى الحجاج مدينة واسط ليعزل جند الشام عن العراق خوفاً عليهم من تغيير سلوكهم عند الاختلاط بغيرهم بنى فيها القصور والمباني كلفت ٤٣ مليون درهم أضافها إلى نفقات الحروب حتى لا يتهمه عبد الملك بن مروان بالإسراف، كما نقل إلى قصره أبواباً من عدة مدن مجاورة، فضج أهلها بالشكوى. وكان للحكام اتجاههم العام في اتّخاذ القصور الصحراوية للاستقرار والهدوء والبعد عن الناس.

ونتيجة لاهتمامهم بجمع المال والإكثار منه لصرفه على الوجوه المختلفة، اشتدوا في معاملة الناس للحصول عليه، فعندما تولّى يزيد بن

المهلب ولاية خراسان جمع من الأموال الشيء الكثير وصل إلى ٦ آلاف ألف (٦ مليون) كان عليه أن يرسلها إلى سليمان بن عبد الملك الذي مات دون أن تصل إليه الأموال، فطالبه بها عمر بن عبد العزيز، ولكنّه رفض أداءها فحبسه عمر، إلاّ أنّه تمكن من الفرار.

كما أنّ سليمان بن عبد الملك ردّ من أملاك الحجاج الآلاف المؤلفة من الدنانير والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والضياع الشاسعة، وآلاف الخيل والبغال والحمير والأنعام، والآلاف من المماليك والمملوكات؛ إذ إنّه حدد سياسته المالية في الخراج بأسلوب متميز، فكان يقول: «احلب الدر حتى ينقطع واحلب الدم حتى ينصرم».

كما شكى أهل حمص إلى عمر بن عبد العزيز أن روح بن الوليد بن عبد الملك قد اغتصب حوانيتهم؛ إذ سجلها الوليد أبوه له، فطلب منه ردها إليهم، وهدده بضربه إن رفض، فخاف وردها إليهم. ونظروا إلى العراق كبستان لهم جعلوها ملكاً خاصاً بهم، وتصرفوا بالمال العام على ما يشتهون، لا على ما يقتضيه العدل والحق والمعروف.

ومن الاقطاعات التي استفادوا منها «فدك» التي كانت تدر عليهم عشرة آلاف دينار كلّ عام، وبجانب الاستيلاء على فدك وأموالها فإنّهم حرموا بني هاشم من العطاء منذ عهد معاوية، حتى رأى عمر بن عبد العزيز أنّ لهم حق أُولي القربى للرسولﷺ الذي يعطيهم خمس الفيء. وقد حسب قدر العطاء الذي حرموا منه منذ ذلك الوقت فكان آلافاً مؤلفة، كما أنّ عدد بني هاشم قد بلغ عشرات الآلاف انتشروا في البلدان، فأمر عمر بحصرهم وإعطائهم حقوقهم حيث وجدوا الأمر الذي أغضب بني أُمية، وكادوا أن يشعلوها فتنة، إلاّ أنّ عمر كتب إلى واليه على المدينة: إذا أتاك

كتابـــي فأقســـم فـــي ولد عليّ من فاطمة عشرة آلآف دينار، فطالما تخطتهم حقوقهم. ففعل بعد رفض ورد ومماطلة.

وقـــال عمر في هذا المجال: إنّ هذه الأُمّة لم تختلف في ربها، ولا في كتابها، ولا فيْ نبيها، وإنّما اختلفوا في الدينار والدرهم.

إلاّ أنّ هذه السياسة المتخلفة حققت لهم بعض المكاسب الوقتية، ولكنّها كانت أهم أسباب حدوث الاضطراب في المجتمع الإسلامي، وتخلخل توازنه وثوراته التي أدّت إلى زوال ملك بني أُمية.

هل المعارضة حق طبيعي للناس؟

ونعرض هنا لبيان شرعية أعمال هؤلاء المعارضين إن كانت صحيحة أم لا؟

إن حـــق المعارضـــة أكـــثر الحقـــوق الـــتحاماً بطبيعة البشر، فالنقد والمعارضة ضروريان لتحقيق الأغراض التي تتوخاها الدولة والأُمة. صحيح أنّ الحكومات تتوصل إلى أهدافها وغاياتها عن طريق طلب الرأي والمشورة ممن حولها، غير أنّ ذلك لا يكفي؛ لأنّ أكثر المقربين لن يقدموا الرأي الذي يـــرونه حقـــاً، بـــل يقدمون ما يتوقعون رضاء الحكومة عنه، وما يتفق مع رغباتها. فمن هنا تتأكد أهمية الدور الذي تمارسه المعارضة بوصفها وظيفة اجتماعية وسياسية متميزة عن وظيفة الشورى نفسها؛ إذ إنّ المعارضة والنقد تفـــتحان الـــباب لجميع الآراء بمباشرة العمل في أُسلوب بعيد كل البعد عن المســـايرة والمداهنة. كما أنّ غياب المعارضة يعني: غياب الحرية، التي إذا وجـــدت وجـــب استخدامها، فهي لا توجد إلاّ حينما تمارس، ممّا يعني: أنّ وجود المعارضة إعلان صادق بوجودها واستخدامها.

والــنقد لا يعنـــي الهــدم، فالهدم لـــه طبيعته ووسائله، والنقد النزيه والمعارضـــة الأميـــنة ليسا مغايرين للهدم، بل هما خير وقاية منه. فالنقد لا يهيء للهدم إلاّ في تلك النظم التي فقدت دواعي بقائها واستمرارها. فإذا حكم التاريخ بإزالة نظام فإنّه يزول حتى لو لم يحاربه النقد.

ولـــذا كان على كلّ إنسان يعرف وجهاً من الحق أن يدل عليه قومه، ويرفع به صوته دون انتظار شكر أو خوف من نكر. وعلى الناس أن يدركوا أنّ الكلمة حين تأخذ دور المعارضة فإنّما تكمل رسالة الحياة، وتجعلها جديرة بأن تكون موئلا لبشرية واعية نامية.

والإســـلام قـــد عهـــد إلى العلماء والمفكرين بتقويم أود الأُمراء الذين يســـيطرون على الأُمة بعقولهم وآرائهم الفاضلة، فهم الذين يسددون خطوات الحـــاكم، ويـــرفعون أصـــواتهم عـــند طغيان الدولة، ويهيبون بالخلافة إلى الصواب، فهم يتحلون بالورع لا يهمهم غضب الملك الجبار الظالم أو رضاه.

ولكـــن الأُمـــراء ـــ نظراً لفساد أخلاقهم ـــ ظنوا أنّ الأُمّة خُلقت لهم، فعملـــوا فيهم ما شاءوا، ورُسّخ هذا الفكر والظن حتى إذا برز أحدهم محاولا تقييم الوضع بطشوا به عبرة لغيره، وكان يفتي لهم بجواز ذلك المنافقون لهم والعلمـــاء المـــتزلفون لهم، والمتقلبون في نعمائهم، الضاربون بالملاعق في حلوائهم، بحجة أنّهم شقوا عصا الطاعة، وخرجوا عن الجماعة.

إنّ هـــؤلاء الرجال لم يشهروا سيفاً في وجه الأُمراء، ولم يشقوا عصا الطاعـــة، بل كان جل همهم انتقاد أعمالهم، فكان الرد، نفيهم من أرضهم إلى غير أوطانهم، وقتلهم عقاباً على فعلتهم.

إنّ إخـــراج المسلم عن أرضه جائز إذا قامت عليه البينة بأنّـــه حارب الله ورســـوله وســـعى في الأرض فساداً، ممّا يجوز للإمام أن يقتله ويصلبه

ويقطع أرجله أو نفيه من الأرض. إلاّ أنّ معاوية قد نفى هؤلاء القراء ولم تتم أية بينة عليهم، فقد كانوا من الصالحين وأصحاب بلاء في الفتح، فلم يخلعوا يداً من طاعة، ولم ينكروا سلطان الخليفة ولا سلطان الوالي، وإنّما كانوا يشهدون الصلاة مع الأُمراء ويؤدون ما عليهم من الحق، فكل ما أخذ عليهم، أنّهم انتقدوا سيرة الأمير أو بعض قوله، وهو حق لهم لا ينازعهم فيه منازع، فلم يوجب أمراً يعاقبون عليه، لا أن ينفوا من الأرض.

وهؤلاء الصالحون لم يقبلوا أن يتحكم فيهم ولاة انحرفوا عن الإسلام وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فاستكثروا من الأموال، وعاشوا ترفاً وطمعاً في ظل تسامح الخليفة ولينه والأمان من غضبه.

ونحن يمكن أن نؤكد على أهمية المعارضة والنقد، إذا كنّا على دراية أو اطلاع على شيء من القرآن دستور أُمة الإسلام. فمن المؤكد أن هؤلاء الحكام والأُمراء لم يتعرفوا على سورة أو قصة منه، فلو اطلعوا على شيء منه لتعرفوا وتذكروا واعتبروا، وربما اختلفت مواقفهم وتغيرت مفاهيمهم وتبدلت أفكارهم وأساليبهم. فلو اطلع أحدهم على موقف الله عزّ وجلّ من إبليس عند خلق آدم لتغيرت أساليب وأدوات الإدارة عندهم في معاملة المعارضين، فحين أمر الله ــ سبحانه وتعالى ــ إبليس بالسجود لآدم، وعصاه، ورفض إطاعة أوامره عزّ وجلّ، لم يستخدم معه أساليب العنف والقوة والتهديد في أوّل الأمر، بل استعمل معه أُسلوب اللين والحوار والحرية، فأخذ ــ جلّت قدرته ــ وأعطى معه، حيث تحاور معه مبيناً فضل آدم عليه السلام وهدفه من خلقه ممّا يحتم السجود له، ومن جانب آخر أبدى إبليس رأيه في اظهار فضله وأحقيته عند الله ومنزلته ومكانته؛ إذ إنّه أفضل المخلوقات عبادة له، ممّا يجعله يرفض السجود لهذا المخلوق الذي يدانيه

فــي المكان والمنزلة، ولم يأمر الله سبحانه وتعالى بتدمير إبليس وإبعاده، إلاّ عــندما وصل النقاش والحوار إلى طريق مسدود وعدم اقتناع اللعين بكلامه سبحانه وتعالى. كما أنــّه عزّ وجلّ لم يدمره أو يعاقبه بالهلاك، بل إنّه أجّل كل ذلك حينما طلب أن يمهله إلى يوم الدين؛ ليغوي بني آدم في الأرض، إلاّ أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ أخبره أن لن تكون لــه قوة وسيطرة على عباده المخلصين.

هــذا هو موقف الخالق الأعظم عزّ وجلّ من إبليس اللعين، فقد حدث نقــاش وجــدال وحــوار، الهدف منه بيان خطأ الموقف الذي اتّخذه إبليس وانحــرافه وغــروره وتكــبره، وأنّ عقله محدود، وناكر للجميل، غير قابل للنصح والإرشاد، في الوقت الذي كان في مقدوره سبحانه وتعالى أن يسحقه ويدمره بكُن فيكون.

وبالإضــافة إلى ذلك، فإنّ القرآن الكريم يشتمل على قصص الجبارين ومواقفهم نحو الأنبياء الصالحين الذين لم يتسرعوا في أي وقت وأمام أي من هؤلاء الطغاة بإلقاء العذاب عليهم، بل كانوا يحاولون الحوار والنقاش معهم؛ لعلهم يرجعون عن غيهم وموقفهم الخاطئ. وأفضل من عُرف في ذلك النبي موسى عليه السلام مع فرعون مصر، فحين لم يقتنع فرعون بأفكار النبي موسى عليه السلام لــم يأمر رجاله بالقبض عليه أو ضرب عنقه حالما نطق بالأمر الإلهي، بل جادلــه وناقشه، ففتح حواراً طويلاً معه استغرق أياماً وشهوراً كان يأمل في أن ينجح في تغيير موقفه، فاستمر الأخذ والعطاء بين الطرفين، مستخدماً في ذلــك أسلوباً حضارياً، لا حيوانياً وحشياً، حتى إنّ النبي موسى عليه السلام هو الذي كان يحدد الزمن والمكان لبيان آياته ومعجزاته وأدائها، فهو الذي حدد مكان المــباراة التــي ســتجري بين الطرفين في يوم الزينة، أي: يوم عيد اشتهر

عندهم، كما أنّه الذي أمر بأن يبدأوا في إلقاء عصيهم وحبالهم، ثم يلقي هو، أي: أنّ فرعون الجبار هذا لم يأمر موسى عليه السلام بالوقت والمكان وأُسلوب الأداء، بل النبي عليه السلام هو الذي حدد كل ذلك. وإذا كان بعض من الحكام يلعنون فرعون وموقفه فإنّه كان أفضل منهم مرات ومرات. فقد اتّخذ هؤلاء الحكام جانب إبليس وأهدافه ووسائله وعقائده لإبعاد الإنسان عن الطريق السوي السليم، فاقتبسوا منه: سوء فهمه، وتخلف عقله، وانحلال خلقه، وإنكاره الجميل، ورفضه للنصح والمشورة، واستخدامه أدوات وأجهزة بغيضة مدمرة للحضارة والمدنية، وغواية الصالحين، وشراء ذممهم، مع سوء نيته وحمق هدفه.

كيف يمكن التعرف على العصر الأُموي ومضمونه؟

إنّ أحسن وسيلة للتعرف على مضامين العصر الأُموي هي دراسة الأحداث في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وأيّام حكمه. فمن خلال أعماله ومميزاته وخصائصه يمكن معرفة كلّ ما قيل وذكر عن العصر الأُموي كلّه.

فعندما استلم الخلافة أحس بالمسؤولية الضخمة وبالمظالم الكثيرة التي جرت قبله، فبدأ الإصلاح وإعادة الأحوال إلى طبيعتها بادئاً بنفسه؛ إذ رد الإقطاعات والأراضي الشاسعة، والأموال الطائلة التي كان هو يملكها في الأقطار إلى بيت المال، فقد بلغ دخله من ممتلكاته أربعين ألف دينار كلّ عام، وباع كلّ ما يخص الخلافة من شعائر، وضم ثمنها إلى بيت المال، ورد ما وهبت له ومما ورثها؛ إذ اعتبرها ليست حلالا، كما باع ذهب وجواهر زوجته، وردها إلى بيت المال، واحتفظ بما اعتقد أنّه لم يدخله غصب الآباء والأجداد، أو ليس فيه شبهة غصب، وصرف خدمه وعبيده وألغى الحُجّابَ على بابه.

وأوّل ما أعلنه كان تنازله عن فدك التي كانت أحب أرضه إليه، فردها إلى ما كانت عليه في عهد النبي ﷺ، ومنع سب الإمام عليّ عليه السلام والزهراء عليها السلام على المنابر، وأمر أن يذكر بدلا منه: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون». ممّا جعل أهل الشام يصيحون به: لقد تركت السُنّة.

ثـمّ خلع الولاة الظالمين والعمال القساة، فعزل اُسامة بن زيد التنوخي الوالي على مصر، والذى اشتهر بكثرة الاعتداء على الناس، فقد كان يقطع الأيدي، ويشق أجواف الدواب، ويدخل فيها من لم يدفع الضريبة، ثمّ يلقي بمن كان يخالفه إلى التماسيح في النيل.

وخفّف من أعباء الخراج على النصارى، وأوقف الجزية عمن أسلم، وساوى بين العرب وغيرهم، وحلّ مشكلة الموالي، ورفع رواتب العمال.

كما أباح الهجرة لمن شاء حيث شاء، والغى الضرائب والسخرة، والإسراف في بناء المساجد، وأوقف الحروب مع غير المسلمين، ومع المتمردين، فقد اعتمد على نشر الإسلام بالمحبة والدعوة الحسنة والمناظرات مما أكثر من دخول غير المسلمين إلى دين الإسلام.

وأطلق السجناء من سجون مكة والطائف والمدينة، ممّن كانوا قد خالفوا النظام الاُموي، فأعطى الحرية، ونشرها بين الناس.

وهكذا فقد ظلّ عمر أياماً وشهوراً لا يمضي يوم إلاّ تلقى فيه شكوى من مظلوم سلبه أحد من بني اُمية حقاً. فرد الحقوق إلى أصحابها، والقطائع والأموال والأرض المغتصبة أعادها جميعاً إلى بيت المال. وقال ابن عبدالحكم عن معاملته للاُمويين: إنّه رد ضياعهم إلى الخراج، وأبطل

قطائعهم فأفقرهم، فضجوا من ذلك، واجتمعوا إليه: أفقرت بني أبيك فيما ترد من هذه المظالم، وهذا أمر قد وليه غيرك قبلك، فدعهم وما كان منهم، واشتغل أنت وشأنك واعمل بما رأيت. فرد عليهم: والله لوددت ألاّ تبقى في الأرض مظلمة إلاّ رددتها.

ومع هذا فإنّه بالرغم ممّا انتزع الكثير من تحت أيدي بني اُمية، فإنّه ما بقي كان أكثر وأعظم.

وقد أظهر عمر الحب والولاء لأهل البيت عليهم السلام، فكان لا يعطي الكثير ممن يطلب منه إلاّ أحد موالي الإمام عليّ عليه السلام فقد منحه ٥٠٠ درهم وعلّل ذلك بقوله: لولائه من عليّ، وفرض له العطاء؛ إذ لم يكن له عطاء من قبل.

وقد علم أنّ عند آل البيت أحاديث وسنناً كثيرة حاول ملوك بني اُمية إخفاءها وطمسها، فشجع آل البيت على تدوينها وإظهارها. وكان يقول: إنّ أوثق الأحاديث هي ما رواه زين العابدين عن أبيه عن جده النبي صلى الله عليه وآله. فكان يجهر بأنّ الذين سبقوه من الملوك قد بدّلوا عامة الشرائع وسنن النبي صلى الله عليه وآله، وقال عن بني هاشم: إنّه ليس في أحد من بني هاشم إلاّ وله شفاعة فرجوت أن أكون في شفاعة هذا. وقصد به عبدالله بن الحسن. ما من أحد منهم إلاّ وله شفاعة. ولذا فقد طلب من الوليد أن يعطي بني هاشم وآل البيت أسهمهم من الغنائم والفيء فتلك حقوقهم، إلاّ أنّ الوليد رفض.

وكان يأذن لأي من آل البيت بالدخول عليه مهما تكن مشاغله ويقول في ذلك: إنّي لأستحيي من الله أن تقف ببابي.

وقد دخلت عليه فاطمة بنت الإمام عليّ عليهما السلام وهي عجوز فقال لها: يا ابنة عليّ، والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحبّ إليّ منكم، ولأنتم أحبّ إليّ من أهل بيتي. كما أنّ فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام كتبت إليه تشكره

على صنيعه بأهل البيت عليهم السلام، فرد عليها بكتاب ذكر فضلها وفضل أهل بيتها، ومـــا أوجب الله لهم من الحق. وهو قد تعلم الكثير من صحبة الفقهاء خاصة من فقهاء أهل البيت عليهم السلام.

وكـــان قـــد حاول أن يعطي آل البيت حقوقهم خلال حكم سليمان بن عبدالملك الذي رفض عرضه خوفاً من بطش الأُمويين وثورتهم.

وقـــد اعتذر للإمام السجاد عليه السلام وسعيد بن المسيب[1] لما لحق بهما من عمال بني اُمية وخاصة هشام بن إسماعيل. وعندما أراد سليمان بن عبدالملك أن يضرب زيد بن الحسن بن الإمام عليّ عليه السلام حينما عرف أنـــّه يؤيد الوليد، بالـــرغم من أنـــّه لم يكن كذلك، ولكن خوفاً من بطشه، فتمكن عمر من رد السوء عنه وانقاذه.

وقـــد أغـــاظ تصـــرفه جماعة من أهله بني اُمية، ولأنّه روى الحديث الشريف الذي يثني على الإمام عليّ عليه السلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه». كما لامـــه بعضـــهم على إزرائه بأهل البيت الأُموي وإكرامه لأهل البيت عليهم السلام، فغضب بشدة ودعا برواة الحديث فقال: إنّ الثقات حدثوني حتى كأنني أسمعه مـــن فم الرسول صلى الله عليه وآله لأنه قال: «إنّما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها». وأن المؤرخين أجمعوا على صحته.

وكان يلعن الحجاج، ويكرهه، ويسميه السفاح الجبار المنافق، كما كان الحجـــاج يحـــاول التخلص منه، فأثار غضب الوليد عليه بالدس لـــه، بأنـــّه يدبر الحكم لنفسه، وينوي أن ينقل الحكم إلى الإمام السجاد عليه السلام.

وبعدمـــا يـــئس مـــنه أهله بنو اُمية، وعلموا أنـــّه سيحمل الناس على

---

(١) رفـــض بـــيعة عـــبدالملك بن مروان لولديه الوليد وسليمان، فضربه عامله بالمدينة، وطاف به في الطرقات في يوم بارد وهو عريان إلا من سروال يستر عورته.

الحق، تخلصوا منه.

قال عنه الإمام الباقر عليه السلام: «لكل قوم نجيبة، ونجيب بني أُمية عمر بن عبد العزيز، فإنّه يبعث يوم القيامة أُمة وحده».

وكان عمر يقول:

ـ يهدم الإسلام زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون.

ـ من استعمل رجلا لمودة أو قرابة فقد خان الله ورسوله والمؤمنين.

ـ من استعمل فاجراً وهو يعلم أنّه فاجر فهو مثله.

ـ الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثمان: إثم العمل به والرضا عنه.

كما دون الحديث الذي نسي حتى زمنه: «عدل ساعة في حكومة خير من عبادة ستين سنة».

أمّا عن أهل العراق فقال: لا تطلب طاعة من خذل علياً. وكان إماماً مرضياً، فارض لهم ما ترض لنفسك، وخذ بجرائمهم بعد ذلك.

دور الأئمة عليهم السلام في العهد الأموي:

الإمام الحسن عليه السلام

وفي تلك الظروف السياسية والاجتماعية المضطربة التي عرضنا لها تسلم الإمام الحسن عليه السلام الخلافة بعد أبيه عليه السلام في أصعب الظروف، وأقسى الأحوال، وأكثر العصور قلقاً واضطراباً، فقد استلم الإمامة والخلافة بعد استشهاد أبيه عليه السلام بتدبير مؤامرة إرهابية قلبت الأوضاع وغيرت الحسابات، فالخليفة مقتول بيد أحد الخوارج، وأصابع الاتهام تشير إلى معاوية بتدبير ذلك، ثمّ يسيطر مع جنوده على الوضع، ويبعثهم هنا وهناك للإغارة على

أطــراف الدولــة الإســلامية مبيناً ضعف نفوذ الخليفة، فيهاجم أفراده الناس الآمنيــن ويقتطع أجزاء من الدولة؛ لتدخل في طاعته، ويسرع إلى الاتصال بــبعض القادة ضعاف النفوس لاستمالتهم إلى جانبه إضعافاً وتقليلا من شأن الخليفة والدولة والموقف العسكري وتفكيكاً لجيشه، حتى لايستطيع المواجهة والصمود أمامه.

هذا هو الموقف الذي وُضع فيه الإمام الحسن عليه السلام، وهو وضع غريب، وموقــف مثير يصعب على الإنسان التصرف حياله والتخلص من آثاره، فله نوعية خاصة، وطعم اختلف عمّا كان قبله وما سيكون بعده، فهو مغاير تماماً لكــلّ ما حدث وجرى من أحداث، وما سيجري للأئمة عليهم السلام بعد ذلك، ولذلك عــندما أنهى الموقف، وتخلص من المأزق الذي وجد فيه بأُسلوب حضاري إنســاني وإســلامي لم يعجب معاصريه ولا من عاش بعده، بالرغم من أنّ موقفــه والحــل الــذي أقدم عليه يعد درساً تاريخياً للمسلمين عامة والشيعة والموالين له على الخصوص.

فقد تكرر الحديث عند بعض المفكرين والمحدثين: أنّ الإمام الحسن عليه السلام لــم يلتزم بما قرره الإمام عليّ عليه السلام من المواجهة العسكرية نحو معاوية، ولا بــإعداد الجــيش الذي أعده لحربه، بل إنّه ترك الجهاد أمام هؤلاء، فلم ينفذ رغبات والده عليه السلام، فترك دينه لدنيا هؤلاء.

إلاّ أنّ آراء مثل هذه وأفكاراً تناقلها هؤلاء المفكرون وغيرهم ليس فيها مــن الصــحيح والحــق شيء، فهم يثيرون الوضع ليس إلاّ، يريدون النيل منه عليه السلام؛ إذ إنّ الوضع كان على عكس ما ذكروا، فقد أدّى الإمام الحسن عليه السلام واجــبه علــى الأكمــل دون أي نقص مستخدماً في ذلك إتجاهين؛ عسكري وســلمي. والأصــل فــي موقفه كان عسكرياً؛ إذ أعدّ القوة والسلاح والعتاد

والمحاربين، ووضع الخطط العسكرية الجيدة، واختار المواقع العسكرية المناسبة استعداداً للمواجهة الأكيدة، إلاّ أنّ تنفيذ ذلك كلّه كان في حاجة إلى رجال مخلصين ومحاربين موالين ذوي وفاء وغيره. فلا يصح القول: إنّ الإمام عليه السلام أبدى رغبة سريعة في إنهاء الموقف المثير والمتأزم مع العدو بقبول التفاوض والمحاورة معه، أي: إنّه سعى إلى أن يحل المشكلة بأسلوب سلمي، بالسعي إلى توقيع معاهدة أو هدنة بين الجانبين. فهو لم يتطرق إلى ذلك أول الأمر، بل تقبل الأمر الواقع بعد أن شعر بخطورة الوضع السياسي والعسكري، وعلم بكل الاحتمالات المستقبلة التي حسب لها حساباً دقيقاً، ممّا دفعه إلى الابتعاد عن إعلان الحرب وتقبل الإجراء السلمي الذي كان لا مناص منه.

وهو عندما يقدم على هذا الموقف فإنّه تأسّى بما أقدم عليه جده المصطفى صلى الله عليه وآله وأبوه الإمام عليّ عليه السلام من قبل؛ إذ إنّ النبي صلى الله عليه وآله كثيراً ما دخل في مفاوضات وإجراءات سلمية مع المشركين، كما عقد معاهدات واتفاقيات مع أطراف عدة سواءٌ كانوا مشركين أو أهل كتاب مثل اليهود، ممّا جعل الكثير من أصحابه يرفضون بعضاً من إجراءاته، أو يتساءلون عن طبيعتها وأسبابها. فقد كان يبدو لهم وكأنّه اتّخذ الجانب الخاسر؛ ليتخلص من موقف شائك ومعقد فحسب، ولكن النبي صلى الله عليه وآله كان يعلم بأنّه سيكون رابحاً، وطرفه المعادي خاسراً، كما أنّ الإمام الحسن عليه السلام لم يكن بعيداً عن القضايا التي تعرض لها أبوه عليه السلام، فقد كان أحد قواده البارزين في معاركه المتعددة، إذ اشترك مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام في جميع حروبه، وشهدا كلّ ما حدث من مناقشات ومحاورات وتوقيع معاهدات خلال الأحداث الساخنة في خلافة الإمام علي عليه السلام، كما أنّه كان على رأس الوفد الذي أرسله أبوه إلى الكوفة

للحصول على متطوعين يساهمون في القضاء على المتمردين، أو الإنضمام إلـــى الجيش الزاحف معه من المدينة، كما شهد وحضر موقف أبيهعليه السلام الذي تقـــبل ورضي وقف العمليات العسكرية مرغماً ضد معاوية برغم أنـــه كان منتصراً، بل كاد أن يهزمه تماماً ويسحقه، كما شهد الموقف الذي اُضطر فيه الإمامعليه السلام قبول التحكيم الذي طلبه الجانب الآخر، مع علمه بخدعتهم وغدرهم وحيلهم، ورأى ــ أيضاً ــ كيف اُرغم الإمامعليه السلام على قبول العضو المنتدب إلى المفاوضات بين الجانبين في المؤتمر الذي عقد بدومة الجندل، مع علمه بعدم إخلاصه، وضعف قدرته على المحاورة والمناورة، وقلة خبرته بأساليب التفاوض مع العدو الشرس الذي اشتهر بالمرواغة والخداع.

فالإمام الحسنعليه السلام لم يكن ضعيفاً أو قليل الخبرة في مواجهة المواقف الســـاخنة، فـــبالرغم من مشاهداته المتكررة وحضوره لتلك المواقف السلمية والهادئة، فإنّه لم يتنازل عن مجابهة عدوه عسكرياً، ولم يتهيب من الحرب، أو الدخـــول في مواجهات عسكرية للتخلص من موقف العدو المعاند حتى لو استمر ذلك زمناً طويلا، بل إنّه كما ذكرنا كان قد أعدّ العدّة والخطط للدخول فـــي تلك العمليات بكل جرأة وشجاعة. وكان قد أوضح رأيه في أمر الخلافة والحكـــم في خطابه إلى معاوية إذ أكد حقه فيها بعد أبيهعليه السلام مشيراً إلى عدم أهلية معاوية لذلك:

«اليوم فليتعجب من توثبك على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معـــروف، ولا أثر في الإسلام محمود. وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول اللهصلى الله عليه وآله وكتابه، وإنّما حملني على الكتابة إليك الأعذار فـــيما بيني وبين الله عزّ وجلّ في أمرك، ولك في ذلك إن فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين. فدع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من

بيعتـــي، فإنّك تعلم أنّي أحق بهذا الأمر منك عند الله، واتّقِ الله، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين، وادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحق به منك، ليطفئ الله النائرة ــ العداوة ــ بذلك، ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين،[١] وإن أبيت إلاّ التمادي في غيك سرت إليك بالمسلمين، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين».

فالإمـــام عليه السلام يؤكّــد موقفه المتشدد والداعي إلى المواجهة، وليس إلى السلم؛ إذ اعتبر معاوية خارجاً على نظام الدولة والخلافة، وثائراً ينبغي عليه الانصـــياع إلـــى أوامره وحكمه بالتسليم به كخليفة للمسلمين، وإلاّ فإنّه سيعد الجيوش، ويسير إليه؛ ليتقبل الوضع المطلوب بالقوة.

وعـــندما تمـــادى معاويـــة، وزحف بجيشه نحو العراق قام الإمام عليه السلام مخاطـــباً قومــه: «بلغني أن معاوية قد بلغه أنّا كنا ازمعنا على المسير إليه، فتحرك لذلك، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروا» فالإمام عليه السلام كما هو واضح قد استعدّ للقتال تماماً، وتجهز للسير إلـــيه في أي وقت؛ إذ إنّ معاوية لم يتحرك نحوه إلاّ عندما علم باستعداداته العســـكرية، وذلك من خلال رجال مخابراته الذين دسهم لمعرفة الأجواء في الجانـــب الآخـــر، إلاّ أنّ بعضاً من أفراد قوة الإمام عليه السلام أمكنهم التعرف على اثنين منهم، فقُتِلا، وكتب إليه: «فإنّك دسست إليّ الرجال كأنّك تحب اللقاء، لا أشك في ذلك، فتوقعه إن شاء الله».

وعـــندما حان وقت المسير لاتّخاذ المواقع الحربية سار الإمام عليه السلام في عسكر عظيم وعدة حسنة حتى نزل دير عبدالرحمن، فأقام به ثلاثاً، كما سيّر جيشـــاً آخـــر بقـــيادة عبـــيدالله بن العباس متفقاً معه على أُسلوب المواجهة

---

(١) أُخذت كلمة الإجماع وعام الجماعة من كلمات الإمام الحسن عليه السلام.

والعمليات العسكرية، إلاّ أنّه عندما وصل (ساباط) وخاطبهم معلناً عن اللقاء المرتقب قام عليه عدة من أفراد جيشه محاولين اغتياله وقتله.

فما الذي حدث هنا حتى يصل الوضع إلى التمرد والعصيان ومحاولة قتل الإمامعليه السلام؟ وما الذي دعا الإمامعليه السلام إلى تقبل السلم والصلح والتراجع عما اتّخذه من اجراءات عسكرية كبيرة؟

لقد جرى ما لم يكن متوقعاً، إذ تفاجأ الإمامعليه السلام بالوضع الخياني، فعندما خاطب أهل الكوفة يأمرهم بالإعداد للحرب سكتوا وما تكلم منهم أحد أو أجاب بحرف حتى عاتبهم (عدي بن حاتم) على موقفهم السلبي: ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم؟ أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها؟ كما أنّ الإمامعليه السلام نفسه خاطبهم: «يا أهل الكوفة، أنتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة، ثمّ اختلفتم عليه، وقد أتاني أنّ أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه». لقد انكشف الموقف، فهناك أمر جديد يدل على أنّ بعضاً من قادته قد انحرف عنه طمعاً في المال والجاه إلى جانب معاوية، ممّا أثر في تفكك جيشه، وفي فتح باب الخيانة والغدر، والتسلل الجماعي بعد ذلك. فقد غدر به قائده عبيدالله بن العباس ممّا أثر في نفس الإمامعليه السلام الذي تأكّد أنّ عمله سيفتح الباب لغيره من ضعاف النفوس والقلوب المريضة، والخونة أن يقلدوه في سلوكه المتخاذل، فالإمامعليه السلام علم من مصادره الموثوقة أنّ رؤساء جماعته كتبوا سراً إلى معاوية باستعدادهم للقبض عليه وتسليمه إياه عندما يلتقي الجيشان، فقد دبروا مؤامرة وانقلاباً على حكومته.

أمّا معاوية فقد استغل هذا الموقف لصالحه، فقامت أجهزة الإعلام والدعاية لديه بنشر تفاصيله والزيادة عليه: بأنّ الإمامعليه السلام قبل الصلح وتراجع عن الحرب، وأنّ الله قد حقن الدماء بابن رسول الله، فسكن به الفتنة. فأدى

الأمـر إلـى اضـطراب معسـكره، ونشر الفوضى بين صفوفه، فاستغله المتآمرون بمحاولة الاعتداء عليه وقتله. وقد أوضح الإمام عليه السلام موقف هؤلاء «عرفـت أهـل الكوفة وتلونهم، ولا يصلح لي منهم ما كان فاسداً، وإنّهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل، إنّهم لمختلفون ويقولون: إنّ قلوبهم معنا وسـيوفهم لمشهورة علينا. أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذلة ولا قلة، ولكن كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر».

وهكـذا فقـد اتجـه الموقـف لغير صالح الإمام عليه السلام، إذ خذله أتباعه المدّعـون أنّهم شيعته، حيث قال فيهم: «إنّ هؤلاء يزعمون أنّهم لي شيعة، ابتغوا قتلي، وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي، والله لآخذنّ من معاوية عهداً أحقن به دمي، وآمن به في أهلي، خير من أن تقتلوني، فيضيع أهل بيتي، والله لو قاتلـت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً، فوالله لأن أُسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسيره، أو يمنّ عليّ فيكون سبة على بني هاشم إلـى آخر الدهر». وبهذا فإنّ الصلح كان في صالحه، مع قبوله لـه مرغماً بعـد أن اسـتنفد كـل ما عنده من قوّة وحجج، والمشكلة لم تكن فيه أو في الموقـف الخطـير الـذي كـان فيه، بل كان في أنصاره الذين تأخروا عنه والمواليـن الذيـن غدروا به، مما أضعف موقف العراق والكوفة خاصة فما كانوا أهل حرب في الواقع، بل أمة تجري وراء المصالح الخاصة للحصول علـى الغـنائم والأموال، على ألاّ يقدموا شيئاً في سبيل ذلك. ويمكن معرفة نوايـاهم وقدراتهم العسكرية عندما نرجع قليلا إلى أيام الإمام عليّ عليه السلام حينما أصـروا فـي حـرب الجمل على استيلاء أموال العدو وسبيهم، بينما منعهم الإمـام عليه السلام من ذلك، فجادلوه وحاوروه في ذلك الأمر الديني الخطير، وهو الـذي عُـرف عـنه أنـه كان معلماً ومرشداً وموجهاً. فقد استغرق الإمام

علـــيّ عليه السلام ســنين وشـــهوراً يعلمهم دينهم ودنياهم، ويزودهم بالمعلومات عن معــتقداتهم، مفســـراً للآيـــات والأحاديث؛ لعلهم يتطورون في معيشتهم إلى الأفضـــل، إلاّ أنّهـــم لم يتعلموا، فكانوا يسمعون ولا يفقهون، بل نشطوا في الكلام والجدال والعناد والنقاش غير المثمر، بالرغم من أنّ الإمام عليه السلام منحهم الحرية في التعبير والرأي، فلم يتعرض بسوء لمن كان يُبدي رأيه بصراحة، او يعبر عن أفكاره، فإذا تصوّر الإمام الحسن عليه السلام أنّهم تعلموا شيئاً من تعاليم أبيه عليه السلام فإنهم خذلوه وامتنعوا عن تقديم العون له والمساهمة في قضاياه، فلم يكن له بد من أن يتوقف عن تحقيق أهدافه، وعدم الاستمرار في منازلة عدوه وخاصة أنّ أفراد جيشه كانوا يطيعونه طاعة عمياء، تمنى الإمام عليّ عليه السلام أن يصـــرف أفـــراد جنوده صرف الدينار مع معاوية، فيأخذ منه فرداً في مقابل عشرة من أفراد الكوفة.

فالإمام الحسن عليه السلام لم يتساهل أمام الموقف، ولم يضعف أمام العدو، ولم يـــتخاذل فـــي الإعـــداد والاستعداد للمواجهة العسكرية، ولم يقبل الصلح أو الهدنة، من نفسه أو رغبة منه، بل دفع إلى ذلك دفعاً لايمكنه فعل غير ذلك، فقـــد حـــتم الموقـــف ذلك تماماً من كل الوجوه. خانه أفراد جيشه، وأشراف الاهالـــي، فتركوه وحيداً لا حول ولا قوة، فكيف يمكنه الإقدام على مواجهة العـــدو، ومـــا النـــتائج التـــي سيحصل عليها إذا دخل في معارك خاسرة؟ فالإمام عليه السلام الذي يرعى مصالح المسلمين في جميع جوانب الحياة، ومسؤول عن حاضرهم ومستقبلهم، كان عليه أن يختار ما يناسبهم للتخلص ممّا وُضِعَ فيه، وما استجد من ظروف، فقال: «إن هذا الأمر إمّا أن يكون حقي فتركته لإصـــلاح اُمة محمّد صلى الله عليه وآله وحقن دمائها، فالحمد لله الذي أكرم بنا أوّلكم وحقن دماء آخركم.

أيها الناس إنّه لايعاب أحد بترك حقه، وإنّما يعاب أن يأخذ ما ليس له، وكل صواب نافع وكل خطأ ضار لأهله. إن معاوية نازعني حقاً هو لي فتركته لصلاح الأُمة وحقن دمائها، فقد رأيت أن أسالمه، وأن يكون ما صنعت حجةً على من كان يتمنى هذا الأمر، **(وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين)** الانبياء: ١١١. والله إنّي ما سلمت الأمر إلا لأنّي لم أجد أنصاراً، ولو وجدتهم لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكنّي عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولايصلح لي منهم من كان فاسداً. إنّي رأيت أهل الكوفة قوماً لايوثق بهم، وما اعتز بهم إلاّ من ذل، وليس أحد منهم يوافق رأي الآخر، وقد لقي منهم أبي أُموراً صعبة وشدائد مرة، وهي أسرع البلاد خراباً، وأهلها هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً».

وقد وصف الإمام هؤلاء المنافقين: «يا عجباً من قوم لاحياء لهم ولادين. والله لو وجدت صابرين عارفين بحقي غير منكرين ما سلمت له هذا الأمر؛ لأنه محرم على بني أُمية».

وبالرغم من كلّ ما بيّنه في الخطاب السابق، إلاّ أنّه قرر أن يكون الصلح هدنة وليس معاهدة دائمة، فأراد من ذلك أن يهيّأ المناخ المناسب لاعلان الحرب حين يكون وقتها، فهو بذلك قَبِلَ السلم المؤقت استراحة وحسناً للإعداد: «إني رأيت هوى معظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإنّ الله كلٌ يوم هو في شأن، وإنّي خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين ناعٍ، فلولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلاّ قتل، فارضوا بقدر الله وقضائه حتى يستريح برّ أو يستراح من فاجر». إنّ هذه الكلمات الخالدة توضح تماماً الموقف والأهداف

التي سعى الإمام عليه السلام إلى تحقيقها حاضراً ومستقبلا. فهو يبين الأسباب والدوافع الحقيقية التي جعلته يقف عند حد معين، والنتائج التي ستترتب عليه، أمّا الأسباب التي دفعته لاتّخاذ موقف السلم فأوجزها فيما يأتي:

ـ قلة الأنصار وتخاذلهم.

ـ مراعاته عليه السلام للحفاظ على أفراد الشعب، وخاصة شيعته الذي تخوف أن تقل أعدادهم نتيجة الحروب.

ـ ولحسن نظره في الاُمور وفطنته، فقد رأى أنّ الحروب الداخلية الأهلية تضعف قوّة المسلمين، وتقلل من أعداد المفكرين والعلماء والأدباء.

ـ نشاط المؤامرات والدسائس وما أثّر منها في نفوس أصحابه حتى خانه أشرافهم والتجأوا إلى العدو. كما أنّ قواده واُمراءه دبروا المؤامرات للقبض عليه وتسليمه إلى العدو.

ـ قيام بعض منهم بالاعتداء عليه وسلبه ونهبه ومحاولة قتله.

ـ سرعة تقبل أهل الكوفة للإشاعات بالرغم من أنّ الإمام علياً عليه السلام علمهم الكثير عن اُمور الحيل والخدع التي تميّز بها معاوية، إلاّ أنّهم أثبتوا أنّهم قوم لايتعلمون، كما ذكر الإمام الحسن عليه السلام: «ليس لهم رأي، فكلّ منهم له رأيه لايوافق الآخر، وإنّهم أسرع الناس في الخراب والدمار».

ـ فساد أهل الكوفة وغدرهم بالموقف المتخاذل التاريخي الذي اتّخذوه في المواقف الحرجة مع الإمام عليّ عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام في المستقبل. فهم تعوّدوا الثرثرة في الكلام والجدال، والجبن والتراجع عند الجد والمواقف الحاسمة. وسيلتصق بهم هذا السلوك في جميع الثورات العلوية في السنوات القادمة.

وهكذا فإنّ الذي ينتقد موقف الإمام عليه السلام السلمي ينوي بخبث أن يوجد

تبريراً لموقف أهل الكوفة المتخاذل، وأخلاقهم المتدنّية وطبائعهم السيئة، فهم يمدحـون شـجاعة أهـل الكوفة وثقافتهم وعلومهم، ولكنّهم أهل نوايا سيئة وخاصة إذا أقدموا على مقارنة الموقف هنا مع موقف الإمام الحسين عليه السلام بعد ذلـك نحو يزيد بن معاوية بالرغم من أنّ الحدثين تتعارض فيهما الظروف، وتختلف فيهما الأحوال، كما يختلف القادة في ذلك الوقت.

ـ اعتـبار الصـلح هدنـة مؤقـتة لاسلاماً دائماً، فقد كان الكثير من المواقـف السـلمية حـرباً في الواقع، كان لنتائجها آثار ملموسة كالعمليات العسـكرية، ويمتلـئ الـتاريخ بمثل تلك الأحداث والمعاهدات المؤقتة التي اُعتـبرت فترة إعداد وتجهيز لمعاودة الكرة على العدو، حين تُعدّ النفسيات، ويـتم اختـيار أفضل الرجال، ويستعد بأفضل القوة والعدة، ويخطط لأحسن المخططات. «فان لهذا الأمر مدة والدنيا دول».

هـذا إذا علمنا أنّ معاوية هو الذي تقدّم بعرض الصلح والسلام على الإمام الحسن عليه السلام على أن يضع مايبغي من شروط وبنود، مشيراً أنـّه على اسـتعداد أن يعلن للناس بخلافته من بعده، وأن يخصص لـه مرتباً من بيت المال يصل إلى مليون درهم، إضافة إلى خراج كورتين من كور فارس، وأن يؤمنه وأهل بيته وأصحابه، علاوة على تأمين الناس على أموالهم وذراريهم. فقد ضمت وثيقة الصلح أو الهدنة الشروط التالية:

ـ أن يعمـل معاويـة بكـتاب الله وسـنة رسوله صلى الله عليه وآله وسيرة الخلفاء الصالحين.

ـ ليس لـه أن يعهد لأحد بعده، بل يكون الأمر للإمام عليه السلام نفسه، فإن حدث أمر فلأخيه الحسين عليه السلام.

ـ ترك سب الإمام عليّ عليه السلام على المنابر، فلا يذكر إلاّ بخير.

ـ تأمين حياة أصحابه حيث كانوا، وعدم التعرض للشيعة في أموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن يصل إلى كلّ ذي حق حقه.

ـ تأمين حياة الناس في كلّ مكان وعدم مطاردة الأفراد بجرم سابق.

ـ عدم التعرض للإمام الحسن والحسين عليهما السلام ولا لأحد من أهل البيت أو تخويفهم في أي مكان.

ـ تـرك ما في بيت مال الكوفة الذي بلغ خمسة ملايين درهم. وإقليم غني في فارس تعادل قيمتها جميعاً عشرة ملايين دولار اليوم للإمام عليه السلام.

ـ يمنح الإمام عليه السلام في كلّ عام مليونين من الدراهم.

ـ يفـرق على أولاد شهداء الجمل وصفين مليون درهم، يحصل من خراج دار أبجر[1].

ـ يُفضّل بنو هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس.

ولكلّ ذلك فإنّ الإمام الحسن عليه السلام كان أنصح خلق الله لخلقه، فلم يحمل علـى مسلم ضغينة، ولا مريداً لـه سوء: «ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبون في الفرقة. وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولاتردوا على رأيي. ولم أرد بذلك إلاّ صلاحكم وبقاءكم».

فإذا زعم أحد أنّ معاوية كان أهلا للخلافة فقد كذب: «نحن أولى الناس بالـناس فـي كـتاب الله عزّ وجلّ على لسان نبيه صلى الله عليه وآله، ولم نزل أهل البيت مظلوميـن مـنذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله. فالله بيننا وبين من ظلمنا، وحمل الناس علينـا. فوالـذي بعث محمّداً بالحق لاينتقص من حقنا أحد إلاّ نقصه الله من علمه، ولاتكون علينا دولة إلاّ وتكون لنا العاقبة، ولتعلمُنّ نبأه بعد حين».

---

(١) ولاية بفارس على حدود الأهواز.

لقد تميز الإمام عليه السلام بآرائه السياسية واتخاذه المواقف المناسبة في الأحداث والوقائع والأجواء الساخنة، كما تميز بأساليب التعامل السياسي مع الأطراف المختلفة، فكان يرى: أنّ السياسة ترعى حقوق الله، وحقوق الأحياء، وحقوق الأموات. فأمّا حقوق الله هي أداء ما طلب واجتناب ما نهى. وحقوق الأحياء أن تقوم بواجبك نحو إخوانك ولاتتأخر عن خدمة أمتك، والإخلاص لولي الأمر ما أخلص لأمته، والوقوف أمامه إذا خرج عن الطريق السوي. أمّا الأموات، أن تذكر خيراتهم، وتتغاضى عن مساوئهم، فإنّ لهم ربّاً يحاسبهم. وهو عليه السلام قد حقق كل تلك الغايات والأهداف في موقفه الذي تعرضنا له.

الإمام الحسين عليه السلام:

تواجه الإمام الحسين عليه السلام في حياته خلال العصر الأُموي مع يزيد بن معاوية الذي عينه أبوه حاكماً خلفاً له، مناقضاً بذلك ما تعهد به في الميثاق الذي عقده مع الإمام الحسن عليه السلام، فقد أكد أحد بنوده أنّ الأمر سيكون للحسين عليه السلام إذا حدث شيء لأخيه، وأن لا يعهد به إلى أحد. إلاّ أنّ الأُمور سارت على غير ما اتّفق عليه في شروط الصلح الذي أُبرم بين الطرفين، ممّا استدعى الإمام الحسين عليه السلام أن يسرع بالصمود أمام الأفكار الجديدة التي خرج بها معاوية لينشرها بين المسلمين، فمنذ أن علم بها حاول بكلّ جهده أن يبعده عن تنفيذها، فكتب إليه مراراً يذكره بما سيحدث للمجتمع إذا ما غيّر مثله وسلوكه الإسلامي الصحيح، كما ذكّره بالمواعيد والمواثيق والمعاهدات التي أبرمها مع أخيه، والعمل على عدم الإقدام على إجراءات خطيرة قد تضر أو تهلك الأُمة الإسلامية.

ولـم تكـن هـذه هي المرّة الأولى التي يكتب فيها الإمام الحسين عليه السلام لمعاويـة يبيّـن أخطاءه أو ينتقد أعماله وسلوكه، فكثيراً ما أرسل إليه ينتقده ويـتعرض له متى ما أقدم على أمر سيء ضار بمصالح الأُمة والأفراد. فقد اشترك مع أبيه الإمام عليّ عليه السلام وجماعة مقربين في وداع أبي ذر حينما نفاه الخليفة إلى الربذة بالرغم من أنّـه أصدر أمراً بالامتناع عن ذلك، واشترك مـع أبيه عليه السلام في حروبه ومواقفه السياسية مؤيداً لخطواته وخططه وأفكاره. كمـا ثبـت مع أخيه عليه السلام في موقفه العسكري والسلمي أمام مواجهة معاوية، ومـن بعـده عندما تسلّم أُمور الإمامة تقيد بما اتّفق عليه الطرفان في بنود الهدنة والتزم بها، فلم يدع لعمل إيجابي ضد معاوية إلاّ عندما تأكد من أنّـه سيحول الحكم إلى يزيد، بل عندما جلس على مقعد الخلافة فعلا.

إلاّ أنّ الإمـام الحسـين عليه السلام كان ينتقد دوماً سلوك معاوية وإجراءاته الإنسـانية نحو شخصيات فاضلة، نشط في البحث عنهم للتخلص منهم، فلم يكـن السـكوت عـن الحق من مذهبه، أو المنطق السلبي أمام ما يظهر في المجـتمع مـن أخطار وأفكار هادمة. فعندما قَتَلَ معاوية حجر بن عدي أو عمـرو بن الحمق الخزاعي أو غيرهما، كان يكتب إليه مبيناً موقفه الخاطئ ومندداً به، فأنكر الإمام عليه السلام على معاوية قتله عمرو بن الحمق وندد به: «أو لسـت قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه، واصفر لونه بعدما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه مـا لـو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثمّ قتلته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد». كما أنكر عليه موقفه الغريب باستلحاق زياد بن أبيه إليه: «أو لست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف فزعمت أنّـه ابن أبيك، فتركت سُنّة الله تعمداً واتّبعت هؤلاء بغير هدى من الله».

كما أنّه تصدى لمعاوية حين ذمّ الإمام عليّ عليه السلام على المنابر في المساجد، فقد خطب في أهل بيته وألف من بني هاشم في موسم حج (سنة ٥٧ هـ) مشيراً إلى ذلك الأمر: «إنّ هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، اسمعوا مقالتي، واكتبوا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، فمن أمّنتم به من الناس ووثقتم به فادعوه إلى ما تعلمون من حقنا، فإنّي أتخوّف أن يُدرس هذا الأمر، ويذهب الحق، ويغلب الباطل، والله يتم نوره ولو كره الكافرون». وقد ذكر في خطابه فضائل الإمام عليّ عليه السلام واحدة واحدة والآيات التي نزلت في حقه وأهل بيته. أمّا بالنسبة لتوريث الحكم وتعيين يزيد خليفة، وهو ما عُدّ أخطر القضايا وأكثرها هلاكاً للأُمّة، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يستطع السكوت عن ذلك؛ وذلك لأنّ يزيد لم يمتلك ذرة من الصلاحية تؤهله لأن يجلس مجلس الخلفاء في جيل يعيش فيه أبناء الصحابة، فلم تكن تؤهله صفاته الخُلُقيّة ولاخبرته السياسية لتسلُّم ذلك المنصب السامي. ولمّا كان الإمام عليه السلام قد نذر نفسه للجهاد وأن يقف أمام الباطل أين ما كان فإنّه رأى أنّ المجتمع الإسلامي يتطلب عملا تضحويّاً جهاديّاً يلهب الروح النضالية فيه؛ ليكون مناراً للثائرين.

والإمام عليه السلام كان القائد لثوار أهل المدينة الذين كان من بينهم كبار أبناء الصحابة، فرأى من موقعه أنّ بيعة يزيد تعتبر انحرافاً عن أصل من أُصول الدين، لما عُرف عنه من سوء سيرة وسلوك، فقدّموا اعتراضهم على ذلك فأصبحت بلاد الحجاز موطن المعارضة ومركزها الأوّل أمام حكم التوريث والبيعة ليزيد. وإذا تمكن معاوية في زمنه من أخذ البيعة له مستخدماً أساليب القوة والبطش، فإنّهم رفضوا حكمه لمّا جلس على مقعد الخلافة، إلاّ أنّه اتّبع نفس الأساليب العنيفة فأرسل إلى أهل المدينة وزعمائها من يأخذ منهم

البـيعة تحت التهديد والسلاح، فطلب من واليها الوليد بن عتبة: «خذ حسيناً وابن الزبير وابن عمر بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا» إلاّ أنّ الإمام عليه السلام لـم يتعوّد الرضوخ لأوامر التهديد والعنف في حياته، فقرّر الصـمود أمـام النكسـة التي ستصيب الأُمة، وهو يعلم أنّ الناس ما زالوا يطلبون من العَدل الاجتماعي، وأنّ الكرامة البشرية ترفض أن يحكمها عربيد يعتـبره المجتمع الإسلامي معصية تستوجب عقاب الله؛ ولذا أسرع كل من الطرفيـن للـتخلّص من الآخر، وخاصة يزيد الذي استخدم أكثر من اُسلوب ووسـيلة للـتخلّص من القيادة الثائرة، فأرسل رجال العصابات والأرهابيين لاغتـيال الإمام عليه السلام. وخاصة أنّ الأدوات والأجهزة العنيفة التي أسّسها أبوه قبله كانت متوافرة في المجتمع تمكن من استخدامها في المحافظة على حكمه، فالـرجال القاسية قلوبهم، وأشدهم في العنف والقتل والغدر موجودون تحت تصـرفه أمـثال: عبيدالله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، ومسـلم بـن عقـبة الذيـن أعانوه بكل طاقاتهم في تنفيذ أعماله الإجرامية والإرهابـية نحو الأفراد والشعوب. ففي خلال ثلاث سنوات هي مدّة حكمه اشتهرت بالأحداث الجسيمة والأثارة والأعمال القاسية تمكن فيها من التخلّص مـن الجهـات المعارضة والمعارضين، حيث قضى على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في مجزرة كبيرة، وانتهك حرمة المدينة المنورة، وسفك الدماء في حرم الله وأحرق الكعبة.

ولـذا كان لابدّ له من الصمود أمام شخص مثله، فليس لأي فرد غيور على اُمّته ودينه السكوت عن أفعاله الشنيعة، وهو ممّا استدعى الإمام عليه السلام أن يفكّر ويضع خطة محكمة يسير عليها للتوجه في مبارزة الانحراف والانحلال والتفكك.

وكثـــيراً مـــا انتقد بعض الإمام الحسين عليه السلام في أساليب مواجهته لـــه، وأنّهـــا كانت ارتجالية دون تخطيط، ولكنّ الإمام عليه السلام في الواقع، كان قد تفهّم الموقـــف تماماً، وتصرّف بحنكة وعقل رصين ليس من السهل على الطبيعة العاديـــة أنْ تـــدرك كنهه، فهو رأى أن حكم بني أُميّة لايزعزعه إلاّ تضحية جسيمة، فجعل من نفسه وأهله ضحية في سبيل ذلك.

وهذا الفداء ليثير الناس على قاتليه ومرتكبي الجريمة النكراء، فيقضي بذلـــك علـــى الحكـــم وينقذ المسلمين من الكوارث التي ستحل بهم من خلال السلطة، فكان دم الحسين عليه السلام المعول الذي قوّض الحكم الأُموي.

وبذا فإنّ حركته لم تصدر عن أُسلوب إرتجالي، وإنّما نظّم لذلك ونسقه في خطوات مرسومة دقيقة اتّخذت صوراً وأنماطاً عدّة، مستخدماً لها أساليب وأدوات ووسائل مناسبة، ومعتمداً على أُسلوب حضاري إنساني، جعل آخره الاعتماد على السلاح والقوة والمعارك في الساحات، لا أوّله. ففي أوّل الأمر أعلن موقفه الرافض من البيعة ليزيد عندما طلبها والي المدينة منه «إنا أهل بيـــت النـــبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم. ويزيد فاســـق فاجر شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، ومثلي لايبايع مثله، ومثلي لايعطـــي بيعته سراً» ثمّ استعد للخطوة الثانية عندما علم بأنّ رجال الحكومة أرســـلوا عدداً من الإرهابيين لاغتياله، فخرج من المدينة إلى مكّة ليأمن شر هـــؤلاء المتوحشـــين، إلاّ أنّهم طاردوه وتتبّعوه، فقرر الخروج من مكّة إلى العراق بالرغم من أنّـــه كان في موسم الحج، حيث دخل مكّة في (٣ شعبان ٦٠ هجـــري)[١]. وهنا حاول أصحابه المخلصون أن يغيروا من موقفه بعدم

---

(١) واتّفق أن يكون ذلك اليوم يوم مولده، فيكون قد بدأ مشواره الإلهي في ذكرى مولده.

الخـــروج إلـــى العراق، كما طلب منه بعض أن يهادن يزيد، مثل: ابن عمر الـــذي نصـــحه بإبرام الصلح مع يزيد أو البقاء في منزله، إلاّ أنّ الإمام عليه السلام أخبره بأنّ القوم لن يتركوه حتى يجبروه على البيعة أو القتل. كما أفهّم محمّد بن الحنفية أخاه موقفه حين وصاه بالإقامة بالمدينة ليخبره عن الأحداث فيها. وطلب منه عبدالله بن مطيع البقاء؛ لأنّه إذا قتل لن يهابوا بعده أحداً على حد قولـــــه. وكذلك عبدالله بن العباس الذي أوضح لـــه الإمام عليه السلام الموقف وأنّ الله شاء ذلك، وأنـــّه لايود أن تصبح مكة أو المدينة مسرحاً للمعارك وإراقة الدمـــاء: «لأن أقـــتل فـــي أي مكان من الأرض أحبّ إليّ من أن أقتل هنا، فيستباح البلد الحرام بسببي».

كمـــا حـــاول عبدالله بن جعفر ووالي مكة الأُموي: عمرو بن السعيد العـــاص إقـــناعه بـــالعدول عن موقفه، فقال، «إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأُمرت فيها بأمر أنا ماض لـــه عليّ كان أو لي». كما أجاب السيدة أم سـلمة بذلـــك، ورد علـــى ابـــن الزبير: «والله ليعتدن عليّ كما اعتدت الـــيهود فـــي الســـبت». وقد طلب منه أيضاً الطرماح بن عدي والشاعـــر الفـــرزدق البقاء وعدم تنفيذ خطته في السير إلى العراق الذي وصف أهلهم بالغدر.

وفي الواقع: أنّ دعوات هؤلاء الناصحين لـــه بعدم السير إلى كربلاء كانت واضحة لديه، كما أنّه تفهّم الموقف الحرج الذي وجد فيه، إلاّ أنّه صمّم وقـــرر الســـير في خطته على حسب ما كان يراه هو وليس غيره. وهذا ما سنعلمه بعد تمام الخطة والنتائج التي ستترتب عليها.

أمّا الخطوة الأُخرى فقد كان عليه الاتصال بأهل العراق بوسيلتين، اختصّت واحدة منهما في مراسلتهم خطابياً، واعتمد في الثانية على إرسال السفراء والمندوبين عنه إليهم.

فأهل العراق كانوا قد أرسلوا إليه أنّهم اختاروه قائداً لثورتهم، وأعلنوا استعدادهم للمشاركة فيها وألحّوا عليه في الإسراع بنجدتهم. كما أنّ الإمام عليه السلام بعث بالرسل والمندوبين إليهم؛ ليستعلموا عن الأحوال والأجواء، ويكشف مدى حبّهم لأهل البيت وجدّيتهم في الثورة، إلاّ أنّ جميع هؤلاء الرسل والسفراء اُغتيلوا بعد أن استكشف أمرهم رجال المخابرات وأدوات الجاسوسيّة. كما أنّهم اختلقوا رسائل كتبوها بأسماء مستعارة يشجعون الإمام عليه السلام ويدفعونه للخروج من مكة؛ ليسهل صيده في الكمين فيقضى عليه.

ولكن الإمام عليه السلام كان قد خطّط لموقع المعركة ومسرح الأحداث، فلم يعتمده ارتجالا، بل عن دراسة وتدقيق، فهو قد اختار الكوفة لخصائص ومميّزات انفردت بها عن غيرها. فالكوفة التي تأسّست على أنقاض الحيرة القديمة كان قد سكنها خليط من الاُمم والأقوام: من عرب البحرين تنوخ، والعباد سكان الحيرة، والأحلاف من عدة قبائل، كما هاجرت إليها قبيلة عبد القيس أكبر القبائل العربية حضارة ومدنيّة، وأقام بها عدد من النصارى ويهود نجران واليمن، كما وفد إليها الفرس والسريان. وكان الإمام عليّ عليه السلام قد اتّخذها حاضرة لخلافته وعاصمةً للدولة الإسلامية؛ لوقوعها في مكان متوسط يسهل الاتصال منها بأجزاء الدولة الإسلامية، كما كان لمركزها العسكري استراتيجية مميزة؛ لقربها من الحدود الفاصلة بين العراق والشام، وأصبحت العاصمة الثانية للدولة الإسلامية، واُعتبرت أخطر الولايات بعد إنشائها حيث بلغ عدد سكانها ١٥٠ ألف نسمة.

فالكوفة أصبحت موطن القوّة الإسلامية، أقام فيها الجند، كما أصبحت مصدر ثراء المسلمين، واستقرت فيها الحضارة، وازدهرت فيها الأرض الخصبة التي تمنح الخراج الوفير، كما أقام بها المعاهدون الذين أدّوا الجزية، ووردتها الغنائم من الفتوحات، وأُرسلت إليها الأخماس، حتى غدت مصدر قوّة الدولة مالياً.

واشتهرت أسواقها المميزة، فتفاخر بها الشعراء ومجالس الخطباء، وأصبحت مساجدها أكثر اهتماماً بالثقافات، وانطلقت منها الثورات والمطالب الشعبية حتى ساد العرف ــ يومئذ ــ أنّ الكوفة تمثل مركز المعارضة للدولة الأُموية؛ لكثرة ما بها من شيعة آل البيت عليهم السلام.

فالإمام عليه السلام حين اختارها مركزاً لانطلاق ثورته وحركته لم يقصدها دون معرفة بأثرها وخصائصها؛ إذ لم تكن هناك مدينة تمثلها امتيازاً واختصاصاً وتأثيراً جماهيرياً وعالمياً، فالإمام عليه السلام كان يهدف من وراء نهضته إبرازها دولياً وليس محلياً، فلم يكن خروجه إليها هرباً من أجهزة نظام الحكم كما توهم بعض، بل استهدف الجهاد وإعلان الثورة بالقوّة التي يسمع عنها ويعلمها أكثر البشر وليس أقلهم، حتى يعلموا ما وصلوا إليه من أحوال وأهوال، فالأرضية الصالحة لنشر الأفكار وإذاعة المبادئ كانت مطلوبة في هذه المواقف المصيرية.

فالإمام عليه السلام لم يكن همّه الانتقام لبني هاشم وأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأتقياء المسلمين، إنّما كان ينوي أن يظهر للعوام سوء أعمال الأُمويين وسياستهم الجائرة، ودورهم في تخلف المسلمين، ونظام حكمهم الظالم، وأساليبهم الملتوية، وأن ليس لهم سوى الانتقام من بني هاشم ورجالهم.

وقد اتّخذ الطريق إلى كربلاء ــ أيضاً ــ خطوة من خطواته حيث

استغله كوسيلة من وسائل الإعلان للثورة ومبادئها، أو الحصول على الأفراد في الانضمام إليه، فتقابل مع أفراد كثيرين من ذوي ثقافات وعقليات متباينة، تباحث معهم حول الوضع الراهن والقضايا المعاصرة، فتمكن من استمالة بعض منهم إليه، ومنهم من اعتذر عن الانضمام إليه، كما أنّه تعرّف في هذا الطريق الأحوال والأجواء في الكوفة، وكذلك طارده في الطريق رجال الحكم؛ لإرجاعه أو التخلص منه. كما أنّه في هذا الطريق لقي الفرصة لعرض نفسه على زعماء القبائل شارحاً لهم الوضع السيء الذي يعيشونه وداعياً لهم بالانضمام إلى حركته، فجمع منهم الأنصار، وحايد بعضاً آخر بألاّ ينضمّوا للطرف المعادي له.

ثمّ استخدم في خطوة أُخرى الخطب المتكررة التي ألقاها على الأقوام التي قابلها، فشرح فيها الموقف، ودعاهم إلى الانضمام إليه، كما استخدم خطبه كوسيلة من وسائل معركته خلال الأحداث الحربية، أي: عندما واجه المعسكر المعادي، فقال:

«إنّما أنتم من طواغيت هذه الأُمة ونبذة الكتاب، وشذاذ الأحزاب، وعصبة الآثام، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيدي عترة الأوصياء، وملحقي العار بالنسب ومؤذي المؤمنين. أجل، الغدر فيكم معروف، شجت عليه عروقكم، وتوارثته أصولكم وفروعكم، وثبتت عليه عقولكم، وعشبت صدوركم، فكنتم أخبث شيء سنخاً للناصب، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينكثون الأيمان بعد توكيدها».

إلاّ أنّ القوم كانوا قد أعدوا لقتله، ونكثوا بوعودهم، فدعا عليهم الإمام عليه السلام:

«اللّهمّ سلط عليهم من لايرحمهم، ولايدع أحداً منهم إلاّ قتلة بقتلة،

وضربة بضربة، لينتقم الله لي ولأهل بيتي وأوليائي وأشياعي منهم. فإنهم دعونا لينصرونا فخذلونا وخرجوا علينا يقاتلونا».

ومن عناصر الخطة التي رسمها في حركته هذه اختيار الرجال المناسبين للمكان الصعب الذي كانوا وسيكونون فيه، فالمناصرون الذين ثبتوا معه كانوا غير هؤلاء الذين وقفوا مع أخيه الإمام الحسنعليه السلام الذين خذلوه حتى من المقربين إليه، وهو ما يوضح اختلاف الموقف هنا وهناك، فرجال الإمام الحسينعليه السلام لازموه حتى النهاية، وأيدوه في كل خطواته، وأعانوه في كل تصرفاته، وأطاعوه في كل أوامره حتى شاركوه الاستشهاد، فلم يضعفوا أو يتراجعوا أو يخونوا أمام كافة الضغوط وأعمال الإرهارب التي تعرضوا لها، بل أصبحوا أكثر ثباتاً وشجاعة وإقداماً حتى أصبحوا قدوة غريبة للاحقين، وإسوة طيبة للمؤمنين، ومثلا أعلى للآخرين.

فقد ذكر عنهم: أنّهم تسابقوا في الدفاع عنه والموت دونه، وأنّهم كانوا تشكيلة غريبة من البشر، شملت الشباب والكهل والرضيع، والرجال والنساء، والسيد النبيل والعبد والمولى، والعرب والعجم، والقريب والبعيد، والصحابي والتابعي، والأنصاري والمهاجري، والفقيه والعالم، كان منهم من كان أحد أسرته في جيش العدو، ومن كان في جيش العدو فتحول إلى هؤلاء الأبطال، فكانوا قوة غير عادية، انتموا إلى قبائل وعشائر عربية مختلفة. وكان في مقدور أحدهم أن يقتل عدداً كبيراً، ويبارز أكثر من واحد في وقت واحد حتى اضطر القائد الأُموي عمر بن سعد أن يمنع المبارزة الفردية، والالتجاء إلى الحرب مباشرة، ولذا قيل: إنّهم كانوا جيشاً بكامله برغم قلة عددهم.

وكما يحدث في الحروب التي تشترك فيها الأعداد الكبيرة، فيموت عدد كبير، ويجرح آخرون، ويأسر أفراد، فقد حدث مثل ذلك في هذا الجيش

الصـــغير، فقـــد استشـــهد منهم عدد، وجرح آخرون، وأُسر بعض، وسبيت النساء، كما أنّ منهم من خرج سالماً ليحفظ ذرية الرسول صلى الله عليه وآله ونسله، فيستمر النور النبوي في الحياة إلى آخرها.

وعـــندما أصبح الإمام عليه السلام وحيداً في ميدان المعركة دعا عليهم: «اللّهمّ أمسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللّهمّ فإن متعتهم إلى حين ففـــرقهم فرقاً، واجعلهم طرائق قدداً» إذ إنّ الحكام امتنعوا عن قبول أي حل سلمي حاول الإمام عليه السلام أن يعقده معهم، فاستغل ذلك في التشنيع عليهم لصالح موقفـــه تاريخـــياً، وخاصـــة أنّ هؤلاء لم يوضحوا الأسباب التي دعتهم إلى إعـــلان الحـــرب على هؤلاء القلة من أهل بيت النبوّة وأصحابهم، فوضحت رغبتهم الانتقامية والشريرة نحوهم فقط.

أمّـــا النتائج التي ستترتب على تلك الحركة المباركة والنهضة الشاملة والـــثورة الشعبية، فإنّها كانت في الواقع كبيرة وقوية استمرت منذ استشهاده وحتى انتهاء الدولة الأُموية وسقوطها، فلم تكن آنيّة، بل مستقبلية. فالمعركة فـــي الحقيقة لم تنته باستشهاده مع أهل بيته عليهم السلام كما تخيل يزيد وأعوانه، بل استمرت قوية حتى أسقطت النظام تماماً، فكانت البداية لنهاية السلطة، شوّهت ســـمعتهم بين كافة أفراد العالم الإسلامي، وقررت مصيرهم عند الأُمم حينما كشفت صورهم الحقيقية أمام الأجيال.

وهكذا فإنّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا أُسوة للغير، فتحا قلوب المؤمنين وضمائرهم لتناضل وتكافح في سبيل المثل العليا والمبادئ السامية، فأصبحا القدوة والمثل الأعلى لكلّ مصلح وثائر على الظلم والعدوان، ولكلّ أبيٍّ يؤثر المـــوت على الحياة ذليلا في ظل الجبابرة الطغاة، وأصبح الإمام الحسين عليه السلام رمزاً للبطولات والتضحيات تتحدث عنه الأجيال، وتستمد منه معانيه وأبعاده

الخـــيرة، وعطاءهما المميز خلال تاريخ البشرية الطويل. فنحن سنلاحظ أنّ ثـــأر الحســـين عليه السلام أصبح شعاراً لمعظم الثورات والانتفاضات خلال الحكم الأُمـــوي، ابـــتداءً من البيت الأُموي نفسه ومن أهل البيت النبوي والعلويين، ومـــن الأحـــزاب السياسية والإجتماعية التي برزت في المجتمع الإسلامي، تمكـــنوا فـــي النهاية من تقويض أركان الدولة. وتلك الآثار والنتائج الشاملة سنتعرض لها خلال الفصول القادمة من الكتاب.

ويرتـــبط بحـــركة الإمام الحسين عليه السلام ثلاث قضايا تحتاج إلى التحليل والتفسير؛ إذ يتجادل حولها كثير من الكتاب والعلماء وغيرهم، يتركز الأوّل مـــنها في تأكيد عدم اشتراك أهل العراق في قتل الإمام الحسين عليه السلام، بل إنّ القـــبائل العربـــية هي التي أقدمت على تلك الجريمة. والثاني يرتبط بالعزاء الحســـيني الـــذي يقـــام تخليداً لذكراه في المجالس الحسينية. أمّا الثالث فكان الاخـــتلاف بيـــن الموقف السلمي الذي اتّخذه الإمام الحسن عليه السلام أمام معاوية، والموقف العسكري الذي انتهجه الإمام الحسين عليه السلام نحو يزيد.

أمّـــا الفرق والاختلاف بين موقفي الإمام الحسن والحسين عليهما السلام السلمي والحربـــي أمام معاوية ويزيد، فإنّنا قد أوضحنا الأحوال والملابسات والمناخ الذي جعل الإمام الحسن عليه السلام يقبل بالهدنة أو الصلح، فمن الأُمور المهمة هنا أنّ أفـــراد جيشـــه وعلـــى رأسهم قيادته لم يخذلوه فحسب، بل إنّهم خانوه، وتآمروا عليه بالتخطيط للإطاحة به وتسليمه للعدو، فالأنصار المقربون لديه، والذيـــن اعتمد عليهم الإمام عليه السلام تماماً وكلياً، هم الذين قوضوا قوته وخططه، أمّـــا الإمام الحسين عليه السلام فإنّ أنصاره والمقربين إليه، والذين كانوا في الغالب من أهله وجماعته، صمدوا معه حتى النهاية، ولم يحاولوا في أي وقت إظهار شـــيء من الخوف أو الخذلان أو التراجع عنه، حتى لمّا طلب منهم الخروج

من معسكره إلى بيوتهم على أساس أنّ العدو يطلبه هو فقط، رفضوا طلبه وأصروا على البقاء معه والدفاع عنه ومجابهة جيش العدو الكبير. فأنصاره كانوا مؤمنين بالله وبمبادئ الدين كل الإيمان، غير ما كان عليه أنصار الإمام الحسن عليه السلام الذين تميزوا بقلة الإيمان أو عدمه، رغبوا في الدنيا، وتركوا دينهم في سبيل ذلك. كما أنّ الفرق والاختلاف كان كبيراً بين الحاكمين المعادين للإمامين عليهما السلام، فمعاوية اختلف في شخصيته عن ابنه يزيد، فلم يكن شاباً مستهتراً، بل كبير السن اختبر الحياة، ثم إنّه جالس الناس وتعلم الكثير من الشخصيات الإسلامية التي عاش معهم، وكان يعرف هذا وذاك، من أي قبيلة، ومن أي أسرة، فهو يختلف عن ابنه الذي ولد في الصحراء وعاش حياة البداوة، ولم يحتك بالرجال والشخصيات المعروفة في المجتمع الإسلامي، فلم يتعود على أساليب التعامل مع مثل تلك الشخصيات أو تقديرهم، كما كان قليل الخبرة في مواجهة التحديات والأحوال الصعبة. ثم إنّ معاوية كان ينوي إنشاء دولة وراثية، فكان يحتاط لكل الاحتمالات على ألاّ تذهب محاولاته السياسية سدى، فكان يأخذ ويعطي حتى لايهدم ما يريد بناءه، على اختلاف ابنه الذي اهتم بنفسه متأثراً بالرواسب القبلية من ثأر وقتل في سبيل بقائه. كما أنّ معاوية هو الذي قدّم عرض الصلح، واستعدّ لقبول كلّ الشروط التي يطلبها الإمام الحسن عليه السلام، فمعاوية هو البادئ بذلك لا الإمام عليه السلام، فكان يريد التخلص ممّا هو فيه من مأزق ومحنة بأية وسيلة، ولذا تنازل للإمام عليه السلام عن كل ما يطلبه من شروط، كبيرة كانت أو صغيرة، فكان على استعداد لتقبلها وتنفيذها له في الحال.

إلاّ أنّ يزيد لم يعرف إلاّ شيئاً واحداً، وهو: إمّا أن يبايعه الإمام الحسين عليه السلام وكلّ رجال أهل المدينة وأبناء الصحابة، دون نقاش أو جدال أو

كلام، وإلاّ فإنّه سيقتلهم جميعاً، فلم يتراجع عن موقفه المتشدد، بأن يسمح لهم بالخــروج من البلاد إذا رفضوا البيعة، كما كان يفعل الإمام عليّ عليه السلام. ثم إنّه بــدأ تنفــيذ نيته في قتل الإمام عليه السلام قبل تحركه عليه السلام إلى كربلاء، فقد بعث إليه الرجال ليغتالوه في المدينة أو في مكة.

وكان معاوية يفاوض الإمام عليه السلام مباشرة ويراسله ويكاتبه، ويبعث إليه الرسل، إلاّ أنّ يزيد عيّن رجالا أشداء كارهين لأهل البيت لا للتفاوض معه، بل لإجباره بقبول أوامر الحاكم وتنفيذها فقط.

فــيزيد قرر التآمر على الإمام الحسين عليه السلام للقضاء عليه بكل الوسائل، حتى إنّه عندما سمع بخروجه من مكة إلى الكوفة أمر رجاله بإعداد المسالح في الطريق؛ لمراقبته أو التخلص منه، فكتب يزيد كتاباً إلى عبيد الله بن زياد يأمــره بقتل الحسين: بلغني أنّ الحسين قد توجه نحو العراق، فضع المسالح واحترس على الظن، وخذ على التهمة غير ألاّ تقتل إلاّ من قاتلك، فقد ابتلى به زمانك بين الأزمان وابتليت به من بين العمال. فهو أعدّ هؤلاء للعمل على عدم وصول الإمام عليه السلام إلى الكوفة، وهو ما حدث فعلا عندما تقابل مع فرقة الحــر الرياحــي وكتيبته التي منعته من دخول المدينة، فلمّا أصرّ الإمام عليه السلام على موقفه، تنازل عن ذلك بمراقبته والسير معه إلى المكان الذي يقصده، فلم يتركه ليختار الطريق أو المكان الذي يحبذه.

وخلال معركة كربلاء في العاشر من المحرم حاول الإمام الحسين عليه السلام التفاهم مع عدوه وأفراد الجيش على أن يتركوه يسير لحاله، وإنّهم هم الذين بعثوا إليه، إلاّ أنّهم أنكروا كلّ شيء، وألحّوا عليه بقبول أوامر الحاكم بالبيعة ليزيد، وإلاّ الحرب والقتل، فلم يكن هناك أي مجال للإمام الحسين عليه السلام سوى المواجهــة العسكرية مع هؤلاء الناكثين القاسطين، ولكن الموقف عند الإمام

الحسـن عليه السلام كان غير ذلك، فكما عرفنا: أنّ معاوية هو الذي بدأ في عرض الصلح على الإمام عليه السلام، وانتظر القبول منه على أي شرط أراد.

كمـا أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يتخذ وحده موقف المعارضة ضد يزيد، بـل إنّ عـدّة أطـراف عارضت فكرة البيعة ليزيد، أو جعله خليفة وإماماً للمسـلمين، فمعظم المدن الإسلامية وشعوبها بالإضافة إلى دول أُخرى غير إسلامية وقفت تعارض فكرة وجود يزيد في الحكم، فمن خلال الأحداث التي جرت في فترة حركة الإمام الحسين عليه السلام يلاحظ العدد الهائل من الشخصيات الذين أعلنوا رفضهم لحكم يزيد، أو الذين ثاروا عليه بعد ذلك، فقد ثارت مكة بقيادة عبدالله بن الزبير، والمدينة بقيادة الإمام عليه السلام نفسه، ثم السيدة زينب عليها السلام، فالصـحابي عـبدالله بن حنظلة الأنصاري الذي ترأس وفداً زار الحاكم في مركز حكمه، وخلع بيعته بعد رجوعه، فتابعه الناس، واشترك معه عدد كبير مـن بني هاشم وآل أبي طالب وأبناء الصحابة. أمّا في حرب ابن الزبير فقد اشتركت عدة جهات معه دافعوا عن الحرم الشريف، واشتهر منها: جند أهل المديـنة، نجـدة بـن عامـر الحنفي الثائر في اليمامة على الحكم الأُموي، وخوارج الأزارقة بزعامة نافع بن الأزرق، والمختار بن أبي عبيدة الذي كان فـي طلـيعة المدافعين عن الكعبة، كما بعث نجاشي الحبشة فرقة من جنده للدفاع حيث غضب هذا الحاكم المسيحي لإقدام الأُمويين على حصار الأماكن المقدسة وضربها، كما اشترك فيها من ثار بعد ذلك على الحكم الأُموي، فقد كـانوا ضـمن الرافضين لحكم يزيد، فتؤكد أحداث التاريخ أنّ معظم هؤلاء الـثوار احترموا موقف الإمام الحسين عليه السلام عندما قام بحركته؛ لأنّه كان أحق في المطالبة بالخلافة من ناحية، ومن قيادة الأُمة الإسلامية من ناحية أُخرى، فلم يكن سكوتهم إلاّ لذلك، ممّا أكثروا من الثورات بعد مقتله عليه السلام.

فإذا كانت تلك الأطراف تتمنى الخلاص من حكم يزيد، فكيف بموقف الحسين عليه السلام هل يقف لينظر إلى هذه الاحوال المتردية من دون أي إجراء إيجابي؟ وهو الذي تربّى في حجر النبي صلى الله عليه وآله وأحضان السيدة الزهراء والإمام عليّ عليه السلام.

وأمّا زمان الإمام الحسن عليه السلام لم نلاحظ أية جهات معارضة لحكم معاوية إلاّ النادر في الكوفة والحجاز، ومن كان في الكوفة معه خانه في ساعة الصفر.

فالإمامان قاما وأدّيا واجبهما نحو دينهما واُمتهما أداءً كاملا شاملا دون أي نقص أو تخاذل أو ضعف في أي جانب مهما كان صغيراً أو بسيطاً.

ويمكننا التأكيد على أنّ الموقفين اختلفا تماماً بكلّ المقاييس والأوزان والأحوال والأجواء، كما يمكن التأكيد على أنّ الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد جعل لكلّ إمام من أئمتنا الأطهار دوراً مميزاً يؤديه في الأرض، فتركّز دور الإمام الحسن عليه السلام في أساليب التعامل السلمية مع الأعداء، وتحدّد دور الإمام الحسين عليه السلام في التعامل العسكري حتى لو كان عدد الأنصار قليلا.

أمّا القول: إنّ أهل العراق بريئون من دم الإمام الحسين عليه السلام وإنّهم لم يشتركوا في مجزرة كربلاء، وإنّ العرب من القبائل العربية وعشائرها الذين قدموا من الجزيرة العربية هم الذين تولّوا أمر ذلك، فإنّه رأي ضعيف لا يستند إلى حقيقة وواقع، بل يحاول فقط الدفاع عن أهل العراق تعصباً لهم، وجهلا بوقائع التاريخ وأحداثه، وتخلفاً في الجانب العقلي وتحليلاته.

صحيح أنّ العرب هم الذين أقدموا على هذه الجريمة البشعة، وأنهم كانوا من عدّة قبائل مشهورة قدمت من الجزيرة العربية، إلاّ أنّهم كانوا من أهل الكوفة والعراق، أي: أن جنسيتهم كانت كوفية عراقية، فهم في عرف

المواطنة والانتماء إلى الأرض مواطنون كوفيون، أطلقوا عليهم وسمّوهم بأهل الكوفة، فكثيراً ما تناولهم الإمام عليّ والحسن والحسين عليهم السلام بصفتهم تلك، فخاطبوهم يا أهل الكوفة، أو يا أهل العراق، فلم يخاطبوهم بأهل العرب، أو باسم القبيلة التي انتموا إليها أو العشيرة التي ارتبطوا بها، هذا مع العلم أنّ الكوفة كما أوضحنا سكنتها أقوام وأجناس وأديان وعناصر مختلفة، اتّخذوها جميعاً موطناً لهم، فكانوا كوفيين، وكان الأجدر بمن أراد أن يخاطبهم أن يعيّن الفئة المراد بمخاطبتها، إلاّ أنّه مع ذلك أطلق عليهم أهل الكوفة عرباً وغير عرب.

ومن جانب آخر نعلم أنّ دول العالم قديماً أو حديثاً تسكنها عدّة عناصر وأجناس، فتعيش فيها فترة، ثمّ تتّخذها موطناً لها ينتمون إليها، فيتعرفون بها، فالشعب الفارسي ضمّ عناصر وأجناس مختلفة عرفوا بالفرس، ولم يحدّد أي فرد منهم عنصراً خاصاً في تناول الحديث عنه، وكذلك الشعوب الأُخرى، أمّا في عصرنا الحاضر فهناك الكثير من الأفراد الذين هاجروا إلى دول أُخرى أقاموا فيها فترة من الزمن ثمّ اتّخذوها موطناً لهم، وعرفوا بتجنسهم لها، كالولايات المتحدة مثلا التي أسّستها وسكنتها عدّة أقوام قدموا إليها من جهات قريبة وبعيدة فيما وراء البحار، ثمّ أصبحوا مواطنين أمريكيين، فلا يصح أن نتعرف إليهم بجنسياتهم الأصلية أو البلاد التي قدموا منها.

وهكذا كان الوضع في الكوفة، حيث كان العرب جزءاً من شعب الكوفة الذي تألّف من عناصر وقبائل، وإن كانوا هم الأكثر في الغالب بالنسبة للأقوام الأُخرى؛ لأنّ العرب في الجزيرة العربية كانوا يعيشون حياة الجفاف طبيعة وموارد، ممّا دفعهم إلى التحرك نحو الجهات القريبة التي كثرت فيها المياه والأنهر والمواد الغذائية وغيرها.

فهـــم عراقــيون مؤكداً، اشتركوا في تشجيع ثورات الأئمة والعلويين، ومـــع ذلك لم تنجح أية ثورة منها على كثرة ما حفلت بها أرض الكوفة، كما أنّ الثورات التي تمكنت من تأسيس دول علويّة في جهات مختلفه من أرض الإســـلام، لـــم تخرج من الكوفة، بل من البلدان الأُخرى والشعوب الأُخرى، كالدولـــة العباسية والفاطمية والحمدانية، والإدريسيّة والبويهية وغيرها، مع العلم بأنـــّه يذكر دوماً أنّ أهل الكوفة هم أنصار الأئمة والعلويين، وأنّها مهد الشـــيعة والتشيع، ووضعوا الأحاديث والحكايات عن مكانتها ومنزلتها الدينية والعلمية والعالمية، ممّا سنوضحه في الأجزاء القادمة من الكتاب.

أمّـــا المحـــور الثالث الذي أردت بسط القول فيه هو: موضوع العزاء الحسيني ومجالسه وأثرها في المجتمع الإسلامي؛ إذ وردت أخبار كثيرة في إحـــياء أمر الأئمة عليهم السلام وفضل المجالس التي يذكر فيها حديثهم، وأنّهم يحبون تلك المجالس التي يحضرها الملائكة أيضاً. ولذا يرى بعض أنـــّه من المحتم إظهار صور الحزن المؤثرة في تلك المجالس، فكأنّ الأصل فيها تأكيد الحزن والبكاء على ما أصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام لا أن يؤدّي الخطباء محاضراتهم حول المسألة الحسينية وبيان أسبابها ونتائجها وآثارها وأهميتها تاريخياً وسياسياً واجتماعياً وعلمياً ودينياً، بالرغم من أنّ تلك المجالس أقيمت في الواقع لإحياء الذكرى الأليمة لما حدث لأهل البيت عليهم السلام في مأساة كربلاء؛ إلاّ أنّهـــم يضيفون إلى خطبهم شعائر مأساويّة يرون حتميّة أدائها، فيسردون أدلّـــة كثيرة تدعو إلى الالتزام بتلك الشعائر كأنّ الامام عليه السلام أمر باتّخاذها مبدأً من مبادئ الشيعة من بعده. فما الحقيقة في المجالس الحسينية، وما أثرها في المجتمع الإسلامي، وهل هي ضرورة ومفيدة له؟

فـــي الواقـــع: أنّ المجالس الحسينية ابتدأ ظهورها منذ وقت مبكر، مع

قدوم أهل البيت عليهم السلام ورجوعهم إلى المدينة بعد انتهاء الفاجعة الكبرى التي أصابتهم في كربلاء، وإن كان بعض يُرجع اُصولها إلى ما قبل ذلك، حينما خطبت السيدة زينب عليها السلام في مجالس اُمراء بني اُميّة في الكوفة ومجلس يزيد في الشام، فتناولت في حديثها الأسباب والنتائج المختلفة للثورة الحسينية مشيرة إلى تمسكهم بمبادئ الإسلام والدين المحمّدي، كما تعرّضت في أحاديثها في تلك المجالس ما سيحل بالاُمويين وعناصرهم من هلاك ودمار؛ لما أقدموا عليه من أفاعيل شاذة نحو المجتمع الإسلامي.

فقد تمكّنت السيدة زينب عليها السلام والإمام السجاد عليه السلام من شحن النفوس بالحقد على الظالمين والكراهية ليزيد ودولته، وتهيئتها للثورة في الوقت المناسب، فاستطاعت هذه السيدة الجليلة العظيمة مع قلة إمكاناتها وتقييد حريتها أن توصل أهداف ومبادئ النهضة الحسينية في فترة قصيرة، إلى الحكام والقادة والولاة وأفراد المجتمع الإسلامي، فوصل صداها إلى الاُمم النائية في الأمصار الاُخرى. فأثارت في نفوس الشيعة بخاصة والمسلمين بعامة حزناً مستديماً لم يخمد لهيبه حتى اليوم، وأدخلت في نفوس الفاعلين الحسرة والندم. وقد اتّسمت مواقفها بالجرأة والشجاعة النادرتين الغريبتين، لم تكن لامرأة من قبل ولا من بعد، فقد جابهت الاُمراء والحكام وصمدت أمامهم، كما ندّدت بأهل الكوفة؛ وأثارت أهل الشام، بل إنّها أدخلت الألم والخوف في قلوب بني اُمية، ممّا أثرّ في نفوسهم الضعيفة، فأحزنت قلوبهم، وأدمعت عيونهم، وأربكت تفكيرهم، حتى أمر يزيد بإخراجها من الشام حتى لايتأثّر أهلها بحديثها وآرائها الحرّة. إلاّ أنّها استمرت في موقفها الصامد الجريء عندما وصلت المدينة المنورة، فأقامت المجالس الحسينية هناك، وتناولت المأساة فيها، تذكر فيها التفاصيل، وتشرح دقائق الاُمور، فنشرت

الأفكـــار والآراء السياسية والاجتماعية المعاصرة المنهارة والمختلفة، فخاف آل أُمية من الانهيار، فأخرجوها من مدينة جدهاﷺ إلى مصر منفية.

إنّ الكلمات التي أطلقتها في خطبها، وأُسلوبها في التعبير عن المأساة، وأســبابها وعواملهـــا وآثارها، هي الصورة الأُولى للمجالس الحسينية، التي تطوّرت منذ ذلك الوقت إلى ما نراه اليوم في المجالس الحسينية.

فقد خاطبت السيدة الكريمة أهل الكوفة بعد المذبحة مباشرة حين رأتهم يـــبكون، وبقي صدى صوتها يدويّ في آذانهم مذكرة إياهم بخطيئتهم الشنعاء مـــثلما ردّدت حوائـــط الكوفة صدى صوتها. كما أنّها ردّت بجرأة وشجاعة على كلام ابن زياد في مجلسه حينما وبّخها بكلام قبيح، فأوضحت لـــه موقفه وصفاته الحقيرة التي يتميز بها هو لا أهل البيت الكرام. كما أنّ موقفها عند الحاكم يزيد لم يكن أقل قوة وجرأة وبياناً ممّا سبق، فعندما قلّل من شأن أهل بيتها أجابت: «بدين الله وبدين أبي وجدي وأخي اهتديت أنت وأبوك وجدك». ثمّ خاطبته بكلّ قوتها مشيرة إلى ما أدّاه من أفعال مشينة تجاهها ونحو أهلها موضحة سوء أفعاله وقبح آثارها فقالت: «فإن أمهلك الله فلقوله: **(ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين)**[١] أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك بناتك وإماءك، وسوقك بنات رسول اللهﷺ أسارى، قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههنّ مكتئبات تجري بهـــن الأباعر من بلد إلى بلد لايراقبن ولايؤوين، يتشرفهن القريب والبعيد، لـــيس معهـــن قريب من رجالهن؟ فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لاتمحو ذكرنا ولاتميت وحينا، ولايرحض عنك عارها، وهل رأيك إلاّ

---

(١) آل عمران، الآية: ١٧٨.

فـند، وأيـامك إلاّ عدد وجمعك إلاّ بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين...».

فالسـيدة الجليلة أبرزت المأساة للناس، لابذكر الصور الحزينة لها أو تصـوير المعارك والقتل منها فحسب، بل إنّها تناولت القضية الأساسيّة التي قامـت من أجلها، فكانت توضّح أخطاء الحاكم وجرائمه هنا وهناك، وكلّ ما يتصـل بالدولـة وأجهـزتها، وما سينتج عنها من آثار سيئة على المجتمع الإسلامي، وخطرها على الدين الإسلامي.

فهـي اجتهدت ـ أيضاً ـ في أن تقيم المأتم أياماً في الشام حيث بكت النسـاء الهاشـميات ومعهن نساء بني اُمية، فلم تبق من آل معاوية امرأة إلاّ واسـتقبلتهم بالـبكاء والنوح. فقد طلب أهل البيت عليهم السلام من يزيد السماح لهم بإقامـة العزاء والمأتم لسيد الشهداء، فأذن لهم، وأنزلهم بدار، فلبسوا السواد، وحضر المجالس من كان في الشام من بني هاشم وقريش، فبكوا على السبط الشهيد لمّدة سبعة أيام، ومكثوا في الشام شهراً.

كان هذا اُسلوبها وسلوكها تجاه الأزمة التي حلّت بالمسلمين، لم تستخدم الضرب، ولم تأمر به أو تقم به، بل أسّست مجالس مأساويّة تذكر فيها أسباب نهضـة أخـيها الإمام عليه السلام، وما ينبغي على المسلم القيام به تجاه دينه وأمته، فهـي تؤكّد أنّ ذكراهم لن تمحى، وأنّ دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومبادئه لن تموت. فـتركّز بذلك نشاطها في ترديد المأساة والبكاء المتواصل الذي ألهب النفوس تهيئة لما سيحدث بعد ذلك من ثورة تنتظر ساعة الصفر والرجل المناسب.

وبـذا فقـد اُعتبرت حركتها السلميّة مع ابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام، تحركاً سياسيّاً مثيراً لعواطف الجماهير تنتقم من يزيد وحكومته.

وامتدّ نشاطها مع ذلك ـ بعدئذ ـ حينما قدمت المدينة المنورة، فأقامت

تلك المجالس أياماً وليالي، لم تر المدينة أفجع مشهد مثلها ولا رأت مثل ذلك اليوم باكياً وباكية؛ إذ كان يبكيهن العدو والصديق، والتفّت القلوب حولها، فاشتدّ تأثيرها في الناس بشخصيتها وبطولتها النادرتين، فاتّخذوا دارها مركزاً لتجمّعاتهم ومقراً لاجتماعاتهم؛ إذ كانت تقصّ على المؤمنين في دارها ما لقي سبط الرسولﷺ من أذىً واعتداء جيش يزيد، واصفة لهم صور المجازر الرهيبة، ممّا اُعتبر دافعاً لأن يؤلب الناس على الطغاة، فكاد الأمر أن يفسد على بني اُمية، فخافوا نتائجها، فأخبر الوالي يزيد بما سينجم من مواقف السيدةعليها السلام من أخطار تحيط به وبعرشه، «إنّ وجودها بين أهل المدينة يهيج الخواطر» فأمر بإخراجها منفية إلى مصر التي اختارتها مقرها الأخير.

وقد أجمع كتّاب التاريخ من عرب ومستشرقين على أنّها أول سيدة في الإسلام قدّر لها أن تلعب على مسرح الأحداث السياسيّة دوراً له شأن من أروع أدوار البطولة في كربلاء، فاقترن اسمها بمأساة كربلاء، فكان لموقفها بعد المعركة ما جعلها مأساة خالدة ودامية على مرّ الزمن، فكانت أكثر أهل البيت جرأة وشجاعة وفصاحة، فطارت شهرتها في الآفاق بما أظهرت يوم كربلاء وبعده من حجّة وقوة حتى ضرب بها المثل.

وتناقل العرب أخبارها، وازدادوا إعجاباً بها وبموقفها حتى إنّ قبائلهم انتظرتها في طريق العودة إلى المدينة، لترى عقيلة بني هاشم التي تمكّنت من أن تحقّر شأن ابن زياد في الكوفة ويزيد في الشام، وتمكّنت من إثارة الجميع وتهييج مشاعرهم، وألهبت بمنطقها السياسي الجماهير على حزب الشر. فمنذ اليوم الذي طافوا بالأسرى والسبايا على الجثث الطاهرة علا التاريخ الإسلامي نحيبٌ متواصل من الذين خذلوا الإمام الحسينعليه السلام، وتركوه للشهادة ولسبي نسائه.

فزينب عليها السلام هي التي ابتدأت بتأسيس المجالس الحسينية على صورتها التي ينبغي أن تكون. كما ذُكر أنّ أوّل منبر وضع لإقامة العزاء الحسيني في المدينة حين استقبل الناس أهل البيت العائدين من الشام، فجاء الخادم بكرسي ليجلس عليه الإمام زين العابدين عليه السلام الذي أخبر الناس بأحداث كربلاء، واستمروا في التعزية خمس سنين حتى قُتل ابن زياد.

أمّا الضرب بالسلاسل والسيوف والادوات الحادة الأُخرى، فهو ــ كما أعتقد ــ يرجع إلى ما فعله التوابون الذين خذلوا الإمام الحسين عليه السلام ولم ينصروه، فقد زاروا المشهد المقدس في كربلاء بعد المأساة وأعادوا تمثيلها، وفرضوا على أنفسهم أقسى أنواع العقاب الجسدي تكفيراً عن خطيئتهم. فبعد موت يزيد ثار أهل الكوفة، وخرج المسجونون من السجون، والتفوا حول سليمان بن صرد الخزاعي الذي قاد التوابين للثأر من قتلة الحسين عليه السلام، بالرغم من أنّه كان فيمن كتب إلى الحسين عليه السلام أن يقدم إلى الكوفة، ولكن لم يقاتل معه خوفاً من ابن زياد، أو كما قيل: وضع في السجن مع جماعة آخرين. وعندما جرت المجزرة الرهيبة وما أصاب أهل البيت من بلاء دون أن يتقدّم أحد منهم للدفاع عنه ونصرته، قرّروا الانتقام تكفيراً عن ذنوبهم، فاجتمعوا وتوجّهوا إلى قبر الحسين عليه السلام وتلوا الآية الكريمة: **(فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرلكم عند بارئكم...)** كما خطب سليمان فيهم: «أيها الناس، من خرج يريد وجه الله والأخرة فذلك منا ونحن منه، فرحمة الله عليه حياً وميتاً، ومن كان إنّما يريد الدنيا فوالله ما نأتي فيئاً نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله، فمن كان غير هذا فلا يصحبنا».

ولم يقبل سليمان مشورة من أشار عليه بالتريث والاستعداد الأكثر للقتال، فقال: «على الله توكلنا، وعليه فليتوكل المتوكلون». وعندما تقابل

الجيشان دعا سليمان أهل الشام إلى: خلع مروان بن الحكم، وتسليم ابن زياد لقـتله، وأن يردّ الأمر إلى أهل بيت النبيﷺ، إلاّ أنّ المواجهة أسفرت عن قتل جميعهم ما عدا القليل.

أمّـا نـتائج حـركة هؤلاء فقد أثرت في التعبير عن الندامة والحسرة والشـعور بـالإثم تجاه الموقف السلبي الذي اتّخذوه من الإمام الحسينعليه السلام. فهـؤلاء اسـتخدموا الضرب والقتل؛ لأنّهم خذلوا الإمام وأهل البيت، فاتّخذه بعـض وسـيلة لإظهـار الحزن عليهم دون وعي وإدراك لأهداف ومقاصد الإمامعليه السلام.

كمـا أنّ المخـتار ابـن أبي عبيدة الثقفي كان على دراية تامّة بنفسيّة الشـيعة فـي العراق فرأى أن يثير كوامن عواطفهم فاستأجر نوائح أمرهن بالخروج إلى طرقات الكوفة يَنحنَ ويولولنَ ليثرن آلام الشيعة، ويعدّهم نفسياً لمرحلة الأخذ بالثأر.

فالحـركة الحسـينية لاتدعو إلى طلب الثأر من القتلة، أو أن يضرب الـناس أنفسـهم، أو يندموا لفعل أو جرم لم يفعلوه، وإنّما كل ذلك كان أيام الحسـينعليه السلام وفـي وقته، كالتوابين الذين تحتّم عليهم التكفير عن ذنوبهم في عدم نصرة ابن الرسولﷺ وأهل بيته الكرام.

كمـا ذُكـر في الأخبار والروايات: أنّ معزّ الدولة البويهي أدخل في (٣٥٢هـ) عادة إحياء الذكرى المؤلمة لحوادث محرم، فأمر بإقامة العزاء لسيد الشهداء في هذا الشهر، فبقت هذه السُنّة مدّة الحكم البويهي في العراق، كمـا أنّـه عيّـن فترة الحداد، وأغلق الأسواق وعطّل القصّابون، وتوقف الطـباخون عن العمل، ووضعت المياه في الشوارع، كما أنّ النساء خرجن بشـعور منـثورة، ملابس ممزّقة يلطمن الخدود ويولولن حزناً على الإمام

الشهيد عليه السلام وتقرأ المراثي والمناحات لذلك[١].

وقد تناول الكاتب دوايت دونالدسون Donaldson Dwight M. هذا الجانب، فذكر أنّ أحداث الحداد واللطم برزت أيام معز الدولة البويهي، الذي أصدر قراراً في ٩٦٢ ميلادي حتّم فيه إحياء الذكرى السنوية لمقتل الإمام عليه السلام فأصبحت مستمرّة منذ ذلك الوقت، وهو ما يدفع إلى القول بأنّ العزاء الحسيني الذي يجري اليوم يعود إلى آثار تلك السُنة الكريمة.

وقد ذكر هوليستر أن الكف المعدنية ـ البنجه ـ التي كانت تعلو علم الحسين عليه السلام في كربلاء موجودة عند أهالي شيعة لكناو في الهند ومحفوظة في دركاه، إذ إنّه أحد الزوار الهنود جاء بها بعد أن حلم بمكانها. كما ذكر أنّ نظام حيدر أباد أصدر في (١٩٢٧م) قراراً يمنع الضرب على الصدور أو الظهور بالسلاسل والمسامير خلال شهر محرم.

وعن أفراد الشعب يذكر هوليستر: أنّ عدداً من أفراد السُنّة والهندوس يشاركون في احتفالات العزاء مع الشيعة، فهناك طبقة من الهندوس في بيهار يعبدون الحسن والحسين عليهما السلام يعتبرونهما في صف الآلهة، وأنّ النساء من الطبقات العليا ينذرن من أجل الحصول على النسل والأولاد في نظير قيامهم ببعض الأدوار في موكب العزاء خلال شهر محرم لعدّة سنين أو خلال حياتهم، فيمتنع هؤلاء عن تناول الملح والطعام الحيواني، كما يتركون جميع وسائل الترف في هذا الشهر، كما أنّ بعض النساء العقيمات يرمين بأنفسهنّ تحت أو أمام أعلام محرم تنفيذاً لنذرهن بالحصول على الأولاد، وعندما يرزقن بهم يسمونهم هوسانا أو الحسين أو فاطمة.

---

(١) د. هوليستر: تاريخ الشيعة في الهند.

وفي بارودا كان الرئيس الهندي يرعى بنفسه شخصياً مراسم العزاء الحسيني في محرم، كما كان المهراجا الهندوس في غواليور يقود المواكب كلّ سنة في عاصمته، إذ إنّه مرض فترة ورأى في منامه الإمام الحسين عليه السلام يخبره أنّه سيشفى إذا أقام مجلس عزاء حسيني في محرم، ووزع الصدقات، فلمّا فعل وشفي استمرّت العادة إلى هذا الوقت.

أمّا ملوك (أودة)، فقد تعلقوا بالمذهب الجعفري بقوة، وصرفوا المبالغ الكبيرة على إقامة الشعائر الدينية الخاصة به، وتقديم المنح المالية للسادة والعلماء، فقد صرف عساف الدولة في (١٧٧٥) على تلك الشعائر والمراسيم في شهر محرم ما قيمته خمسة أو ست لكات روبية كل عام[١] كما صرف مثلها على تعمير المساجد والحسينيات وبعثت (باهو بگم) زوجة شجاع الدولة ليحضروا لها شيئاً من تراب كربلاء والنجف يفرشوا به قبرها الذي صرفت عليه ثلاث لكوك. أما الملك غازي الدين حيدر (ملك أودة) فقد بنى حسينية في لكنهو تشبه في تصميمها ضريح الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. وقد اُنشئت في لكنهو ثلاث حسينيات، حيث كانوا يقيمون المجالس الحسينية أربعين يوماً ابتداءً من أول شهر المحرم.

وفي عهد القاجار ظهر التشبيه في المواكب، وتمّ تخصيص إحدى تكايا المتصوّفة في استراباد كمكان دائم للاحتفال بيوم عاشوراء، قد تكون أقدم حسينية في إيران، إلاّ أنّ الحسينيات انتشرت في الثلاثينيات من القرن (التاسع عشر الميلادي)، وصارت تشمل التمثيل المسرحي بالأحداث المأساوية ولطم الصدور والظهور بالأيدي والسلاسل حتى الإدماء.

---

(١) اللك مئة ألف.

وكانت الدولة في زمن ناصر الدين شاه قد أيّدت تلك المظاهر، فقد صدرت أوامر باعتبار أيام مواليد الأئمة ويوم الغدير أعياداً رسمية، فجرى الاحتفال بيوم ميلاد الإمام علي عليه السلام في (١٨٩٠) بالاستعراضات العسكرية والألعاب النارية، كما خصصت حسينية للدولة حضرها الأجانب من الدوبلوماسيين.

وممّا يذكر أنّ ضرب السيف بالرأس دخل العراق في القرن التاسع عشر بواسطة الشيعة الأتراك والفرس، وقيل: إنّ أوّل من مارسه زوار تبريز أو القفقاس، وإن الشيخ أسد الله الديزفولي المتوفّى (١٨٤٠) هو أوّل من أدخل لطم الصدور في الكاظمين.

فما ينبغي علينا اتّخاذه من حركة الامام عليه السلام يمكن التعرف عليها من أسباب قيامه ونتائج ذلك، ومتى ما فهمنا ذلك جيداً فإنّنا نتفهم كيف نعيد ذكراه. فالمجالس الحسينية هي مراكز تعليمية للتعرف على أهداف وغايات الإمام عليه السلام النبيلة وأغراضه ومقاصده الكريمة؛ لمعرفة ديننا الحنيف ومذهبنا السمح، فليس من الصواب أن نتخذ موقف السيدة زينب عليها السلام حينما ضربت برأسها في المحمل دليلا على ضرورة إجراء مظاهر الضرب بالأسلحة في الحسينيات، وإلاّ فكيف نوفق بين هذا وبين وصية الإمام عليه السلام لأخته السيدة الجليلة حينما لطمت وجهها وشقت جيبها عندما علمت بما سيحدث له فقال لها: «اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون وأهل السماء لايبقون، وإنّ كلّ شيء هالك إلاّ وجه الله، أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني، ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله أسوة. يا أُخية إنّي أقسم عليك فأبري قسمي، لاتشقي عليّ جيباً، ولاتخمشي عليّ وجهاً ولاتدعي عليّ بالويل والثبور إن أنا هلكت» أو لمّا ضرب الإمام عليّ عليه السلام فصاحت أم

كلثوم ابنته فقال: يا بنيّ لاتفعلين ولاتبكين فوالله لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت... ثمّ إنّ السيدة عليها السلام كما علمنا منذ قليل أقامت المجالس الحزينة على أهلها عارضة للمأساة مبكية للحاضرين، ولم يأت ذكر فيها لضرب أو لطم أو غيره.

ونحن عندما نطالع أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام نرى أنّهم شجّعوا على إقامة المجالس الحسينية وإعادة ذكرى الإمام عليه السلام وحركته المباركة، فشجّعوا الشعراء على نقل أخبار تلك الواقعة في أشعارهم، بل كانوا يطلبون من الناس أن: «أحيوا ذكرانا» مشجعين إظهار الحزن والأسى على الإمام عليه السلام وذكر آثارهم بالنياحة، كما أنّ هناك من الفتاوى التي أفتى بها علماء أجلاء طلبوا فيها الامتناع عن القيام بتلك الأعمال التي تسيء إلى الشيعة والمذهب أكثر ممّا تنفعه وتمدحه.

فالأفضل والجدير أن تحفظ حدود وضوابط هذا العمل المهم بحيث لايخرج عن حد قواعد الشرع المقدس وضوابطه، ولا يدع مجالا لأهل العناد والخلاف للاعتراض والطعن، ولاسيّما في عصرنا الذي اختلط فيه أهل المذاهب وتعاشروا معاً.

وتتجه اليوم أنظار الجهال وطلبة الدنيا إلى كلّ ذي منفعة حتى أصبح ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام وسيلة لتحصيل المال والتكسب، كما تجاوز الخطباء الحد باختلاق الحكايات المبكية ليدخلوها ضمن أحاديث تدعو لذلك، وتستمر هذه الأفاعيل والأكاذيب لتصبح قواعد ومبادئ ثابتة في الكتب الحديثة، مع أنّه ليس لها أثر لدى أهل العلم والحديث. كعرس القاسم في كربلاء. فالمعروف أنّ ذكر الإمام الحسين عليه السلام في مجالسه عبادة كسائر العبادات، فلا يقبل إلاّ إذا أريد به وجه الله ورضا رسوله والأئمة عليهم السلام.

وقال الإمام الحسين عليه السلام نقلا عن الإمام الصادق عليه السلام: «أنا قتيل العبرة؛ لايذكرني مؤمن إلاّ بكى» وقال الصادق عليه السلام أيضاً: «من أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أبكى واحداً فله الجنة، ومن ذكره فبكى فله الجنة».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «بلغني أنّ قوماً يأتون من نواحي الكوفة وناساً من غيرهم ونساء يندبنه، فمن بين قارئ يقرأ، وقاص يقصّ أي: يذكر المصائب، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي. الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد الينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا أو غيرهم يهذون بهم ويقبّحون ما يصنعون».

أمّا العلماء فإنّه لم يقبل كلّهم بذلك، بل رفضها بعض منهم وعارضها وخاصة في المبالغة بإيذاء النفس مع تأييد البكاء والحزن على المأساة. ومن أصدر تحريماً بذلك: السيد أبوالحسن الإصفهاني الموسوي، وسيد محمد مهدي القزويني، حيث أصدرا فتوى ضد اللطم والتطبير، واعتبروا هذا النوع من المراسيم أمراً محرماً غير شرعي.

وكذلك السيد محسن الأمين العاملي الذي عارضه علماء النجف وتطاولوا عليه، فهو كان أوّل من شن الحملة عليها وشجبها، فاعتبرت حملته أكبر حملة إصلاحية تناولتها الصحف والكتب في وقتها.

وكذلك هبة الدين الحسيني الشهرستاني النجفي[١]، انتقد التسوط في مجلة العلم الصادرة في بغداد ١٩١١ والسيد محمدعلي الشهرستاني، أحد كبار المجتهدين المجدّدين وفي طليعتهم والداعين إلى الإصلاح، أفتى في

---

(١) توفّى ١٩٦٧ ــ خليل حيدر: العمامة والصولجان.

تحريم نقل الجنائز من الأماكن البعيدة، فذلك يمس حرمة الميت. وفي تحريم ضرب الرؤس بالسيوف في محرم. وقد أخذت إيران بفتواه، إلاّ أنّه أحدث ضجة كبيرة في الأوساط الاجتماعية[١].

وأما محمّد جواد مغنية[٢] فيرى أنّ العادات والتقاليد المتبعة عند العوام لاتصلح أن تكون مصدراً للعقيدة؛ لأنّ الكثير منها لا يقرّه الدين الذي ينتمون إليه حتى لو أيدها وساندها شيوخ يتسمون بسمة الدين، منها ما يفعله بعض عوام الشيعة في لبنان والعراق وإيران من لبس الأكفان وضرب الرؤس والجباه بالسيوف في اليوم العاشر. إنّ هذه العادة المشينة بدعة في المذهب والدين أحدثها لأنفسهم أهل الجهالة دون أن يأذن بها إمام أو عالم كبير كما هو الشأن في كل دين ومذهب، إذ توجد به عادات لاتقرها العقيدة التي ينتسبون إليها. ويسكت عنها من يسكت خوف الإهانة والضرر، ولم يجرأ على مجابهتها ومحاربتها أحد إلا القليل من العلماء منهم السيد محسن الأمين العاملي الذي ألّف رسالة خاصة في تحريم هذه العادة وبدعتها وسمى الرسالة: «التنزيه لأعمال الشيعة».

الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

عاش خلال الدولة الأُموية في أيام يزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، فعاصرهم، وشاهد الأحداث التي جرت في زمنهم، فهو كان ممّن حضر مأساة أبيه الحسين عليه السلام وعائلته

---

(١) عمل وزيراً للمعارف العراقية.

(٢) الجوامع والفوارق: ص١٨٤.

الطاهرة في كربلاء، واشترك معهم في تلك الملحمة الرائعة، إلاّ أنّه لم يقم بأي عمل حربي نتيجة اصابته بالمرض وتدني حالته الصحية ممّا لم تسمح له بالاشتراك فيها، فأصبح ضمن الأُسراء الذين سيقوا إلى الشام مع أهل بيته.

إلاّ أنّه حين رجع معهم إلى بلادهم لم يبق ساكناً، بل اشترك مع عمته السيدة زينب عليها السلام في إثارة الناس على يزيد، والكراهية له، وشحن النفوس بالحقد على الظالمين، وتهيئتها للثورة في الوقت المناسب. فقد تركز نشاطه السياسي ــ كما ذكرنا ــ في ترديد المأساة وإقامة المجالس الحسينية، يذكر فيها أحداث المجزرة لتلهب النفوس وتهيئتها لعلّها تعيد النظر في موقفها السلبي والتخوف من الحكام الجائرين؛ لتؤدّي عملاً ثورياً نحو تلك النظم غير الصالحة للمجتمع الإسلامي. فأحاط به الناس واتّخذوا دار السيدة مركزاً لتجمعاتهم، ممّا استدعى والي المدينة الذي أظهر الخوف من هذا الموقف الساخن، فكشف إلى يزيد خطورة الموقف وما سينطوي عليه من نتائج وأخطار بعيدة المدى: (فقد عزمت هي ومن معها على القيام للأخذ بثأر أخيها الحسين عليه السلام) ممّا اضطر يزيد أن يطلب منه نفيها إلى أية جهة تختارها.

أمّا الإمام السجاد عليه السلام فلم يغادر الحجاز، بل بقي فيها ليؤدّي دوره الديني الذي فرضه الله عليه نحو المسلمين، فدعا الناس إلى الصبر على ظلم الأُمويين، حتى ثار المجتمع المدني ثورته المسلحة بزعامة عبد الله بن حنظلة الأنصاري الصحابي المنعوت بالراهب، متأثراً بمبادئ وأهداف حركة السيدة زينب عليها السلام والإمام السجاد عليه السلام السلمية، فأعلن خلع يزيد، وطرد عامله عثمان بن محمد بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم وسائر بني أُمية، الذين تجمعوا في دار مروان، فحاصرهم الثوار، وتمكنوا من إخراجهم من المدينة بعد أن

رموهــم بالحجــارة، فأدى الأمر أن يغضب يزيد، فهددهم بالتشريد والقتل، وأرســل إليهم جيشاً قاسياً كبيراً يقوده: مسلم بن عقبة الذي سُمي مجرم بن عقبة لسوء ما فعل، فاصطدم جيشه المؤلف من خمسة ألآف فرد بأهل المدينة الآمنيــن فــي موقعة الحرة، وأتى بأفظع الأفاعيل والمذابح ممّا أنكره جميع المؤرخيــن، كما أنّــه بعد تلك المجازر والنهب والسلب والقتل والاغتصاب أباح المدينة المنوّرة ثلاثة أيام للجند، فقتلوا وسلبوا أبناء المهاجرين والأنصار فُقــدر عدد من قتل من أصحاب الرسول ﷺ ثمانين ومن قريش والأنصار ٧٠٠ بالإضــافة إلــى عشــرة آلاف آخرين، كل ذلك في سبيل إرضاخهم وإهانتهم بقبول البيعة ليزيد، فبايعوا مرغمين على أساس أنّهم عبيد له.

أمّــا دور الامــام السجاد عليه السلام فقد برز في هذه المحنة العصيبة والفترة المضــطربة مــن تاريخ المدينة المنوّرة، حيث استجار به مروان بن الحكم يُلجــيء عنده حريمه وأهله، فلم يرفض الإمام عليه السلام بل ألجأهم في الوقت الذي رفــض عــبدالله بن عمر ذلك، فالإمام السجاد عليه السلام تعامل مع العدو بأُسلوب إنساني وسلوك إسلامي، فأرسلهم إلى ينبع حيث الأمان. كما أنّ نساء المدينة الــتجأن إليه فراراً من المضطهدين الأجلاف، وكنّ ٤٠٠ واحدة، فأمنهنّ من الخوف وأطعمهنّ حتى نهاية المأساة. فالإمام عليه السلام لم يكن منعزلا عن الأحداث والوقائع التي جرت في أيامه، بالرغم من تأثره بالمأساة الكبرى التي حدثت لأهلــه، وتخلّصــه للعبادة. وكان الإمام عليه السلام قد صاغ أفكاره الثورية وآراءه السياســية ومــبادئ الإســلام في (الأدعية السجادية) حيث دعا إلى محاربة المشــركين والكفــار، وشــرح أحوال المسلمين في عهده، وأوضح الحقوق والواجــبات والفروض التي ينبغي على المسلم اتّباعها، وحقوق الإنسان في المجــتمع الذي يعيش فيه، وبالرغم من أنّــه ابتعد عن المجريات السياسية،

فإنّه قد تعرض للموت مراراً، فقد حكم عليه بالإعدام ثلاث مرات، ولكنّه نجا منها كلّها، ففي خلال معركة كربلاء انقذه المرض من الموت، وفي مجلس ابن زياد أمر بقتله فدافعت عنه السيدة زينب عليها السلام، أما في الشام فقد قرر يزيد قتله، إلاّ أنّ الله دفع عنه السوء وحفظه.

كما أنّ كثيراً من قواد الثورات عرضوا عليه زعامة تلك الانتفاضات، فقد دعاه المختار بن أبي عبيدة للخروج إلى الكوفة مشتركاً معه في الثورة على النظام الحاكم، ولكنّه رفض عرضه حيث قال في أهل الكوفة: «أيّها الغدرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم آبائي من قبل؟!»

ولكنّه في نفس الوقت كان يشجع من أراد الثورة على الحكم السائد مثل ما أيّد ثورات المختار بن أبي عبيدة، كما شجّع الشعراء فيما يذكرون عن أحوال المجتمع الإسلامي مثلما قام به من تشجيع الشاعر الكميت بن زيد... كما أنّه قال: «لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته» وفي حديثه لمحمد بن الحنفية: «قد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت».

كما تودّد إليه عبد الملك بن مروان، لعلّهُ بذلك يتمكن من أن يهدّئ غضب الناس وسخطهم على بني أُمية، بالرغم من أنّه أراد أن يحبسه، ولكنه أطلقه حين عرف أنّه لايعمل للقضاء على حكمه.

وخاف منه هشام بن عبد الملك لمكانته السامية، حتى إنّه لم يفصح عن شخصيته في الحرم وهو يقبل الحجر الأسود ويتفرق عنه الناس مفسحين له، فلم يعلمهم باسمه عندما سألوا عنه؛ لئلاّ يفتتن الناس وأهل الشام خاصة به. وأوصى ولديه الإمام الباقر عليه السلام وزيد بعدم الإقدام على أية حركة عسكرية

ضد النظام باستشارة أهل العراق، ففي مأساة كربلاء وما قبلها عبرة.

ولــذا فإنّ الإمامعليه السلام نظراً لتلك الأحوال السيئة والمناخ الرديء الذي تميّز به المجتمع في ذلك الوقت، انشغل بتعليم الناس ما يهمّ دينهم، فنشط في هذا المجال طوال عمره الشريف، فقد كان خير وسيلة لتعريف الناس بطبيعة الحكم وأساليب الحكام في إدارة وسياسة الدولة والتعامل مع الجماهير، وهو مــا ســيؤدّي حتماً إلى تأثير ذلك في عدد من الأفراد، فيقوموا بتنفيذ أفكاره وتعاليمه عملياً في المستقبل. وهو الأُسلوب الذي دعا إليه الرسولصلى الله عليه وآله حين أخبر أباذر: أنّ تغيير الأحوال في المجتمع ليس بالضرورة أن يحدث بطريق القــوة، بــل يمكن حدوث ذلك باللسان، أي: بالإعلام ونشر الأفكار المضادة لــتلك الــنظم. وما أكثر ما حدث من ثورات وتمرّدات وانتفاضات مناهضه للحكــم الأُمــوي أيام الإمام السجادعليه السلام، فقد اشتعلت الفتنة بين البيت الأُموي نفسه حين ثار مروان بن الحكم على السفيانيين، ونجح المروانيون في استلام الحكم، كما شاهد ابن الزبير يعلن نفسه خليفة في الحجاز ويحارب بني أُمية حاكمـــاً بعد آخر، كما سمع عن ثورة المختار النارية ونجاحه في الانتقام من قتلة أبيهعليه السلام ممّا سره ذلك كثيراً، كما عاصر ثورة عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج بن يوسف، والتى اشترك فيها معظم طوائف وعناصر الجماهير الإســلامية. كما أنّــه عاش في عصر الحروب والفتوحات التي قام بها عدد كبــير مــن القــواد الماهرين الذين تمكنوا من فتح مناطق جديدة في الشرق والغرب.

وخــير ما ذكره الإمامعليه السلام عن مميّزات وخصائص عصره قوله: «إنّ الناس في زماننا على ست طبقات: أسد وذئب وثعلب وكلب وخنزير وشاة:

أمّا الأسد: فملوك الدنيا يحبّ كلّ واحد أن يغلب ولا يغلب.

والذئب: فتجاركم، يذمون إذا اشتروا، ويمدحون إذا باعوا.

والثعلب: هم الذين يأكلون بأديانهم ولايكون في قلوبهم ما يصفون بألسنتهم.

والخنزير: هم المخنثون وأشباههم لا يدعون إلى فاحشة الا أجابوا.

وأمّا الكلب يهر من على الناس بلسانه ويكرهه الناس من شر لسانه.

وأمّا الشاة: الذين يجزون شعورهم، ويؤكل لحومهم، ويكسر عظمهم. فكيف تصنع الشاة بين أسد وذئب وثعلب وكلب وخنزير؟!»

وقد اتّخذ الإمام عليه السلام الدعاء أساساً له في الصحيفة السجادية، فأظهر بلاغته وأساليبه في التعبير وثقافة غير محدودة، من تجسيد المعاني والقيم والأهداف، فأشاع جواً روحانياً ساهم في تثبيت الإنسان المسلم أمام التيارات الجارفة والمغريات، ليرشد إلى ربه كما نشأ عليه. فالصحيفة تعبّر عن عمل اجتماعي عظيم فرضته الفترة السائدة فأصبحت تراثاً فريداً، وسيظل مدى الدهر مصدراً وهادياً ومدرسة أخلاق وتهذيب للإنسانية، فهي ردّ فعل تعكس الصورة الحقيقية للوضع الراهن وتعبر عنها.

وما مرّ من أحداث ومشكلات وما جرى في المجتمع الإسلامي من أخطار وأحداث مؤلمة كشهادة أهل البيت عليهم السلام في كربلاء، ومهاجمة المدينة المنورة ومكّة المكرمة، وحرق الكعبة، والقتال في الحرمين الشريفين، وما جرى للمسلمين من تمزيق وتقسيم، وحروب أهليّة ساخنة.

فالموضوعات التي تتناولها الصحيفة السجادية اهتمت بالجوانب التالية:

ـ التمسك بالوحدانيّة وعبادة الله سبحانه وتعالى.

ـ محبّة أهل البيت عليهم السلام وتأكيد أحقّيتهم في قيادة المجتمع الإسلامي.

ـ التمسك بمكارم الأخلاق والتقيد بها.

ــ الاعتناء بإيجاد الحلول للقضايا المعاصرة والأحداث الجارية.

ــ بيان الوضع المتردّي والسيىء للمسلمين.

ــ الحث على تماسك المجتمع بكلّ طوائفة، والتعارف بين بيئاته.

ــ الاهتمام والاعتناء بالمناسبات الإسلامية الخاصة، كالاعياد، وشهر رمضان، ويوم عرفة، والتمسك بأداء الفرائض، وتفسير ماتعنيه تلك المناسبات في تماسك المجتمع ووحدته ليبقى قوياً.

ــ التاكيد على حقوق الوالدين وأثرهما في المجتمع الإسلامي.

ــ الحروب والفتوحات الإسلامية والتوسع في الدولة الإسلامية.

ــ الحث على حرب أعداء المسلمين ونشر الاسلام والعدل والخير.

الإمام الباقرعليه السلام:

عاصر من حكام الأُمويين: مروان بن الحكم، وعبدالملك بن مروان، والوليد بن عبدالملك، وسليمان بن عبدالملك، وعمر بن عبدالعزيز، ويزيد الثاني، وهشام بن عبدالملك. ولحق بيزيد في طفولته المبكرة، فقد شاهد مأساة كربلاء وما جرى لأهل بيته من مصائب وآلام بعد ذلك؛ ولذا فقد انصرف عن السياسة وشؤونها بعد ما رأى خذلان الناس أجداده وآباءه في مواقفهم العادلة أمام الظلم. فهو قد شاهد وحضر جميع الأحداث التي مرّت بالعهد الأُموي، من خلافاتهم وحروبهم الأهلية والخارجية، وثورات الخوارج والعلويين وغيرهم، وسوء تصرفات الحكام نحو أفراد المجتمع الإسلامي، وما قام به عمر بن عبدالعزيز من تغيير الاتجاهات وتعديل سلوك الحكام.

ولمّا كان يعيش في فترة نهايات العصر الأُموي، فقد ساعدته الظروف في نشر علوم أهل البيت؛ إذ تميّز عصره باعتدال الأحوال نحو الشيعة إلى

حـــد مـــا؛ وذلك لانشغال الحكام بالقضاء على الفتن والاضطرابات الداخلية، وخاصـــة تلـــك الأجـــواء التي اضطرب فيها الحكام أنفسهم، والولاة والقادة الفاتحيـــن للأراضـــي الجديدة، ورغبات الشعوب الجديدة التي دخلت الإسلام حديثاً، مثلما جرى من الأحداث بين سليمان بن عبدالملك ومنافسيه من أهله، وما أظهره عمر بن عبدالعزيز من سخط وعدم رضا بالوضع المتردّي للدولة والأُمة، وما حدث من نهايات غامضة مثيرة لأشهر القواد الذين فتحوا الأقاليم الجديدة، مثل: محمّد بن القاسم، قتيبة بن مسلم، موسى بن نصير، وما جرى لهـــم مـــن تعذيب وحبس ومصادرة أموال، وما قام به سليمان بن عبدالملك عـــندما أطلق الأسارى، فأخرج من السجون ألآلاف حتى قيل: إنّه أعتق في يوم واحد سبعين ألف مملوكاً ومملوكة. واتّجهت الدولة إلى الضعف في عهد هشام نتيجة انتشار النزعة القبلية والعصبية الساخنة، فساعد كل ذلك الشيعة علـــى تحقيق انتصارات في خراسان، ونجاح بعض الثورات هنا وهناك، إلاّ أنّ هشام اشتد في معاملة الشيعة بعد ثورة زيد بن عليّ حتى منعهم من زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

وقـــد دخل على هشام بن عبد الملك في الشام رافعاً يده وسلم: السلام علـــيكم ثـــمّ جلس من دون إذن منه، ممّا أقلق هشام؛ إذ إنـــه لم يسلم عليه بالخلافـــة كما جلس بغير إذن منه، فأخذ يوبخه، إلاّ أنّ الإمام عليه السلام تكلّم بكلام حســـن عن أهل بيته، ولكنّ هشاماً أمر بحبسه، فقام المسجونون بخدمته، ممّا جعله يطلقه ويرجعه إلى المدينة.

وقد جرت بين الإمام الباقر عليه السلام وأخيه زيد مناظرات بخصوص تلمذته علـــى يد واصل بن عطاء، فهو كان يقتبس العلم ممّن يجوّز الخطأ على جده الإمام عليّ عليه السلام في قتله الناكثين والقاسطين والمارقين، وممّن يتكلّم في القدر

علــى غــيرما ذهــب إليه أهل البيتعليهم السلام، وممّن كان يشترط الخروج على الحــاكم الجائــر شرطاً في كون الإمام إماماً، حتى قال الإمام الباقرعليه السلام: إنّه علــى مقتضـــى مذهبك، فإنّ والدك ليس بإمام؛ لأنّه لم يخرج قط ولاتعرض للخــروج. ولكن برغم ذلك فإنّ الإمام الباقرعليه السلام أيد زيداً في حركته الثورية أيام هشام بن عبد الملك.

وقــد ناظــر الإمام الباقرعليه السلام قائد الخوارج الأزارقة نافع بن الأزرق، وناضـــل سياســياً واجتماعياً ضد الغلاة والمتطرفين خاصة بيان بن سمعان التميمـــي الذي دعا إلى نفسه، وكان قائد البيانية الغلاة القائلين بألوهية الإمام عليّعليه السلام والذى كتب إلى الإمامعليه السلام: أسلم تسلم ويرتقي من سلم، فإنّك لاتدري حيث يجعل الله النبوة. فما كان من الإمامعليه السلام الا أن أمر رسوله عمر بن أبي عفيف أن يأكل قرطاسه الذي جاء به فأكله فمات.

فالإمـــام الـــباقرعليه السلام رأى فـــي عصــــره فسحة في أن ينشر المبادئ الإســـلامية وأفكـــار أهـــل البيت، واستغل ذلك تماماً ما وسعه ذلك، وهو ما سنتناوله في الباب المخصص للجانب الاجتماعي والعلمي لحياة الأئمةعليهم السلام.

الإمام جعفر الصادقعليه السلام:

عـــاش في فترة مضطربة للغاية، حيث زاد عدد الحكام، لقلة الأعوام التي حكم فيها كلّ منهم، فقد عاصر الإمامعليه السلام: الوليد بن عبدالملك، هشام بن عبدالملك، الوليد بن يزيد، يزيد بن الوليد الناقص وهو الثاني، ويزيد الثالث، ســـليمان بن عبدالملك، وعمر بن عبد العزيز، إبراهيم بن الوليد، مروان بن محمّد. وقد حكم هشام بن عبد الملك عشرين عاماً أمّا الآخرون فقد حكم كلّ منهم ما بين سنة واحدة وأربع سنوات.

كمـــا عاصـــر الإمامعليه السلام الفترة الأُولى للدولة العباسية، فعاش أيام أبي العـــباس الســـفاح وسنوات من حكم أبي جعفر المنصور. فالإمامعليه السلام عاش ثمانـــية وأربعين عاماً مليئة بالأحداث المؤلمة والظالمة، سواءً في حقّ أهل بيـــته أو الـــناس الآخرين ممّن طلب الإصلاح والحق والعدالة في الجوانب السياســـية أو الإجتماعية أو الاقتصادية، فقد تعرّض الكثير للعنف والعسف، نتـــيجة وضع الضرائب الثقيلة على كاهلهم أو وسائل تحصيلها. كما تعرّض نفر للاضطهاد الديني الذي حلّ بالمسلمين وبأهل الذمة أيضاً، وشهد الأحداث المثـــيرة والمعـــارك والحروب الأهلية بين الأطراف الإسلامية المتصارعة والتي أنهت الدولة الأُموية وأقامت الدولة العباسية الجديدة.

وقـــد انحصرت زعامة الشيعة في الإمامعليه السلام منذ أواخر العهد الأُموي وأوائل العصر العباسي، فالتف حوله العلويّون؛ لحسن سياسته في تلك الفترة، فلـــم يوافـــق على القيام بالثورة على الدولة الأُموية أو قيادتها، أو أن يتولّى الخلافـــة، أو أن يـــبايع لأحد من أسرته. فكثير ما طلب منه الثوار أن يتولّى الخلافة، إلاّ أنـــه رأى أن يستمر في دوره العلميّ، فهو أنفع للناس؛ إذ قال: «مـــن طلـــب الرياسة هلك». فكان من الزاهدين فيها؛ لما شاهده من أحداث مؤســـفة ومؤلمة تجاه الأُمة، كالذي جرى للإمام عليّ والحسن والحسينعليهم السلام في العراق.

فهـــو منذ رأى بطش الأُمويين بآل البيت الكرام وأنصارهم اتّخذ مبدأ التقـــية، فلـــم يجهر بالعداء لهم اتّقاء شرهم، وآثر أن يهب نفسه للعلم، حيث رأى أنّ خـــير مقاومة للبغي والظلم هو الكلمة المضيئة؛ لتنير للناس طريق الهداية، وتحركهم إلى اتّخاذ الدفاع عن حقوق الإنسان وحماية مصالح الأُمّة، هدفاً يمثّل الشريعة. فاتّخذ جهاده في وقته صورة القلم مثلما يحدث في أيامنا

هــذه، عندما يكتب الكتاب وينتقدون الأوضاع في الصحف والمجلات؛ إذ إنّ ميدان الجهاد لايقتصر على الحروب والمعارك، والثورات المسلحة واستخدام العنف، بل تتعدّد وسائله وأساليبه؛ إذ إنّ قبل أيام الإمام لم يعرف اُسلوب غير العــنف والثورات الدامية طريقاً للمعارضة أو الانتقاد، ولكنّ الإمامعليه السلام الذي تعلّم من الرسولصلى الله عليه وآله وأهل بيته: «إن طلب العلم ونشره جهاد في سبيل الله». ولــذا فقد اتّخذ نهجه في عدم تشجيع الأنشطة السياسية. فعندما بدأت الثورة العباسية في خراسان بعث إليه قائدها أبو مسلم الخراساني: «إني قد أظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني اُمية إلى موالاة أهل البيت، فإن رغبت فــيه فلا مزيد عليك» فرد عليه الإمامعليه السلام: «ما أنت من رجالي ولا الزمان زمانـــي». ممّا جعل أبا مسلم يتجه نحو العباسيين، فراسل أبا العباس عبدالله بــن محمّد السفاح ليقلده أمر الخلافة. فالإمام الصادقعليه السلام كان قد أخرج أهل خراســان من الشيعة موطن ثورة العباسيين قائلا: ومتى صار أهل خراسان من شيعتك وهم يدعون إلى غيرك، قد علم الله أني اُوجب النصح على نفسي لكــل مسلم، فهم يدعون الى العباسيين لا العلويين. فقد كانت خراسان توالي معاويـــة وبني اُمية حتى أيام المأمون العباسي، فلم يتشيع أهلها إلاّ متأخرين، كما أنّ أبا مسلم استخدم أشدّ أعمال العنف والقسوة نحو الشيعة في نيسابور.

وكذلك رفض الإمامعليه السلام الخلافة عندما عرضها عليه أبو سلمة الخلال أحــد قــادة العباسيين؛ لمعرفته بنوايا القوم، وهم أهل الكوفة، لما أحدثوه مع أجــداده من قبل، فكان قد فقد الثقة بالمسلمين في نصرة آل البيتعليهم السلام؛ ولكنّ الإمـــامعليه السلام بالرغم من تقيده بالابتعاد عن السياسة ومشاكلها فإنّه لم يسلم من مضايقة هشام بن عبدالملك وعماله، حيث شاركه نفس الموقف السياسي أبو حنــيفة وواصـــل بـــن عطاء. كما أنـــّه في الدولة العباسية حاول المنصور

العباسي قتله سبع مرات، إلاّ أنّ الله نجاه منه. فقد اتّهمه بإثارة الناس وتشجيع الثورات على الدولة، كما أنّه حقد عليه وحسده لما رأى مكانته بين الناس وتجمعهم حوله، إلاّ أنّ الخوف من رد الفعل والنتائج العكسية منعته من تنفيذ هدفه بالتخلّص منه.

فالإمام عليه السلام اتّخذ طابع السلم لثورته وأفكاره بنشر التعاليم الإسلامية الصحيحة وتوضيحها وتثبيتها في قلوب الأفراد، فكان من الرصانة في التفكير وبعد النظر في أحوال الناس بحيث لم يغامر في التصدي للحكم الأُموي والعباسي، فاستطاع بحكمته أن يترك لمن خلفه تراثاً غنياً في المعرفة والأخلاق. وكان يشاهد بعض الفقهاء والعلماء قد صانعوا الحكام، فباعوا شرفهم من أجل المنصب والجاه، فحرص على حماية الأُمة من سموم هؤلاء المرتزقة، وعلم أنّ هناك من استمر وتابع سب الإمام عليّ عليه السلام والزهراء عليها السلام على المنابر بعد أيام عمر بن عبدالعزيز، فذهب ليستمع إليهم، فقاطع أحدهم وكشف جهله ونفاقه، وأوضح للناس أنّ أحد هؤلاء المنافقين مستعد لأن يبيع ضميره وشرفه في سبيل الحصول على المنصب والجاه والمال، أي: أن يبيع آخرته بدنياه. فالإمام عليه السلام مع حذره وحرصه على أن يبتعد عن السياسة، إلاّ أنّه رأى أنّ كشف الجهالة واجب شرعي؛ إذ لم يتمكن من السكوت عن التزييف، وألمه أن تنحدر الأُمة ومن ينتسب إلى العلم والثقافة والدين والفقه إلى النفاق والمراءات وبيع الضمير.

وأراد المنصور العباسي أن يأخذ رأيه في إنزال الشر بالكوفة وأهلها؛ فقال: «إنّي قد هممت أن أبعث إلى الكوفة من ينقض منازلها ويحجّر نخلها ــ أي يقطع جمارها ــ ويستصفي أموالها، ويقتل أهل الريبة منها، فأشر عليّ. فأجابه الإمام عليه السلام: أنّ المرء ليقتدي بسلفه، ولك أسلاف ثلاثة: سليمان

أُعطـــى فشـــكر، وأيوب ابتُلي فصبر، ويوسف قدر فغفر، فاقتدِ بأيهم شئت. فصمت قليلا وقال: قد غفرت». فالإمامعليه السلام هنا استخدم أحداث التاريخ القديم فـــي حـــل المشـــكلات السياسية، إذ إنّ السياسي الماهر يعرف بقدر معرفته بالـــتاريخ الذي هو أفضل مجال للخبرات والتجارب ويستفيد منها السياسيون عادة.

فعصـــر الإمـــامعليه السلام الذي كان بين نهاية الدولة الأُموية وبداية الدولة العباســـية، اتّســـع فـــيها المجال، فارتفع كابوس الظلم وحجاب التقية، مكنته مـــن التوســـع فـــي نشرالأحاديث النبوية والأحكام الإلهية، وهو ماسنعرضه في الفصل القادم لمعرفة الأحوال والأجواء السياسية والاجتماعية في العصر الجديد الذي سيعيش في ظلّه بقية الأئمةعليهم السلام منذ عصر الإمام الصادقعليه السلام.

الفصل الخامس

الــدولة العباسية

ـ أحوال العالم الإسلامي في العصر العباسي

ـ دور الأئمّة عليهم السلام في العصر العباسي

الدعوة العباسية ونشأة دولة بني العباس:

ابتدأت الدعوة للدولة العباسية منذ عام ١٠٠هـ على يد عليّ بن عبدالله بن عباس، إذ إنّ العباسيين من ولده، وكان عبد الله بن عباس قد (توفى ٦٨ هـ) ولم يعقب أحد من إخوته، فظهر البيت العباسي من نسله. وقد ولد عليّ هــذا فــي الليلة التي استشهد فيها الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام في ٤٠ هـ فسمي باسمه وكنّي بكنيته أبو الحسن. وهو أصغر أولاد أبيه، كان سيداً شريفاً، أقطعه الأمويّون قرية الحميمة بالشام في طريق المدينة من دمشق قرب الشوبك من إقليم البلقاء، فأقام فيها، وولد أكثر أولاده فيها. وتُوفّي (١١٧هـ) بعد أن أعقب ٢٢ ذكراً و ١١ أُنثى، فكان البيت العباسي منهم، فكثروا وتوزعوا في أقاليم العالم الإسلامي. ثمّ تزعمّ البيت العباسي أكبر أولاده: محمد، والد كلّ من: الإمام إبراهيم وأبي العباس السفاح، وأبي جعفر المنصور. فقد اختار العباسيون محمداً إماماً، في الوقت الذي تُوفي فيه الإمام الباقرعليه السلام وعليّ بن عبدالله بن عباس، كما اختار الشيعة والعلويون في نفس الوقت الإمام الصادقعليه السلام إماماً لهم.

والبيت العباسي كان مسانداً للعلويين منذ أيام الرسولصلى الله عليه وآله حيث ساند

العــباس بــن عبدالمطلب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في مطالبته بالخلافة حتى وفاته في (٣٢هــ) خلال حكم عثمان بن عفان. وكذلك ابنه عبدالله وقف بجانــب الإمــام عليّ والحسن والحسين عليهم السلام وأمضى بقية عمره في الطائف فــتُوفّى بها في (٦٨هــ). أمّا ابنه عليّ فهو الذي منحه عبدالملك بن مروان الحمــيمة ــ شرقي نهر الأردن ــ للإقامة فيها مع أفراد أسرته؛ لكي يسهل عليه مراقبتهم وتتبع نشاطهم السياسي. وبالرغم من أنــّه برز فيهم منذ وقت قريــب ومتأخر إلاّ أنــّه نجح في الاستئثار بالأمر وخاصة بعد استشهاد زيد بن عليّ ويحيى بن زيد.

وخــلال الأحــداث المضــطربة التي جرت للبيت الأُموي في أواخر أيــامهم: مــن انقسامات حادّة، وحروب أهلية جاهلية، تُوفّى محمّد بن عليّ، فاستلم الإمامة بعده ابنه إبراهيم الذي اتّصل به أبو مسلم الخراساني الذي كان علــى علاقــة قوية مع أبيه محمّد منذ (١٢٥هــ)، فأقرّه الإمام إبراهيم على خراســان، وشجّعه على قتال الكرماني وشيبان الحروري الذي تخلّص منه وقتله في سرخس،(أي: قتل شيبان).

وقد ادّعى العباسيون أنّ حقّ الإمامة انتقلت إليهم من أبي هاشم عبدالله بن محمّد الحنفيّة، إذ إنّ سليمان بن عبدالملك كان قد قتل أبا هاشم بالحميميّة بالســم، فادّعى العباسيون أنّ أباهاشم قد أوصى بالخلافة والإمامة إلى محمّد بــن علــيّ (١١٧ ــ ١٢٥هــ). وكان أبو هاشم قد نظّم الدعوة وجاهد في صفوف الشيعة، غلاةً ومعتدلين، للإطاحة بالأمويين، كما أنّ أنصار محمّد بن الحنفيّة قد ساندوا زيد بن عليّ في ثورته، وحذره ابن عمه داود بن عليّ من خــيانة أهل الكوفة لــه. كما أنّ محمّد بن الحنفيّة قد تضامن ــ أيضاً ــ مع الإمام الحسين عليه السلام في نهضته؛ ولذا فانه لم يتنازع وأسرته الأمر مع العلويين؛

إذ اتّفق على أنّ أيّهم قام بالدعوة أُعتبر أنّه أدّى ذلك عن الجميع، ممّا يعني: أنّ الصلة كانت وديّة قويّة بينه وبين ذرية الإمام عليّ عليه السلام. فالهاشميون أجمعوا على أنّ محمّد بن الحنفية قد أوصى إلى ابنه عبدالله (أبو هاشم) بالإمامة من بعده، فلم يتوقع أحد منهم أن يفوز العباسيون من آل محمد بالحكم والإمامة.

لماذا الثورة على الأمويين؟

أُطلق على ثورة بني العباس ثورة الفرس الإيرانيين على الحكم العربي؛ ولذا اعتبرت مساوئ الحكم الأُموي في الجانب العنصري أساساً أولياً للثورة عليه في إيران، فقد تجمّعت طاقات عظيمة من السخط في نفوس الشعب الفارسي على هذا الحكم ومساوئه، حتى وضحت سياسة التراجع الأُموي في هذه الفترة أمام التيار الإسلامي الصاعد.

وتُعد السياسة الاقتصادية الأُموية هي أقوى العوامل لهذه الثورة، فإذا كانت قد حقّقت بعض المكاسب الوقتية لهم فإنّها أدّت في النهاية إلى اضطرابات اقتصادية تسبّبت في الثورات المختلفة وإنهاء الدولة.

كما أنّه كان لهجرة الكثيرين من الريف إلى المدن أثرها في تفشّي البطالة وسوء الأحوال، فازدحمت المدن بالناس وازداد العاطلون الساخطون على أوضاعهم، ممّا جعلهم يشتركون في الحركات الشعبية والتمردات المتعدّدة. وحينما أوقف الحكام تيار الهجرة من الريف إلى المدن كان يعني أنّهم قاوموا الحركة الإسلامية الصاعدة القوية.

وفي الواقع: أنّه منذ الثورة على عثمان بن عفان برز هؤلاء بقوتهم الجديدة، حينما اشترك فيها طبقة من المهاجرين، واستمر ذلك في العهد

الأُموي كلّه إذ هاجرت الأزد إلى خراسان، فتجمع بها من العرب نحو ٢٠٠ ألف أسرة عربية. كما أنّ الأُمويين شجّعوا سياسة إسكان العرب في أنحاء إيران. واصطحب الجندي العربي أسرته وأهله معه عندما كان يشترك في فتوحات إيران؛ لأنّه كان ينوي الاستقرار في تلك البلاد والمناطق الجديدة، فاستمرت تلك الهجرات منذ أيام عمر بن الخطاب، ممّا أدّى إلى نشوء طبقة جديدة من المولدين نتيجة التقارب بين العنصرين العربي والفارسي، كان آباؤهم عرباً وأمهاتهم من غير العرب، ستصبح بعد ازدياد عددها عماد الحركة الإسلامية في إيران، بل عماد التطور الإسلامي في إيران كلّها.

ولم ينتبه أحد من الحكام ليعرف أنّ الموالي كانوا أسرع من العرب في تقبل الحضارة والتطور الثقافي؛ إذ ظهر منهم في ميدان الأدب والفقه والعلوم الأُخرى، فشعروا بأهميتهم، وأنّهم ليسوا أقل من العرب، بل إنّهم أحق بالحصول على المساواة والحرية. ومنذ ذلك فهي ستصبح عماد الثورة العباسية، وتلعب ـ بعدئذ ـ الدور الأوّل في التاريخ العباسي.

ومن جهة أُخرى فإنّ الانقسام بين العرب في فارس ساعد في زوال ملك بني أُمية؛ لأنّهم نقلوا معهم إلى تلك الجهات نفس بذور الانقسام التي كانت موجودة في بلادهم في جزيرة العرب، وهو النزاع التقليدي بين عرب الشمال والجنوب، وبين قحطان وعدنان، ممّا أدّى إلى ضعف النوع العربي، وحدث الانقسام والحروب، الأمر الذي مكّن الموالي في النجاح في ثورتهم مع بني العباس.

وعندما نرجع إلى الوراء قليلا إلى أوائل العهد الأُموي، نلاحظ أنّ الفرس كانوا قد سخطوا على نظام الحكم وإدارته منذ ذلك الوقت، وهو ما يؤكّده اشتراكهم في جميع الثورات التي اندلعت في تلك الفترة، فقد تحالفوا

مـــع الشيعة في ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي، فاشترك معه ثلاثون ألفاً من الفرس المسلمين، ممّا احتسب بمثابة التعبير الأوّل عن أهدافهم ورغباتهم المــتزايدة فـــي الحصول على حقوقهم المشروعة في المساواة والحرية. كما ظهــروا بــأعداد كبـــيرة في ثورة عبدالرحمن بن الأشعث التي عدّت ثورة فارسية حقيقية تناسبت مع زيادة التيار الإسلامي، فاشترك فيها عشرون ألفاً مـــن المقاتليـــن الإيرانيين. واندفعوا ــ أيضاً ــ بالإنضمام إلى معظم ثورات الخـــوارج التـــي انتشرت وتوزّعت في بقاع العالم الإسلامي، وثورة الزنج والقـــرامطة وغيرهم. كما عبّرت ثورة أبي مسلم بعد ذلك عن وجهة النظر الفارسية.

وبالـــرغم مـــن أنّ الأُموييـــن حاولوا تغيير سياستهم أيام سليمان بن عـــبدالملك؛ لاسترضـــاء طبقات المسلمين وخاصةً الفرس، من عزل الولاة المعيّنيـــن من قبل الحجّاج، وإخراج الآلاف منهم من السجون، وإشراكهم في الجـــيش، ومضاعفة عطاء الفرد، والتعديل في سياسة وقف الهجرات، إلاّ أنّ الوضع كان ساخناً لم يساعد في التهدئة والانتماء.

وكذلـــك حـــاول عمر بن عبدالعزيز من جانبه، فطبّق سياسة الترضية والمسالمة، لمواجهة التيار الإسلامي الجديد، أو سياسة التوفيق بين هذا التيار والمصـــالح الإسلامية الرئيسة، فطبّق سياسة أنصاف الحلول حينما ضاعف الجـــزية علـــى من بقي على دينه، وضاعف الخراج على أهل الذمة، وأباح الملكـــية للمسلمين، إلاّ أنّ طبقات المسلمين من أهل إيران نظروا إلى أنفسهم الأهلية والأحقية أكثر من غيرهم، فطلبوا المزيد؛ لأنّهم هم الذين تولوا الدفاع عن الإسلام بعد أن تسلّموا زمامه فدافعوا عنه كما دافع عنه العرب.

وهكـــذا ســـارت الحركة الإسلامية في طريقها تتّخذ صورة أو شكلا

جديداً بالتحالف بينها وبين الدعوة الهاشمية العلوية أو العباسية، فتمضي حتى عـــام (١٣٢هـــ) حينما نجحت في إقامة دولة بني العباس وظهور الإيرانيين علـــى مســـرح الأحداث. ومن الجدير بالذكر أنّ الحركة الإسلامية في إيران كانت أسرع مما حصل في الدول الأُخرى، فقد تمّ هذا التحول في مصر مع ظهور الدولة الطولونية في (٢٥٤هـــ).

كيف نجح العباسيون في إقامة دولتهم؟

سار التنظيم العباسي سرياً أوّل الأمر، فاختيرت الكوفة كحلقة اتّصال بيـــن الدعـــاة في خراسان والإمام العباسي بالحميميّة، فلم يكن يعلم شخصيّة الإمام إلاّ الدعاة، أمّا النقباء والعمّال فكانوا يدعون إلى الرضا من آل محمّد، وتســـتّر الدعـــاة بزي التجار؛ لإخفاء حقيقة أمرهم. أمّا السرية فكانت نتيجة الكـــوارث التي نزلت بآل البيت منذ مصرع الإمام الحسين عليه السلام، وما عمدت إلـــيه الدولة الأُموية من تصفية الحركات العلوية والقضاء على زعمائها بكلّ وســـيلة ممكنة حتى لاتقوم لهم قائمة. وكانت الدعوة تنشط إذا خلا الجو من رؤســـاء علوييـــن، وتضعف إذا ظهر منهم أحد؛ ولذا فإنّها نشطت بعد وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام وبعد استشهاد زيد بن عليّ.

ومـــن أشهر دعاتهم: أبو مسلم الخراساني الذي برزت شخصيته عام (١٢٥هـــ) أيام الإمام إبراهيم بن محمّد الذي وصّاه باستشارة الداعي سليمان بـــن كثير بخراسان بعد أن علم مروان بن محمّد بأمرهم، فأمره بالعمل على إعلان الثورة باستغلال النزاع القبلي بين العرب فيها، وأن يأخذ الناس بالشك والريبة. وكانت الأرضية بخراسان صالحة لنجاح عمله؛ لأنّ الدعوة الهاشمية بتأثـــير يحـــيى بـــن زيد كانت قد اتّجهت إلى هناك وإلى ما وراء النهر قبل

ظهــور أبي مسلم، ممّا جعلت أبا مسلم يبدأ العمل في (١٢٩هــ) في الفترة التــي قــبض فيها مروان بن محمد آخر حكام الأُمويين على الإمام إبراهيم، وقتله في حران في سجنه[(١)] مما أدّى إلى انتقال الإمامة إلى أخيه عبد الله.

كمــا اشتهر دعاتهم بخراسان: محمد بن خميس، وأبو مكرمة السراج اللــذان عمــل معهمــا ١٢ نقيباً يأتمرون بأمرهما إضافةً الى سبعين عامل يعملــون تحت إمرتهم. أمّا أشهر دعاتهم في الكوفة فكان أبو سلمة الخلال، وهــو حفــص بن سليمان الذي عمل لصالح العلويين، فقد كان متشيعاً لآل علــيّ عليه السلام إلاّ أنّ عــبدالله أبا العباس أحبط آماله حين قدم إلى الكوفة، فبايعه كبار العباسيين في مسجد الكوفة، يوم الجمعة ١٧ ربيع الأوّل في (١٣٢هــ). ويعتبر هذا اليوم هو بداية حكم العباسيين رسمياً.

وقــد عُرف أبو سلمة بوزير آل محمد، وقيل: إنّه راسل ثلاثة من أهل البيت يدعوهم إلى الخلافة: أولّهم الإمام الصادق عليه السلام وعبد الله بن الحسن بن الحســن، وعمــر الأشرف بن زين العابدين عليه السلام إلاّ أنّهم جميعاً رفضوا طلبه واقــتراحه، فقد ردّ عليه الإمام الصادق عليه السلام: «ومتى صار أهل خراسان من شيعتنا؟ لا نعرف أحداً باسمه أو بصورته»[(٢)].

كمــا اشــتهر من زعماء الدعاة العباسيين بكير بن ماهان شيخ الشيعة بالكوفــة، وكــان غنياً، فساعد في الدعوة منذ (١٠٥هــ) أي: قبل أبي سلمة

(١) قيل إنّه قتله في السجن مسموماً، أو إنّه هدّم داره عليه فمات.

(٢) لــم يكــن التشــيع قــد انتشر في إيران حتى القرن (٤هــ)، فقد كان المذهب السني الشافعي والحنفي هو المسيطر هناك، ممّا يفسر ظهور مفكّرين سنيين في هذه الفترة، مــثل: أبــي حنــيفة، والبخاري، والغزالي، ونظام الملك الذي أنشأ المدارس النظامية لمقاومة انتشار التشيع.

بفترة كبيرة.

وهكـــذا فإنّــه في (١٣٢هــ/٧٤٩م) بويع السفاح أبو العباس عبد الله خلـــيفة فـــي الكوفة، معلناً بداية الدولة العباسية واستمرارها إلى (٦٥٦هــ/ ١٢٥٨م) وإيذاناً بزوال دولة بني أُمية التي استمرت ما بين (٦٦١/٧٥٠م).

واتّخـــذوا الهاشمية القريبة من الكوفة عاصمة لهم أوّل الأمر نسبة إلى هاشم جد العباسيين والعلويين، ولكنّ الدولة لم تسمَّ باسمه، الدولة الهاشمية.

أحوال الدولة العباسية:

اســـتخدم العباســـيون مـــثلما استخدم سلفهم الأُمويون أساليب ملتوية وإرهابـــية للتوصـــل إلى الحكم والسيطرة على البلاد والعباد معتمدين على العنف والقوة، فمعظم حكّامهم توصّل إليه باستخدام تلك الوسائل، وقد اعتبروا الإرهـــاب والتخويف والوعيد أهم الوسائل وأقواها في سبيل تحقيق أهدافهم، فلكـــي يعالج الحكّام رعاياهم، ويتمّ التنافس على الرئاسة، واحتلال المناصب فـــي سبيل التنعّم بالدنيا، اعتمدوا على إثارة العصبيات القبلية، واللجوء إلى العـــنف، والتهافـــت للحصول على الخيرات من تدفقها عن طريق الفتوحات واتّخذوا من الدين وسيلة لإقامة حكم استبدادي مطلق استمدّ أُصوله من كونهم خلفاء الله في الأرض تأثيراً بنظرية الحقّ الإلهي المقدس للملوك، ثمّ ما لبثوا أن واجهـــوا بعنف ـــ يفوق عنف الأُمويين ـــ الشيعة والعلويين الذين دعوا لأنفسهم بالخلافة. وذلك بالرغم من أنّهم رفعوا شعارات مميّزة وخطيرة أحسّ الـــناس أنّها أفضل المبادئ والوسائل لتحقيق أهدافهم النبيلة ونادوا بأنّ الدولة تسير على مبادئ الكتاب والسنّة ومنح الحريات والحقوق، إلاّ أنّهم أخفقوا في تحقيقها أو التوصّل إلى تنفيذ شيء منها.

أمّـــا في نظام الحكم فقد تميّز خلفاؤهم بالتخلّص من بعضهم، فقد كان الأخ يقضـــي علـــى أخيه وعلى عمّه وابن عمّه طمعاً في الحكم والسيطرة والاستيلاء. كما اتّبعوا نظامَ وأُسلوب الخلع والتولية، فأصبح سمة النظام خلع الوزراء والقواد للخلفاء، فمنذ الفترة الأُولى لدولتهم استخدموا هذا الأُسلوب، فتخلّصوا من المؤسسين والقياديين الذين أنشأوا الدولة، مثل: أبي سلمة الذي خـــافوا من قوته، فاتُّهم بعزمه على إعادة الخلافة إلى أولاد الإمام عليّ عليه السلام بالـــرغم مـــن شهرته إدارياً وأخلاقياً وأثراً صالحاً، كما قتل أبو مسلم (أحد أشـــهر رجالات الثورة): سليمان بن كثير بتهمه باطلة لم يكن لها أساس، إلاّ أنّ أبا جعفر المنصور قتل أبا مسلم غدراً في حضرته بعد أن أمنه، واستولى علـــى أســـلحته ومنح جنوده وقواده أموالا لاسكاتهم، وكان للتخلّص من أبي مسلم أثره في قيام بعض الحركات ضد الدولة ثأراً لـــه وانتقاماً، مثل حركة ســـنباذ فـــيما وراء النهر وأستاذسيس، وتمكّن المنصور من القضاء عليهما، والمقنع الخراساني في مرو والذي امتزجت مبادئه بالمزدكية، واستمرت ١٣ سنة من (٧٧٦ ـ ٧٨٩م).

كما أنّ المنصور سجن عبد الله بن عليّ الذي اشترك في تأسيس الدولة حتّى مات.

وأمّـــا الـــولاة فقد أطلقوا لهم الحقّ في دفع مقدار من الضرائب مقدماً علـــى أن تطلـــق أيديهـــم في الجباية كيف شاءوا، فقد كان عليهم أن يرفعوا للحكومـــة مـــبلغاً معيناً من المال، ويصرفوا على الجند والموظفين، ممّا نتج عنه أن أصبحوا هم الحكام الحقيقيين في الدولة، وصار ذلك كله أُسلوباً لعلاج الأزمة الاقتصادية فيها.

أمّا الدواوين

فقد تطوّر اثنان منها لمواجهة التطوّر السياسي واحتياجات الدولة، وهما: ديوان الإنشاء، وديوان البريد. وكان الإنشاء يعني: وزارة الخارجية في الوقت الحالي، فقد تطوّر واتّسع نطاقه لمواجهة حاجات الدولة والمكاتبات والعلاقات الخارجية. أمّا البريد فقد تخصّص لعمل التجسّس، وأداة للتحكّم في الإقليميّة النامية، فاستخدم أبو جعفر المنصور عمّاله الذين كانوا عيوناً له للإشراف على أُمور الدولة، فعن طريقهم عرف أعمال الولاة، وما يصوّره القضاة، وما يرد إلى بيت المال، ويرسلون إليه التقارير مرتين في اليوم. وكان في قدرة صاحب البريد أن يوقف القاضي عند حدّه إذا ظلم، ويرجع الأسعار إذا غلت إلى حدّها الأدنى، كما أنّ الخلفاء تدخّلوا في أحكام القضاة وأوقفوها.

واتّجه الحكم العباسي إلى النظام الاتّحادي أو الفدرالي، وهو: الرضا بمجرد الإشراف والتوجيه على أُمور الدولة مسايرة للأحوال الجديدة، حتى تحوّلت الخلافة إلى مجرد ظل خلال الدولة الثانية وحتى زوالها. فقد كان نظام الحكم يجمع بين الخلافة والإمامة، بعد أن تحوّل الإمام الداعية إلى خليفة يحكم؛ إذ أصبحت العلاقات محكمة بين الخلافة وجماهير الدعوة ممّا أكسب النظام السياسي قوة وصلابة. وبجانب ذلك برزت مسألة عصمة الأئمة التي كان يعتقد بها الشيعة الإمامية وغيرهم مثل الإسماعيليين، فاعتبر مناصرة الخليفة والوفاء له ضد أعدائه فريضة أوجبها الله على العباد[١].

---

(١) يعتبر الشيعة الإمامية والإسماعيلية معرفة الإمام فرض من الفروض على أساس الحديث: «من مات دون أن يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

إلاّ أنّ الأوضاع السياسية والاجتماعية تغيّرت في العصر العباسي الثاني الذي تميّز بضعف الخلفاء إذ إنّ الخلافة استمدّت قوتها من عدّة مصادر محدّده: دعوة عباسية منظمة، وصلات مطّردة بين رؤساء التنظيم العقائدي في بغداد وشبكات الدعاة وجماهير الأنصار في الأقاليم، وتوارث أفراده من بيت قريش المنصب السامي، واتّحادهم للإبقاء على هذا الميراث، وقوة العصبية بينهم، وتماسكها بالإيمان في أنّ بقاءها في قوة الخلافة. فإذا فقد أي مصدر منها أضعف الخلافة وأنهاها، فعندما ضعفت صلات الخلفاء بشبكات الدعاة في أرجاء العالم الإسلامي، ثمّ تهاوت تماماً بعد الخليفة المتوكل، وزال الاتّصال العقيدي تماماً، وفقد الخليفة صفته كرأس للتنظيم، ففقد القداسة والهيبة في نفوس الناس، وتعرّض لصور كثيرة من الامتهان والذل، وضعفت الروابط بينه وبين ملايين الناس المؤيدين للحزب العباسي، فإنّهم انصرفوا إلى تأييد الدعاة الشيعة الذين ملأوا الفراغ في التنظيم العقيدي منذ هذا العصر، وانصرف الكثير من رؤساء التنظيمات إلى تنمية مصالحهم الذاتية والإكثار من الجند والمال مقدمة للمساهمة في الحركات الاستقلالية التي ستسيطر على العالم الإسلامي، أو اتّجهت الجماهير إلى تأييد الفاطميين بعدما شعروا بانهيار الخليفة والخلافة.

وكان للانقسام الذي حدث في البيت العباسي نفسه دوره في ضعف الدولة، بالرغم من أنّه حدث في فترة مبكرة لها في عهد السفاح والمأمون، حين ولّي السفاح أخاه المنصور العهد، وأعرض عن عمّيه عبدالله وسليمان اللذين أعلنا الثورة على المنصور، فعزل عمّه سليمان عن ولاية العهد. كما أنّ التولية لأكثر من واحد كان من أهم دوافع الضعف، مثلما حدث من النزاع بين المأمون والأمين، والمعتمد والموفق.

إلاّ أنّ ضعف العنصر العربي كان له أثره منذ البداية، فقد تولّى الخلفاء أنفسهم إهمال هذه العصبية، حين حضوا الدعاة على عدم الاعتماد عليهم في نشر الدعوة والاعتماد على العناصر الأُخرى، بل إنّهم شجّعوهم على التخلص ممّن يشكّون في أمره تجاه دعوتهم.

فالموالي الذين كانوا لهم الفضل الأوّل في قيام دولتهم غدروا بهم وقتلوا الزعماء منهم كالبرامكة وغيرهم. وكان بروزهم وقوتهم قد أضعف العنصر العربي، وأفقد الاستقراطية العربية القدرة على التدخل في الشؤون العامة، فأدى الأمر أن يدفع الكثير إلى الهجرة من البلدان والعودة إلى الحياة البدوية، واستوطن آخرون الريف، فتفرّقت دماؤهم، وضاعت عصبيتهم حتى أن تغييراً كبيراً حدث على مدلول كلمة (عرب)، فلم يعد العرب طبقة وراثية مقفلة، بل أصبحوا شعباً مستعداً لقبول أي مسلم يتكلم العربية. فالحياة الفارسية هي التي تغلّبت خلال الدولة في الإدارة والحكم والمظهر والروح، وفي طائفة الكتاب والوزراء، وفي طريقة العمل والمراسلات، فكأنّه كان إحياءً للتقاليد الفارسية القديمة. فالقرن (٣هـ) يُعد عصر النفوذ الإيراني في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية. وهكذا فقد تحولّت البرجوازية القديمة إلى طبقة جديدة من الرأسمالية كانت عربية في العصر الأُموي فأصبحت فارسية في العصر العباسي، إلاّ أنّ هذه التحولات والتغيرات ستتحول إلى مساوئ اقتصادية تثير الأفراد والشخصيات بالقيام بثورات مضادة. كما أنّ ما وصل إليه الحال دفع الخلفاء إلى عدم الثقة بالقوى التي ساندتهم، فكان ذلك تخبطاً في سياسة الدولة، إذ بعد أن تخلّصوا من العنصر العربي والفارسي اعتمدوا على العنصر التركي الذي استبدّ بهم، واستمرّ في اغتيالهم، فوجد هؤلاء الطريق خالياً لاعرب ولافرس، فاستبدّوا

بالسلطان حتى أصبحوا أصحاب السلطان المطلق لفترة امتدّت نحو قرن. وخير مثال لهذه الحالة السيئة: المعتز الذي خشي الاتراك وخاف منهم وبخاصة بغا الصغير، فكان لايخلع سلاحه في ليل أو نهار ويقول: «لا أزال على هذه الحال حتى أعلم لبغا رأسي أو رأسه لي، إني لأخاف أن ينزل عَلَيّ بغا من السماء أو يخرج إليّ من الأرض». وقد أحدث ما توقعه حين دخلوا عليه مجلسه، وجروه من رجله، وضربوه بحرابهم، وأكرهوه على التنازل، وعذبوه وحبسوه حتى مات. كما أنّ الراضي بالله أوضح ضعف حاله حين قال: «كأني بالناس يقولون: أرضي هذا الخليفة بأن يدبّر أمره عبد تركي حتى يتحكم في المال وينفرد بالتدبير؟ ولا يدرون أن هذا الأمر قد أُفسد من قبلي وأدخلني فيه قوم بغير شهوتي، فسلمت إلى قوم يقصدونني ليلا ونهاراً، ويريد كلّ واحد منهم أن أخصّه دون صاحبه، وأن يكون له بيت مال خاص، ويتعدّى الواحد منهم أو من أصحابهم على بعض الرعية، بل على أسبابي، وآمر فيهم بأمر فلا يمتثل ولا ينفذ، وأكثر ما فيه أن يسألني كلب من كلابهم ما فلاأملك ردّه، وإن رددته غضبوا وتجمعوا وتكلموا. وكان الأجود أن يكون الأمر كلّه لي كما كان لمن مضى قبلي، ولكن لم يجر القضاء بهذا».

وأكثر ما تميّز به هذا العصر هو الحركات الاستقلالية، أي: استقلال الأقاليم والمناطق، حتى إنّ النظام الإقليمي أصبح هو القاعدة لكثرة الحركات شرقاً وغرباً. فالدولة الإسلامية التي دخلت ضمنها أقاليم جغرافية متباينة جنساً ولغة وطبيعة وعنصراً، وهي وإن دانت للسلطة المركزية فترة قرن أو قرنين، إلاّ أنّها سرعان ما فرضت نفسها على التاريخ حين شعرت بضعف الخلافة أو انشغالها، وقد أُعتبر هذا النمو الإقليمي من نعمة الإسلام، فقد كان انتصاراً حقيقياً لدعوة الإسلام ولروحه الذي لم يفرض امتيازاً للعرب على

غـيرهم مـن سائر المسلمين، وذلك بالرغم من أنّ بعضاً نظر إليهِ بتشاؤم، فاعتبره بداية سقوط الخلافة وتمزّق العالم الإسلامي، وما سيصيب العالم من حـوادث مفجعـة، كما حدث عند هجوم المغول والصليبيين. إلاّ أنّ مؤرخي الحضـارة يرون أنّها طليعة التنافس بين البيئة الإسلامية في الإنتاج الثقافي الذي سيهيئ لعصر النهضة الإسلامية الشاملة.

أحوال الخلفاء في العصر العباسي:

أُعتـبر عهد الرشيد (٧٨٦ ــ ٨٠٣م) عهداً جديداً أكمل السيادة التامة فـي الداخـل والخارج، واستتبّ الأمن، فكان لـه أعوان مخلصون يعملون للنهوض بالدولة والإصلاح الشامل في كلّ الميادين، والعمران الممتدّ إلى كلّ الممالك والأطراف في المرافق الحيوية والمنشآت. واختار من الوزراء أُسرة البرامكة، فعين جعفراً البرمكي وزيراً مفوضاً، وولاّه مسؤوليّة الإشراف على المغرب، كما استلم أخوه الفضل ولاية ملك الشرق، ممّا تغلغل نفوذهم في كلّ شـؤون الدولة، وساعدوا الناس حتى تركوا باب الخليفة إلى بابهم. كما كان لـتفوق مركزهم وقوة مكانتهم الأثر في أن يعمل العنصر العربي للتقليل من ذلـك أو الـتخلّص منه، فشنوا حملة منظمة عليهم، وتآمروا عليهم بزعامة زوجـة الرشيد زبيدة المتعصبة للعرب والوزير الفضل بن الربيع، فأوغروا صدر الرشيد عليهم، بأنّ السلطة تخرج من يديه، ويفلت الزمام فيصبح أسير قصـره، وتتحول الدولة إلى دولة فارسية يتزعمها الموالي، ممّا دفع الرشيد إلـى الإسـراع بقتل جعفر، وسجن يحيى والفضل، والقتل الجماعي لزعماء البرامكة، ومصادرة أملاكهم، وتشتيت شملهم، وعدم التفوّه بذكرهم.

هذا مع العلم بأنّ البرامكة تميّزوا بالقدرة على الإدارة والنظام والبناء،

فبنوا مدينة الرصافة مقابل بغداد على الشاطئ الشرقي لدجلة، وأنشأوا فيها المنشآت تدلّ على الترف والحضارة، فبلغ عدد سكان بغداد مليونين فرد، ونزح إليها العلماء والفنانون والفقهاء، فأصبحت المركز الأول في العالم للفنون والعلوم والآداب، بجانب قصور الخلفاء والوزراء والأُمراء التي أصبحت مراكز ومجالس للشعر والغناء والأدب.

أمّا في أيام المأمون فقد حرّض الفضل بن الربيع الأمين على أخيه المأمون لتغيير عهد الرشيد، في مقابل مناصرة الفضل بن سهل للمأمون الذي كانت أُمه فارسية تدعى مراجل ذات الحسب و النسب. وحينما عيّن المأمون الإمام الرضا عليه السلام ولياً للعهد لم يقبل الرأي العام العربي بذلك؛ إذ كانت غالبيتهم من السُنّة، كما غضب آل العباس لخروج الخلافة من أيديهم؛ إذ إنّ تأييد الخليفة للحزب العلوي يضعف نفوذهم، فأعلن أهل بغداد الثورة، وطردوا الحاكم، وأعلنوا خلع المأمون، وتعيين عمّه إبراهيم بن المهدي خليفة.

وفي هذه الفترة يسجّل التاريخ اختفاء بعض الشخصيات السياسية والدينية من على مسرح السياسة، ويتساءل معظم المؤرخين إن كان ذلك حدث صدفة، أم حتّمته سياسة المأمون الجديدة، أم تمّ بناء على خطط معينة نفّذت بدقة، ودبرتها يد الخليفة نفسه. فقد مات الفضل بن سهل، وتُوفّي الإمام الرضا عليه السلام في أحوال غامضة، وقتل القائد طاهر بن الحسين في خراسان؛ إذ وجد ميتا في فراشه.

كما أنّ المأمون استخدم السياسة في الترابط العائلي، فتزوّج من بنات قوّاده، وزوّج الكبار منهم من بناته، كما صاهر عدداً من الأئمة عليهم السلام، فاعتبر زواجاً سياسياً ضمن منه تأييد العناصر القوية؛ ليركز حكمه على قوى تسانده

وتؤيّده.

العصر الثاني:

تميّز بسيادة العنصر التركي الذي احتكر المناصب الكبرى، وأصبح الخليفة اُلعوبة في أيديهم، وصبغ الدولة بصبغة تركية في الإدارة والسياسة، وعملوا على إضعاف الروح العربية، وابعاد العرب عن السلطة، فبدأ الصراع بين الطرفين، كما سيطروا على النشاط الاقتصادي واحتكار الموارد، وسخّروا الرقيق في الزراعة، وحرموهم من الحقوق الإنسانية، فكان همهم الحصول على الإيرادات المالية الكبيرة؛ لانفاقها على الترف واللهو، وتركوا شؤون إقطاعياتهم لوكلائهم الذين تفنّنوا في معاملة الفلاحين بأسوأ ألوان العذاب، وحجزوا على الخلفاء في قصورهم.

وكان نظام الإقطاع هو الذي ساد في هذا العصر ممّا أدّى إلى ظهور طبقتين اجتماعيتين:

ـ الخليفة ورجال الدولة وأتباعهم الذين كوّنوا طبقة رأسمالية أرستقراطية.

ـ العلماء والأدباء والتجار والصناع، وهم الذين يعملون ويكدّون لتوفير وإعداد وسائل الترف والرفاهية للطبقة الاُولى.

فالعلماء والشعراء يجدون المال عندما يخدمون هؤلاء، والتجار يجلبون الكماليات ليزيّنوا قصورهم، والصناع يصنعون ما يزين تلك القصور. أمّا الشعب فكان في زاوية النسيان يبذل الدم والعرق لتعيش تلك الطبقات في نعيم.

حتى لقد لجأ بعض الولاة إلى تعيين أرزاق لقوم لايعملون، ولآخرين لم

يخلقوا، أي: أنّهم لم يكونوا موجودين في الحياة أصلا، أي: أنّهم استخدموا اسماء وهمية للحصول على المال.

كما ساد هذه الفترة نظام الرق، فاشترى العباسيون ارقّاء مماليك من الأتراك من أسواق النخاسة، وربوهم في القصور، ثمّ أعتقوهم، فتولوا المناصب الحكومية والقيادية حتى امتلكوا بدورهم آلاف الرقيق، فأصبحوا أسياداً للأرقاء الجدد، وعاشوا في القصور، وجلبوا الغلمان لخدمتهم والجواري والراقصات للمرح واللهو.

ومن أشهر الحوادث التي جرت للخلفاء وغيرهم من القادة في هذا العصر:

ـ المتوكل العباسي الذي استولى على أملاك بعض التجار المعروفين باستخدام القوّة والقتل، كما استولى على أموال قاضي القضاة وابنه أحمد بن أبي داود الذي افتقر في آخر عمره.

ـ المنتصربالله بن المتوكل، قتل أباه؛ لأنّه شعر بأنّه أخرجه من ولاية العهد، فاتّفق مع الجند الأتراك للتخلص منه. وتمكن الوالي من إخراج أولاد المتوكل من الخلافة وحصرها في أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم.

ـ المعتز بالله بن المتوكل، كثرت الفتن والثورات والمصادمات بين عناصر الجيش والدولة والأمراء والوزارء، فزاد القتل بينهم وبين الأتراك المغاربة. كما اشتعلت الحروب الأهلية بين المستعين والمعتز للسيطرة على الحكم، واستغل ذلك الروم، فحاربوا المسلمين. وخرجت ثورات في بغداد ضد الفساد والضعف، فأدّت الأوضاع المضطربة إلى قتل المستعين الذي كان تحت الحراسة والمراقبة ومحبوساً في البصرة، كما كان أخواه المؤيد

وأبو أحمد بن المتوكل محبوسين، فقُتل المؤيد، ونُفي أبو أحمد إلى واسط فالبصرة فبغداد. إلاّ أنّ الأتراك والمغاربة دخلوا على المعتز، وضربوه ضرباً مؤثراً، وجرّوه من رجله، ووضعوه تحت الشمس الحارة طالبين منه خلع نفسه فرضي، فبدأوا تعذيبه، ومُنع الطعام والشراب عنه حتى مات.

ـ المهتدي بالله، كثُرت حوادث القتل والاضطراب من جانب الأتراك والجنود حتى خلعوه فمات.

ـ المعتمد على الله بن المتوكل، سيطر على الحكم في زمنه أخوه: أبو أحمد طلحة، فأصبحت له السلطة الفعلية، حتى أصبح الأمر في يده لا في يد الخليفة. وعُرف المعتمد بكثرته وإسرافه في اللهو والشراب والغناء والرقص والاهتمام بفنونها وعلومها حتى أنّه مات على أثر شراب أكثر من شربه وأكلة دسمة قضت عليه.

كما أثّرت في هذه الفترة ثورة الزنج ممّا أكثر القتلى بين الجانبين حيث قدر عددهم في معارك الثورة مليون ونصف أو مليونين.

ـ المكتفي بالله، اشترك قاضي البلاد أبو عمر محمّد بن يوسف في جريمة قتل قائد جيش الخليفة بدر بعدما منحه الأمان، فلصق الخزي بالقاضي، فلم يتوقع الناس أن يكون القضاة المنفّذين للشريعة الإسلامية عوناً على الغدر وعدم احترام الأمان.

ـ المقتدر بالله، حكمت اُمّه البلاد، فانشغل هو باللهو واللعب، كما انتشرت الرشاوى والوسائط عن طريق الاُم التي تدخلت في العزل والتولية وكلّ أمر، وهي أسوأ فترة في تاريخ العرب؛ إذ غلبت كلمة الجواري في القصر وخدمه على كلمة القواد والاُمراء، وأنفقت الأموال العامة في غير وجوهها، واستحدثت الحكومة إجراءات مالية أدّت إلى قيام حركات شغب في

بغداد طالبوا بالخبز، كما أدّت الى تفاقم التذمر في طول البلاد وعرضها في (٩٢٠ ــ ٩٢١م)، واستجابت هذه العناصر المتذمّرة لتعاليم دعاة الشيعة.

وتسرّب القلق الاجتماعي إلى كثير من الطبقات العاملة في المدن والمزارع عرباً وعجماً، وتجمّعت الثروات في أيدي جماعة من الفاسدين الذين فقدوا كلّ إحساس بالعدل والاستقامة، فجعلوا مثلهم في الحياة: إرهاق الضعفاء والتفنّن في إذلالهم والمغالاة في الترفع، ممّا أشعلت الانتفاضات الاجتماعية، ونشطت الجماعات الفارسية ومن انضم إليها من العناصر الناقمة والمظلومة للاشتراك في الثورات المختلفة، والتي كان أهمها: الثورة الخرّمية: وهي فرقة ظهرت في أوائل القرن (الثالث الهجري) بزعامة بابك الخرمي الذي قبض عليه المعتصم وقتله في (٢٢٣هـ).

ــ القاهر بن المعتضد، اشتهر بالغناء والسماع، واهتمّ بشراء المغنيات والراقصات، قبض على كل الرجال الذين عملوا في عهد سلفه المقتدر بالله، وقتلهم جميعاً، كما ضرب أُم المقتدر ضرباً شديداً؛ لتعترف بما لديها من أموال.

أمّا هو فقد قتله رجاله، فسملوا عينيه، ثمّ قتلوه.

ــ الراضي بالله، اشتعلت المنازعات الدينية في عصره وخاصة بين الحنابلة الذين حرموا النبيذ، فأراقوه أن وجد، كما ضربوا المغنيات، وكسروا آلات الغناء، واعترضوا في البيع والشراء، ومشي الرجال مع النساء والصبيان، ممّا أزعج أهل بغداد، حتى وصل الحال أن يدفعوا بالعميان لضرب أي فرد شافعي بالعصى حتى الموت. وقد أمر الراضي بإنكار أفعالهم وتوبيخهم عليها وعلى اعتقادهم بالتشبيه، فقد زعموا أنّ صورة وجوههم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين، وهيئتهم الرذيلة على هيئته،

تعالى الله عما يقول الظالمون. كما أنّهم نسبوا إلى شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله الكفر والضلال، فأنكروا زيارة قبور الأئمة عليهم السلام والتشنيع على زوارها بالبدعة، في الوقت الذي شجّعوا على زيارة قبر رجل من العوام ليس بذي شرف ولانسب ولاسبب من رسول الله صلى الله عليه وآله والادعاء له بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، إلاّ أنّ الراضي هدّدهم بقوله: «لعن الله شيطاناً زين لكم هذه المنكرات وإنّ أمير المؤمنين يقسم لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقتكم ليوسعنكم ضرباً وتشريداً وقتلا، وليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالكم».

أمّا في أيام المستكفي الذي حكم سنة واحدة فقد أصبحت الخلافة منذ هذه الفترة تحت سلطة البويهيين، ممّا جعل المسترشد بالله يحاول أن يعيد أمجاد أهل بيته، فلم يفلح، بل إنّ الراشد بالله الذي حكم أقل من سنة، أخرجه السلاجقة من الحكم؛ لأنّه خرج على سلطانهم. أمّا الناصر لدين الله فقد حكم (٤٦ سنة) تعتبر أكثر فترة حكمها خليفة عباسي، فانتهى في زمنه حكم السلاجقة بالعراق، إلاّ أنّ ملك الخوارزميين كان قد اتّسع من بلاد ما وراء النهر حتى بلاد الري، وأرادوا الخطبة لهم على المنابر، فلم يقبل الخليفة الذي تحالف مع التتار ليتخلص من نفوذ خوارزم شاه علاء الدين. وقد ذكر ابن طباطبا في تاريخه الفخري إنّه كان يرى رأي الإمامية الشيعة.

وكان بعض الخلفاء يسرع إلى الاستيلاء على أموال غيره ومصادرتها، حين تتأخّر الأموال القادمة من البلدان، أو ينفذ ما في بيت المال، بسبب كثرة الاضطرابات في سامراء.

وفي عهد المستعصم ينتهي عهد بني العباس، حيث قتله هولاكو في (٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

الوزراء في العصر العباسي ودورهم السياسي:

تولّـى الوزارة في العصر العباسي أفراد من عدّة أُسر شهيرة، تميّزت بالإدارة والتنظيم وبخاصة في العصر الأول للدولة، وأهمّ تلك الأُسر: البرامكة، و ينتسبون إلى برمك، وهو من بلخ. برز منهم خالد بن برمك الذي عمل في جيش قحطبة بن شبيب الطائي الذي استولى على العراق. تولّى وزارة التنفيذ بعد مصرع أبي سلمة الخلال، وساعد المنصور في الوزارة، فحكم مركزياً في إثبات دعائم الحكم العباسي، والقضاء على الثورات والحركات الهدامة، كما تولّى ولاية الموصل، واستمرّ في عمله في أيام المهدي. أمّا يحيى بن خالد فقد تولّى وزارة التفويض، وشارك الخليفة في كلّ شيء، فقد تولّى أيام المنصور ولاية أذربيجان، كما عمل وزيراً لهارون الرشيد. وكانت زوجته قد أرضعت الرشيد مع ابنها الفضل بن يحيى، وتدخّل في قضية الرشيد مع أخيه الهادي في التولية والخلع، حيث تمسك يحيى في أمر تولية الهادي بعد أخيه، وشجّعه على الاستمساك بالحكم. أمّا الفضل بن يحيى فقد تولّى المشرق كلّه في (١٧٨هـ) كنائب للخليفة، كما تولّى جعفر بن يحيى البريد ودور الضرب والمغرب كلّه.

وقد أدّت هذه الأُسرة للدولة خدماتها منذ نشأتها حتى زمن نكبتهم، ولم يصل فرد مثلهم في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة والسماحة، على حسب أقوال الخلفاء أنفسهم. وعاشوا ببذخ وإسراف، فأغدقوا الأموال حتى قيل: إنّ جعفر أنفق على بناء داره عشرين مليون درهم.

أمّا عن أسباب النكبة التي أصيبوا بها فقد تعدّدت واختلفت، فذُكر أنّ مسلك الرشيد وقسوته وغدره كان من بين ما دفعه إلى اغتيالهم ومصادرتهم. كما اتّهم الحزب العربي المتطلع إلى السيادة واستعادة النفوذ بقيادة الفضل بن

الربيع الذي أظهر البغض الشديد لآل أبي طالب، ووشى بهم عند الرشيد، فأخبره عن هرب يحيى بن عبد الله بن الحسن العلوي من السجن، والدعوة لنفسه ضد الدولة، ممّا أظهر ميل البرامكة إلى العلويين. كما أنّ زوجة الرشيد زبيدة أم الأمين سعت للنيل منهم؛ لموقف البرامكة السلبي من الأمين، وتضامنهم مع المأمون بولاية العهد، كما أنّ أخباراً تسرّبت عن علاقة جعفر بن يحيى بالعباسة أُخت الرشيد فكثر الكلام والحديث عن علاقتهما.

واتّهموا ـ أيضاً ـ بمساندة الثائر عبد الملك بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس الذي اشتهر بقيادة الفتوحات التي وصلت إلى أنقرة. كما ذكر أنّ الرشيد حقد عليهم وحسدهم؛ لما بلغوه من مكانة بين الناس، وأمّا أعداؤهم من بطانة الرشيد فقد دسّوا أشعاراً للمغنيين تثير عامل الحقد والمنافسة في نفسه تجاههم.

أمّا الأُسرة الثانية فقد اشتهرت في عهد المأمون وهي بنو سهل، فقد أصبح الفضل بن سهل كاتباً للمأمون، وأشار عليه بالذهاب إلى خراسان؛ ليحصل فيها على الأنصار ضد أخيه الأمين، كما مهّد له الطريق إلى الخلافة، ولعب دوراً مميّزاً في تقريب الخراسانيين للمأمون، وأحسن في اختيار القواد وأفراد الجيش.

تولّى وزارة التفويض والمشرق، ومنحه المأمون أجراً قُدّر بثلاثة ملايين درهم في السنة، ولقّبه ذا الرئاستين، أي: الحرب والتدبير. كما لُقّب بالإمارة، فيكون بذلك أوّل وزير جمع اللقبين. وذُكر أنّه سعى لبسط نفوذه على بغداد كالبرامكة. أمّا الحسن بن سهل فقد تولّى كور الجبال والعراق والحجاز واليمن.

ومن المعروف أنّ بني سهل هم الذين دفعوا المأمون لتولية العهد

للإمـــام الرضاعليه السلام، لرغبتهم في نقل الخلافة وتحويلها للعلويين؛ إذ ذُكر أنّ جعفراً البرمكي والفضل بن سهل كانا متشيّعين فأثرا في عقل المأمون؛ ليعيّن الإمـــامعليه السلام ولـــياً للعهد، وكان الفضل بن سهل يستر الأخبار والأحداث في بغـــداد عـــن المأمون المتواجد في خراسان، إلاّ أنّ الإمامعليه السلام كان يخبره بما يحـــدث مـــن اضـــطرابات وفتن، وما يقوم به أعمامه وأهل بيته على خلعه ومبايعة عمّه إبراهيم المهدي بالخلافة.

وهو ما جعل المأمون يتحرك إلى سرخس، ويدبّر مؤامرة لقتل الفضل، فدخـــل عليه أربعة من الخدم وقتلوه بالحمام (٢٠٢هــ)، فقتلهم المأمون بعد ذلك متهمين بالتشيع والعمل على نقل الخلافة إلى العلويين.

أمّـــا الوزراء بعدهم فكان الفضل بن الربيع الذي لم يُعرف عنه الكفاية في الإدارة كالبرامكة وبني سهل.

ومن آل أبي أيوب تولّى الوزارة: سليمان بن مخلد المورياني الخوزي في عهد المنصور (١٥٤هــ) الذي حبس أولاده وإخوانه واستولى على أملاكهم.

وفـــي عصر المعتصم استوزر الفضل بن مروان بن ماسرخس الذي نكـــبه فاستولى على أمواله حينما تطوّرت أحواله، وتسيّد في إدارته، فحسده ونقِم عليه. وقد وشى به مهرج الخليفة ومضحكه إبراهيم الهفتي الذي تدخّل في أُمور الحكم والسياسة. وقد عاش الفضل حتى (٢٥٠هــ).

أمّا الوزير محمّد بن عبدالملك الزيات في عهد المتوكل على الله، جعفر بن المعتصم، فقد قضى عليه بالرغم من شهرته وحنكته السياسية والإدارية، وخدمـــته لأبيه وأخيه من قبل، فصادر جميع ماله ومال أهله حتى مات تحت العـــذاب. وصـــادر كذلك أملاك الكاتب عمر بن فرج وأخيه محمّد، وصادر أملاك الوزير الآخر: أحمد بن خالد أبي الوزير.

أمّـــا في عصر المقتدر بالله فقد عمل اثنا عشر وزيراً في بضع سنين وأيـــام قلـــيلة؛ وذلـــك لعدم قدرتهم على أداء العمل لفسادهم وفساد الحاشية والأُمـــراء والنســـاء وغـــيرهم، فقـــد تركز همهم في الحصول على المال بالرشـــاوى، كما أنّ الخليفة كان يعزل الوزراء ليولّي غيرهم على حسب ما يســـتلم مـــنهم من أموال، مثلما عملت أُمه وقهرمانته؛ ولذا كان الوزير الذي يســـعى لتســـلم الوزارة كان ينوي الخيانة؛ ليحصل على ما دفعه. فقد تولّى الوزارة جماعة من المظلّلين الذين عملوا على إرضاء الخليفة وأُمه بما بذلوه مـــن الرشاوى التي سيستعيدونها مضاعفة. وقد تجرّد الخليفة في هذه الفترة مـــن كـــلّ ســـلطان فعلي، حتى لم يبق لديه من الموظفين سوى كاتب يدير أملاكه.

وقـــد اتّهم الخليفة الوزير ابن الفرات بالتشيع، وعزل الوزير عليّ بن عيسى الجراح بسبب تدخل النساء في أُمور الدولة في (٣٠٤هـ) بالرغم من أنـــّـــه عـــرف بالورع والتقوى والزهد وإصلاح شؤون البلاد والمهارة في الإدارة، حتى كان يجلس بنفسه للمظالم، ويعتني بأحوال الفقراء، فأنفق عليهم من ماله.

وفـــي الفـــترات التالـــية منذ عهد الراضي (٣٢٢هـ/٩٣٤م) تتزايد المنافسات السياسية، وتقوى المشاحنات بين الأُمراء والقواد للتسلط على بغداد والسيطرة على الحكم، فظهر البويهيون الذين سيطروا على الحكم تماماً منذ (٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ) حـــتى أصـــبح الخليفة دون أي نفوذ. وانتشر المذهب الشيعي في هذا الوقت في بغداد. ثمّ تلاهم السلاجقه في السيطرة والتحكم في بغداد ما بين (٤٢٢هـ/١٠٣١م/٥٢٢هـ/١١٢٧م) منذ خلافة القائم بأمر الله، فسيطروا على العراق والدولة الإسلامية في المشرق، وأنهوا دولة بني بويه.

كمـــا برز البساسيري، وسيطر على بغداد في (٤٤٨هـــ) من قبل الفاطميين. وتمكّن الخوارزميون من إنهاء سيطرة السلاجقة، فابتدأ سلاجقة العراق دولته مــن(٥١١ ــ ٥٩٠هــــ/١١١٧ــ١١٩٤م). واشـــتهر مـــن وزراء السلطان السلجوقي طغرلبك: عميد الملك الكندري الذي سهّل أمر زواج طغرلبك من ابـــنة الخلـــيفة القائم في (٤٥٥هـــ)، فدفع لها مهراً ٣ ملايين دينار، وهدايا وذهـــباً وجواهر وأموالاً، ثمّ مات في نفس السنة. كما تمكّن الوزير الكندري مـــن تحســـين لعـــن الرافضة والأشعرية للسلطان طغرل أيضاً ممّا أدّى إلى خروج الكثير من الأئمة من بلادهم كما فعل إمام الحرمين، إلاّ أنّ نظام الملك خواجه بزرك الوزير أزال كل ذلك، وأعاد العلماء إلى بلادهم.

أمّـــا في عصر المستعصم فقد عمل لـــه الوزير مؤيد الدين محمّد بن العلقمي، وكان شيعياً، فأساءه ما يلقاه جماعته من اضطهاد أهل السُنّة حينما أغـــاروا على أهل الكرخ الشيعة، وأسرفوا في قتلهم، ونهب دورهم بأمر من أحد أولاد الخليفة.

كمـــا أنـــّـــه اتّهـــم بمراسلته واتصاله بهولاكو، ليقصد بغداد فيستولي علـــيها، إلاّ أنّ ابن طباطبا نفى عنه هذه التهمة، فهولاكو لم يكن بحاجة إليه ليشجعه على الهجوم على هذه المدينة أو تلك الدولة.

الأحوال الاجتماعية والعلمية:

تمـــيّز العصـــر العباسي بالتدوين وحركة الترجمة، فقد عرف بعصر التدوين التاريخي، فبرز في ذلك المسعودي والطبري والبلاذري وابن هشام وغيرهم. كما نشطت دراسة الأُصول المدونة ونقدها والتعقيب عليها، فبدأت دراســـة الـــتراث العربي بناءً على التحليل، وظهرت كتب طبقات الشعراء

والأدباء، ووضع علم أُصول الحديث ونقده وتجريحه. ونشطت حركة الترجمة التي تطوّرت بتشجيع الدولة التي أشرفت على حركتها، حيث أنشأ المأمون مكتبة كانت لها هيئة إدارية، فأصبحت الترجمة من سياسة الدولة. والمأمون يُعتبر مؤسس بيت الحكمة، وصاحب حركة الترجمة عن اليونان، واحتضن طائفة المعتزلة، وقال بمقالتهم، وهي: أنّ القرآن مخلوق، وسعى إلى اضطهاد خصومهم، كما شايع الزيدية لصلتهم بالمعتزلة. وقد استهدف المأمون أن يؤلّف بين القوم، ويدفعهم إلى الاجتماع على رأي واحد. فانتشرت الأفكار الجديدة التي كان منها مقالة خلق القرآن الذي أدّى إلى محنة شديدة وفتنة عظيمة بين علماء الحديث والمعتزلة، فأوصى المأمون أخاه المعتصم أن يسير سيرته في مسألة خلق القرآن، فتبع الوصية، وشجّعه المعتزلة على الفتك بخصومهم ممّا أضر بشخص مثل أحمد بن حنبل الذي أمره بالقول بخلق القرآن، وضربه لمّا تمسك برأيه في رفض القول بذلك. واستمرت المحنة إلى وقت المتوكل الذي أمر بأن يترك الناس أحراراً في فكرهم.

امتازت فترة المأمون باتّساع الفكر وآفاقه والحرية، فجادل المشككين في مذهب الاعتزال بالاعتماد على العقل والمنطق، ودرس الناس الديانات المختلفة للتعرف على تعاليمها وأسرارها حتى يمكن محاربة زعمائها بالحجة الدامغة، وقد زاد الاختلاف لدرجة أنّ أحد أهالي خراسان ارتدّ إلى النصرانية، فسأله المأمون عن السبب فقال لكثرة الاختلاف.

أما فكرة القول بخلق القرآن في لفظه وحروفه فقد ظهرت في أواخر الحكم الأُموي، وأوّل من جهر بها الجعد بن درهم معلم مروان بن محمّد، فاعتنق علماء المعتزلة الفكرة وأظهروها أيام المأمون، فأباح لعلماء الكلام أن

يبحثوا كلّ شيء من أُمور دينهم، إلا أنّه أجبر الناس على الأخذ برأيه، وغالى في ذلك إلى اضطهاد من خالفه وعارضه حتى لو كانوا القضاة ورجال الفتوى، وانشغل بها الناس ربع قرن. ووقف علماء السنة معارضين المعتزلة، وقالوا بقدم القرآن، فقامت معارك جدلية بين الأطراف المختلفة، بين هؤلاء العلماء وبين الحكام، وأشهر معارض كان أحمد بن حنبل الذي سجن وعذب إلى أن عفا عنه المتوكل.

وعن نشاط حركة الترجمة فإنّ الخلفاء والوزراء وأصحاب النفوذ هم الذين اعتنوا بها، في الوقت الذي أهمل الغرب العلوم والدراسات اليونانية في العصور الوسطى حتى القرن (الثاني عشر الميلادي)، فإنّ الشرق اعتنى بالتراث اليوناني، فترجموا كثيراً من مؤلفات اليونانيين إلى العربية عن طريق السريانية والعبرانية، كما ترجم الكثير من تلك الكتب في فارس قام بها جماعة من النساطرة في جامعة جنديسابور، فاستفاد منها العرب، فتكدّست الكتب اليونانية في مدارس الاسكندرية وبيروت وأنطاكية وحران وجنديسابور، اشتغل المسلمون بدراستها وترجمتها. فالمسلمون في هذا العصر ربطوا بين تراث اليونان وعلوم الفرس والهنود والصينيين، فأصبحت اللغة العربية أداة العلم والمعرفة في ذلك الوقت، فانتقلت هذه العلوم من العربية إلى اللاتينية عن طريق مراكز الترجمة في أُوروبا اشتهر منها معابر الأندلس وصقلية.

وقد ولّى الرشيد يوحنا بن ماسوية النصراني لترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدت بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم عندما فتحها المسلمون، كما كان حنين بن إسحاق الطبيب النصراني مترجماً لكتب الحكمة من السريانية إلى العربية زمن المتوكل، وعمل معه كُتّاب علموا بأُمور

الترجمة، فنقل كتباً كثيرة إلى العربية.

وكانت مدارس كبرى قد برزت في المنطقة الإسلامية من قبل، مثل: جنديسابور التي اشتهرت عندما أغلق الأمبراطور الروماني جستنيان في (٥٢٩م) المدارس الفلسفية في أثينا، فاتّجه الفلاسفة نحو الشرق، وأنشأوا في الرها ونصيبين مدارس لتعليم فلسفة أرسطو وطب بقراط وجالينوس، وحينما أُغلقت مدرسة الرها انتقل فلاسفتها إلى جنديسابور حيث رحب بهم كسرى فارس. ولذا فإنّ العباسيين استخدموا أطباء سريان، ونقلوا علوم اليونان إلى العربية؛ إذ اقتضت طبيعة العصر الاهتمام بعلوم الطب والكيمياء والفلسفة والرياضة والفلك والاعتناء بها.

وفي هذه الفترة برزت ظاهرة الداخلين في الإسلام من بيئات متعدّدة، وأجناس وديانات مختلفة، فتعارضت أفكارهم المتوارثة وآراؤهم الدينية ونزعاتهم مع تعاليم الدين الإسلامي، ممّا خوّف علماء المسلمين جهل هؤلاء لحقيقة أهداف الإسلام، فنشأت العلوم الدينية، وتخصّص عدد كبير من العلماء في الرد على الشبهات وتوضيح ما غمض من أُمور الدين بالحجة والبرهان والكشف عنهم وإحباط مساعيهم المضللة. وأدّى الوضع إلى اتّساع دائرة الفكر الديني شمل مسائل العلم والأدب، وبحثت مسائل فلسفية مهمة مثل: حرية الإرادة في الإنسان، والقضاء والقدر، والثواب والعقاب، وانقسم المسلمون إلى جبريين واختياريين ومتوسطين بينهما، وتشعّبت البحوث فشملت ذات الله وصفاته سبحانه وتعالى، كما تفاعلت هذه الآراء المضطربة، فخرج منها المسلمون بآراء معتدلة بعيدة عن الغلو والتّطرف.

فالثقافة الإسلامية وإن استعانت بغيرها من الثقافات الأجنبية، إلاّ أنّها كانت لها قوّة الخلق والتجديد والابتكار، فهي تأخذ من تلك ما يناسب

اتجاهاتها واحتياجاتها، وتطبعها بالطابع الإسلامي. وظهرت المدارس في كل البلاد الإسلامية، ونشأت طائفة من العلماء، ونافس كلّ ذلك مدارس بغداد.

وقد نشط الموالي في هذه الفترة، فأصبح منهم من كان إماماً في الفكر والعلم حتى في العلوم العربية، مثل علوم تفسير القرآن، من أمثال: أبي حنيفة والرازي وابن سينا وغيرهم.

فالعصر تميّز بظهور العلوم، وامتزاج العناصر والأجناس والأديان والشعوب، كما تأكّدت اللغة العربية كأداة للتعبير عن الفكر، ونشطت الحرية الواسعة للفكر، فنشأ مزيج من العقلين تولّدت منه أفكار جديدة.

الجانب الأدبي

فقد تميّز العصر العباسي بتطور الحياة شمل كلّ النواحي، وبدأ المجتمع في ثوب جديد اختلف عمّا سبق، فسادت العادات الفارسية إلى أخص العادات العربية، واختفت سُنّة الحجاب، وأصبح نساء بغداد يمشين شبه سافرات، ويغشين مجالس الرجال يطارحنهم الشعر والأدب، فأصبحت معظم نساء الطبقة الراقية على جانب كبير من العلم والأدب والفن والشعر والموسيقى والرقص، واشتهرت القصور بالمنتديات الأدبية، وامتزج الأدب باللهو، وسرت عادة شرب النبيذ ومجالس اللهو والشراب والسهرات، وأصبح لكلّ مجلس ندماء وروّاد وخلان، فعمّ الترف كلّ شيء، واعتبرت الموسيقى والغناء من ضرورات الحياة، مما أثر بعد ذلك في انحلال الدولة.

وظهر لون جديد من الشعر تغنّى به المغنون في المجالس، وتغنيه الجواري في القصور وفي مجالس الأنس والسرور، فقد اشتهر عن الهادي والرشيد أنّهما كانا من عشاق إبراهيم الموصلي الذي داوم في مجالسهم، فقد

طـــربا لألحانه، وحفظوها، ويصحّحان له إذا أخطأ. وقد أسس الموصلي هذا مدرســـة حديـــثة فـــي الغناء وفن الظرف، كما علّم الجواري الحسان الشعر والغـــناء والموسيقى، وأساليب اجتذاب قلوب الرجال والتصرف بحضرتهم، وعلـــم كـــل ذلك ابنه إسحاق. وكان المهدي العباسي فناناً بطبعه، فاحتضن أصـــحاب الفـــن، ومال إلى اللهو، فأكثر من شراء الجواري المغنيات. كما أســـرف الرشـــيد في اللهو[١]. وقد أحب جعفر البرمكي الغناء وأقام مجالس الشـــراب، وكذلـــك المـــأمون الـــذي أحب الفن، فأعطى إسحاق بن إبراهيم الموصلي منزلة ممتازة عنده.

وقـــد اعتنى الرجال بتعليم الجواري فنّ الغناء؛ إذ قوّمت بالغناء أكثر ممّا لم تكن متعلمة له، وكان لهن بيوت معدّة لسماع الأغاني في أحياء بغداد، أحصاهن أبو حيان التوحيدي ممّن احترفن الغناء فكن ٤٦٠ جارية.

كما اشتهرت أسواق الرقيق في سامراء في القرن (الثالث الهجري).

وقـــد تمكّن الازدهار الاقتصادي، والتقدّم المادي، وتدفق الأموال على خزينة الدولة من تحويل الرخاء إلى الترف والنعيم، فظهرت آثاره في الأُبّهة وبذل الأموال والانفاق على المظاهر والعظمة في القصور التي حوت نفائس، ممّـــا أثر في أهل بغداد في عيشهم الرغيد. فقد عاش فيها العربي والفارسي والرومي والتركي والكردي والأرمني والكرجي والهندي والسندي والصيني والزنجـــي والحبشـــي، بيـــن صـــانع وتاجر ونخاس وشاعر ومغني وأديب ونحـــوي، كمـــا كـــان فيهم المسلم والذمي والحر والموالي والعبيد والغلام والجارية.

---

(١) وصـــل عدد جواري الرشيد ألفين من جميع الأجناس، ودفع إلى الواحدة منهن آلاف الدنانير. وأصبحت منهن من ولدت له الاولاد، كان منهم المأمون والمعتصم.

إلاّ أنّ الترف والثراء في بغداد أوجدا اختلافاً كبيراً في حياة الطبقات بين الرأسمالية المترفة وبين الجماهير العامة التي لم تتغيّر حياتها، كما أثر في التعبير الأدبي، فنشأ شعراء يمثلون المتعة الطارئة ويعبّون اللذة عباً، ويصورون حياة الأثرياء في قصورهم ولهوهم. وبجانب هذا التيار وجد تياراً آخر ينعى على هذا الاتجاه، ويأخذ بأسباب الزهد والتقشف والبعد عن هذه المزالق التي هوى إليها هؤلاء السراة.

أمّا ما يخص الحالة الأمنية وما يرتبط بها من جوانب عسكرية فقد رأى بعض أنّ العصر العباسي كان تجميداً للفتوحات، إلاّ أنّ الواقع اختلف عن ذلك، فقد ذكر عن الجيش العباسي بأنّه كان أكبر قوّة ضاربة في العالم خلال العصور الوسطى، فقد بلغ عدد الجنود في العراق ٢٥ ألف جندي، وفي منطقة الثغور مئة ألف. واندفعوا في تيار الفتح بنفس قوة الأُمويين، فنجحوا في بلاد ماوراء النهر وفي هزيمة الصين وتوقفها عن التدخل في شؤون الأتراك، فتركّز اتّجاههم نحو الشرق ونحو تركستان، وصدّوا الهجوم الصيني. كما استمرت حملاتهم وحروبهم في البحر، فانتشرت الأساطيل تحارب الهند وفي أجزاء من شرق آسيا وبحر الصين. واندفع أهل تلك البلاد من الترك في المناطق الشرقية يغزون ما وراءهم، ففتحوا مواضع لم يصل إليها أحد من قبل. فالعباسيون اتّجهوا في فتوحاتهم وحروبهم نحو الشرق على عكس الأُمويين الذين اتّخذوا الغرب مسرحاً لعملياتهم العسكرية.

وقد أنشأ العباسيون نظام الثغور ليتمّ الحفاظ على حدود البلاد الإسلامية؛ إذ أنشأوا معسكرات للجنود يعيشون فيها على الحدود استعداداً لصد غارات الأعداء، وهم في الغالب كانوا الروم، فكثيراً ما اشتبك العباسيون طوال عهدهم بالحروب مع الروم حتى تركز طابع العلاقات بين

الطرفين على تبادل الغارات التي اتّسمت بالتخريب والحملات المتبادلة على الحـدود الفاصـلة وهي الثغور، وترتّب عليها كثرة الأسرى بينهما ممّا كان يـؤدّي إلـى تبادلهم أو فدائهم بين فترة وأُخرى، وحدث أوّل فداء بينهما في (١٨٩هـ) خلال حكم الرشيد، ثمّ تتابعت الأفدية.

بناء القصور:

فقد بنى المتوكل العباسي في سامراء قصراً بالقادسية[(١)] وصرف عليه عشـرين ألـف ألـف درهم (٢٠ مليون) فقد كانت لـه هواية تشييد الأبنية والقصـور، مـثل: قصر الجعفري الذي كلّفه أموال طائلة وصلت الى ألفين ألف دينار (٢ مليون).

كمـا بـنى مديـنة المتوكليّة وصرف عليها الأموال، إلاّ أنّ الناس لم يرغـبوا في سكنها، فأقام بها تسعة أشهر. وقام ابنه المنتصر بعده بتخريبها، ونقل كلّ ما فيها إلى سامراء، فأصبحت موحشة.

وفـي أيام المقتدر كان في قصره دار الشجرة، وبلغ وزنها ٥٠٠ ألف درهـم من الفضة وعليها طيور مصوغة من الفضة تصفر بحركات معيّنة، وهـي فـي وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء وإلى يمينها تماثيل ١٥ فارس أُلبسوا الديباج، ومثله كان في الجانب الأيسر.

وبلـغ عـدد الخـدم ٧ آلاف منهم ٤ آلاف بيض والباقي سود، وعدد الحجـاب ٧٠٠ حاجـب، وعدد الغلمان السود أربعة آلاف خادم. وفي قصر التاج بلغ عدد الستور التي نصبت على حيطان دار الخلافة ٣٨ ألف ستر من الديـباج، أمّا البسط في الممرات والصحون التي وطىء عليها القواد ورسل

(١) بينها وبين سامراء أربعة فراسخ = ١٨ كم. قتل المتوكل في قصره الجعفري.

امبراطور الروم فكان عددها ٢٢ ألف.

واشتهر الوزير عليّ بن الفرات بأنّه ملك الأموال الكثيرة زادت على عشرة ملايين دينار، كما اعتبرت داره مدينة بذاتها.

أمّا الوزير حامد بن العباس (٣٠٦هـ) فكان له ١٧٠٠ حاجب و٤٠٠ مملوك يحملون السلاح. وأنفق على الطعام كلّ يوم ٢٠٠ دينار، ويحضر موائده رجال الدولة والأعيان والعامة. وأهدى إلى الخليفة المقتدر بستاناً أنفق على إنشائه مئة ألف دينار.

ويمكننا القول: إنّ التطور الذي حدث في العصر العباسي خلال القرن (الرابع الهجري) قد تميز:

ــ بنمو المدارس الإقليمية والتنافس بينها.

ــ وحركات التدوين للتراث الإسلامي.

ــ واكتساب العلوم الاسلامية صفة الوضوح.

ــ وشيوع الثقافة الإسلامية بالعالم باعتبارها ثقافة عالمية.

ــ والاستفادة من التجارب والخبرات التي ساعدت على حركة الترجمة.

ــ وقيام الحركات الاستقلالية واتّساعها.

ــ والتعاون الدولي والتسامح مع الأقطار الأُخرى.

وفي هذه الفترة التي تضاربت فيها معالم الحياة، وتناقضت فيها الأُمور، كما عرضنا لها، عاش الأئمة عليهم السلام منذ الإمام الصادق عليه السلام وحتى الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

دور الأئمة عليهم السلام في العهد العباسي

الإمام موسى الكاظم عليه السلام

عاش في عصر عدد من خلفاء بني العباس، فقد ذُكر أنّه وُلد في (١٢٨ أو ١٢٩هـ) ممّا يعني: أنّه لحق بآخر أيام الأُمويين صغيراً، ثمّ عاش في العصر العباسي أيام السفاح حتى (١٨٣هـ). وذكر (دونالدسون) أنّه وُلد خلال النزاع بين الأُمويين والعباسيين، فكان عمره أربع سنين حينما تولّى أبو العباس السفاح الخلافة، وعاش عشرين سنة في حياة أبيه الإمام الصادق عليه السلام وامتدّت إمامته عشر سنوات من حكم المنصور، وعشر سنوات أُخرى من حكم المهدي، وأقلّ من سنتين في حكم الهادي، واثني عشر عاماً في حكم الرشيد. فتصبح إمامته ثلاثة وثلاثين عاماً.

كان الإمام عليه السلام يعيش في صريّا إحدى ضواحي المدينة المنورة، ونقلت الأخبار أنّ الإمام الكاظم عليه السلام هو الذي أنشأها، وبنى فيها قصراً. ولما كان الخلفاء العباسيون الأوائل يتخوّفون من الأئمّة عليهم السلام لمنزلتهم وإمكانية تأثيرهم في الجماهير، فإنّهم وضعوا الأئمة تحت المراقبة والحراسة الشديدة، وتحت نظرهم الدقيق ببغداد، حتى من كان منهم يعيش في المدينة؛ إذ طلبوا من الولاة مراقبتهم، وأن يعرضوا عليهم كلّ يوم. فقد كان المنصور كثير الاهتمام باختيار ولاة المدينة، ويوصيهم بالتجسّس على آل عليّ عليهم السلام. ولذا فإنّ الإمام الكاظم عليه السلام كان يعلم بما يضمره العباسيون تجاهه، ويدرك ما ستكون عاقبته لو صدر عنه شيء ضدهم، مثلما فعل المنصور من سمّ أبيه الإمام الصادق عليه السلام.

وبالرغم من أنّه عاش معظم حياته منعزلا عن الناس إلاّ من خاصته ومن يثق بهم خوفاً من تهديد السلطات الحاكمة له بأية تهمة؛ لأنّها كانت

تبحث عن أيّ شيء يُلصق به للتخلّص منه. إلاّ أنّه عندما اشتهر أمره، واجتمع إليه العلماء والأدباء والناس في عهد المهدي، حاول مراراً التنكيل به والتخلّص منه.

ولذا فإنّ الإمامعليه السلام كان يعلم بقوة مكانته وتأثيره السياسي في الوضع الراهن ممّا جعله يخفي إمامته حتى عن شيعته إلاّ لخلصائه الذين عندما طلبوا منه إذاعة أمره على الناس، قال لهم: «من أنستم منهم رشداً فادعهم وخذ عليهم الكتمان، فإن أذاعوا فهو الذبح».

وفي زمنه نشط الرشيد في مطاردته للعلويين حتى أنّه دفن منهم أفراداً أحياءً، فبطش بهم بكلّ إمكاناته، وفرض عليهم الإقامة الجبرية في بغداد حتى يكونوا تحت المراقبة، ويضمن عدم اتّصالهم بالناس أو بهم، فحرمهم من جميع حقوقهم الطبيعية، ولذا لم يهدأ له بال في أن يرى الإمامعليه السلام يعيش في سلام وأمان دون أن ينكّل به، فأمر بسجنه وقتله وحرَم الأُمة الإسلامية من علمه وتوجيهاته وإرشاداته.

فقد حُبس الإمامعليه السلام ثلاث مرات: كان أوّلها في البصرة، والثاني في بغداد عند الفضل بن الربيع، والثالث عند الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي، وأخيراً عند السندي بن شاهك.

وقد أقدمه الرشيد من المدينة إلى بغداد، فقضى معظم حياته في سجون بغداد بعيداً عن المجتمع والناس إلاّ من فترات قليلة كان يطلق سراحه، ولكن كان يقيد حريته تماماً بوضعه تحت الحراسة والمراقبة الشديدة.

ونعرض هنا الأسباب والدواعي التي دفعت الرشيد إلى نقله إلى بغداد، وسجنه فترة طويلة أنهت حياته. فعندما اشتهر أمر الإمامعليه السلام في البلاد الإسلامية في الحجاز والعراق وغيرها، وقصده العلماء وطلاب العلم، كما

قدم إليه الشيعة الخمس والزكاة، فأصبحت له شعبية كبيرة، حسده عليها الرشيد.

كما أنّه كان من آرائه السياسية: أنّه حدّد فدك بحدود غيرما تعارف عليه الآخرون، فكان يراها تمتدّ من عدن وسمرقند وإفريقية والبحر وما يلي الجزر وأرمينية، وهي التي تدخل ضمن حدود الدولة الإسلامية آنذاك.

وقيل: إنّ بعض حسّاده وشوا به عند الرشيد، وكانوا من أقارب الإمام عليه السلام فذكروا أنّ الناس يحملون إليه خمس أموالهم، ويعتقدون بإمامته، وأنّه يتهيأ للخروج عليه، وأكثروا القول ضده، ممّا أقلق بال الرشيد، ودفعه للعمل على التخلص منه. وقيل: إنّ ذلك الجاسوس الذي وشى به هو: عليّ بن إسماعيل بن أخي الإمام الكاظم عليه السلام إلاّ أنّه لم يثبت عنه أنّه عمل جاسوساً للرشيد، ممّا يُعدّ من الوشايات والدسائس في حقه، فهو لم يخبر عنه سوى أنّ الأموال تأتي إليه من المشرق والمغرب، وأنّ له بيوتاً وأموالا، وأنه اشترى بثلاثين ألف دينار ضيعة سماها اليسيرة وهو ممّا لايُعدّ سراً، فقد كان يعلمه الرشيد والناس.

وقيل: إنّ محمّد بن إسماعيل هو الذي وشى به عند الرشيد حين قال له: إنّ هناك خليفتين في عصر واحد، عمّي موسى بن جعفر بالحجاز والرشيد في بغداد. وجاء ــ أيضاً ــ أنّه لمّا قدم الرشيد إلى المدينة عام (١٧٩هـ)، ودخل قبر النبي صلى الله عليه وآله ليزوره مع أتباعه وجماعة من الناس، فقال عند القبر: السلام عليك يا رسول الله يا بن عم افتخاراً على من حوله، فدنا الإمام الكاظم عليه السلام الذي تواجد هناك فقال: السلام عليك يا أبت، الأمر الذي غيّر من وجه الرشيد، فحقد عليه، وأمر بالقبض عليه، وحمله إلى بغداد. كما

نقل أنّ الذي تآمر عليه هو: يحيى بن برمك، لمكانته ومنزلته عند الناس، وحمل الأموال إليه من كلّ صوب. كما قيل: إنّ الرشيد سأله يوماً: «أنت الذي تبايعك الناس سراً؟ فقال الإمامعليه السلام: أنا إمام القلوب، وأنت إمام الجسوم».

كلّ ذلك دفع الرشيد إلى أن يأمر بالقبض عليه، ونقله مقيداً من المسجد النبوي الشريف، ليرحل إلى جهة غير معلومة، حيث أعدّوا وحدتين من القوافل، سارت إحداهما نحو البصرة، والأُخرى إلى الكوفة؛ لئلاّ يعلم الناس بأمر الإمامعليه السلام خوفاً من الاعتداء على القافلة وانتزاع الإمام منهم وتحريره وتخليصه. وقد وضع الإمامعليه السلام في القافلة التي اتجهت نحو البصرة حيث حبس هناك نحو سنة.

وقد تحيّر في حبسه الولاة، فقد كتب الوالي عيسى بن جعفر بن المنصور[1]، إلى الرشيد يطلب منه أن يتسلّم الإمامعليه السلام أو تخلية سبيله؛ لأنّه لم يجد عليه إيّة حجّة، حتى إنّه تسمّع عليه تجسساً، لعله يدعو عليه أو على الخليفة، فلم يسمع منه غير الدعاء لنفسه وسؤال الله الرحمة والمغفرة.

كما حُبس عند الفضل بن الربيع مدّة طويلة استغرقت أربع سنوات، وطلب منه الرشيد قتله فرفض. كما رفض الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي طلب الرشيد بالتخلص منه، وعامل الإمامعليه السلام معاملة جيدة وأحسن إليه، ممّا جعل الرشيد ينقم عليه، فبعث إلى السندي بن شاهك ليجلد الفضل بن يحيى

---

(١) أخو زبيدة وابن عم الرشيد. أسر في بعض المعارك في عمان، وقتل في سجونها. لم يقبل أن يستمر سجن الإمامعليه السلام لديه لعدم مشاهدته شيئاً نكراً منه أو ذنباً يحتمل ذلك. وكان هذا هو الحبس الأول للإمامعليه السلام.

مئة جلدة بعدما يجرد من ثيابه.

ثم نُقل الإمام عليه السلام إلى حبس السندي حيث قامت أخته بحراسته، وكانت على غير هوى القوم، فقالت عن الإمام عليه السلام حينما كانت تراه يصلّي ويتعبّد: «خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح».

وحكت عنه أنّــه إذا صلّى العتمة حمد الله ومجده، فكان هذا دأبه إلى أن تُوفّي.

وحُـبس عـنده أربع سنوات، قام بعد ذلك بسمّه فتوفّي بعد ثلاثة أيام. وكـان السندي بن شاهك من المعادين لآل البيت عليهم السلام فاضطهد الإمام عليه السلام في سجنه[١].

ولــذا فقد سمي الإمام عليه السلام بالكاظم لصبره على البلاء وكظم الغيظ. فقد بلغ الإمام عليه السلام حد الإعجاز في تصوير كظم الغيظ والعفو، فلم يعلم لغيره في التاريخ في صفته وسلوكه، من تمسكه عن الغضب وعفوه عن الاساءة، فجاء فـريداً فـي لقـبه قدوة لغيره وأسوة، حتى أنه أوصى أبناءه بالصبر والعفو وقـبول عذر المسيء. وأفضل مثل لذلك عدم السماع منه أي بادرة لغيظ أو غضب في السجن، أو دعاء على الذين حبسوه وآذوه، فما سمعت له شكوى ولااستغاثة ولادعاء على أحد. وكان يكرر: الغضب مفتاح الشر. بالرغم من أنّــه استمر في حبس الرشيد ما بين سبعة إلى عشر سنوات.

وقــد حلم الإمام عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وهو في السجن يقول لــه: يا موسى حبست مظلوماً. قل هذه الكلمات فإنك لاتبيت هذه الليلة في الحبس: «يا سامع

(١) له حفيد اسمه كشاجم عُرف بتعصبه في حب أهل البيت عليهم السلام على عكس جده، وكان شاعراً لأهل البيت عليهم السلام وموالياً لهم في القرن (٤هـ).

كـــل صـــوت ويا سابق الفوت ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت، أســألك بأسمائك الحسنى وبأسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلـــع علـــيه أحـــد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة لايقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لاينقطع ولايحصى عدداً فرج عني». فكان أن أطلق الرشيد سراحه بعد أن خيره بين الإقامة في بغداد أو الرجوع إلى المدينة.

وبعـــد وفاتـــه وضع جسده الشريف على الجسر ليشهد الناس بوفاته، فشـــهد لـــــه الفقهاء والعلماء إلاّ أحمد بن حنبل فلم يكتب شيئاً مع إصراره الشديد.

ولمـــا رأى سليمان بن أبي جعفر المنصور ما حدث لمقتل الإمامعليه السلام ووضـــعه علـــى الجسر ثلاثة أيام، أمر ابنه بالسيطرة على الموقف باستلام الجسد الشريف، فجهّزه وغسله وكفنه وأنزله في مقره الأخير، ثمّ أخذ العزاء، وتقبّل ذلك شاكراً الناس.

وبالرغم من أنّ الإمامعليه السلام لم يكن يوالي الدولة وأجهزتها وحكامها، ولم يعـــترف بشـــرعيتها، إلاّ أنـــّـــه لم يمنع فرداً من أتباعه وشيعته العمل لدى أجهـــزة الحكومـــة وإداراتها، فلم يأذن لعليّ بن يقطين الذي عمل وزيراً في دولـــة الخلافة العباسية، عندما استأذنه في ترك العمل وقال: «لاتفعل فإنّ لنا بك اُنساً، ولإخوانك بك عزاً، وعسى أن يجبر الله بك كسراً، ويكسر بك نائرة المخالفيـــن عن أوليائه. يا عليّ كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم. اضمن لـــي واحـــدة فأضـــمن لك ثلاثاً: ألاّ تلقى أحداً من أوليائنا إلاّ قضيت حاجته وأكرمـــته، وأضـــمن لك ألاّ يظلك سقف سجن أبداً، ولاينالك حد سيف أبداً، ولايدخل الفقر بيتك أبداً».

وقال له: «كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان».

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام:

فقد بقي مع أبيه الكاظم عليه السلام ثلاثين عاماً، فشاهد ما حدث لـــه من أذىً ومراقبة وحبس، وعاش بعده عشرين عاماً لقي فيها الكثير من المحن والآلام والاضطهاد حتى نهاية حياته. إلاّ أنـــّه عاش في فترتين متباينتين، تمكّن من الـــتحرّر في الفترة الأُولى، وأن يتقيّد في حياته في الفترة الثانية، فيلقى الظلم والقهـــر. فقـــد انـــتهز فرصة النزاع بين الأمين والمأمون والصراع الدامي بيـــنهما، فانشغلا عنه وعن الدعاة، فنشط الإمام عليه السلام بنشر المبادئ الإسلامية والدعـــوة إلى التمسّك بالدين والعقيدة، كما أنـــّه شجّع الثورات والثوار ضد الظلـــم والطغـــيان والطغاة، إلاّ أنـــّه لم يقبل بما كان يفعله هؤلاء الثوار من أعمال فاسدة نحو الناس الآمنين: من قتل وتشريد وحرق في ديار المسلمين، حتى لو كان ذلك الثائر أخاهُ (زيد بن موسى) الذي رفض الإمام عليه السلام ما فعله خـــلال ثورته على المأمون. فالإمام عليه السلام لم يرفض قيام الثورات ضد الحكام الجائرين، بل كان ممّن يدافع عن الثوار، مثلما حدث في عصر الرشيد حين بعث الأخير جلاّده مع جنوده للانتقام من العلويين والطالبين بعد ثورة محمّد بن جعفر، فقد خرج الإمام عليه السلام ووقف عند باب بيته ليمنعه من الدخول على النســـاء وســـلب ما عليهن مثلما أمرهم الرشيد، وقام هو بنفسه بجمع الحلي والحلل والملابس وما عليهن، وسلّمها للجلاد.

واشتهر الإمام عليه السلام في التاريخ الإسلامي، وتميّز عن غيره من الأئمة: أنـــّه أصبح ولياً للعهد، أي: أنـــّه سيتولّى الخلافة على الدولة الإسلامية بعد المأمون لو طال به العمر.

وقد ذُكر الكثير عن الدوافع التي جعلت المأمون يفكر بتولية الإمام عليه السلام؛ إذ إنّ الكثرة والغالبيّة من أبناء الشعب الإسلامي خلال الدولة العباسية، فضلا

عن رجال الدين كانوا يميلون إلى العلويين، ويكرهون ما ينالهم من شر، ممّا فكـر فيه المأمون أن يعيّنه ولياً للعهد؛ لابعاد تلك الأفكار عن هؤلاء الناس. ويؤكّـد هذا القول أنّ بعض المتصوّفة من خراسان قالوا للإمام: إنّ الخليفة رأى أن أهـل البيـت أولى الناس بالإمامة، ونظر فيك من أهل البيت فرآك أولى الناس بالناس.

وقيل: إنّ الفضل بن سهل الوزير حسّن للمأمون ذلك، فقد كان متشيعاً، وأحـبّ أهـل البيـت وعظّمهم، فرأى أنّ الخلافة ينبغي أن تكون في الإمام علـيّ‌عليه السلام وأولاده‌عليهم السلام. كمـا أنّ فكـرة خرجت تقول: إنّ المأمون قام بذلك لترضـية الخراسـانيين، إلاّ أنّ هذا الرأي لايرتقي إلى الحقيقة، وليس لـه دلـيل، فالخراسانيون كانوا يحترمون المأمون ويتابعونه، فلم تكن لـه حاجة بذلـك. كما أنّ أهل خراسان لم ينتشر التشيع بينهم بعد بتلك الأعداد الكبيرة حـتى يقـدم المـأمون بترضـيتهم. ومن جانب آخر فإنّ الإمام‌عليه السلام لم يكن خراسانياً، بل عربياً من أهل المدينة المنورة.

على كلّ حال، اتّصل المأمون، فكتب إلى والي المدينة: عبد الجبار بن سـعد السـاحقي: أن اخطب الناس وادعهم إلى بيعة الرضا‌عليه السلام، فقام خطيباً وقال: «أيها الناس هذا الأمر الذي كنتم فيه ترغبون، والعدل الذي تنتظرون، والخير الذي كنتم ترجون. هذا عليّ بن موسى الرضا بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ».

وتـدلّ الصـفات والفضائل التي عدّدها الوالي في الخطبة، أنّ الحالة السياسـية والاجتماعـية كانـت قـد وصلت إلى درجة سيئة للغاية في ذلك العصـر، وأنّ الناس كان هواهم مع أهل البيت‌عليهم السلام ينتظرون أحدهم ليؤمّهم ويحكمهم.

وجـاء في الأخبار أنّ المأمون أراد أن يخلع نفسه ويولي الرضا عليه السلام بدلا منه، وليس فقط أن يوليه العهد، إلاّ أنّ الإمام عليه السلام رفض ذلك، كما رفض ــ أيضاً ــ ولاية العهد، ولكنّ المأمون قال قولا يشبه التهديد فقبل. ويوضح الإمام الموقف بنفسه عندما ذكر لأحد خواصه سراً: «لاتشغل قلبك بشيء ممّا ترى من هذا الأمر، ولاتستبشر به فإنّه لايتمّ».

وعندما تمت البيعة أمر المأمون بأن يدعى الإمام عليه السلام على المنابر، كما ضربت الدراهم والدنانير باسمه، وكتب على السكة: المأمون أمير المؤمنين وعلـيّ الرضا إمام كلّ المؤمنين. وألبس الناس الأخضر، بعد ثمانية أيام من وروده إلى بغداد، ولكنّه عاد فلبس السواد شعار العباسيين بعد وفاته.

وقد بدأ الإمام عليه السلام بوعظ المأمون إذا خلا به، ويخوفه الله، ويقبح لـه ما يرتكب من مخالفات، فكان يظهر القبول منه، ويبطن كراهيته وغيظه، فقد ضاق المأمون ذرعاً بالإمام عليه السلام لما كان يكثر لـه النصح، ويصارحه بحقائق الأمور. وانتدبه المأمون يوماً للصلاة قيل: إنّها صلاة العيد، فاشترط عليه أن يخـرج كما فعل الرسول صلى الله عليه وآله، فلبس أفخر ثيابه، وتعمّم بعمامة قطن بيضاء، وأخـذ عكّـازاً وعليه قميص أبيض، وخرج ماشياً لم يركب، وسار بمواليه مكبراً مهللا ويقول: السلام على آبائي آدم ونوح وإسماعيل وإبراهيم ومحمّد وعلـيّ، السـلام علـى عباد الله الصالحين. فنزل الجند وأعيان الدولة عن خـيولهم، وساروا بين يديه مهلّلين مكبّرين، فكان كلّما كبر الإمام كبر الناس حتى خيّل لهم أنّ الجدران والحيطان تجاوبهم، فتزلزلت (مرو) وارتفع البكاء والضـجيج، وهـرع إليه الناس، وانهالوا على تقبيل يده، ممّا اضطر بعض الحاشـية أن يسرع إلى المأمون يحذرونه ويطلبون منه تدارك الموقف خوفاً من خروج الخلافة إلى غيره.

وقـيل: إن الفضل بن سهل هو الذي خوّفه، وطلب منه أن يخرج إلى الصلاة بنفسه «حتى لاتخرج الخلافة منك» فخرج مسرعاً ليصلي بالناس. ثمّ إنّ المـأمون عمل بعد ذلك على التخلّص منه ومن الوزير الفضل بن سهل؛ لأنّ العباسيين ثاروا عليه لفعله، وعيّنوا عمّه إبراهيم المهدي خليفة بدلا منه، وهو الأمر الذي قد يؤكده البعض وهو أنّ ماعمل المأمون بتعيين الإمام ولياً للعهـد كـان رضاء لله واعترافاً بفضل أهل البيت وأحقيتهم بالخلافة، وذلك بالرغم من أنه لما ثار العباسيون على المأمون بعد تولية العهد للإمامعليه السلام دعا المأمون إلى أن يحلّه من البيعة ويخلعه، ولكنّه رفض.

فالمـأمون عـندما شعر بأنّ الحكم خارج منه إلى غيره، تخلّص من الإمامعليه السلام ومن الوزير الفضل حتى يثبّت أقدامه في الحكم، وكتب إلى الحسن بن سهل يخبره بموت أخيه والإمامعليه السلام، كما بعث إلى أهل بغداد وبني العباس يخـبرهم أنّ الرضـاعليه السلام الـذي كانت بيعته سبباً في نقمتهم عليه قد تُوفّي، وسألهم الدخول في طاعته.

وعـندما قتل المأمون الفضل بن سهل في (سرخس) ثار عليه الناس، وكـادت أن تحـدث فتـنة في خراسان لولا تسارع الإمامعليه السلام بتهدئة الناس والموقف بعدما خطب فيهم. فالإمامعليه السلام أنقذ دولة المأمون من الانهيار خاصة عندما كان يخبره بما يجري من أحداث في بغداد في الوقت الذي كان يخفيها عنه وزيره وعماله.

وذُكر أنّ الإمامعليه السلام كان يدعو على البرامكة بما فعلوا به، فاستجاب الله دعـاءه فنكبهم، كما ذُكر أنـّه بوجود الإمامعليه السلام عنده يجعل العلويين ومحبي آل البيت يفدون إليهعليه السلام ويقتربون منه ممّا يسهل الأمر على المأمون للتعرف عليهم وعلى أماكن تواجدهم ومعرفة آرائهم وأهدافهم، ممّا يمكن ضبطهم، أو

التخلص منهم، أو القبض عليهم متى أراد أو نوى ذلك.

الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام:

عاصـــر ثلاثة من جبابرة الحكام العباسيين الذين حقدوا عليه وضايقوه في كلّ خطوة له، كما حاولوا تشويه سمعته. وكان صغيراً عندما خرج والده الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان حيث تركه في المدينة. وأصبح في السابعة أو التاسعة من عمره عندما تُوفّي والده عليه السلام، وبقي بعده ١٧ عاماً.

وقـــد عاش الإمام عليه السلام كذلك في فترتين متناقضتين، ففي الفترة الأُولى خلال عصر المأمون لم يكن مراقباً من قِبل السلطات الحاكمة، ممّا مكنّه من الاتصـــال بالشيعة ومحبيه بحرية لم يحصل عليها أحد من قبله، كما استطاع أن ينشـــر الدين والمبادئ والافكار السامية. أمّا في الفترة الثانية فقد تغيّرت الأحـــوال والأجـــواء فـــي عهد المعتصم؛ إذ أقيمت عليه الحراسة والمراقبة الشـــديدة في بغداد، فتُوفّي وهو رهن تلك الإقامة. وكان الإمام عليه السلام يذهب إلى قـــرية (صريا) التي أسّسها الإمام الكاظم عليه السلام للراحة والاستجمام والبعد عن المراقبيـــن والجواســـيس من رجال الدولة، كما أنّ الشيعة الموالين كان في استطاعتهم الاتصال به هناك لعرض المسائل والاستفسار والمناقشة معه.

وحـــدث أوّل لقاء بينه وبين المأمون الذي كان في رحلة صيد، فشاهد أولاداً كـــان مـــن بينهم الإمام الجواد عليه السلام وهو في عمر الحادي عشر، فنفر الأولاد كلّهـــم من أمامه سوى الإمام عليه السلام الذي أجابه حينما استفسر عن عدم هـــروبه: (إن الطـــريق لـــيس ضيقاً حتى يتعذر عليه المرور، كما أنـــّه لم يقـــترف ذنـــباً يخـــاف منه، وأنـــّه لاينزل الأذى بمن لم يرتكب أي خطأ). فتعجب من أدبه ودهش لجرأته، وأجمع العلماء لمناقشته ومناظرته. فأحبّ أن

يزوجه ابنته إذ قال للإمام عليه السلام: أحببت أن أكون جداً لفرد ولده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلــيّ بن أبى طالب عليه السلام، فزوجه ابنته أم الفضل؛ لما علم من غزارة علمه وفضائله وذكائه وأدبه، فكان يوقره ويبجله مع صغر سنه. إلاّ أنّ بني العباس رفضــوا هــذا الزاوج إلاّ بعد أن يجري حوار ديني بينه وبين قاضي بغداد، أي: أنــّـه يقــوم آل العباس بامتحانه في العلم والدين؛ لأنّهم تصوّروا أنـــّه لايصـــلح زوجاً لابنتهم لصغر سنه، إلاّ أنّ الإمام عليه السلام تمكّن برغم ذلك بالرد علـــى الاســئلة المحــيرة التي سألها القاضي فأجاب عنها بكل معرفة وثقة لاتخصـــان إلاّ أهــل البيــت، ممّا أعجب الناس لسعة اطلاعه وعلمه. وأمر المــأمون أن تكتب الأحكام التي ذكرها الإمام عليه السلام فيما يتعلق في قتل المحرم للصيد حتى يتعرف عليها الناس.

وأقـــام المأمون حفلة كبرى بمناسبة الزواج: من أفراح وولائم وطعام، ووزّع الجوائز والهدايا، وأمر للإمام عليه السلام بألفي درهم.

وعاش الإمام مع زوجته في المدينة، إلاّ أنّ حياته معها لم تكن سعيدة، فلـــم يـــتوافر المـــناخ الذي ينعم به أي زوجين، فقد كانت تثير والدها عليه، وتكتـــب إلـــيه رســـائل تذمّه وتحط من قدره، وتزعم أنـــّه يقضي وقته مع جواريه وإمائه إلاّ أنّ المأمون أنـــّبها لهذه التهم.

وتوضّـــح الســيدة حكيمة أخت الإمام الرضا عليه السلام هذه المشكلة: بأنّ أمّ الفضل اتّهمت الإمام عليه السلام بزواجه من حسناء بارعة الجمال، فغضبت وحزنت واشـــتكت ذلك لأبيها، باعتبار أنّ عمله هذا يعد إهانة لها، ولأسرتها الحاكمة كلّها، وللأسرة العباسية بأسرها.

وفي عصر المعتصم أمره بالتوجه إلى بغداد في (٢٢٥هــ) فلم يسمح لـــه بالإقامـــة بالمدينة خوفاً منه ومن انتقال الخلافة إلى العلويين، ممّا جعله

يتخلّص منه حتى لاتحدثه نفسه بالمطالبة بالخلافة على أساس أنّ أولاده من سلالة المأمون. هذا بالرغم من أن زوجته لم تلد منه. وقيل: إنّ زوجته هي التي سمّته، وأنّه تُوفّي خلال عهد الواثق بالله، كما تذكر الروايات أنّ المعتصم هو الذي دفع زوجته لقتله؛ لأنّها كانت تغار من زوجته المفضلة لديه أمّ الإمام عليّ الهادي عليه السلام.

الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام:

عاش في الفترة المضطربة التي كثرت بها الفوضى والفساد خلال العصر العباسي الثاني في أيام المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمعتز الذي تُوفي في عهده (٢٥٤هـ). أمّا الإمامة فقد تولاّها في عمر تسع سنوات. وقد عُرف عن هؤلاء الحكام حقدهم على أهل البيت عليهم السلام وتنكيلهم بهم سوى المنتصر الذي كان على عكس أبيه محباً لآل البيت؛ إذ أمر بزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام والإمام عليّ عليه السلام بعد أن منعها الحكام السابقون. كما أمّن العلويين وأطلق سراحهم، فلم يتعرّض لأهل البيت أو الشيعة الذين دفع عنهم الاذى. كما أنّه رد فدك على أهل البيت وأطلق أوقاف آل أبي طالب. ونظراً للموقف الصعب الذي عاش فيه الإمام عليه السلام كان من العسير عليه الاتّصال بأفراد الشيعة والمحبين له، لذا تمّ الاتصال بهم بالمراسلة نتيجة المراقبة الشديدة، ولم يتمكّن العلماء والتابعون والرواة الاتّصال بالإمامين الهادي والعسكري أيضاً بعد ذلك.

ونتيجة كلّ ذلك وخوفاً من الأئمة طلب منه المتوكل وهو في سن العشرين التوجه إلى سامراء من المدينة؛ لتتم مراقبته خلال عشرين سنة قادمة، لما علم من مقامه وميل الناس إليه، مع أنّه كان يمارس مهماته

الدينــية بالتعلــيم والــتدريس، فاشتهر بين الناس، واجتمع إليه الكثير، ممّا أغضــب الحكام، فدعوه إلى بغداد، ونزل في فندق الصعاليك المعدّ للغرباء والفقراء، ثمّ أعدّ له داراً للإقامة فيها.

إلاّ أنّ أهل المدينة تأثروا لرحيله عنهم، خوفاً عليه من إيذاء السلطات الحاكمة لــه، ولكنّ أمير المدينة طمأنهم ووعدهم خيراً بعدم التعرض للإمام وإصابته بسوء أو شر.

ومــع ذلــك فقــد حزن الناس لفراقه، فقد كان لهم معلماً في المساجد وزاهــداً ومحســناً لهم، ذو مكانة عالية بينهم. وكان المتوكل قد اتّهمه بجمع المــال والســلاح وإعــداد الــرجال استعداداً للثورة على الدولة، فقام قائده العســكري بتفتيش منزله بدقة، إلاّ أنــّه لم يعثر على ما يمكن اتهامه به، إلاّ على مصاحف وأدعية وكتب علم وأدب.

كما أنّ والي المدينة كان يؤذي الإمامعليه السلام ويشنّع عليه، فكتب الإمامعليه السلام بذلــك إلــى المــتوكل، فعزلـــه، وعيّن والياً آخر بدله، وأمره بإكرام الإمام وتقديــره. إلاّ أنّ المــتوكل انقلب عليه بعد ذلك، فأمره بالتوجه إلى سامراء. ومع ذلك فإنّ المتوكل كان يرسل إليه ليحل له بعض المشكلات برغم عداوته للإمــامعليه السلام، وخاصــة أنّ الإمــامعليه السلام قام بعلاجه حينما مرض بوضع لزقة خاصة ضحك عليها الأطباء.

والواقع أنّ الإمامعليه السلام عاش أسيراً متأذياً في سامراء عشرين عاماً منذ (٢٣٤هــــ) فلــم يكن يخرج إلاّ قليلا ليلتقي بالأصدقاء، أو للخروج خارج المدينة، أو ليحضر مجلس المدينة، وكل ذلك تحت رصد الجواسيس لحركاته ومراقبتهم الدقيقة.

وقــيل: إنّهعليه السلام تُوفي مسموماً في عمر الأربعين أو الواحد والاربعين

من قبل المعتز.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

تولّى الإمامة في عمر ٢٣ سنة، وبلغ من العمر سبع سنين خلال حكم المستعين العباسي.

كان معظّماً عند الناس، يزورونه من كل مكان، وإذا استعدّ لزيارة دار الخلافة كلّ يوم اثنين وخميس فإنّ الناس كانوا يحضرون بالآلاف لمشاهدته ورؤيـــته. فكان العدو والموالي يحسن القول والثناء عليه؛ إذ أعطى اهتماماً كبـــيراً بشيعته ومواليه، وحذرهم من المكائد والدسائس الحكومية، ووجوب أخـــذ الوقايـــة تجاههـــا، فكان يقول: «إنّما هو الكتمان أو القتل، فأبقوا على أنفســـكم»، كما حذّرهم بأنّ فتنة تظلكم فكونوا على أهبة، وكانت تلك مشكلة المعتز العباسي ونهاية حياته بالقتل.

وليتمكّن من الاجتماع بأفراد شيعته، فإنّه كان يعين أحد البيوت الآمنة للاجـــتماع بهـــم بعـــد صلاة العشاء والالتقاء بهم لعرض المشكلات الحادثة والمســـائل الشـــرعية، كما كان يسافر إلى المناطق البعيدة ليجتمع بالموالين والمناصـــرين لــــــه، فقد سافر إلى جرجان، كما كان يتصل بهم عن طريق المراسلات إذا ما أشكل عليهم أمر ديني في القضايا والمسائل المستجدّة.

وقـــد جـــاهد الإمـــام عليه السلام في محاربة المواقف الفاسدة والأراء والبدع المـــنحرفة التي برزت في المجتمع الإسلامي خلال عصره، ويدعو أصحابه لانتظار الفرج.

وقـــد ظهـــر في زمنه صاحب الزنج الذي ثار ضد الحكم العباسي مع مجموعة كبيرة من الأفراد الذين شعروا بقساوة الحكم ومساوئه وخاصة ضد

الفقــراء والبؤســاء، وادعـــى قائد الثورة انتسابه إلى أهل البيتعليهم السلام إلاّ أنّ الإمامعليه السلام رفض نسبه ولم يقره، بالرغم من أنّ حركة الزنج اُعتبرت ضغطاً على العباسيين للتخفيف ممّا يقومون به تجاه آل البيت، إلاّ أنّ الإمامعليه السلام أشار إليهم بأنّ صاحب الزنج ليس منا أهل البيت.

ولقــوة تأثيره في الأفراد، وشجاعته ووفرة معلوماته تمكن من التأثير في الحارسين اللذين كانا يحرسان في السجن، وسجانين آخرين، فغيرهم من حالهم السيء وطبائعهم الخشنة وأفعالهم القاسية إلى أفراد مسلمين مؤمنين.

وفــي الســنوات التالية عندما اُمر بالإقامة الجبرية، ووضُعت مراقبة شديدة عليه، لم يتمكن من الاتّصال بالموالين له، وصرف الأموال على الناس والفقراء، أو حل المشكلات والمسائل، فإنّه عيّن وكلاء للقيام نيابة عنه بأداء تلك الأعمال، واشتهر منهم:

ــ إبراهيم بن عبدة النيسابوري.

ــ أحمد بن إسحق الرازي.

ــ عثمان بن سعيد العمري.

ــ محمــد بن عثمان بن سعيد العمري، الذي تولّى النيابة مدّة خمسين سنة.

ــ القاســم بــن العــلاء الهمداني من أهل أذربيجان، وهو ممّن رأى الحجة عجل الله فرجه وعمّر إلى ١١٧ سنة.

ــ أيوب بن نوح بن دارج النخعي، وكان أبوه قاضياً بالكوفة.

ــ أحمد بن اسحق الأشعري، وهو قمّي ثقة، رأى صاحب الزمانعجل الله فرجه.

ــ عروة بن يحيى النخاس الدهقان، في بغداد، وقد انحرف عن الحق وضلّ، فأخذ يكذب على الإمامعليه السلام ويقتطع الأموال لنفسه، وأحرق بيت المال

الذي سُلّم إليه، فتبرأ منه الإمام عليه السلام ولعنه ودعا عليه، كما لعنه الإمام الحجة عجل الله فرجه. كان مغالياً في مذهبه. وقتل بعد دعاء الإمام عليه السلام.

وكان كل من هؤلاء يدبّر مصالح الإمام عليه السلام وشؤونه، وينقل إلى الشيعة رسائل الإمام السرية. وهم كالسكرتير وأمين الصندوق الآن.

وكان بعضهم يعمل تاجراً ليغطي عمله الأساس، مثل: عثمان بن سعيد الملقب بالسمان حيث عمل تاجراً للسمن. وكان الشيعة يبعثون عن طريقه أخماسهم وما يجب عليهم من أموال للإمام عليه السلام تقية وخوفاً من الحكام؛ إذ إنّ تلك الأموال كانت ترد إليه من مختلف الأقطار الإسلامية.

ولكن بالرغم من كلّ ذلك فإنّ الخلفاء العباسيين تخوّفوا منه ومن قوة تأثيره في الأفراد، وحب الناس له، فأمروه بالإقامة الجبرية أكثر من أبيه عليه السلام كما سجن في غرفة في الجزء الأسفل من القصر الملكي وحيداً، فلم يسمحوا لزوجته بالبقاء معه، كما لم يكن للغرفة أي منفذ أو شباك. وأكمل فيه سنتين متحملا الأذى بهدوء وطيب نفس، ثمّ أطلقه المعتمد على أن يراقب بشدّة. وكان الإمام عليه السلام قد اُعتقل في سامراء خلال حكم المهتدي حين ساءت أحوال الشيعة في أيامه من الجوانب السياسية والاجتماعية والمالية نتيجة المصائب والنكبات التي انزلها عليهم السلاطين والحكام كالمعتز والمعتمد. وأمر المهتدي بالتضييق عليه في السجن. وكثيراً ما تمنى هؤلاء الحكام أن يتخلّصوا منه؛ إذ رسم المعتمد خطة لتنفيذ ذلك بإعداد بغلة مشاكسة خاصة به ليركبها الإمام عليه السلام فتسقطه ليموت، إلاّ أنّ الإمام عليه السلام سيطر عليها تماماً، ولم يحدث له سوء. كما أنّ المعتمد أمر في الأيام الأخيرة من حياته بالقضاء عليه وقتله، إلاّ أنّه قتل بعد ثلاثة أيام من قراره في مؤامرة أعدها رجاله وقواده.

أمّــا وفاة الامامعليه السلام فقد مرضعليه السلام في (٢٦٠هــ)، وأرسلت السلطات الحاكمة الأطباء والحراس لـــهعليه السلام للمحافظة على منزله وحراسته كما قيل، ولكن كان لمراقبة التطوّرات التي قد تحدث، ولإظهار أنّ موته طبيعي لا من السّــم. وقــد تفرّقــت الشيعة بعد وفاتهعليه السلام: فمنهم من ناصر جعفر الكذاب، ومنهم من تاه وشك أو تحير، ومنهم من ثبت على دينه وعقيدته.

الإمام المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف:

عــاش في سامراء مدّة خمس سنين مع والده، و٧٠ سنة أخرى عاشها فــي أيام الغيبة الصغرى شملت عهد الحكام:المعتمد والمعتضد والمقتدر بالله والراضي. وقد طالب المعتمد أمه بالولد الطفل فأنكرته، فقبض عليها وسجنها إلى أيام ثورة الزنج ومشكلاتها، فخرجت من السجن في تلك الأيام.

فعــندما نشطت السلطة في تفتيش بيت الإمام العسكريعليه السلام بعد وفاته بحــثاً عن المولود الذي كان قد بلغ من العمر خمس سنين آنذاك، فقد أعلنت الســيدة نــرجس ــ خوفــاً عليه ــ أنّها حامل؛ وذلك لتحافظ على وليدها؛ وتصرف الأنظار عن البحث عنه، فاعتقلت في دار المعتمد حتى أيام الزنج وأحداثه، فتحررت من أيديهم بعد أكثر من سنتين.

كمــا قــرر المعتضــد اغتياله، فراقب منزله مراقبة شديدة مما جعل الإمامعليه السلام يستخدم المعجزات لدفع هؤلاء الأشرار عنه. وعندما أرسل الخليفة جيشاً كبيراً إلى منزله سمعوا صوت الإمامعليه السلام وهو يقرأ القرآن من السرداب الذي خرج منه الإمامعليه السلام أمام أفراد الجيش دون أن يشاهدوه أو يشعروا به.

وكــان جعفــر أخــو الإمام العسكريعليه السلام قد انحرف عن سلوك آبائه وأجــداده والخــط المستقيم للرسالة الإسلامية، فانحاز إلى الحكام وأجهزتهم واشــترك فــي جلساتهم في المنكرات والفجور، فشرب النبيذ معهم، ولعب

وقامــر، وحضــر مجــالس الطرب والغناء والفسوق، منحرفاً عن خط أهل البيت عليهم السلام حتى قال أبوه الإمام الهادي عليه السلام: «تجنبوا ولدي جعفراً فإنه بمنزلة ابــن نــوح لــيس مــن أهلك، وإنّما عمل غير صالح». وحين تُوفي الإمام العسكري عليه السلام أعلن نفسه إماماً، إلاّ أنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه لم يمنحه الفرصة حتى أن يؤدّي الصلاة على جثمانه، فنحّاه وصلّى عليه وهو صغير.

وكــان الإمام عجل الله فرجه يأخذ الأخماس عن طريق وكلائه ونوّابه في بغداد خوفــاً مــن بطش عمّه والسلطات الحاكمة، فطلب منهم أن لايحضروها إليه شخصياً، بل يسلموها إلى هؤلاء النوّاب.

وبذا فقد تمّ اتّصاله عجل الله فرجه خلال الغيبة الصغرى بالشيعة والموالين عن طريق السفراء والنواب الأربعة لمدّة سبعين عاماً، فقد كان يتّصل بهم ليحل مشــاكلهم برغم مراقبة السلطات الحاكمة لتحركاته وملاحقتها لــه. فقد كان للإمــام عجل الله فرجه ظروفه الخاصة تمنعه عن الاتّصال المباشر بالناس؛ إذ اشتدّت علــيه الــرقابة الحكومــية، فلقــي صــعوبة كبيرة في الاتّصال بهم؛ إذ أنّ الأئمــة عليهم السلام كانوا الشغل الشاغل للحكام العباسيين، فتخوّفوا منهم ومن زوال حكمهــم نتيجة قداسة هؤلاء الأئمة عليهم السلام ونزاهتهم وورعهم وتقواهم، وتعلّق الأفــراد بهم، ممّا دفع الحكام وأجهزتهم إلى البحث عنهم للتخلّص منهم، أو تشــويه سمعتهم وتجميد نشاطهم، وهو ما دفع الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام والمهدي عليهم السلام أن يختاروا عدداً من الثقاة من شيعتهم في بغداد؛ ليكونوا وكلاء ومراجع عنهم للقضايا المختلفة، ومصدراً لما يهم أمورهم الدينية والدنيوية. فقــد ساعد هذا الأُسلوب على التخلّص من الرقابة المشدّدة التي طبقها الحكام نحوهم.

أمّــا بعد وفاة النائب الرابع (عليّ بن محمّد السمري) الذي تُوفي سنة

(٣٢٩هــ) فإنّ الغيبة الكبرى تبدأ منذ هذا الوقت، فانقطعت السفارة، وأُعلن للشيعة بالرجوع إلى القرآن ورواة الأحاديث الثقاة.

وكــان لهؤلاء النواب وكلاء في معظم البلاد الإسلامية اعتمدوا عليهم فــي تسهيل مهمتهم، فكان من الممكن أن يوجّهوا رسائل مباشرة إلى الإمام المهــدي عجل الله فرجه نفســه. وقــد اعتبرت النيابة الخاصة من المناصب الخطيرة تطلبت مؤهلات مميّزة ومحدّدة كالأمانة، والكتمان، وعدم التصرف الشخصي بالأمور، وتنفيذ التعليمات والأوامر الخارجة من الإمام عجل الله فرجه. أمّا السفراء أو النواب الأربعة فكانوا:

ــ عــثمان بــن ســعيد العمــري، الــذي عمل سفيراً للإمام الهادي والعسكري عليهما السلام أيضاً.

ــ أبوجعفر محمّد بن عثمان بن سعيد، واستمرت سفارته عشرين عاماً وتوفي سنة (٣٠٤ هــ).

ــ أبــو القاســم الحســين بن روح بن أبي بحر النوبختي، الذي عمل للإمام عجل الله فرجه ٢٢ عاماً، وتُوفي عام (٣٢٦هــ).

ــ أبــو الحسن، عليّ بن محمّد السمري، خدمه ثلاث سنوات، وتوفي (٣٢٩هــ)[1]، وكان الإمام عجل الله فرجه قد بلغ من العمر في هذا الوقت ٧٤ عاماً.

وانقطعــت الســفارة بوفاتهم، فانتهت الغيبة الصغرى وابتدأت الغيبة الكبرى التي استمرت إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله. وكان هؤلاء يراسلون الإمــام عجل الله فرجه للحصــول علــى الأجوبــة من الإمام عليه السلام كما كانوا يقبضون الأخمــاس ويتصــرفون بهــا حسب المصلحة العامة، فاعتبروا بذلك حلقة

(١) كانوا يقيمون ببغداد إلا أن قبورهم كانت في أمكنة أُخرى متفرقة.

الاتّصال بينه عليه السلام وبين الشيعة في الأقطار الأُخرى.

وقد ذكر الإمام عجل الله فرجه للنائب الرابع: أنّ الغيبة التامة قد وقعت فلا ظهور إلاّ بعد أن يأذن الله.

وأمّا ظهوره وعلامات ذلك فقد حدّدها الأئمة عليهم السلام في أحاديثهم المتكررة: بأنّها علامات عامة، وأُخرى قريبة من زمن الظهور، وعلامات تظهر في زمن ظهوره. وأنّه عندما يظهر سيحارب الهاشمي واليماني متحالفين الجيشَ السفياني، لينتصر الهاشمي ويخرج الإمام عجل الله فرجه في المدينة، ثم يسير إلى مكة تخلصاً من السفياني، ويجتمع به ٣١٣ رجلا من خواصه قادمين من الشرق والغرب في مكة. وتتوفّر في هؤلاء المؤهلات اللازمة والمطلوبة للانضمام معه من: لياقة وكفاءة في الإدارة وتدبير الأمور، فهم صفوة ونخبة اختارهم الله من بلاد عديدة وقوميات مختلفة، كما أن أنصاراً آخرين مؤمنين يلتحقون به في مكة ليحاربوا تحت لوائه، حيث يلتحق به هناك عشرة آلاف يقودهم إلى المدينة. وأول من يبايعه: جبرائيل، ممّا يدّل على اعتراف السماء بمشروعية حكومته.

ثمّ يلتحق به ملايين الناس أثناء الطريق، وخلال إقامته بالكوفة، ثمّ يتوجه إلى فلسطين وإلى مدينة اللّد ليحارب الجيش السفياني ويفنيه، وهنا ينزل النبي عيسى عليه السلام ليبايعه ويصلي خلفه. ويأمره الإمام عليه السلام بقتل الدّجال الذي تنتهي حياته في فلسطين. كما أنّه يخرج التوراة والإنجيل من أرض أنطاكية، فيتبعه المسيحيون واليهود أملا في أن يكون الخلاص على يديه.

أمّا أُسلوب حكمه فقد ذكره الإمام عليّ عليه السلام بأنّه في حياته يشمل السلام العالم الإسلامي والعالم كلّه، «ويهلك الأشرار ويبقى الأخيار، ولايبقى من يبغض أهل البيت، ولايترك بدعة إلاّ أزالها، ولاسنّة إلاّ أقامها».

فهـــو يطبق القوانين الإسلامية الصحيحة من القرآن والسنة، كما يهتمّ بانشاء المرافق المختلفة في البلدان المختلفة كالسدود والجسور والطرق وحفر الأنهار والزراعة والصناعة، فيملأ الأرض قسطاً وعدلا، وهو يحكم في ذلك بحســب علمـــه الشخصي دون الحاجة إلى إثبات الشهود، بل حسب اطلاعه بالواقع وعلمه بالحق، فلا يعتمد على الظاهر. ويستغرق حكمه عشرين عاماً بعد ظهوره.

حكام بني اميّة

أ ــ في فترة بني سفيان:

الاسم	فترة الحكم	مدة الحكم
معاوية بن أبي سفيان	٤٠ــ٦٠هــ/٦٨٠م. أبريل	٢٠ سنة
يزيد بن معاوية	٦٠ ــ ٦٤ هــ	٤ سنين
معاوية الثاني	٦٤ هــ	ثلاثة أشهر

ب ــ فترة بني مروان:

الاسم	فترة الحكم	مدة الحكم
مروان بن الحكم	٦٤ــ٦٥هــ	عام واحد
عبدالملك بن مروان	٦٥ــ٨٦هــ/٦٨٢م	٢١ سنة
الوليد بن عبدالملك	٨٦ــ٩٦هــ	١٠ سنين
سليمان بن عبدالملك	٩٦ــ٩٩هــ	٣ سنين
عمربن عبدالعزيز	٩٩ــ١٠٠هــ	أكثر من سنتين
يزيد الثاني	١٠١ــ١٠٥هــ	٤ سنين
هشام بن عبدالملك	١٠٥ــ١٢٥هــ	٢٠ سنة
الوليد الثاني بن يزيد	١٢٥ــ١٢٦هــ	عام واحد
يزيد الثالث	١٢٦هــ	ــ
إبراهيم بن الولي	١٢٦هــ	ــ
مروان بن محمّد	١٢٧ــ١٣٢هــ	خمس سنوات

ويتّضح من ذلك: أنّ أربعة منهم حكموا سبعين عاماً هم: معاوية ــ عبدالملك ــ الوليد ــ هشام.

مع العلم أنّ دولتهم عمرت تسعين عاماً، فيكون العشرة الباقون قد حكموا ٢١ سنة فقط.

خلفاء بني العباس

الحكام الذين عاصرهم الأئمة عليهم السلام

في العصر العباسي الأول:

أبو جعفر السفاح	١٣٢ هـ
أبو جعفر المنصور	١٣٦هـ
المهدي	١٥٨هـ
موسى الهادي	١٦٩هـ
هارون الرشيد	١٧٠هـ
الأمين	١٩٣هـ
المأمون	١٩٨هـ
المعتصم بالله محمّد	٢١٨هـ.
هارون بن المعتصم الواثق بالله	٢٢٧ـ٢٣٢

في العصر العباسي الثاني:

المتوكل على الله جعفربن المعتصم	٢٣٢هـ ـ ١٠أكتوبر ٨٤٧
المنتصر بالله محمد بن المتوكل	٢٤٧هـ
المستعين بالله أحمد بن المعتصم	٢٤٨هـ. قتل في٨٦٦م
المعتز بالله	٢٥٢هـ
المهتدي بالله محمّد بن الواثق	٢٥٥هـ
المعتمدعلى الله أبوالعباس أحمدبن المتوكل	٢٥٦ـ٢٧٨هـ ٨٧٠ـ ـ ٨٩٢م

ويتضح من ذلك: أنّ ثلاثة من حكام العصر الأوّل حكموا فترة طويلة استغرقت حوالي٦٥ عاماً، واثنين منهم حكموا حوالي عشرة سنين، مع العلم أنّ الفترة كلّها كانت قرناً واحداً، وأنّ منهم من حكم عاماً واحداً.

أمّـــا في الفترة الثانية فإنّ اثنين منهم فقط حكموا سبعة وثلاثين عاماً، بالرغم من أنّ الفترة كلّها ستة وأربعين عاماً.ممّا يدلّ على اضطراب الوضع في العصر العباسي الثاني؛ إذ لم يكن يحكم الفرد منهم إلاّ سنين أو شهوراً أو أياماً قليلة.

خلفاء بني العباس:

زمن الغيبة الصغرى وأيام نواب الإمام المهدي عجل الله فرجه

المعتمد على الله	٢٥٦ـــ٢٧٨هــ
الموفق أبوأحمدطلحة بن المتوكل	توفي ٣٧٨هــ
المعتضد بالله	٢٧٩هــ
المكتفي بالله علي بن المعتضد	٢٨٩هــ
المقتدر بالله	٢٩٥هــ
الغالب بالله	٢٩٦هــ
القاهر بالله	٣٢٠ــ توفي٣٣٩هــ
الراضي بالله محمّد بن المقتدر	٣٢٢هــ
المتقي بالله إبراهيم بن المقتدر	٣٢٨ـــ٣٣٣هــ

وكمـــا ســـبق أن ذكـــرنا أنّ هـــذه الفترة هي فترة الضعف والانقسام والاضطراب، ولذا نلاحظ أنّ ثلاثة منهم فقط حكموا ستة وخمسين عاماً مع أنّ فترة الحكم كلّها كانت حوال ٧٧ عاماً.

خلفاء بني العباس المعاصرين للدول الإسلامية الأخرى:

المستكفي بالله	٣٣٣ـ توفي٣٣٦هـ
المطيع لله الفضل بن المقتدر	٣٣٤هـ
المستنصر بالله	٣٥٠هـ
المتقي لله	توفي ٣٥٦هـ
الطائع لله عبدالكريم بن المقتدر	٣٦٢هـ
القادربالله أحمدبن الأمير إسحق بن المقتدربالله	٣٨١هـ
القائم بأمر الله عبدالله بن القادر	٤٢٢هـ
المقتدي بالله	٤٦٧هـ
المستظهر بالله	٤٨٧هـ
المسترشد بالله	٥١٢هـ
الراشد بالله	٥٢٩ هـ
المقتفي لأمر الله	٥٣٠هـ
المستنجد بالله	٥٥٥هـ
العاضد عبد الله	٥٥٥هـ
المستضيء بأمر الله	٥٦٦هـ
الناصر لدين الله	٥٧٥هـ
الظاهر بأمر الله	٦٢٢هـ
المستنصر بالله	٦٢٣هـ
المستعصم بالله	٦٤٠ـ٦٥٦هـ

و مـــن ذلك يمكن القول: إنّ ثلاثة من هؤلاء الحكام البالغ عددهم ١٩ حكموا ١٣٣ سنة، وستة منهم حكموا ١١٤ سنة مع أنّ فترة الحكم كلّها بلغت ٣٢٣ عاماً. فهناك الكثير منهم من تولّى الحكم عاماً واحداً فقط.

وإنّ ذلك الذي حكم فترة طويلة ليس دليلا على حسن سيرته أو عدله، بل إنّ القواد والوزراء الحكام الذين سيطروا على الحكم في بغداد استحسنوا ضعفه حتى يتمكّن هؤلاء من السيطرة على الأوضاع لصالحهم.

الباب الثاني

دور الأئمة (ع) الاجتماعي وأثره على المجتمع الإسلامي

- البطاقة الشخصية للائمة عليهم السلام.
- اساليب تعاملهم مع الافراد.
- تميز مكانتهم ومنزلتهم بين افراد المجتمع الإسلامي.
- سعيهم إلى تطهير المجتمع وتطوّره إلى الافضل.



البطاقات الشخصية

١ ــ بيانات المواليد والوفيات

	بيانات الولادة						بيانات الوفاة					
	اليوم	الشهر	سنة هـ	سنة م	محل الميلاد	فترة الإمامة	اليوم	الشهر	السنة هـ	السنة م	مكان الوفاة والدفن	العمر
علي بن ابي طالب	١٣	رجب	٣٠ عام الفيل	٦٠٠	الكعبة	٢٩	٢١	رمضان	٤٠	٦٦١	العراق، النجف	٦١
الحسن بن علي	١٥	رمضان	٣	٦٢٥	المدينة	١٠	٧	صفر	٥٠	٦٦٩	المدينة، البقيع	٤٨
الحسين بن علي	٣	شعبان	٤	٦٢٦	المدينة	١١	١٠	محرم	٦١	٦٨٠	العراق، كربلاء	٥٧
علي بن الحسين	٥	شعبان	٣٨	٦٥٧	المدينة	٣٤	٢٥	محرم	٩٥-٩٩	٧١٢	الحجاز، المدينة	٥٨
محمد بن علي الباقر	١	رجب	٥٧	٦٧٦	المدينة	١٩	٧	ذو الحجة	١١٤	٧٣٢	المدينة	٥٨
جعفر بن محمد الصادق	١٣-١٧	ربيع الأول	٨٠-٨٣	٧٣٣	المدينة	٣٤	١٥	رجب،شوال	١٤٨	٧٥٧-٧٦٥	المدينة	٦٨
موسى بن جعفر الكاظم	٥-٧	رجب، صفر	١٢٨	٧٤٥	الابواء	٣٩	٢٥	رجب	١٨٢-١٨٧	٧٩٩-٨٠٣	العراق، الكاظمين	٥٨
علي بن موسى الرضا	١١	ربيع الاول	١٤٨-١٥٣	٧٦٥	المدينة	١٦	١٧	صفر	٢٠٣-٢٠٦	٧٧٠-٨١٨	ايران، مشهد	٤٨-٥٠-٥٧
محمد بن علي الجواد	١٠-١٥/١٩	رجب، رمضان	١٩٥	٨١٠	المدينة	١٩	١١-٥	ذو القعدة، ذو الحجة	٢٢٠-٢٢٥	٨٣٥	العراق، الكاظمين	٢٥
علي بن محمد الهادي	٥	رجب	٢١٤	٨٣٠	صرية المدينة	٣٠	٣-٤/٢٦	جمادى الثانية	٢٥٤-٢٥٥	٨٦٨م	العراق، سامراء	٤٠/٤٢
الحسن بن علي العسكري	١٠	ربيع الثاني	٢٣٢	٨٤٥	المدينة	٥	٨	ربيع الأول	٢٦٠	٧٨٣	العراق، سامراء	٢٨-٢٩
الإمام المهدي المنتظر	١٥	شعبان	٢٥٥	٨٦٨	سامراء	٧٤في الغيبة الصغرى	عجل الله تعالى فرجه، بدء الغيبة الصغرى ٢٦٠-٨٣٢ وقد ولد في سنة وفاة جده					

وبالنظر إلى البيانات التي وردت بخصوص ولادة الأئمة عليهم السلام ووفاتهم فإنّه يمكن استنتاج المعلومات التالية:

١ ــ إنّ أربعة من الأئمة عليهم السلام كانوا يُسمّون عليّاً، واثنين منهم عليهم السلام سمّيا بالحسن، وثلاثة منهم عليهم السلام سمّوا بمحمد. وأُطلق أسماء كل من الحسين وجعفر، وموسى على ثلاثة آخرين.

٢ ــ أمّا في الألقاب والكنى، فإنّ أربعة منهم تكنّى بأبي الحسن، وهم: الإمام عليّ، والإمام الكاظم عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام. وإن اثنين منهم عليهم السلام تكنيا بأبي عبد الله، وهما: الإمام الحسين عليه السلام و الإمام الصادق عليه السلام كما كُنّي اثنان منهم بأبي جعفر، وهما: الإمام الباقر عليه السلام أبوجعفر الأول، والإمام الجواد أبوجعفر الثاني. كما كُنّيَ ثلاثة منهم عليهم السلام، بأبي محمد وهم: الإمام الحسن عليه السلام و الإمام العسكري عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام. أمّا الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه فقد كُنّي بأبي القاسم، وهي كنية جدّه العظيم صلى الله عليه وآله.

ولم يتّخذ لقب سبط رسول الله صلى الله عليه وآله غير الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

٣ ــ كما يتضح أنّ معظمهم وُلد في شهر رجب كالإمام عليّ عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام والإمام الكاظم عليه السلام والإمام الجواد عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام. وأنّ ثلاثة منهم ولد في شهر شعبان، وهم: الإمام الحسين عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام والإمام المنتظر عجل الله فرجه. واثنين منهم في ربيع الأول، وهما: الإمام الصادق عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام، وأنّ واحداً منهم ولد في شهر رمضان هو الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام، وواحداً في شهر ربيع الآخر هو الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

كما يلاحظ أنّ ولادتهم كانت تتمّ في النصف الأول من الشهر، أي

حتى ١٥ يوماً منه.

وأنّ الشهور التي ولدوا فيها هي: ربيع الأوّل، ربيع الآخر، رجب، شعبان، رمضان.

٤ ــ ولدوا جميعاً في المدينة المنوّرة أو بقربها، إلاّ الإمام الأوّل والثاني عشر، فالإمام علّي عليه السلام وُلد في الكعبة بمكة، ووُلد الامام المهدي عجل الله فرجه بسامراء. فجميعهم ولادة الجزيرة العربية ما عدا الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه. وإنّ اثنين منهم ولدا في العام الذي تُوفي جدهما وهما: الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام الذي ولد في ١٤٨ هـ، والإمام المنتظر ولد في ٢٥٥ هـ عند وفاة الإمام الهادي عليه السلام.

٥ ــ عُدّ الإمام الصادق عليه السلام أكبر المعمرين منهم حيث عاش ٦٨ عاماً، وأنّ أصغرهم كان الإمام الجواد عليه السلام فقد عاش ٢٥ عاماً، ممّا يظهر أن الغالب على أعمارهم القصر، فلم يطل عمر أحد منهم إلاّ الإمام المنتظر عجل الله فرجه الذي يعيش بيننا منذ ولادته في منتصف القرن الثالث الهجري إلى ما شاء الله تعالى.

٦ ــ أما بالنسبة لبيانات وفياتهم:

فإنّ اثنين منهم تُوفيا في شهر محرم: الإمام الحسين عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام.

واثنين في شهر صفر: الإمام الحسن عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام.

واثنين في شهر رجب: الإمام الصادق عليه السلام والإمام الكاظم عليه السلام.

واثنين في ذي الحجة: الإمام الباقر عليه السلام والإمام الجواد عليه السلام الذي قيل: إنّه توفي في ذي القعدة.

وواحداً في ربيع الأوّل هو الإمام العسكري عليه السلام، وواحداً في جمادى

الآخرة هو الإمام الهادي عليه السلام، وواحداً في شهر رمضان وهو الإمام عليّ عليه السلام.

٧ ــ و أمّا مكان الوفاة أو الاستشهاد فقد دفن نصفهم في العراق، ولكن في مدن متفرقة: فالإمام عليّ عليه السلام يقع مرقده الشريف في النجف الأشرف، والإمام الحسين عليه السلام بكربلاء، والإمامان الكاظم والجواد عليهما السلام بالكاظمين في مدفن واحد، والإمامان الهادي والعسكري عليهما السلام بسامراء في مدفن واحد.

كما أنّ أربعة منهم مدفونون في البقيع في المدينة المنورة من الحجاز وفي مقبرة واحدة، وهم: الإمام الحسن عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام. وأن إماماً واحداً فقط دفن في طوس الواقعة في ايران، هو الإمام الرضا عليه السلام.

٨ ــ وقد عاش ثلاثة منهم في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم: الامام علي والامام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام، وأدرك الحسنان منهم العصر الأُموي. وهم بالإضافة الى الامام زين العابدين عليه السلام عاشوا زمن الخلافة الراشدة، فقد ولد عليه السلام زمن جده الامام علي عليه السلام.

أما الذين عاصروا العهد الأُموي فهم: الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام الذي عاش جزءاً من حياته في عصرهم، فهم عليهم السلام عاصروا أربعة عشر من حكّامهم. فقد عاصر الإمام الحسن والحسين عليهما السلام والإمام زين العابدين عليه السلام في قسم من حياته فترة حكم بني سفيان، والآخرون عاصروا فترة حكم بني مروان، كما أن الإمام زين العابدين عليه السلام عاصر في الجزء الأخير من حياته حكم بني مروان، كما أنّه عليه السلام عاصر الدولة الأُموية منذ أيام حاكمها الأوّل معاوية وحتى أيام عمر بن عبد العزيز، أي: أنه عاصر ثمانية من حكامهم.

كمـــا أنّ الإمـــام الصادقعليه السلام عاصر في قسمٍ من حياته تسعة منهم، منذ أيام الولـــيد بـــن عبد الملك وحتى أيام مروان بن محمّد آخر حكامهم. أمّا الإمام الحسنعليه السلام فقد كان في زمن معاوية فقط، وعاصر الإمام الحسينعليه السلام معاوية و ابنه يزيد فقط.

أمّـــا الإمـــام الباقرعليه السلام فقد عاصر كل من: يزيد بن معاوية ومعاوية الثاني ــ مروان بن الحكم ــ عبد الملك بن مروان ــ الوليد بن عبد الملك ــ سليمان بن عبد الملك ــ عمر بن عبد العزيز ــ يزيد الثاني ــ هشام بن عبد الملك، أي: تسعة من حكامهم مثل الإمام الصادقعليه السلام.

وبذا فإنّ الإمام زين العابدينعليه السلام والإمام الباقرعليه السلام والإمام الصادقعليه السلام هـــم أكـــثر ومناً من غيرهم ممن عاصر الحكام الأُمويين. أما أقلهم زمناً فقد كان الإمام الحسنعليه السلام.

٩ ــ أمّـــا في العصر العباسي فقد عاش في العصر الأوّل منه ما بين ١٣٢ ــ ٢٣٢ هـــ الإمام الصادقعليه السلام والإمام الكاظمعليه السلام والإمام الرضاعليه السلام والإمام الجوادعليه السلام والإمام الهاديعليه السلام حيث عاصروا عشرة من حكامهم.

والإمام الصادقعليه السلام فقد عاش مدة من عمره أيام العباسيين، بلغت ستة عشر عاماً.

وفـــي العصر العباسي الثاني الممتد من ٢٣٢ ــ ٦٥٦ هـــ فقد عاش كـــل من الإمام الهاديعليه السلام والإمام العسكريعليه السلام والإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف حيث عاصروا خمسة من حكامهم.

وفي زمن الغيبة الصغرى عاصر نواب الإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف الأربعة، تسعة من حكّام العباسيين الذين حكموا ٦٩ عاماً منذ ٢٦٠ هـــ حتى ٣٢٩ هـــ.

ولتوضيح ذلك نذكر حياة الإئمةعليهم السلام في الفترة العباسية:

فقد عاصر الإمام الصادق عليه السلام: السفاح والمنصور. والإمام الكاظم عليه السلام عاصر كل من: السفاح، المنصور، المهدي، الهادي، الرشيد. والإمام الرضا عليه السلام عاصر كل من: المهدي، الهادي، الرشيد، الأمين والمأمون.

أمّا الإمام الجواد عليه السلام فقد عاش في زمن كل من: المأمون، المعتصم، الواثق. والإمام الهادي عليه السلام عاش أيام: الواثق، المتوكل، المنتصر بالله، المستعين، المعتز، المهتدي. أما الإمام العسكري عليه السلام فقد عاصر كل من: المتوكل، المنتصر، المستعين، المعتز، المهتدي، المعتمد. أما الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف فلم يعاصر غير المهتدي والمعتمد فقط.

وبذا فإنّ الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام هما أكثر من عاصر من حكّامهم، فقد عاش كل منهما في زمن ستة من حكامهم، يليهما الإمامان الكاظم والرضا عليهما السلام اللذان عاشا في زمن خمسة منهم، ثمّ الإمام الجواد عليه السلام عاصر ثلاثة منهم، وأقلهم في ذلك كان الإمامان الصادق عليه السلام والمهدي عجل الله فرجه الشريف حيث عاصر كل منهما اثنين فقط من حكامهم.

كما يمكن القول: أنّ والدين وابنيهما هم اكثر من عاصروا من الحكّام العباسيين، وهم: الإمام الكاظم الوالد وابنه الإمام الرضا عليهما السلام والإمام الهادي الوالد وابنه الإمام العسكري عليهما السلام.

٢ ـ المعلومات العامة

الاسم والكنية	الأم	اشهر الزوجات	الأولاد
الإمام علي عليه السلام أبو الحسن	فاطمة بنت أسد وهي أول سابقة في بيعة الرسول صلى الله عليه وآله	السيدة الزهراء عليها السلام، أمامة بنت أبي العاص، أسماء بنت عميس	جاء أنهم ٢٩ ولداً وبنتاً، ولكن المسعودي ذكر أنهم ٢٥: اشتهر منهم: الحسن والحسين عليهما السلام زينب الكبرى، أم كلثوم الكبرى، من السيدة الزهراء عليها السلام، محمّد بن الحنفية من خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة. العباس من أم البنين بنت حزام بن كلاب.
الإمام الحسن عليه السلام أبو محمّد	الزهراء عليها السلام	أم إسحاق بنت طلحة بن خالد بن عبيدالله التميمي، حفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر، جعدة بنت الاشعث بن قيس	كانوا ١٥ ذكراً وأنثى، اشتهر منهم: الحسن، زيد، عمر، القاسم، الحسن المثنى وبرز أحفاده من: زيد والحسن المثنى، حيث ينتهي نسب السادة الحسنيين إليهما. ومن بنات زيد: السيدة نفيسة، تزوجها عبدالملك بن مروان الذي كان يحترمه ويقدره لأجل ذلك. ومن أولاد الحسن المثنى، الحسن المثلث، كان مع عمه في كربلاء وجرح، ولكنه لم يدع الإمامة وهو صهر الإمام الحسين عليه السلام حيث تزوج بنت عمه فاطمة توفي بالمدينة ٣٥ هـ ودفن بالبقيع
الإمام الحسين عليه السلام أبو عبدالله	الزهراء عليها السلام	ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي، شاهزنان شهربانو بنت يزدجرد، الرباب بنت امرئ القيس الكلبي	كانوا ٦ ذكور و٣ إناث: على الأكبر وعلي الأصغر، استهشدا يوم كربلاء. الإمام السجاد عليه السلام، سكينة، فاطمة، رقية، زينب. كما تزوج الإمام عليه السلام أختها التي كانت زوجة محمّد بن أبي بكر بعد أن استشهد في مصر ٣٨ هـ لتتولى تربية الإمام زين

			بعد أن استشهد في مصر ٣٨ هـ لتتولى تربية الإمام زين العابدين عليه السلام
الإمام السجاد عليه السلام أبو محمّد	شاهزنان توفيت بعد ولادته، ولها أسماء أُخرى: غزالة، سلامة، خولة، وسماها الإمام علي عليه السلام مريم أو فاطمة. كما كانت تدعى سيدة النساء. وهي لم تر مولودها العظيم عليه السلام	فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام	كانوا ١١ ذكراً، و ٤ بنات، أشهرهم: الإمام الباقر عليه السلام، الحسن، زيد، عمر، الحسين الأصغر، عبدالله، علي، سليمان وتوفي صغيراً كان عمر فاضلاً ورعاً. والحسين من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام توفي ١٥٧هـ في عمر ٦٤ عاماً ودفن بالبقيع، وله أحفاد كثيرون تفرقوا في البلاد ما بين الحجاز وفارس والعراق والمغرب. وتركز عقب الإمام السجاد عليه السلام في ستة من أولاده: الإمام الباقر عليه السلام، عبدالله الباهر، عمر الاشرف، زيد الشهيد، حسين الإصر، علي الأصغر فزيد كانت أُمه أم ولد أهداها المختار الثقفي للإمام عليه السلام، وكان قد اشتراها بثلاثين ألف درهم فولدت له زيداً، عمر، علياً، خديجة. وجاء عن أبي الفرج الإصفهاني: أنّ زيداً كان يعلم مكان قبر الإمام عليّ عليه السلام وسمّاه: روضة من رياض الجنة. وإنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يقرّبه ويحترمه، وكذلك عبدالله بن الحسن. وقيل عنه: إنّه حليف القرآن. أمّا يحيى ابنه فكانت أُمّه: ريطة

			بنت أبي هاشم عبد الله بن محمّد الحنفية. والحسين ذو الدمعة ابنه الآخر، تُوفّي ١٤٠هـ وتزوّج المهدى العباسى ابنته. أمّا عبدالله الباهر فقد اشتهر من أحفاده: حمزة بن أحمد الدخ القمي. دفن فى مقبرة المعصومة بقم. وعمر الأشرف: هو جد السيد المرتضى وأخيه السيد الرضي من اُمهما. وعليّ الأصغر اشتهر ابنه الحسن الأفطس الذى خرج مع ذي النفس الزكية؛ إذ كان حامل لوائه، واختفى بعد المعركة حتى طلب له الإمام الصادق(عليه السلام) الأمان من المنصور العباسى. وله أولاد وأحفاد كثيرون من أشهرهم: عمر بن الحسن الذى ظهر من أحفاده: السيد عبدالله شبر المحدث والفقيه العالم. تُوفّي١٢٤٢ هـ فى عمر ٥٤ عاماً، ودفن بجوار الإمام الكاظم(عليه السلام). وعبدالله بن الحسن بن عليّ الأصغر، الذى كان فى فخ، وأمر المؤذن بنداء: حيّ على خير العمل. كما اشترك حفيده: عبدالله بن العباس ابن عبدالله مع صاحب الزنج فى البصرة، وهرب إلى قم بعد الهزيمة، فسكنها
الإمام الباقر عليه السلام أبو	فاطمة بنت الإمام	أم فروة بنت القاسم بن محمّد	وهم ٧ ذكور وإناث، أشهرهم: الإمام الصادق عليه السلام، وعبدالله من

جعفر الأول	الحسن عليه السلام	بن أبي بكر وامها: أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر، أم حكيمة الثقفية.	أم فروة. إبراهيم، عبيدالله من أم حكيمة. علي، زينب، أم سلمة، وكان لعلي بنت اسمها فاطمة تزوجها الإمام الكاظم عليه السلام وقبره في بغداد بالجعفرية، إلاّ أنّه تأكّد أن قبره في كاشان بإيران معروف بشاهزاده سلطان على في ٥٦٣ هـ.
الإمام الصادق عليه السلام أبو عبدالله	أم فروة بنت القاسم، أو فاطمة أو قريبة وكان جده لأمه القاسم بن محمد بن أبي بكر من سادات التابعين وفقهاء الشيعة بالمدينة ومن ثقات الإمام زين العابدين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة توفي ١٠١ هـ في عمر ٧٢ سنة	حميدة بنت صاعد العباس وهي مغربية أو بربرية أو أندلسية. فاطمة بنت الحسين عليه السلام	أكبرهم كان إسماعيل، الذي تنسب إليه الفرقة الإسماعيلية، وجدّ الفاطميين في مصر، توفي خلال حياة أبيه. وأوّل الخلفاء الفاطميين كان: عبيد الله بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام والذي تلقب بالمهدي بالله. وقد أشار إليه الإمام علي عليه السلام في أخباره التنبؤية: يظهر صاحب القيروان الغض البض ذو النسب المحض المنتجب من سلالة ذي البداء المسجّى بالرداء مشيراً بذلك إلى إسماعيل بن جعفر الذي سجاه الإمام الصادق عليه السلام بردائه لما توفي عبدالله: الولد الثاني، كانت أمه وأم إسماعيل وأم فروة: فاطمة بنت الحسين عليه السلام. الإمام موسى الكاظم عليه السلام وقد أقام الإمام الصادق عليه السلام وليمة كبيرة أطعم الناس فيها ثلاثة ايام. محمد المعروف بالديباج، اشتهر بجماله. قبره في بسطام أو

			جرجان المعروفة باستراباد. إسحاق المؤتمن: من أهل الفضل والصلاح، اشتهر بالاجتهاد، فكان ثقة في الحديث والرواية تزوج نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن عليه السلام. ينتهي إليه نسب بني زهرة العائلة المعروفة بحلب، وظهر منهم العلماء الأجلاء كانوا نقباء حلب، واشتهر منهم العالم الكبير الشريف حمزة بن عليّ زهرة أبو المكارم، قبره في حلب على سفح جبل جوشن عند مشهد الحسين عليه السلام. توفي ٥٨٥ هـ فاطمة الكبرى: وأمها مع الإمام الكاظم عليه السلام ومحمّد الديباج وإسحاق: حميدة بنت صاعد. علي المعروف بالعريض، وكان يملك قرية بالعريض على بعد فرسخ بالمدينة. وكان سيداً جليلاً أدرك الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام وله أولاد وأحفاد كثيرون. مشهده بقم. أسماء أو غالية، تكنى بأم فروة. فاطمة الصغرى.
الإمام الكاظم عليه السلام أبو الحسن أو أبو إبراهيم	حميدة الاندلسية وصفت باللؤلؤ والمصفاة	سكن، سماها الإمام الكاظم عليه السلام بالطاهرة بعد أن ولدت الإمام الرضا عليه السلام وكناها أم المؤمنين ولقبها بالشقراء. وقيل إنها النجمة	تميزت عائلته بكبرها وكثرة عددها فقد شملت ١٨ ولداً و ٢٣ بنتاً، كان أشهرهم: الإمام الرضا عليه السلام إبراهيم، العباس، القاسم، إسماعيل، إسحاق، فاطمة الكبرى والصغرى، حكيمة المشهورة ببيبي حكيمة والمدفونة في المنطقة المسماة باسمها، الواقعة بين بندر ديلم كجساران في ايران علية، حسنة، عائشة، بريهة، أم

		بالشقراء. وقيل إنها النجمة وتكنى أم البنين. الخيزران، وهي نوبية تدعى أروى ولقبت بالشقراء.	سلمة، ميمونة، أم كلثوم. وقد تزوجت أم سلمة من القاسم بن محمّد بن جعفر بن محمّد بمصر. كما اشتهرت من البنات فاطمة الملقبة بالمعصومة والمدفونة بقم في إيران.
الإمام الرضا (عليه السلام) أبو الحسن الثالث كما كنى نفسه ابو بكر	أم ولد وهي سكن وقيل إنها الخيزران	أم حبيب بنت المأمون أو أم حبيبة أخته.	قيل إنّه كان له ولد واحد هو الإمام الجواد (عليه السلام) كما قيل إنهما ولدان: محمّد وموسى. أو إنّهم خمسة وبنتاً واحدة: محمّد القانع، الحسن، جعفر، إبراهيم، الحسين، عائشة.
الإمام الجواد عليه السلام أبو جعفر الثاني	جارية اسماها حبيبة وهي نوبية. أو خيزران الرومية. أو سبيكة أو ريحانة	سمانة المغربية أم حبيبة بنت المأمون	الإمام علي الهادي عليه السلام، ظهر منه أحفاد الإمام الجواد عليه السلام. أبو أحمد الحسين، أبو موسى عمران، موسى المبرقع: وهو جد السادة الرضوية، استمر نسله إلى اليوم، وهو أول سيد رضوي دخل قم في ٢٥٦ هـ إلا أن أهلها من كبار العرب أخرجوه منها فسار إلى كاشان، ثمّ أرجعوه ـ بعد أن ندموا لفعلهم ـ مكرماً معززاً، فحسن حاله، واشترى قرىً ومزارع من أمواله، كما حضرت إليه أخواته اللاتي توفين بقم، ودفنوا عند فاطمة المعصومة. وقد تُوفّي في سنة (٢٩٦ هـ) وانتشر أحفاده في الري وقم وأنحاء أخرى في إيران وكشمير والهند وسائر البلدان. واشتهر من نسل ابنه محمّد الكثير ممّن عرفوا بالصوفية، وقد عاش معظمهم في مصر. ومن

			بناته: فاطمة ـ أُمامة ـ أُم كلثوم ـ السيدة حكيمة، وهي التي قامت بتعليم أُم الإمام المهدي عجل الله فرجه نرجس معالم الدين وأحكام الشرع والآداب الإلهية.
الإمام الهادي عليه السلام أو النقي أبو الحسن الرابع	سمانة المغربية	سوسن أو حديثة أو سليل	الإمام العسكري عليه السلام الحسن، جعفر الكذاب أو التواب. محمّد المعروف بالسيد محمّد سبع الدجيل.
الإمام العسكري عليه السلام أبو محمد	سوسن	نرجس، أميرة بيزنطية	الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه.
الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه أبو القاسم	السيدة نرجس وتدعى سوسن أو ريحانة، صقيلة مليكة، ولدت في القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية قبل عام ٢٤٠ هـ وعندما قُدّمت إلى الامام العسكري (ع) بسامراء كان عمرها ١٤ سنة توفيت بعد وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) دون تحديد الوقت، قد يكون سنتين		نصب إماماً في يوم ٩ ربيع الأول، وهو يوم زوال الغموم والأحزان، إذ هو يوم إمامة صاحب العصر والزمان عليه السلام وبدء غيبته في ٢٦٠ هـ / ٨٣٢ م.

وبالنظر إلى الجدول السابق يمكن أن نتعرّف على المعلومات التالية:

١ ــ كان الإمام عليّ والإمام الكاظم عليهما السلام أكثر انجاباً للأولاد، فقد رزق الإمام عليّ عليه السلام ٢٩، والإمام الكاظم عليه السلام ٤١ واعتبر الإمام العسكري عليه السلام أقلهم عيالا،إذ رزق بولد واحد، كما أنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه لم يتزوج؛ إذ إنّه غاب منذ سن الطفولة.

٢ ــ وأكثر من رزق بالأولاد الذكور هو الإمام الكاظم عليه السلام، فقد بلغوا ١٨ ولداً، يليه الإمام السجاد عليه السلام الذي بلغ عدد أولاده الذكور ١١، ثمّ الإمام عليّ عليه السلام. كما أنّ الإمام الكاظم عليه السلام كان أكثر من حصل على البنات اللاتي بلغن ٢٣ بنتاً، ثمّ الإمام عليّ عليه السلام. وأما الأئمّة الذين لم يرزقوا إناثاً فهم: الإمام الرضا والهادي والعسكري عليهم السلام.

٣ - تميّزت أُمهات الائمّة: علي والحسن والحسين والباقر والصادق عليهم السلام بنسبهن العربي، كما أن أُمهات الإمام علي والحسن والحسين والباقر كن من أهل البيت، إلاّ أنّ أُم الإمام الصادق عليه السلام كانت عربية، ولكن من بنات القاسم بن محمّد بن أبي بكر.

أمّا أُمهات الائمة الآخرين فقد انتمين إلى الجنسيات الأجنبية المختلفة، فكانت أُم الإمام السجاد عليه السلام فارسية، وأُم الإمام الكاظم عليه السلام أندلسية أي: أوروبية، وأُم الإمام الرضا عليه السلام كانت نوبية من جنوب مصر، وأُم الإمام الجواد عليه السلام كانت رومية، أي: تركية وقيل إنّها نوبية، وأُم الإمام الهادي عليه السلام كانت مغربية، وأُم الإمام العسكري عليه السلام كانت تركية أيضاً، وأُم الإمام المهدي عجل الله فرجه فكانت أوروبية من القسطنطينية اليونانية، وهي اسطنبول الحالية التي غلب عليها الطابع اليوناني حيث كان الجزء الغربي من تركيا المطل على بحر إيجه يعد ضمن اليونان منذ القدم.

فأُمهات خمسة من الأئمّة كنَّ عربيات، وأربعة منهم كانت أُمهاتهم من أهــل البيــت النــبوي الكريم، والسبعة الآخرون كانت أُمهاتهم من جنسيات مخــتلفة شملت فارس من الشرق، وشمال إفريقية والنوبة في جنوب مصر، وأوروبا في الغرب وفي الاندلس.

٤ ــ أمّــا بالنسبة للزوجات فقد تميّز الإمام عليّ والحسنعليهما السلام بأنّهما اتّخــذا نساءً عربيات، أمّا الآخرون فقد تزوجوا من جنسيات متعددة، كالإمام الحســينعليه السلام الــذي تزوج فارسية، والإمام الصادقعليه السلام والكاظمعليه السلام تزوجا نوبيات، والإمام العسكريعليه السلام تزوج من اليونان الاوروبية.

أمّــا الذي تزوج من أهل البيتعليهم السلام فكان الإمام عليّعليه السلام الذي تزوج ســيدة نساء العالمين الزهراءعليها السلام والإمام السجادعليه السلام الذي تزوج فاطمة بنت الإمام الحسنعليه السلام والإمام الصادقعليه السلام الذي تزوج فاطمة بنت الحسينعليه السلام.

والإمام الكاظمعليه السلام تزوج فاطمة بنت عليّ ابن الإمام الباقرعليه السلام.

كمــا أنّ أئمــةعليهم السلام تــزوجوا مــن بــنات الملوك والخلفاء، كالإمام الحسينعليه السلام الذي تزوج بنت الملك الفارسي يزدجرد، والإمام الرضاعليه السلام الذي ذكــر أنـّــه تــزوج أخت المأمون العباسي، والإمام الجوادعليه السلام تزوج بنت المــأمون، والإمــام العسكريعليه السلام الذي تزوج أميرة بيزنطية من بنات حكام الروم.

٥ ــ وبالنسبة لأعداد الزوجات، فأكثر من تزوج من النساء كان الإمام علــيّعليه السلام الــذى اقترن بتسع منهن، ويليه الإمام الحسن والحسينعليهما السلام وكان أقلهم في ذلك الإمام العسكريعليه السلام الذي تزوج بواحدة فقط.

٦ ــ تركّــز أحفــادهم فــي الإمام عليّعليه السلام والحسن والحسين وزين العابديــن والصــادق والكــاظم والجــوادعليهم السلام حيث توزع هؤلاء في أنحاء

المعمـــورة ينشـــرون العلم والدين. وقل ما ظهر منهم من انحرف عن خط أبائهم.

وقد برز أحفاد الإمام عليّ عليه السلام من الإمام الحسن والحسين عليهما السلام.

وكان أحفاد الإمام الحسن عليه السلام من زيد والحسن المثنى.

وأحفـــاد الإمـــام السجاد عليه السلام كان من أبنائه: الإمام الباقر عليه السلام وعبدالله الباهر، وعمر الاشرف، وزيد، وحسين الأصغر وعلّي الأصغر.

والإمـــام الصـــادق عليه السلام تركّز أحفاده في: إسماعيل، واسحاق المؤتمن، وعليّ العريض.

والإمـــام الجـــواد عليه السلام ظهر من الإمام الهادي عليه السلام أحفاده، ومن موسى المبرقع.

الفصل الثاني

حياة الائمة عليهم السلام الاجتماعية
وأثر تعاملهم مع الافراد في تطور المجتمع

يشـــترك الأئمّة عليهم السلام جميعاً في كلّ ما يذكر عنهم من مناقب وفضائل، فهم من طينة واحدة ونور واحد، فما يجري لآخرهم يجري لأولهم، فهم أكمل أهل زمانهم في كلّ صفة فاضلة، وأخلاق عالية، تقوى وورع، إلاّ أنـــّه يظل لكلّ إمام فضائل خاصة يتميز بها عن غيره، أو يعرف بها أكثر في المجتمع الـــذي عـــاش فـــيه والعصـــر الـــذي كان فيه، فقد ظهرت في الإمام عليّ والحســـين عليه السلام آثار الشجاعة والجرأة، وفي الإمام الباقر والصادق عليهما السلام آثار العلـــم والفقه، كما اشتركوا جميعاً في أنّهم كانوا أكرم أهل زمانهم وأسخاهم، وأعبدهم وأتقاهم، ولكنّه ظهرت في بعضهم آثار العبادة أكثر من غيرهم على حسب ما تطلّبه العصر والمجتمع، كما كانوا أحلم أهل زمانهم، ولكن ظهرت آثـــار الحلـــم عند أفراد منهم أكثر ممّا كان عند غيره؛ لكثرة ما ابتلى به من أنواع الاذى والعذاب وما أصابه من العنف والقسوة.

فالأئمة عليهم السلام كانوا متّصلين بعصرهم يتفاعلون معه ويعطونه، ويمدونه، ولـــو لـــم يكـــن الإمـــام عليّ عليه السلام وأولاده الأئمّة الاطهار عليهم السلام موجودين في الأرض، لمـــا عرف الناس دينهم، وطريقهم الصحيح في الحياة، وما علموا شـــيئاً عـــن آخرتهم، وكان من الممكن أن يسير الناس في غير الاتجاه الذي ساروا عليه بعد ذلك حينما تمكن الأئمّة عليهم السلام من إيقاف التيار الفاسد الذي كان

سيتجه إليه المجتمع، وصدّ الانحراف الذي حدث. فالناس قد وصل بهم الحال إلى أنهم رفضوا الحقّ ولم يرغبوا فيه، فاتّبعوا أهواءهم، واخترعوا مذاهب في مقابل ما كان الأئمّة عليهم السلام يدعون إليه، كما نشطت الحكومات المتعاقبة في حبس أنفاسهم حتى لاتترك لهم الحرية في التحرك والاتصال المباشر بالناس.

وفي هذا الجزء من الكتاب نودّ أن نتناول الجانب الاجتماعي للأئمة العظام عليهم السلام منذ ولادتهم حتى وفاتهم؛ لنتتبّع آثارهم الاجتماعية وأهميتها في تطور حياة الأفراد والمجتمع عموماً، وأساليب تعاملهم مع الأفراد، وتميّز مكانتهم ومنزلتهم بينهم، وسعيهم إلى تحسين أحوال الناس.

فالإمام علي عليه السلام كان من أبرز الشخصيات والقيادات في أيام الإسلام الأولى، فقد كان أوّل القوم إسلاماً وإيماناً بالله سبحانه وتعالى، وأول من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله قد بعث يوم الاثنين فان الإمام عليّ عليه السلام صلّى يوم الثلاثاء، وأسلم في عمر ٩ سنوات، وهاجر في عمر ٢٤ سنة.

فهو لم يفارق النبي صلى الله عليه وآله منذ أن نشأ في حجره إلى وفاته صلى الله عليه وآله حين تولّى غسله وأدخله في قبره، فكان أشدّ الناس قرباً له وآخر الناس عهداً به. وكان الوحيد الذي وُلد في الكعبة واستشهد في مسجد.

وأوّل من صلّى الى القبلتين، وهاجر الهجرتين. وقد قال الإمام عليه السلام عن نفسه: «لم يجمع بيت واحد في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله والسيدة خديجة عليها السلام وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة». وقال أيضاً: «لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين». وهي المدة التي كفله فيها النبي صلى الله عليه وآله حتى نزلت الرسالة. فكان أزهد الزاهدين وسيدهم وأقنع القانعين، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً وأقضاهم حكماً،

وأعلمهم بالقرآن والسُنّة، وأزكاهم نفساً، وأعلاهم قدراً.

وهو أوّل من شهد منذ صباه نزول القرآن الكريم حينما كان في حجر النبـــيﷺ وقــاتل على تأويله كما قاتل الرسولﷺ على تنزيله. وأوّل من جمــع القــرآن ورفعه بين فريقين متحاربين ليجعله حكماً بينهما. وأوّل من عرف أسرار القرآن ومعانيه، فقال: «سلوني عن كتاب الله، فو الله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار أم في سهل أم في جبل، فو الله لا تسألوني عــن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاّ حدثتكم به». حتى قال فيه الرسولﷺ: «عليّ مع القرآن والقرآن مع على لايفترقان حتى يردا عَلَيَّ الحوض».

وهو الوحيد الذي أُعتبر إماماً ومعلماً وقدوة وأُسوة للمسلمين، فقد كان يعلّمهــم بــالقول والفعــل؛ لمــا أُشتهر عنه بالفقه والعلم وغزارته وتفسير الغوامض من الأُمور والتنبّؤ بالأحداث.

كان حسن المعاشرة، سهل المباشرة، يأنس بالليل ووحشته، ويعجبه من اللــباس ما خشن، ومن الطعام ما جَشِبَ، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويدينــنا إذا آتيــناه، ونحن لانكاد نكلمه هيبة لــه، لايطمع القوي في باطله، ولاييأس الضعيف من عدله[(١)].

كــان يعــيش حــياة الفقراء مؤمناً بأنّــه: على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم حالا في الأكل واللبس، ولايتميزون عليهم بشيء لايقدرون عليه؛ ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو عليه، ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً[(٢)].

ولكــنّه لم يقبل هذا الوضع لغيره لقول الرسولﷺ: «أن لنفسك عليك

---

(١) شرح في ابن أبي الحديد وابن عبد البر: قاله ضرار بن حمزة يصف علياً لمعاوية.
(٢) قول الإمامعليه السلام.

حقـــاً، ولولدك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً». فكان يدعو إلى أن يأخذ الفرد نصــــيبه في الحياة ومن الطيبات على أن تظهر آثاره عليه: «واستصلح كلّ نعمة أنعمها الله عليك، ولاتضيعن نعمة من نعم الله عندك، وليرَ الله عليك أثر مـــا أنعم به عليك». وقد كره الفقر فاعتبره (الموت الاكبر) ومنقصة للدين. فالغني في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة.

ولـــذا فإنّـــه كـــان يعمل ويكد ويكدح حتى تتشقّق يداه عند يهودي في المديـــنة، ويتصدّق بكلّ أجره في أغلب الاحيان، كما عمل في أرض يستنبط مـــنها العـــيون ثـــمّ يوقفها في سبيل الله يصرف ما يصل إليه من مال على الفقـــراء والمساكين، واعتق ألف عبد من كسب يده؛ ولذا قيل عنه: إنّه كان يتعب لغيره. وحينما أعطوه الفالوذج فقال: «أكره أن أعوّد نفسي ما تعتده». كـــان يشتري أرخص الثياب: فاشترى إزاره بخمسة دراهم. كما أنـــّـه سكن فـــي بيت متواضع بأثاث متواضع حتى أيام خلافته فقال: «إنّ البيت لايتأثث فـــي دار النقلة وأمامنا دار المقامة وقد نقلنا إليها متاعنا ونحن منقلبون إليها عن قريب».

وكـــان يعـــيل أكثر من ٢٠٠ يتيم في الكوفة، ويطعمهم بيده المباركة، وأوصى بهم خيراً؛ إذ دعا إلى مساعدة المحتاجين قائلا: «الله الله في الفقراء والمساكين، فأشركوهم في معاشكم».

وإذا أراد شراء شيء تحرّى في السوق رجلا لايعرفه فاشترى منه ما يـــريد فقـــد كان يكره أن يحابيه البائع إن عرف أنه أمير المؤمنين فلم يكن يطمـــع الناس في نفسه ولم يكن يؤنسهم منها، بل يدنو منهم ما استقاموا على الطـــريق وأدّوا الحـــقّ، فإنّ انحرفوا عن الجادة بعد عنهم أشدّ البعد وأجرى فيهم حكم الله، فلم يفضل أحداً على آخر إلاّ بالتقوى والطاعة.

وهو في هذا المجال يُعدّ أوّل من ابتكر أموراً اجتماعية سبق بها عصره، فقد كانت له أفكاره المميزة في التنظيم الاجتماعي ومكافحة الفقر وحقوق الإنسان، يعالج ما اتّصل بالعصر الحديث من أمراض نفسية، فكانت له عبقرية لا حدّ لها، ومن الآراء الحية التي لم تمت. فكان أوّل من رفع قيمة العمل اليدوي حين ما كان يعمل بيديه؛ إذ لم يجد في ذلك إهانة. وأوّل من منع من يحتاج إلى تسديد ما عليه لبيت المال من بيع مهنته.

وقد أدرك حب الإنسان لوطنه، وما يكفله هذا الوطن من حقوق مادية، أي: المضمون الاجتماعي والاقتصادي للوطنية. كما نالت المرأة في عهده كلّ حرية وكرامة، فلم يذكر التاريخ أنّه أهان امرأة وأرغمها على قبول ما تكره، أو الانتقام ممّن خرجن عليه أو سبّته.

وقد تميّز عصره بالمصالح الخاصة، فقد توزّعت المصالح بين الناس، فلم يعد للمسلمين استعداد للجهاد والدعوة إلى نشر الدين، وإنّما الجري وراء المصالح الخاصة، والصراع بينهم للحصول على الأفضل من تلك المصالح، فلم يفكّروا في حرب عدو خارجي، أو صد الأخطار التي تهدّد دينهم، وإنّما انشغلوا بقتال بعضهم، فرجحوا كفة من سيحقق لهم مصالح أكثر، وهو ما يمكن أن نطلق عليه عصر المصالح. وهو ما جعل الإمام عليه السلام يحاول جلّ جهده للإصلاح، فأعلن ثورته الشاملة الاجتماعية والاقتصادية، فبدأ بإرجاع الأراضي التي أقطعها عثمان بن عفان لأهله إلى بيت المال وملكية الدولة، وقرّر تصفية التمييز الطبقي بالاعتناء بالقاعدة الشعبية، فيرجع الأعلى إلى الأسفل والعكس: «لابدّ أن يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم». وبعمله وقراراته هذه يكون قد هدّد أصحاب الامتيازات الطبقيّة والاجتماعية بالزوال، وخاصة عندما أقرّ نظام قسمة الأموال العامة بين الناس؛ إذ كان النظام أيام

أبي بكر قائماً على فلسفة التسوية بين الجميع، إلاّ أنّ عمر ألغى ذلك، وسار على مبدأ التمايز، فتقدم السابقون أوّلا، ثُمّ قريش، ثُمّ الاقربون منهم وهكذا.أمّا عـثمان فسـار على نفس الاُسلوب، ولكن بصورة سيئة غير محببة. إلاّ أنّ الإمـام عليه السلام سـار على نظام المساواة الذي لم يكن يوافق العصر الذي عاش فيه؛ ولذا اُعتبر أنـّه أحدث انقلاباً حقيقياً في المجتمع: «أنتم عباد الله، والمال مـال الله يقسم بينكم بالسوية لافضل فيه لاحد على أحد، لايتخلفن أحد منكم عربـي وأعجمي إن كان من أهل العطاء أو لم يكن، إلاّ أن يحتضر لتقسيم المال». فالإمام مع أعلى أهتمامه الأول لموضوع الطبقات الدنيا وذوي الدخل المحـدود «الله الله فـي الطـبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجيـن وأهل البؤس، فإنّ في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً. واحفظ الله ما اسـتحفظك من حقّه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كلّ بلد. فلا تشخص همك عنهم، ولاتصعّر خدك لهم». كانـت لـه تصوراته الخاصة عن المجتمع الإسلامي وتطوّره، وقد شملت: الاعـتراف بتقسـيم المجتمع إلى طبقات، وأساليب معاملة التجار والصناع، والاعتناء بالأرض والعمال والمساكين والفئات الخاصة.

فهـو يقسّـم المجتمع إلى: جنود وكتاب وقضاة، وعمال أقاليم وولاة، وفلاحيـن، وتجـار وأهل الصناعات، ثُمّ الطبقه السفلى أي: أهل الحاجة من المسـاكين، والطوائف الاُخرى؛ لأنّه كان يعتقد أنّ بينهما ارتباطاً يجعلها كلا متكاملا وجسماً واحداً[١].

ويلخّـص وظـائف كلّ من تلك الفئات والطبقات: بأنّ الجنود حصون

---

(١) صاغ تلك الأفكار في الوثيقة التي سلّمها للأشتر النخعي.

الرعــية وســبل الأمــن، ولاقوام للجنود إلاّ بما يخرج الله لهم من الخراج، ولاقــوام لهذين إلاّ بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب، ولاقوام لهم جميعاً إلاّ بالتجار وذوي الصناعات(١).

فهو يعطي المكانة الأُولى للفلاحين، وبخاصة أنّ المجتمعات الجديده ــ في إيران والعراق والشام ومصر ــ كانت زراعية، فكان الخراج أهم مصدر لميزانية الدولة وثروتها، كما أنّ الفلاحين مثلوا أغلبية السكان، ممّا دعاه إلى الاعتــناء بهــم أوّلا بالطلــب من ولاته رعايتهم وتفقد أحوالهم، وأن يعطي التعمــير والإصلاح الأهمية القصوى قبل التفكير في تحصيل الخراج: «... تفقــد أمــر الخراج بما يصلح أهله، فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن ســواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم؛ لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج وأهلــه. وليكــن نظــرك فــي عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخــراج؛ لأنّ ذلــك لايدرك إلاّ بالعمارة. ومن طلب الخراج بغير عمارة، أخرب البلاد وأهلك العباد...»(٢).

ولــذا كــان لابــدّ من تحديد الوظائف الخاصة بعمال الخراج وجباة الضرائب: بأنــّهم ليسوا بمتسلطين، بل قائمون على خزائن الأموال، ووكلاء الأُمــة أو سفراء الأئمّة، فلا يكون الاهتمام بتحصيل الأموال فقط، بل عليه الاهتمام بالأرض الزراعية والفلاحين أكبر: «... فإن شكوا ثقلا أو علة ... خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم...»(٣).

وقــرّر ــ أيضــاً ــ حداً أدنى لمستوى المعيشة يلزم توفيره للإنسان،

---

(١) راجــع نهج البلاغة ــ ضبط نصه وابتكر فهارسه العلميّة الدكتور صبحي الصالح: ص ٥٩٦ ــ ٥٩٧. ط ــ دار الأُسوة للطباعة والنشر ــ إيران.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٦٠٢.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ٦٠٣.

واقتصر ذلك على كسوة الإنسان صيفاً وشتاء وأدوات عمله في الأرض بما فـيها الحـيوان والعاملين، على أنـّـه لايجوز الاستيلاء على شيء منه وفاءً لديـن أو خـراج مستحق للدولة عند المواطنين. كما حرم العقوبات البدنية كوسيلة للدفع، ومنع المصادرات سواءً على المسلم أو غيره، «لاتَبيعنَّ الناس في الخراج كسوة ولا دابة يعتملون عليها ولا عبيداً، ولاتضربنّ أحداً سوطاً مكان درهم، ولا تمسنّ مال أحد من الناس مصلّ ولامعاهد» ومنع أيضاً من يحـتاج إلى تسديد ما عليه لبيت المال من بيع مهنته، مقدراً الملكية الخاصة من جانب، وتأمين حياة الإنسان من جانب آخر.

وكـان يكره أن يشتري المسلمون أرض الخراج، فيكون عليها خراج المسلمين، فالأرض التي صولح أهلها على زوال ملكهم عنها لايجوز بيعها، ويعتـبر خـراجها إيجـاراً، ولايسقط الخراج باسلام أهلها إنما ترفع عنهم الجزية.

وفـي الجانـب الصناعي والتجاري فقد أكد دور التجار والصناع في المجـتمع، واعتـنى بأصحاب المصانع على اعتبار أنـّهم مورد الثروة في البلاد، ومصدر في رفع المستوى الاقتصادي للدولة، فهم يجهّزون احتياجات الـناس ومصـادرها إلـيهم كما تقوم عليها مرافق البلاد؛ ولذا كان لابدّ من الاعتناء بهم: «ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوصِ بهم خيراً: المقيم مـنهم والمضـطرب بماله[١] والمترقق ببدنه[٢] فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلاّبها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك...». إلاّ أنـّـه في نفس الوقت حذّر من اُمور غير صالحة قد تبدر منهم: «... إن

---

(١) المضطرب بماله: المتردد بين البلدان.

(٢) المترفق: المكتسب.

في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحّاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكُّماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة... فامنع من الاحتكار فإن رسول الله ﷺ منع منه... ومن قارف حكرةً فنكل به وعاقبه في غير إسراف...».

إنّه في الواقع كان يراعي كلّ الأحوال، يخفّف عن الناس الضرائب، ويحتسب لأي مرض زراعي يتلف الزرع عند أخذ الخراج، ويطلب منع الاحتكار امتثالا لقول وفعل الرسول ﷺ.

و بجانب هؤلاء تطلّع إلى الطبقة السفلى ممّن لاقدرة لهم على التكسب، فأعطى الاهتمام بهولاء العاجزين عن العمل: من أصحاب العاهات المزمنة، واليتامى، وكبار السن، فطلب تخصيص قسم من أموال صوافي الإسلام في كل بلد، أي: من الأموال العامة للدولة ــ ميزانيتها ــ للاهتمام بأحوالهم و البحث في شؤونهم. ويقصد بذلك دراسة أحوالهم وشؤونهم الخاصة بالاجتماع بهم لمعرفة ظروفهم، كما طلب من الوالي أن يعتمد على العامة دائماً دون الطبقة الخاصة، فالعامة هم عماد الدولة وجماع المسلمين والعدة لصدّ الأعداء و المعتدين، ويأخذ الحذر من الاعتماد كلياً على الطبقة الخاصة؛ لأنّهم يتطلّعون دوماً بالاستئثار بالأموال والاحتكار والمزايا. كما نهى عن منح هؤلاء الهبات والامتيازات أو إقطاعهم الاقطاعات أو تسخير الناس لهم، كما أشار بعدم استخدام موظف مسؤول كبير قد خدم في حكومة أو سلطة ظالمة من قبل.

والإمام عليه السلام إذا كان قد أقرّ قانون الحقّ العام تأكيداً للعدل واحترام النظام العام والواجبات بين أفراد المجتمع، فإنّ أهل الذمة في عهده تمتعوا بالمعاملة الحسنة؛ إذ أعطى النصارى من العطاء، وساواهم بالعرب والموالي، وأوصى عمّاله في كلّ مكان بأهل الذمة خيراً، حتى إنّه أمر عاملا

له بحفر نهر لهم؛ ليرووا منه أرضهم، ولذا فقد أحبه أهل الذمة وهم يكذبون النبوة.

وقال عنهم (أهل الذمة): «من آذى ذمياً فقد آذاني» ودعا إلى عدم التعصب الذي أرجعه الى أصلين الجهل والسفاهة، فهو يرى أنّه التعصب أصل لكلّ شرور ومؤدي إلى الظلم الذي هو أساس كلّ خراب البلاد.

وقد أوصى محمّد بن أبي بكر بذلك عندما ولاه مصر: «أوصيك بالعدل على أهل الذمة وبإنصاف المظلوم، وليكن القريب والبعيد عندك في الحقّ سواء».

وجعل في ذلك دية النصراني مثل دية المسلم «أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا».

لقد تميّز الإمام عليه السلام عن الآخرين، فصار مثلا للأجيال، وعظّمته الفلاسفة، كما أحب كلّ فرد أن يتجمّل ويتحسن بالانتساب إليه. فقد عُرف به الموالي والمبغض والمنافق، وفرق به بين الكافر والمؤمن، وعُرف به الحق والباطل، عندما قال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «لايحبك إلاّ مؤمن، ولايبغضك إلاّ منافق» وكان يطلب من محبيه البراءة منه، فإن أبوا عن ذلك قتلوا. كما ادّعى قوم اُلوهيته فعبدوه في حياته ومماته، وادّعوا النبوة له. وكان الشخص الوحيد في الإسلام عُرف به الشيعة، فكلّ من تولاّه وأهل بيته كان شيعياً حتى صار اسماً خاصاً له ودخل المحبّ الذي جعله في مرتبة الاُلوهيّة والمبغض الذي نصب له العداء في النار.

«يحبني أقوام حتى يدخلوا النار في حبّي، ويبغضني أقوام حتى يدخلوا النار في بغضي» كما تعذب في سبيل الولاء له الكثير من أصحابه، ولم يكن ذنبهم سوى الولاء له ولأهل بيته، فقد طارد الحكام أتباعه وشيعته ومؤيديه

فترة طويلة بعد وفاته.

وكـــان الإمـــام عليه السلام الوحيد الذي اتّصف بصفات مميّزة دون الآخرين، فـــأُطلق عليه الإمام، ولم يُطلق على غيره من الخلفاء والصحابة، وهو الذي كـــرّم الله وجهه، فقد كان من تكريم الله لـــه أنـــّه لم يقع بصره على عورة قـــط. وولـــد في الكعبة، ولم يسجد لصنم قط، وكذلك أُمّه عُرف عنها أنـــّها لم تسجد لصنم. وشُبِّهَ بالأنبياء. كما أطلق عليه عمر بن الخطاب، اسم الإلهية لمّـــا فقـــأ عيـــن واحد في الحرم فقال عنه: «ماذا أقول في يد الله فقأت عيناً فـــي حرم الله» ومدحه العدو والصديق، فقال عمر: «أعوذ بالله أن أكون في قـــوم لســـت فـــيهم». وبعـــد وفاته رأى معاوية أنّ الفقه والعلم ذهبا بموت الإمـــام عليه السلام، كما ذكرت عائشه: «لتصنع العرب بعد ما شاءت فليس لها أحد ينهاها».

وإذا كـــان الإمام عليه السلام قد أعطى الاهتمام واعتنى بالاحياء، فإنّه لم ينسَ الأمـــوات وآثارهم، فكان يقدّر أعمال الاجيال السابقة للبشر، ويحترم التراث والتاريخ الإنساني، فحينما ذم أحد أفراده، الذين صنعوا التاريخ بقوله:

جرت الرياح على مكان ديارهم   فكـــأنما كانوا علـــى ميعـــاد

نهـــاه عن القول بذلك: أفلا قلت: **(كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقـــام كـــريم ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوماً آخرين، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين)**

وقـــد كانـــت للإمـــام عليه السلام عبارات وتعبيرات مميّزة أطلقها في حينها، فشـــاعت مـــنذ أيامه، واستمرت تستخدم على حسب أحوالها الى يومنا هذا، فتردّدت في أحاديث الناس وأقوالهم، واتّخذوها أمثالا، وأشهرها: «كلمة حق أُريـــد بهـــا بـــاطل». «لو كان الفقر رجلا لقتلته». «لو لا التقى لكنت أدهى

العرب».

كما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال فيه وتحدث عنه بعبارات وصفات ومميّزات لم تذكر إلاّ عنه وله: فقد قال فيه: «أنا مدينة العلم وأنت يا علي بابها، ولن تؤتى المدينة إلاّ من بابها». «وكذب من زعم أنّه يحبني ويبغضك؛ لأنّك منّي وأنا منك، لحمك لحمي، ودمك دمي، وروحك روحي، وسريرتك سريرتي، وعلانيتك علانيتي». «سعد من أطاعك، وشقي من عصاك، وربح من تولاك، وخسر من عاداك، وفاز من لزمك، وهلك من فارقك. مثلك ومثل الأئمّة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثلكم مثل النجوم، كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة».

وقال صلى الله عليه وآله عنه: «أنا سيد ولد آدم، وعليّ سيد العرب. فسألتْ عائشه: ما السيد؟ فأجاب صلى الله عليه وآله: من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي».

الضرائب في العهد الروماني:

إنّ تلك القرارات التي أصدرها الإمام عليّ عليه السلام بشأن الأراضي الزراعية والاعتناء بإصلاحها وبالفلاحين وطبقات الشعب الأُخرى كانت في الواقع ردّاً على ما عمل به الأباطرة الرومان وغيرهم من الدول التي سيطرت على الشعوب التي دخلت في الإسلام، مثل: مصر والشام وغيرها، والإمام هنا أكدّ معرفته التامة بأحوال الشعوب الجديدة وتاريخها، فمصر التي حكمها الرومان فترةً طويلة امتدت (٢٠ق ــ م) وحتى دخول الإسلام إليها أوائل القرن السابع الميلادي. علم أنّ للرومان قوانين ونظماً وتنظيمات اجتماعية واقتصادية أثّرت سلباً في حياة المصريين، ممّا جعلت الإمام يراعي تلك الأحوال السيئة فرأى أن يحسّن منها ويطوّر فيها.

فـالحكم الروماني اعتمد على اعتصار أكبر ما يمكن من ثروة البلاد، فقسّم سكان مصر إلى فريقين وميّز بينهما: فريق يتمتّع بكلّ الحقوق، وفريق فرضت عليه كلّ الواجبات. والأول: هم الموسرون الأقوياء المتعلمون. والثاني: هم الفقراء الضعاف الجاهلون. كان الأول مواطني المدن اليونانية الحرة هيلنيين من الناحية العنصرية أحراراً من الناحية القانونية. وكان الثاني مصريين من الناحية العنصرية ومقهورين من الناحية القانونية. الأول يتعلّم في الجمانزيوم ويخدم في منظمات الشباب الهيلينية، والثاني يدفع ضريبة الرأس. وقد أقر الحكم الروماني عدم انتقال فرد من طبقة إلى أُخرى دون علم السلطات، وفرضت على الناس ضريبة الرأس تبعاً للطبقة، فالفرد من الطبقة الدنيا يدفعها أكثر من الذي ينتمي إلى الطبقة العليا، فكلما ارتفعت الطبقة قلت الضريبة أو اُلغيت، وهي من أشدّ الضرائب قسوة في عهد الرومان؛ إذ فرضت على الشخص دون اعتبار لدخله صغيراً كان أو كبيراً؛ ذلك أنّ الحكم الروماني استند على أكتاف الطبقة البرجوازية الميسورة، على اعتبار أنّها هي التي يمكنها تحمّل أعباء الحكم من خدمات الزامية وسد النقص.

وقُسّم المجتمع المصري إلى طبقات:

ـ الرومان في القمة يقيمون بالاسكندرية والمدن. ويعملون تجاراً أو أصحاب ضياع.

ـ اللاتين وهم قلة.

ـ الاسكندريّون.

ـ مواطنو المدن اليونانية الاُخرى.

ـ مواطنو عواصم الأقاليم.

ـ المصريّون، وهم يدفعون ضريبة الرأس كاملة أياً كان أصلهم.

فالــرومان لايدفعــون تلك الضريبة، وكذلك مواطنو الاسكندرية الذين يتمــتعون بالجنســية الاســكندرية، كمــا يمكن لمواطني المدن اليونانية ألاّ يدفعوها. فالرومان طبقة متميّزة أو صفوة داخل طبقات مميّزة.

أمّــا المصريون فكانوا يدفعونها بمعدل ثابت دون النظر إلى الدخل أو مقدرتهــم المالــية، فضاق بها الناس ذرعاً. ولم يعف منها الكهنة سوى عدد قليل منهم، فهم إذن احترموا الكهنة ولكن لم يمنحوهم أيّة امتيازات مالية.

أمّا الذين أعفوا منها فكانوا: أصحاب البطولات الرياضية والفائزين في المباريات، والأطباء وبعض الأساتذة.

وكــان الفرد يدفعها إذا بلغ عمره ١٤ وحتى الستين عاماً على الذكور فقــط؛ لأنّ الإنــاث لايعملنَ، كما كانوا يفرضونها على العاطلين. أمّا العبيد فكــانوا يدفعونها أيضاً؛ إذ هم يتبعون أسيادهم؛ فإن دفعها السيد دفعها العبد. كما كانوا يراعون المدن الهيلينية المثقفة فلاتفرض عليها.

أمّــا القــيمة فكانــت تكبر وتصغر على حسب المنطقة، ففي المناطق الخصبة كالفيوم تكون أعلى من الصعيد.

ولاستيفائها بانتظام كان يجري تعداد للسكان واحصائهم لمعرفة الأفراد وأعمارهم وحرفهم، فكان أصحاب البيوت ملزمين بتقديم إقرار عن كلّ سكان البيــت مشــفوعاً بالقســم، كمــا كــانوا مســؤولين عن دفع الضريبة باسم المستأجرين، وتقرّرت عقوبة مصادرة ربع الأملاك إذا تقدموا بتقرير مزيف. وإذا حدث عجز في النصاب المقرر على منطقة ما تفرض على سائر السكان ضريبة لسد العجز. وقدرت قيمتها ما بين ٤٠ دراخمة أو ٢٠ أو ٨.

وكــان الموطنون في العاصمة يدفعونها أقل من سكان القرى، وسمح

لهم بدفعها على أقساط شهرية.

وكذلك اليهود كانوا يدفعونها أيضاً، مع أنّهم تمتعوا بامتيازات، إلاّ أنّهم لم يعتبروا مواطنين، ولكنّهم تميّزوا على الموطنين الاسكندريين؛ بأن كان لهم مجلس شيوخ ورأسهم رئيس طائفة.

أمّا الضرائب الأُخرى فكانت مهنية تدفع مقابل الترخيص بمزاولة مهنة أو حــرفة، وكذلك ضرائب على المبيعات والقرابين والحيوانات المستأنسة، وضريبة التاج، وهي: هدية يقدمها الناس للامبراطور الجديد، التي أصبحت ثابتة وعبئاً على الناس. كما كانت هناك ضرائب على البضائع المنقولة على النيل وعند مخارج المدن والأقاليم. وضرائب على الأراضي الزراعية، مثل: القمح وبساتين العنب والفواكه والخضروات وكانت تدفع عيناً.

وضــرائب أُخرى أو أتاوات من المواد التموينية أو غيرها من السلع تفرضها الحكومة على الأهالي أثناء الجولات التفتيشيّة الدورية التي كان يقوم بها الوالي أو أحد أفراد الأُسرة الحاكمة، كما كانوا مطالبين بسد حاجة القوات العسكرية من مأكل وملبس.

إنّ تــاريخ مصر الرومانية قِصّة محزنة من قصص الاستغلال الذي ينتهي بالانهيار الاقتصادي والاجتماعي؛ إذ كان معظم القمح يرسل إليها مع الضرائب النقدية؛ لينتفع بها الشعب الروماني، فكانت مصر تموّن روما بثلث حاجتها من الغلاّت كلّ عام. واتّخذوا في أُسلوب إدارتهم شعار: جز صوف مصر لاسلخ جلدها، كما هي بقرة ينبغي حلبها لصالح روما. وبالرغم من كل ذلك فلم تعالج أزمة أو مشكلة بإصلاح النظام جوهرياً، بل بأُسلوب الاسعافات المؤقتة لتعود بعدها إلى سياسة الإكراه.

أمّا الجباة فكانوا قساة في تحصيل الضرائب، فكانوا يحجزون على جثة

الشخص الذي قصّر في أداء الضريبة؛ لإرغام أهله على دفع المتأخر عليه. وكثيراً ما أودعوا الزوجات والأطفال والأقارب في السجون وعذبوهم حتى يرشدوا إلى مكان اختفاء أحد الهاربين من دفعها، أو عن قرى بأسرها، بل بلاد أفقرت من سكانها، حيث كثيراً ما هرب الناس من بلادهم حتى قلّ عددهم فيها. فإذا هرب أحدهم من دفع الضريبة، دفع عنه أهالي قريته ما هو مطلوب منه.

الجانب الإداري:

فقد كانت الإدارة مركزية تركزت السلطة في يد الوالي الروماني، وأدار كل إقليم مدير يوناني. أمّا السلطة القضائية فتركزت في يد الوالي أيضاً. فالسلطة الدينية سيطر عليها نظام الحكم. فسيطروا على هيئة الكهنة، وشدّدوا الرقابة عليهم وعلى المعابد، وصادروا مساحات كبيرة من أراضي المعابد التي كانت هبات من نظام حكم البطالسة السابق. فقد وضع الامبراطور أغسطس أراضي المعابد تحت إشراف موظفي الدولة الذين قاموا بتأجيرها. كما دفع الكهنة ضريبة الرأس مثل غيرهم ولم يعفوا من الخدمات الإلزاميّة أو حتى من السخرة.

وقد استخدموا نظام السخرة مع الفلاحين، فاستغلوهم في العمل بالأراضي واستصلاحها، وأرغموهم على أداء الخدمات دون مقابل.

نظر الحكم الروماني إلى أراضي مصر أنّها منحة للشعب الروماني، الأمر الذي ساعدت سياستهم الزراعية إلى ازدياد مساحة الأراضي الملكية الخاصة، ونشأة طبقة من الملاك الفلاحين، ولم تكن هذه لصالح السكان، بل لرغبتهم في خلق طبقة ميسورة من ملاّك الأراضي يمكن أن تلقى عليها

المســؤوليات المالية، فتصبح هذه الأراضي هي الكفيل أو الضامن في حالة العجز أو الهرب. وقد ذهبت الأراضي الزراعية في عهد بعض الأباطرة إلى ملكيتهم الخاصة حتى أصبح أكثرها جزءاً من أملاك الامبراطور نفسه.

الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام:

فقــد تربــيا فــي بيت الإمام عليّ عليه السلام والسيدة الزهراء عليها السلام وجدهما النبــي صلى الله عليه وآله، فكانــت لهما مكانة مميّزة ومنزلة محبّبة بين أفراد المسلمين؛ إذ همــا ســبطا الرسول صلى الله عليه وآله. وقد تزوج الإمام عليّ عليه السلام من السيد فاطمة عليها السلام، وســكن بيــت حارثة بن النعمان الملاصق لبيت النبي صلى الله عليه وآله [(١)]، وعاش حياة فقيرة خشنة، فلم يكن يملك من المال شيئاً من إرث أو تجارة أو زراعة، كما لــم يحــترف عمــلا يــدر عليه المال طيلة صحبته للرسول صلى الله عليه وآله، فعاشت فاطمــة عليها السلام فــــي هــذا البيت المتواضع المبارك. واُعتبر زواجهما أخطر مصاهرة عرفها الإسلام في تاريخه الحافل الطويل؛ إذ حفظ في نسلهما ذرية النبي صلى الله عليه وآله.

وقد دعا النبي صلى الله عليه وآله لهما: «اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك في نسلهما، اللّهمّ اخرج منهما الكثير الطيب». فاستجاب الله لدعائه، فانحصر في ثمرهما ذرية النبي (٩) وهم أهل البيت الشرفاء ذوو الأمجاد والعزة.

وكــان النبــي صلى الله عليه وآله يكــنّ كلّ الحبّ والعاطفة لبنته الزهراء عليها السلام: «إن فاطمـــة الزهراء أحبّ أهل بيتي اليّ» وقال صلى الله عليه وآله «إنّ الله عزّ وجلّ قد فطمها وذريتها من النار يوم القيامة» «إنّ الله فطم ابنتي فاطمة وولدها ومن أحبهم من النار» كما حدّث أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وآله «حسبك من نساء العالمين أربع:

---

(١) كان مهر السيدة فاطمة عليها السلام ٥٠٠ درهماً.

مــريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله» فقد منّ الله على أم المؤمنين خديجة وعلى المسلمين بأن حفظ في نسل الزهراء الطاهرة ذرية نبيه صلى الله عليه وآله، فكانت أم آل البيت جميعاً.

وقــد مرّت عليها منذ صغرها الآلام والكوارث، كالاحداث التي مرّت علــى أبــيها صلى الله عليه وآله فــي مكة خلال دعوته للإسلام، ووفاة اُمها السيدة الجليلة خديجــة عليها السلام، وتتــبّعها خطوات أبيها صلى الله عليه وآله في معاركه ضد الكفر والشرك، ونشر الدين وحفظه. والمحن والاضطهاد الذي لقته في حياته. وبعد وفاة أبيها الكريم صلى الله عليه وآله بقيت حزينة، فكانت يغشى عليها ساعة بعد ساعة حين كانت تعدّد أســاليب معاملــته صلى الله عليه وآله لولديها ومواقفه منهما، الذي كثيراً ما كان يكرمهما ويحملهمــا، وكان أشدّ الناس حباً لهما وشفقة عليهما. فكان يداعبهما فيتسلق أحدهمــا صــدره أو ظهــره ويقول: «اللّهمّ إنّي اُحبّهما فأحبّهما وأحبّ من يحــبّهما» وقــد جــزعا وفزعا لموت أمهما الزهراء عليها السلام التي توفيت في ٣ جمادي الثانية فبكيا حتى أبكيا ملائكة السماء في حزنهما على الطاهرة عليها السلام. وقــد أوصت الإمام عليّ عليه السلام أن يتزوج بعدها ابنة اُختها أمامة «فإنها تكون لولدي مثلي».

والإمــام الحســن عليه السلام عــندما ولــد احتفلــت المديــنة بمولده وسمّاه الرســول صلى الله عليه وآله الحســن، ولم يكن يعرف اسم (الحسن) في الجاهلية. وتصدّق النبــي صلى الله عليه وآله علــى الفقراء بزنة فضة من شعره. وأرضعته أم الفضل امرأة العــباس. وبعد عام ولد الإمام الحسين عليه السلام في شهر شعبان سنة ٤ هــ حيث كان الرسول صلى الله عليه وآله قد بلغ من العمر ٥٧ عاماً، ومضى على وفاة السيدة خديجة ١٧ عاماً، وتزوج الرسول صلى الله عليه وآله من أم سلمة في هذه السنة (الرابعة للهجرة).

وكانت السيدة العظيمة زينب عليها السلام ترافقهما في الطفولة. فقد ولدت بعد

أخـــيها الإمـــام الحسين عليه السلام عام ٥ هــ وكانت في الخامسة من عمرها حين تُوفّي النبي صلى الله عليه وآله، فشغلت مكان أُمها في العاشرة من عمرها ممّا جعلها تحتل مكـــان أُمهـــا، وتـــتحمل مسؤولية بيت أبيها بعد وفاة جدها النبي صلى الله عليه وآله وأُمها الزهراء عليها السلام كما حدث للسيدة الزهراء عليها السلام مع النبي صلى الله عليه وآله حينما توفيت السيدة الجليلة خديجة عليها السلام.

ونظراً لتلك الحياة الودية التي عاشتها مع أخويها فإنّها لم تفارقهما في حـــياتهما حـــتى إنّها صاحبت أخاها الحسين عليه السلام ولم تقبل بفراقه في رحلته الإلهـــية إلـــى كربلاء حينما طلب ابن عباس من الإمام عليه السلام عدم اصطحاب النساء إلى العراق، فقالت: «لا والله بل نحيا معه ونموت معه».

ومـــثلما تحملـــت مسؤولية أهل بيتها بعد وفاة أُمها الزهراء عليها السلام فإنّها تحملت مسؤولية تدبير أهل البيت والهاشميين بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بما أظهرته من شجاعة وجرأة وفصاحة.

وقـــد أبـــدى المسلمون كلّ الاحترام والتقدير للإمام الحسن عليه السلام، فكانوا يجلّونه، فإذا جلس عند باب بيته انقطع الطريق حتى لم يكن يمر أحد إجلالا لـــه إلى أن يقوم فيدخل منزله. وإذا نزل من ظهر راحلته نزل الخلق ومشوا علـــى أقدامهـــم احـــتراماً لـــه، وإذا طاف البيت مع أخيه الحسين عليه السلام انكب عليهما الناس تبركاً بهما. وقد حج ماشياً ١٥ حجة. وإذا صلى الصبح وانتشر الـــنهار خرج ليزور بيوت أُمهات المؤمنين، فيبرهنّ ويهدي إليهنّ، ويتحدث إليهـــنّ ويسأل عن شؤونهن. وإذا صلى الظهر جلس ليستمع للناس ويعظهم ويعلمهـــم من العلوم، ويؤدب الآخرين. ويسمع من شيوخ الصحابة ما علموه من سنّة النبي صلى الله عليه وآله. كان عذب الروح حلو الحديث كريم المعاشرة حسن الأُلفة محـــباً للـــناس، ويحبّه أصدقاؤه من شباب قريش والانصار لخصاله، وكان

يدافع بشدة إذا ذُكر أبوه بغير ما يحب أو يليق. ويحسن كما أحسن الله إليه.

وإذا سار في طرقات المدينة لبس حلة فاخرة وركب بغلة فارهة، تحف به حاشيته وخدمه. وكان حليماً يوازن حلمه الجبال على حدّ قول مروان بن الحكم.

كـــان جواداً كريماً وسخياً يدفع للسائل أضعاف ما يطلب وما لايطلب، ويعطـــي لمسيئه ومن يسيء إلى أهل بيته حتى يجعله يخجل من نفسه ويرتدّ عن خُلُقه السيء، فكان في جميع مواقفه مثالا كريماً للخُلق الإسلامي الرفيع الــذي دعا إليه القرآن الكريم: **(ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)**

لم تسمع منه كلمة فحش قط، ويقول ما يفعل ويفعل ما يقول، متواصلا مـــع إخوانه، يحترم الكبير والصغير، يستأذن الرجال بالانصراف حين كان يجالسهم.

قـــيل لـــه: «لاي شيء لاتردّ سائلا فأجاب: أنّي لله سائل وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكون سائلا وأرد سائلا. وإن الله عودني عادة أن يفيض نعمه عَلَـــيّ، وعودتـــه أن أفـــيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة».

وقـــد اشترى من جماعة من الأنصار بستاناً بمبلغ ٤٠٠ ألف دينار ثمّ أصـــابتهم ضـــائقة اضطروا لسؤال الناس، فردّ عليهم البستان حتى لايسألوا أحـــداً. وأعتق جارية حين حيته بباقة ريحانة على أساس قول الله عز وجل: **(وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)** وأعطى شاعراً فقيل لـــه: «أتعطـــي شاعراً يعصي الرحمة ويقول البهتان، فقال: إنّ خير ما بذلت من مـــالك ما وقيت به عرضك، وإنّ من ابتغاء الخير اتّقاء الشر». وسمع رجلا

يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فذهب إلى منزله وبعث بها إليه. ومرّ يوماً على صبيان يأكلون كسراً من الخبز فاستضافوه فنزل وأكل معهم، ثمّ حملهم إلى منزله وأطعمهم الكثير وأكساهم. وكان له عطاؤه الذي يوزعه على الفقراء والمساكين، فقد بلغ ١٠٠ ألف دينار كلّ سنة.

وعندما قدم الإمام الحسنعليه السلام إلى المدينة بعد اتمام الصلح مع معاوية ليجاور جده العظيمصلى الله عليه وآله استمر الناس يحجون إليه زائرين حتى تعلّقت الأنظار إلى المدينة، ونسوا الشام وحاكمها، فعاد الورع إلى القلوب التي أفقدتها شهوة الحياة، فكانوا يجالسونه للسؤال والعلم، وقد تغيّرت حياة الناس في العراق فندم أهله على ما فعلوه مع الإمام عليّ والحسنعليهما السلام، فتوافدوا إلى المدينة للقائه والاستماع اليه.

كان مثالا لكلمة الحقّ الهادئة، كما كان الحسينعليه السلام مثالا لتلك الكلمة وللكلمة الملتهبة أيضاً، فأحدهما مثال للداعي إلى الحقّ، والآخر مثال للمحامي عنه فيغمس نفسه بالنار الملتهبة، واثقاً أنّه سيترك في هذه النار كلمة الحقّ. فالإمام الحسنعليه السلام كان يكره الفتنة والخيانة والغدر، فقد رد على رسول معاوية حين شتم معاوية فنهره: «لاتخن من ائتمنك، وحسبك أن تحبني لحبّ رسول اللهصلى الله عليه وآله وأبي وأمي ومن الخيانة أن يثق بك قوم وأنت عدو لهم وتدعو عليهم».

كما كان شجاعاً بليغاً فصيحاً قوياً في حججه، فقد وقف أمام معاوية وحاشيته في مجالسهم يكلمهم بشجاعة وقوة لانظير لها وبلاغة فصيحة تدلّ على شجاعته وجرأته وقوته وبأسه لا لينه وضعفه كما قيل. وقد أوجز أُسلوب معاملته للناس في وصيته لأخيه الحسينعليه السلام: «فإنّي أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي وولدي وأهل بيتي، أن تصفح عن مسيئهم، وتقبل من

محسنهم، وتكون لهم خلفاً ووالداً».

وتمسك بنفس المبادئ والمثل حينما أوصى أخاه عند وفاته: وأن تدفني مـــع رسول الله صلى الله عليه وآله فإني أحقّ به، وأنشدك الله ألاّ تهريق في محجمة من دم حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وآله فنختصم إليه، ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده.

أمّـــا آراؤه وأفكـــاره فـــي أســـاليب المعيشة والتعامل مع الناس، فقد أوضـــحها فـــي مواقـــف عـــدّة، فقال عن المسجد وأهمية مكانته: «من أدام الاختلاف إلى المساجد أصاب إحدى ثمان: آية محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستظرفاً، ورحمة منتظرة، وكلمة تدلّ على الهدى، وأوتره عن ردي، وترك الذنـــوب حياءً وخشية». وعن الأُخوة قال: «يا بني لاتؤاخ أحداً حتى تعرف مـــوارده واقتصـــاده، فإذا استنبطت الخبرة ورضيت العشرة فآخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة».

أمّا عن آداب الطعام فقد ذكر اثنتي عشر خصلة، كان على المسلم أن يعرفها: أربع فيها فرض، وأربع سنة، وأربع تأديب:

فأمّا الفرض فهي المعرفة والرضا والتسمية والشكر.

والسُـنّة، فـــي الوضـــوء قبل الطعام، والجلوس على الجانب الأيسر، والأكل بثلاثة أصابع، ولعق الأصابع.

والتأديـــب: فـــالاكل ممّـــا يليك، وتصغير اللقمة، وتجويد المضغ وقلة النظر في وجوه الناس.

كما نوّه عن المروءة بأنّها: هي إصلاح الرجل أمر دينه، وحسن قيامه على ماله، ولين الكف، وإفشاء السلام، والتحبّب إلى الناس.

أمّـــا الكرم فهو العطية قبل السؤال، والتبرع بالمعروف، والاطعام في المحل، والبخل هو أنـــه يرى الرجل ما أنفقه تلفاً وما أمسكه شرفاً. وأحسن

الناس من أشرك الناس في عيشه، وأشرهم من لايعيش في عيشه أحد.

هـذا هو الإمام الحسن عليه السلام الذي كان أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً، والـذي اعتـبره الإمام علي عليه السلام مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام عينيه، ويحلف بهما، ويستخدمها مثالا في ضرب الأمثلة على المواقف القوية والشديدة، «فو الله لـو أنّ الحسـن والحسين فعلا مثل ما فعلت ما كانت لهما عندي هوادة، ولاظفـرا مني بإرادة ولما تركتهما حتى أخذ الحقّ منهما وأزيح الباطل عن مظلمتهما».

وقد تُوفّي الإمام الحسن عليه السلام بعد إمارة معاوية بعشر سنين، ولم يحضر دفـنه من بني اُمية الكثير بالرغم من أنـّه صالحهم، وحقن دماء المسلمين، إلاّ أنّ معظـم المسـلمين حضـروا دفنه، فزاد ازدحامهم واشتدّ، كما أقامت نسـاء بنـي هاشم النواح عليه شهراً، ولبسوا السواد سنة. ولمّا كانت فاطمة بنـت الإمـام الحسـن عليه السلام هـي أم الإمـام الباقر عليه السلام فالأئمة بعده حسنيون وحسينيون.

دفن جنب قبر اُمه السيدة الزهراء عليها السلام في قبة العباس بن عبد المطلب، حيـث بنـي على قبره وعلى قبر العباس بن عبد المطلب قبة عظيمة كانت تشاهد على بعد[١].

وأمـا الامـام الحسين عليه السلام فقد كان محبوباً محترماً لدى كلّ من يعرفه ولاسيّما لدى أهله، وهو ما جعلهم لايستحسنون خروجه إلى الكوفة.

فكـان مجلسه مليئاً بجموع الناس دوماً، وهو مجلس وقار وعلم يتعلم الناس فيه وهم في خشوع. وحينما خرج من المدينة إلى مكة قدم إليه الناس

---

(١) أحمد النقشبندي: مآثر الاناقة في معالم الخلافة: ص ١٠٧.

يجلسون حوله، ويستمعون إليه منتفعين بعلمه وتقواه. فالإمام عليه السلام اشتهر بالعلم والديـــن والورع والسخاء والكرم مع ذوي الحاجات والفقراء؛ إذ كان يجالس المســـاكين متمســـكاً بالقـــرآن: **(إن الله لايحـــب المتكبرين)** فقد لزم مسجد الرســـول صلى الله عليه وآله في المدينة يجلس فيه؛ ليروي الحديث، ويشتغل بأُمور الدين، فيـــتحلق حوله المسلمون، وتهوي إليه أفئدتهم، ويجدون فيه نفحات من نبيهم المصطفى صلى الله عليه وآله. فقد ضرب به المثل في الكرم، ويروى أنه دفع ديون (أُسامة بن زيد) البالغة ستين ألف درهم قبل أن يموت حسب طلبه. كما أنّ موقفه من (أُرينـــب) التـــي تزوجها ليخلصها من يزيد الذي احتال على زوجها ليطلقها فيتزوجها هو، إلاّ أنّ الإمام عليه السلام عمل على ردّها إلى زوجها عبدالله بن سلام. كما أعطى معلم ولد له ألف دينار وملابس احتراماً له كمدرس ومعلم.

كما أنّ الإمام عليه السلام كان يوزع الأموال والكسوة التي يتلقاها من معاوية علـــى أيتام من قُتل في صفين، وجزءاً آخر من لحوم على الفقراء، فقد كان الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام يقبلان بصلات معاوية على أساس أن ذلك من حقهما ليوزعانها على المحرومين والمساكين والمحتاجين.

وكانـــت لـــــه آراؤه الخاصة في الكرم والعطاء، فقال لمن يسأل عن حاجـــة: «لاتـــرفع حاجتك إلاّ إلى ثلاثة: ذي دين، أو مروءة أو حسب، فأما ذوالديـــن فيصون دينه، وذوالمروءة فيستحي لمروءته، وأما ذوالحسب فيعلم أنّـــك لم تكرم وجهك أن تبذله في حاجتك: فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضـــاء حاجتك». وقال: «إنّ من نعم الله عليكم حوائج الناس إليكم، فلاتملّوا مـــن تلك النّعم فتعود نقماً. واعلموا أنّ المعروف يكسب حمداً ويعقب أجراً، فلـــو رأيتم المعروف رجلا لكان جميلا يسر الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رجلا لرأيتموه قبيح المنظر تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار».

وقد كانت للإمام الحسين عليه السلام عين يُحَنّس باعها الإمام زين العابدين بـ ٧٠ ألف دينار قضى بها دين أبيه عليه السلام، وعين أبي نيزر وعين البُغَيبغة، تصدق بهما الإمام عليه السلام على فقراء المدينة، ثمّ أصبحت في أيدي بني عبدالله بن جعفر حتى أيام المأمون فطلبها فرفض ذلك على أساس أنّها وقف الإمام عليّ عليه السلام على أولاد فاطمة عليها السلام. وكذلك ينبع القرية التي بين المدينة ومكة كانت لبني الحسن عليه السلام، وكان بها أوقاف للامام عليّ عليه السلام تركها لاولاده الذين تولوها، فكثرت بها الينابيع والعيون.

لم يكن هناك من ينافس الإمام الحسين عليه السلام كرمه وسخاءه وجوده وعطاءه، ولا اعتناءه بمصالح الناس والأُمّة جميعاً حين أعطى نفسه وضحى بها مع أهل بيته في سبيل مصلحة الأُمّة الإسلامية ومستقبلها، والحفاظ على دينها وعقائدها، والتمسك بمبادئ الإسلام الصحيحة، وهو مالم يقم به أحد في تاريخ البشرية منذ وجودها، فلا أكرم منه في ذلك ولا أشجع؛ لما قام به وقدّمه في كربلاء يوم عاشوراء.

كانت تلك أخلاق وطبائع هذين الإمامين العظيمين عليهما السلام وأساليب تعاملهم مع الناس، قال عنهما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن أحبّ حسناً وحسيناً وأباهما وأُمهما كان معي في درجتي يوم القيامة» وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هذان إمامان قعدا أو قاما، اللّهمّ إني أحبّهما وأحبّ من يحبّهما».

وذكر الإمام السجاد عليه السلام أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، فلم يكن له وقت للتفرغ للنساء. وقال فيه عبدالله بن عمر: «هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء».

كما كان أبوهريرة ينفض عن قدميه عليه السلام التراب ويقول: «دعني فوالله

لو علم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم».

الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام:

فقد كان موضع احترام الجميع وتقديرهم، فقال الشيباني: «رأيت رجلا دخــل عليه عليه السلام في المسجد وقبّل يديه ووضعها على عينيه، فلم ينهه». كما ذكر صاحب العقد الفريد أنّ الناس في المسجد كانوا يسارعون إلى تقبيل يده تبركاً ومحبة للخير، ويضعون يده على عينيهم تفاؤلا.

كان الإمام عليه السلام يلبس أحسن الثياب وأفخرها وأجملها يطلبها من مصر بالاشــمونين بالمنوفية، ثم يتصدّق بثمنها على الفقراء حينما يبيعها. وعندما قيل له: «إنّ علياً عليه السلام كان يلبس أخشن الثياب، قال: إنّه كان في زمن ضيق، فإذا اتّسع الزمان فأبرار الزمان أولى به». وكان يحب السكر واللوز والعنب، فكان يتصدّق بهما.

وكان يحترم ضيوفه وجميع الناس عبداً كان أم حراً، ويجالس العلماء حــتى لــو كان الخطيب والمعلم عبداً، فقيل لـــه: «أنت سيد الناس وأفضلهم وتذهب الى هذا العبد وتجلس معه؟! فقال: إنّه ينبغي للعلم أن يُذهب إليه حيث كــان». فأصــبح بذلــك قــدوة تأثر به الذين نسوا تعاليم الإسلام ووصايا الرسول صلى الله عليه وآله حينما شجع علماء الموالي وطمئنهم إلى رضا الله عنهم وفوزهم بين يديه.

كمــا كـــان عطوفاً محباً لاهل بيته، فقد بكى عشرين عاماً على أبيه، وقيل أربعين، فلم يأكل ما يقدّم لـــه من طعام قائلا: «كيف آكل وأبو عبدالله مـــات جائعـــاً، وكيف أشرب وقد مات عطشاناً»، ولمّا كثر بكاؤه على أبيه وأهله حاولوا أن يخففوا من وطأته فقال: «إنّ يعقوب بكى حتى ابيضت عيناه

علــى يوسف ولم يتحقق موته، فكيف لا أبكي وقد رأيت بضعة عشر رجلا يذبحون من أهلي في غداة واحدة».

وبالرغم من ذلك فإنّه لم يجزع لمصيبة لقوة صبره واحتماله، فقد كان فــي مجلســه يوماً وسمع ناعية في بيته، فنهض الى منزله وسكّنهم ثم رجع فقالوا: «أمن حدث كانت الناعية؟ قال نعم، فعزّوه وعجبوا لصبره، فقال: إنّا أهل بيت نطيع الله فيما يحب ونحمده على مانكره».

اشتهر الإمامعليه السلام وتميّز من الآخرين بصفتين خاصتين: العبادة والكرم. فقد كان أفضل الناس عبادة وأشدّهم فيها، وعُرف بكثرة السجود، فإذا ذكر لله ــ عــزّ وجلّ ــ نعمة عليه سجد، وإذا قرأ آية قرآنية فيها سجود سجد، وإذا فــرغ من الصلاة سجد، وإذا توفق في إصلاح اثنين سجد، وإذا عمل عملا يرضــاه الله ســجد، حتى بانَ أثر السجود في جميع مواضع سجوده، وكان يصلي في اليوم ألف ركعة.

كما اشتهر بالكرم والسخاء والعفو عن مسيئه، أدى ديون الناس ووسّع عليهم، وأعطى السائل ما أمكن حتى إنّه كان يعول مئة أهل بيت في المدينة تعــيش علــى صدقاته، عُرف ذلك بعد وفاته. كما أنــّه تبرّع بحماية أُسرة مروان بن الحكم ورعايتها خلال أحداث الحرة بجانب اعتنائه بــ٤٠٠ أُسرة أُخرى.

كمــا أنــّــه كان كثير الشراء للرقيق من الأُسارى والسبايا؛ ليطلقهم ويعتقهم أحراراً؛ إذ أُحصي عدد الأحرار في المدينة فبلغوا كجيش قوامه ٥٠ ألف من الموالي والأحرار والجواري، كانوا كلّهم في ولاء الإمامعليه السلام، وقيل: إنّ العبيد كانوا يعرضون عليه بيع أنفسهم ليصبحوا أحراراً.

وقــد نقــل في الكامل (لأبي العباس المبرد) فقال: «إنّ رجلا من أهل

الشام دخل المدينة فرأى رجلا راكباً بغلة لم ير أحسن وجهاً ولاثوباً ولادابة منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه فقيل: هو عليّ بن الحسين، فامتلأ قلبي بغضاً له، فقلت له: أأنت ابن أبي طالب؟ فقال: بل أنا ابن ابنه، فقلت: بك وبأبيك أسب علياً. فلما انقضى كلامي قال: أحسبك غريباً؟ قلت: أجل، قال: فمل بنا إلى الدار، فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال واسيناك أو إلى حاجة عاوناك على قضائها، فانصرفت من عنده وما على وجه الأرض أحبّ إليّ منه».

وتزوج جارية لـه وأعتقها، فبلغ ذلك عبدالملك بن مروان، فكتب إليه يؤنبه، فأجابه الإمام عليه السلام: أنّ الله رفع بالإسلام الخسيسة، وأتمّ به النقيصة، وأكرم بـه من اللؤم، فلا عار على مسلم، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوج أمة وامرأة عبده.

عندما كان ينوي السفر كان يشتري السلامة من الله بما تيسّر بالصدقة، وعند عودته يعمل ذلك أيضاً ويشكره ويحمده. وكان يسافر مع رفاق لايعرفونه؛ ليخدمهم في الطريق؛ فإنّهم إذا عرفوه رفضوا عمله. فقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام: أنّ الإمام زين العابدين لم يكن يسافر إلاّ مع رفاق لايعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون أحد خدّامهم فيما يحتاجون إليه، ولمّا عرفه أحدهم واستفسر عن أمره قال: إنّي كنت سافرت مرةً مع قوم يعرفونني، فأعطوني برسول الله ما لا استحق، فإنّي أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحبُّ إليّ.

وقام الإمام بزيارة قبر الإمام عليّ عليه السلام في النجف مصطحباً ابنه الإمام الباقر، فعندما ورد الكوفة ودخل المسجد رأى أبا حمزة الثمالي من زهاد الكوفة ومشايخها الذي سار ليقبّل قدميه، فرفع الإمام رأسه وقال: لا يا أبا

حمزة إنّما يكون السجود لله عزّ وجلّ.

وقد شوهدت آثار سواد في ظهره، عندما تُوفّيعليه السلام علم أنّها ممّا كان يحمل من جراب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء المدينة، فقد كان يحمل الطعام بنفسه في الليل يدور به على منازل الفقراء، وكان بيته مفتوحاً للناس؛ لاطعام الفقراء والغرباء، ويذبح خروفاً يوزّع لحمه على الفقراء يوم صومه.

وكان الإمامعليه السلام يملك مالا كثيراً، وكان بعضها أراضي حصل عليها من إرث أبيه، كما استملك ٥٠٠ نخلة وهي التي كان يصلي عند كل واحدة منها ركعتين، كما كان له حق في الغنائم، وكان يصلح الأرض ويستنبط ماءها، كما استخدم الوكلاء في التجارة إلى الشام والحجاز ونجد؛ لتعود بالفاكهة وغلات الشام، فكان ينمّي ماله بالتجارة والزراعة. وقد سدّد ديون أبيه الحسينعليه السلام التي بلغت سبعين ألف دينار.

والإمامعليه السلام هو الذي اتّخذ تربة الإمام الحسينعليه السلام من قبره للسجود عليها باعتبارها تربة زكية طاهرة سالت عليها دماء سيد الشهداء ممّا جعل الشيعة يستمرون على اتخاذها بركة إلى اليوم. وقد اشترك في واقعة كربلاء وكان عمره ٢٣ سنة.

وقد امتلأت القلوب حزناً عليه، وانطلقت الألسن ثناءً وترحماً ورثاءً له، وأسرع الناس إلى المسجد ليشهدوه ويصلوا عليه، فقد صلّى عليه خلق كثير، وشيعوه إلى البقيع في قبره. فقد ذكر سعيد بن المسيب: «أنّه شهد جنازته البر والفاجر وأثنى عليه الصالح والطالح».

قال عنه عمر بن عبد العزيز: «ذهب سراج الدنيا وجمال الإسلام وزين العابدين».

وسعيد بن المسيب: «ما رأيت قط أفضل من عليّ بن الحسين، وما

رأيته قط إلاّ مقتَ نفسي، فما رأيته ضاحكاً يوماً قط، فلم يضحك منذ استشهد أبوه وأهله إلاّ اليوم الذي وضع أمامه رأس عبيد الله بن زياد».

وقال أيضاً: «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين؟ فيقوم عليّ بن الحسين عليه السلام يخطر بين الصفوف».

وذكر بن تيميه: «أنّه زين العابدين وقرة عين الإسلام».

فهو كما قيل عنه: «عليّ الخير، عليّ البركة، عليّ الأغر، ابن الخيرتين من قريش والعجم». فقد اعتبر الإمام عليه السلام رباطاً قوياً بين العرب والفرس، وما بين الناس جميعاً والمسلمين منهم خاصة، فكأنّه كان سبباً ساقه القدر ليبعد الفرقة، ويقوي الأُلفة، ويقرب بين الناس، وبخاصة أنّه اشتهر بتحرير الموالي والعبيد والجواري.

الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام:

فقد كان شاباً مع أخيه زيد، وفي أوّل رجولتهما عند قوة الدعوة العباسية في عام ١٠٠ هـ حيث كان الإمام السجاد عليه السلام قد تُوفّي قبل هذا الوقت بقليل ربما بخمس سنوات، وكذلك محمّد بن الحنفية أبو هاشم بسنتين. وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أوصى جابر بن عبدالله الانصاري: «إنك ستبقى حتى تلقى رجلا من ولدي أشبه الناس بي، اسمه على اسمي، فإذا رأيته لم يخل عليك فاقرأه مني السلام». وقد رآه وقابله فقبّل يديه ورجليه قائلا: «بأبي وأمي، شبيه أبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّ أباك يقرؤك السلام».

كان كريماً حيث يوزّع ٥٠٠ أو ٦٠٠ الى ألف درهم، ولايملّ من صلة إخوانه وقاصديه، كما أنفق على فقراء المدينة ٨ آلاف دينار. ويتصدّق كل جمعة بدينار فقال عليه السلام: «الصدقة يوم الجمعة تُضاعف كفضل يوم الجمعة

علــى غيره من الايام». وإذا ضحك قال: «اللّهمّ لا تمقتني». وكان أصحابه يــزورونه فـيخرجون من عنده وقد أطعمهم الطعام الطيب، وكساهم الثياب الحســنة، ووهــبهم الدنانــير ويقــول: «مــا حسنة الدنيا إلاّ صلة الإخوان والمعارف».

وكان عليه السلام يحب إخوانه فقال عندما سئل عن أيهم أحب إليه: «إنّ عبدالله هو يدي التي بها أحمِل، وعمر عيني التي أرى بها، وزيد لساني الذي أنطق به، والحسين هو الحليم».

وكــان إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب في وجهه.

كما اشتهر أنــّه من أشهر رماة القوس والسهام تعلّمه منذ الصغر في المدينة، وكذلك ابنه الإمام الصادق عليه السلام.

كانت له أفكاره العلمية والدينية تميز بها من الآخرين، فحينما قيل له: «أتعرف شيئاً خيراً من الذهب؟ قال نعم معطيه».

وقال لــه رجل: «ربّما حزنت من غير مصيبة أو أمر نزل بي حتى يعرف ذلك في وجهي أهلي وأصدقائي! فقال عليه السلام: أجل إنّ الله ــ عزّ وجلّ ــ خلــق المؤمنين من طينة واحدة، فالمؤمن أخ المؤمن لأُمه وأبيه، فإذا حزن مؤمن في بلد من البلدان حزن له المؤمن الآخر لأنّه منه».

وقال في الزوجة: «اللّهمّ ارزقني امرأة تسرني اذا نظرت وتطيعني اذا أمرت، وتحفظني اذا غِبت».

وقــال لــه عمر بن عبدالعزيز: «أوصني فقال عليه السلام: أوصيك أن تتخذ صــغير السن ولداً، وأوسطهم أخاً، وكبيرهم أباً، فارحم ولدك، وصل أخاك، وبرّ أباك».

أمّا عن الشيعة والولاية لأهل البيت عليهم السلام فقد أوضح ذلك كثيراً لمحبيه ومـــريديه. فقـــال عن الولاية: «لو صمت النهار لا أفطر، وصليت الليل لا أفتر، وأنفقت مالي في سبيل الله علقاً علقاً، ثمّ لم تكن في قلبي محبة لأوليائه ولابغضاً لأعدائه، ما نفعني ذلك شيئاً».

وعن الشيعة: «والله ما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله من حجة، ولانـــتقرب إلـــيه إلاّ بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله يعمل بطاعته نفعته ولايتنا أهل البيت، ومن كان منكم عاصياً لله يعمل بمعاصيه لم تنفعه ولايتنا، ويحكم لاتغتروا».

وعن الشيعي: «حسب الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاه، فلو قال إنّي أحبّ رسول الله فرسول الله خير من عليّ، ثمّ لايعمل بعمله ولايتبع سنته، ما نفعـــه حبّه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبّ العباد إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم لـــه، وأعملهم بطاعته. والله مايتقرب إلى الله تعالى إلاّ بطاعة، ما معنا براءة من النار، ولاعلى الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو: ولاينال ولايتنا إلاّ بالورع والعمل».

«ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلاّ بالتواضع، والتخشع، وأداء الأَمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة، والبر بالوالدين، وتعهـــد الجـــيران مـــن الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والايتام، وصدق الحديـــث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلاّ من خير، وكانوا اُمناء عشائرهم في الأشياء».

إنّما شيعة عليّ المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتآزرون لإحـــياء الدين، إذا غضبوا لم يظلموا، وإذا رضوا لم يسرفوا، بركة على من

حاورهم، وسلم لمن خالطهم.

الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام:

عــاش مــع جده عليّ بن الحسينعليه السلام ١٢ أو ١٥ سنة، وأقام مع أبيه الباقرعليه السلام ١٩ سنة، وكانت مدّة إمامته ٣٤ سنة. واعتبر أكبر الأئمّة سناً؛ إذ بلغ من العمر ٦٥ أو ٦٨ عاماً.

كــان الإمامعليه السلام نموذجاً رائعاً لإنسانية المعرفة في العصر الإسلامي المذهبي وبداية رائعة لــه، فكان من أشدّ الدعاة إلى العمل قبل القول، فكانت أقواله تطابق أعماله. كان كثير التبسم، على قول مالك بن أنس، فإذا رآه كان في ثلاث أحوال، مصلياً أو صائماً أو يقرأ القرآن. فهو من اصطفاه الله ومن السابقين إلى الخيرات، ولم يتكلم فيما لايعنيه، فكان ممّن قال فيه القرآن: **(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)**.

كان يتحرى أحوال الناس وشؤونهم، ويوزّع المال والطعام بنفسه على أصــحاب الحاجــة دون أن يعرفوه، وقابل الإساءة بالإحسان حتى تمكّن من تحويل المسيئين إليه إلى أصدقاء وأولياء، وكره الانتقام، فعلّم الناس الفضائل والعفــو. كمــا كــره المنافقيــن، وكشف جهلهم للناس بأنّهم يبيعون شرفهم وضــميرهم بالمال والمنصب والجاه، مؤكداً أنّ كشف هؤلاء واجب شرعي. فهــو لــم يسكت عن التزييف؛ إذ آلمه انحدار الأُمة وبيع الضمير. فقد كان المــنافقون يعملون بأُسلوبهم المعروف مع الحكام، فأحدثوا خرقاً في الإسلام وانصــرافاً عن كلّ حقّ، ممّا أجبر الإمامعليه السلام على أن يؤدي دوره في تنوير الــناس حكاماً ومحكومين؛ لأنّه آمن بدوره التاريخي المحتوم في تعليم الناس مــا خفــي عــنهم، وكشف ما سُتر عنهم. فقد عُرف بالتواضع مع الجميع،

والصبر على المسيئين وذوي النفوس المريضة والجهلاء. وسعى إلى الصلح بيــن الخصماء، فإذا كان على مال تبرع به خفية منها، مشيراً بذلك إلى «أنّ المعروف لايتم إلاّ بثلاثة: تعجيله وتصغيره وستره».

وقــال في كل ذلك: «إنّ للمؤمن على المؤمن سبع حقوق وواجبات ما فيها حق إلاّ وهو عليه واجب إن خالفه خرج من ولاية الله، وترك طاعة الله، ولــم يكــن لله فيه نصيب: فأيسر حقّ منها أنــّه يحبّ لــه ما يحبّ لنفسه، ويكــره له ما يكره لنفسه. وأن يمشي في حاجته، ويبتغي رضاه، ولايخالف قولـــه، وأن تصــله بنفسك ومالك، ويدك ورجلك ولسانك، وأن يكون عينه ودلــيله ومــرآته وقميصه، وألاّ تشبع ويجوع، ولاتلبس ويعرى، ولاتروى ويظمــأ. وأن يكون لك خادم وامرأة وليس لاخيك امرأة ولاخادم، وأن تبعث خــادمك فيغســل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه، فإن ذلك كلّه إنّما جعل بيــنك وبيــنه. وأن تــبر قسمه، وتجيب دعوته وتشهد جنازته، وتعوده في مرضـــه، وتشخص ببدنك في قضاء حاجته، ولاتحوجه إلى أن يسألك، ولكن تبادر إلى قضاء حوائجه، فاذا فعلت ذلك به وصلت ولايته بولايتك وولايتك بولاية الله تعالى».

كمــا ذكر عن أهمية التعاون بين الأفراد ومساعدة الآخرين بأنّ قضاء حاجــة المؤمن أفضل من ألف حجة متقبلة بمناسكها وعتق ألف رقبة لوجه الله. ومن رأى أخاه على أمر يكرهه فلم يرده عنه وهو يقدر عليه فقد خانه، ومن لم يجتنب مصادقة الأحمق أوشك أن يتخلق بأخلاقه.

كمــا جاهد الإمام عليه السلام في سبيل إقرار التسامح الديني والتعامل الحسن بيــن المســلمين وأهــل الكتاب، فحارب المتعصبين والتعصب المسيء إلى الشريعة والانسانية، وأمر بالتعايش السلمي مع المسيحيين، وعدم إكراه الناس

على الدخول في الإسلام، واحترام حرية العقيدة، الامر الذي ساعد في عودة المنحرفين إلى الدين السليم، وإلى تعايش المسلمين والمسيحيين متحابين، كما أمــر الرسولﷺ. كل ذلك دفع الناس إلى الالتفاف حول الإمامعليه السلام بالمدينة المنورة والعراق؛ ليعلّمهم ويحاور المنحرفين والمتطرفين. لقد كان رقيقاً مع مخالفيه من أصحاب المذاهب المختلفة والفقهاء باختلاف اتّجاهاتهم؛ إذ تميز عــنهم بــالدعوة إلــى التقريب بين الآراء بمقاومته للطائفية والتعصب بكلّ صورة.

وكــان ســخياً كريماً يعطي حتى لايبقى لعياله شيء، وحليماً متسامحاً يغفر لمن أساء إليه، وجعل الله لــه هيبة عظيمة ونوراً وجلالا لكثرة عبادته، وصــمته عن لغو القول، وانصرافه عمّا يرغب فيه الناس، وجلده للحوادث، فكــان مهيــباً فــي القلوب، عطوفاً ليّن الجانب، حلو المعاشرة، زاهداً عابداً شاكراً، كما ذكر عنه مالك بن أنس: «كان رجلا لايخلو من إحدى ثلاث: إمّا صــائماً، أو قائماً، أو ذاكراً. وكان من عظماء العباد، وأكابر الزهاد والذين يخشــون ربهــم عز وجل، وكثير الحديث طيب المجالسة، كثير الفوائد. وقد حججــت معــه سنة فلما استوت به راحلته عند الاحرام كان كلّما همّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، وكاد يخر من راحلته».

وبهــذه الصــفات ثابــر في طلب الحقيقة وبيانها، وامتلك زمام العلم وتوجــيه النفوس الشاردة إلى الهدف السامي، وهدايتهم إلى الطريق الأمثل، فكان نوراً في الليلة الظلماء يستهدي به الضال، ويستنير به الأعمى، ويستفيد منه المتعلم.

وقــد نهى عن التقشف الذي قصد به إتعاب الجسم، وكان يلبس الثياب الحسنة، فالزهد عنده الاكتفاء بالحلال، لا التجرد من الحلال. وإنّ الزهد ليس

مظهراً رخيصاً يتلبس به الإنسان، وابتعاداً عن المعطيات الطيبة لمن أنعم الله بـــه عليه، فلكلّ زمان معطياته، ففي زمان النبي صلى الله عليه وآله لم تكن الحياة في سعة، وعاش الناس خشونة البداوة وشظف العيش، لقلة الانتاج وضيق اليد، فكانت البساطة في الشكل والمظهر هي الطابع العام، والله حين خلق الطيبات ومنح الـــناس نعمة الخير والجمال، لا أن ينعم بها الكافر ويحرم منها المؤمن، بل هي للمؤمن يشكر الله على نعمائه عرفاناً منه للجميل.

فـــإذا أقبلـــت الدنـــيا فـــأحقّ أهلها بها أبرارها لافجارها، ومؤمنوها لامنافقوها، ومسلموها لاكفارها.

كما ذكر عن لباس الإمام عليّ عليه السلام: «أنّ الإمام عليّ عليه السلام كان يلبس ذلك فـــي زمـــان لاينكر، ولو لبس مثل ذلك اليوم شهّر به، فخير لباس كل زمان لـــباس أهلـــه. غـــير أنّ قائمـــنا إذا قـــام لبس ثياب عليّ وسار بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام».

وقـــال الإمـــام الصادق عليه السلام في إظهار النعمة: «إنّي لأكره الرجل أن يكـــون علـــيه من الله نعمة فلايظهرها. البس وتجمل، فإنّ الله جميل ويحب الجمال، وليكن من حلال». وروى الكليني عنه عليه السلام: «إذا أنعم الله على عبده بنعمة أحب أن يراها عليه؛ لأنّه جميل يحب الجمال».

وكان الإمام عليه السلام ينظف ثوبه، ويطيب ريحه، ويجصص داره، ويكنس أفنيته حتى قال «إنّ السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق».

وقـــد قدم إلى العراق في العصر العباسي، وعرّف قبل كلّ شيء قبر الإمـــام عليّ عليه السلام عندما سار إلى الكوفة لمقابلة أبي جعفر المنصور، فأوضح مكان القبر، وكان معه صفوان الجمال، فطلب منه أن يخبر أصحابه من أهل الكوفة عن مكان القبر، فأذن له، وأعطاه دراهم لإصلاح القبر.

كما شجّع على زيارة الإمام الحسينعليه السلام، وذكر فضل تلك الزيارة وقال: «لاتدعه لخوف من أحد، فمن تركه لخوف رأى من الحسرة مايتمنى أنّ قبره كان بيده، أي: يدفن معه، أما تحب أن يرى الله شخصك فيمن يدعو له رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وفاطمة والأئمّة المعصومونعليهم السلام؟ أما تحب أن تكون غداً ممّن تصافحه الملائكة؟ أما تحب أن تكون فيمن يأتي وليس عليه ذنب فيتبع به؟ أما تحب أن تكون ممّن يصافح رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم؟»

وقال عن تربة الإمام الحسينعليه السلام عن أبي حمزة الثمالي: «إن طين الحسينعليه السلام والنبيصلى الله عليه وآله وسلم والحسن وعليّ وفاطمةعليهم السلام شفاء من كلّ سقم، وجُنة ممّا تخاف ولايعدلها شيء من الأشياء التي يستشفى منها إلاّ الدعاء. واذا أخذتها فاكتمها، وأكثر عليها ذكر الله عزّ وجلّ، وينبغي ألاّ يستخف به ولايخالطه شيء فيفسده، ويقرأ عليه سورة (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**).

والتقى بالناس فأقبلوا عليه يسمعون كلامه، وأصبح مقصد طلاب العلم العلوي، وتميّز مجال جهاده في تصحيح الاعتقاد وبيان الشرع والحقّ في الأُمور، والصبر على الظنون، فلا ناصر له إلاّ الله سبحانه وتعالى.

وكان يعمل بيده في الأرض والتجارة لكسب الحلال والعيش، كغيره من الافراد، كما أرسل تجارة مع رجاله إلى مصر للبيع والشراء. وعندما زادت الأسعار وساد الغلاء في المدينة أمرعليه السلام ببيع ما عنده من طعام حتى يتسنى للناس التقوت والحصول على المواد الغذائية. فهو ممّن كافح المحتكرين وحارب الاحتكار، وأفتى فيهم عندما شاهد أفاعيل المستغلين: بألاّ يحق لمسلم أن يدخر أكثر من قوت عام، إذا كان في الأُمة صاحب حاجة إلى طعام أو كساء أو علاج أو دواء أو أداة ركوب. فرأى أنّ الحاكم هو المسؤول، وهو الآثم في تلك النكبات، فكان يضطر بعضهم إلى السرقة؛ لأنّه

لـــم يحصـــل على الأجر الذي يكفيه مع عياله، فالذي يستغله هو الآثم الذي ينبغـــي قطع يده. وكانت له ضيعة تسمى (عين زياد) يسمح للناس أن يأكلوا من ثمارها، ويوزع منها على المحتاجين والمستحقين من أهل المدينة، وكانت تعطي أربعة الآف دينار.

وكانت لـــه آراؤه الخاصة وأفكاره المميزة لتطوير المجتمع الإسلامي والإنســـاني، ففي السياسة والسلاطين رأى أنّ ثلاثة تكدّر العيش: «السلطان الجائـــر، وجـــار السوء والمرأة البذيئة. وإذا أراد الله برعية خيراً جعل لهم ســـلطاناً رحـــيماً ووزيراً عادلا. وإنّ أهل كلّ بلد لايستغنون عن ثلاثة: فقيه عـــالم ورع، وأمـــير خيّر مطاع، وطبيب بصير ثقة، فإن عدموا ذلك كانوا همجاً رعاعاً».

وقال في عوامل فساد المجتمع:

إنّـــه اذا فَشَتْ أربعة ظهرت أربعة: فإذا ظهر الزنا ظهرت الزلازل، وإذا أُمسكت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جار الحاكم في القضاء أُمسك القطر من السماء، واذا غفرت الذمة، نصر المشركون على المسلمين».

أمّا عن الأعمال والتجارة: فقد أكّد أنّ الصناع والصناعة، وأنّ كل ذي صـــناعة مضـــطر إلى ثلاث يجتلب بها المكسب: أن يكون حاذقاً في عمله، مؤدياً للأمانة فيه، مستميلا لمن استعمله.

ورأى الأُسلوب الصحيح للمعيشة: «أن التدبير نصف العيش، والتودّد نصف العقل، وقلة العيال أحد اليسارين».

وإنّ البنات حسنات والبنون نِعَم، فالحسنات تثاب عليهن، والنعمة تسأل عنها.

وهـــو يؤكد في هذا عدم التفرقة بين الأولاد، ويبعد أفضلية الولد على

البنت. كما نقل عن النبيﷺ أن صلة الرحم تعمّر الديار وتزيد في الأعمار وإن كان أهلها غير أخيار.

وعــن الرجل قال: «أصله عقله، وَحَسَبُهُ دينه وكرمه وتقواه، والناس في آدم مستوون. وإذا أردت أن تعلم صحة ما عند أخيك فأغْضِبْهُ، فإن ثبت لك على المودة فهو أخوك وإلاّ فلا».

وإنّ ثلاثـــة يجب على كلّ إنسان أن يتّجنبها: مقارنة الأشرار، محادثة النساء، ومجالسة أهل البدع.

وأنّ الســكنى لاتطيب للانسان إلاّ بثلاث: الهواء الطيب، الماء الغزير العذب، والأرض الخوارة.

أمّــا رأيــه بالنسبة لعلم الغيب الذي كان الناس يصفون به الأئمّةعليهم السلام فقــال: «يــا عجباً لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلاّ الله عز وجل: لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني، فما علمت في أي بيوت الــدار هـــي». فالإمام لايعلم الغيب، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك.

وعــن الشــفاعة بهم قال: «يا من خصّنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة وحمّلــنا الرســالة، وجعلــنا ورثة الانبياء، وختم بنا الأُمم السالفة، وخصّنا بالوصــية، وأعطانـــا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة الناس تهوي إلينا».

كمـــا كـــان لـــه رأيه في المجالس الحسينية، فقال لفضيل: «يا فضيل أتجلسون وتتحدّثون؟ قال نعم يابن رسول الله. فقال: إنّي أحب تلك المجالس، فأحـــيوا أمرنا، فمن ذُكِرنا عنده أو ذكرنا في بيته وفاضت من عينه ولو مثل جناح البعوضة، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر».

وعن الإمام المهدي عجل الله فرجه قال: لايخرج إلاّ في وتر من السنين، إحدى وثلاث وخمس أو سبع وتسع. ويكون ظهوره قبل اتمام الألفين؛ لأنّ عمر الدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لايبلغ الالفين: تؤلف ولا تؤلفان من بعد النبي صلى الله عليه وآله.

وعن المتعة قال: «إنّ لله تعالى حرم على شيعتنا المسكر من كل شراب وعوضهم عن ذلك المتعة». وما من رجل تمتع ثم اغتسل إلاّ خلق الله من كل قطرة تقطر منه سبعين ملكاً يستغفرون له إلى يوم القيامة، ويلعنون متجنبها إلى أن تقوم الساعة».

والإمام عليه السلام لقب بالصادق؛ لأنّه لم يعرف عنه الكذب قط، ولا الأئمّة من أبائه وأبنائه عليهم السلام.

وعندما تُوفّي الإمام عليه السلام دفن في البقيع. وذكر الكليني عن أبي الحسن الثاني (الإمام موسي الكاظم عليه السلام): أنّه قال: أنا كفّنت أبي في ثوبين شطويّين[1].

الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام:

انشغل بالمدينة المنورة بالدراسة والعلم وشؤون العبادة، وسمّاه الناس زين المجتهدين. وقدم إلى العراق (بغداد) بعد ١٥ عاماً من حكم الرشيد. وقد عُرف عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عندالله. كان يصلي نوافل الليل في الثلث الأخير منه، ويستمر إلى طلوع الفجر، ولقّبه الناس بالعبد الصالح، وعُرف به أكثر من اسمه وكنيته. وكان أحسن الناس صوتاً في قراءة القرآن. وعن زهده وورعه تحدث ابن الأثير وأخت السندي. كما سُمّي بالكاظم

---

(١) نسبة إلى شطا، قرية من قرى دمياط بمصر.

لصبره على البلاء وكظمه للغيظ؛ لعظم ما لقي من ظلم وأذىً وحبس. فقد عظم في حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه، وأجاز المسيء بالإحسان إليه، فإذا بلغه أن أحداً يؤذيه، أرسل إليه الذهب والتحف.

كان يحادث الناس ويسألهم عن حوائجهم ويقول عنهم: «عبد من عبيد الله، وأخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله، يجمعنا وإيّاهم خير الآباء آدم، وأفضل الأديان الإسلام. ولعل الدهر يرد من حاجتنا إليه فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه».

كان أنيقاً في ملبسه جميل الثياب، وسأله ابنه الإمام الرضاعليه السلام عن ذلك فقال: «إنّ الحسن بن عليّ كان يلبس اللباس الجيد ويقول: البس وتجمل، وإن الإمام عليّ بن الحسينعليه السلام كان يلبس الجبة الخز التي تصل قيمتها إلى ٥٠٠ درهماً، والمطرف الخز بخمسين دينار شتاءً، فإذا خرج الشتاء باعه وتصدق بثمنه».

واشتهر بإنفاق الكثير على الفقراء والمحتاجين، ويحل عقدة الهمّ لدى المهمومين، ويفرج الكرب عن المكروبين، ويستغل نفوذه ومكانته لإزالة الغمة عن البيوت والأسر المنكوبة، ومن ذلك سُمّي بباب الحوائج.

ولشهرته في الكرم والإنفاق كانت له صرّة صارت مثلا عند الناس: (صرار موسى) فكان يبعث صراة الدنانير إلى المحتاجين وإن كانوا يكرهونه، وضمت الصرة ما بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ـ ٤٠٠ دينار، فعرفت بهذه الصورة.

وعن تسامحه ذكر أنّ أحداً من آل عمر بن الخطاب كان يشتم علياًعليه السلام إذا رأى الإمام الكاظمعليه السلام، فطلب منه القوم إذناً لقتله، إلاّ أنّه رفض، فقصد مزرعته دائساً بحماره الأرض المزروعة، فصاح به الرجل ألاّ يفعل، ولكنّ

الإمام عليه السلام لم يهتم به، فخرّب الأرض، وطلب منه أن يحدّد مبلغ الخسائر التي لحقــت بأرضه، فقال ١٠٠ درهماً فأعطاه الامام عليه السلام ٢٠٠ درهماً، ممّا جعله يسرع بتقبيل رأسه. فلمّا كان بعده في المسجد صاح العمري: الله أعلم حيث يجعل رسالته. وشاتم قومه في ذلك. وأصبح ممّن يحترم الإمام، ويحييه عند رؤيته.

وخسر عيسى بن محمّد بن مغيث القرطبي زراعته حيث أكلها الجراد، فعوضــه الإمــام عليه السلام فــي خســارته وزاده، فقد خسر ١٢٠ ديناراً فأعطاه الامام عليه السلام ١٥٠ ديناراً.

وكتب إلى حاكم الري يطلب منه اعفاء رجل من الضرائب.

وظلــت صــفة بــاب الحوائــج تلازمه حتى وفاته، فيزور ضريحه المكروبون والمحتاجون يدعون الله عند قبره لقضاء حاجاتهم. فقد ذكر شيخ الحــنابلة أبــو علــى الخلال: ما أهمّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلاّ سهل الله تعالى ما أحب.

أمــا عــن الحــياة والمعيشــة فقال: «اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا بإعطائها ماتشتهي من الحلال ما لايثلم المروءة وما لاسرف فيه، واستعينوا بذلــك علــى أُمور الدين، ليس منّا من ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لدنياه. وأياك ومخالطة الناس والأنس بهم إلاّ أن تجد منهم عاقلا ومأموناً فأنس به، واهــرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية». وقال: «التحدث بنعم الله شكر، وترك ذلك كفر».

«وإنّ ثلاثــة يجليــن البصــر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن».

«ومــن أكــرمه الله بثلاث فقد لطف به: عقل يكفيه مؤنة هواه، وعلم

يكفيه مؤنة جهله، وغنىً يكفيه مخافة الفقر».

وقد قسّم الزمان إلى أربعة أقسام فقال: «اجتهدوا أن يكون زمانكم أربع ســاعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والــثقات الذين يعرّفونكم عيوبكم، ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم».

وقــال: «الغضب مفتاح الشر، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، إنّ الرفق والبر وحسن الخلق يعمر الديار، ويزيد في الرزق».

كــان يطيل السجود، فقد يظل ساجداً من بعد طلوع الفجر إلى الزوال، ومن بعد العصر إلى المساء.

أشــرف علــى إعاشــة عائلــة كبيرة تكونت من ١٨ ولد و٢٣ بنت. وأوصى أن يتولّى الإمام الرضاعليه السلام تزويج بناته أي: باذنه.

الإمام عليّ بن موسى الرضاعليه السلام:

تولّــى اُمور الطالبيين في جميع البلاد، فَدُعي نقيب النقباء، واشتهر به إلى الوقت الذي تولّى تلك المرتبة الشريف الرضي في ٣٨٠ هـــ.

إذا بــرز للــناس تزيــن لهم، فالله لم يحرم ملبوساً ولا مطعماً، ورد فــي ذلــك علــى تساؤلات الناس: «بأنّ يوسف كان نبياً يلبس أقبية الديباج المزودة بالذهب، ويجلس على متكآت آل فرعون، إنّ الله لم يحرم ملبوساً ولا مطعمــاً **(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)** إنّما يــراد مــن الإمــام قسطه وعدله، إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز».

جاء عنه: أنــّه ما جفا أحداً بكلامه قط، وما قطع على أحد كلامه حتى

يفــرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، وما مدّ رجليه بين جليس له قط، وما اتّكأ بين يدي جليس لــه قط، ولاشتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رؤي تفــل قط، ولاتقهقه في ضحكه بل تبسم، وإذا خلا ونصبت مائدته أجلس معه عليها مماليكه ومواليه حتى البواب والسائس، فلم يعزلهم ويقول، «إنه الرب تبارك وتعالى واحد والأم واحدة والأب واحد والجزاء بالأعمال» فكان يتحدث معهم ويؤنسهم وما استخدم أحد منهم إلى أن يفرغ من طعامه، كمـــا لم يكن يسمح لهم بالوقوف إذا مر عليهم وهم يأكلون. وكان عند الأكل يحضر طبقاً يضع فيه من كل نوع طعاماً يأمر به للمساكين، كما ذكر أنـــه جهز طعاماً لخدمه وحشمه قبل موته مباشرة رجالا ونساءً.

ومـــن تســـامحه أنـــه عليه السلام دخل حماماً ولم يعرفه بعضهم، فطلب منه أحدهـــم أن يدلكه، فجعل يدلكه حتى عرفوه، فاعتذر منه الرجل وهو يطيب قلبه ويدلكه.

وإذا اجـــتمع الـــناس لسؤاله، كان يطلب منهم أن يختاروا واحداً منهم ليسأله فيجيب، لا أن يتكلم كلهم جميعاً، فهو إذا أجاب عن واحد فكأنّه أجاب الجميع الذين يستمعون.

وقـــد اشـــتهر بالكرم والعطاء، فكان يعطي الجوائز السخية لمن ينشد شـــعراً في رثاء الأئمّة عليهم السلام وسيد الشهداء عليه السلام، أما الشعراء الذين أنشدوا في قصائدهم التهنئة بولاية العهد فلم يجزهم، فكان يقول لهم: «لاتشغل قلبك بهذا الأمـــر، ولاتستبشر به، فإنّه شيء لايتم». ومدحه أبو نواس فأعطاه ما كان معه ٢٠٠ ديناراً وبغلته التي كان راكباً عليها. وفرّق بخراسان يوم عرفة كلّ مالـــه، وأطعـــم الفقراء والمساكين أفضل الطعام وأطيبه ويقول لابنه: «انفق ولاتخش من ذي العرش افتقاراً».

أمّا رأيه في المعاملة الإنسانية والكرم: «أن السخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه، وأن ليس لبخيل راحة، ولالحسود لذة، ولالملول وفاء ولالكذوب مروءة».

قال له أبو الصلت: يابن رسول الله يقولون إنكم تدّعون أن الناس لكم عبيد، فقال: «إذا كان الناس كلهم عبيدنا مثلما يقولون فعلى من نبيعهم».

وكتب إليه رجل: «إنّي قد شككت في إسلام أبي طالب، فكتب اليه: **(ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين)** فإن لم تقر بإيمان أبي طالب، كان مصيرك إلى النار».

وقيل لأبي نواس علام تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه؟ فقال: لاأستطيع مدح إمام كان جبرائيل خادماً لأبيه، والله ماتركت ذلك إلا إعظاماً له، وليس قدر مثلي أن يقول في مثله.

وعندما رأى المأمون أنّ أهل البيت أولى الناس أن يأمّوا الناس، ونظر في أهل البيت فرأى الإمام الرضاعليه السلام أولى الناس بالناس، فاختاره ولياً للعهد: «لما رأى من فضله البارع، وعلمه الذائع، وورعه الظاهر الشايع، وزهده الخالص النافع، وتخليه من الدنيا، وتفرده عن الناس، وذلك لما استبان له أنّ الأخبار عليه مطبقة، والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، والأخبار واسعة، ولما نعرف به من الفضل يافعاً وناشئاً[١]» كما أنّ المأمون زوّجه ابنته أم حبيب، أو قيل: إنّها اُخته أم حبيبة.

ولما اُختير ولياً للعهد اتّجه الإمامعليه السلام إلى خراسان، متخذاً الطريق من المدينة إلى البصرة ــ الاهواز ــ فارس، دون أن يمرّ بقم، ثمّ إلى نيسابور،

---

(١) كتاب العهد الذي كتبه المأمون للامامعليه السلام.

فنزل بمحلة القزويني التي يوجد بها حمام الرضا عليه السلام فاغتسل فيه[١]، ثم وصل (مرو) العاصمة، فاستقبله المأمون فيها.

ـ وكما ذكر أنّه عندما سار إلى خراسان توجه من المدينة إلى البصرة دون أن يقصد الكوفة، ثمّ توجه منها إلى بغداد عن طريق الكوفة ومن هناك إلى قم، فدخلها واستقبله أهلها، وتخاصموا في ضيافته، فأمرهم بأن جمله هو المأمور، فأناخ على باب شخص كان قد رأى في المنام أنّ الإمام عليه السلام سيكون ضيفه، فاصبح هذا الدار مقاماً من المقامات الرفيعة، وفي الوقت الحالي مدرسة معمورة.

ـ منح ولاية العهد ٨١٤ م/ ٢٠٠ هـ.

وقد تنبّأ بالأحداث التي ستقع للأمين والمأمون، وبقتل الأول، وكذلك بنكبة البرامكة من قبل، وأعطى تصوراً لأحداث المستقبل: «يأتي على الناس زمان تكون فيه العافية عشرة أجزاء: تسعة منها في اعتزال الناس، وواحدة في الصمت» أي الرغبة الأكيدة في الابتعاد عمّا يحدث من اضطرابات وفتن من بعده، وما أكثر ما حدث من تلك الاضطرابات والثورات.

وتحدّث عن علامات الإمام: إنّ كل ما أخبر به من الحوادث قبل كونها فذلك بعهد معهود إليه من رسول الله صلى الله عليه وآله توارثه عن آبائه عليهم السلام. ويكون ذلك مما عهد إليه جبرئيل من علام الغيوب عزّ وجلّ.

قيل له: «يابن رسول الله، إنّه هناك من ينتحل موالاتكم، ويزعم أنّ هذه كلها صفات عليّ عليه السلام، وإنّه هو الله رب العالمين.

فقال الإمام عليه السلام سبحان الله عمّا يقول الظالمون والكافرون. أو ليس علياً

---

(١) هو ماء يشرب منه الناس اليوم للبركة من العين التي تعرف بعين دهلان.

كان آكلا في الآكلين، وشارباً في الشاربين وناكحاً في الناكحين، ومحدثاً في المحدثيــن؟ وكان مع ذلك مصلياً خاشعاً بين يدي الله عزّ وجلّ ذليلا، وإليه أوّاهاً منيباً، أفمن كان هذه صفته يكون إله؟ فإن كان إلهاً فليس منكم أحد إلاّ وهو إله لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدوث كل موصوف بها. إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: ماعرف الله تعالى من شبّهه بخلقه، ولاعدله من نسب إليه ذنوب عباده».

ومــن أقوالــه، «إنّ الله أمــر بــثلاث، وقرن بها ثلاثاً: أمر بالصلاة والزكاة، وبالشكر له وللوالدين، وباتقاء الله وصلة الرحم».

وقــال عــن أيــام عاشوراء: «إنّ أبي إذا دخل شهر المحرم لايرى ضــاحكاً، وكانــت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي منه عشرة أيام، فإذا كان العاشــر كــان يــوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام».

ـ بعــث إلــيه رجــل من خراسان رزم ثياب وبين ذلك طين، فقلت للرســول مــاهذا. قال هذا طين قبر الحسين عليه السلام ماكاد يوجه شيئاً من الثياب ولاغيره إلاّ ويجعل فيه الطين فكان يقول هو أمان بإذن الله.

وقد تُوفّي الإمام عليه السلام بطوس في أول ٢٠٣ هــ أو ٢٠٦ هــ / ٨١٨ م بعــد أن مرض ثلاثة أيام. وقيل: إنّ عليّ بن هشام أطعمه رمّاناً فيه سم، أو المــأمون ســمّه في قرية (سنا آباد). ودفن في قبة الرشيد في دار حميد بن قحطبة الطائي. ولم يظهر المأمون موته في وقته بل بعد يوم وليلة، ثمّ أرى الناس جسده الشريف، وحتى يراه آل أبي طالب. وقيل إنّه حفر له قبراً فظهر فيه ماء وسمك عندما انتهوا إلى اللحد، ثمّ غاض الماء فدفن فيه الإمام عليه السلام.

وقد أظهر المأمون عليه الحزن الشديد، فكان يصرخ في جنازته: إلى

من أروح بعدك يا أبا الحسن. كما أقام عند قبره ثلاثة أيام يأكل رغيفاً وملحاً كل يوم. إلاّ أنّـه أعاد لباس السواد من بعده.

وقـال الإمـام عليه السلام عن نفسه وعن منزلة زيارته: «ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له».

الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام (أبو جعفر الثاني):

كـان صـغيراً عـندما خرج والده الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسـان، كما أنّـه كان في السابعة أو التاسعة من عمره حين تُوفّي والده، فبقي بعده ١٧ عاماً. وقد ولد الإمام الجواد عليه السلام وكان عمر الإمام الرضا عليه السلام ٤٥ سنة، فقد رزقه الله ولداً في سن متأخرة.

زوّجـه المأمون ابنته أم الفضل، وأقيمت حفلة كبرى بمناسبة الزواج، فأقام المأمون الافراح والولائم والطعام، وقدمها في أطباق من الفضة، ووزّع الجوائـز والهدايـا، وقـد أُخرجت ثلاثة أطباق فيها بنادق ومسك، كان في أجوافهـا رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنية واقطاعات، أمر المأمون بنـثرها علـى الـناس، فكـل من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها والتمسـه فـأطلق لـه، ولذا فقد انصرف معظم الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا. وأمر للإمام عليه السلام بألفي درهم قائلا: أحببت أن أكون جداً لمرء ولده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ بن أبي طالب عليه السلام إلاّ إنّها لم تلد منه.

وقـد أمره المعتصم بالتوجه إلى بغداد حيث لم يسمح لـه بالإقامة في المدينة خوفاً منه ومن انتقال الخلافة إلى العلويين، على أساس أنّ أولاده من سلالة المأمون، مما يمكنهم من المطالبة بالخلافة.

وتمكـن في خلافة المأمون أن يتصل بالناس وشيعته بحرية أكثر مما

حدث أيام المعتصم الذي أقام عليه المراقبة والحراسة الشديدة، ثم سعى إلى قتله.

وكانت أُمه السيدة خيزران أو سبيكة أو ريحانة، من إفريقية من المغرب أو مصراً والنوبة أو من شرق إفريقية، اشتراها الإمام الرضا عليه السلام في مكة.

اشتهرت من بناته: السيدة حكيمة التي امتازت عن سائر بنات الإمام الجواد عليه السلام حيث أدركت أربعة من الأئمّة عليهم السلام: فقد عاشت إلى أيام ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه فعلّمت أُمه نرجس عليها السلام معالم الدين وأحكام الشرع والآداب الإلهية، كما عملت سفيرة للإمام المهدي عجل الله فرجه بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام، فكانت تدفع عرائض وكتب الناس إلى الإمام عليه السلام، وتقبض توقيعاته الشريفة وتسلمها إليهم. وكذلك اعتنت بشؤون ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه مثلما كانت عمتها السيدة حكيمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام قابلة لابن أخيها الإمام محمد التقي عليه السلام.

وقد دفنت السيدة حكيمة في سامراء بجوار مرقد أخيها الإمام الهادي عليه السلام في قبة الإمامين العسكريين عليهما السلام.

كان الإمام عليه السلام ممّن يحبذ لبس الملابس الفاخرة والتزين أمام الناس. فقد سئل عن المسك، فقال: إنّ أبي أمر فعمل له مسك بـ ٨٠٠ درهم، فكتب إليه الفضل بن سهل يخبره أنّ الناس يعيبون ذلك، فكتب إليه الإمام عليه السلام: يا فضل أما علمت أنّ يوسف وهو نبي كان يلبس الديباج مزوداً بالذهب، ويجلس على كراسي الذهب، ولم ينقص ذلك من حكمته شيئاً.

فالإمام الجواد عليه السلام كان يرتدي أفضل الثياب وأفخرها وأغلاها، فقد روى الشيخ الصدوق عن عليّ بن مهزيار أنّه رأى الإمام الجواد عليه السلام يصلي

الفريضـــة وغـــيرها في جبة خز طاروي، وكساني جبة خز أمرني بالصلاة فـــيها. كمـــا روى الكليني عنه عليه السلام أنه قال: «إنا معشر آل محمّد نلبس الخز واليمنة» وهي البردة المنسوجة في اليمن، وهي من أغلى الثياب والبرد.

فالأئمّة عليهم السلام لم يحرّموا ما حلل الله، بل كانوا يدعون إلى التلذذ بالحلال مـــن رزق الله، والترفيه عن أنفسهم وأولادهم وإشراك الآخرين في نعمتهم. كما اهتم بأهل المدينة، فكان يبعث إليهم كلّ عام مليون درهم.

أمـــا آراؤه الاجتماعية والدينية: فقد كتبوا إليه: في صبية زوّجها عمها فلمـــا كـــبرت أبت التزويج. فكتب الإمام بخطه: «لاتكره على ذلك، والأمر أمرها».

كما قرّر أن ولد الزنا لايورث.

وإنّ الذي عليه قضاء ألف ركعة، لو صلّى في مسجد كالمسجد الحرام ومســـجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الكوفة ــ إذ تعادل فيه كل ركعة مئة ركعة ــ عشر ركعـــات هـــل يجزيه ذلك؟ فأجاب: «بأنّ الثواب يتضاعف فقط، وعليه أن يقضي ما فاته من الصلاة».

وعـــن الصـــلاة في الحرمين قال: «إنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب إكثار الصـــلاة في الحرمين فأكثر منها وأتم». وقد كان أبوه الإمام الرضا عليه السلام يتمّ الصلاة في الحرمين.

وكان لـــه رأيه في تسمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأمي فقال: «كذبوا، عليهم لعنة الله، فـــالله تبارك وتعالى يقول: **(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو علـــيهم أياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)** فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يكتب ويقـــرأ باثنين وسبعين لساناً. وسمي الأمي لأنه كان من أهل مكة، التي هي من أمهات القرى: **(لتنذر أم القرى ومن حولها)**».

وسـئل عن آدم عليه السلام فقال: «كان عمره ٩٢٠ سنة ودفن بمكة، نفخ فيه يـوم الجمعة بعد الزوال، واستقر في الجنة ست ساعات من يوم ذلك، حتى عصى الله فأخرجهما بعد غروب الشمس، فما بات فيها».

وعن فضل عُمْرَة شهر رمضان، فقد كتب إليه عليّ بن حديد بن حكيم المدائنـي أحد أصحابه، وسأله عن الخروج في رمضان للعمرة أو يقيم حتى ينقضي الشهر ويتم صومه؟ فقال: «عمرة شهر رمضان أفضل يرحمك الله».

وعن الزلازل ومنع حدوثها، روى عنه عليّ بن مهزيار أنـّـه قال عليه السلام: «لاتتحولوا عنها ــ أي لاتنقلوا عن المدينة التي حدث بها الزلزال ــ وكانت الاهـواز في ذلك الوقت ــ وصوموا الاربعاء والخميس والجمعة واغتسلوا، وطهروا ثيابكم، وابرزوا يوم الجمعة، وادعوا الله فإنّه يدفع».

وقـد ذكـر عليّ بن مهزيار: أنّ الإمام عليه السلام كان يستلم الركن اليماني والحجر الاسود في كل شوط، فقد رآه يفعل ذلك.

كـان مـن معاصريه: الشاعر (أبو تمام حبيب بن أوس الطائي) الذي كان موالياً للأئمّة عليهم السلام ومات في أيامه.

ومـن أشـهر أقوالـه وأرائـه عن الإنسان وأساليب تعامله مع أفراد المجتمع:

حسب الإنسان من كمال المروءة: تركه مالايجمل به.

ومن حيائه ألا يلقى أحداً بمكروه.

ومن عقله حسن رفقه.

ومن أدبه ألاّ يترك ما لابدّ له منه.

ومن عرفانه علمه بزمانه.

ومن ورعه غض بصره وعفة بطنه.

ومن حسن خلقه كفّه أذاه.

ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه، وإخراجه حق الله في ماله.

ومن إسلامه تركه ما لايعنيه، وتجنبه الجدال والمراء في دينه، فالجدل يورث الرياء.

ومن كرمه إيثاره على نفسه.

ومن صبره قلة شكواه.

ومن عقله إنصافه من نفسه.

ومن حلمه تركه الغضب عند مخالفته.

ومن إنصافه قبوله الحق إذا بان له.

ومن نصحه نهيه عمل لايرضاه لنفسه.

ومن حفظه جوارك تركه توبيخك عند اسائتك مع علمه بعيوبك.

ومن رفقه تركه عذلك أي: ملامتك عند غضبك بحضرة من تكره.

ومن حسن صحبته لك اسقاطه عنك مؤنة أذاك.

ومن صداقته كثرة موافقته، وقلة مخالفته.

ومن صلاحه شدّة خوفه من ذنوبه.

ومن تواضعه معرفته بقدره.

ومن شكره معرفة إحسان من أحسن إليه.

ومن حكمته علمه بنفسه.

ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره، وعنايته بإصلاح عيوبه.

والعلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم، فلو سكت الجاهل ما اختلف الناس.

وكان الإمام عليه السلام يؤدّي وظائفه الاجتماعية في المجتمع الإسلامي كزعيم ديني وسياسي أيضاً، فقد كتب إلى الوالي الحسين بن عبدالله النيسابوري والي

سجستان، يطلب منه الإحسان إلى الناس والتعامل الطيب معهم.

وقد وضّح بعض الأُمور في عصره حين قال: «كفى بالمؤمن خيانة أن يكون أميناً للخونة».

«وإن العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء».

وكان يدعو على الظالمين والباغين الناكثين القاسطين المارقين، الذين أضلوا العباد، وحرّفوا الكتاب، وبدلوا الاحكام، وجحدوا حق الله، وجلسوا مجلس الاولياء جرأة منهم على الله وظلماً منهم لأهل البيت عليهم السلام.

ولكثرة ظهور البدع في عصره قال: «ماهدم الدين مثل البدع».

كما أظهر في أحاديثه مظاهر بعض المستجدات في عصره فقال: «أيّدتنا بالآلات ومنحتنا بالأدوات وكلفتنا الطاقة».

وعن الفرق والمشكلات في عصره قال: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عَبَدَالله، وان كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس».

قيل: إنّه تُوفّي خلال أيام المعتصم، أو في حكم الواثق بالله، وإنّ ام الفضل زوجته هي التي سمّته.

ودفن في بغداد إلى جانب جده الإمام الكاظم عليه السلام بمقابر قريش.

وقد تنبّأ بوفاته فقال: «الفرج بعد المأمون بثلاثين شهر» وذلك لما كان يعانيه من سوء المعاملة، فاعتبر الموت راحة وفرجاً له: «إلهي ان كان فرجي في موتي فعجل وفاتي لساعتي» وتُوفّي في عمر ٢٥ سنة.

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

ولد في قرية (صريّا) بالمدينة المنورة في شهر رجب ٢ ، ٥ ــ ٢١٢، ٢١٤ هــ أو ١٥ ــ ٢٧ ذي الحجة.

عاش ٤٠ أو ٤٢ سنة، واشتهر من أولاده: الإمام الحسن العسكري عليه السلام والحسين الذي اعترف بإمامة أخيه الإمام العسكري عليه السلام. والسيد محمّد المعروف بالسيد محمّد (سبع الدجيل)، أبو جعفر، وهو أكبر أولاده. دفن بين سامراء وبغداد حيث تُوفّي وعمره ٢٠ سنة بعد مرضه في الطريق ٢٥٢ هـ[(١)]. كما كان له أربعة أولاد، وتركوا سامراء إلى (لار) بفارس بعد وفاة أبيهم، إلاّ أنّهم قتلوا هناك وكذلك جعفر الكذاب[(٢)].

وعاش الإمام عليه السلام خلال حكم المتوكل القاسي ١٤ سنة، إلاّ أنّه لم يتردّد في القيام بواجبه، ولم تمنع قسوته وجرائمه أن يقوم بعلاجه حينما مرض ولم يصل أحد إلى علاجه، حيث أمر الإمام عليه السلام بدواء نجح في شفائه، ممّا جعل اُمه أن ترسل إليه عشرة آلاف دينار. كما أنّ عداوة المتوكل له لم تمنعه من الاتّصال بالإمام عليه السلام لعرض القضايا والمشكلات المعقدة عليه ليحلها له الإمام عليه السلام.

فعصره تميز بالاضطراب والتوتر والتمرد ولذا أصبح الاتّصال بالإمام عليه السلام صعباً، فكان قليل الاجتماع بالناس، فلم يخرج إليهم كما كانت العادة، ويفسر المقربون إليه ذلك: بأنّه أراد بسلوكه هذا أن يعوّد الناس تدريجياً على غيبة الإمام واختفائه عنهم تمهيداً لغيبة الإمام المهدي عجّل الله فرجه،

---

(١) ومن ولد السيد محمد، شمس الدين محمد المشهور بالأمير سلطان البخاري، نشأ في بخارى وسمي أولاده بالبخاريين، وسكن بعد ذلك في بروسا بتركيا وتُوفّي بها ٨٣٢ هـ وقبره هناك يزار.

(٢) من أولاده: أبو الرضا محسن، خرج أيام المقتدر في ٣٠٠هـ في دمشق وقتل بعدما صلب.

فعيــن عدداً من الوكلاء عنه في بغداد يكونون همزة وصل بينه وبين الشيعة فــي قضــاياهم ومشكلاتهم، وطلب منهم مراجعة هؤلاء الوكلاء في القضايا المالــية والدينــية وغيرها ونظراً للرقابة الشديدة على الإمام الهاديعليه السلام شكّ أكــثر المواليــن في إمامته، فلم يتمكن أكثر الناس من العلم بإمامة من بعده، لبُعد الناس عنه ومضايقة السلطان له، كذلك لم يتمكن من تعريف الإمام الذي بعــده خوفــاً عليه من السلطة كما أنّ الذين يدعون إمامة غيره جعلوا الناس يشتبهون ويشككون فيهم. إلاّ أنّ كثيراً من أهل العراق ومصر وإيران قصدوه للأخذ منه.

وكــان يلــبس الملابس الناعمة على الخشنة، فقال: «هذا لله عزّ وجلّ وهــذا لكــم»، واذا لبس ثوباً جديداً دعا بقدح ماء فقرأ عليه: **(انا أنزلناه في لــيلة القــدر)** عشــر مرات، **(وقل هو الله أحد)** عشر مرات، **(وقل يا أيها الكافــرون)** عشر مرات، ثم نضحه على الثوب، فمن فعل ذلك قبل أن يلبسه لم يزل في رغد من عيشه ما بقي منه سلك.

وكــان الإمــامعليه السلام حسن الوجه، من نظر إليه زال همه وغمه، محبّباً للقلــوب، دائم التبسم والذكر لله، يخطو في المشي بخطوات قصيرة، ويتعب منه، فكان يعرق لو مشى.

وعــندما طلبه المتوكل للتوجه إلى بغداد رافقه في الرحلة قائد الحرس العباسي يحيى بن هرثمة، وفي الطريق وضع الإمامعليه السلام العباءة على رأسه، مــع أنّ السماء كانت صافية والشمس ساطعة، ثمّ ظهرت الغيوم في السماء فأمطــرت، فقــال الإمامعليه السلام: «إنّي أعلم بأنك لم تفهم ما رأيتني أفعله وإنّك تتصــور بأنّــه كان عندي معرفة خارقة بهذا الأمر ــ أي علم الغيب ــ إن الأمــر ليس كما تظن، لكنّي نشأت بالبادية، وأصبحت على علم تام بالرياح

التـــي تســـبق هطول المطر، وقد هبت الرياح هذا الصبح بصورة لم تجعل مجالا للشك، وشممت رائحة المطر فتهيأت له».

وقـــال عن أهل البيت عليهم السلام: «والله ما بعث الله محمّداً والأنبياء قبله إلاّ بالحنيفـــية والصلاة والزكاة والحج والصيام والولاية. وما دعا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلا الله وحـــده لاشريك له، وكذلك نحن الأوصياء من ولده، عبيد الله لانشرك به شيئاً، إن أطعناه رحمنا، وإن عصيناه عذبنا، ما لنا على الله حجة، بل الحجة لله عزّ وجلّ علينا وعلى جميع خلقه»[١].

وسئل عن نحس الأيام فقال عليه السلام: «ماذنب الأيام حتى صرتم تتشاءمون بهـــا إذا جوزيتم بأعمالكم فيها. والتوبة والاستغفار لاينفع بعد ذم الأيام، والله ماينفعكم، ولكن الله يعاقبكم بذمها على ما لاذم عليها فيه.

أمـــا علمـــت أنّ الله هو المثيب والمعاقب والمجازي بالاعمال عاجلا وآجلا. فلاتعد، ولاتجعل للأيام صنعاً ــ أي تأثيراً ــ في حكم الله».

وســـئل عـــن الجنـــب في رمضان فقال: «إذا أجنب الرجل في شهر رمضان بليل ولايغتسل حتى يصبح، فعليه صوم شهرين متتابعين مع صوم ذلك اليوم، ولا يدرك فضل يومه».

وقـــال عن المتعة: «هي حلال مباح مطلق لمن لم يغنه الله بالتزويج، فليستعفف بالمتعة، فإن استغنى عنها بالتزويج فهي مباح له إذا غاب عنها».

وكان الإمام عليه السلام يحب الحلوى فيكثر منها بعد الأكل ويقول: إنا وشيعتنا خلقنا من الحلاوة فنحن نحب الحلوى.

اشتهر من أصحابه: الشاعر ابن الرومي: عليّ بن العباس بن جريح،

---

(١) وقد كان هذا رداً على المغالين.

تُوفي ٢٨٣ هــ.

كمــا عاش في زمنه عبدالعظيم الحسني بن عبدالله بن عليّ الحسن بن زيــد بــن الحســن السبطعليه السلام المعروف بشاه عبدالعظيم الذي بلغ من الفقه والــتقوى درجة عالية، ممّا جعل الإمام الهاديعليه السلام يعينه مرجعاً لأهل الري يســألونه عــن أحكام الدين، وقد تُوفي أيام الإمام الهاديعليه السلام الذي حث على زيــارة قبره: «لو زرت قبر عبدالعظيم عندكم لكنت كمن زار الحسينعليه السلام». وقــد روى عبدالعظيم الكثير من الأحاديث عن الإمامعليه السلام فنقل عنه: «يكره للــرجل أن يجامع في أول ليلة من الشهر وفي وسطه وفي آخره، فمن فعل ذلك خرج الولد مجنوناً».

ومــن آدابه النبوية وأخلاقه العالية، أنّ صبياً من صبيانه قدم له وردة فقــبّلها ووضــعها على عينيه وناولها إلى المحدّث هاشم الجعفري قائلا: من تــناول وردة أو ريحانة فقبلها ووضعها على عينيه ثم صلى على محمّد وآل محمــد، كتــب الله له من الحسنات مثل رمل عالج، ومحى عنه من السيئات مــثل ذلــك. تُوفّــي الإمــامعليه السلام ٢٥٥ هــ وحضر وفاته أعمامه العلويّون والعباسيّون والشيعة، كما حزنت سامراء كلها.

وكــان الإمــام يعمل بيديه في الأرض في مزرعته، ويستلم المال من المــتوكل وغيره لينفقه على الفقراء والمحتاجين. ولم يقبل أن يكيد فرد بعدو له. كما كان يفك دين أصحابه بآلاف الدنانير. وكان لــه اسطبل خاص للغنم حيث يشتريها ويجمعها فيه ثم يفرقها على الناس المحتاجين وأصحابه.

أما أدعيته وأقواله فكانت تفسر الوضع والأحوال في عهده، إذ إن أكثر أقوالــه تناولــت معالم الظلم، والتقوى من الله والخوف منه وطاعته واتباع الصــفات الفاضلة والسلوك الحسن. فقال في دعائه ليبين ما عليه من الوضع

السيّء في زمنه من ظلم وفقر واهمال بشؤون الناس:

اللهــم فعــاجل مــن قد استمر في طغيانه واستمر على جهالته، اللهم اكشــف العــذاب عــن المؤمنين وابعثه جهرة على الظالمين، أنت المرجو للمهمات وأنت المفزع للملمات. وقد نزل بي من الأمر ما منعني نقله، وحمل بي ما بهضني حمله، افتح لي باب الفرج بطولك واصرف عني سلطان الهم بحولك، انت القادر على كشف ما بليت به ودفع ما وقعت فيه.

فــآراؤهم وأفكــارهم عليهم السلام كانت تعبيراً صادقاً وصورة واضحة لمعالم ومظاهر الوضع السائد في عصورهم.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

وُلــد في المدينة المنورة ٢٣٢ هــ ــ ٨٤٥ م. وانتقل إلى سامراء في ســنة ٢٣٤ هـــ مع أبيه وعاش بعده ٦ سنوات، وتُوفّي في سنة ٢٦٠ هــ ٨٧٣ م أيــام المعتمد العباسي في عمر ناهز ٢٨ أو ٢٩ عاماً. وكان أسمر اللون بين السمرة والبياض، ولم يترك من الأولاد سوى الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وقد حبسه المعتمد، ووضع عليه حارساً كان من أبغض الناس إلى آل علــيّ عليه السلام إلاّ أنــه أصبح من أفضل الناس معاملة لــه وتقديراً حينما عاشر الإمام عليه السلام. فعاش فترة من حياته في السجن.

بعث من يشتري لــه زوجته من أحد النخاسين في بغداد، وكتب ورقة بلغة رومية حتى تقرأها (مليكة) فتعرف أنّ الإمام عليه السلام يريد شراءها فتقبل به، وحيــنما قرأت الكتاب قرّرت أن تبيع نفسها للإمام، فأجبرت النخاس بذلك، وإلاّ ستقتل نفسها، وكانت تقبّل الكتاب، وتضعه على خدها، وتمسحه ببدنها.

وكــان ممّن انشغل بتعليم اللغات بجانب العلوم الإسلامية، فكان يتكلّم

الهندية مع المسلمين القادمين من الهند، والتركية والفارسية.

فرّق بين الموالين والمحبين لآل البيت وبين شيعتهم، فالشيعة هم الذين يتّبعون آثارهم، ويطيعونهم في جميع أوامرهم ونواهيهم، وأمّا من خالفهم في كثــير ممّــا فرض الله عليه فليس من شيعتهم. فالشيعة هم الذين آمنوا بالله، ووصــفوه بصــفاته، ونــزّهوه عن خلاف صفاته، وصدّقوا محمّداً ﷺ في أقوالـــه، وصوّبوه في كلّ أفعاله، وقالوا: إنّ علياً بعده سيد إمام، وقوّام همام، ولايعدلـــــه من اُمّة محمّد أحد، ولا كلّهم إذا جمعوا في كفة يوزنون بوزنه، بـــل يـــرجح عليهم كما ترجح السماء والأرض على الذّرة. وشيعة عليّ هم الذين يقتدون به في إكرام إخوانهم المؤمنين.

وكـــان يدعـــو إلى الاهتمام بالفرائض وحسن الخلق والصدق والأمانة والصبر على الشدائد، واعتبر من أدّى ذلك فهو شيعيّ بالمعنى الحقيقي فقال: «ادفعوا عنّا كلّ قبيح فإنّه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك».

ودعا إلى الصلاة على رسول الله ﷺ فإنّ لها عشر حسنات.

ونقـــل عـــن النبي ﷺ: «أفضل أعمال اُمتي انتظار الفرج، ولاتزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشّر به النبي ﷺ» أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً.

وكان يرى أنّ نعم الاسم هو محمّد وعبدالرحمن.

وقد حارب الإمام عليه السلام المواقف الفاسدة والآراء والبدع التي ظهرت في المجـــتمع أيامـــه، كالفـــرق الصوفية التي قال عنهم: «إنّهم خلفاء الشياطين، ومخـــربوا قواعـــد الديـــن، يتزهدون لراحة الأجسام ويتجهدون لتقيد الأنام، أورادهم الرقص والتصدية، وأذكارهم الترنم والتغنية».

كان من أصحابه: أحمد بن محمد بن مطهر الذي عبّر عنه الشيخ الصدوق بصاحب أبي محمّد عليه السلام.

وكان الإمام كريماً سخياً، يوزّع الأموال على محبيه وفقرائهم، ويقول: «إذا كانت لك حاجة فلا تستحيِ، ولا تحتشم، واطلبها تأتك على ماتحب إن شاء الله». وكان يعطي المحتاج، ويكتب لأصحابه بألاّ يستحيوا من الطلب إليه في أي أمر أو شيء.

واشترى كمية من الطعام ليفرّقه يوم ولد أحد أولاد وكيله: عثمان بن سعيد، وفرّقه على بني هاشم.

وكان قليل الأكل يتناول التين والعنب والخوخ.

أمّا لونه فكان بين السمرة والبياض. وشبّهه المسيحيون بالمسيح عليه السلام في آياته وبراهينه.

وقد توفّي بعد مرض دام ثمانية أيام، فحزن الناس، وعطلّوا الأسواق، وركب الحكام والقواد والناس في جنازته، وحضر الآلاف لتشييعه، ودفن أمام الملأ في ضريحه، وهو: البيت الذي دُفن فيه أبوه عليه السلام.

الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف:

وُلد عجل الله تعالى فرجه الشريف في ٢٥٥ هـ ــ ٨٦٨م وحضرت ولادته السيدة حكيمة عمّة الإمام العسكري عليه السلام وعاش خمس سنوات مع والده في سامراء تعتبر ضمن الغيبة الصغرى التي عدّت مدخلا وتمهيداً للغيبة الكبرى.

أمّا والدته السيدة نرجس فكانت رومية تدعى: سوسن، ريحانة، صقيلة، اشتراها الإمام العسكري عليه السلام من سوق الغنائم وتزوّجها، وكانت من بنات الملوك، فقد انتسبت اُمها إلى شمعون الصفا وصيّ عيسى عليه السلام فهي مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم. فالاُم من ولد الحواريين تنتسب إلى وصيّ

المسيح شمعون. أما جدها القيصر فقد خرج من الجيش الذي حارب المسلمين فوقعت مليكة في الأسر الإسلامي، ممّا مكّن الإمام العسكري عليه السلام أن يشتريها من سوق النخاسين، فحملت إلى سامراء مركز الإمام عليه السلام وتزوّجها، فرزقت منه مولوداً مباركاً هو: الإمام المنتظر عجل الله فرجه. فنسبه هو أشرف الانساب. وجمع بين كنية الرسول صلى الله عليه وآله واسمه المبارك. وهو خاتم الأوصياء في الأرض. وحياته في علم النور وفضاء القدس، لم يعاشر الكفار والمنافقين منذ ولادته، ولم يبايع أحداً من الحكام والطغاة.

وكانت السيدة الجليلة اُمه قد رأت في منامها أنّ المسيح عليه السلام وشمعون وعدّة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدها، فدخل عليهم النبي صلى الله عليه وآله مع أبنائه، فاعتنقه المسيح عليه السلام وخاطبه النبي صلى الله عليه وآله: «إني جئتك خاطباً من وصيك شمعون فتاته مليكة لابني هذا ــ مشير إلى الإمام العسكري عليه السلام». كما أنّها حلمت أنّ السيدة الزهراء عليها السلام قد زارتها بصحبة مريم بنت عمران عليها السلام فأخبرتها أنّ ابنها لايزورها في الأحلام؛ وذلك لأنّها مشركة بالله، ممّا يستوجب عليها أن تسلم وتتشهد حتى يمكنها من رؤيته في المنام. فشهدت بالشهادتين، فضمتها السيدة فاطمة عليها السلام إلى صدرها، فبدأ الإمام عليه السلام منذ ذلك الوقت يزورها في كل ليلة في المنام. وفي إحدى أحلامها أخبرها أن تلتحق بالجيش الذي سيغزّو المسلمين بقيادة جدها، فوقعت في الأسر، وعرضت للبيع، فأتاها مندوب الإمام عليه السلام واشتراها، ولم يعلم أحد أنّها ابنة ملك الروم؛ لأنّها سمت نفسها نرجس.

وفي منزل الإمام عليه السلام تناولتها السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام بالرعاية الكاملة، فأخذتها إلى منزلها وعلّمتها الفرائض والسنن، لأنّها ستكون زوجة الإمام الحسن العسكري عليه السلام واُم المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

وقـــد ولد الإمام عليه السلام في جوّ من الكتمان والسرية والخفاء دون أن يعلم الحكام العباسيّون وأتباعهم، في وقت السحر من ليلة النصف من شعبان قبل الفجر. وعق الإمام العسكري عليه السلام عنه ٣٠٠ عقيقة[١].

وقـــد أتـــاه الله الحكمة وجعله آية للعالمين وإماماً للمسلمين مثلما جعل عيسى نبياً وهو في المهد.

وفي سامراء حاول والده أن يعرّفه للثقات من الشيعة على أنـــّه الإمام المهـــدي المنـــتظر، فقد كان الناس يجهلون المهدي وهو صغير، حتى عمّه جعفـــر الـــذي لم يتعرّف عليه إلاّ حين كان وقت الصلاة على جثمان الإمام العسكري عليه السلام فظهر ونحّى عمّه جعفراً ليصلي على أبيه. فممن تشرف بلقائه: نســـيم جارية الإمام العسكري عليه السلام وجماعة من أصحابه، وأربعون رجلا من خـــيرة أصحابه تعرّفوا على المولود الجديد، وأنـــّه الإمام بعده. ومن أشهر هـــؤلاء: الشـــيخ أحمد بن إسحاق القمي الأشعري، الذي رآه في عمر ثلاث ســـنوات، وأخبره الإمام العسكري عليه السلام: «إنّ مثله في هذه الأُمة مثل الخضر وذي القرنيـــن، والله ليغيبنّ غيبة لاينجو فيها من الهلكة إلاّ من ثبّته الله عزّ وجـــلّ علـــى القـــول بإمامته، ووفّقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه» كما شاهده (يعقوب بن منقوش) مع والده عليه السلام. وابن مهزيار الذي التقى به عجل الله فرجه في الحج أثناء الطواف.

وبعد والده طلب من الناس الذين يجبون الأخماس، ألاّ يحضروها إليه

---

(١) قـــيل: إنّ العقيقة الواحدة ترمز إلى عمر الطفل، ويصل عادة العمر الطبيعي ما بين ٦٠ ـــ ٧٠ عاماً، ممّا يعني: أنّ عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه سيطول حسب الذبائح الـــ ٣٠٠ ما بين ١٨ ألف إلى ٢١ ألف عام.

شخصـــياً، بــل يســلّموها إلى وكلائه ونوابه في بغداد خوفاً من بطش عمّه والسلطات الحاكمة، مع العلم أنــّه كان صغير السن.

أما اتصاله بالناس فقد تمكّن بالاجتماع إليهم سبعين عاماً بعد أبيه عن طــريق السفراء والنواب الأربعة، فكان يتصل بشيعته خلال هذه الغيبة ليحل مشاكلهم، كما اجتمع بالناس في موسم الحج في مكة والمدينة وتحدّث معهم. فالإمــام عجّل الله فرجه إذا كــان قــد عاش في الفترة الأُولى من حياته في بيت أبيه مســتتراً فــي سرداب[1]، فإنّه خرج إلى بلاد الله الشاسعة ليعيش مع الناس متخفياً في الغيبة الصغرى، وكذلك الكبرى حتى الفرج.

أما السفراء الأربعة فهم[2]:

ـ عثمان بن سعيد العمري، أبو عمرو المعروف بالسمان أو الزيات،. وكان قد عمل سفيراً للإمام الهادي والعسكري عليهما السلام أيضاً.

ـ محمّــد بن عثمان بن سعيد العمري، أبو جعفر، واستمرت سفارته عشرين عاماً، تُوفي ٣٠٤هـــ .

ـ الحســين بن روح النوبختي، أبو القاسم، عمل للإمام عجّل الله فرجه ٢٢ سنة وكيلا، وتوفي ٣٢٦ هـــ .

ـ علــيّ بــن محمّد السمري، أبو الحسن، خدمه ثلاث سنوات وتُوفى ٣٢٩ هـــ ـ ٩٣٩ م. وكان الإمام عجّل الله فرجه قد بلغ من العمر ٧٤ عاماً، فانقطعت السفارة بموته، وانتهت الغيبة الصغرى لتبدأ الغيبة الكبرى إلى يومنا هذا.

وقــد استغل بعض أوضاع هؤلاء السفراء والنواب، فظهر الكثير من

---

(١) والسرداب في منزله موجود حتى الآن بجوار مرقد الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام.

(٢) أقاموا في بغداد ولكن قبورهم في أماكن متفرقة.

المتصـــوّفة مـــن ادّعـــى بأنـــه وكيل الإمام عجل الله فرجه إلاّ أنـــه عجل الله فرجه تبرأ منهم، ولعـــنهم، وحذر الشيعة منهم للابتعاد عنهم. ولم يكن يعني هذا انقطاعه عن المجـــتمع واعتزاله، أو عدم الاتّصال بالمؤمنين، بل كان كالشمس من وراء الســـحاب يتنعّم بوجوده البشر وتنتظم حياته، ويتمتّع بقدرة من الله تمكّنه من كل مايريد، وتوفّر له جميع الوسائل اللازمة.

فالغيـــبة الكـــبرى بـــدأت منذ ٣٢٩ هـــ ؛ إذ أعلن الإمام عجل الله فرجه للشيعة بالرجوع إلى القرآن وما يرويه الثقات العدول الأمناء من أحاديث عن طريق الأئمّة عليهم السلام. فقد كتب إلى إسحاق بن يعقوب: «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فـــيها إلـــى رواة حديثنا فإنّهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليكم، وإني أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء»[1]. فالإمام عجل الله فرجه أمر الناس بالرجوع إلى محدثيهم الذين يملكون قوّة استنباط الأحكام من الأدلة، مؤسّساً بذلك لخط جديد يتبعه الشيعة تأميناً للناحية الفقهية عن طريق القيادة المرجعية المستندة إلى رواة أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وفـــي توصـــيته إلـــى النائـــب الرابع: بالرجوع إلى المحدّثين يكون الإمـــام عليه السلام قد وجّه القواعد الشعبية من مختلف فئات الشيعة نحو المرجعية الدينية فحمّلهم مسؤوليّة حفظ الحديث وأعباء الحكم أثناء الغيبة الكبرى.

وقت الظهور وزمنه وعلامات ذلك:

يتمـــيّز الإمـــام المهـــدي عجل الله فرجه بعلامات وآيات سماوية وأرضية عند ظهوره. وقد حدّد الإمام الصادق عليه السلام ظهوره عليه السلام في يوم الجمعة، وإنّه يخرج

---

(١) وقـــال الرســـول صلى الله عليه وآله: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».

في وتر من السنين و في يوم عاشوراء، وإنّه يملك سبع سنين تطول له الايام والليالي حتى تكون السنة من سنيّه مقدار عشر سنين من سنيّكم، فيكون سنيّ ملكـه سبعين من سنواتكم. وإذا آن قيامه مطر الناس جمادى الآخرة وعشرة أيـام مـن رجـب مطراً لم ير الخلائق مثله، فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهـم فـي قـبورهم، وكأنّي أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب.

إنّ قائمـنا إذا قـام أشرقت الأرض بنورها، فاستغنى العباد عن ضوء الشمس، فذهبت الظلمة، ويعمّر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر لايولد فـيهم أنـثى، وتظهر الأرض كنوزها حتى يراه الناس على وجهها، ويطلب الرجل منكم من فصيله بماله، ويأخذ زكاته لايجد أحداً يقبل منه ذلك استغناء الناس بما رزقهم الله من فضله.

كمـا ذكـر النبـي ﷺ عنه: «ينزل بأُمتي في آخر الزمان بلاءٌ من سلطانهم لم يُسمع بلاء أشدّ منه حتى تضيق عليهم الأرض الرحبة وحتى تملأ الارض جـوراً وظلماً لايجد المؤمن ملجأ يلتجأ اليه من الظلم فيبعث الله ـ عـزّ وجـلّ ـ رجلا من عترتي يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملأت ظلماً وجـوراً... يعيش بينهم سبع سنين أو ثمان أو تسع، فتمنى الأحياء والاموات مما صنع الله ـ عزّ وجلّ ـ بأهل الارض من خيره.

وذكر الإمام عليّ عليه السلام أنّ «المهدي من ذريتي يظهر بين الركن والمقام، علـيه قميص إبراهيم وحلّة إسماعيل، وفي رجله نعل شيث بن آدم، والدليل عليه قول النبي ﷺ ينزل عيسى بن مريم من السماء، ويكون مع المهدي من ذريتي».

أمّا العلامات الدالة على ظهوره فهي:

ـ علامـــات عامـــة، تتـــناول الانحـــرافات التي تنتشر في المجتمع الإسلامي وتتلوث بها المجتمعات البشرية، وهي تحدث قبل ظهور الإمام عليه السلام بعشرات السنين.

ـ وعلامـــات قريبة من زمن الظهور بسنوات غير كثيرة، تدلّ على وقوع الظهور في نفس تلك السنة أو الفترة.

ـ وعلامـــات أُخرى تكون قريبة لظهوره تحدث في السنة التي يظهر فيها أو قبله بفترة قصيرة.

فمن العلامات القريبة:

خروج الهاشمي ـ أحد شباب بني هاشم ـ من جهة خراسان، ليصل بجيشـــه إلـــى العـــراق بعـــد أن يكون قد خرج السفياني بجيشه من الكوفة، وارتكب المجازر وسفك الدماء.

كمـــا يشترك اليماني فيصل بجيشه إلى الكوفة أيضاً، حيث يتحالف مع الهاشمي في حرب السفياني، فينتصران. وفي هذه الفترة تحدث تغييرات في الطبـــيعة والكون، فيتغير أُسلوب الكسوف والخسوف قبيل ظهور الإمام عليه السلام حيـــث تنكسف الشمس في وسط الشهر، وينخسف القمر في آخره على غير العـــادة، فـــإنّ الكسوف يحدث في أواخر الشهر القمري، ويتمّ الخسوف في أواسط الشهر القمري.

كمـــا تهطـــل أمطار غزيرة مثلما حدّدها الإمام الصادق عليه السلام ويتمّ فناء لمعظم أفراد البشر وقد ذكر الإمام عليه السلام بأنـــه لايخرج المهدي حتى يقتل ثلث، ويموت ثلث، ويبقى ثلث.

وذكــر الإمام الرضاعليه السلام في علامات ظهوره، «أنــّه يكون شيخ السن وشــاب المنظر حتى إنّ الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، فهو لايهرم بمرور الأيام والليالي حتى يأتي أجله». وذلك مايميزه، من عدم تغيير هيئــته وشــكله مع مرور الأيام والسنين وبقائه على قوته ومزاجه الاوليّ، فيكون في عمر الثلاثين أو الأربعين.

وذكــر الإمــام أبــو جعفرعليه السلام حينما سئل عن موعد خروج صاحب الــزمانعليه السلام: «إذا شــبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالــرجال، والنســاء بالنساء، وركبت ذوات الفروج السروج، وقبلت شهادة الــزور، وردّت شهادة العدول واستخفّ الناس بالدماء، وارتكاب الزنا وأكل الربا، واتقى الأشرار مخافة ألسنتهم. إنّه أمر من أمر الله، وسر من سر الله، وغيب من غيب الله، فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين».

أمّا العلامات الحتمية:

فهي خمس، يحدث بعضها قبل ظهور الإمامعليه السلام بأيام أو بعده بشهور، قــال الإمام الصادقعليه السلام: «قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، السفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء».

وقــتل الــنفس الزكــية يحدث بين الركن والمقام في المسجد الحرام. ويرجع نسبه إلى الحسن أو الحسينعليهما السلام. ويقتل قبل ظهور الإمام المهديعليه السلام بخمس عشر يوماً. أمّا النداءات السماوية فمتعدّدة ومتباعدة من حيث الزمان، ومختلفة من حيث اللفظ والمعنى، فالنداء الأوّل يكون في شهر رجب، والثاني في رمضان، والثالث في محرم.

ومــن العلامات أيضاً: إحياء بعض الموتى عند خروجه، فيخرج من

الكوفة ٢٧ رجلا، و١٥ من قوم موسى عليه السلام و ٧ من أهل الكهف، كما يخرج يوشـــع بـــن نـــون، وسلمان وأبو دجانة الأنصاري والمقداد ومالك الأشتر، كأنصار لـــه. وقد ذكر ان ما من بلدة الاّ يخرج منها مع الإمام المهدي عجل الله فرجه طائفة إلاّ اهل البصرة فانه لايخرج منها معه أحد.

وممّا ذكر من أقوال عن الإمام المهدي عليه السلام وخروجه:

فقـــد ذكـــر الإمـــام الـــباقر عليه السلام: «إذا ظهـــر القـــائم عليه السلام ظهر براية الرسول صلى الله عليه وآله، وخاتم سليمان، وحجر موسى وعصاه».

فالراية نزل بها جبرئيل يوم بدر، وخاتم سليمان يلبسه ليسخّر الله لـــه الطير والريح والملك. وعصا موسى وحجره، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً. وقميص يوسف عليه السلام من الجنة؛ إذ كان على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد.

وعمامته السحاب ودرعه، وسيفه سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ذوالفقار. وتلك جميعاً هي مواريث الأنبياء تجهّز إلى الإمام المهدي عليه السلام ليستخدمها.

وقـــال النبـــي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «إنا أهل بيت أعطينا ست خصال لم يعطهـــا أحد من الأولين ولايدركها أحد من الآخرين غيرنا أهل البيت: نبينا خـــير الأنبياء وهو أبوك. ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك. وشهيدنا خير الشـــهداء وهو حمزة عمّ أبيك. ومنا سبطا هذه الأُمة وهما ابناك. ومنا مهدي الأُمة يصلي خلفه عيسى. ثم ضرب على منكب الإمام الحسين عليه السلام وقال: من هذا مهدي هذه الأُمة».

وقـــال النبـــي صلى الله عليه وآله: «وزراء المهدي عجل الله فرجه من الاعاجم ما فيهم عربيّ يتكلّمون العربية وهم اخلص الوزراء وافضلهم».

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «لايثبت فيها على دينه إلاّ المخلصين المباشرين لـــروح اليقيـــن الذين أخذ ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم

بروح منه».

وحيـــنما ســـئل الإمام الرضاعليه السلام: «أتخلو الأرض من حجة؟ قال: لو خلت طرفة عين لساخت بأهلها».

وذكـــر ابـــن تيمية في الإمام المهديعليه السلام: «أنّ من فضائل أهل البيت خـــروج المهدي في آخر الزمان، وهو الذي يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جـــوراً. فأمـــا المهدي الذي بشر به النبيصلى الله عليه وآله فقد رواه أهل العلم العالمون بأخبار النبيصلى الله عليه وآله المحافظون لها والباحثون عنها وعن رواتها، مثل أبي داود والترمذي والإمام أحمد في مسنده».

أمّـــا فـــي العصر الحاضر، فقد جمع الشيخ عبدالمحسن العبّاد الأُستاذ بالجامعـــة الإسلامية بالمدينة المنورة، طائفة صالحة من أحاديث المهديعليه السلام وألقـــى محاضرة بعنوان: «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر»[(١)] جاء فيها: «أنّ أحاديث المهدي رواها ٢٦ صحابياً ممّن سمعوا من النبيصلى الله عليه وآله أحاديـــث البشارة بالمهدي. وأنّها ذكرت في ٣٨ مؤلفاً وأنّ عشرة من العلماء وضعوا كتباً خاصة بالمهدي».

وقـــد علّق على المحاضرة الشيخ عبدالعزيز بن باز قائلا: «إنّ الحقّ والصـــواب هـــو مـــا بدأه فضيلته في المحاضرة، كما بينه أهل العلم، فأمر المهـــدي معلـــوم، والأحاديث فيه مستفيضة ومتواترة متعاضدة معنوياً لكثرة طرقها واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحقّ تدلّ على أنّ هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق».

وقـــد أثبت الشيخ بن باز صحة أحاديث المهديعليه السلام عند ظهور أزمة

---

(١) نشرتها مجلة الجامعة الإسلامية في عدد ذى القعدة ١٣٨٨ هـــ/ ١٩٦٨ م.

جهـيمان العتيبـي وحركته في الحرم، حين ظهر بعض الناس من أنكرها، فأثبـتها الشـيخ فـي وقته وأكّد صحتها، وأنّ انكارها فسوق، فتصدّى بذلك للمنافقين والمتزلفين من علماء السوء.

هـذا هو الإمام المهدي عليه السلام الذي تطول غيبته كما طالت غيبة الخضر الذي عاش منذ أيام موسى عليه السلام إلى يومنا هذا «وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته، ويصل به وحدته» كما قال الإمام الرضا عليه السلام. والله سبحانه وتعالى هـو الحـافظ لـه عليه السلام يصونه من نوائب الدهر وحوادث الزمان، ويمدّ في عمره بما يشاء، ويحافظ على سلامة جسمه من كل مرض وآفة وعاهة.

ومن دعا أربعين صباحاً: «اللّهمّ ربّ النور العظيم» كان من أنصاره، وأخرجه الله من قبره إذا مات.

السيدة نرجس والدة الإمام المنتظر:

جـاء في الأخبار عن الاحداث التي حصلت للسيدة نرجس عليها السلام خلال حـياتها مع أبيها وأهلها في القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الشرقية، أنّ زلزالا شديداً ضرب المدينة أثناء حفلة زواجها من أحد أقاربها، ممّا أثر في عدم إتمام هذا الزواج، ولمّا كان العصر الذي عاش فيه الإمام العسكري عليه السلام هـو القـرن الثامن الميلادي أو التاسع، فإنّنا حاولنا تحديد ذلك الحدث ويوم حدوثه حتى يمكن أن نعرف نسب هذه السيدة الجليلة وأسرتها الشريفة.

فمن الزلازل التي حدث في تلك الفترة:

زلـزال شـديد وقع في ٧٢٦ م. اعتبره الامبراطور (ليو) الثالث من الأسـرة الايسـورية دلـيلا علـى سخط الله على الذين يستخدمون الصور ويعبدونها، فأمر بتدمير تمثال السيد المسيح عليه السلام الموضوع على أضخم مداخل

القصر الامبراطوري.

وفي ٨٥٦ م / ٢٤٢ هـ حدث زلزال هائل بقومس، فتهدمت الدور، وهلك الكثير قُدّر بـ ٤٥ ألف فرد كما أنّه في ٢٤٥ هـ وقع زلزال بالمغرب وأنطاكية وطرسوس وأذنه.

أمّا بالنسبة للحروب والأسرى فمن المعروف أنّ السيدة الجليلة وقعت في أسر المسلمين، واشتراها الإمامعليه السلام من سوق النخاسين.

فالامبراطور ميخائيل الثاني حكم أكبر أبنائه ثيوفيل من ٨٢٩ ــ ٨٤٢ م.
وقد أثار حروباً ضد المسلمين استمرت ثلاثين سنة. وهو من بيت العموري.

واستولى المسلمون على عمورية مسقط رأس (ثيوفيل) وذبحوا عدّة آلاف من الأسرى، كما تمكنوا من أخذ عدد كبير من أعيان الروم صحبهم المعتصم إلى سامراء.

وقد اشتهر (ثيوفيل) بتعلقه بالفن الإسلامي، وتحمسه ضد عبادة الصور المقدسة، ونشر العدل في مملكته.

وقد خرج المعتصم من سامراء في سنة ٨٣٨ للقضاء على عمورية بعد أن دمّر أنقرة واستولى عليها، فوقع عدد كبير من الأسرى نساءً وأطفالاً في يديه، كان من بينهم ٤٢ أسيراً من ذوي المكانة الرفيعة، أخذهم إلى سامراء، وظلوا في الحبس ٧ سنوات، ثمّ عرض (ثيوفيل) تبادل الأسرى في سنة ٨٤١ م.

وحكم باسيل المقدوني الأوّل ٨٦٧م ــ ٨٨٦م وأصبح قيصراً وأمبراطوراً في القسطنطينية.

وقد عاصره المعتمد على الله ٨٧٠ ــ ٨٩٢ م/ ٢٥٦ ــ ٢٧٩ هـ ثمّ

عاصر (لاون) السادس الملقب بالفيلسوف ٨٨٦ ــ ٩١١ م. وفي عهده توفي الإمام العسكري عليه السلام ٢٦٠ هــ .

أمّا ميخائيل الثالث فقد حكم في ٨٤٢ ــ ٨٤٧ وعاصره المتوكل على الله ٨٤٧ ــ ٨٦١م/ ٢٣٢ ــ ٢٤٧ هــ .

وقد عاش الإمام الهادي عليه السلام في عهده (أي المتوكل) حينما استقدمه من المدينة إلى سامراء.

وقد أغار الروم على سميساط في ٢٤٥ هــ ومات فيها نحو ٤٥ ألف و٩٦ شخص، في أيام المتوكل.

الباب الثالث

المحور العلمي والثقافي في حياة الأئمة (عليهم السلام)

ويتناول فصلين:

يبحث الفصل الأوّل:

- عن اعتناء الأئمة بالعلوم والمعارف، واهتمامهم بنشر الثقافة الدينية بين أفراد المجتمع الإسلامي.

ويبحث الفصل الثاني:

- عن مدى جهودهم عليهم السلام في المحافظة على الإسلام ومبادئه النقية، بالتصدي للأفكار الهدامة والفرق المستجدة في المجتمع الإسلامي، والمؤثرة سلباً في عقول الأفراد.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

مساهمة الأئمة عليهم السلام في نشر الإسلام والثقافة الدينية والعلوم الإسلامية

لاريب أنّ الأئمةعليهم السلام تأهلوا دون غيرهم في تفسير القرآن وتأويله، وفي نشر الأحاديث والروايات الإسلامية عن النبيصلى الله عليه وآله فكانوا الراسخين في العلم وأهل الذكر الذين أمرنا الله بالرجوع إليهم، والذين جعلهم الرسولصلى الله عليه وآله عِدل القرآن والثقل الثاني الذي أمر المسلمين جميعاً بالتمسك بهما.

والحقيقة أنّه لولا الإمام عليعليه السلام والأئمة من ولده لما عرف الناس معالم دينهم، وأُمور حياتهم، فقد ألمّوا وعلموا بشتى العلوم، وفرضوا أنفسهم بعلومهم وأخلاقهم التي ملأوا بها الخافقين، هذا في الوقت الذي نشطت فيه الحكومات لتحبس عليهم أنفاسهم، فلم تترك لهم حرية العمل والتحرك للاتصال المباشر بالأفراد، واجتهدوا في تغيير طبائع الناس بالسير حسب سياستهم وأفكارهم، فابتعدوا عن الحقّ، واتّبعوا أهواءهم، واخترعوا مذاهب شتى في مقابل علوم الأئمةعليهم السلام ومذهبهم، محاولين طمس آثار تلك العلوم والمذاهب.

وخير الآثار الخالدة التي تركها الإمام عليّعليه السلام ما ذكره صاحب نهج البلاغة وما تركه الأئمّة كلهم من العلوم ما ملأ العالم الإسلامي، وشهد به أئمة المسلمين وفقهاؤهم سنة وشيعة، فاستمرت تعاليم الأئمّة الأطهارعليهم السلام أفكاراً ونظريات لم تجد من يطبقها، بعد ما تشردوا في الأرض ملاحقين

ومطاردين من قبل الحكام الجائرين.

إلاّ أنّــــه بالــرغم من كل ذلك، فإن أهل البيت عليهم السلام تركوا لنا أعظم تراث وأضخم تعاليم تقاربت وتجاوبت مع العقول. وهذه الآثار وهذا التراث كقــوى الطبــيعة لاتعدّ ولا تحصى، وتحتاج لمن يريد الانتفاع بها إلى العلم والعمل، فلو أمكن فهمها وتفهيمها ونشرها كاملة على حقيقتها لعمّت بركاتها الأرض، ودامـــت إلى يوم البعث. ولكن ومما يؤسف له أنّ تلك العلوم القيمة منعــت مــن الانتشار والذيوع، وبخاصة من قبل الأُمويين الذين نشطوا في صدها، ومنعوا الناس من الانتفاع بها، وضياع الكثير منها، ممّا جعلها تبقى عند الأئمّة عليهم السلام أنفسهم ينقلونها عن بعضهم، فتمكّن أولاد الإمام عليّ عليه السلام أن يحتفظوا بها وينشروها بعده لتبقى حيّة لنا إلى اليوم.

فالإمــام علـــيّ عليه السلام هــو أوّل من جمع القرآن؛ فقد أخرج أبو نعيم في الحلــية عن الإمام عليه السلام: أنّــه قال: لمّا قُبض رسول الله أقسمت أو حلفت ألاّ أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي عن ظهري حتى جمعت القرآن. وهو أوّل من أجاد تلاوته وأحسن الترتيل، وكان رائداً في فنون القراءات يرجع إليه أئمة قارئي القرآن.

كمـــا برع في تفسيره وتحليله والكشف عن خبايا أسراره، حتى أصبح علم التفسير غرس تفكيره، فانبثق منه وتفرع، فوازن ابن عباس علمه بالنسبة لعلم الإمام عليه السلام كنسبة قطرة مطر الى البحر المحيط.

وذكر السيد المرتضى: أنّ أصول علم التوحيد والعدل مأخوذ من كلام أمـــير المؤمنيـــن وخطـــبه، وأنّ جميع ما أسهب به المتكلمون من بعده في تصنيفه وجمعه هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الأُصول.

وقـــال عـــنه الإمام الحسن عليه السلام: «كان عنده علم القضايا، وعلم المنايا،

وفصل الخطاب، ورسوخ العلم، ومنزل القرآن».

فالإمامعليه السلام بلغ من العلوم الربانية والبشرية مالم يبلغه أحد من العلماء، فقد أحاط بمعارف الأولين وما ارتاده الآخرون، على أساس نهج الله وأمره للإنسان: بأن ينهض عقله من سباته، ويدفعه إلى النظر والتفكير تلمساً للعلم أينما يكون، وأكّد ذلك في قوله: «هلك خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون مابقي الدهر، وكل وعاء يضيق بما فيه إلاّ وعاء العلم، فإنّه يتّسع» وأشار إلى الكتاب والعلم مبيناً اهتمامه واعتناءه بهما: «رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ ما ينطق عنه» فالكتاب صورة صادقة عن وعي كاتبه ومدى معرفته.

وروى ابن النديم في كتابه الفهرست: أنّ المصحف الذي جمعه وكتبه الإمام عليّعليه السلام كان عند أهل جعفر، «ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلي حمزة الحسنيرحمه الله مصحفاً قد سقطت منه أوراق بخط عليّ بن أبي طالب، يتوارثه بنو حسن على مرّ الزمان. وهذا ترتيب السور من ذلك المصحف»

كان الإمامعليه السلام قد جزّأ القرآن سبعة أجزاء: جزء البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال، على أساس أن كلا منها أول جزء، أي: على رأس كل جزء. كما روى عنه أنّ مصحفهعليه السلام كان فيه ترتيب النزول، وتقديم المنسوخ على الناسخ.

وهو لم يعمل فقط على جمع القرآن وترتيب نزول أياته، بل انشغل في تفسير غوامضه وأسباب نزوله.

أمّا في الحديث فهو أول من دون الحديث، وصنف أحاديث الرسولصلى الله عليه وآله، وله صحيفة الديات كتبها بيده وباملاء النبيصلى الله عليه وآله واتّفق المسلمون كلّهم على هذا الخبر. فقد روى الإمامعليه السلام عن النبيصلى الله عليه وآله ٥٨٦

حديثاً، فالإمام عليه السلام كتب عن رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعة أحاديث كثيرة ضمّنها في صُحف توارثها الأئمّة من بعده، كانت الجفر إحداها.

علم الجفر قال عنه السيد محسن الأمين: إنّه ليس علماً من العلوم، فقد توهّم فيه الكثيرون، ولا ورد به خبر أو رواية، ولكن الناس توسعوا في تفسيره، وقالوا فيه أقاويل لاتستند إلى مستند. والأخبار تذكر أنّ الجفر كتاب فيه العلوم النبوية من حلال وحرام وما يحتاج إليه الناس في أحكام دينهم وصلاح دنياهم. فهو ينفي علم الغيب عنه عليه السلام وعن أهل البيت عليهم السلام. وينقل الأئمّة عليهم السلام ويحفظون كل ما سمعوه عن النبي صلى الله عليه وآله، فهم أقرب الأفراد إليه ولزوقاً به والتزاماً بتعاليمه وحفظاً لأوامره ونواهيه. وفيه علم النبيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل. فقد قيل لزيد بن علي: إنّ الإمام الصادق عليه السلام لم يترك شيئاً ممّا سألناه عنه إلاّ أجابنا بما يقع. فتبسّم زيد قائلا: «أما والله لئن قلت هذا فإنّ كُتب عليّ عنده دوننا». فقد اشتهر الإمام عليه السلام بأنّه كان من ذوي العلم بالغيبيات، وهو علم علّمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلّمه بدوره للإمام عليّ عليه السلام. وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه كان معه كتاب عليّ بخطه وإملاء الرسول صلى الله عليه وآله. أما كتاب الديّات فسماه الصحيفة، روى البخاري عنها.

كان الإمام عليه السلام موسوعة كبرى لجميع العلوم الإسلامية: كالفقه والقضايا والفلسفة، واللغة والحساب. وتعلم في مدرسته الطلاب، من كل مجالات الحياة المختلفة: الصحية، والاجتماعية والروحية، يحل مشاكلهم المعقدة وما يصادفهم من عقبات، بجانب العمل على تفقيه الناس وتعليمهم الأحكام، وتدوين الحديث، ونشر رسالة الإسلام.

فهو أول من أسّس علم النحو العربي، ووضع لأبي الأسود الدؤلي

الكلام كلّه في ثلاث أضرب: اسم، وفعل، وحرف وقال لــه: تمم على هذا. فهــو قد أملي عليه أصوله الجامعة. وسمي النحو نحواً؛ لأنّ أبا الأسود قال: اســتأذنت علــياً في أن أضع نحو ما وضع، فسمى بذلك نحواً، وهو مايؤيد انتساب النحو إليه.

كمــا أنــّه أوّل من أسّس اُمور علم الفلك، وأوّل من أشار إلى تحرك الأرض في خطبه. واشتهر عبدالله بن أبي رافع المدني، وعليّ بن أبي رافع، بأنّهما عملا للإمام عليه السلام كاتبين، وحفظا وكتبا في الفقه.

وسلمان الفارسي كان من المصنفين الأوائل مع الإمام عليه السلام.

وقــد رجع معظم العلماء والفلاسفة في علومهم وفنونهم إلى الإمام عليه السلام فالإمــام الشافعي قرأ على محمّد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة، وأحمد بن حنبل تلميذ الإمام الكاظم عليه السلام ومالك قرأ على ربيعة الرأي الذي قرأه على عكــرمة الــذي قرأ على ابن عباس تلميذ الإمام عليه السلام. والمعتزلة كان كبيرهم واصــل بن عطاء تلميذاً لأبي هاشم عبدالله بن محمّد بن الحنفية الذي اشتهر بعلم الكلام، وقد تتلمذ ابن الحنفية على يد أبيه الإمام عليّ عليه السلام. كما أنّ الأئمّة الشــافعي وأبــا حنيفة وابن حنبل، يرجع فقههم إلى الإمام الصادق عليه السلام الذي ينتهي علمه وفقهه إلى الإمام عليّ عليه السلام وكذلك الإمام مالك الذي تتلمذ على يد تلامــيذ العلماء الذين ينتهون إلى عبدالله بن عباس الذي كان الإمام علّي عليه السلام مصدر علمه.

ولذا فقد اتّصل به كل مذهب من المذاهب والفرق الإسلامية منذ وجدت فــي الإســلام، فيكون هو إمّا منشأها أو قطبها الذي تدور عليه الرحى، فقد ندرت فرقة في الإسلام لم يكن عليّ عليه السلام معلماً لها، أو لم يكن موضوعاً لها، أو محوراً لمباحثها، تقول فيه وترد على قائليه، فالفرق الإسلامية كلها مدينة

لــــه مــن الــيوم الــذي برز فيه للوجود[١]. ومن هنا فقد ادّعته كلّ فرقة، وتجاذبته كلّ طائفة، وتتمسح فيه كلّ مدرسة فكرية تريد أن تفضل غيرها في ميادين الحكمة والعلم، وتبز كلّ ما عداها من ذوات المذاهب والنظريات.

وقد وضع الإمام علم الأدب، وعلّم التفسير ابن عباس الذي هو تلميذه، وعلــم الفصاحة، فقد علم الناس الخطب والكلام الفصيح. وعلم الكلام، وهو العلم الذي يبحث عن أُصول العقائد المذهبية مستنداً إلى الأدلة العقلية والنقلية للــتخلّص من العقائد الكافرة الضالة والالتزام بالعقيدة الحقة، وقد أصبح من أشرف العلوم؛ لأنه تكفل بتحقيق وتنقيح المطالب العقائدية، أو توضيح أصول العقــائد الإسلامية، وتركزت مهامه في الدفاع عن مبادئ الإسلام تجاه تيار الفلســفة اليونانــية الغربــية. كمــا اجتهد فيما يدور من صراع بين الفرق الإسلامية.

وقــد اشــتهر بتفسير الغوامض من الأُمور والتنبّؤ بالأحداث، فقد تنبّأ بــأحداث الــزنج فــي البصرة، وبأحداث القرن الخامس الهجري في العهد العباســي، ومــا يصيب البصرة من فيضان، وتدمير المياه للمنازل والخلق، وعن غارات التتار على العراق وأفعالهم الشنيعة، كما تناول أعمال بني أُمية من الظلم والجور، وما سيحل بالمسلمين نتيجة استهتارهم وظلمهم، كما أخبر عــن قــيام بعض الدول الإسلامية في إيران، وعن حركة ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم، وعن الفاطميين في المغرب، وبني بويه في الشرق.

وكــان أوّل من ابتكر أُموراً كثيرة سبق فيها عصره، فعبقريته لم تكن لها حد، ولم تمت أراؤه الحية، ففي القضاء، كان أوّل قاض فرق بين الشهود؛

---

(١) عباس محمود العقاد ــ عبقرية الإمام علي.

كـــي لايـــتفق اثـــنان منهما على الشهادة؛ ليظهر الحق واضحاً فيحول بين المتلاعبيـــن بضمائر الناس وما يعملونه من غش وخداع. كما أنـــّه أوّل من ســـجل شهادات الشهود حتى لاتتبدل اعترافاتهم بعد ذلك بتأثير من رشوة أو طمع أو ميل، فهو أوّل مبتكر لهذا الاُسلوب.

كمـــا أنـــّه أوّل من فرق بين لبن أم الأنثى وأم الذكر؛ اذ أكّد أن وزن لبـــن أم الأنـــثى أخـــف من وزن أم الذكر الذي هو أثقل وقال فيه: إنّ لبن الجاريـــة على النصف من الغلام، وإنّ ميراثها نصف ميراثه، وعقلها نصف عقله، وشهادتها نصف شهادته.

وقـــد خدم الإمامعليه السلام الاقتصاد العربي، حينما ابرز شخصية الاُمة في عملـــتها، فجعـــل لهـــم نقـــداً خاصاً متميزاً بهم، فهو أول من ضرب السكّة الإســـلامية علـــى الفضـــة بالبصرة عام ٤٠هـــ فقد جاء في مجلة المقتطف المصرية، أنـــّه في خلافة الإمام عليعليه السلام كان مكتوباً على دائرة السكّة التي ضُـــربت فـــي ٣٧هـــ بالخط الكوفي: عليّ وليّ الله، فظهرت كلمة وليّ الله كلقـــب للإمـــامعليه السلام على النقود الفضية المضروبة على الطراز الساساني في عهده، إذ ضربه واليه على الريّ: يزيد بن قيس الحمداني في ٣٧هـــ .

كـــان هو (الإمام) الذي لم يلقّب به غيره من الخلفاء. وهو الذي عندما اتّخذ الكوفة عاصمة الدولة الإسلامية حين انتقل إليها، أثر في انتشار التشيع فـــيها حتى أصبحت أوّل مركز للتشيع طوال العهد الاُموي، فانتسبت معظم القبائل إلى الميل للتشيع لآل عليّعليه السلام مثل قبيلة همدان اليمنية.

ولكـــل ذلـــك قـــال لـــه النبيصلى الله عليه وآله وسلم: «هو أول من أمن بي، وأول من يصـــافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وفاروق هذه الاُمة يفرق بين الحقّ والباطل، ويعسوب المؤمنين، أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، أنت

تبين لأُمتي ما اختلفوا فيه من بعدي».

قـــال في علمه ابن عباس: أُعطي الإمام عليّ عليه السلام تسعة أعشار العلم، والله لقد شاركهم في العشر الباقي.

وقال عنه عمر: لايفتين أحد في المسجد وعليّ حاضر.

ووصفه الحسن البصري: أنـــّه كان رباني هذه الأُمة.

وقيل في كلامه: إنّه دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين[١].

أمّا الإمام أحمد بن حنبل فيتناول فضائله ممّا أخرجه عن ابن المسيب، عن ملك الروم حينما كتب إلى عمر بن الخطاب يسأله عن مسائل، فعرضها على الصحابة، فلم يجد عندهم الجواب، فعرضها على الإمام عليّ عليه السلام فأجاب عنها في أسرع وقت بأحسن جواب. وقد جاء في الكتاب: من قيصر ملك بني الاصفر إلى عمر خليفة المسلمين: أمّا بعد: فإنّي مسائلك عن مسائل فاخبرني عنها[٢]:

١ ـــ ما شيء لم يخلقه الله؟

٢ ـــ ما شيء لم يعلمه الله؟

٣ ـــ ما شيء ليس عند الله؟

٤ ـــ ما شيء كلُّه فم، وشيء كلُّه رجل، وشيء كلُّه عين، وشيء كلُّه جناح؟

٥ ـــ رجل لاعشيرة له؟

٦ ـــ أربعة لم تحمل بهم رحم؟

---

(١) روكس بن زائد: الإمام عليّ، ص ٦٠.

(٢) الغدير للأميني: ج ٦، ص ٢٤٨.

٧ ــ شيء يتنفس وليس فيه روح؟

٨ ــ شــجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لايقطعها، وما مثلها في الدنيا؟

٩ ــ مكان لم تطلع فيه الشمس إلاّ مرّةً واحدة.

١٠ ــ شجرة نبتت من غير ماء.

١١ ــ أهل الجنة يأكلون ويشربون، ولايتغوطون ولايتبولون، ما مثلهم في الدنيا؟

١٢ ــ موائــد الجنة فإنّ عليها القصاع، في كلّ قصعة ألوان لايخلط بعضها ببعض، ما مثلها في الدنيا؟

١٣ ــ جارية تخرج من تفاحة في الجنة ولاينقص منها شيء؟

١٤ ــ جارية تكون في الدنيا لرجلين وهي في الآخرة لواحد؟

١٥ ــ ما هي مفاتيح الجنة؟

أما الإجابة فكانت:

١ ــ هو القرآن؛ لأنّه كلامه وصفته، وكذلك كتب الله المنزّلة، والحقّ سبحانه قديم وكذلك صفاته.

٢ ــ هــو قولكم له ولد وصاحبة وشريك. وما اتّخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، لم يلد ولم يولد.

٣ ــ الظلم، (وما ربك بظلام للعبيد)

٤ ــ النار تأكل ما يلقى فيها ــ الماء ــ الشمس ــ الريح.

٥ ــ آدم عليه السلام.

٦ ــ هي عصا موسى، وكبش إبراهيم، وآدم، وحواء.

٧ ــ الصبح، في قوله تعالى: (والصبح إذا تنفس)

٨ ــ هي شجرة طوبى، وهي سدرة المنتهى في السماء السابعة ينتهي إليها أعمال بني آدم، وهي من أشجار الجنة، وليس في الجنة قصر ولا بيت إلا وفيه غصن من أغصانها، ومثلها في الدنيا، الشمس أصلها واحد وضوؤها في كل مكان.

٩ ــ أرض البحر لمّا فلقه الله لموسى عليه السلام، وقام الماء أمثال الجبال، ويبست الأرض بطلوع الشمس عليها، ثمّ عاد ماء البحر إلى مكانه.

١٠ ــ هي شجرة يونس، وهي معجزة من الله، (أنبتنا عليه شجرة من يقطين)

١١ ــ غذاء أهل الجنة مثلهم في الدنيا الجنين في بطن اُمه، يتغذى من سرتها، ولايبول ولايتغوط.

١٢ ــ مثلها في الدنيا: البيضة، فيها لونان: أبيض وأصفر لايختلطان.

١٣ ــ مثلها في الدنيا: الدودة تخرج من التفاحة ولا تتغيّر.

١٤ ــ النخلة تكون في الدنيا لمؤمن مثلي ولكافر مثلك، وهي في الآخرة دونك؛ لأنّها في الجنة وأنت لاتدخلها.

١٥ ــ لا إله إلا الله، محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فكتب إليه ملك الروم: قد وقفت على جوابك، وعلمت أنّه من أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة. وأنت موصوف بالشجاعة والعلم، فما الروح؟ فقال الإمام عليه السلام: الروح نكتة لطيفة، ولمعة شريفة من صنعة باريها وقدرة منشئها، أخرجها من خزائن ملكه، وأسكنها في ملكه، فهي عنده لك سبب، وله عندك وديعة، فإذا أخذت مالك عنده، أخذ ماله عندك.

الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام:

كانا ممّن اعتنى بالعلم وشجّعا عليه، فقال الإمام الحسن عليه السلام: «تعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه في بيته» وقال: «علّم الناس وتعلم من غيرك، فتكون أتقنت علمك وعلمت ما لم تعلم، فلا أدب لمن لاعقل له».

وسأله معاوية: يا أبا محمد، ثلاث خلال ما وجدت من يخبرني عنها. قال وما هي ؟ قال: المروءة، والكرم، والنجدة. فقال عليه السلام: أمّا المروءة فإصلاح الرجل أمر دينه، وحسن قيامه على ماله، ولين الكف، وإفشاء السلام، والتحبّب إلى الناس. والكرم يعني: العطية قبل السؤال، والتبرع بالمعروف، والإطعام في المحل. أمّا النجدة: فتعني الذب عن الجار، والمحاماة في الكريهة، والصبر عند الشدائد.

ومن أقواله في العلم: «حسن السؤال نصف العلم».

«بالعقل تدرك الدارين جميعاً. ومن حرم العقل خسرهما جميعاً ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل».

وقال: «إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها. قيل ومن هم يابن رسول الله؟ قال: الذين خصّهم الله في كتابه، وذكرهم بقوله: إنّما يتذكر أُولو الألباب، وهم أُولو العقول».

وأفضل ما قدمه الإمام الحسن عليه السلام من العلوم إلى الناس: المعاهدة التي أبرمها مع معاوية، حيث أصبحت بنودها وموادها دروساً للحكام والشعوب، يستفاد منها في المواقف المشابهة.

ولم يكن الإمام الحسين عليه السلام أقل من أخيه في الاهتمام بالعلم والدعوة إليه، فقد كان يحرص على العلم والسعي إلى نيل المزيد منه، وحرض الناس

علـــى الإقــبال عليه فقال: «تعلّموا العلم فإنّكم اليوم صغار القوم، وكبارهم غداً».

وتمــيّزت مجالسه بكثرة جموع الناس، حيث كان الأعراب يفدون إليه مــن الــبادية، يقطعــون البوادي والقفار والأودية والجبال ليطارحوه الكلام والسؤال عن عويص العربية واللغة والفقه.

ومــن أقواله التعليمية: «لاتتكلّف ما لاتطيق، ولاتتعرّض لما لاتدرك، ولاتَعِد بما لاتقدر عليه، ولاتنفق إلاّ بقدر ما تستفيد، ولاتطلب من الجزاء إلاّ بقدر ما صنعت، ولاتفرح إلاّ بما نلت من طاعة الله، ولاتتناول إلاّ ما رأيت نفسك له أهلا».

وخــير درس تثقيفــي قدمــه الإمــام الحسين عليه السلام للمجتمع الإسلامي والإنســاني أيضــاً: مــا قدمه من تضحية جسيمة في سبيل الحرية والخير والسعادة للبشر، فكانت حركته المباركة درساً لجميع الشعوب المحبّة للحرية والمتطلّعة إلى السلام والأمن والخيروالعلم.

الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

رباه أبوه الإمام الحسين عليه السلام وعمّه الإمام الحسن عليه السلام دينياً في مجالات القــرآن وعلومه، والحديث، والشعر، والفقه، حتى تبحر في العلم، فكان قدوة تأثــر به الذين نسوا تعاليم الإسلام ووصايا الرسول صلى الله عليه وآله، حيث شجع علماء الموالي وطمأنهم إلى رضاء الله عنهم. ثمّ اختار أن يعلّم الناس، ويفقههم في اُمــور دينهم، فأخذ أولاده بالنظر في علوم الدين، وأعدّهم ليكونوا بعده أئمة صــالحين. وترك للناس علماً غزيراً أفاد به الأجيال اللاحقة. وأسّس مدرسة للفقــه والحديث تخرج منها ١٦٠ من التابعين والموالي، كان منهم: سعيد بن المســيب الــذي عُــدّ أفقــه أهل المدينة، وابن جبير، والقاسم بن محمّد بن

أبي بكر، وجابر بن عبدالله الأنصاري، بالأضافة إلى ابنه الأكبر الإمام محمّد الباقر عليه السلام. فقد اعتنى به ورعاه ليصبح أستاذاً لابنه الاصغر زيد، الذي تعوّد وتعلّم من أبيه وأخيه أن يتلقى العلم من مصادره، ويفتح قلبه وعقله لتمحيص الأراء.

وقد صاغ أفكاره وآراءه وأوراده ومبادئه الإسلامية في الأدعية المعروفة بالصحيفة السجادية، فهو وإن اهتمّ بالرواية ونشر العلم، إلاّ أنّ شهرته ارتكزت في أدب الدعاء؛ إذ بلغ مجموع الأدعية التي توفّرت في تلك الصحيفة بـ ٥٤ دعاء.

وهي مجموعة من الأدعية المأثورة عنه عليه السلام، حيث برز على الصعيد العلمي والديني إماماً في الدين، ومناراً في العلم، ومرجعاً في الأحكام، ومثلا أعلى في الورع والعبادة والتقوى، ممّا جعل المسلمين يأمنون بعلمه واستقامته وأفضليته، وانقادوا إلى زعامته وفقهه ومرجعيته. فكان لهم تعلّق عاطفي شديد به، وولاء روحي عميق له، فكانت قواعده الشعبية ممتدّة إلى كل مكان من العالم الإسلامي، ولم تكن ثقة الأُمة به على اختلاف اتجاهاتها ومذاهبها مقصورة على الجانب الفقهي والروحي، بل امتدّت لتؤمن به مرجعاً وقائداً لكلّ مشاكل الحياة وقضاياها. فالصحيفة كانت تعبيراً عن عمل اجتماعي عظيم فرضته المرحلة، إذ استجدّت في العالم الإسلامي أُمور واحداث ومتغيّرات حين تفاعل المسلمون مع الشعوب الجديدة، ممّا حتّم عليهم تأكيد شخصيتهم وأصالتهم الفكرية المستمدّة من الكتاب والسنة، فكان لابدّ من الاجتهاد في هذا الإطار، فجهد الإمام عليه السلام في بحوثه ودراساته في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله في مجالات المعرفة الإسلامية التي استمدّها من أبائه عليهم السلام وانطلق منها المسلمون بعد ذلك وتابعوها في الفقه ومدارسها.

كما أنّ المجتمع الإسلامي عاش الحياة الرغيدة الرغدة والرخاء ممّا زاد في تعلّقهم بملذات الدنيا والإسراف في زينة الحياة، والإقلال في الشعور بالقيم الروحية، ممّا جعل الإمام يعتني بعلاج الموقف والحالة، فاتّخذ الإمام عليه السلام الدعاء أساساً له في الصحيفة، وأظهر بلاغته وأساليبه في التعبير وثقافته غير المحدودة من تجسيد تلك المعاني والقيم والاهداف ليشيع جواً روحانياً ساهم في تثبيت الإنسان المسلم أمام التيارات الجارفة والمغريات ليرشده إلى ربه كما فطر عليه. واتّخذ الإمام عليه السلام الادعية؛ ليعظهم، ويزهدهم في الدنيا، ويرغّبهم في الآخرة. وستظل الصحيفة السجادية تراثاً فريداً على مدى الدهر، ومصدراً وهادياً، ومدرسة أخلاق وتهذيب للإنسانية.

كما أنّ له رسالة الحقوق، ذكر فيها الحقوق المترتبة على المسلم، وهي خمسون: حقوق الله سبحانه وتعالى، وحقوق النفس، والجوارح، والفرائض، والمجتمع وغيرها.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّه كان يجالس العلماء سواءً كانوا عرباً أو موالي، فكان يقدرهم ويجلّهم ويحترمهم، وقد طلب من مريديه ومحبيه عدم المبالغة في ذكر الأحاديث عنهم أهل البيت، والاعتدال في تعظيمهم.

وقد شهد له الكثير بالعلم والتقدير واحترام مكانته العلمية، فقد اعتبره عمر بن عبد العزيز: أشرف الناس، وحينما توفي الإمام عليه السلام قال عنه: ذهب سراج الدنيا، وجمال الإسلام، وزين العابدين.

وقال عنه محمّد بن سعد، إنّه كان ثقة مأموناً، كثير الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عالماً لم يكن في أهل البيت مثله. أمّا ابن شهاب الزهري فذكر أنه: «ما رأيت أحداً أفقه من زين العابدين»؛ وذلك لما أفتى له في عبد مملوك له قتله بسبب المال، حينما اتهمه بالسرقة. وتناول القضية بقوله: أنّه كان

عند عبدالملك بن مروان، فأجزل لــه العطاء، ومنحه مالا كثيراً حسب طلبه، فســار إلى المدينة ومعه غلامه الذي اتّهمه بسرقة أمواله، فضربه حتى قتله. وفــي المدينة سأل ابن المسيب، وأباعبدالرحمن، وعروة بن الزبير، والقاسم بــن محمّد، وسالم بن عبدالله عما إذا كانت لــه توبة فيما اقترفه، إلاّ أنّهم لم يفــيدوه، بل ذكروا أنّهم لايعلمون لــه توبة، ماعدا الإمام زين العابدين عليه السلام الــذي رأى لــــه توبة فقال: ان لذنبك توبة، وهي صيام شهرين متتابعين، واعتق رقبة مؤمنة، وأطعم ستين مسكيناً، ففعلت.

ومــن المعلومات التي أقرها: أنــّه أكّد بأنّ فاطمة بنت أسد كانت من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات.

الإمام الباقر عليه السلام:

كــان من مشاهير علماء أهل البيت عليهم السلام ومحدثيهم، وأعلم أهل زمانه بالقــرآن والتفسير والحديث والفقه، وقيل لــه الباقر؛ لأنّه تبقر في العلم، أي توسع فيه.

وقــد ذكــر عــنه المجلســي: أنه لم يظهر عن أحد من أولاد الحسن والحســين عليهما السلام مــن العلوم ما ظهر منه في التفسير والكلام والفُتيا والحلال والحرام، فقد روى عنه مَن بقي مِن الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين معالم الدين.

فمــن الصحابة، نقل عنه: جابر بن عبدالله الأنصاري، ومن التابعين: جابــر بن يزيد الجعفي. ومن الفقهاء: ابن المبارك، والزهري، والأوزعي، وأبوحنيفة، ومالك، والشافعي، وزياد بن المنذر النهدي.

ومــن المصــنفين: الطــبري، والبلاذري، والسلامي، والخطيب، في

تواريخهم. وكذلك في الموطّأ وحلية الأولياء وسنن أبي داود، ومسند أبي حنيفة، والزمخشري، كلهم كانوا يقولون: قال محمّد بن عليّ، أو حدثني محمّد الباقر.

وكان عصره نقطة تحول وتطور في الثقافة الإسلامية، فقد أنتشر العلم والوعي، وزادت الرغبة في العلم، والسفر إلى المراكز الدينية للحصول عليه، والتحصيل في العلوم والمعارف المختلفة، وانتعش بذلك النضج الفكري في هذه الفترة، فقصد الطلاب المدينة المنورة للتزوّد من التابعين؛ إذ كثيراً ما اتّصل الفقهاء من الكوفة وغيرها بالإمام الباقر عليه السلام يبتغون العلم والأدب. ونشط الإمام عليه السلام بدوره في نشر العلم والفقه وتعاليم الإسلام، وناظر الفرق المختلفة التي ظهرت في زمانه، تصدّياً لها من جانب، وتعريفهم بالحقّ والصواب من جانب آخر.

ولمّا أسّس مدرسة جامعة في المدينة لدراسة الفقه والفلسفة والحديث واللغة والتفسير، قدم إليها الطلاب من الكوفة والبصرة والحجاز؛ إذ إنّ الظروف السياسية ساعدته في أن ينشر فقه الشيعة وأهل البيت خاصة شرقاً وغرباً، فكان عصره قد اعتدل نحو الشيعة، حيث كان نهاية الدولة الأُموية، التي انشغل حكامها بالصراع بينهم من جانب، وبروز الدولة العباسية ودخولها في المعارك والحروب الأهلية، طلباً لتأسيس ملك جديد من جانب آخر.

ومن أشهر تلاميذه:

ـ أبان بن تغلب بن رياح أبوسعيد البكري، الذي روى عنه وعن الإمام الصادق عليه السلام ثلاثين ألف حديث.

ـ جابر الجعفي، روى عنه ٥٠ ألف حديث.

ـ زرارة بن أعين.

ـ محمّد بن مسلم الثقفي.

ـ يزيد العجلي.

ـ محمّد بن عليّ بن النعمان، الملقب بمؤمن الطاق.

قال عنه عليه السلام ابن سعيد في الطبقات: إنّه كان عالماً عابداً ثقة. كما وصفه ابن خلكان: بأنّه كان عالماً سيداً كبيراً. فالإمام عليه السلام كان سيد فقهاء الحجاز، ومنه ومن ابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام تعلم الناس الفقه.

أما الأمر الذي تميّز به الإمام عليه السلام بالنسبة للائمة عليهم السلام هو ما أشار على عبدالملك بن مروان بسك النقود الإسلامية. فعندما اشتدّت الحروب بين المسلمين والروم، هدّد ملك الروم بقطع النقود عن البلاد الإسلامية، وهي التي كان المسلمون يتعاملون بها. فعجزوا عن إيجاد مخرج من هذه الورطة إلى أن أشار عليه بعض أصحاب عبدالملك بالرجوع إلى الإمام الباقر عليه السلام فأجابه الإمام في كتابه له: «لايعظم هذا عليك، فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما أنّ الله عزّ وجلّ لم يكن ليطلق ماتهدد به صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وآله، والأخرى وجود الحيلة فيه، وهي: أن تدعو في هذه الساعة بصناع، فيضربون بين يديك سككاً للدراهم والدنانير، وتجعل النقش عليها صورة التوحيد، وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله أحدهما في وجه الدرهم والدينار، والأُخرى في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي ضرب فيها، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الأصناف الثلاثة التي تكون منها وزن عشرة مثاقيل، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعاً إحدى وعشرين مثقالا».

كما أمر الإمام عليه السلام أن يكتب السكك في جميع بلدان الإسلام، وأن يتقدّم إلى الناس في التعامل بها، ويتهدّد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير، فأصبح التعامل بالدنانير والدراهم الإسلامية، وأبطل ما كان متعارفاً عليه من الطروز الرومانية[(١)].

ومن تفسيراته الشيّقة، أنّه فسر لطاووس اليماني الأُمور الغامضة التالية:

ـ قتل ربع الناس كان قتل هابيل (الذي قتله قابيل)

ـ أبو الناس هو: شيث بن آدم. وسمي آدم؛ لأنّه طينة رفعت من أديم الأرض السفلى، وسمّيت حواء؛ لأنّها خلقت من ضلع حي، أي: ضلع آدم.

ـ سُمّي أبليس؛ لأنّه أبلس من رحمة الله، فلا يرجوها. وكانت أوّل كذبة منه حين قال: أنا خير منه: خلقتني من نار، وخلقته من طين.

ـ قوم شهدوا شهادة الحق وهم كاذبون، هم المنافقون، حين قالوا: (نشهد إنّك لرسول الله، والله يعلمُ إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)

ـ الرسول الذي بعثه الله ولم يكن من الجن والإنس ولا من الملائكة، وذكر في القرآن، هو: الغراب الذي بعثه الله لقابيل، ليريه كيف يواري سوءة أخيه.

ـ الذي أنذر قومه ولم يكن من الجن والإنس والملائكة في القرآن، هو: النملة حينما قالت: (ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده)

ـ والصلاة بغير وضوء وهي مفروضة، هي: الصلاة على محمّد

---

(١) الدميري حياة الحيوان: ص ١١٦.

وآله ﷺ.

ــ والصائم الذي صام ولم يمتنع عن الأكل والشرب، هو: صوم مريم عليها السلام التي قالت: (اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم انسياً)

ــ والشيء الذي يزيد وينقص، ويزيد ولاينقص، وينقص ولايزيد، هو: القمر، والبحر، والعمر.

ــ وفسر الآية: (إن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما): بأنّ السماء كانت رتقاً لا تنزل المطر، والأرض رتقاً لا تخرج النبات.

ــ والآية: (ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين) أي: حجوا إلى الله عزّ وجلّ.

ــ وسئل عن تكبيرة صلاة الميت فقال: أُخذت الخمس من الخمس صلوات، من كل صلاة تكبيرة.

ــ وسئل عن مولودين ولدا في يوم، وماتا في يوم واحد، كان عمر أحدهما خمسين، والآخر مئة وخمسين سنة. فقال: هما عزير وعزيرة أخوه، ولدا في يوم واحد، وكان عمر عزير حين أماته الله خمساً وعشرين سنة، وعاش بعد بعثه خمساً وعشرين سنة، فمات في عمر الخمسين، وأصبح أخوه في عمر الخمسين ومئة.

أما أقواله العلمية ودعوته إلى العلم والتشجيع على تعاطيه فهي كثيرة، ومن أهمها:

ــ عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد.

ــ من عمل بما يعلم علّمه الله مالا يعلم.

ــ لاعلم كطلب السلامة، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولافقر كفقر القلب، ولاغنىً كغنى النفس، ولامعرفة كمعرفتك بنفسك، ولامصيبة كعدم العقل.

ـ عليكم بصدق الحديث والورع والاجتهاد وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً كان أو فاجراً.

تعلّموا العلم فإنّ تعلّمه حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة له تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة، والعلم ثمار الجنة، وأنس في الوحشة، وصاحب في الغربة، ورفيق في الخلوة، ودليل على السراء، وعون على الضراء، ودين عند الأخلاء، وسلاح عند الأعداء، يرفع الله به قوماً فيجعلهم في الخير سادة، وللناس أئمة، يُقتدى بفعالهم، ويصلّي عليهم كلّ رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه.

وقال: لموت عالم أحبّ إلى إبليس من موت سبعين عابد.

وقد تناول الإمام في أحاديثه علوم الكون وأسراره، والنجوم، والكواكب الأُخرى في عالم الفضاء، ونقل كل معارفه الى ابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

تميز عصره:

ـ بانّه كان عصر انتقال من الدولة الأُموية إلى العباسية، وانشغال الجانبين بأحوالهما.

ـ تخفيف الرقابة على أئمة الشيعة نتيجة الظروف السائدة.

ـ ظهور فرق ومذاهب مختلفة، والصراع بين العقائد والمذاهب، والأطراف الإسلامية المختلفة في الدولة.

ـ توسع حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية.

ـ انتشار العلوم الإسلامية وتدوينها.

وقد أدّى كلّ ذلك إلى أن يجتهد الأئمّة عليهم السلام في توضيح قواعد المذهب وتركيزها. وانصرافهم إلى نشر العلم والتوسع فيه، وتميّز الإمام الصادق عليه السلام بالنشاط والعمل في نشر علوم أهل البيت عليهم السلام والدفاع عن المذهب الجعفري في وجه الجماعات الأُخرى سواءٌ من المسلمين أو من الغلاة. ولما ضعف أمر الظلم في عهده فقد اتّسع المجال أمامه لنشر الأحاديث والعلوم المستقاة من أجداده وآبائه، فعلّم الآلاف.

وأمّا مصدر علم الإمام عليه السلام فكان الإمام زين العابدين عليه السلام وأبوه الإمام الباقر عليه السلام أساتذة عصره، فلم يتتلمذ على أحد من علماء زمانه. كما أنّ القاسم جد الإمام الصادق عليه السلام من أُمه، كان من ثقات الإمام زين العابدين عليه السلام وأحد الفقهاء السبعة في المدينة، ممّا جعله من أعظم مفكري الإسلام والمسلمين قدراً، وأعلاهم منزلة، فقد كان ذا علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، لم يقبل تمويهاً في الدين ولا ستر ضلالا.

أسّس مدرسة علمية استمرت في عطائها حتى رعاها ابنه الإمام موسى الكاظم عليه السلام بعده. لقد كان البحث العلمي الصادق والنهج العقلي في تمحيص الحقائق هما القاعدتين اللتين انطلق منهما الإمام عليه السلام لإنشاء المدرسة العلمية، ومواجهة المشكلات التي قام بحلّها عن طريق هاتين القاعدتين. ويمكن القول: إنّ الجامعة الإسلامية قد بدأت في عهده، وانتشرت المجالس الدينية في المساجد يُتدارس فيها فقه الإمام الصادق عليه السلام، حتى قال (أبو الحسن الوشاء) لبعض أهل الكوفة: أدركت في مسجد الكوفة أربعة آلاف شيخ من أهل الورع والدين كلّهم يقول: حدثني جعفر بن محمد. أقام الإمام عليه السلام بالمدينة يفيد المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، فتمكّن من ارتقاء

منـــبر جده الرسول صلى الله عليه وآله حين وجد شيئاً من حرية الكلام والفكر، فدرّس الفقه والتفسير والعقائد، فحضر مجلسه الآلاف من الفقهاء والمحدثين والمفسرين، كان أشهرهم أبا حنيفة الذي قال: «لولا السنتان لهلك النعمان».

كـــان الإمام الصادق عليه السلام يعلي من شأن العقل في القضايا التي لايوجد لها حكم في الكتاب والسنة، وإذا كان هدف الشريعة تحقيق الخير والمصلحة للبشـــر، فالعقل قادر على التمييز بين الخير والشر، ويهدي إلى ما فيه خير البشر وترك الضرر. فالاعتماد على العقل وأحكامه هو الطريق الصحيح إلى الله عـــزّ وجلّ. وذهب إلى القول بحرية الإرادة الانسانية، والدفاع عن حرية الرأي والاعتقاد، وإنّ حرية الإنسان هي أساس مسؤوليته أمام الله ــ سبحانه وتعالى ــ فالله يحاسب المرء على ما يفعله لا على ما قضى وقدر، فيحاسبه على ذنبه، ولكن لايحاسبه على مرضه.

وقـــد أوضـــح الإمـــام عليه السلام قضية العدالة وارتباطها بالشاهد والقاضي، ومـــرجع التقليد، وإمام الجماعة في الصلاة، إذ إنّ الشيعة يشترطونها فيهم، فقال الإمام: إنّما العدالة في الظاهر لا في الواقع، فلو لم تقبل شهادة المقترفين للذنـــوب لمـــا قبلت إلاّ شهادة الأنبياء والأوصياء. فمن لم تره بعينك يرتكب ذنـــباً، ولـــم يشهد عليه بذلك شاهدان، فهو من أهل العدالة والستر، وشهادته مقبولة وإن كان في نفسه مذنباً.

كمـــا أنّ الإمام عليه السلام قد أحسن إلى من كان يشرب الخمر لقضاء حاجته عندما طلب منه المساعدة.

وبخاصـــة أنّ الإمـــام عليه السلام قد تعلّم من الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام: أنّ طلـــب العلم ونشره هو جهاد في سبيل الله، وأن الله ــ تعالى ــ جعل للعلماء مكانة مميّزة بين الأنبياء والشهداء، ممّا دفعه إلى حفظ علومهم وكل مالديهم

من أحاديث.

كان الإمام عليه السلام أفضل الناس وأعلمهم بدين الله، فكان أهل العلم الذين سمعوا منه عندما يروون عنه يقولون: أخبرنا العالم؛ إذ إنّه عليه السلام أتقن بجانب معارف أهل البيت، معارف أهل السنة، وترسبت في عقله نصائح أبيه عليه السلام.

كان عليه السلام إماماً في العلوم السائدة في عصره، واشتهرت مناظراته العلمية حتى صارت مصدراً للمعرفة بين العلماء، ومرجعاً في كلّ ما يصعب عليهم من أسئلة الزنادقة وغيرهم. فهو يُعدّ أكبر أئمة المسلمين وليس أماماً للشيعة فقط. فقد روى عنه معظم أئمة المسلمين، ممّا جعلهم لايعتبرونه إمام طائفة فقط لما له من أهمية لدى المسلمين جميعاً؛إذ أخذ عنه جمهور من السنة، وأقرّ له بالإمامة في الفقه والدين كل الطوائف الإسلامية، الذي اتّفق مع الوحدة الإسلامية، فكان من أئمة الاجتهاد، وأصدق الرواة والمحدثين. كانت حياته إشعاعاً لاينقطع يصوغ به العلماء، ويشبع به حب المعرفة، ويشارك به في الإستنتاج المنطقي السليم، والتأمل الفكري يصوغ به الحب، سخاء في اليد وسعة في الصدر. وقد هيأت له الظروف خلال حياته أن يكون موضعاً للعبقريتين العلمية والخلقية، فكان إماماً لفرقة دينية عظيمة أنجبت عبر التاريخ الإسلامي قمماً خالدة في الفقه والسياسة والفكر، كان منها العلماء والشعراء والفلاسفة أصحاب المدارس التاريخية الواضحة، وانتشر عنه من العلوم الجمة ما بهر به العقول، فلم تخلُ الكتب من أحاديثه وحكمه وزهده ومواعظ كلامه. ولكل ذلك تميّز دوره في إيمانه بتعليم الناس ما خفي عنهم. فقد كانت داره جامعةً كبيرة تموج بالحكماء وأهل العلم تُدار فيها الأسئلة والأجوبة والبحث في حل المشكلات.

لقد تخرج على يديه أعاظم العلماء أمثال: جابر بن حيان الكيميائي

الأول في الإسلام والعرب، فقد تعهده وحثه على دراسة علوم الحياة، وزوّده بمعمل، وأمره أن ييسّر كتاباته لينتفع بها الناس، وخصّص لــه وقتاً كل يوم يتدارسان فيه علوم الطبيعة والكيمياء والطب. وقد ألّف كتاباً يشتمل على ألَّفَ ورقة تتضمن رسائل الإمام الصادق عليه السلام وهي ٥٠٠ رسالة. وكان الإمام عليه السلام يطّلع عليها، ويقر ما اشتملت عليه ويوجهه فيها، فإذا لم تكن هذه الرسائل من إملائه فهي من عمل جابر الذي كان يأخذ الموافقة عليها من الإمام عليه السلام، فهو الملهــم لهذه المعلومات. فالإمام عليه السلام كان يلمّ بالعلوم الكونية والطبيعية، فكان يحكــم عليها بالصدق أحياناً وبالغموض أحياناً؛ ولذا فإنّه عليه السلام كان ينسبها إلى علــم النــبوة[1]. وكان جابر يعتمد في أبحاثه على التجربة والمشاهدة وبناء النتائج على الأسباب.

كمــا تخــرج على يديه: هشام بن الحكم الذي روى عنه وعن الإمام الكــاظم عليه السلام وتُوفّي في سنة ١٧٩هــ وألزمه ــ أيضاً ــ مالك بن أنس الذي أخــذ عــنه الاستنباط في الحكم والمعاملات. وكذلك أخذ الإمام الشافعي من علمه عن طريق تلاميذه ومنهم:

ــ مقاتل بن سليمان الذي تعلّم من مذهب الإمام عليه السلام: أنّ العقل هو أداة فهــم النصــوص لا الاتّــباع والتقليد، وأنّ العلم ليس حفظ القرآن والحديث ومعــرفة الآثار، بل يشمل كلّ العلوم الطبيعية والرياضية التي تفسر ظواهر الكون، وتكشف عن قدرة الخالق.

---

(١) وكانت الرسائل موضع دراسة علماء أوربا؛ إذ وجدت في ألمانيا. وقد ترك جابر كتباً مــنها: كتاب الرحمة، كتاب التجميع، الاستتمام، وترجم إلى اللغة الفرنسية ١٦٧٢ م. كما ترجم لــه كتاب تركيب الكيمياء في القرن ١٨ م. ممّا يدلّ على بقاء أثره العلمي في أوربا حتى وقت متأخر.

أمـــا في الطب، فقد اتّصل بعالم هندي طبيب برع في الطب والصيدلة ليتعرف على علمه، فتبادلا المعارف، وتحاورا في الإسلام وإثبات وجود الله. فالإمام عليه السلام اعتقد بالتجربة والنظر العقلي والحوار طريقاً إلى الإيمان؛ وذلك لمعرفــته الواســعة العميقة بالعلوم في الاستدلال والاقناع، كما اتّخذ من علم الكونيات حجة لبيان وحدانية الله تعالى.

وإذا كان تاريخ الفلسفة قد قرر أنّ سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الإنســـان، فإنّ الإمام الصادق عليه السلام درس السماء والأرض والإنسان وشرائع اليونان.

ومن أشهر تلاميذه أيضاً: أبان بن عثمان الأحمر التابعي المتوفى سنة ١٤٠هـــ والذى أسّس علم السير والآثار وتدوين سيرة النبي صلى الله عليه وآله ومعجزاته وغزواته وكرم أخلاقه.

ـ وأبـــان بن تغلب، الذي روى عنه ثلاثين ألف حديث، وثّقه الجميع. وقد تُوفّي في سنة ١٤٠هـــ في أيام الإمام عليه السلام.

ـ ثابــت بن دينار، المعروف بأبي حمزة الثمالي، توفي ١٥٠هـــ قال عنه الإمام عليه السلام: «أبو حمزة في زمانه مثل سلمان الفارسي في زمانه».

ـ زرارة بـــن أعيـــن، وقـــد روى عـــن الإمـــام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام، وأدرك سنتين من عصر الإمام الكاظم عليه السلام، وهو من أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً. تُوفّي سنة ١٥٠هـــ.

ـ المفضـــل بن عمر الجعفي، من فقهاء الرواة وأعيان الثقات: جمع الوكالة عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام حتى وفاته.

فقد أرسل سكان المدن: الكوفة والبصرة وواسط والحجاز أولادهم من كل قبيلة للتعليم، وكذلك عدد من الأحرار وأبناء الموالي ومن الاعيان عرباً

وفرساً، لا سيّما مدينة قم. أما أصحابه المقربون إليه فقد جمعوا دروسه في ٤٠٠ كتاب سموها الأصول الأربعمئة. وقال الإمام الصادق عليه السلام عن العلماء الذين لازموه: هؤلاء أُمناء الله على حلاله وحرامه، قد أحيوا ذكرنا، هؤلاء حفّاظ الدين، وأُمناء أبي على حلال الله وحرامه، وهم السابقون الينا في الدنيا، والسابقون الينا في الآخرة، يكشف الله بهم كل بدعة وينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأويل المغالين.

أمّا في التفسير فقد كانت له أراؤه الخاصة وتفسيراته المميزة، ففي تفسير القرآن الكريم، شرح معنى استغفار الله: بأنّه لايعني ظلم الأُمراء والولاة، وأكل مال الرعية وحقوقهم، ثمّ يستغفر على أنّ الله سيتوب عليهم، فالاستغفار ليس ترديداً للكلمة، ولكنّها توبة من القلب، وإعمال القلب، والعمل الصالح الذي يحقّق خير الأُمة، والامتثال لأمر الله بالعدل والإحسان. فقد طالب الناس بالتفكير لمعرفة الله بالعقل، ليستقرّ إيمانهم على أساس ثابت راسخ. وفسّر الآية **(فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة)** يعني النفقة. **(ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم)** اي المودة، فلا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين في المودة. وقد فسّر **(انما اتخذ الله ابراهيم خليلا)** لكثرة سجوده على الأرض.

وحينما حارب دعوات الزاهدين والصوفيين، كان يرى أنّهم من عوامل إهمال مصلحة الأُمة وعدم محاسبة الحكام.

وفي المسائل الدينية كان يجيب بتوضيح أراء فقهاء أهل الحجاز والعراق وأراء أهل البيت عليهم السلام.

ففي القدر قال: هو أمر بين أمرين، لاجبر ولاتفويض. فكان ضد القول بالجبر؛ لأنّه لايكون حساب أو عقاب إذا لم يكن للفرد حرية الاختيار فيما

يفعل، فالانسان له حرية العقل.

وفي الإرادة قال: إنّ الله ــ تعالى ــ أراد بنا شيئاً، وأراد منا شيئاً، فما أراده بنا طواه عنا، وما أراده منا أظهره لنا. فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا؟

وفي الاجتهاد: علينا أن نلقي إليكم الأُصول وعليكم أن تفرعوا.

وفي المجتهد: أمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه.

وفي القياس: «إنّما هلك من قبكلم بالقياس» فالإمامية يتخذون كتاب الله وسنة نبيه مصدراً للتشريع وامتنعوا عن الأخذ بالقياس واعتبروه بدعة.

كما فسر حديث: «اختلاف أُمتي رحمة» بغير تفسير الآخرين، فقد فسّره هؤلاء بأنّه اختلاف الأحكام الفقهية في المسألة الواحدة، فيكون رحمة للمسلمين. فبإمكان المسلم أن يختار أي حكم يناسبه ويتماشى مع الحل الذي يرتضيه. إلاّ أنّ الإمام عليه السلام فسّره بغير ذلك، فأكّد أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قصد بذلك: اختلاف بعضهم إلى بعض، أي: أن يسافر بعضهم إلى بعض، فيقصده ويتصل به لأخذ العلم منه، فإذا اختلفوا في الدين صاروا حزب إبليس، فتفسيره عليه السلام يدعو لوحدة العقيدة لا للاختلاف فيها، لتصبح مذاهب وأراء، يحلّل هذا برأيه، ويحرم ذاك باجتهاده.

أمّا (أبوبكر بن العربي) ذكر في العواصم من القواصم ص ٩١ في الحاشية ذكره العلامة ابن حزم في الاحكام في أُصول الاحكام: أن الحديث برمته باطل، وهو من أفسد قول يكون؛ لانّه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطاً، وهذا مالا يقوله مسلم؛ لأنّه ليس إلاّ اتّفاق أو اختلاف، وليس إلاّ رحمة أو سخطاً.

وقال في مكان آخر: باطل مكذوب. وإنّ من آثار هذا الحديث السيئة: أنّ كثيراً من المسلمين يقرون بسببه الاختلاف الواقع بين المذاهب الأربعة، ولايحاولون الرجوع بها إلى الكتاب والسنة الصحيحة كما أمرهم بذلك أئمتهم، بل إنّهم يرون أنّ مذاهب هؤلاء الأئمّة إنّما هي كشرائع متعدّدة. والرضا بهذا الحديث وتسميته رحمة، هو خلاف للآيات الكريمة المصرحة بذمه، ولا مستند له إلى الحديث الذي لا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفسر البليغ لماذا سمي بليغاً؛ لأنّه يبلغ حاجته بأهون سعيه.

كما أكد إيمان أبي طالب بقوله: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر، فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك، فآتاه الله أجره مرتين.

ومن آرائه العلمية عن الإنسان: أنّ الغلام ينبت كلّ سنة مقدار أربع أصابع من أصابعه.

وقال عن أهمية العلم والعلماء: إنّ الرجال ثلاثة: رجل بماله، ورجل بجاهه، ورجل بلسانه، وهو أفضل الثلاثة. فهو أعطى الأهمية لرجل العلم.

وشجع على العلم والكتابة والتأليف، فقد حثّ طلابه على كتابة ما يسمعون، وتأليفه وحفظه فقال:

«اكتبوا فإنكم لاتحفظوا حتى تكتبوا. والقلب يتكل على الكتابة. احتفظوا بكتبكم فإنّكم سوف تحتاجون إليها». وكان عليه السلام يصحّح بنفسه مؤلفات تلاميذه.

وقال عن الذباب حينما سأله الخليفة العباسي عن سبب خلق الله له فقال: ليذل به الجبابرة.

وعن أهميّة منزل الإنسان قال: «لايخرج الرجل من مسقط داره بالدّين». إنّ المديون لا تباع داره لأداء دينه.

وقال عن العلماء: «اذا كان يوم القيامة بعث الله ـ عزّ وجلّ ـ العالم والعـابد فاذا وقفا بين يدي الله، قيل للعابد انطلق الى الجنة وقيل للعالم قف؛ تشفّع للناس بحسن تأديبك لهم».

وعن مصحف فاطمة: سماه الإمامعليه السلام كتاب فاطمة، فهو كتاب مستقل عن القرآن أي: ليس بقرآن.

وقـالعليه السلام عـنه: عـندنا مصحف فاطمة، أما والله ما فيه حرف من القـرآن، ولكنّه من إملاء رسول اللهصلى الله عليه وآله وخط عليّعليه السلام. كان الإمامعليه السلام يؤيد بناء المساجد ولو كانت صغيرة، إذ قال عنها: تلك أفضل المساجد، فمن بنى مسجداً كمفعص قطاة (اي صغير المساحة) بنى الله لـه بيتاً في الجنة. ومن اخـتلف الى المسجد أصاب إحدى ثمان: أخاً مستفاداً في الله، أو علماً ***، أو آية محكمة، أو رحمة منتظرة، أو كلمة ترده عن ردى، أو يسمع كلمة تدل على هدى، أو يترك ذنباً خشية أو حياء.

وتحـدّث عـنهعليه السلام الكثيرون، فقال عنه أبوحنيفة بعد أن سأله أربعين مسألة أجاب عنها كلها أمام أبي جعفر المنصور: أعلم الناس أعلمهم باختلاف الفقهاء. وكان يرى أنـّه الإمام الحقّ يستحق وقف الأموال.

وقـال عنه أبوجعفر المنصور حين توفي: إنّه سيدهم، وعالمهم، وبقية الأخيار منهم.

وهكذا فإن الإمام الصادقعليه السلام كان إمام الشيعة وشيخ أهل السنة، ترك علمـاً وافراً وفقهاً غزيراً، وأنشأ تياراً جديداً خصباً في الحياة الفكرية، كان للعقـل والـنظر والعلم والتأمل فيه أكبر نصيب، كما خلّف من ورائه مئات الفقهاء من أهل السنة يروون عنه، ويعلّمون فقهه وشرحه وآراءه بجانب فقه الشـيعة. ولـم يجمـع الـناس على حبّ أحد في عصره كما أجمعوا على

حب الإمام الصادق عليه السلام.

وقد أتلف الغزاة والجهلة المتعصبون أكثر الكتب الشيعية ومؤلفاتهم، منذ أيام الأُمويين، ولم يتمكّن أي من العلويين من إسناد أي حديث لأهل البيت يخص آل عليّ عليهم السلام حتى كان زمن الإمام الصادق عليه السلام الذي تبلور في عهده مذهب آل البيت، واتّخذ صورة واضحة ثبتت أركانه ودعائمه وأصبح للشيعة فقههم المستقل وعلماؤهم وآراؤهم الخاصة بمبادئ الإسلام الأساسية، فتميّز المذهب الجعفري عن بقية المذاهب لوضوحه واستقلاله. حتى إنّه في أواخر القرن الأوّل الهجري ونصف القرن الثاني، كان البيت العلوي أكبر مصادر النور والمعرفة بالمدينة والبلاد الأُخرى، فما زارها أحد إلاّ وعرج على بيت الإمام زين العابدين عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام ليأخذ عنهم، ولذا فقد أحسّ العالم الإسلامي كلّه بفقده للفراغ الذي أحدثه بعد وفاته.

الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

كان لظروفه الخاصة أثرها في قلة اتّصاله بالناس؛ وذلك للرقابة الشديدة التي أحكمت قيده، ولحبسه فترة طويلة من الزمن فأبعده عن الاتّصال والتعامل مع الناس، إلاّ أنّه وبالرغم من ذلك، كان أمره قد اشتهر في البلاد الإسلامية في الحجاز والعراق وغيرها، فقصده العلماء والطلاب في الأوقات التي كانت له بعض الحرية فيها، أو في الفترات التي قلّت الرقابة فيها عليه، فاتّصل بالجماهير؛ إذ اشتهر بفيض علمه النبوي. كما قدّم إليه الشيعة الخمس والزكاة.

وقد تتلمذ على يديه: أحمد بن حنبل، ومالك الذي قرأ عليه ربيعة الذي قرأ على عكرمة الذي قرأ على ابن عباس. كما كان من تلاميذه: ابنه

إسـماعيل بن موسى الذي هاجر إلى مصر، وأقام بها، وألّف كتباً كثيرة ممّا تعلّمه عن أبيه، وما اطّلع عليه من الروايات عن أجداده. وكذلك تعلّم عن طريقه أخوه: إسحاق بن جعفر المعروف بالمؤتمن الذي روى عن أبيه وأخيه الكثير من الأحاديث والروايات، وقد روى النص بإمامة أخيه الإمام الكاظم عليه السلام. وقد تزوّج من السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد بن الحسن السبط عليه السلام ورحل إلى مصر.

وفي أيام المهدي العباسي عثر على بعض آثار بشريّة وبعض الأثاث، لم يعرفوا عنها شيئاً، الاّ أنّ الإمام عليه السلام ذكر أنّهم أصحاب الأحقاف.

ومن تفسيراته المميزة شرحه عن الخمر عندما سئل هل هو حرام في كتاب الله، فقد سأله المهدي العباسي؛ إذ إنّ الناس يعرفون النهي عنها، ولايعرفون التحريم. فذكر: أنّها محرمة في كتاب الله من قوله:

(إنما حرمَ ربيَ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ والإثمَ والبغيَ بغير الحق)

وقال عزّ وجلّ في موضع آخر: **(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما أثم كبير)** فالإثم هو الخمر والميسر وإثمهما كبير كما قال عزّ وجلّ.

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام:

كان واسع العلم والمعرفة، صحيح الفكر متّزن العقل. جلس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله بالمدينة ليفتي الناس وهو ابن نيف وعشرين، وناقش وناظر العلماء والأدباء والفقهاء في مجلس المأمون العباسي، فغلب عدداً منهم، فأقرّ كلّ منهم له بالفضل وعلى نفسه بالقصور، فقال عنه المأمون: هو خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم. وكذلك حاور أهل الكتاب من النصارى واليهود

والصـــابئة والفـــرق المخـــتلفة التي ظهرت في عصره، فناقشهم في أُصول الإســـلام وموضـــوعات الجدل التي انتشرت في تلك الفترة، والتي كان من أهمها: القضاء والقدر. فقد قرروا بعلمهم أنه لاجبر هناك ولاتفويض، ولكن أمر بين أمرين، ويعني ذلك: أن قسماً منه من عندنا وباختيارنا نفعله بمحض إرادتـــنا، وقسماً آخر خارج عن إرادتنا نخضع إليه ولانقدر على دفعه، وهو مـــا يعنـــي: أنّـــنا نحاسب على الأوّل ولانحاسب على الثاني، فالإنسان في الحالتين مخير ومسير في نفس الوقت.

إلاّ أنّ الإمام عليه السلام قدّم تفسيراً صحيحاً لذلك فقال: من زعم أنّ الله يفعل أفعالـــنا ثمّ يعذبنا عليها، فقد قال بالجبر. ومن زعم أنّ الله فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه أي: الأئمّة عليهم السلام، فقد قال بالتفويض. والقائل بالجبر كافر وبالتفويض مشرك. أمّا معنى الأمر بين أمرين فهو وجود سبيل إلى إتيان ما أمـــر الله به، وترك ما نهى عنه. أي: أنّ الله سبحانه وتعالى أقدره على فعل الشر وتركه، كما أقدره على فعل الخير وتركه. فأمره بهذا ونهاه عن ذاك.

ومـــن العلـــوم التـــي اهتمّ بها الإمام عليه السلام ــ بجانب اعتنائه بعلوم أهل البيت عليهم السلام ونشر الدين والثقافة الإسلامية ــ الطب، فإنّه تميّز بمعرفته الطبيّة وعلـــوم الطـــب، الأمر الذي جعل المأمون العباسي يطلب منه إعداد بعض المعلومـــات الطبيّة التي تساعد في علاج عدّة من أمراض الجهاز الهضمي وغـــيره. فكتـــب إلـــيه الإمام عليه السلام رسالة مطوّلة أوضح فيها ما طلب، وهي الرســـالة الذهبـــية. كتـــبها إلى المأمون لمعرفة مايحتاج إليه: من الأطعمة والأشـــربة والأدويـــة، فســـرّ بها كثيراً، وأمر بكتابتها بالذهب، وحفظها في خـــزانة الحكمـــة، وســـمّـــاها (الرسالة الذهبية أو المذهّبة) وقال عنها: إنّها خرجت من بيوت الذين يوردون حكم الرسول صلى الله عليه وآله، وبلاغات الانبياء، ودلائل

الأوصـــياء، وآداب العلمـــاء، شـــفعاء للصـــدور والمرضى من أهل الجهل والعمى.

وتتميّز الرسالة بأنّها أوّل رسالة في الطب كتبها إنسان مسلم، فلم يكتب قـــبلها مثلها؛إذ كانت ماقبلها رسائل مترجمة من اليونانية والسريانية، قام بها النصارى السريان من بعض الأسر الشهيرة مثل أُسرة (بختيشوع وماسويه) أو نصـــارى عـــرب مـــثل: حنين بن إسحاق وابنه إسحاق، وثابت بن قرة الحراني وابنه سنان.

فالرســـالة التـــي كتبها الإمامعليه السلام حوالي عام ٢٠٠ هــ اعترف جميع كبار الأطباء بتقدم الإمامعليه السلام وفضله، أمثال: جبريل بن بختيشوع، ويوحنا بن ماسويه، وصالح بن بهلة الهندي، وغيرهم من أهل الحكمة والطب، فهي أوّل رســـالة اُلِّفـــت في الطب في التاريخ الإسلامي. فهي وإن استفادت من طب اليونان وغيره، إلا أنّها أضافت إليه، ممّا قدّمه الإمامعليه السلام من معلومات قيمة نقلها عن آبائه وأجداده، بالإضافة إلى تجاربه الشخصية ومعارفه الخاصة.

والرســـالة لاتزيد عن ١٤ صفحة، ولكن شرحها العلماء والحكماء في مـــئات الصفحات، مثلما قام به «محمّد بن محمّد صالح الشيرازي» الذي قدّم شرحاً وتفصيلا لها في ٤١٥ ورقة جاءت ضمن كتابه: عافية البرية. كما أنّ لهـــا نسخاً كثيرة مختلفة، ذكرت إحداها في رواية (محمّد بن جمهور القمي) تلميذ الإمام الرضاعليه السلام الذي صاحبه في خراسان حتى وفاته بطوس.

وتـــبدأ الرســـالة: بأنّ الله ــ تعالى ــ لم يبتل عبده المؤمن ببلاء حتى جعـــل لـــــه دواء يعالج به، ولكلّ صنف من الداء صنف من الدواء وتدبير ونعت.

أمّـــا الموضـــوعات التـــي تناولتها الرسالة فقد اختصت بتدبير الغذاء

والحمّام في مختلف فصول السنة، وما يناسب الإنسان من أطعمة ومقدارها، وأنــواع الرياضــة اللازمــة لــــه، والنكاح، وأهمية الاعتدال فيه، وأهمية الســواك، وأساليب استخدام الأدوية، وعمر الإنسان، وما يصلح لكلّ مرحلة مــن مراحله، ومقدار النوم الذي يحتاجه الفرد في كلّ مرحلة من عمره. كما تطرقت الرسالة إلى التشريح وعلم وظائف الأعضاء، وما يفعله الإنسان في الحضــر والســفر وفــي اختلاف فصول السنة، فصلا فصلا وشهراً شهراً، بالتقويم الشمسي منذ مارس وحتى فبراير.

وينهــي الإمام عليه السلام رسالته بذكر مراحل العمر الإنساني، فيقسمها إلى أربعة مراحل:

ـ مرحلة البناء والشباب، من أوّل عمره حتى سن ١٥ سنة.

ـ مرحلة القوة من ١٥ الى٣٥ سنة.

ـ مرحلة الحكمة والمعرفة من ٣٥ سنة.

ـ والمرحلة التي يتحول فيها إلى الهرم والنقص وذبول الجسم عندما ينام عند القوم.

وقــد وجــدت نظريات علمية في تلك الفترة بنيت على وجود عناصر أربعة وطبائع أربعة وأمزجة أربعة تختص بالانسان وتؤثر فيه.

فالعناصر الأربعة هي: الماء، والنار، والهواء، والتراب.

والأمزجة الأربعة في جسم الإنسان هي: الدم، البلغم، المرة الصفراء، المرة السوداء.

ولكــلّ واحد منها صفات ومكان ينبع منه، ولاتأثير في مزاج الإنسان وحركته وسكونه.

أما الطبائع الأربعة فهي: الحرارة، البرودة، الرطوبة، اليبوسة.

وتكون الغلبة لأحد هذه الأمزجة في كلّ مرحلة من عمر الإنسان، ففي سن الشباب تكون الغلبة للدم،إذ يكثر النشاط والاندفاع. وفي سن الرجولة ١٥ ـــ ٣٥ تظهر الغلبة للمرة الصفراء، وفيها تبرز حدة الفهم والذكاء والشجاعة. وفي الكهولة ٣٥ ـــ ٥٥ تصبح الغلبة للمرّة السوداء، والتى تتميّز بالصمت والتفكير والنظر في عواقب الأُمور. أمّا في الشيخوخة بعد سن الخمسين، فتكون الغلبة للبلغم، فيظهر العجز والفتور والنسيان والسكون والحلم.

وبالإضافة إلى هذه الرسالة العلمية العظيمة، فإنّ للإمام عليه السلام مصنفات كان أهمّها:

ـــ صحيفة الرضا، وهي: أحاديث رواها الإمام عليه السلام عن آبائه وأجداده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. جمعها الفضل بن الحسن الطبرسي[1].

ـــ مسند الإمام الرضا عليه السلام.

ـــ فقه الإمام الرضا عليه السلام[2].

ـــ رسالة في التوحيد.

ومن تفسيراته المميزة أنّه فسّر الآية: **(وهمت به وهم بها)** بأنّها همّت بالمعصية، وأنّه هم بقتلها؛ إذا أجبرته، فصرف الله عنه قتلها، وذلك لقوله تعالى: **(كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء)** يعني القتل والزنا.

وقد كان للإمام عليه السلام تلاميذ متميّزون اشتهر منهم: معروف بن الفيرزان الكرخي الذي كان نصرانياً فأسلم على يدي الإمام عليه السلام، وأسلم معه والداه

---

(١) طبع في لكنو بالهند ١٨٨٢، ثمّ في طهران ١٩٥٨ وفي النجف ١٩٧١ وفي دمشق ١٩١٦ ثم ١٩٧٥.

(٢) طبع في طهران ١٩٥٤ وقدّم له محمّد مهدي بحر العلوم.

وإخوانه.

ومن تلاميذ معروف: سري السقطي الذي تتلمذ عليه ابن أُخته: الجنيد العالم الرباني الزاهد، وشيخ الطائفة في زمانه.

الإمام محمّد الجواد عليه السلام:

فقـد قـدّم أجوبـة صـحيحة لعدّة مسائل عرضت عليه تخصّ الحياة والأفـراد فـي المجـتمع، فحدّد لها الحلول المناسبة، وأشهرها ما ذكره عن سـرعة تـزويج البـنات عندما يتقدّم لهنّ من لـه الخلق والدين، كما أمر الرسـول عليه السلام، وعدم إكراه البنات على الزواج؛ إذ إنّ الأمر أمرها، لا لأبيها ولا لعمّهـا. وما عرض لـه بالنسبة لشهادة الزوج إذا قذف امرأته، فشهادته هي أربع شهادات بالله، ولايجوز لغيره ذلك؛ لأنّ الزوج هو الشخص الوحيد الذي يمكنه الدخول على زوجته ويراها بنفسه، فلايجوز لغيره الدخول عليها، ولو كان ولداً أو أخاً، فيقام عليه الحد وعلى غيره إذا ذكر أنـّه رأها بعينه.

وقـال عن العلم: «عليكم بطلب العلم فإنّ طلبه فريضة، والبحث عنه نافلـة، وهـو صلة بين الإخوان، ودليل على المروءة، وتحفة في المجالس، وصاحب في السفر، وأنس في الغربة».

وهـو يرى أن العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولاينفع مسموع إذا لم يكن مطبوعاً.

ـ ومن عرف الحكمة لم يصبر عن الازدياد منها.

ـ الجمال في اللسان والكمال في العقل.

الإمام علي الهادي عليه السلام:

حدّث عن أجداده وعن الإمام عليّ عليه السلام والرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: إنّ ما ينطقون به ويتحدثون به، ويحكون، هو من صحيفة بخط الإمام عليّ عليه السلام وبإملاء الرسول صلى الله عليه وآله نتوارثها صاغراً عن كابر.

وله عليه السلام رسالة في الجبر والتفويض، كتبها إلى أهل الأهواز حينما سألوه في ذلك[١].

وقد كثر التأليف والكتابة في عهد الأئمّة الكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام، وانتشر الرواة عنهم.

ــ واشتهر من تلاميذ الإمام الجواد عليه السلام:

ــ الحسين سعيد وأخوه الحسن.

ــ أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي.

ــ أحمد بن محمّد بن خالد البرقي.

ــ أيوب بن نوح.

ــ أحمد بن محمّد بن عيسى.

وانتقلت كتبهم بين الناس حتى اليوم ممّا يدلّ على العلم الغزير المتطوّر.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

كان واسع العلم والمعرفة، فسّر ما غمض من المعالم، فقد فسّر الأُمّي بأنّه منسوب إلى أُمة كما يخرج الإنسان من بطن أُمه لايقرأ ولايكتب.

ونقل عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «خير خلق الله بعد الأئمّة عليهم السلام

---

(١) كتاب الإمام الهادي عليه السلام للسيد كاظم القزويني: ص ٤٩٠.

العلماء اذا صلحوا، وشرار خلق الله بعد إبليس العلماء إذا فسدوا» وكان يرى أنّ العبادة ليست في كثرة الصيام والصلاة، وإنّما هي كثرة التفكر في أمر الله.

وإنّ قلب الأحمق في فمه، وفم الحكيم في قلبه.

ومن العلماء الذين اتّصلوا بالإمام عليه السلام: أبو سهل النوبختي من شيوخ المتكلمين الذي كتب في الأُصول، وهو من فقهاء القرن الثالث الهجري وأبرز من كتب في الفقه الإمامي حتى أواخر القرن الثالث الهجري.

واشتهر من آل نوبخت: الحسن بن موسى النوبختي، الفيلسوف والمتكلم والفقيه الشيعي.

وقد عمل الفقيه الجليل (يونس بن عبدالرحمن) صاحب الإمام عليه السلام كتاباً في أعمال اليوم والليلة، وعرضه أبوهاشم الجعفري على الإمام عليه السلام فتصفحه كلّه وقال: «هذا ديني ودين أبائي كله وهوالحق كله» فأبوهاشم لم يعتمد على سعة علم يونس والتزامه بدينه حتى عرض الكتاب على الإمام عليه السلام ليستعلم رأيه فيه. كما عرض عليه كتاب الشيخ الجليل فضل بن شاذان وقال: «جعلت فداك أردت أن تطالع هذا الكتاب وتصفحه فقال عليه السلام: هذا صحيح ينبغي أن تعمل به».

وقد روى الإمام عليه السلام كثيراً من الأحاديث والروايات عن آبائه وأجداده في كثير من الموضوعات، وقدّم تفسيراته وعلومه في صورة حلقات وشكل محاضرات تملى على شخص أو شخصين من شيعته، استمرت لمدة ٧ سنين كانوا يكتبونها، فقدّم أكبر ثروة علمية في علوم القرآن.

فقد شرح الأية، (**الذي جعل لكم الأرض فراشاً**) جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم، فلم يجعلها حارة أو باردة.

وعـن إبلـيس قال: «إنه لم يكن ملكاً، بل من الجن: (...**فسجدوا إلا ابليس كان من الجن**...)[١]

وعـن أوقات الصلوات قال: إنّ صلاة الجمعة هي: صلاة الظهر كما في الآية الكريمة: (...**إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة**...)[٢].

وصلاة العصر هي: الطرف كما في الأية: (**وأقم الصلاة طرفي النهار وزُلَفـاً مـن الليل إنّ الحسنات يذهبن السيئات**...)[٣] فالطرف هو: صلاة العصر. وأيضاً في آية: (**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**...)[٤]

وصـلاة العشاء: (**أقم الصلوة لدلوك الشمس إلى غسق الليل**...)[٥]

وصلاة الليل: (**يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا**)[٦]

(...**أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار**...)[٧]

وصـلاة الليل فرض مثل الأوقات الخمس، ولولا صلاة ثمان ركعات لماتت واحدة وخمسون ركعة.

ومن فتاواه الفقهية: أنّ على المسافر أن يذكر في دبر كلّ صلاة يقصّر فـيها: سـبحان الله، والحمـد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ٣٠ مرّة لتمام

---

(١) الكهف، ٥٠.

(٢) الجمعة، ٩.

(٣) هود، ١١٤.

(٤) البقرة، ٢٣٨.

(٥) الإسراء، ٧٨.

(٦) المزمل، ١ـ٢.

(٧) المزمل، ٧٣.

الصلاة.

وقـال لشـيعته: إنّكـم بلغـتم منزلتكم عند الله بالله، وبطاعتكم إياه، واجتهادكم بطاعته، وعبادته وموالاتكم لأوليائه، ومعاداتكم لأعدائه.

وقـال: إنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال: «إنّ الله قد خصّه صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام وشيعته بعشر خصال:

١ ــ صلاة إحدى وخمسين	٢ ــ التختم باليمين
٣ ــ تعفير الجبين	٤ ــ الأذان والإقامة مثنى
٥ ــ حيّ على خير العمل	٦ ــ الجهر في بسم الله الرحمن الرحيم، والآيتين
٧ ــ القنوت	٨ ــ صلاة العصر والشمس بيضاء نقية
٩ ــ صلاة الفجر مغلّسة	١٠ ــ اختضاب الرأس واللحية والوشمة(١).

وقد أثّر الإمام عليه السلام في عقلية الفيلسوف إسحاق الكندي الذي انشغل في تأليف تناقض القرآن، حتى إنّه أحرق جميع ما ألّفه، فجعله يتخلّص ممّا كتبه عن القرآن، ويحرق آراءه.

وفي زمن الغيبة الكبرى كان العصر فترة نور ومعرفة وبروز علماء أفـذاذ قاموا بالتفسير والكتابة والتأليف والقراءة، ممّا يوضح أنّ تلك الأُمور المعرفـية قـد تيسّـرت للـناس، وازداد عدد العلماء في جميع أنحاء العالم الإسـلامي، وسهل الاتّصال بهم للتعرف على أُمور دينهم، الامر الذي مكّن العلمـاء أن يلعـبوا دور الأئمّـة عليهم السلام في تنوير الناس بأُمور دينهم ودنياهم وقـيادتهم سياسـياً وعلمياً، وليس كما قيل من بعض المفكرين(٢)، إنّ غيبة

(١) الهداية الكبرى، ص٣٤٧، ط: مؤسسة البلاغ.

(٢) كتاب (المتآمرون على المسلمين).

الإمــامعليه السلام كانت فرصة للخلافة أن تلعب وتحكم كيفما تريد دون أي رادع؛ لعــدم وجود إمام في الساحة. إنّ دور الأئمّةعليهم السلام في تنوير الناس وإرشادهم كــان بوجود أجهزة الدولة الإسلامية سواء كانت أُموية أو عباسية، فقد كان هناك اعتراف بدورهم القيادي في المجتمع الإسلامي.

وفــي القــرون الثلاثة الأولى للهجرة كان الناس يسيرون على مذهب أئمة أهل البيتعليهم السلام؛ إذ لم تكن المذاهب الأربعة قد انتشرت بعد؛ لأنّها تقدمت منذ أواسط القرن الرابع الهجري.

الفصل الثاني

جهود الأئمة عليهم السلام في الدفاع عن الإسلام ودورهم في محاربة الأفكار الهدامة والتيارات المستجدة

ويتناول هذا الفصل مبحثين مهمين كان لهما أثرهما في حياة المجتمع الإسلامي ومسيرته خلال القرون الثلاثة الأُولى للهجرة، فقد ظهرت فرق وفئات متعدّدة أثناء العصرين الأُموي والعباسي، كان للائمة عليهم السلام دورهم الإيجابي في التصدّي لها وإيضاح مقاصدها وأهدافها الحقيقية إلى الناس من جهة، والمحافظة على نقاوة الدين الإسلامي ومبادئه الكريمة من جهة أُخرى. وانقسمت تلك الفرق إلى قسمين:

ـ فرق دينية ودورها في هدم أركان الدين الإسلامي.

ـ فرق المتصوّفة ودورها السلبي في المجتمع الإسلامي.

المبحث الأوّل:

الفرق الهدّامة ودور الأئمّة عليهم السلام نحوها:

سعى كلّ حزب من الأحزاب التي برزت في المجتمع الإسلامي إلى تأكيد اتجاهه وتبرير موقفه وأهدافه في صراعه مع الحزب الآخر، بكلّ الوسائل والاتجاهات حتى لو أدّى الأمر إلى انتحال الأحاديث النبوية واصطناع الروايات المختلفة؛ وذلك للطعن في مواقف خصومه، وعلى الأخص إذا علمنا أنّ التدوين التاريخي لم يكن قد حدث بعد، ولم تبرز أُصوله وأُسسه، بل تناول الرواة أحداث التاريخ ووقائعه بالحذف والتحريف والتبديل

والوضع؛ لكي يوافق أهواءهم، ويساير نحلهم ومذاهبهم.

وفي الحقيقة: أنّ الأفكار الهدّامة والمنحرفة قد بدأ ظهورها منذ أيام الرسول صلى الله عليه وآله وليس بعده، فقد قامت حركات انفصالية وأفكار مضادة للمبادئ الإسلامية منذ أيامه صلى الله عليه وآله مثلما نادى به مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وفرق من المرتدين، وغيرهم من الذين قاوموا النبي صلى الله عليه وآله ورسالته السماوية ومبادئ الإسلام الكريم. ثمّ اتّسع نطاق تلك الحركات والأفكار، وتعدّدت فرقها وأحزابها في أيام الإمام عليّ عليه السلام الذي وضع كلّ إمكاناته الفكرية وقدراته السياسية وخططه العسكرية لمواجهة هذا الخطر الداخلي الذي كان من شأنه أن يضعف الجبهة الداخلية لقوة الإسلام والمسلمين حتماً إذا لم يضع له حداً. كما أنّ الإمام الحسن عليه السلام رفض التعامل مع مدعي التشيع، فقال عنهم: إنّ هؤلاء يزعمون أنّهم لي شيعة وابتغوا قتلي، وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي. ولمّا قيل له عليه السلام إنّ هذه الشيعة تزعم أنّ علياً مبعوث. قال: «كذبوا ما أُولئك بشيعة».

وكذلك الإمام الحسين عليه السلام عرف عنه أنّه حارب هؤلاء المدعين الذين زعموا أنّهم من أوليائه، ثمّ حاربوه، فقتلوه مع أهل بيته، وهم الذين كانت قلوبهم معه، وسيوفهم مشهورة عليه.

وفي العصر الأُموي ثارت مشكلات وظهرت عقائد، وتركّز الاتجاه على إثارة الاختلاف بين العلماء والفقهاء، وتقسيم المسلمين إلى أحزاب وشيع، دبّرها وخطّط لها (يوحنا الدمشقي) الذي عمل في بيت مروان بن الحكم، كما عمل أبوه كاتباً لمعاوية. واختلقت شخصيات وهمية تدعو إلى تخريب سمعة الخصوم، مثلما خلقوا شخصية عبدالله بن سبأ الذي نسبت إليه أُمور دينية ومذهبية؛ لتخريب سمعة الإمام عليّ عليه السلام وشيعته، من دون

الــرجوع فــي بحــث تلك الأُمور المذهبية إلى مصادرها الأصلية. كما أنّ الخوارج أظهروا نظريات ومبادئ جديدة كان لها الأثر في المجتمع الإسلامي والشعوب الجديدة الداخلة حديثاً في الإسلام، فقد استهوتهم آراؤهم وأفكارهم السياســية والدينية، فأيّدوهم وانضموا إليهم، فكانوا يجوزون الإمامة في غير قريش، وصحة عدم وجود الإمام أصلا، فإن احتيج إليه فإنّه يجوز أن يكون عبداً أو حراً أو قريشياً أو من غير هؤلاء. كما قرروا أنّ الخلافة هي شورى بيــن المسلمين، وأنّ الخليفة مرغم على قبول الخلافة، فلا يحقّ لــه التنازل عــنها، ولما كانوا واثقين من أنفسهم ورأو الحق في جانبهم، فإنّهم رأوا أنّهم الفــئة المسلمة حقاً، وأنّ من سواهم يجب جهادهم؛ لردهم إلى حظيرة الدين، وهم مثّلوا النزعة البدوية، فلم يعترفوا بحقّ قريش في الخلافة، كما لم يقبلوا مبدأ الوراثة في الحكم، الأمر الذي دفعهم إلى محاربة الأمويين، على أساس مــبدئهم الذي ينادي بتكفير مرتكب الكبيرة، وأنّ العبد يصبح كافراً بالذنب. فانضمت إليهم الطبقات المعدمة في المجتمع والموالي على الخصوص.

إلاّ أنّ تأثيرهم الكبير كان في ميل المعتزلة إليهم، وذلك لتشابه الأراء فــي نظام الحكم والخلافة معهم؛ إذ كان المعتزلة ينادون في اختيار الخليفة: أنّــــه مفوض إلى المسلمين. ويرى بعض أنّهم كانوا ضمن حزب الخوارج وانشــقوا عنهم، فقد كان شيخا المعتزلة: واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد يوافقان الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة مع قولهم أنّــه ليس بكافر، كما أنّ الحسن البصري وافق على معظم أراء الخوارج.

ولكلّ ذلك اشتد خطرهم أيام الأُمويين الذين ضعفوا أمامهم، فلم يتمكّنوا مــن التخلص منهم ومن آثارهم في المجتمع، ممّا اضطرّهم إلى خلق حزب المرجــئة لمناهضــتهم والتقليل من خطرهم أو القضاء عليهم؛ إذ إنّ هؤلاء

المرجــئة خــرجوا بأفكار تعاضد الحكم الأُموي وسياستهم وإدارتهم للدولة الإســلامية، فكــانوا يرجــئون الأُمويين في أفعالهم إلى يوم القيامة، ويرون شــرعية حكومــتهم، ونــادوا بــأنّ الإيمان هو المعرفة بالله ورسله، وبأداء الفــروض، والكــف عــن الكبائر، فمن آمن بالله ورسله، وترك الفرائض، وارتكب شيئاً من الكبائر، كان مؤمناً عندهم، وهو الذي اعتبر كافراً في نظر الخوارج.

إلاّ أنّ أمر الخوارج قد ضعف بعد نهاية الدولة الأُموية، فانقسموا إلى عــدّة فــرق توزعت في أنحاء الدولة، وعرف كلّ منها باسم زعمائها حتى وصــلت تلــك الفرق إلى عشرين كان أهمها: الأزارقة، النجدات، الصفرية، الصــلتية، الأخمســية، الرشــيدية، الخمرية، الإبراهيمية، الواقفة، الإباضية والبيهسية.

ومن الخوارج المرجئة:

ــ المريســية: وهم مرجئة بغداد أتباع بشر بن غياث المريسي. مات ٢١٩هــ .

ــ الكرامــية: أصــحاب أبي عبدالله محمد بن كرام السجستاني. مات ٢٥٥هــ .

أجازوا وجود إمامين في وقت واحد، كالإمام علي عليه السلام ومعاوية، الذين أوجبوا طاعتهما واتباعهما.

ومن الخوارج: الحفصية وهم إباضية أصحاب حفص بن أبي المقدام. ادّعوا في الإمام علي عليه السلام أنّــه الحيران. وان الآية: **(ومن الناس من يعجبك قولــــه فــي الحياة الدنيا)** تعني الإمام علي عليه السلام. والآية: **(ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله)** تعني عبدالرحمن بن ملجم قاتله.

وفي هذه الفترة حاول الإمام عليّ عليه السلام بكلّ جهده أن يصحّح سلوك هؤلاء الخارجين على الدين: من خوارج، ومرجئة، وسبئية وغيرهم، فحاربهم ودعاهم إلى الاستقامة وعمل على إرشادهم، إنقاذاً وتخليصاً من هدمهم للدين ونقض للعقيدة أو التشكيك بها، فحارب المناوئين والمنشقين من الخوارج، وحاورهم محاولا تصحيح أفكارهم وردهم إلى الصواب والطريق السليم، ولمّا يئس منهم اضطر إلى إعلان الحرب عليهم حتى يقلّل من خطرهم على المجتمع الإسلامي، وظهر هناك من نسب الألوهيّة للإمام عليه السلام وهم الغلاة الذين حاربهم الإمام عليه السلام بكلّ شدّة، وعرّفهم للمسلمين في أقواله المتعدّدة محذراً منهم، فذكر عنهم: بُني الكفر على أربع دعائم: الفسق، والغلو، والشك، والشبهة. كما أنّه أحرق السبئيّة؛ لما شاهدهم يأكلون نهاراً في شهر رمضان معلّلين موقفهم بقولهم له: أنت أنت، أي: أنه هو الله.

فالإمام عليّ عليه السلام لم يضعف أمام تلك الفرق والأفكار الهدّامة، بل واجهها بكلّ ما أُوتي من قوّة وبأس للتخلّص من أثرهم وما سيصلون إليه من نتائج مدمّرة، فهو حارب هؤلاء من جهتين، تفاني أحدهما في حبه، والآخر في بغضه، وهو ما بلّغ عنها الرسول صلى الله عليه وآله الذي قال للإمام عليّ عليه السلام «يهلك فيك اثنان: محب غال ومبغض قال».

أمّا الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام فقد حاربا الفرق المناوئة، وجهدا في العمل على بقاء مبادئ الإسلام نقية صافية، وقد ناظر الإمام الحسين عليه السلام الخوارج وخاصة (نافع بن الأزرق) زعيم الأزارقة، وأوضح له صفات الله عزّ وجلّ.

وما تضحية الإمام الحسين عليه السلام إلاّ في سبيل بقاء الإسلام واستمرار مبادئه خالصة من دون تحريف أو تزييف، فلمّا تيقن أنّ الإسلام سائر إلى

طريق منحرف يرأس حكومته منحرف، لم يبخل في أن يقدّم نفسه وأهل بيته تضحية في سبيل الله ودينه.

أمّا الفرق التي ظهرت بعد وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام في سنة ٩٥ هـ فكثيرة، فهناك فرق عدّة ادّعت التشيع، أو أنّها ضمن فرق شيعية، مثل الكيسانية، وجماعة قالت بانقطاع الإمامة بعد الإمام الحسين عليه السلام وفرقة دعت إلى إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام وفرقة أُخرى ساقت الإمامة إلى ابنه (زيد) وهم:

الزيدية: الذين أوجبوا طاعة الإمام سواءً كان من أولاد الحسن عليه السلام أو الحسين عليه السلام. ومالت بعض المدن إلى التشيع كالكوفة التي سكنتها أغلب القبائل العربية وخاصة همدان من اليمن، فأصبحت موطناً رئيساً للشيعة والتشيع في الأدوار الأُولى من حياة الشيعة في حياة الأئمّة عليهم السلام، وكذلك الأمر في خراسان والري وإصفهان وجرجان، إلاّ أنّ غالبية الشيعة كانوا من الغلاة والزيدية في القرنين الأوّل والثاني للهجرة، فقد كانت الإمامية أقلية في المناطق الشرقية من الدولة الإسلامية في القرون الثلاثة الأُولى للهجرة؛ إذ انتشر المذهب الإمامي في (قم) قادماً من الكوفة.

والكيسانية: الذين اعتبروا من الغلاة فقد قالوا في الإمام عليّ عليه السلام قولا عظيماً وشنيعاً، كما أقرّوا إمامة محمّد بن عليّ (بن الحنفية)، ونادوا بالتناسخ، فزعموا أنّ الأرواح تتناسخ، وتوسّعت دائرة الإمامة عندهم، فلم تقتصر على آل أبي طالب، بل شملت بني هاشم، وذكرت فرق منهم أنّ ابن الحنفية هو المهدي. وأمّا الراوندية التي هي منهم فقد جعلت الإمامة في ولد العباس، وهم أتباع عبدالله الراوندي، قالوا بوصاية عبدالله بن الحنفية إلى محمّد بن عليّ بن عبدالله بن العباس، وأن أبا جعفر المنصور هو الله، كما خرجت منهم الأبو

مسلمية أصحاب أبي مسلم الخراساني الذين نادوا بإمامته وأنّــه حي. وكذلك الرزامــية أصــحاب رزام، فإنّ أصلهم مذهب الكيسانية، ساقوا الإمامة إلى محمّــد بن الحنفية، ثمّ إلى ابنه هاشم، ثمّ إلى عليّ بن عبدالله بن عباس. وقد ظهروا بخراسان أيام أبي مسلم، فأفرطوا فيه حتّى قالوا إنّه خير من جبرائيل والملائكة، كما انتظروا رجوعه؛ لأنّه لم يمت حسب اعتقادهم. وهم يعرفون ـ أيضاً ـ بالبركوكية الذين رأوا أنّ أبا مسلم لم يقتل، ولكنّه شُبّه للناس.

أمّــا البيانية: أتباع بيان بن سمعان النهدي التميمي اليمني، فقد برزوا أيــام الإمــام الباقر عليه السلام كانوا من الغلاة القائلين بأُلوهية الإمام عليّ عليه السلام. وقد راسل الإمام الباقر عليه السلام يدعوه لنفسه، فأمر الإمام عليه السلام رسوله أن يأكل قرطاسه فمــات في الحال. وادّعى بيان: أنّ الإمامة انتقلت من محمّد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبدالله بن محمّد، فانتقلت منه إلى بيان[١]. كما ظهر زياد بن المــنذر العــبدي أبو الجارود الذي سمّــاه الإمام الباقر عليه السلام سُرْحوب، وهو شــيطان أعمــى يســكن الــبحر؛ لأنّ الإمام عليه السلام رآه أعمى القلب والبصر. واعتبروا محمّد بن عبدالله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب المهدي المنتظر الذي لم يمت، كما أنّ منهم من قال: إنّه القاسم بن عليّ بن عمر بن الحسين صــاحب الطالقــان في خراسان، وذكر آخرون منهم أنه: يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام.

وقــد وضــع زياد الأحاديث في مثالب أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وروى فضائل أهل البيت ممّــا لاوجود لها من أُصول[٢].

---

(١) أحرقه والي العراق عبدالله القسري في ١١٩هـ.

(٢) مات بعد ١٥٠هـ.

وقد تبرأ الإمام الباقر عليه السلام منه ومن غيره من الغلاة مثل: أبي منصور العجلـــي الذي دعا إلى إمامة الإمام الباقر عليه السلام ثمّ إلى نفسه من بعده على أنه وصيّه. كما ادّعى النبوة، وأعطى الصفات الإلهية لنفسه، فتبرأ منه الإمام عليه السلام وطـــرده، كما أنّ الإمام الصادق عليه السلام لعنه بعد ذلك[1]. وسمى أتباعه بالكسفية أو المنصورية.

ـ الهاشمية: أجمعت على أن محمد بن الحنفية أوصى إلى ابنه عبدالله المعروف بأبي هاشم بالإمامة بعده.

ـ اليعقوبـــية: وهـــم زيدية أصحاب يعقوب بن عدي رأوا في الإمام علي عليه السلام أنـــه أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتخذوا زيد بن علي اماماً.

الجناحـــية: أصـــحاب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الطيار: وقالوا بالتناسخ، وأن المحرمات في القرآن هي كنايات عن قوم ينبغي بغضهم كأبـــي بكـــر وعمـــر وعائشة، والعبادات هي جماعة من أهل البيت ينبغي موالاتهـــم. وهـــم يكفرون بالقيامة، فكفروا بالجنة والنار، واعتقدوا في نبوة عبدالله وأنـــه الرب حي لم يمت.

ـ الكربـــية: أصحاب أبي كرب الضرير، رأوا في محمد بن الحنفية أنـــه المهدي المنتظر.

ـ المحمّديـــة: وهـــم ينتظرون محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام فلم يمت وهو حي في جبل حاجز بنجد يعيش حتى الخروج.

ـ الزنديقية: وهم من المغالين الذين رفضوا تعاليم الدين بحجة تحرير الفكر، ونفوا الربوبية عن الخالق.

---

(١) وهو من عبدالقيس، قتل في سنة ١٢٠هـ .

ـ الضرارية: أصحاب ضرار بن عمرو ظهر أيام واصل بن عطاء، فرقة من الجبرية، رأوا صلاحية الإمامة في غير قريش، وإمكانية تقديم النبطي على القرشي لقلة عدده، مما يمكن من خلعه إذا خالف الشريعة.

ـ العلبائية: غلاة من أصحاب العلبا بن ذراع السدوس، فضلوا علياًعليه السلام على النبيصلى الله عليه وآله؛ لأنّه هو الذي بعث محمداًصلى الله عليه وآله فدعا لنفسه بدلا من الإمامعليه السلام.

ـ القدرية: وشيخهم أبو الهذيل العلاف، نسبوا التقدير إلى أنفسهم لا إلى الصانع، وقد وقف معظم الصحابة أمامهم، حيث وردت أخبار مؤكدة عن النبيصلى الله عليه وآله في ذمهم ولعنهم بقولهصلى الله عليه وآله: القدرية مجوس هذه الأُمة كما ذكر عنهم الإمام عليعليه السلام: أنهم يهود هذه الأمة.

ـ البترية: وهم زيدية أتباع كثير النواء الذي كان لقبه الأبتر، وهم أنكروا الرجعة، واعتقدوا أن الإمام عليعليه السلام لم يصبح إماماً إلاّ بعد بيعته.

أمّا المغيرية: التي تُنسب إلى المغيرة بن سعيد البجلي فقد ادّعى أنّ الإمام الباقرعليه السلام أوصى إليه بالخروج حتى يظهر المهديعجل الله فرجه الذي حدّده بأنّه: محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن الذي استشهد في عصر أبي جعفر المنصور. وقد عمل على إخراج الإمامة من إطارها البشري، فرفع الأئمّة إلى مصاف الآلهة مستغلا ذلك لمصلحته؛ لأنّ المغيرة وبياناً وصائداً، نصّبوا أنفسهم أنبياء، وآل محمد أرباباً خالقين. ثمّ ذهب المغيرة إلى أبعد من ذلك، فزعم أنّه رسول يوحي إليه جبرائيل من عند الله، كما قال بالتناسخ، فانتقلت بذلك روح الإمام الباقرعليه السلام من جسده، وحلت في جسد المغيرة، ثمّ في روح ابنه عبدالله. وقد أدّى موقفه وأفكاره إلى تطور خطير أثّر في

المذاهب والفرق الهدامة[١].

أمّا في عصر الإمام الصادق عليه السلام فقد ظهرت عدّة فرق ونحل، واجهها الإمام عليه السلام بكلّ قوّة ونشاط وجرأة وعلم؛ ليبعد عن الإسلام تلك الشوائب ويحميه من الأخطار المهدّدة له، فهو لم يقبل تمويهاً في الدين ولاستر ضلالا، بل تبرّأ من هؤلاء الغلاة ولعنهم وطردهم. وكان أشهرهم: أباالجارود، وأباالخطاب. الذي تبرّأ منه ولعنه حينما عرف بغلوّه الباطل في حقّه، بل أمر أصحابه بالبراءة منه، وشدّد في ذلك بالقول لشيعته: «لاتعاهدوهم، ولاتواكلوهم، ولاتشاربوهم، ولاتصافحوهم، ولاتناكحوهم، ولاتوارثوهم».

فالخطّابيّة أصحاب أبي خطاب محمّد بن أبي زينب الأجدع الأسدي[٢]: ظهر بالكوفة وقال بالغلوّ، فادعى: أنّ الإمام الصادق عليه السلام جعله وصيّه بعده، وعلّمه اسم الله الأعظم، ثمّ ترقّى إلى ادّعاء النبوّة والرسالة، وأنّه من الملائكة ورسول الله إلى أهل الأرض، واستغلّ علاقته القوية بالإمام عليه السلام، فقد كان من تلاميذه، فاتّخذ الصلة والعلاقة به جسراً لتحقيق أهدافه. ومن مبادئه الجديدة التي خرج بها: أنه أحلّ المحارم: كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وترك الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، كما أباح الشهوات وقال: بالتناسخ في الأرواح. وزعم أنّ الله ــ سبحانه وتعالى ــ ظهر في خمسة أشباح وصور، فقد ظهر في صورة محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كما أنّه جعل الصادق عليه السلام إلهاً، إلاّ أنّه جعل نفسه في مرتبة أعلى، فكان أعظم

---

(١) قتل في ١١٩هـ.

(٢) وقد خرج على أبي جعفر المنصور الذي قتله في سنة ١٤٣ هـ .

من الإمام الصادقعليه السلام ومن الإمام عليعليه السلام.

وظهــرت الفــرقة الناووســية: وهم الذين رأوا أنّ الإمامة في الإمام الصادقعليه السلام ولكنّه لم يمت، وأنــّه حي.

والســميطية: وينسبون إلى رئيس لهم هو: يحيى بن أبي السميط الذي كــان أحــد قــواد المختار بن أبي عبيدة الثقفي. وكانوا من أصحاب الإمام الصادقعليه السلام، وقالوا: إنّ الإمام بعده هو ابنه محمّد بن جعفر الملقب بالديباج.

والكيّالية: أتباع أحمد بن الكيّال، الذي كان من دعاة أهل البيتعليهم السلام بعد الإمام الصادقعليه السلام.

والمزدكية: الذين ألّهوا الإمام الصادقعليه السلام، وقالوا: إنّ النور خرج منه إلى أبي الخطاب.

والعمــيرية: أصحاب عمير بن بيان العجلي، الذين اجتمعوا في خيمة بكناسة الكوفة للتفرغ إلى عبادة الإمام الصادقعليه السلام[1].

والفطحية أو الأفطحية: قالوا بإمامة عبدالله بن جعفر الصادقعليه السلام أكبر أخوتــه بعــد إسماعيل. وقد سُمّي عبدالله الأفطح؛ لأنّه لم يعش بعد أبيه إلاّ سبعين يوماً، ولم يعقب ولداً ذكراً.

والمباركية: الذين أقرّوا بإمامة محمّد بن اسماعيل بعد أبيه إسماعيل بن الإمام الصادقعليه السلام.

ومن الفرق الاُخرى التي برزت الجْهمية، وهم: الجبرية الخالصة أتباع أبــي محرز جهم بن صفوان الراسبي، وكان من رأيهم: أنّ الإنسان لا إرادة لــه ولا اختيار ولا استطاعة، إنّما هو مجبور في أفعاله كلها؛ لأن الله يخلقها

---

(١) صُلب في ١٢١ هــ.

فيه كما يخلقها في سائر الجمادات. إلاّ أنّـه بالرغم من أفكاره هذه فقد اختار الخروج على السلطة، وحمل السلاح بجانب الحارث بن سريج ضد نصر بن سيار، فقتل في (مرو) أيام مروان بن محمّد ١٢٨ هـ .

والعمـروية: أصـحاب عمـرو بن عبيد بن باب[١]،كان بصرياً من أصـحاب الحسن البصري، خالفه فاعتزله، فهم من المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء المتوفى ١٢١ هـ .

والمعـتزلة: ويسـمّون أصـحاب العـدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، وقيل في سبب تسميتهم: إنّ واصل بن عطاء اعتزل السُنّة، أو إنّهم قـالوا بالمـنزلة بين المنزلتين، أي: ركنوا إلى الحياد. وقد انقسموا قسمين: بصـريين وبغداديـن، كفّـر أحدهما الآخر. وهم سايروا مذهب القدر: إنّ الإنسان مخير، فالأمر بدأ عند الله، وليس ثمّة أمر مكتوب في الأصل، وقد تأثـروا فـي آرائهم وأفكارهم بالسنّة، وبعض الشيعة، كما تأثر بعض منهم بـالخوارج. كمـا يرون أن الشخص هو الذي يخلق أفعاله بنفسه فهو بذلك مستحق للثواب فيما يعمله من خير ومستحق للعقاب فيما يرتكبه من أثام. فهو مسؤول عن أفعاله مسؤولية كاملة يثاب على الخير ويعاقب على الشر.

ومرتكب الكبيرة عندهم: إنه ليس مؤمن مطلقاً ولاكافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر. وإذا خرج من الدنيا على كبيرة مـن غـير توبة، فهو من أهل النار خالد فيها؛ لأنّـه في الأخرة لايوجد إلاّ فريقان: فريق في الجنة وآخر في النار، لكن عذابه أخف من عذاب الكفار.

واعـتمدوا علـى العقل في تقرير مبادئهم ثم اعتمدوا على الفلسفة في

---

(١) مات في طريق مكة ١٤٢ هـ .

عصـــر النهضة العلمية في العالم الإسلامي، فتصدوا للدفاع عن الإسلام ضد مناوئـــيهم وردوا علـــى ما أثاره اليهود والنصارى والمجوس من شكوك في الدين الإسلامي.

وقد جوز أكثرهم الطعن على الصحابة وهاجموهم وشككوا فيهم حتى إنهـــم وصـــلوا إلى تفسيقهم أحياناً. وقالوا بخلق القرآن مما دعى الناس إلى الانعزال عنهم وتدهور مذهبهم.

وقـــد اشـــتهرت منهم طوائف، كان أهمها: الثمامية أصحاب ثمامة بن أشرس النميري الذي كانت له أخبار وأحداث مع المأمون والرشيد، كما ذكر عـــنه: أنّ الإلحاد تغلب عليه، وقيل إنّه أغرى الخليفة الواثق العباسي بالعالم أحمد بن نصر المروزي الخزاعي في محنة القرآن.

الجبرية: ترى أن أفعال الإنسان الحمية والرذيلة ليست من عمله، وإنما هـــي من خلق الله أجراها على يد الإنسان فالعبد ليس لـــه فعل ولاقدرة على فعل. فالمؤمن من لايكفر بما يرتكبه من كبائر؛ لأنه مجبر على ارتكابها. أي مجبور في أفعاله لاقدرة ولا اختيار.

كمـــا ظهرت الرافضة الذين رفضوا مبادئ وأهداف زيد بن عليّ الذي اشترط في الإمام: أن يعلن الثورة على الحاكم الجائر ويجاهده. وهو ما دعى الـــبعض أن يعيـــب عليه ذلك، خاصة زعيم المعتزلة واصل بن عطاء الذي حاوره عن ذلك بقوله: إنّه على قضية مذهبك فإنّ والدك ليس بإمام؛ لأنّه لم يخرج قط، ولاتعرّض للخروج.

وقد جاهد الإمام الصادقعليه السلام بكلّ ما لديه من سلطان ضد هؤلاء الغلاة وتلك الفرق المنحرفة. فقد تبّرأ ممّا كان ينسب إليه الغلاة، ولعنهم، ودعا إلى تـــركهم والابتعاد عنهم، فبرئ من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم من

القــول بالتناسخ والحلول والتشبيه، وبرئ من الاعتزال والقدر، فتبرّأ من كلّ هــؤلاء المدعيــن والمغاليــن وطردهم، فقد كان القوم كلّهم حيارى ضالين جاهلين وبحال الأئمّة تائهين.

وقــد خــرج الإمــام عليه السلام إلــى العراق ليناقش زعماء مذاهب الإلحاد والــزندقة، فلم يكتفِ بالحكم عليهم بالكفر واللعن، بل ناقشهم بالمنطق، حتى اقتــنع كثــير مــن الــزنادقة والملاحدة والوثنيين بالإسلام، فأسلموا وحسن إســلامهم، حتى إنّهم أثّروا بعد ذلك بفكرهم في الفقه والعلوم، فناظر هؤلاء المنحرفيــن عــن أُصــول الإسلام، ووقف للكاذبين عليه وعلى أهل البيت، وصــمد أمامهم، ورد أقوالهم وأحاديثهم، ثمّ وضع قاعدة لأصحابه يسيرون عليها في تثبيت الأحاديث الصحيحة، فقال: «لاتقبلوا علينا حديثاً إلاّ ما وافق القرآن والسنّة، أو تجدوا معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، واتّقوا الله، لاتقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنّة نبينا محمّد صلى الله عليه وآله».

وقــال لاحــد أصــحابه: قل للغالية، توبوا إلى الله، فإنّكم فسّاق كفّار مشــركون. وقال عنهم: أدنى ما يخرج الرجل به من الإيمان، أنــه يجلس إلى غال فيستمع إلى حديثه ويصدّقه على قوله.

وعندما قيل لــه: إنّ قوماً يزعمون أنّكم آلهة فقال: إنّ سمعي وبصري ولحمــي وبشري ودمي من هؤلاء براء، برئ الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني ودين آبائي.

وقــد تصدّى الإمام عليه السلام في وقته للمذاهب الفكرية التي أخذت بالانتشار فــي ذلــك الوقــت، فقــد ساعدت سيرة حكام المسلمين المعاصرين للغلاة والمتطرفيــن، مهمتهم في النشر والإذاعة، فالحكام أيّدوا التمييز العنصري، وأتعــبوا الطــبقات الدنــيا والموالي خاصة بالضرائب وغيرها، ممّا جعلهم

يشتركون مع الثائرين في مقاومة الاستغلال والذل، الأمر الذي جعل مهمة الأئمّة صعبة في تلك الفترة، فهم يبغون متابعة نشر العلم والثقافة بين أفراد المجتمع من جهة، ومقاومة تلك التيارات المتطرفة من جهة أُخرى، ممّا أوجب عليهم أن يقفوا موقفاً صارماً نحو هؤلاء، بالبراءة منهم وطردهم ولعنهم، ونفي وجود أية صلة بهم ومقاومة حركاتهم كلها، كما نفوا أن تكون لهم أية صلة عقيدية بينهم وبين القادة هؤلاء؛ إذ كذبهم ولعنهم الإمام الصادقعليه السلام، كما لعنهم الأمام الباقرعليه السلام من قبل، والإمام الرضاعليه السلام من بعد. ونادى الإمامعليه السلام في هذا الوقت مصحّحاً الأوضاع الخاطئة، مخاطباً جماعته: لاتقبلوا علينا حديثاً إلاّ ما وافق القرآن والسنة، أو تجدوا معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة. فإنّ المغيرة بن سعيد ــ لعنه الله ــ قد دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها، فاتّقوا الله، ولاتقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنّة نبينا محمدصلى الله عليه وآله[1].

وكان يقولعليه السلام: «أنهاك عن خصلتين فيها هلك الرجال: أن تدين الله بالباطل، وتفتي الناس بما لاتعلم».

أما في عصر الإمام الكاظمعليه السلام:

فقد ظهر الإسماعيليّة، الموالون لإسماعيل بن الإمام الصادقعليه السلام والذي مات في حياة أبيه ١٣٣ هـ فزعموا أنّه لم يمت وسيعود ليملك الأرض، وأنّه القائم. وهي الفرقة الإسماعيلية الخالصة.

تمسك فريق منهم بإمامة ابنه محمّد بن إسماعيل على أساس أنّ الإمامة كانت لأبيه، فهو أحقّ بها من الأخ، ويُسمّون العمارية. والمعروف عنهم

---

(١) تاريخ الإمامية: ص ١٢٦.

اليوم أنهم الذين زعموا أنّ الإمامة بعد إسماعيل في ولده إلى أخر الزمان. والذين أنكروا موت إسماعيل فهم المباركية.

وقد تطوّرت أوضاعهم بعد سنوات حين ظهرت الإسماعيلية المستعلية بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله الفاطمي في ٤٨٧ هـ عندما قرّر الوزير الأفضل بن بدر الجمالي تعيين ابنه الأصغر أبي القاسم أحمد إماماً وإبعاد أخيه الأكبر نزار فانقسمت الإسماعيلية الفاطمية إلى مستعلية تؤيد أحمد المستنصر، وتؤيده القاهرة، ونزارية تؤيد الأكبر نزار.

إلاّ أنّ نزاراً هرب من الاسكندرية سراً إلى فارس، فاستقرّ في جبال طالقان، وتحالف مع الحسن الصبّاح في تأسيس الدولة النزارية، ولكنّه مات في ٤٩٠ هـ فدعا الحسن بن صبّاح في فارس وخراسان له رافضاً الاعتراف بإمامة المستعلي، كما حاول السيطرة على مصر للقضاء على أعداء نزار، وتمكّن من نشر النزارية في الشام، وقويت في حلب وبانياس ومناطق أُخرى. كما أنّه حارب السلاجقة والخوارزمية والتتار إلى أن قضى عليهم هولاكو في ٦٥٤ هـ وقد ذُكر في المصادر التاريخية أنّ الحسن بن صباح كان إمامياً تحوّل إلى المذهب الإسماعيلي، وقد قتله صهره حسين ناماور الذي أعاد للإسلام صفاءه والشريعة على المذهب الاثني عشري الإمامي(١).

أمّا المستعلية: فقد استمرت تحت اسم البهرة تكوّنت من فرقتين: السليمانية والداوودية بالهند موطن البهرة.

---

(١) ترجع الآغا خانية إلى فرقة من فرق النزارية، وهم من الغلاة الباطنية البعيدين عن الإسلام.

وقــد نشــط الإسماعيليون في تأسيس دولة قوية لهم في القيروان في تونس ثمّ في القاهرة، فكان الخليفة المهدي أوّل حاكم لهم هناك، وساعده في توطيد دعائم الحكم أبو عبدالله الشيعي المحتسب في ٢٩٦هـ .

وظهــرت كذلك الحمزية: أتباع حمزة بن أكرك[(١)] الذي جوّز ظهور إمامين في وقت واحد.

والكاملــية أتباع أبي كامل، واشتهر منهم الشاعر (بشار بن برد) الذي قتل في ١٦٨هـ.

والبشــيرية: (أصــحاب محمــد بشير) الذين نادوا بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام، وأنــّه لم يحبس ولم يمت، بل حيّ غائب، فهو القائم المهدي الذي اســتخلف محمّــد بن بشير، وعيّنه وصيّاً لــه، فهوالإمام بعده. وقد أنكروا الفرائض، وأباحوا المحرمات.

أمّا في عصر الإمام الرضا عليه السلام:

فقد برزت مشكلة الواقفة: وهم الذين وقفوا عند الإمام الكاظم عليه السلام، فلم يعــترفوا بإمامــة مَنْ بعده، وأنكروا قتله، وإنّ الله رفعه، وسيعود يوماً. وقد شــجّع عــدد مــن المقربين إلى الإمام الكاظم عليه السلام على ظهور هذه الفرقة، بالإضــافة إلــى تشجيع الحكام لها. وكان هؤلاء هم الذين عهد إليهم بجمع الأخمــاس من شيعته، فاجتمعت لديهم مبالغ كبيرة من المال، في الوقت الذي كــان فــيه الإمــام عليه السلام محبوساً في السجون، فأنكروا على الإمام الرضا عليه السلام مــالديهم من مال عندما طالبهم بها، مبررين موقفهم: بأنّ الإمام عليه السلام لم يمت،

---

(١) خرج أيام الرشيد والمأمون في ١٧٩هـ.

وسيرجع بعد الغيبة كما رجع موسى بن عمران. وقد لعنهم الإمام الرضا عليه السلام ووصفهم بالإلحاد والزندقة والكفر والشرك، وكتب عنهم: أنّ الواقف معاند للحقّ ومقيم على سيئة، إن مات عليها كانت جهنم مأواه وبئس المصير.

كما ظهرت فرق الأحمدية: التي نادت بإمامة أحمد بن موسى الكاظم عليه السلام بعد وفاة أخيه الإمام الرضا عليه السلام. وقد ظهر بشيراز، وأراد السير إلى خراسان، إلاّ أنّ حروباً وقعت بينه وبين حاكمها، فاستشهد مع أقارب له.

وظهرت الجعفرية: أتباع الجعفرين: جعفر بن حرب الهمداني، وجعفر بن مبشر الثقفي[١].

وقد نشط الإمام عليّ الهادي عليه السلام في محاربة تلك الفرق والأفكار المنحرفة بنفس أساليب أهل بيته عليهم السلام، فصمد لهؤلاء المغالين، واعتبرهم من دعائم الكفر كما ذكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من قبل. وقال عنهم: «ليس هذا من ديننا» فاعتزلوهم واهجروهم، لعنهم الله، وألجئوهم إلى ضيق الطريق، فإن وجدتم أحداً منهم، فاخدشوا رأسه بالحجر. وقد أمر الإمام عليه السلام بقتل أحدهم الذي عُدّ من أخطرهم في الدس والتضليل، وهو: فارس بن حاتم.

كما أنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام ردّ ادّعاء صاحب الزنج في ٢٥٥ هـ الذي خرج خلال خلافة المهتدي العباسي، بنسبه العلوي، فرفضه مؤكداً عدم صحة نسبه. وكتب إلى مواليه عن النصيرية: أتباع محمّد بن نصير الفهري أو النميري الذين غالوا بالإمام عليّ عليه السلام في الدعوة إلى ربوبيته، فتبرأ الإمام من مقالاته.

---

(١) توفيا في ٢٣٦هـ ــ ٢٣٤هـ .

فقـد ادّعى النبوة، وأنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام أرسله إلى الناس، وقال بالتناسخ، وأباح المحارم، ممّا جعل الإمام عليه السلام يسرع بالكتابة إلى مواليه محـذراً لهم: «إني أبرأ إلى الله من ابن نصير الفهري وابن بابا القمي، فابرأ منهما، وإنّي مُحذرك وجميع مواليّ ومخبرك أنّي ألعنهما، فعليهما لعنةَ الله فتّانين مؤذيين آذاهما الله، يزعم ابن بابا أنّي قد بعثته نبياً، وأنـّه باب، لعنه الله، وسـخر منه الشيطان فأغواه، فلعن الله من قبل منه ذلك. وإن قدرت أن تشدخ رأسه فافعل».

وعـندما تُوفّي الإمام عليه السلام ادّعى وكالته ابنه، ثمّ جحد إمامته، وادّعاها لنفسه، ثمّ ادّعى النبوّة فالأُلوهيّة. ومات النميري في ٢٧٠هـ[1].

وقـد افترقـت من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام بعد وفاته عدّة فرق، وصـلت إلـى ١٥ فـرقة، إلاّ أنـّه لم تبقَ منها عند سنوات ٣٧٣هـ إلاّ الإمامية. وأشهرها:

النفيسـية: وقد اختاروا نفيس الغلام للإمامة، فقالوا: إنّه يؤم بعد الإمام بوصـية مـنه. وإذا مات كان الأمر لأخيه جعفر الذي نادوا بإمامته، فادّعى أنـّه القائم: وقيل إنّ نفيساً أُغرق في حوض.

والخابطية: أصحاب أحمد بن خابط القدري الذي تُوفّى سنة ٢٣٢هـ .

والنظامـية: أتباع أبي إسحاق إبراهيم بن سيار المعروف بالنظّام الذي بـرز في ٢٢٢هـ وطعن في الصحابة، ورفض فتاواهم، وخاصة أبا هريرة وعمـر بـن الخطاب الذي تعدى على الزهراء عليها السلام ومنعها ميراثها، وكذلك عثمان بن عفان.

---

(١) منهم الآن جماعة في جبال اللاذقية.

والبابكـــية: وهم طائفة من الباطنية الخرمية أتباع بابك الخرمي، خرج بناحـــية أذربايجـــان في ٢٠١هــ ،[١] واستباح المحظورات، فضربت عنقه وحــرّق، بالإضافة إلى أخيه اسحاق بن إبراهيم في ٢٢٣هــ ، وكان أصله ولد زنا.

والعلويــون: وينســبون إلى الإمام علي عليه السلام وقيل: إنّهم من النصيريّة القدمـــاء أتــباع محمّــد بن نصير الذي ظهر أيام الإمام العسكري عليه السلام. فهم ظهــروا في العهد المتأخر. وينتشرون اليوم في سوريا وتركيا وخاصة في اللاذقــية وبانــياس وصـــافيتا، الاســكندرونة، أنطاكــية، أطنة، طرسوس والعمرانية.

وإلـــى جانـــب تلك الفرق والأحزاب، وفي تلك الفترة المضطربة من تاريخ الإسلام، برز أهل الفلسفة أيضاً، فسلكوا طريق الفلاسفة، وتحدّثوا في الإلهــيات بيــن منكر ومثبت. وذهب أغلبهم إلى أنّ الشرائع وأصحابها هي أُمــور مصــلحية عامــة، وأنّ الحدود والأحكام والحلال والحرام هي أُمور وضعية.

ومن أشهر تلك الأراء الفلسفية: إخوان الصفا الذين مثلوا مدرسة فكرية فــي البصـــرة، وفتحوا لها فروعاً في بغداد. وامتاز نشاطهم بالسرية؛ لأنّهم كـــانوا مـــن الناقميـــن على الوضع السياسي والاجتماعي السائد في العصر العباسي الثاني على الخصوص، ممّا جعل الخليفة العباسي ينظر إليهم نظرة ريبة وعداء.

فـــآراؤهم الفلسفية كانت لها صبغة مذهبية شيعية، فقد تستروا بالتشيع،

---

(١) خرج أيام المعتصم.

وادّعوا أنــّهم يعملون في خدمة آل البيت، ومزجوا أفكارهم وأراءهم الدينية بنظريات الفلسفة وعقائد الأديان المختلفة؛ ليخرجوا بتعاليم جديدة نشروها في البيــئات الإسلامية، كما نظّموا أتباعهم تنظيماً دقيقاً، فوزّعوهم حلقات بحيث يتيسّــر تدريــبهم والاتّصـــال بهــم عند الضرورة. فهم جماعة موالية لآل البيــت عليهم السلام تسترّوا بدعوتهم لبث أفكارهم دون معرفة أشخاصهم أو قياديهم، وبالإضـــافة إلى ميلهم العلوي، فقد كان هدفهم التمهيد لانقلاب أو ثورة على الأوضـــاع السائدة؛ لأنّهم تعرضوا في أفكارهم للملوك والسلاطين الجائرين، ومثلوا الأُسلوب الرمزي في الفكر العربي أحسن تمثيل، فقد أخرجوا أفكارهم فــي قصص بارعة، ونشروا الأساطير في الرسائل الخلقية والنفسية. فالغاية التــي أعلنوها في رسائلهم هي رغبتهم في نشر الحكمة وتنقية الشريعة من الضــلالات. فتركّز سعيهم إلى الاصلاح الاجتماعي والديني بجانب ما قاموا به من تبسيط العلوم ونشرها في البيئة.

وقد وصلت رسائلهم إلى ٥٢ رسالة ألفت في مجموعها دائرة معارف ضـــخمة تناولـــت مختلف آفاق المعرفة في العقيدة والفلسفة والطب والعلوم والفلـــك والرياضـــيات والموسيقى والجغرافية. وكانت تُقرأ هذه الرسائل في جميع البلاد من الاندلس الى الهند، وأثــّرت كثيراً في الكتّاب المتأخرين.

وتعتبر جمعية (إخوان الصفا) من أشهر الجمعيات السرية النشطة التي كانت تعمل في تلك الفترة من تاريخ المسلمين.

ويتضح من العرض السابق صورة المجتمع الإسلامي وما برزت فيه من شوائب ونوائب، وفرق وأحزاب تتناحر وتناطح إحداها الأُخرى، بجانب الأفكـــار السياســـية التي أدّت إلى انحلال وضعف الدولة الإسلامية، بظهور الدويـــلات الصغيرة في أنحائها، وما جلبته من حروب أهلية وحروب عامة

بين عدّة أطراف متنازعة ومتصارعة، حتّم ذلك كله على الإنسان الغيور أن يتصدّى لها ويقف أمامها للمحافظة على كيان المجتمع الإسلامي ونقاء دينه وطهارة عقيدته، وهو الأمر الذي اعتنى به الأئمّة عليهم السلام في تلك الأحوال المضطربة والمناخ الساخن، فصمدوا للمدعين وأفكارهم الهدّامة، وجاهدوهم بكل مالديهم ووقفوا ضد ضلالاتهم، واشترك الكثير من أعوانهم معهم لينفّذوا تلك الآراء السيئة والمزاعم الزائفة، ويهاجموا المعتقدات الضالة التي أثاروها، فدعوا إلى الابتعاد عنهم، كما طالبوا بإنزال أشدّ العقوبات عليهم، إلاّ أنّ السلطة لم تكن في أيديهم. وقد استمرّ جهاد الأئمّة ومحاولاتهم في القضاء على هؤلاء المتمردين على الإسلام، والتخلّص منهم ومن أفكارهم منذ أيام الإمام عليّ عليه السلام وحتى الفترة التي وجد فيها الإمام المنتظر عجّل الله فرجه خلال غيبته الصغرى.

وممّا يلاحظ على تلك الفرق والمذاهب الدينية والسياسية: أنّها ارتبطت بخلافة الإمام علي عليه السلام وشخصيته، ثُمّ تطوّرت إلى إلصاق التّهم والتحريف بالأئمّة الآخرين عليهم السلام. وقد كان الحكام يشجّعون هذه الفرق في أغلب الأحوال لمصلحتهم، فهي تدعو لتخريب سمعة الأئمّة الطاهرين من ناحية، والابتعاد عنهم من ناحية أُخرى، ثمّ دفعهم إلى التمسك بخلافة الحاكم والانضمام إلى صفوفه من ناحية ثالثة، الأمر الذي جعل هؤلاء يشجّعون على انتشار تلك الأفكار المنحرفة في المجتمع الإسلامي، وتدوين الروايات بلون طبيعة العصر وظروفه، وتشجيع المؤرخين على أن يضيفوا شيئاً عليها من عندهم فتزداد تشويها ومسوخاً.

وقد أجمع الإمامية على نجاسة الغلاة وتحريم إعطائهم الزكاة، كما لايحل للمغالي أن يتزوج مسلمة ولايتزوج مسلم مغالية. وقال الشيخ المفيد

فـــي كتابه: شرح عقائد الصدوق: إن الغلاة المتظاهرين بالإسلام، نسبوا إلى الإمام علي عليه السلام وذريته عليهم السلام الأُلوهيّة والنبوة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا الى ماتجاوزوا فيه الحد وخرجوا عن القصد فهم ضلال كفار.

وهــؤلاء الشـــيعة الغلاة وأمثالهم ليسوا شيعة، بل ليسوا مسلمين، لذا يمكـــن أخراج عشرات من الفرق ادعت بأنها شيعية، وهي ليست بذلك لامن قريب ولا من بعيد. فقد كان التشيع ستاراً استخدمه الانتهازيون الذين لا ذمة فيهم ولا ذمام لتحقيق أهدافهم المناهضة للدولة. فقد دخلت طوائف كثيرة في الشـــيعة وانتسبوا إلى أهل البيت بقصد الكيد للإسلام، وأدخلوا على المذهب الشيعي الواناً من الضلالات والأكاذيب، وتحدثوا عن الأئمة عليهم السلام فنقلوهم من صفة إلى صفة ومن مكانة إلى أُخرى ورفعوهم الى مصاف الخالدين. وكانت حـــياتهم الحقيقية مجردة عن التقديس والتمجيد، فأحاطتهم القصص المتأخرة بهالة من الجلال وجعلتهم قديسين وأنبياء وآلهة.

وحمل الشيعة وزر كل هؤلاء فاحتسبوا على الشيعة في جميع المراجع القديمة والحديثة.

ومن جانب آخر فان الشيعة كانوا المعارضين الأوائل للحكام الجائرين، ولـــم يخضعوا لحكمهم فحاربوهم وقتلوهم، ثم أضاف المؤرخون الى الشيعة أشـــياء لايعـــرفون عـــنها شـــيئاً وافتروا عليهم أضعافاً في النيل وغلواً في الخصومة والبغض وارضاء للحكام كما يفعل اليوم كثير من أرباب الصحف والمتأدبين مع الأحرار للمستعمر والرجعيين والاقطاعيين[١].

ولذا كان من الضروري أن نحذف من الشيعة تلك الفرق التي تكونت

---

(١) طه حسين.

لتفسـد الإسـلام وتمحـو حضـارته وأفكاره، فاذا فعل ذلك بقي لنا الشيعة الأصـليون. فـالغلاة ليسوا شيعة ولايستحقون هذا الإسم ولاهم جديرون به فينبغـي حذف عشرات الفرق التي تعد ظلماً من الشيعة، بل هم في الحقيقة أعداء آل البيت عليهم السلام.

وذلك ما دعا الأئمة عليهم السلام في الكفاح والجهاد ضد ضلالتهم بتفنيد آرائهم ومهاجمـة معتقداتهم الضالة التي يثيرونها ويدعون للبعد عنهم. وهو ما كان يغنـيهم عن المطالبة بالخلافة والحكم، فهل كان لهم الوقت المناسب للمطالبة بأمور شخصية، أم الجهاد في سبيل الحفاظ على دين أجدادهم؟

المبحث الثاني:

الفرق المتصوفة والمتصوفين ودورهم السلبي في المجتمع الإسلامي:

بالإضـافة إلـى ماتقدّم من ظهور الفرق المتعدّدة والأحزاب المختلفة، والمذاهـب والمعـتقدات التي سعى كلّ مؤسس لها أن ينشرها في المجتمع الإسـلامي، ويعـتقدها ديـناً لـه، فيتفرق المسلمون ويتحزّبون، فقد برزت مجموعة اُخرى من المتصوفين اتّخذوا أفكاراً ومذاهب وعقائد شتّى في العالم الإسـلامي، كان لها خطرها في أضعاف المجتمع أو انهياره، وقد ظهر من هـؤلاء الكثير في فترة حياة الأئمّة عليهم السلام الذين نذروا أنفسهم، وضحوا بها في سبيل إيقاف هذا التيار المنحرف من الفرق والمذاهب والأحزاب التي ستؤدّي حتماً إلى ضعف مبادئ الإسلام من ناحية، وتفريق أفراد المسلمين من ناحية اُخرى، وانحلال المجتمع الإسلامي وانهياره وزواله من ناحية ثالثة.

فقـد اقـترن انتشـار الطـرق الصوفية بتدهور الأحوال الاقتصادية والاجتماعـية والسياسـية، ويرى (عبد الفتاح عاشور) أنّ الرغبة في العزلة

والعـودة إلـى الله سبحانه وتعالى لا تقوى إلاّ في ظلال الضعف؛ ولذا فقد ازدهـر التصـوّف ونما في عصور ضعف الاُمة الإسلامية في القرن ٧هـ وكان الحكام يشجّعون الأفراد على ذلك؛ لينشغلوا عن فساد هؤلاء الحكام.

ومن أشهر تلك الطرق الصوفية التي شاعت في عصر الأئمّة عليهم السلام:

ـ أبوعليّ الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي: وهو من (مـرو) بخراسان، وقيل بسمرقند أو بخارى. وكان أصله من الكوفة. وكان ثقـة في الحديث أخذ عنه الكثير، كالإمام الشافعي. وقيل عنه: إنّه كان قاطع طريق ثُمّ تاب. مات بمكة ١٨٧هـ .

ـ أبوبكر محمّد بن واسع بن جابر الأزدي: كان قرّاءً وبكّاءً. ذكر عنه الحسن البصري: أنـه زين القرّاء. تُوفّي سنة ١٢٣هـ .

ـ أبوعليّ شفيق بن إبراهيم: من أهل بلخ. وهو أوّل من تكلّم في علوم الأحوال، أي: علوم الصوفية. وتقوم طريقته على التوحيد، والتوكل، والزهد، والمعرفة بالله وبنفسه، وأمر الله ونهيه، ومعرفة عدو الله وعدو نفسه. تُوفّي سنة ١٩٤هـ .

ـ أبوهاشـم الكوفـي، عثمان بن شريك الصوفي: قيل: إنّه كان من شيوخ النفاق، جبرياً في الظاهر ودهرياً في الباطن. مات سنة ١٥٠هـ .

ـ عسـكر بـن حصين النخشبي ـ أبوتراب: من خراسان. كان إمام المتجردين، فالفقير عنده: ما وجد قوته، وما لبس ستره، ومسكنه حيث نزل. أكلته السباع في البادية ٢٤٥هـ .

ـ أبوحفص، عمر بن سلمة النيسابوري، كان حداداً. تُوفّي سنة ٢٧٠ هـ .

ـ أبوجعفـر محمّد بن يعقوب بن فرج أو الفرجي: من أهل سامراء،

ومن علماء الصوفية. مات بالرملة سنة ٢٧٠هـ .

ـ أبوصالح حمدون بن أحمد القصار: اشتغل بالفقه على مذهب الثوري، ثم أصبح صوفياً. مات سنة ٢٧١هـ .

ـ أبوعبدالله الحارث بن أسد المحاسبي: من أهل البصرة، كان يخرج إلى الصحراء للتفكير والنقاش مع أصحابه. مات ببغداد سنة ٢٤٣هـ .

ـ أبومحمد سهل بن عبدالله التستري: من خوزستان ـ عبادان. مات سنة ٢٨٣هـ .

ـ أبوالحسين أحمد بن محمد النوري البغدادي: تُوفّى سنة ٢٩٥هـ .

ـ أبوعبدالله بن عبدالله بن مسرة: أندلسي صاحب طريقة وتعاليم صوفية. قيل إنّه إسماعيلي أو إشراقي. كان بين ٢٦٩ ـ ٣١٩هـ .

ـ أبوجعفر محمد بن على الشلمغاني: من قرى واسط بالعراق ـ برز في أيام الراضي بالله العباسي، بين ٣٢٢ ـ ٣٢٩هـ .

ـ أبويعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري: من الأهواز، مات بمكة سنة ٣٣٠هـ .

ـ أبو نصر عبدالله بن على السراج الطوسي، الملقب بطاووس الفقراء. كتب عن القرن ٤هـ إن الخائضين في علوم الصوفية قد كثروا، وألّفوا الكتب فيهم بكلام مزخرف من عندهم ليس بالمستحسن؛ لأنّهم غلّطوا فيهم، وأقحموا على كلامهم مالم يقولوه، وفسّروا ما قالوه بتفسيرات من عندهم جانبت الصواب. تُوفّي سنة ٣٧٨هـ كما ذكر بهاء الدين بن علي العبيدي المُتوفّى سنة ٧٩٤هـ إنّ المتصوفين أمثال: الحسن البصري، كان تلميذاً للإمام عليّ عليه السلام. وإبراهيم بن أدهم أخذ عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام. وأبويزيد البسطامي، أخذ عن الإمام الصادق عليه السلام. وشقيق البلخي أخذ

عن الإمام الكاظم عليه السلام.

ومعروف الكرخي أخذ عن الإمام الرضا عليه السلام. فأوصلوا ما اكتسبوه من علم وإرشاد إلى أصحابهم ومريديهم.



المحور العلمي والتطبيقي: النتائج والآثار العلمية لأهل البيت(عليهم السلام) في المجتمع الإسلامي

ويتكون من ثلاثة فصول:

يتناول الفصل الأوّل:

- الثورات والانتفاضات التي قام بها أفراد من أهل البيت النبوي الكريم في الدولة الإسلامية.

امّا الفصل الثاني:

- فيبرز الدول والدويلات التي أسّسها ابناء الائمة عليهم السلام وأحفادهم في بلاد الإسلام الشاسعة.

والفصل الثالث:

- تأسيس دول كبيرة وأخرى صغيرة، نشط في إنشائها افراد من محبّي أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الثورات والانتفاضات التحررية
التي قادها أفراد من البيت النبوي الكريم

انتشرت ذرية نسل السبطين الطاهرين الحسن والحسين عليهما السلام في معظم الأقطار الإسلامية، فهاجر بعض من أحفاد الإمام الحسن عليه السلام من البصرة إلى الحجاز وحضرموت في أوائل القرن الرابع الهجري، ونشطوا في الدعوة إلى الإســلام الصحيح والقضاء على المذاهب الهدامة. كما ركب بعضهم البحر إلـــى الشـــواطئ الهندية للتجارة والدعوة إلى الله، واتّجهوا إلى جزر الصين لـــنفس الأسباب. كما أنّ بعضاً منهم خرج من حضرموت إلى تلك الجهات، ونجحـــوا فـــي نشر الإسلام فيها. كما أنّ منهم من صاهر ملوك وأمراء تلك الجـــزر، فتأسّســـت بذلك دول وممالك إسلامية، وانتشر الإسلام في ماليزيا واندونيســـيا والفليبيـــن والملايو وجاوة وسومطرة، والبر الصيني إلى بورما وتايلند وكمبوديا، وفي دول اُخرى مجاورة. فعندما نزل هؤلاء الأشراف من أهل البيت عليهم السلام، واستقروا في تلك المناطق النائية توثقت صلاتهم وروابطهم الاجتماعـــية ومصالحهم الدينية مع أهل تلك البلاد، إلاّ أنّهم احتفظوا بأنسابهم التـــي تـــربطهم بـــآل البيت وبأخلاقهم الرفيعة حتى يومنا هذا. وحدث نفس الشيء في إفريقية شرقيها إلى غربيها حينما وصلوها مهاجرين، فأسّسوا فيها دولا كان لها شأنها في تاريخ الإسلام والبشرية، كالادارسة في المغرب. ولذا لايستغرب من وجود من ينتسب إلى آل البيت عليهم السلام في القارة السوداء، فحينما

تعرضـــوا للإضطهاد والإرهاب والاذى من قبل الحكام والأمراء في بلادهم، كـــان لابـــدّ لهـــم من الهجرة فارين بأنفسهم إلى تلك الجهات النائية، وعلى الأخـــص حيـــنما نعلـــم أنّ الأشـــراف قاوموا الظلم والاضطهاد والارهاب والحكومات الدكتاتورية القاسية التي مارسها حكام الدول الإسلامية بوسائلهم المـــتعدّدة، فقـــادوا الثورات والانتفاضات، وأسّسوا ممالك ودولاً نشروا فيها الديـــن والعلم واللغة، وأنشأوا فيها المساجد والمعاهد العلمية؛ لأنّهم رأوا أنّ أفضـــل الوسائل في مقاومة الظلم والاضطهاد وتلك الحكومات الجائرة هي: تطبيق أقوال الرسول الأعظم جدهم العظيم صلى الله عليه وآله بالعمل على الجهاد في سبيل الله عن طريق القلب واللسان واليد.

وإذا أردنا البدء بالثورات فإنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام تُعدّ اُم الثورات التحرّرية العلوية، ضد الطغيان والفساد والاستغلال والبعد عن الإسلام. ولذا فـــإنّ نهضته المباركة اعتبرت قدوة لكلّ الثورات والانتفاضات التي قام بها الأفـــراد طـــلاب الحرية والأمن وتحقيق مبادئ الإسلام، فكلّ الثوار والقادة اتّخـــذوا من ثورته أسوة وقدوة مباشرة للسير على أساسها بتمسكهم بمبادئه وقواعده وتطبيقهم لجرأته وشجاعته.

ولمّـــا تعـــدّدت الـــثورات من بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام حتى تعذر احصـــاؤها، فـــإنّ الكتاب لايستطيع ذكرها جميعاً، بل إننا سنقتصر على أهمّ ثورات أهل البيت عليهم السلام؛ لاتّصالها المباشر مع موضوعات الكتاب، بالإضافة إلـــى أنّنا سنحاول تتبع حركات وثورات أبناء وأحفاد الإمام الحسن عليه السلام على الخصـــوص، نظـــرا لقلّة ما ذكر عنهم في المؤلفات والكتب، وفقدان أثرهم؛ لعدم الاعتناء بهم من جانب المؤلفين والكتاب، بالرغم من جهادهم الكبير في سبيل إصلاح المجتمع الإسلامي عن طريق الثورات وتأسيس المدن والدول

والمؤسسات العلمية في أرجاء العالم الإسلامي. هذا مع العلم بأنّنا نتناول تلك الثورات التي برزت خلال وجود الأئمّة عليهم السلام فقط. فالثورات التحرُّرية التي تلت ثورة الإمام الحسين عليه السلام قد ابتدأت من انتفاضة السيدة الجليلة زينب بنت الإمام عليّ عليه السلام السلميّة في المدينة المنورة مع ابن أخيها الإمام زين العابدين عليه السلام الذي ساندها في موقفها، وساهم في نشر أفكارها ومبادئها. وقد تناولنا تفصيل حركتها ونتائجها في فصل سابق[1]. ثُمّ توالت بعدها ثورات أُخر قادها أفراد من مختلف الطوائف، كالخوارج والمختار وابن الزبير وثورات أُخر كثيرة في الكوفة.

أمّا الثورات العلويّة التي برزت بعد ثورة السيدة زينب عليها السلام فكان أشهرها من النسل الحسيني:

١ ــ **ثورة زيد بن عليّ:** أبي الحسين زيد: كان تقياً عابداً ورعاً وفقيهاً سخياً شجاعاً جريئاً سعى إلى الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطلب ثارات الحسين عليه السلام والدعوة إلى الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد اتّفق علماء الإسلام على جلالته وورعه وفضله وعلمه المتدفّق، موصول بشرف نبوي، ومجد علوي، وسؤدد فاطمي، وروح حسيني. خرج في عهد هشام بن عبدالملك الذي أمعن في الانتقام من العلويين والتنكيل بهم كلما سنحت له الفرصة، لما عرف عنه من الغلظة وقسوة القلب وخشونة الطبع. وقد أعلن مسبّبات ودوافع خروجه: «إنّما خرجت على بني أُمية؛ لأنهم قتلوا جدي الحسين عليه السلام، وأغاروا على المدينة يوم الحرة، ورموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار». وكان أهل الكوفة قد دعوه، وبايعوه على العمل

(١) راجع العهد الأُموى.

بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وتقسيم الفيء بالسوية بين أهله، والدفاع عن آل البيت ضد أعدائهم الذين أغتصبوا حقوقهم. وانتشرت دعوته في المدائن وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان والجزيرة، فبايعه ١٥ ألف من الكوفة، تقاعدوا عنه عند ساعة الصفر، فهزم زيد واستشهد، وسانده ٥٠٠ من أصحابه أمام ١٢ ألف من أهل الشام، وصلب في سنة ١٢٢هـ وقيل إنّ رأسه الشريف بمصر جيء به، ودفن داخل مسجده المعروف باسمه. وكان عمره ٤٢ سنة.

وقد أيده الإمام الصادق عليه السلام وقال: بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا. فالإمام عليه السلام كان يجل موقفه، وبكاه حين استشهد، وفرّق الأموال في عائلات المقتولين معه، ولام أشد اللوم الذين دعوه وخذلوه: «رحمه الله أما أنّه كان مؤمناً وعارفاً وعالماً وصدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، وإنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله، أما أنّه لو ظفر لوفى، ولو ملك لعرف كيف يضعها، فإنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه».

كما أيده أبوحنيفة الذي أكّد موقفه الإمام الباقر عليه السلام: «رحم الله أباحنيفة، لقد تحققت مودته لنا في نصرته زيد بن عليّ». وهناك عدّة من الأحاديث والروايات ذكرها النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وآل البيت عليهم السلام تؤكد مكانته، وتبرز منزلته، وتنبئ عن مصيره المحتوم.

٢ ــ **يحيى بن زيد:** خرج في عهد الوليد بن يزيد، الذي عرف بإفراطه في الشراب وطلب اللذات، حتى إنّه قتل بسبب مجونه وفسقه وتماديه في ذلك عام ١٢٦هـ، ولمّا حاول هشام أن يصلحه نهره، وكذلك سليمان بن يزيد أخوه سعى في التخلص منه. وكان عمره ١٨ سنة حين اتّجه إلى

المدائن والري ونيشابور، فقبض عليه واليها نصر بن سيار، ثمّ أطلق سراحه بعد أن أنذره بعدم بثّ التوتر والفتن، فرحل إلى الجوزجان والتحق به ٥٠٠ رجل ثبت معه في الحرب سبعون، واجه بهم عشرة آلآف. إلاّ أنــّه قتل عام ١٢٥هــ وصلب على باب مدينة الجوزجان حتى أنزله أبو موسى الخراساني الذي انتقم له بقتل كلّ من اشترك في قتله.

وقد خرج من أبناء زيد أيضاً: عيسى ومحمّد خلال الدولة العباسية.

٣ ــ **محمّد بن جعفر الصادق**عليه السلام: كان عالماً فاضلا يروي العلم عن أبيهعليه السلام. ظهر بالمدينة في شهر ربيع الآخر سنة ٢٠٠ هــ ودعا إلى نفسه، وتسمّى بأمير المؤمنين وخليفة المسلمين، وذلك بعد مقتل أبي السرايا وطرد الطالبيين من الكوفة والبصرة ومدن العراق، فطلبوا منه القيام بحركته وإعلان الخلافة. وقد أيّده في موقفه: الإمام مالك بن أنس، إلاّ أنّ المأمون العباسي تمكّن من القضاء على حركته.

٤ ــ **محمّد بن القاسم** بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بن الإمام عليّعليه السلام، وهو من أحفاد عمر الأشرف. ويدعى بالعلوي الصوفي. خرج في أيام المعتصم العباسي من الكوفة متوجهاً إلى طالقان بخراسان سنة ٢١٩ هــ . حاربه عبدالله بن طاهر الذي تمكّن من القبض عليه في (نسا) وسلمه إلى المعتصم، فحبسه في سرداب يشبه البئر في سامراء، ثمّ وُضع في حبس كان في بستان، فتمكّن من الفرار بمساعدة جماعة من شيعته، فلم يعلم له مكان، ولم يسمع له خبر. وقيل إنّه توفّي بالطالقان أو في واسط بالسم. وتعتقد الزيدية: أنــّه لم يمت وسيخرج في آخر الزمان.

٥ ــ **يحيى بن عمر** بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن الإمام

عليّ عليه السلام.

خرج في أيام المتوكل في خراسان، وحاربه عبدالله بن طاهر، وقبض عليه وحبسه، إلاّ أنـّه تمكّن من الفرار إلى بغداد، فزار أوّل الأمر قبر الإمام الحسين عليه السلام ومال إليه أهل بغداد حين أظهر العدل وحسن السيرة، وكان فارساً شجاعاً. وفي الكوفة دعا إلى الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله فوقف، معه كثير من وجوه أهلها. وقد أعلن أنّ خروجه كان غضباً لله عزّ وجلّ. قتل في المعارك التي تبادلها مع السلطات سنة ٢٥٠هـ.

٦ ـ **العباس بن إسحاق** بن إبراهيم بن موسى بن الإمام جعفر عليه السلام:

خرج أيام المقتدر العباسي، قتله الأرمن بمدينة ديبل الأرمنية.

٧ ـ **العقيقي، الحسن بن محمّد** بن جعفر بن عبدالله بن الحسين بن عليّ بن الإمام الحسين عليه السلام.

ظهر في طبرستان ٢٦٦هـ وقتله الخجستاني.

٨ ـ **محسن بن جعفر** بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر عليه السلام.

دعى بابن الرضا. ظهر في دمشق سنة ٣٠٠هـ فقتل في المعارك، وحمل رأسه إلى مدينة السلام، ونصب على الجسر بالجانب الغربي.

٩ ـ **أحمد بن عيسى** بن زيد بن عليّ بن الإمام الحسين عليه السلام الملقب بالمختفي. وكان قد تربى في دار الخلافة العباسية منذ أيام المهدي حتى أيام الرشيد، الذي سجنه فهرب سنة ١٨٨هـ إلى البصرة، ولم يعرف له مكان بعد ذلك. وهو الذي ادّعى صاحب الزنج نسبه إليه.

١٠ ـ **جعفر بن إسماعيل** بن موسى بن الامام جعفر عليه السلام ظهر بالمغرب، فقتله إبراهيم بن الأغلب.

١١ ـ **الحسن بن إسماعيل** بن محمّد بن عبدالله بن عليّ بن الإمام **الحسين**عليه السلام **وهو الملقب الكركي.**

ظهر في قزوين في سنة ٢٥٠هـ وسار إلى الديلم، فهلك هناك.

١٢ ـ **محمّد بن جعفر** بن الحسن بن عمر بن عليّ بن الإمام الحسين عليه السلام.

ظهر في الري، فقبض عليه عبدالله بن طاهر، وحبسه في نيسابور. واشترك معه في حركته: عبدالله بن إسماعيل بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وأحمد بن عيسى بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن الحسين والكوكبي الحسين بن أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن محمّد بن عبدالله الأرقط بن الإمام زين العابدين عليه السلام.

١٣ ـ **أبوالطيب محمّد بن حمزة** بن عبيدالله بن العباس بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن الإمام عليّ عليه السلام.

كان قد سكن الأردن في طبرية، وحسده محمّد بن طغج الإخشيد، فلمّا أعلن قيامه أيام المكتفي العباسي قتله الإخشيدي في بستانه سنة ٢٩١هـ .

١٤ ـ **عبدالرحمن بن أحمد** بن عبدالله بن محمّد بن عمر بن الإمام عليّ عليه السلام خرج باليمن في ٢٠٧هـ إلاّ أنّه سلم نفسه للمأمون بعد أن منحه الأمان، فانتهت ثورته سلمياً.

١٥ ـ **عبيدالله بن الحسن** بن عليّ بن الحسين السبط عليه السلام. سمّه أبو مسلم الخراساني، وقيل إنّه مات في حياة أبيه.

١٦ ـ **يحيى بن عمر** بن يحيى بن حسين بن عليّ بن الحسين عليه السلام: خرج بالكوفة سنة ٢٥٠هـ، وقتل مع أفراد جيشه، فنصب رأسه على باب

العامة بسامراء.

أمّا الثورات التي قادها بنو الإمام الحسن السبط عليه السلام:

فقد استمرت لمئات السنين، حيث كانوا يظهرون فترة ويختفون أُخرى. فهم قد تشرّدوا في الأرض بسبب ملاحقة السلطات الحاكمة لهم ومطاردتهم من مكان إلى آخر، ممّا أضطرهم إلى الإختباء في قرى نائية، أو إلى تغيير أسمائهم وهيئاتهم، أو التظاهر بغير دينهم. ونسل الإمام الحسن عليه السلام امتد في عقب ولده: الحسن الذي أعقب عبدالله الذي حصل على: محمد، وإبراهيم، ويحيى، وإدريس، ممّا حفظ بهم نسل الزهراء عليها السلام أشرف سلالة عرفتها البشرية منذ كانت، فجعل في صلب الإمام عليّ عليه السلام نسل خاتم الأنبياء. ومن أشهر من قاد منهم الثورات المتوالية:

١ ـ **محمّد بن عبدالله** بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام ذو النفس الزكية:

كان أبوه عبدالله بن الحسن المثنى أو المحض، شيخ الطالبيين، عدّه الشيخ الطوسي من رجال وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام. وسُمّي المحض؛ لأنّ أباهُ كان الحسن بن الحسن عليه السلام وأُمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام فهو شيخ بني هاشم، وشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله. كان محدّثاً ثقة صدوقاً، روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام، وعابداً زاهداً أكرمه عمر بن عبدالعزيز عندما وفد عليه. وكان مروان بن محمّد آخر حكام الأُمويين قد أرسل إليه عشرة آلاف ديناراً طالباً منه: اكفف عني ابنيك. وقد اشترك الحسن بن الحسن المثنى مع عمّه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، ولم يستشهد، فصار أكثر الحسنيين من نسله وأحفاده. فهو من نسل الحسن والحسين عليهما السلام وكلّ حسني ينتهي إلى عبدالله بن

الحسن، الذي ولد في بيت فاطمة الزهراء عليها السلام.

أما محمّد فهو صريح قريش، سمّاه أهل بيته المهدي، ورأى فيه علماء آل أبي طالب أنّــه النفس الزكية نتيجة زهده ونسكه. فقد كان من أفضل أهل زمانـــه وأهل بيته علماً بكتاب الله وحفظه وفقهه في الدين وشجاعته وجُوده، حــتى إنّــه لــم يشــك أحد أنّــه المهدي الذي شاع بين العامة، وقد وُصف بــالمهدي؛ لأنّــه ولــد وبين كتفيه خال أسود كهيئة البيضة، إلاّ أنّ أهله لم يذكــروه بالمهدي، فقد رفضوا ذلك ونفوه. وقيل: إنّه منذ كان صبياً يتوارى ويراسل الناس بالدعوة إلى نفسه. ودرس على يد عبدالله بن طاووس المتوفى سنة ١٠٦هــ بمكة.

أمّــا خروجه فقد كان في شهر جمادى سنة ١٤٥هــ /٧٦٢م، وأصل ذلك أنّــه في أواخر الدولة الأُموية، اجتمع رجال من بني هاشم من آل أبي طالــب وآل العباس وقرّروا الثورة على الأمويين، إلاّ أنّ الإمام الصادق عليه السلام رفــض الاتّفاق معهم، فظنوا أنّــه حاسدهم، ولكنّه أخبرهم بمصيرهم: أنّــه لايملــك وأنّ الملك في بني العباس، وأنّهم سيقتلونهم، ويتولّون الحكم عنهم. وكان بنوهاشم من العلويين والعباسيين قد بايعوا محمّد بن عبدالله، وكان من بيــنهم أبوجعفــر المنصــور الــذي نكث بعهده، ونكبهم عندما تولّى الدولة العباســية، فقــد خــرج دعــاة بني هاشم بعد مقتل الوليد بن يزيد الأُموي، وأظهــروا فضــل الإمام عليّ بن أبي طالب وأولاده، وما لحقهم من الأذى والتشــريد، إلاّ أنّ الدعوة لبني العباس هي التي رجحت، فملكوا، ثمّ حرص الســفاح والمنصور على النيل من محمّد وإبراهيم؛ لما في أعناقهم من بيعة لمحمــد بن عبدالله، وخاصة أنّ المنصور كان يرى أنّــه أحقّ آل أبي طالب وآل محمّــد بولايــة الأمــر، وأنّــه أعلم بدين الله. ولذا فإنّ محمّداً لم يبايع

المنصور ولا الدولة العباسية، ممّا جعل المنصور يعمل للقبض عليه للتخلص منه ومن إخوته. فألقى القبض على مجموعة كبيرة منهم، وحبسهم بالمدينة نحو ١٣ سنة، كان من بينهم أبوه عبدالله، ثمّ حملهم إلى سجون العراق، وعمل بهم الفضائح حتى مات أكثرهم في السجن حين قتل الكثير من أولاده وأهل بيته، الأمر الذي أجبر محمداً على أن يعلن ظهوره في المدينة لعلّه يريح الباقين من العذاب فيكفّون عن تعذيبهم. وقد قتل عبدالله في الحبس بالهاشمية وله ٥٧ سنة عام ١٤٥هـ. كما تُوفّي أخوه الحسن بن الحسن بالهاشمية وله ٦٨ سنة في ١٤٥هـ وقتل ثلاثة من أولاده في الحبس. كما تُوفّي في السجن: العباس بن الحسن بن الحسن، وإسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، ومحمّد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، حيث بنى عليه أبو جعفر المنصور وهو حي[١]، وعليّ بن محمّد بن عبدالله بن الحسن، ومحمّد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان[٢].

كما أنّ المنصور ضرب أخاهم: موسى بن عبدالله بن الحسن بالسياط ليخبر عن مكان أخويه[٣].

ولذا لم يجد محمّد بداً من الخروج وإعلان ثورته، فتقدّم مع رجاله إلى السجن، وأطلقهم بمساعدة أهل المدينة في عام ١٤٥هـ، واستولى عليها، فبايعه أهلها على أنّه الخليفة، ثمّ استولى على مكّة واليمن، إلاّ أنّه لم

---

(١) ضرب المثل في حسنه وجماله.

(٢) كان أخوهم لأمهم.

(٣) وقد ذكر في كتاب له إلى زوجته: لاتتركيني بالعراق، فإنها بلاد بها اُس الخيانة والغدر.

يتمكّن من السيطرة على الشام. وكتب إليه المنصور يدعوه إلى تأييد العباسيين؛ لما وقفوه من موقف إيجابي في الدعوة وتأسيس للدولة، ومشيراً إلى ضعف موقف العلويين الذين سيطر عليهم الأُمويون، ولم يمنحوهم الفرصة للحكم: (ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلوات المكتوبة كما تلعن الكفرة، فعنّفناهم وكفّرناهم وبيّنا فضله، وأشدنا بفكره).

إلاّ أنّ القتال دار بين الطرفين، فانهزم محمّد نتيجة تسلل أصحابه عنه، حيث ثبت معه ٣٠٠ مقاتل فقط. وذكر في شجاعته وشدة بأسه وثباته في المعارك: أنّه قتل بيده سبعين فرداً من عسكر العراق، ولكنّه استشهد في ١٤ من شهر رمضان عن عمر ناهز الـ ٤٥ سنة، فتكون ثورته قد استغرقت شهرين ونصف.

وقد اشترك معه في ثورته ومعاركه:

ـ أولاد عليّ وجعفر وعقيل، كما اشترك معه عدد من أولاد عمر بن الخطاب والزبير بن العوام وسائر قريش والأنصار. وأيده ـ أيضاً ـ الإمام مالك بن أنس، وأفتى بالخروج معه. كما أيده واصل بن عطاء.

ومن بني هاشم تبعه:

ـ الحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر.

ـ الحسين وعيسى ابنا زيد بن علي[1].

ـ حمزة بن عبدالله بن محمد بن عليّ بن الحسين عليه السلام.

---

(١) ولد عيسى في ليلة عيد ميلاد المسيح، فسمّي باسمه. كان عالماً فقيهاً محدثاً ورعاً زاهداً تقياً.

ـ عليّ، زيد ابنا الحسن بن زيد بن الحسن بن الإمام عليّ عليه السلام[١].

ـ القاسم بن إسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب.

ومن غيرهم اشترك معه:

ـ المنذر بن محمّد بن المنذر بن الزبير.

ـ مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير، وابنه عبدالله.

ـ أبوبكر بن أبي سبرة الفقيه.

ـ عبدالله بن عطاء، وبنوه جميعاً.

وعندما خرج محمّد، لبس قلنسوة صفراء مصرية وجبّة صفراء، فتقدّم له باقتراح بالسير إلى مصر ليقاتل العباسيين من هناك، إلاّ أنّه رفض ذلك، وفضل البقاء في المدينة.

وقد عذّب المنصور أباه عبدالله بن الحسن وأخاه إبراهيم في السجن، انتقاماً لثورة محمّد ذي النفس الزكية وماتا فيه. كما تفرّق أولاده في البلدان يدعون إلى الإمامة: فسار عليّ إلى مصر، وقُتل بها، كما قُتل عبدالله في السند عندما سار إلى خراسان، ومات الحسن في الحبس عندما كان في اليمن.

٢ ـ إبراهيم أخو محمّد:

أقام في منزل الإمام الصادق عليه السلام الذي ربّاه فنشأ في حجره، وأخذ عنه العلم. وعُرف بالأخلاق الفاضلة، والتاريخ النظيف والنزاهة والمعاملة الحسنة مع الناس وصدق القول. ولقب «ذا الدمعة» لكثرة بكائه.

وقد قدم إلى البصرة سراً مع عشرة أفراد، فبايعه ٤ آلاف هدّد بهم حكم المنصور العباسي، الذي قام بقتل كلّ من له صلة بهم خوفاً منهم.ولكن

---

(١) تُوفّي عليّ مع أبيه في الحبس.

إبراهيم استولى على خزانة البصرة، وأنفق منها ٦٠٠ ألف دينار في عسكره، ثمّ بعث الجيوش إلى الأهواز وواسط وفارس، ممّا اضطر المنصور أن يعدّ له جيشاً كبيراً ضم ٥ آلاف عسكري، وقيل: إنّ معسكر إبراهيم احتوى على مئة ألف ضمّ عدداً من الزيدية، فدارت الحرب بينهما، وكان في إمكانه أن يستولي على الكوفة، إلاّ أنّ ورعه وتقواه منعاه من استباحة الكبار والصغار، وقاد الجيش العباسي: (حميد بن قحطبة) الذي حاربه من الخلف فأُصيب فقال: كان أمر الله قدراً مقدوراً، أردنا أمراً وأراد الله غيره. فقتل في (باخُمري)[1] في ذي القعدة ١٤٥هـ واحتزّ رأسه، وحمل على رمح إلى المنصور، فسجد المنصور لله. وكان عمره ٤٨ سنة. وحين قتل كان عليه قباء زَرَد. وقد أفتى أبوحنيفة بالخروج معه. وقد جيء برأسه إلى مصر سنة ١٤٥هـ في مسجد بالمطرية في القاهرة.

وكان وزير الخليفة العباسي المهدي: يعقوب بن داود بن طهمان، من الموالين لآل عبدالله بن الحسن، فانضمّ إلى ثورات محمّد وإبراهيم، فحبس المنصور إخوته بعد الثورة، وهما: علي ويعقوب اللذان أعلنا الخروج على المهدي. وكان يعقوب قد تقرّب إلى الزيدية، فولاّهم أُمور الحكم في الشرق والغرب، وحينما أمره الخليفة بقتل أحد العلويين قام بإخراجه من السجن، وساعده على الفرار، ممّا جعله ينكّب به وبأهل بيته، ويصادر أموالهم في ١٦٦هـ.[2]

---

(١) على بعد ١٦ فرسخ من الكوفة من أرض الطف.

(٢) كان الإمام موسى الكاظمعليه السلام أيضاً في سجن المهدي، فأطلقه بعد أن أخذ الموثق منه على عدم الخروج عليه.

٣ ـ إدريس بن عبدالله بن الحسن:

هو خال الحسين بن عليّ قتيل فخ. وأمه: عاتكة بنت عبدالملك بن الحرث الشاعر بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي. هرب بعد معركة فخ، وسار إلى المغرب ليؤسّس دولة الأدارسة، فاحتال الرشيد في قتله، فتمّ موته بالسم سنة ١٧٧هـ[١].

٤ ـ يحيى بن عبدالله بن الحسن:

تربّى في منزل الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وكان يناديه حبيبي فيقول: حدثني حبيبي جعفر بن محمّد، كما احترمه مالك بن أنس وأجلّه، فهو ممّن روى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام وعن أبيه وأخيه. تجوّل في البلدان ملتجأً مستتراً بعد واقعة فخ، فقصد الديلم متنكراً، إلا أنّ الرشيد علم بمكانه فأمّنه، ولكنّه سجنه حتى مات، وقيل إنّه مات من الضرب أو بالسم، كما ذكر أنّه أُلقي إلى السباع الجائعة.

وكان يحيى قد استجار بصاحب الديلم، ولكنّه باعه بمئة ألف درهم للرشيد. وكان الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي هو القائد الذي حاربه، وعندما أمّنه الرشيد منحه بعض المال، وعاش في منزل سرّي، وتولّى أموره يحيى بن خالد الذي سمح للناس بزيارته حتى الأيام التي نكب فيها البرامكة. كما أحسن إليه جعفر بن يحيى البرمكي الذي سهل له الهروب، وهو الأمر الذي اعتبر من أقوى الأسباب في نكبة البرامكة.

ـ مات المنصور في ١٥٨هـ ـ ٧٧٥م. وهو الذي ادّعى على الإمام الحسن عليه السلام أنّه كان يتزوج في اليوم ويطلق في اليوم الثاني.

(١) وسيأتي تفصيل دولة الادارسة في الفصل القادم من هذا الكتاب.

٥ ـ الحسين بن عليّ بن الحسن المثلث: شهيد فخ.

كان عليّ من أولاد الحسن المثلث، وكان له خمسة أولاد وأربع بنات، اشتهر منهم الحسين صاحب فخ. ويكنّى بأبي عبدالله كالإمام الحسين عليه السلام. وأُمه زينب بنت عبدالله بن الحسن، وهي أخت إبراهيم ومحمّد وموسى لأبيهم وأُمهم.

خرج سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م بسبب تعسّف والي المدينة العمري، والتعرض لهم والإساءة إليهم. فخرج من المدينة إلى مكة، وبايعه خلق كثير على: كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، والدعوة إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله.

وابتدأ القتال حينما أمر (عبدالله بن الحسن الأفطس) المؤذّن بمسجد الرسول صلى الله عليه وآله أن يؤذّن بحيّ على خير العمل، فصلّى الحسين بن عليّ بالناس صلاة الصبح، وهرب الوالي العمري، فأرسل الهادي العباسي جيشاً يوم التروية عند صلاة الصبح، وحاربه في فخ[1]، ولم يقبل الأمان فقُتل مع أصحابه.

وممّن اشترك معه في المعركة:

ـ سليمان بن عبدالله بن الحسن، وقد أُسر ثمّ قُتل بضرب عنقه صبراً في مكّة.

ـ الحسن بن محمّد بن عبدالله بن الحسن، قُتل بعد المعركة.

ـ عبدالله بن إسحاق بن ابراهيم بن الحسن، قُتل في المعركة.

ـ عمر بن الحسن بن عليّ بن الحسن

ـ إبراهيم بن إسماعيل طباطبا.

---

(١) على بعد ٦ أميال من مكة.

ـ يحيى وإدريس ابنا عبدالله بن الحسن، هربا من المعركة فنجيا.

ـ عبدالله بن الحسن الأفطس، الذي وصّاه الحسين بن عليّ بالقيادة إذا حدث له شيء. وقد اعطي الأمان، وحبس عند جعفر بن يحيى البرمكي، الذي قتله بدون إذن الرشيد، فغضب عليه وقتله في نكبة البرامكة باسم عبدالله بن الحسن. كما اشترك معه عدد من أولاد وأحفاد عمر بن الخطاب.

وقد ذكر الحسين بن عليّ ويحيى بن عبدالله: أنّهما خرجا وأعلنا ثورتيهما بعد مشاورة أهل بيتهما وخاصة الإمام موسى الكاظم عليه السلام الذي أمرهم بالخروج، إلاّ أنّ الإمام عليه السلام لم يخرج معه؛ لأنّه تنبّأ بخذلان قومه عنه وبقتله مع جماعته. وقد تنبّأ النبي صلى الله عليه وآله لمقتله وموقع معركته؛ إذ إنّه صلى الله عليه وآله صلّى ركعتين في المكان الذي استشهد فيه، كما صلّى الإمام الصادق عليه السلام أيضاً في الموقع، وقال: «يقتل ها هنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة». كما روى أبونصر البخاري عن الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال: «لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ».

٦ـ **محمّد بن إبراهيم** بن إسماعيل بن طباطبا[1] ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام:

خرج من المدينة إلى الجزيرة أيام المأمون العباسي مع بعض من شيعته، واتّصل هنا بنصر بن شبيب الذي كان من الشيعة الموالين لأهل البيت، إلاّ أنّ الناس اختلفوا فيه، فلم يتفقوا على مساندته، فاعتذر إليه نصر، فانصرف عنه محمّد غاضباً إلى الحجاز. وفي الطريق التقى (بأبي السرايا

---

(١) لُقب طباطبا: قيل أن أباه خيّره وهو طفل بين قميص وقباء، فلم يُجيد الكلام فقال طباطبا بدل قباء، فلُقب به، كما ذكر أن طباطبا بلسان النبطيين يعني سيد السادات.

السـري بـن منصـور الشيباني) الذي كان علوي الرأي وشيعي المذهب، فعـاهده على الدعوة لـه في الكوفة. فاجتمعوا عند قبر الإمام الحسين عليه السلام، وأعلنوا الثورة في الكوفة داعين للرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله والعمل بكتاب الله وسـنة نبـيه صلى الله عليه وآله، فـبايعه الناس، وازدحموا عليه في موقع عرف (بقصر الضرتين) في ١٩٩هـ واستعدوا للحرب، فجرى القتال بين أهل الكوفة وأهل بغداد، وغنموا غنائم لم يعرف مثلها، دخل بها أبو السرايا الكوفة مع كثير من الأسرى والرؤوس، كما أوقعوا الهزيمة بقائد عباسي أخر أرسل لمحاربتهم، فقتلوا منهم الكثير. وفي هذا الوقت تُوفّي محمّد بن إبراهيم بن طباطبا، فدفنه أبـو السرايا مع عدد من الزيدية في الغري «كربلاء» وقد اتّسعت حكومته، فشملت الكوفة والأهواز واليمن والبصرة وواسط ومكة، مما أعظم من نفوذ الطالبيـن، وشجع أبو السرايا بضرب الدراهم باسمهم بالكوفة ينقش عليها: **(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص).**

إلاّ أنّ تلك الأقاليم توزّعت من بعده بين أهله: فتولى إبراهيم بن موسى بن جعفر شؤون اليمن، وهو أوّل طالبي أقام الحج للناس في الإسلام دون أن يولـيه خلـيفة، فقد حج بالناس في ٢٠٢هـ . وزيد بن موسى بن جعفر في الأهـواز[(١)]، والحسن بن الحسن الأفطس حكم في مكّة، وجعفر بن محمد بن زيد بن عليّ في واسط، ومحمّد بن محمّد بن زيد بن عليّ الذي اتّسعت دولته في البصرة والحجاز.

وطارد المأمون العباسي، قيادة أبي السرايا فخذله أهل الكوفة، فخطب فـيهم: «يـا أهـل الكوفة، يا قتلة عليّ، ويا خذلة الحسين، إنّ المعتمد على

---

(١) وهو الذي لقب بزيد النار، لكثرة ما حرق من دور بني العباس بالبصرة.

نصركم لمخذول، والله ما حمد عليّ أمركم فنحمده، ولارضى مذهبكم فنرضى به، ولقد حكّمكم فحكمتم عليه، إن قام قعدتم، وإن قعد قمتم، وان تقدّم تأخّرتم، وإن تأخّر تقدّمتم خلافاً عليه، وعصياناً لأمره، حتى سبقت فيكم دعوته، وخذلكم الله بخذلانكم إياه، أيّ عذر لكم في الهرب من عدوكم، لا عذر لكم إلاّ العجز والمهانة والرضا بالصغار والذلة، إنّما أنتم كفىء الظل، تهزمكم الطبول بأصواتها، ويملأ قلوبكم الحرق بسوادها. أما والله لأستبدلنّ بكم قوماً يعرفون الله حقّ معرفته، ويحفظون محمّداً في عترته». ثمّ توجه إلى البصرة فعدل عنها إلى الأهواز والسوس بفارس، ومعه محمّد بن محمّد بن زيد، فجرى القتال مع أهلها، وانهزموا فتفرقوا، فسار نحو طريق خراسان. وقبل أمان الوزير الحسن بن سهل الذي قطع رأسه وصلبه، كما سقى المأمون السم لمحمّد بن محمّد. وقيل إنّهم قتلوا ٢٠٠ ألف رجل خلال معاركهم الطويلة ضد الدولة العباسية، واستغرقت ثورته عشرة أشهر.

أما عامله على البصرة والأهواز: زيد بن موسى، فقد أُخذ أسيراً بعد أن مُنح الأمان. قبض عليه المأمون وكفله الإمام الرضا عليه السلام فعاش إلى أيام المنتصر العباسي. ولم يقبل الإمام عليه السلام بفعل زيد فنهره وحلف ألاّ يكلمه وقال له: إن كنت ترى أنك تعصي الله عزّ وجلّ وتدخل الجنة، وموسى بن جعفر أطاع الله ودخل الجنة، فأنت إذن أكرم على الله تعالى من موسى بن جعفر، والله ما ينال أحد ما عند الله تعالى إلاّ بطاعته، وزعمت أنك تناله بمعصية، فبئس ما زعمت.

كما أنّ الوالي على مكة من قبله أخرج كسوة الكعبة وكساها بثوبين جديدين كتب عليهما: «أمر به الأصفر بن أبي الأصفر أبو السرايا داعية آل

محمّــد لكسوة بيت الله الحرام، بأن يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس ليطهر من كسوتهم. كتب في ١٩٩هـــ».

ومن أحفاد ابراهيم بن موسى:

ـ السيد أحمد الرفاعي من مشايخ الطريقة الشافعية، توفي ٢٢ جمادى الأُولى ٥٧٨هــ .

ـ اســـماعيل بن موسى: سكن مع أولاده بمصر من أبنائه محمد الذي عمّر حتى أيام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ـ أحمـــد بـــن موسى: شاه جراغ بشيراز كان الإمام الرضا عليه السلام يحبه فمنحه ضيعة باليسيرة، وكذلك أخوه محمد الذي اشتهر بالعبادة وسمي العابد.

ـ حمـــزة بـــن موســـى: يرجع الصفويون بنسبهم إليه. قيل إنه دفن بشيراز، وبنى له الصفويون قبة عالية، كما قيل إنه في قم. من أبنائه: القاسم الذي كان من أولاده محمد الذي ينتسب إليه الصفويون.

وبعد مقتل أبي السرايا، طاردت السلطات الحاكمة العلويين، فانتشروا فـــي البقاع، واجتمع عدد منهم إلى محمّد بن جعفر الصادق عليه السلام طالبين منه البـــيعة لنفسه بالخلافة، فأجاب بعد تردّد، وسموه: أميرالمؤمنين، ولكن لفترة قلـــيلة: بضعة أشهر. وقد حار به العباسيون، ومنحوه الأمان ولمن معه حتى يخرجوا من مكة إلى أي مكان يختارون.

وأمـــا إبراهـــيم بـــن موسى بن جعفر الذي كان على اليمن، فقد لقب بالجـــزار لكثرة من قتل فيها. وقد أعدّ في موسم الحج سنة ٢٠٠هـــ مع عدد مـــن أولاد عقيل بن أبي طالب، جيشاً كبيراً، فأرسل العباسيون جيشاً بقيادة هرثمة بن أعين الذي عين (أبا إسحاق بن الرشيد) قائداً لحجاج بني العباس، فحـــاربهم واستولى على ماسلبوه من أموال الحجاج وما يختص بالكعبة في

سنة ٢٠٣هـ [١].

وأما الحسن بن الحسن الأفطس فقد استولى على مكّة وطرد (محمد بن داود) قائد حجاج العباسيين، وأقام الإمامة للحجاج بالمزدلفة في سنة ١٩٩هـ .

٧ـ **الحسن بن زيد بن محمّد** بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط عليه السلام الداعي الكبير:

خرج في أيام المتوكل في طبرستان وزحف على حاضرتها آمل، وتوجه إلى ساري، فاستولى على الري مؤسّساً للدولة الزيدية بطبرستان والديلم، استمرت نحواً من قرن كامل ما بين (٢٥٠ ـ ٣٥٥ هـ) وقد أشتهر بأنّه قتل كثيراً من السادة الأشراف، وجمعاً كبيراً من أهل طبرستان في المسجد.

٨ ـ **محمّد بن جعفر** بن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن:

هرب إلى مصر، ثمّ إلى المغرب في بلاد (تاهرت السفلى) واجتمع إليه عدد كبير من الناس، فحكم فيهم بالعدل. مات هناك مسموماً أيام الرشيد العباسي.

٩ ـ **أحمد بن محمّد** بن عبدالله بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن: وهو من أحفاد إبراهيم بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الذي لقب بـ (طباطبا) [٢].

---

(١) قتل المأمون قائده هرثمة الذي حارب العلويين في تلك الأيام بمشورة من الوزير الفضل بن سهل.

(٢) وكذلك القاسم بن ابراهيم طباطبا الرسّي، من أحفاده، توفي في ٢٤٦هـ كان من أولاده الرؤساء والامراء، اصبح منهم ائمة الزيدية وملوك اليمن، كما كانت له الرئاسة في إيران وفي شيراز خاصة.

ظهر بصعيد مصر أيام أحمد بن طولون الذي قتله سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م.

١٠ ـ **محمّد بن الحسن** السلق: لقب بالسليق لسلاقة لسانه وسيفه. خرج أيام المأمون، فانهزم وفض جمعه، وهم بنو الحسن بن عليّ بن محمد بن الحسن بن جعفر. ومنهم بطن آخر من بني الحسين ينتمون إلى محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين الأصغر.

١١ ـ **أبو عبدالله الحسين البرسي**: ينتهي نسبه إلى زيد بن الحسن بن الإمام عليّ عليه السلام. وكان قد سكن قرية برسي من قرى سواد الكوفة، وبقيت عامرة حتى منتصف القرن الثامن الهجري ثمّ خربت، ثمّ سكنها أولاده من بعده وأحفاده، فعرف الجميع بها.

١٢ ـ **الحسن بن يوسف** بن إبراهيم بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن: قتله الخليفة العباسي بمكة.

١٣ ـ **موسى بن عبدالله** بن موسى بن الحسن: خرج مع ابنه إدريس، فسم في الطريق، وتمكن بنو فزارة من تخليص إدريس منهم.

١٤ ـ **محمّد بن سليمان** بن داود بن الحسن بن الحسن: خرج أيام المأمون بالمدينة سنة ١٩٩هـ/٨١٤م.

١٥ ـ **عليّ بن محمّد** بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسن: ظهر أيام المأمون بالبصرة سنة ١٩٩هـ .

١٦ ـ **الحسن بن القاسم** من ولد الإمام الحسن عليه السلام: خرج أيام المستعين بالله سنة ٢٥٠هـ .

١٧ ـ **محمّد بن جعفر** بن الحسن: خرج سنة ٢٥٠هـ حبسه عبدالله بن طاهر في سجنه بنيسابور فمات فيه.

١٨ ـ **أحمد بن عيسى العلوي** بن علي بن الحسن: ظهر بالري بعد

محمّد بن جعفر.

١٩ ــ **الحسين بن محمّد العلوي** بن حمزة بن عبدالله بن الحسن السبط عليه السلام: ظهر أيام المستعين بالكوفة.

٢٠ ــ **محمّد بن صالح** بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام أبو عبدالله: حبسه المتوكل ثم أطلقه.

٢١ ــ **عبدالله بن موسى** بن عبدالله بن الحسن بن الحسن:

بعد مقتل الإمام الرضا عليه السلام خرج عبدالله متوارياً أيام المأمون، الذي دعاه إلى الظهور ليُعينه مكانه، فكتب إليه: «عجبت من بَذْلِكَ العهد وولايته لي بعدك كأنك تظن أنّه لم يبلغني ما فعلته بالرضا، لم أجد أضر على الإسلام منك؛ لأنّ الكفار أظهروا كفرهم فعرفهم الناس وخافوهم، وأنت ختلت المسلمين بالإسلام، وأسررت الكفر، فقتلت بالظنة، وعاقبت بالتهمة، وأخذت مال الغير من غير حلة، فأنفقته في غير حله، وشربت الخمر المحرمة صراحاً، وأنفقت مال الله على الملهّين، وأعطيته المغنيين، ومنعته من حقوق المسلمين، وحكمت فيه للمشرك، وخالفت الله ورسوله في ذلك. ويسعدني الدهر أن أبذل نفسي في جهادك بذلا يرضيني منك» ولم يتمكن المأمون من القبض عليه، حتى توفى أيام المتوكلّ.

٢٢ ــ **محمّد بن زيد** بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط عليه السلام: المعروف بالداعي صاحب طبرستان. استولى على طبرستان وحكمها منذ سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م. لمدة ١٨ سنة في أيام المعتضد. وكان عالماً شجاعاً محباً للشعراء والأُدباء، وزّع الأموال من بيت المال حتى لم يكن يبقى منه شيء. قتل في جرجان سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م. ودفن بجنب قبر محمّد بن الإمام الصادق عليه السلام المعروف بالديباج.

٢٣ ــ **أبو محمد الحسن بن علي** بن محمد بن علي بن الحسن السبطعليه السلام الملقّب بالأطروش: حكم الديلم في طبرستان ثلاث سنوات في سنة ٣٠١هــ وأسلم الكثير على يديه، ولُقّب بالناصر للحق. توفي ٣٠٤هــ عن عمر ٩٥ أو ٩٩ سنة.

٢٤ ــ زيد بن الحسن المعروف بزيد الأبلج:

وهو أكبر أولاده، تولّى صدقات الرسولصلى الله عليه وآله في المدينة، وعزله سليمان بن عبدالملك، فأعاده عمر بن عبدالعزيز، لم يدع الإمامة، وكان رأيه التقية من أعدائه والتآلف معهم، ولذا فقد تقلد بعض الأعمال في زمن الاُمويين.

وذكر أنّه لم يشارك عمّه الإمام الحسينعليه السلام في العراق، وأنّه بايع ابن الزبير بعد استشهادهعليه السلام؛ لأنّ أخته اُم الحسن كانت زوجة عبدالله بن الزبير، إلاّ أنّ أباالفرج الإصفهاني أكد أنّه سار مع عمّه إلى كربلاء، وكان مع الأسارى.

عاش إلى تسعين عاماً حيث تُوفّي عام ١٢٠هــ/٧٣٧م. واشتهر بالكرم والسخاء. ودفن بالقاهرة قرب جامع القراء.

ومن أولاده: الحسن الأنور والد السيدة نفيسة المعروفة بالقاهرة.

وأصبح محمّد بن الحسن بن زيد بن الحسن أميراً للمدينة سنة ١٦٨ هــ/٧٨٤م. وتُوفّي عن عمر ٨٥ سنة في نفس العام.

٢٥ ــ محمّد بن يحيى بن عبدالله بن الحسن:

مات في سجن بكار بن عبدالله الزبيري الذي أظهر البغض لآل البيتعليهم السلام.

٢٦ ــ عليّ بن العباس بن الحسن بن الحسن السبطعليه السلام:

قــدم إلى بغداد، ودعا إلى نفسه سراً، فاستجاب له الزيدية. قبض عليه المهــدي العباسي فحبسه، فتشفّع فيه الحسين بن عليّ صاحب فخ، ولكنّه قتل بالسم، فمات بالمدينة.

٢٧ ـ عبدالله بن الأشتر بن محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن:

وصــل إلــى بلاد السند للدعوة إلى أبيه، فنشر حبّ آل البيت في تلك البلاد. قتله أبوجعفر المنصور. كانت أُمه: أم سلمة بنت محمّد بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام.

جداول ثورات وانتفاضات أهل البيت عليهم السلام

أولاً: الثورات التي قام بها أبناء وأحفاد الامام الحسن عليه السلام

الاسم	الفترة	الموقع	النتائج
محمد بن عبدالله الحسن	في١٤٥هـ/٧٦٢م.أيام المنصور العباسي	في المدينة ومكة واليمن	قتل في المعارك
ابراهيم بن عبدالله(اخوه)	في نفس الفترة السابقة	في البصرة والكوفة	قتل في باخمرى
عبدالله بن الأشتر	في نفس الفترة السابقة	في بلاد السند	قتل
علي بن العباس	أيام المهدي العباسي	في بغداد	قتل بالسم في المدينة
الحسين بن علي	أيام الهادي	في فخ قرب مكة	قتل في المعارك
إدريس بن عبدالله	١٧٧هـ/٧٩٣م. أيام الرشيد	في المغرب	قتل بالسم
يحيى بن عبدالله	في نفس الفترة السابقة	في الديلم	مات بالسجن
محمد بن جعفر	في نفس الفترة السابقة	في المغرب	مات بالسم
محمد بن ابراهيم بن اسماعيل	في أيام المأمون ١٩٩هـ/٨١٤م	في الكوفة	توفي بكربلاء
زيد بن موسى	في نفس الفترة السابقة	في الأهواز	أخذ أسيراً
إبراهيم بن موسى	أيام العباسيين	في اليمن	ـ
الحسن بن الحسن	أيام العباسيين	في مكة	ـ
جعفر بن محمد بن زيد	ـ	في واسط	ـ
محمد بن محمد بن زيد	ـ	في البصرة والحجاز	ـ
محمد بن الحسن الزلق	ـ	ـ	انهزم
محمد بن سليمان	١٩٩هـ/٨١٤م. نفس الفترة السابقة	في المدينة	ـ

علي بن محمد	الفترة السابقة	في البصرة	ــ
عبدالله بن موسى	بعد مقتل الإمام الرضا (ع)	ــ	توفي أيام المتوكل
الحسن بن زيد	٢٥٠ــ٣٥٥هــ/٨٦٤ــ٩٦٥م. أيام المتوكل	في طبرستان والديلم	مؤسس الدولة الزيدية
محمد بن صالح	نفس الفترة ــ المتوكل	ــ	حبس وأطلق سراحه
الحسن بن القاسم	٢٥٠هــ/٩٦٤م. أيام المستعين	ــ	ــ
الحسين بن محمد العلوي	نفس الفترة	في الكوفة	ــ
أحمد بن عيسى العلوي	في أيام المعتز	الري ــ بعد ثورة محمد بن جعفر	ــ
محمد بن زيد الداعي	٢٧١هــ/٨٨٤م.أيام المعتضد	في جرجان	قتل في٢٨٩هــ/٩٠١م
أحمد بن محمد بن طباطبا	في ٢٧٠هــ/ ٨٨٣م. أيام المعتمد	في صعيد مصر	قتل
ابو محمد الحسن بن علي(١)	في٣٠١هــ/٩١٣م. أيام الغالب بالله	في الديلم	توفي ٣٠٤هــ٩١٦م
إبراهيم بن موسى	ــ	اليمن	ــ
ابوعبدالله الحسن البرسي	ــ	في قرية برس بالكوفة	ــ
الحسن بن يوسف	ــ	في مكة	قتل
موسى بن عبدالله	ــ	ــ	سم في الطريق
محمد بن يحيى	ــ	ــ	توفي بالسجن

ثانياً ــ الثورات التي قام بها أبناء الإمام الحسين عليه السلام

الاسم	الفترة	الموقع	النتائج
زيد بن علي	١٢٢هــ/٧٣٩م.في عهد هشام بن عبدالملك	الكوفة	قتل وصلب
يحيى بن زيد	٢١٥هــ/٧٤٢م.في عهد الوليد بن يزيد	الجوزجان ــ إيران	قتل وصلب
محمد بن جعفر الصادق(ع)	أيام المأمون العباسي	المدينة	تخلص منه المأمون
محمد بن القاسم العلوي الصوفي	أيام المعتصم ٢١٩هــ/٨٣٤م	الطالقان ــ خراسان	لم يعلم له أثر
يحيى بن عمر(٢)	المتوكل في ٢٥٠هــ/٨٦٤	خراسان	قتل بمدينة دبيل الارمينية

---

(١) وذكر أنه ثار بالكوفة وقتل في سامراء

(٢) أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الأطروش الملقب بالناصر للحق.

العباس بن إسحاق	أيام المقتدر العباسي	طبرستان	قتل
الحسن بن محمد	أيام المعتمد في ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م	دمشق	قتل
محسن بن جعفر	في ٣٠٠هـ/٩١٢م	البصرة	لم يعرف له أثر
أحمد بن عيسى بن زيد	١٨٨هـ/٨٠٣م.أيام الرشيد	المغرب	قتل من قبل الأغالبة
الحسن بن اسماعيل الكركي	في ٢٥٠هـ/٨٦٤م.أيام المتوكل	قزوين والديلم	توفي بالديلم
محمد بن جعفر بن الحسن	أيام الوالي عبدالله بن طاهر ـ المستعين	الري	حبس في نيسابور ومات
أبوالطيب محمد بن حمزة	٢٩١هـ/٩٠٣م.أيام المكتفي	طبرية الاردن	قتله محمد بن طفج الاخشيد
عبدالرحمن بن أحمد	٢٠٧هـ/٨٢٢م.أيام المأمون	اليمن	استسلم للحكومة
عبيدالله بن الحسين	أيام العباسيين في أول الثورة	ـ	سمه ابو مسلم الخراساني

وبالنظر إلى الجدول السابق يمكن استنتاج مايلي:

١ ـ إن الثورات التي قام بها أفراد من أبناء الإمام الحسين عليه السلام بدأت في أواخر الدولة الأموية؛ وذلك بسبب الظروف التي مرّت بها المنطقة الإسلامية، والتي غلب عليها طابع التوتر والانتفاضات والتمردات التي قادها أفراد آخرون من غير أهل البيت النبوي الكريم، فمنذ ثورة الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده تحرّكت قوى مختلفة في مدن الحجاز والعراق تهدف إلى إثارة الوضع وتغيير النظام الحاكم، كما سادت الفوضى الأُسرة الأُموية الحاكمة نفسها، عندما اشتدّ النزاع بين أفرادها للسيطرة على مقاليد الحكم، فانشغلوا بالحروب الأهلية التي أبعدت العنصر السفياني عن الحكم، فسيطر عليه العنصر المرواني، كما أنّ ثورات الخوارج المتكرّرة والمستمرّة دون انقطاع لم تمنح الفرصة للآخرين للإعلان بالثورة، وكأنهم كانوا يعملون بالنيابة عن الآخرين.

أمّا الثورات المؤثرة التي قام بها أفراد من أهل البيت، فقد بدأت منذ حركة زيد بن عليّ في أواخر العصر الأُموي.

٢ ـ أمّا في العصر العباسي فقد بدأت متأخّرة أيضاً بالنسبة لأبناء

الإمام الحسين عليه السلام في بداية القرن ٣هـ أي: بعد نشأة الدولة بسبعين عاماً.

وإنّ معظمها حدث في العصر العباسي الأوّل أيام المأمون والمتوكل. كما أنّها لم تحدث في منطقة واحدة، بل تعدّدت أماكنها في أجزاء مختلفة من الدولة الإسلامية؛ إذ اتّخذت مراكز لأعلان عصيانها شرقاً وغرباً، من أقصى البلاد في إيران وخراسان إلى شمال إفريقية في المغرب، إلاّ أنّ أكثرها اعتمد على الجزء الشرقي في خراسان؛ إذ اعتمد الثوار في سياستهم على أن يبتعدوا عن العاصمة والمراكز القريبة، حتى يمكن تأكيد نجاحهم في ثوراتهم أو تأسيس ممالكهم المستقلة، وقد نجح عدد كبير منهم في تأسيس دويلات لهم في مناطق: الجوزجان والطالقان، وطبرستان والري والديلم. كما نجح آخرون في المغرب واليمن.

وأمّا الثورات التي خرجت من الكوفة فقد أُخفقت كلها، وقُضي على أصحابها، فلم تنجح أي ثورة فيها في تحقيق أهدافها من التخلص من عناصر الدولة أو تأسيس دولة مستقلة. كما أنّ معظم قوادها قتلوا، والقليل منهم سلم من القتل والصلب، كما أنّهم اشتركوا في أن أتباعهم استضعفوا أمام مواجهة القوة المضادة، فخانوا القياديين في ساعة الصفر، فبالرغم من تجمع أعداد كبيرة منهم تؤيدهم بحماسة بالغة، فإنّهم كانوا يفرون في ساحة المعارك، ويتركونها ليضعوا القائد في موقف حرج، ومن ثمّ يخفق في أداء مهمته وتحقيق غايته.

كما أنّنا نستنتج من تلك الثورات: أنّ جميع المدن الإسلامية، استغلها أبناء الإمام الحسين عليه السلام في أداء مهامهم وإعلان ثوراتهم، حيث اشتركت منها مدن في إيران والعراق: مثل: الكوفة، والبصرة، والحجاز في مكة والمدينة واليمن، وفي الشام الأردن، ودمشق، وفي شمال إفريقية المغرب.

أمّا الثورات التي قادها أفراد من نسل الإمام الحسن عليه السلام:

١ ــ فإنّها لم تظهر أيام الأُمويين، بل ابتدأت في زمن الدولة العباسية، وبخاصة في العصر الأوّل منها، ومنذ تأسيسها، أي: في الفترة الأُولى لظهور الدولة العباسية منذ ١٤٥هـ أي: بعد ١٢ عاماً فقط من إنشائها.

٢ ــ وإنّ معظم تلك الثورات تركّزت في أيام المنصور والرشيد والمأمون والمتوكل والمستعين، وحدث أكثرها في أيام المأمون. كما أنّها استمرت حتى نهاية القرن الرابع الهجري .

٣ ــ وإنّ البلدان الإسلامية كلّها اشتركت في أداء هذه الثورات، فلم تخرج من منطقة محدّدة، بل اتّخذت مراكز وقواعد لها من الشرق والغرب؛ إذ اشتركت المدن التالية فيها: مكة والمدينة في الحجاز. واليمن. والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد في العراق. ومن ايران: الديلم، الأهواز، طبرستان، الري، خراسان، نيسابور، جرجان. وفي بلاد السند شرقاً. وفي مصر اشتهرت الصعيد بثورات أهل البيت عليهم السلام وخاصة في عهد أحمد بن طولون، وكذلك بالمغرب من شمال إفريقية.

٤ ــ وبالرغم من أنّ أكثر القائمين عليها قتلوا في المعارك الشرسة التي جرت بينهم وبين السلطات الحاكمة، أو انهزموا دون أن يحقّقوا نتائج إيجابية، أو أهداف مرغوبة، فإنّ عدداً منهم نجح في تكوين دويلات أو ممالك كبيرة تمكنت من الاستقلال عن الحكومة المركزية، وأن تستمرّ في السيطرة والحكم سنوات طويلة قد تصل إلى القرنين وأكثر، كالدولة الزيدية في طبرستان والديلم، ودولة الأدارسة في المغرب، والفاطمية في المغرب ومصر، وغيرها.

٥ ــ كما يمكن القول إنّ أياً من الثورات التي قامت في مدن العراق لم

تـــنجح في تحقيق الغايات، بل اُخفقت جميعها، وقتل رؤساؤها؛ وذلك لخيانة المؤيدين والتابعين للقائد، الذين كانوا يحرجونه عند الإلتحام في المعارك. إلاّ أنّ الـــثورات التي خرجت في جهات اُخر من العالم الإسلامي، تمكّن قوادها مـــن تأســـيس ممـــالك ودول استطاعت الاستمرار في الحكم لفترات طويلة توارثـــه الأبـــناء والأحفـــاد. فمـــع كثرة الثورات في مدن العراق وتعدّدها واستمراريتها، إلاّ أنّها لم تنجح أي منها في تحقيق أي هدف لها، على العكس من الثورات التي اندلعت بعيدة عن العراق، في الأجزاء النائية شرقاً وغرباً، تمكّن أفرادها من تحقيق الأهداف المرجوة.

وأمّا أقوى الثورات وأعنفها وأكثرها إيجابية وأثراً فكانت ثورة (فخ)، وثـــورة محمّد بن عبدالله بن الحسن، وأخيه إبراهيم، وثورة الحسن بن زيد، وإدريس بن عبدالله.

الفصل الثاني

الدول والممالك التي أنشأها أفراد من أهل البيت النبوي الكريم عليهم السلام

نجـــح أفراد من أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً من أبناء الإمام الحسن عليه السلام وأحفـــاده في أن يؤسّسوا دولا وممالك مستقلة في أطراف الدولة الإسلامية، مـــثلما نجـــح أفراد من الموالين لهم والمتشيعين لهم في أن ينشئوا مثل تلك الـــدول أو الدويلات في مناطق متعدّدة من الدول الإسلامية، فقد برزت منها مـــنذ ســـنة ١٧٠هـــ وحتى أيام العصور الحديثة، أي: أنّها تكوّنت في خلال الدولة العباسية، فلم يظهر لتلك الدول أثر في العهد الأُموي، وذلك أنّ الدولة الإســـلامية لـــم تكـــن قد توسّعت إلى ما وصلت إليه المساحات الشاسعة في الدولـــة العباســـية، كمـــا لـــم تهـــدأ الأحوال في العصر الأُموي؛ إذ كثرت الاضـــطرابات والفتـــن والحـــروب الأهلية والعسكرية الخارجية مع الدول الكـــبرى المجـــاورة، ممّا جعل الدولة الإسلامية تعيش حالة اضطراب وقلق وتوتر دائم، أشغل الأفراد والحكومات بأنفسهم في البحث عن وسائل وطرق للـــتخلص مـــن هذا وذاك، فلم تعطَ الفرصة لأي فرد بالتفكير في الإستقلال بمـــنطقة مـــا، أو إنشـــاء منطقة نفوذ خاصة، أو السيطرة على أي جزء في الدولـــة؛ إذ انصـــبّ تفكـــير القـــادة الثائرين على الدولة، وتركّزت أهدافهم وغايـــاتهم علـــى الإطاحـــة بالدولة وسلطتها للتخلص من آثارها السيئة في

المجــتمع الإسلامي؛ ولذلك فقد تعدّدت ثورات العلويين في الفترة التي حكم فــيها معاوية وحتى بدايات تأسيس الدولة العباسية، وهدأت خلال ربع قرن مابيــن ١٤٥ ــ ١٦٩هــ، حين تغيّرت الأحوال، وتبدلت الأوضاع السياسية في عصر الهادي العباسي. فقد شددّ الرقابة عليهم في المدينة المنورة مركز نفوذهم وانطلاق ثوراتهم، فتخوّف من نشاطات أهل البيت السياسية، ففرض علــيهم الإقامــة الجــبرية، والرقابة المشدّدة، وأساليب الحجز والمخابرات البوليســية، والتفتــيش المســتمر لمساكنهم ومناطق تواجدهم؛ ليكونوا تحت نظرهم. ومنذ ١٦٩هــ/ ٧٨٦م. يبدأ تفكير القواد العلويين في تأسيس مناطق نفــوذ خاصــة بهــم يستقلون بها عن الدولة التي اعتبرت غير شرعية في نظرهم. ففي تلك السنة وبعد مجزرة فخ التي استشهد فيها الحسين بن عليّ، تمكّــن بعض أفرادها من النجاة بأنفسهم والفرار من المعركة وتأسيس دول ناجحــة أخــذت سمعة كبيرة في العالم الإسلامي، فكان لها شأن عظيم حتى يومنا هذا.

فقد نجى من تلك المذبحة الرهيبة: إدريس وأخوه يحيى. فتوجه يحيى نحو الشرق، وأسّس دولة الزيدية في بلاد الديلم. وسار إدريس نحو المغرب ليؤسس دولة الأدارسة.

١ ــ دولة الأدارسة:

كانت المغرب في ذلك الوقت مستقلة عن السلطة المركزية في بغداد؛ إذ كــان حكم العباسيين عليها ضعيفاً، ممّا دعا إدريس بن عبدالله إلى التوجه نحــو المغــرب للإستقرار فيها، وأشار عليه بذلك راشد الأوروبي البربري الموالــي والمحــب لأهــل البيت عليهم السلام، فتسلل متخفياً في قافلة حجاج مصر

وإفريقية حين خروجهم من الحجاز عن طريق ميناء ينبع على البحر الأحمر ثـمّ النوبة فمصر. وكان صاحب البريد فيها شيعياً فساعدهما (واضح) على الخـروج مـنها مع قافلة البريد التي لم تكن تتعرض للتفتيش أو التدقيق في الهويـات، ولكـن الرشـيد العباسي علم بما فعله (واضح) فأعدمه. وواصل إدريـس وراشد طريقهما إلى القيروان فتوجها متخفين أيضاً إلى تلمسان ثمّ إلـى طـنجة التي لم تحسب ضمن ممتلكات سلطة بغداد أو طاعتها، ولكن إدريـس لم يستحسن البقاء فيها، فغادرها إلى وليلى[١] سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م، وهـي تعتبر مركز قبيلة أوربة البربرية، التي تفرّعت من قبائل البرنس[٢]، وقد أيدت الإمام إدريس.

وكانت هذه القبيلة تعيش في منطقة السوس الأدنى أعتنق أهلها الوثنية ثـمّ أصـبحوا نصارى حوالي عام ٣٢٠م عندما اختلطوا بالقوط الغربيين، وتزعّمت سائر قبائل البرنس حتى زمن الفتح الإسلامي عندما حاربهم حكام بني اُمية لإخضاعهم.

وقـد لقي إدريس في وليلى الترحاب من أميرها إسحاق بن محمّد بن عبدالحميد الأوروبي، فاعتنى إدريس بتعليمه تعاليم اُصول الإسلام وأحكامه، فزاد من تعلّقه بالإمام إدريس وبايعه بعد أن خلع طاعة العباسيين، كما طلب مـن أقاربه إعلان مبايعتهم له، ممّا عجّل القبائل الاُخرى بالتوجه إليه لتأييده وبيعته سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م.

وأعدّ الإمام برنامجاً خاصاً لنشر الإسلام في المنطقة، فكون جيشاً قوياً

---

(١) تبعد عن مكناس ٢٨ كيلومتر شمالا.

(٢) انقسمت قبائل المغرب إلى: البرنس، وتبر. وتفرعت قبيلة أوربة من البرنس.

مـــن البربر للعمل بالجهاد ونشر الدين في مدن المغرب[١]، وأقاليمها، فنجح في نشره في تلمسان بعد أن تسلمها صلحاً، وعاش في ظله أهل المغرب في اســـتقرار وأمان وحكم عادل في ظل إمام عادل من أهل البيت؛ إلاّ أنّ الغدر لـــم يمهله ليعيش طويلا، فقد بعث إليه الرشيد من دسّ لـــه السمّ فتُوفّي سنة ١٧٧هـــ/ ٧٩٣م فدفـــن في وليلى. كما اغتال ــ أيضاً ــ صاحبه ويمينه ووصـــيه راشـــد الأوربـــي في ٨٠٣ عندما سمّه زعيم الأغالبة إبراهيم بن الأغلب الموالي للعباسيين في تونس.

وكان إدريس ممّن أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أيامه فقال عنه: «عليكم بـــإدريس بـــن إدريـــس فإنّـــه نجيب أهل البيت وشجاعهم». كما أنّ الإمام الرضـــا عليه السلام قـــال عـــنه: «إنـــه من شجعان أهل البيت عليهم السلام والله ماترك فينا مـــثله»[٢]. وأصـــبح الحاكم من بعده إدريس ابنه من زوجته الأوربية كنزة، وكان قد أتقن كلّ علم ودين وهو صغير، فانفرد بالعلم والدين والشجاعة حتى بويـــع بالإمامـــة في عمر الحادي عشر؛ إذ بايعته أغلبية القبائل في المغرب والأندلس، التي لم تكن كلّها بربرية فقط، بل كان من ضمنها القبائل العربية الأُخـــرى. واســـتمر في الجهاد لنشر الإسلام، فقاتل الخوارج الصفرية سنة ٢٠٤هــ/٨١٩م ولكنّه تُوفّي سنة ٢١٣هــ / ٨٢٨م. في عمر ٣٦ سنة، فدفن

(١) كـــان الإمام علي عليه السلام أول من أطلق تعبير المغرب عليها، أي: المنطقة الواقعة غرب العاصـــمة الإسلامية لجهة مغرب الشمس، فقد أعلنها في خطابه للخوارج قبل معركة الـــنهروان: ابعـــثوا إليّ بقتلة إخواني فأقتلهم ثمّ لا أتاركَكم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب. أما البربر فقد أطلقها الرومان على الشعوب الخارجة عن نطاق حضارتهم.

(٢) أصبح من أحفاده حكام مصر الفاطميين.

بمسجد الشرفا بفاس، وقيل: إنّه قتل بالسم في العنب.

وقد خلّف اثني عشر ولداً ذكراً: محمّد ـ عبدالله ـ عيسى ـ إدريس ـ أحمد ـ جعفر ـ يحيى ـ القاسم ـ عمر ـ عليّ ـ داود ـ حمزة. وابنة واحدة هي عاتكة التي تسمّت باسم جدتها عاتكة بنت عبدالملك بن الحارث الشاعر.

وتسلم السلطة منهم محمد وتلقب بالمنتصر[1]، ووزّع الأقاليم على أخوانه:

فحكم القاسم في سبتة وقلعة حجر النسر وتطوان وطنجة.

وتولّى عمر تيكاس وترغة[2].

وسيطر داود على هوارة حتى مكناسة.

وأخذ يحيى أصيلا والعرايش. وكان عيسى في سلا وتامسنا. وأحمد في مكناسة، وحمزة في وليلى، وعبدالله في أغمات والسوس الأقصى.

كما سيطر ابن عمه عيسى بن إدريس بن محمّد بن سليمان بن عبدالله، على تلمسان، فحكمها حتى نهاية دولة إدريس على يد الفاطميين. وقد اشتهروا في التاريخ أنّهم أداروا البلاد على أحسن وجه، فنظّموا الأعمال، وأمّنوا الطرقات، وحفظوا الثغور، فتميّزت سيرتهم بالسمعة الحسنة الطيبة في الإدارة والولاية.

وقد تُوفّي محمّد بفاس سنة ٨٣٥م فدفن بجامعها بجانب أبيه وأخيه

---

(١) كانت أمه حرة من أشراف نقرة، شعب من البربر.

(٢) هو جد الحموديين الذين حكموا جنوب الأندلس بعد سقوط دولة بني أمية هناك. تُوفّي ٨٣٤م.

عمـــر الـــذي تُوفّي سنة ٨٣٤م فخلفه في الحكم ابنه عليّ الذي لُقّب بحيدرة، واتّصــف بالنــبل والشــرف وتنظــيم البلاد وإقامة الحقّ والاهتمام بشؤون العــباد والــبلاد، وتمــيّزت فــترة حكمـــه بالاستقرار والأمن، وتُوفّي سنة ٨٤٩م/ ٢٣٤هـ[1].

أما يحيى بن محمد فقد اشتهر بتنظيم البلاد والتنسيق في الإدارة، فكثر العمران، وبرزت فاس كدولة رائدة في المغرب والأندلس وإفريقية، فتوسّعت بكــثرة المرافق بها من فنادق وحمّامات، كما اعتنى بالتجارة والتجار، وبنى في عهده جامع القرويين سنة ٨٥٩م/٢٤٥هـ .

وكـــادت الدولـــة أن تضعف بعده وتنهار، إلاّ أن (عاتكة بنت عليّ بن عمـــر بن إدريس) تولّت الأمر بعبقريّة هاشمية، فكتبت إلى والدها عليّ بن عمر بأن يتولّى الأمر، فبايعه الناس.

وبالـــرغم من أنّ الفاطميين اشتركوا في نسبهم مع الأدارسة، إلاّ أنهم قـــرّروا الاســـتيلاء علـــى ملكهـــم، فتبادل الطرفان الحروب والمعارك مما اضـــطرهم إلى الرضوخ بمبايعة الخليفة المهدي الفاطمي، ودفع الضرائب، فأصبحوا تابعين لهم منذ سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م حتى اقتصر حكمهم على فاس.

وكـــان آخـــر حكـــامهم الحسن بن محمّد بن القاسم بن إدريس الملقّب بالحجـــام، اســـتولى علـــى فاس سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٣م. وحارب الفاطميين، وتوجـــه نحـــو الأندلـــس، فمـــات سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م، فزالت دولتهم دولة الادارسة بموته، وهي التي استمرت ١٢٠ عاماً مابين ١٧٢ـ٣١٣هـ وقرر القـــائد الفاطمي (موسى بن أبي العافية) إجلاءهم عن المغرب كلياً، فتوجهوا

---

(١) وكان قد وُلد ٨٢٧م، فكان عمره ٢٢ سنة.

نحــو قلعــة (حجر النسر) الحصينة في جبال تطوان[١]. وصمد معهم سكان المغــرب الموالــون للأدارسة بكلّ قوة وإيمان وحب لأهل البيت، فعارضوا موقف موسى بقولهم: «أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب، وتقتلهم أجمعيــن وأنت رجل من البربر. هذا شيء لانوافقك عليه ولانتركك لــه». فتراجع موسى عن هدفه، ولم يتمكّن من مواجهة رؤساء البربر، فتوجه إلى مضــايقة الحســن بن أبي العيس بن إدريس شقيق الإمام إدريس الأول في تلمسان، الذي اضطر إلى الفرار منها إلى مليلة سنة ٣١٩هـ/٩٣١، فتمّ بذلك سيطرة الفاطميين على المغرب، ونشروا المذهب الشيعي هناك.

إلاّ أنّ نفوذهــم لم ينتهِ عند هذا الحد، فقد اتّخذوا حجر النسر عاصمة، فاشتهر منهم سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م أبو العيش أحمد الذي اتّصف بالعلم والتّدين والكــرم والشجاعة، وحارب الأُمويين، ودخل الأندلس كمسلم مجاهد يسعى لنشر الإسلام في أسبانيا، ومات مجاهداً في الأندلس سنة ٩٥٦م. كما اصطدم أخــوه الحســن بــن كنون بالأُمويين الذين استخدموا أساليبهم المعروفة في استمالة زعماء البربر، بتوزيع المال والرشاوي، فانصرفوا عنه، والتجأ إلى الحصــن، فحاصروه حتى طلب الأمان على أن يرحل إلى قرطبة. فتم بذلك إجــلاء الأدارسة لأول مرّة عن وطنهم منذ أن قدم إليها جدهم الإمام إدريس الأول ســنة ١٧٢هــــ/٧٨٨م، فتوجهوا نحو قرطبة في أول محرم من سنة ٣٦٤هـــــ/ ٩٧٤م. مــع ٧٠٠ فرد، واستقبله الحاكم الأُموي أول الأمر، إلاّ أنـّـه غدر به، فأمر بطردهم إلى المشرق، فاتّخذوا السفن متجهين إلى تونس ســنة ٣٦٥م ثــم إلــى مصر حيث نزلوا ضيوفاً على الخليفة الفاطمي الذي

---

(١) بناها الأمير محمد بن إبراهيم بن محمّد بن القاسم بن إدريس في ٣١٧هـ/ ٩٣٠م.

أكـــرمهم، حــتى سنة ٩٨٥م حين ولاّه المغرب ليضرب بهم نفوذ الأُمويين، ولكنّهم قتلوه سنة ٩٨٥م فانتهت بموته دولة الأدارسة بالمغرب.

أمّا دولتهم في الأندلس: فقد أسّسها (القاسم وعليّ) أولاد حمود الإدريس في قرطبة، حيث سيطر عليّ في ثغر سبتة، وحكم القاسم الجزيرة الخضراء وطنجة وأصيلا.

وهــم ينسبون إلى: حمود بن ميمون بن أحمد بن عليّ بن عبيدالله بن عمــر بن إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام. ويتصلون من أخوالهــم إلى بربر أوربة، مما جعلهم يتعصبون للبربر. وقد تطلّع عليّ بن حمــود إلى الخلافة بالقضاء على الدولة الأُموية في الأندلس، فأعلن الدعوة لنفســه فــي ٤٠٤هـــ/ ١٠١٤م. خــلال فترة تميّزت بالصراع بين القوى السياسية المختلفة في الأندلس. فأيّده حكام الثغور، وكذلك هشام المؤيد الخليفة الشــرعي، فشجّعه على الخروج من سبتة إلى الجزيرة الخضراء سنة ٤٠٧ هـ/١٠١٦م وسار إلى ملقا في طريقه إلى قرطبة العاصمة، فاستولى عليها، وقتل سليمان بن الحكم الظافر وابنه في ٢٨ محرم ٤٠٧هـ، فأصبح الحاكم الشــرعي، وأعلن الخلافة، وتلقّب بالناصر، خاصة بعد أن علم بمقتل الخليفة هشــام المؤيد. فزالت بذلك دولة بني أُمية في الأندلس على يد الهاشميين بعد حكم استمر ٢٦٨ سنة[(١)].

---

(١) قــرّر زعماء قرطبة من وزراء ومشايخ وأهل رأي خلع الأُمويين ونفيهم من البلاد، فلقــي مــن جراء ذلك خلفاؤهم إهانات في صور شتى من الناس، فالخليفة هشام بن محمــد بــن عبدالملك آخرهم، اضطر إلى طلب كسرة خبز لإطعام طفلته الصغيرة، وكــان يقيها بكمه من البرد، واستغاث بالناس للحفاظ على حياته، إلاّ أنّهم طردوه إلى

وقـــد أحسن عليّ السيرة ومعاملة السكان وأقام العدل، فجرت الأحكام دون محاباة للأعيان، كما فتح الباب للرعية، وجلس للمظالم يعمل على وفق الأحكام الشرعية، فشمل البلاد الأمن والاستقرار.

إلاّ أن بعض أنصار الأُمويين تآمروا عليه، فقتلوه في الحمّام سنة ٤٠٩ هـــ/١٠١٨م. ودفن في سبتة عن عمر ٥٥ عاماً.

واستلم الحكم بعده أخوه القاسم حاكم الجزيرة الخضراء، وأقام بإشبيلية، وتلقّـــب بالمـــأمون، فأحســـن السيرة في الأهالي، واتّخذ السودانيين بطانته، والمذهـــب الشـــيعي عقيدة[1]. كما حكم الأدارسة بالإضافة إلى مناطقهم في الأندلس قرطبة. وقد تُوفّي آخر حكامهم المستعلي سنة ٤٥٦هـــ/١٠٦٤م. في ملقـــا. فاستمرّت سيطرتهم على الجزيرة الخضراء حتى ٤٥٠هـــ/١٠٥٨م. فيكون حكمهم في الأندلس قد امتدّ نحواً من ٤٣ عاماً منذ ٤٠٤هـــ/١٠١٤م.

الأدارسة في غرب إفريقية:

تمكّـــن الأدارســـة بفضل الوحدة بين العرب والبربر، وإقامة حكومة مركزية قوية: من إحياء حركة الجهاد الإسلامي بنشر الدين في جهات أُخرى من قارة إفريقية. كما كان لتأسيس فاس أثره في فتح عهد جديد لتاريخ البلاد حيـــن قصـــدها العلمـــاء والـــتجار، مما أثر في نشر الإسلام واللغة العربية

سرقســـطة فمات فيها سنة ٤٢٧هـــ، كما نودي بالأسواق والضواحي ألاّ يبقى أحد من بني أُمية بقرطبة، ولايساعدهم أحد، فنفوا منها جميعاً. وقد أمر بكل ذلك أبو الحزم بن جمهور.

(١) كان عمره ٦٥ سنة. وهنأه الشعراء بمناسبة زوال دولة بني أُمية:

لك الخير خيرأن مضى لسبيله   وأصبح ملك الله في ابن رسوله

وتشجيع الحركة العلمية. وكان لنسبهم العلوي أثره الكبير في توحيد القبائل، حيث بايعهم الملثّمون، فساهموا في نشر الإسلام بعد تعلمهم الثقافة العربية، فأدّى إسلامهم إلى قيام حلف قوّي جمع بينهم بزعامة (لمتونه)، فنجحوا في نشر الإسلام بين القبائل الزنجية بالسودان الغربي. كما أنّ الملثّمين(١) أثروا في مملكة غانة حين دخلوا (أودغشت) واتّخذوها عاصمة، فبرز منهم الزعيم عبدالله بن باسين في القرن ٥ هـ داعياً الناس إلى التمسك بالدين والوحدة السياسية. واتّخذ أتباعه اسم المرابطين، وبدأوا الجهاد الإسلامي في السودان والنيجر وغانة، كما نجحوا في توحيد السودان والمغرب والأندلس في دولة واحدة، وأسّسوا مدينة كت (تنبكتو) التي برزت كمركز مميّز للثقافة والعلوم والتجارة. فاهتمت بطلب العلم والدين، والكتب المخطوطة المستوردة من بلاد البربر، واهتمت جامعتها بدراسة مناهج عدّة في علوم الدين والشريعة وعلوم السياسة واللغة، ألقاها أساتذة زائرون من فاس والأزهر على الطلبة الذين وفدوا إليها من غرب أفريقية المجاورة.

كما ساهم الطوراق في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، فقد كانوا من البدو النازلين في المغرب الأقصى، فتوسّعت ديارهم، فامتدّت من جنوب مراكش إلى حوض السنغال، وكذلك عمل (الفولاني) على نشر الإسلام في شمال نيجيريا وبحيرة تشاد مما ساعد في امتداد التيار الإسلامي المتدفق من بلاد المغرب، ليشمل السنغال وما بين النيجر ونهر السنغي، الأمر الذي دفع إلى تأسيس مراكز إسلامية متطورة في تلك الاجزاء، تقدم منها الإسلام

---

(١) إسلام الملثمين وبيعتهم للأدارسة في القرن ٣هـ كان له أثره في تاريخ المغرب والسودان في نشر الإسلام بين القبائل الزنجية في تلك البقاع.

صوب الشرق على يد التجار أو الفاتحين من السلاطين. كما أنّ سلاطين مالي ادعوا الانتساب إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن عليّ.

التشيع في بلاد المغرب وإفريقية:

وقد انتشر ذلك على يد الإمام إدريس بن عبدالله بن الحسن حينما أقام دولة شيعية مؤيدة من البربر الذين التفّوا حوله؛ وذلك ماسهّل للفاطميين من إقامة دولتهم في تلك الأجزاء، فحين وصلها داعيهم (أبو عبدالله الشيعي) سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م كانت البلاد ممهدة له، إذ إن التشيع كان قد استقرّ في عقول البربر، كما اعتنقه الكثير من وزراء الأغالبة في تونس.

وعندما هاجر (سليمان بن عبدالله بن الحسن) أخو إدريس الإمام إلى المغرب الأوسط الشرقي ـ تلمسان ـ رحّب به الناس تبرّكاً بنسبه الشريف، فسميت الإمارات التي أسّسها في تلك المناطق باسم الإمارات الحسنية، كما أنّهم تحالفوا مع الأدارسة لنشر الإسلام والتعريب والحضارة الإسلامية والتشيع في تلك النواحي.

أما في غرب إفريقية، فقلّما تجد بيتاً حاكماً إلاّ وينتسب بعضهم إلى أصل عربي، فيدّعون نسبا علوياً أو فاطمياً أو عباسياً. وتتوافر حتى الآن التأثيرات الشيعية في حياتهم، من أعياد واحتفالات تتميز بها المناطق في غرب إفريقية، مثل عيد المولد، ويسمّى: جامو Gamou وعاشوراء: تامخاكات Tamkhakat كما أنّ لديهم أفكاراً تشبه ما عند الشيعة عن المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلا. ففي سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م أعلن ابن تومارة أحد شيوخ جنوبي مراكش أنّه المهدي، وهو من الموحدين، واخفق المرابطون في التصدّي له أو التخلّص منه، فغزا تونس وحكم المغرب كلّه،

وأصبح قوة إسلامية رئيسة بين دول البحر المتوسط، فاستمر حكمهم حتى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م. واشتهرت من عوائلهم: الحفصيون الذين حكموا تونس حتى سنة ٩٨٢هـ/١٥٧٤م.

أما المرابطون فقد ربطوا أنفسهم بسلسلة تتصل إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو بأحد القريشيين أوالأولياء الذين عرفوا بالشرفاء. وتميّزوا بالزهد في الحياة، فقدموا مالديهم من ثقافة وعلم، ونشروها في المدن والقرى، كما عاشوا على الصدقة والتعاويذ، ووزعوا مايجمعون على الفقراء.

والأشراف السعديون دافعوا عن التراث الإسلامي الذي تمركز في المغرب بعد سقوط غرناطة في الأندلس، وجاهدوا بقوة فنظموا مقاومة إسلامية لطرد البرتغاليين من المدن الساحلية، فحافظوا على الزعامة الثقافية التي توارثتها دول المغرب الأقصى منذ أيام المرابطين.

كما تابع خلفاؤهم الأشراف العلويون الذين جنبوا البلاد الإفريقية خطر النفوذ التركي في القرن ١٦م وخطر الاسبان الذين حاولوا الاستيلاء على سواحل إفريقية الشمالية، فظهر في المنطقة خير الدين وعروج بربروسا اللذان استعانا بالاتراك.

وظهرت كذلك الشريفية التي أسّسها في غرب إفريقية: حمى الله بن محمد بن عمر الذي كان والده من شرفاء مدينة تيشيت في موريتانيا. وهو ينتسب إلى الإمام عليّ عليه السلام بشجرة نسب تضم ٣٧ حفيداً. ولد في نيورو شمالي جمهورية مالي على الحدود الموريتانية سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، واشتهر بالورع والتقى والرسوخ في العلم والقوة في الحجة، فلزم التعبد والاعتكاف والتدريس، حتى زاد عدد تلاميذه سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م ممّا ساعد في امتداد نفوذه إلى ساحل العاج، كما وصلت طريقته إلى غينيا

وموريتانيا والسنغال.

ومــن أهــم ماقام به: إعلانه الحرب على فرنسا، فنفاه الفرنسيون إلى إحدى واحات موريتانيا، إلاّ أنـّه أكمل حروبه ضد فرنسا حتى أيام الحرب العالمــية الثانــية، فاشــتد عليه الفرنسيون، واستخدموا العنف والوحشية في مقاومــته، وحكموا بالسجن على ٦٠٠ من أتباعه، وبالموت على ٣٣ منهم، كــان مــن ضــمنهم اثــنان من أبنائه سنة ١٩٤١م، وحكموا على الشريف نفســه بالســجن فمــات سنة ١٩٤٢م. إلاّ أنّ طريقته كانت قد انتشرت بين القــبائل وفــي المــدن والمــناطق الوثنية في فولتا العليا. وكان الشريفيون يمارســون نشــاطاً ســرياً فــي العمــل ضد الاستعمار الأجنبي وحلفائهم، وتمكّنوا أن يحوّلوا في فولتا العليا الشمالية ثلاثين ألفاً من شعب الموسى إلى الإسلام.

أمّــا المــثقفون مــن رجال الدين فقد اتّخذوا اسم الأئمة وأطلقوه على أنفســهم؛ إذ اعتقد الأفارقة بما أقره بعض هؤلاء في ارتباط أنفسهم بالأسرة الهاشــمية من الأدارسة، فلقبوا بالأشراف، حتى وصل إعتقادهم إلى أن كثرة هؤلاء الاشراف في بلد تؤدّي بأهله إلى الجنة.

فقد نظر شعب السنغال ومالي إلى شخصية (عمر بن سعيد طال) قائد الفرقة التيجانية، في القرن ١٩م/١٨٢٥م على أنـّه المهدي المنتظر، فتعلّقوا به كشخصية دينية كبيرة مميزة. كما أنّ أحمد ولوبو[1] أتّخذ لقب المهدي في بلاد الحوصة، وأنـّه مبعوث العناية الإلهية لانقاذ المجتمع الإسلامي في هذا

---

(١) أحمد بن محمد المعروف بأحمد ولوبو، من أسرة الفولاني، نشأ في أسرة مسلمة، تعلّم في (جنى) أهم مركز ثقافي إسلامي في حوض النيجر.

الجـــزء مـــن إفريقـــية، فادّعى الانتساب إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله وأشاع التنبؤات بظهور المهدي، مهيئاً الأذهان لـــه بذكر صفته ونسبه واسمه. كما وجه كتباً ورسائل إلى سلطان مراكش وإلى مسلمي الجزائر وتونس ومصر وغيرها، علـــى أنـــه الإمام الثاني عشر المهدي[١] الذي بعث لإنقاذ الدين والجهاد في سبيل الله، الذي أعلنه سنة ١٨١٣م وداعياً إلى إصلاح أُمور المسلمين، معلناً الحـــرب علـــى البدع وتحريم الخمر والميسر، ومجاهدة الوثنية. وخلفه ابنه أحمـــدو شيخو، وتابع رسالته في الإصلاح بعد وفاته سنة ١٨٤٤م. كما دعا (محمـــد بن عبدالله حسان) في الصومال الدعوة المهدوية، وأعلن الجهاد ضد المشـــركين والأجانـــب، وجاهد البريطانيين حتى وفاته سنة ١٩٢٠م فكانت دعوتـــه وطنـــية مخلصة ترمي إلى توحيد القبائل تحت لواء الإسلام، ونشر الثقافة الإسلامية، وطرد العدو الأجنبي.

فالانتفاضات المهدوية التي جرت في إفريقية في القرن ١٩ هدفت إلى التخلص من خطر الأستعمار وثقافته في السودان وغرب إفريقية.

أما في السودان الشرقي وبلاد النوبة والبجة:

فقد ظهر فيها عدّة أفراد ادّعوا الانتساب إلى آل البيت عليهم السلام ممّن اعتنوا بالـــثورة علـــى الأوضاع السائدة، ففي أواسط القرن ٣هـ تنازع السلطة في بـــلاد الـــنوبة والبجة رجلان من قريش: إبراهيم بن محمد العلوي من ذرية عمـــر بـــن الخطـــاب، وعـــبدالله بن عبدالحميد العمري، فانهزم العلوي بعد أن انشـــق علـــيه أصحابه، فتركهم وسار إلى عيذاب، حيث أجاره نائب ملك

---

(١) يستدل من اعتقادهم باثني عشر إماماً أنهم شيعة إمامية.

البجة، وأعدّ لــه سفينة أوصلته مع أهله إلى جدة، فتوجه منها إلى مكّة سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م. وذلك خلال حكم الطولونيين بمصر، وكان العلوي قد ثار على أحمد بن طولون.

وهــناك رواية أُخرى للموضوع، فتذكر أنّ الرياح عاكست السفينة في طريقها من عيذاب إلى جدة، فتوقّفت في ميناء الشيخ برغوت جنوباً، فأقاموا بهــا بعــض الوقت، وعند الإبحار مرّة ثانية تخلفت عنهم إحدى بنات الشيخ العلوي فضلت الطريق، فوصلت إلى حيّ من السادة (الكميلاب) فأخذوها إلى ســواكن، ثمّ أصبحت هذه العلوية الهاشمية جدة الهدندوة، وهي أكبر القبائل التــي تحتفظ باسمها حتى الآن. واشتهر منهم الشيخ محمد طاهر بن عبدالله الحاشي من زعمائهم الدينيين، وأوّل من هاجر إلى لقاء الإمام المهدي محمد أحمد[1] بالسودان مع أربعين شاباً اشتركوا في واقعة جزيرة أبّا سنة ١٨١١م، وماتوا هناك. فقد أيدوا حركة المهدي بالسودان، وتميّز الهدندوة باهتمامهم في طلب العلم، فلم تدرك شأنهم في ذلك أية قبيلة أُخرى.

وفــي (حمشيرا) قرب عيذاب يرقد (أبو الحسن الشاذلي بن عبدالحميد بن عبدالجبار) الذي ينتهي نسبه إلى الإمام عليّ عليه السلام، وعاش في عهد السلطان

---

(١) محمــد أحمد ينتسب إلى نجم الدين جد الكنوز من العرب المولّدين، وكان لنسبه أثره في نجاح دعوته بالسودان، فالكنوز ينتمون إلى آل البيت عليهم السلام والمهدي ينتسب إلى آل البيــت مما جعل القلوب تألف حوله، ولم يكن يأكل من طعام أُستاذه، لأنــّه كان من مال الحكومة؛ إذ كان يرى أنّه مال الظلم. وقد بنى في جزيرة (أبّا) مسجداً وخلوة سنة ١٨٧١م وزاد توافــد الــناس عليه وطلبوا منه البركة. أخرج منشورات سياسية ضد الحكم الأجنبي للسودان، ودعا الخديوى توفيق في مصر إلى الوحدة لإخراج أعداء الله من بلاد المسلمين، فأعلن الجهاد لإقامة حكومة عالمية إسلامية.

محمـــد بن قلادون المملوكي، وتُوفّي سنة ١٢٥٨م. وورّث علمه للشيخ (أبي العباس المرسي) المدفون بالاسكندرية.

وفـــي جزيرة سواكن: حكمها سنة ١٣٣٠م. السلطان الشريف زيد بن أبي نمى، اتخذ عساكره من البجة من أولاد كاهل، الكواهلة.

الإسلام في غرب إفريقية:

تـــرجع حضـــارة غـــرب إفريقـــية إلى الهجرات القادمة من الشمال والجـــنوب، ولذا فحضارة غربي إفريقية مستمدة من حضارة البربر، وليست من حضارة البحر المتوسط. فقد هاجر العرب إلى غرب إفريقية عن طريق المغـــرب العربـــي، حيث سكنت شعوب كثيرة منوعة الأُصول اشتركت في إعمـــار تلك الجهات. وكان لقيام مملكة كانم شرقي بحيرة تشاد سنة ٨٠٠ م. علـــى يـــد أُســـرة حاكمـــة من أصل إفريقي أبيض أثرُها في تطور المنطقة وحضـــارتها، وتحولـــت الأُسرة الحاكمة سنة ١٠٩٠م إلى الدين الإسلامي، فأصبح للإسلام جبهة ثابتة هناك، فأقامت دولة ضخمة أكثر تنظيماً وكفاية في أســـاليب الحكـــم، كمـــا رفـــع الدين مستويات شعوبها من الناحية الأخلاقية والإنســـانية وخلـــق علاقات حضارية وفكرية بين غرب إفريقية وحضارات العصـــور الوسطى، فأصبحت دولة كانم بعد انهيار حضارتها في القرن ١٥ إلـــى دولـــة برنو الجديدة شمال شرقي نيجريا وغربي بحيرة تشاد. وقد تأثّر الإســـلام في الجنوب الوطني موطن اليوروبا بإسلام كانو في القرن ١٦ هو العصر الذهبي لمملكة برنو الجديدة، وقد فتح إدريس الثاني كانم مرة أخرى، حيـــث نشر العدل وخضع في أُمور الحكم لنصائح الاثني عشر موظفاً. ولذا فقـــد أصـــبح السودان الغربي جزءاً من العالم العربي عرف بكثرة مساجده

ومدارســه التي أمّها طلاب العلم والشيوخ من المناطق الأُخرى، كما ارتبط أيضاً بالتجارة مع شمال إفريقيا.

وحدث أكبر غزو للإسلام بواسطة المرابطين[١] في القرنين ١٠ و١١م. وحمــل الدعوة مجموعة من قبائل البوهل أو الفوليين أو الفولا، من موطنهم فــي السنغال باتجاه الشرق إلى نيجريا وتشاد، ثمّ أرسلوا الطلاب لتلقّي العلم فــي القاهرة أو فاس. فالمرابطون كانوا قوة دينية نشأت في جنوب المغرب الأقصى عبروا مضيق جبل طارق إلى الأندلس، وضربوا القوة المسيحية، ثمّ اتجهــوا نحــو الجــنوب، وتوّسعوا في إفريقية السودانية، ونشروا الإسلام، وقضــوا علــى مملكــة غانا الوثنية. وقدم بعدها الموحدون الذين وقفوا مع الإمارات الإسلامية ضد النصرانية.

كمــا أنّ تجار كردفان والسودان الشرقي انحدروا من العرب ووصلوا إلى هذه البلاد بعد سقوط الخلافة الفاطمية في مصر ١١٧١م.

وفــي نهايــة القرن ١٤م. نقل عمر بن إدريس قاعدة بلاده إلى غرب بحــيرة تشــاد في منطقة برنو، ونشر الإسلام هناك، حيث انتشر في شمال إفريقية بعد ذلك.

وفــي ١٨٠٨م قامــت في بلاد برنو امبراطورية خضعت للفولاني. وظهــر مــن فقهائهم في القرن ١٨ عثمان دان فوديو[٢] الفقيه الداعي، وحّد الجماعات القبلية في أقاليم الهوسا، وجعل منها قوة متماسكة، وأعلن الجهاد، فســقطت ولايات الهوسا في يده، ونشر الإسلام حتى وفاته سنة ١٢٣٣هـ/

---

(١) وهم بدو المغرب الأقصى.

(٢) عــثمان بــن محمد فودى: كتب عشرين كتاباً في أُصول الولاية، واحياء السنة وبيان البدع، المسائل المهمة، نصائح الأمة، المهدي المنتظر وغيره.

١٨١٧م في مدينة سوكوتو قاعدة دولته. وظلت أُسرته وسلالته تتوارث عرش سوكوتو حتى العصر الحاضر بلقب أمير المسلمين (ساركين مسلماني)، وحكم الفولانيون قرناً، فنشروا الإسلام بين قبائل شمال نيجيريا بالقوانين والنظم الإسلامية. كما تأثر الجنوب الغربي لنيجريا بالفولانيين في بلاد الهوسا وخاصة (أفونجا) أحد ملوك اليوروبا الذي أرسل يطلب فقيهاً إسلامياً للاستقرار في بلاطه، وتوافد الكثير من الهوسا إلى الجنوب للعمل في الجيش والاشتراك في الفتوحات. وأسّس مملكة في إيلوريش إمارة فولانية، وتوسعوا في بلاد اليوروبا.

شعب الهوسا[١]: تقع سهولها الخصبة بين برنو وصنغاي على النيجر الأعلى. قامت فيها سلسلة من الإمارات الصغيرة في العصور الوسطى. كانت دور أقدمها، وجوبير، وكانو ــ كاتسينا ــ زاريا.

وهم ليسوا قبيلة بل شعب امتزج لمدّة طويلة من القرون بجماعات قبلية وجنسيات كثيرة انصهرت في شكل أقرب إلى الدولة، وذلك بفضل لغتهم المشتركة والاعتزاز بحضارة واحدة. ولاتزال لغتهم تسيطر على هذه المناطق نظراً لنشاطهم التجاري الذي وصل إلى القاهرة والقسطنطينية. وقد خالطت دماؤهم عناصر بربرية من الشمال، وعربية من الشرق، فأصبح هناك تشابه بين اللغة البربرية ولغة الهوسا؛ لأنّها كتبت بحروف عربية، وضمت في متنها كثيراً من ألفاظ عربية.

وهم تجار ومقامرون ورحّالة، أقاموا حركة تجارية واسعة مع شمال

---

(١) الهوسا اصطلاح لغوي يطلق على جميع الشعوب التي تتكلم لغة الهوسا. ويحتمل أن تكون ولايات الهوسا قامت بعد شعب اليوروبا بحوالي ألف ق.م، حيث سبق شعب اليوروبا في القدوم إلى المنطقة تاريخياً شعب الهوسا.

إفريقــية، فــبرزت كاتسينا في شهرتها التجارية وكمركز تجاري وحضاري كبــير، وســيطر الــتجار الهوسيون على النشاط التجاري في جميع أنحاء الســودان الأوسط، بل أصبحت لغتهم هي لغة التخاطب العامة في الأسواق، ولغة المعاملات التجارية والمالية.

وقــد ظهرت ولايات الهوسا في شمال نيجريا واتّحدت في دولة كبيرة في بداية القرن ٨م. وأقاموا دولة إسلامية كبرى في مدن: سوكوتو Sokoto وكاتســينا Katsina وكــانو Kano وزاريا Zaria فسيطروا على مساحات شاســعة مــن الصــحراء الكبرى شمالا حتى خليج غينا جنوباً، ومن تشاد والكاميرون شرقاً إلى أعالي الفولتا غرباً.

وبعد ٢٠٠ عام تمكّنت شعوب اُخرى وهي الفولانية من السيطرة على بلاد الهوسا.

شــعب اليوروبا Yorwba: جاءوا من الشرق؛ ووصلوا المنطقة قبل الهوسا، وعاشوا بين النيجر والداهومي والبحر، وأسّسوا ممالك قديمة مستقلة مــثل: مملكــة بنّيــن مــنذ القرن ١٢ حتى ٢٠م، الإيبو في الشرق ما بين الكامــيرون والنــيجر والمحيط الكانوري، استقروا في بلاد برنو، اشتهروا بتمسكهم بالدين.

والــيوروبا: مــن المدن القديمة التي استقرت في جنوب نيجريا حيث كانت إيفة Ife عاصمة مملكتهم التي تأسّست في الغابة. وقد وصل المؤسسون لحضارة اليوروبا إلى بلادهم ما بين القرنين ٧ و ٨م.

وقد انتشر الإسلام في غرب مناطق تشاد ونيجريا ومالي منذ أكثر من ألــف عام عن طريق: التجارة والدعاة المسلمون والجيوش الفاتحة. فقد قدم الــتجار والفقهــاء والدعاة المسلمون من شمال إفريقية ومصر ونشطوا في

الدعوة ونشروا الدين والثقافة الإسلامية في العصور الوسطى. وكان الفضل للمغاربة كثيراً في تأثيرهم بنشر الإسلام، والدعاة الذين عملوا تقرباً إلى الله وجهاداً في سبيله. فكانوا خير دعاة للإسلام بفضل عملهم وسلوكهم، فأضافوا للشعوب الإسلامية شعوباً جديدة ولأمتهم أمة جديدة.

وقد تميزت التجارة بأهميتها في تلك المدن والولايات وإيجاد أسواق مهمة على طرق القوافل الجنوبية عبر الصحاري، فكانت هناك شبكة طرق للتجارة تربط المدن والقرى من جميع غربي إفريقية بين الصحراء والساحل، وإقامة الأسواق المحلية بانتظام قبل ظهور الأوروبيين، حيث كان لكلّ سوق يوم خاص تعرض فيه البضائع والسلع.

في شرق إفريقية، الحبشة:

تزعم حركة الجهاد الإسلامي فيها (أحمد بن إبراهيم) الملقب بالقرين أو الأشول، وكان قد تثقف دينياً، فعندما رأى ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم وعداء الأحباش لهم قرّر الجهاد لإنقاذ المجتمع الإسلامي، وقد قدّره معاصروه ووقروه حتى رفعوه إلى مرتبة القدسية، فزعموا أنّه (إمام آخر الزمان) وإنّه قد حلم به أحد العلماء وكأنه ظهر بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمام الإمام عليّ عليه السلام حيث قال عنه: هذا رجل يصلح الله تعالى به بلاد الحبشة. وقد انتصر على الأحباش في سلسلة متعاقبة من الغزوات سنة ١٥٢٩م، تمكن من الاستيلاء على معظم المدن فيها حتى سيطر على جنوبها ووسطها سنة ١٥٣٥م، وذلك في الوقت الذي ظهر فيه البرتغاليون والعثمانيون، فتحالف الأحباش مع البرتغاليين الذين ساندوهم بامدادات عسكرية سنة ١٥٤١م ممّا أضعف موقف أحمد، ولم يتمكّن من الصمود أمامهم، فانهزم ثم

تُوفّي. وقد تزعمت الجهاد والثورة بعده أرملته وابنته وابن أخته الذي انتخب إماماً سنة ٩٥٨هـ/١٥٥١م وسمّوه (صاحب الفتح الثاني).

وكـــان أحمـــد القرين قد بدأ ظهوره في سلطنة (عدل) شرقي إفريقية، وكـــان نظام الحكم سلطانياً، فانتقل الحكم السلطاني التقليدي إلى حكم الأئمّة، فـــاتّخذوا لقب الإمام، فبدأ الجهاد منذ ذلك الوقت، وظهرت طائفة جديدة من الاُمـــراء المســـلمين اتّخذوا لقب الإمام مما يدل على أن حركتهم كانت دينية جـــنّدوا لهـــا الانصـــار من الصوماليين والأعفار، فهؤلاء الاُمراء الدينيون تلاءمـــوا أكثر لسياسة العصر وروحه، وأقدر على إلهاب شعور الجماهير، ممّـــا أدّى بالمجتمع العدلي أن يتألّف من حزبين: حزب ديني شعبي تزعمه الأمـــراء الأئمّة، وحزب محافظ تزعمه سلاطين عدل التقليديون، وقد تمكن الأئمّـــة مـــن الانتشـــار في المدن العدلية وتأسيس إمارات محلية بها، كان أعظمهم وأكثرهم أثراً. الإمام الغازي أحمد بن إبراهيم صاحب الفتح العظيم، الذي كان له الفضل الكبير في نشر الإسلام في تلك البقاع.

مظاهر الحضارة والمدنية في دولة الأدارسة:

كـــان إدريـــس بن عبدالله أوّل طالبي يفد إلى المغرب، ويؤسس دولة علوية كان لها شأنها الحضاري في جهات غرب إفريقية.

فتمـــيّز عصرهم بالازدهار السياسي والثقافي والإقتصادي، فقد جمعوا الأموال على الوجه الشرعي، وصرفوها على الوجه نفسه في مصالح الدولة العلـــيا، واعتنوا بأحوال الناس الصحية والمعيشية. فالإمام الحاكم كان يعود المرضى والفقراء والايتام والأرامل، يقدّم لهم العطاء والمساعدات والهبات، كمـــا كان يقوم بزيارات إلى سكان العاصمة والأقاليم للإطلاع على أحوالهم

والمشاركة في شؤونهم، فيحضر حفلات الزواج أو تشييع الموتى، الأمر الذي أثر في نفسيات الأهالي، فأحبوهم واحترموهم إلى درجة التقديس، ونسبوا إليهم المعجزات، وطلبوا منهم التبرك والدعاء في طلب الحاجات، حتى بعد وفاتهم. وكان الإمام يصلي بالناس، ويطبّق أحكام الإسلام، فيحكم بينهم بعد كلّ صلاة، ويعالج مشكلاتهم، ويعلمهم القرآن واللغة والأحكام، مما زاد في تعلقهم بهم والمحبة لهم.

وأهمّ ما اعتنوا به هو الاهتمام بنشر الإسلام للقضاء على الوثنية واليهودية والنصرانية، وتم لهم ذلك بالسرعة التي لم يستطع الولاة السابقين من وضع حد لهم، ففي فترة قصيرة استغرقت ما بين سنة ١٧٢هـ ــ ١٩٧ هـ في حين أن ذلك استغرق أكثر من قرن خلال الفتوحات السابقة. كما اعتنوا بالتعريب ونشر اللغة العربية بين السكان وإقامة المدارس في المساجد، مما أثر في تعرب معظم الأهالي بعد قرن، وظهر منهم العلماء في اللغة، وأقاموا الندوات لنشر تعاليم الإسلام وفضائل أهل البيت. كما أنّ بناء المدن الجديدة كان لها دورها الإيجابي في نشر العلم واللغة وبروز العلماء، مثل: فاس.

كما حقّق الأدارسة وحدة المغرب سياسياً، فأصبح الحكم فيها مركزياً استقلت فيها لأوّل مرة عن الخلافة الإسلامية، مما أشعر الأهالي بكيانهم الخاص، فأصبحوا قوة كبيرة في العالم جذبت إليها الانظار.

وحقّقوا ــ أيضاً ــ المساواة بين المجتمع المغربي، فتخلصوا من العصبية القبيلة وصراعاتها، وأصبح للبربر وزن أفضل من الناحية السياسية والاجتماعية، وتولّوا المناصب والمراكز في الدولة. فقد عامل الأمويون طوائف المجتمع من بربر وسودانيين ويهود بأسلوب التمييز العنصري

واضطهدوهم، ممّا دفعهم إلى الثورة والتمرد عليهم، كان أشهرها معركة الأشراف في عهد هشام بن عبدالملك، والذى نشط فيها البربر بالفتك بالعرب، ولم تهدأ تلك الأحوال المضطربة والمتردية إلاّ عند وصول الأدارسة إلى البلاد، فجهدوا في توحيد المجتمع على أساس مبادئ الإسلام التي تدعو إلى عدم الفرقة بين أعضاء المجتمع الإسلامي، وأعطوا البربر دورهم الأساسي في الحياة.

كما أنّ الأحوال الاجتماعية والاقتصادية قد تدهورت نتيجة تلك السياسة، فخربت المدن والمزارع وكسدت التجارة وظهرت الأزمات والمجاعات، حتى إنّ الولاة استعانوا بأموال مصر[1] لمواجهة تلك المحن والازمات. إلاّ أنّ الظروف الاقتصادية ازدهرت أيام الأدارسة في الزراعة والصناعة، فتطوّرت صناعة المواد الغذائية ونسيج الملابس القطنية والصوف والكتان. كما تقدّمت صناعة الأسلحة، وتطوّرت التجارة ووسائلها واتّسع التعامل مع الدول المجاورة، وكثرت الأسواق، ممّا زاد في ثراء السكان، وكان واضحاً من اهتمامهم بهندامهم، وفي صك النقود من الذهب، وضرب الدرهم الإدريسي لأوّل مرة سنة ٨١٣م. مما يدلّ على استقلال البلاد الاقتصادي.

ومن أفضل ما تميز به الأئمّة هناك اعتناؤهم ببناء المدن والجامعات العلمية.

---

(١) مئة ألف درهم.

ومن أهم تلك المدن:

١ ـ فاس:

خطّط لها وأسّسها إدريس الثاني، ودعا لها: «اللّهمّ اجعلها دار علم وفقه يُتلى بها كتابك وتُقام حدودك».

وكانت قبل إنشائها سنة ٨٠٨م. غابات وأحراشاً تعيش فيها الوحوش، ويلجأ إليها اللصوص وقطّاع الطرق، فأصبحت مدينة كاملة جذبت إليها القبائل، وهاجر إليها الكثير، فاستقروا بها تاركين حياة البداوة والانتقال. واستخدم إدريس في بنائها أفراد الجيش، فحفروا الأسوار وعمّروها، وشيدوا دور الحكم والثكنات الخاصة بهم، وبنوا الحصون والقلاع داخلها وعلى حدودها، بالإضافة إلى المساجد والجوامع. وكان الإمام إدريس قد اشترى الأراضي الصالحة لبنائها من السكان بستة آلاف درهم. كما انشأ فيها داراً للسكّة وضرب الدرهم الإدريسي لأول مرة سنة ١٩٨هـ/٨١٤م كما أحدث منصب الوزارة لأول مرة في الدولة، واتّخذها عاصمة له. فقدم إليها قوم من الفرس كانوا في العراق، وأنزلهم ناحية (عين علون) كما نزلت بها قبائل من عرب القيسية والأزد وعرب قيروان، واليهود بجانب قبائل البربر.

ونزح إليها عدد كبير من أعلام الفكر في تونس بعد غزو الأسبان لها، كما التجأ إليها عدد من الجزائر، فقد اتّجه معظم علماء تونس والجزائر والسواحل المغربية التي تعرضت لذلك الهجوم إلى فاس، وقدم إليها الناس من كلّ مكان بحثاً عن المسكن والاستقرار.

ولما كان الأئمة قد أعطوا العناية التامة للعلم والفكر، فقد تحولّت فاس إلى مركز ثقافي مزدهر انبثق منه تيار الفكر المغربي الموحد، فظهرت منها أشعة التجديد الفكري، ودراسة العلوم العقلية والنقلية، وعلم الهندسة، والطب،

وحـــركة التألــيف بمساهمة عدد كبير من العلماء والفقهاء، الأمر الذي أبرز ظهور تشريعات فقهية سايرت التطور المغربي في ميادين الأحوال الشخصية والمعـــاملات، كما نشطت حركة دراسات التراجم التي تناولت حياة الأولياء والصـــالحين والمجاهديـــن، اُتّخـــذوا قدوة لأبناء البلاد في مواجهة الغزوات الأجنبـــية[١]. أمّا في العصور الحديثة فقد قادت فاس الثورات والحروب ضد الأوروبييـــن الغـــزاة، فكانـــت ثوراتها عاملا في تقرير فرنسا حمايتها على المغرب الأقصى وتوقيع معاهدة الحماية سنة ١٩١٢م.

كما أسّس الأدارسة: **جامعـــة القرويين:** أقدم جامعة علمية في التاريخ، وقد بنى جامعاً خاصاً أميرهم: يحيى الأول بن محمد بن إدريس، سنة ٢٤٥ هـــ/٨٥٩م.

وهو أهم جوامع فاس، الذي تحوّل إلى جامعة للتدريس والتعليم[٢]. ذكر عنها جوزي بندلي سنة ١٨٩٣م:

«أنّهـــا أقدم مدرسة كلية في العالم، اُنشئت في إفريقية في فاس لا في أوربـــة، فهـــي لم تكن أقدم كليات العالم فحسب، بل الكلية الوحيدة التي تلقى الطلـــبة فـــيها العلوم الأدبية في تلك الأزمنة، في الوقت الذي لم يكن سكان

---

(١) أثّرت فاس في ثقافات الشعوب الاُخرى؛ إذ ذكر القلقشندى: أنّ الخط السائد في مالي وغـــيرها كـــان الخط الفاسي، كما كان لإهل مالي رواق في الأزهر عرف بالرواق التكروري خرج منه متعلمون أفارقة عادوا إلى بلادهم رسلا للثقافة العربية الإسلامية.

(٢) قـــيل: إنّ فاطمـــة بنت محمّد بن عبدالله الفهري هي التي أسّست الجامع بعد استشارة الأمـــير يحيى بن محمد بن إدريس. وكانوا يرسلون الطلاب في بعثات لتلقي العلم في معـــاهد فاس ومدارسها. واستعانوا في بناء المساجد والقصور بالمهندسين المعماريين العرب من فاس.

باريس واكسفورد وبارو، وبولونيا، يعرفون من الكليات إلاّ الاسم».

فالمسجد أصبح علماً من أعلام الحضارة الإسلامية، وكتاباً حافلا في تاريخ الفن الإسلامي، وجامعة يدرس بها الشيوخ والعلماء، فهو أقدم جامعة في الدنيا، وتطوّر حتى زماننا، فتحول إلى جامعة حديثة تُدرس بها علوم الإسلام وعلوم العصر الحديث.

ومن أشهر من درس بها: (العلامة الإدريسي الجغرافي أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن عبدالله بن إدريس) وهو من سلالة الخلفاء الحموديين بالأندلس. تُوفّي ٥٦٩هـ/١١٧٣م.

ولم يكن هذا الجامع هو الوحيد أو الأول، فقد اهتموا بانشاء المساجد والجوامع منذ دخولهم البلاد، فأول مسجد بنوه كان في تلمسان عام ١٧٤هـ/ ٧٩٠م، أسّسه الإمام إدريس الأول، حيث وجد فيه منبر كتب عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أمره الإمام إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ عليه السلام». كما شيد إدريس الثاني جامع الأشياخ سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م ويعرف حالياً بجامع الأنوار، وشيد ــ أيضاً ــ جامع الشرفاء في ١٩٣هـ/ ٨٠٨م الذي دفن فيه. ويزور ضريحه الزوار للتبرك وقضاء الحاجات.

والمساجد والجوامع التي أوجدوها أصبحت مراكز لنشر الإسلام وتعليم اللغة العربية.

٢ ــ الدولة الزيدية

أنشأها يحيى بن عبدالله بن الحسن المعروف بصاحب الديلم، وهو من كبار الطالبيين. أشرف على تربيته الإمام الصادق عليه السلام في المدينة. كان مع ابن عمّه الحسين بن عليّ في ثورة فخ، ونجا منها إلى بلاد الديلم. فدعا لنفسه

وبايعــه كثــير من أهل الحرمين واليمن ومصر والمغرب، عندما سار إلى العراق، ثمّ إلى بلاد الري وخراسان وماوراء النهر، فسعى الرشيد في طلبه، فاتّجــه نحــو (خاقان الترك) مع شيعته وأنصاره الذين بلغوا نحواً من ١٧٠ فــرد، وأقام سنتين ونصف عنده، ثمّ سار إلى طبرستان والديلم، ودعا لنفسه فيها عام ١٧٥هـ/٧٩١م.

وجّه الرشيد إليه (الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي) ليحاربه، فطلب الأمان فأجابه، إلاّ أنــّه سجنه في منزل سري تولّي أمره يحيى بن خالد الذي ســمح للــناس بزيارته، كما أحسن إليه جعفر بن يحيى البرمكي، الذي سهل لــه الهروب، ممّا اعتبره الرشيد خيانة له، فأحدث نكبته المعروفة بالبرامكة. ثمّ مات يحيى في سجنه سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م.

وفي الفترة ما بين ٢٤٨ ــ ٢٥٢هـ/٨٦٢ ــ ٨٦٦ م ثار الحسن بن زيــد بــن محمّــد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ، في طبرســتان أيــام المستعين، وزحف على حاضرتها آمل، ثمّ سار إلى ساري واستولى على الري، فأسس بذلك الدولة الزيدية، استمرت قرناً كاملا ما بين ٢٥٠ ــ ٣٥٥هـ/٨٦٤ ــ ٩٦٥م.

واشتهر من حكامها:

ــ محمّد بن زيد القائم بالحق.

ــ الحســن الأطــروش بن عليّ بن عمر بن زين العابدين، المعروف بالناصــر للحق، واهتمّ بنشر الإسلام على المذهب الزيدي حيث كان الناس مجوساً، كما بنى المساجد. وتُوفّي سنة ٣٠٤هـ .

ــ الحسن بن القاسم بن عليّ بن عبدالرحمن، الداعي العلوي. وقد حكم مشــتركاً مــع أولاد الأطروش: الحسن والحسين وأبي القاسم. وعينوا قائداً

للعسكر، هو ابن النعمان. لقّبه أُمراء الزيدية: المؤيد لدين الله المنتصر لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي أيام المتوكل العباسي، برز يعقوب بن الليث الصفّار الذي تمكّن من الاستيلاء على أملاك طاهر بن الحسين في خراسان، ثُمّ طمع في السيطرة على الدولة الزيدية، فأخذها أيام الحسن بن زيد مع أسر سبعين طالبياً، كما تطلع إلى الاستيلاء على بغداد نفسها، إلاّ أنّه خسر المعركة هناك سنة ٢٦٢هـ فأزال السامانيون حكمه.

والسامانيون: أُسرة عريقة أقاموا دولة كبرى توارثوها ١٧٠ عاماً منذ سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م وحتى سنة ٣٨٩هـ، وكانوا ممن أظهر العداء نحو الزيديين، فأنهوا دولتهم.

٣ ـ العلويون في الجزيرة العربية والحجاز:

الأشراف والسادة:

يطلق السيد على رب العمل والمالك، والكريم والفاضل والحليم الذي فاق غيره بالعقل والمال والنفع والدفع، كما أنّه العابد الورع، يسود الناس؛ لأنّه أعظمهم. أما الشريف فيكون لحسبه ونسبه، فالشرف هو: المكان العالي والمجد والسمو.

وأُطلق لقب الشريف على الهاشميين، وأوّل من وصف به هو الشريف الرضي والمرتضى، ولذا أُلصق لقب الشريف بكلّ من تولّى الحكم من آل البيت عليهم السلام وذرية النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّا لقب السيد فأُطلق على الحسين عليه السلام وأبناء عمومته وذرياتهم. وهناك من يلقّب أبناء الحسن عليه السلام بلقب السيد. وفي كثير من البلاد الإسلامية

لايميزون بين اللقبين فيطلقونهما على من هو من نسل آل البيت عليهم السلام حسينياً كان أم حسنياً، فلافرق بين السيد والشريف، فكلّ سيد شريف، وكلّ شريف سيد. فالسادة والأشراف هم من ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام والإمام علي عليه السلام المنتمين جميعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وينتسبون إليه. وهذا النوع من الشرف لايزال باقياً حتى عصرنا في أقرباء النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام على العموم.

وكان أهل العراق يسمّون الشريف من بني العباس، وأهل الشام ومصر يسمونه من ولد الإمام عليّ عليه السلام ومن كان من ذرية الإمام الحسن والحسين عليهما السلام.

وكانوا يأخذون بوصفهم أقرباء النبي صلى الله عليه وآله راتباً معيناً من الحكومة الإسلامية؛ لأنّهم حُرّمت عليهم الصدقة، كما كان لهم نقيب في كلّ مدينة من المدن الكبيرة، مثل: بغداد، وواسط، والكوفة والبصرة، والأهواز. وفي مصر كان نقيب العلويين في العهد الفاطمي من كبار رجال دار الخلافة. وكذلك كان لهم قضاء مستقل يتولاّه نقيبهم المعيّن من قبل الخليفة، كان يقضي في النزاع بين الطالبيين وسائر الرعايا، فقد جاء في كتاب تقليد الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى الذي أصدره الخليفة الطائع سنة ٣٥٤هـ: «فإن تظلّم إليك بعض رعية أمير المؤمنين، وشكا أحداً من الطالبيين فخذه بمساواة خصمه وامنعه من الاستطالة عليه، واعمل في أمرهما بما كان من يتولّى هذه النقابة بعمله قبلك سالكاً سبيلهم غير متجاوز رسمهم؛ ليقع القضاء بينهم موقعه، ويصل ذو الحق إلى حقه».

وكان بنو هاشم من العباسيين والطالبيين يخضعون جميعاً لنقيب واحد حتى أوائل القرن ٤هـ فأصبح لكلّ فريق منهم نقيب خاص في النصف الثاني من القرن نفسه؛ وذلك بسبب التطوّر الذي طرأ على العباسيين حينما

ضعف أمرهم بينما ازداد نفوذ العلويين، برغم استمرار إطلاق الأشراف على أفراد البيتين.

ويذكر الماوردي عن نقابة الطالبيين:

«ولايـــة هـــذه الـــنقابة تصحّ من أحد ثلاث جهات: إما وجهة الخليفة المســـتولي علـــى كـــلّ الأُمور، وإمّا ممن فوّض إليه الخليفة تدبير الأُمور: كوزيـــر التفويض وأمير الاقليم، وإمّا من نقيب عام الولاية. فإذا أراد المولّى أن يولّـــي علـــى الطالبيـــن نقيباً أو على العباسيين يختار منهم أجلّهم بيتاً، وأكـــثرهم فضـــلا، وأجزلهم رأياً، فيولّيه عليهم لتجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة، فيسرعوا إلى طاعته برياسته، وتستقيم أُمورهم بسياسته».

أ ـــ الأشراف في الحجاز:

استغل العلويون فترة الاضطراب التي سيطرت على بغداد عندما تحكّم فـــيها الأتراك، وسيطروا على الحكم العباسي وعلى كل شؤون البلاد، فعمل نفر من بني سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام على الاستقلال بمكّـــة مؤسســـين دولة السليمانيين، فخلعوا طاعة العباسيين، ودعوا لأنفسهم بالإمامـــة فـــي ٣٠١هـــ ومن خطبهم في موسم الحج: «الحمد لله الذي أعاد الحـــق إلى نظامه، وأبرز زهر الإيمان من أكمامه، وأكمل دعوة خير الرسل بأســـباطه، لا بنـــي أعمامه، صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وكفّ عنّا ببركته أسباب المعتدين، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين».

إلاّ أنّ القرامطة الذين أسّسوا دولتهم في الأحساء نجحوا في الأستيلاء على دولتهم بمكة سنة ٣١٧هـــ فأقاموا الخطبة للخليفة الفاطمي في القاهرة. كمـــا أنّ البويهيين عندما تمّ لهم السيطرة على بغداد سنة ٣٣٤هـــ وشاركوا

العباسـيين السيادة على العالم الإسلامي، أقاموا الخطبة بمكّة باسم معزالدولة البويهي.

كمـا اشـتهر في مكة عيسى بن جعفر من بني الحسن سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م وأخوه (أبو الفتوح الحسن بن جعفر) وأعلنا ولاءهما للفاطميين بالرغم مـن أنّ الأخير كان يخرج عليهم، ويعلن نفسه خليفة، إلاّ أنـّه كان يتراجع سـريعاً، وينحاز إليهم، فيخطب لهم. وقد سار ابنه (شاكر) على اسلوبه في مـوالاة الفاطميين سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م حتى وفاته سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م وهو الوقت الذي زال فيه نفوذ بني سليمان في مكّة.

وظهر من رؤساء الهواشم في هذا الوقت محمّد بن جعفر بن أبي هاشم محمّـد، فحـارب بنى سليمان سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م وأخرجهم من الحجاز، فتوجّهوا إلى اليمن، مانحين الفرصة لمحمّد في إعلان استقلاله بإمارة مكّة.

وحـاول الفاطميون إعادة سيطرتهم على مكة، فأرسل الداعي الفاطمي (علـيّ بـن محمـد الصليحي) باليمن سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م حملة عسكرية لاسـتعادة نفوذهـم في مكّة. كما حاول الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ألب أرسلان سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م إعادة الخطبة لهما، فبعثوا الأموال والخلع النفيسة للأمير محمد بن جعفر، ومبلغ عشرة آلاف دينار يصله مثله كلّ عام، ودفعوا ـ أيضاً ـ لبني مهنى في المدينة مبلغ عشرين ألفاً على أن يدفع لهم ٥ آلاف كلّ عام إذا تحالفا أمير مكة والمدينة مع الخليفة العباسي. إلاّ أنّ ابن جعفـر حـارب بنـي مهنى وأخرجهم من المدينة، فأزال ملكهم، جامعاً بين الحرمين، ثُمّ انحاز إلى العباسيين، ولكنّه تراجع فانحاز إلى الفاطميين عندما انقطع عنه المال العباسي.

خلّفـه ابـنه في الحكم عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م الأمير قاسم حيث حكم

ثلاثين عاماً فجاء ابنه (فليتة) بعده سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م ثُمّ ابنه هاشم، ثُمّ قاسم سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م ثُمّ الأمير عيسى بن فليتة سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م وهي السنة التي زالت فيها الدولة الفاطمية.

وفي المدينة المنورة عاش أفراد من بني الحسين بن عليّ عليه السلام تمكّنوا من السيطرة عليها والاستقلال بحكمها، فقدم طاهر بن مسلم[1] من مصر، وهو أحد أحفاد الإمام الحسين عليه السلام، وأصبح أميراً عليها، فاستقل بها سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٣م، ولم تتمكّن الخلافة العباسية مواجهته أو التصدي له، لضعفها في ذلك الوقت، وتُوفّي طاهر سنة ٣٨١هـ/٩٩١م فخلّفه ابنه الحسن بن طاهر الملقب (مهنى).

وقد اتّخذ النزاع بين العباسيين والفاطميين على حكم الحجاز والأراضي المقدسة قاعدة مميّزة وهي: أنّ أمير المؤمنين الحقيقي هو الذي يتمكّن من بسط نفوذه على الحرمين المكي والمدني. إلاّ أنّ العلويين هم الذين فازوا في تلك المعركة والصراع والمنافسة على الحكم فيهما، فاستقلّ أُمراء الأشراف من بني الحسن بمكّة، ومن بني الحسين بالمدينة، وأصبحوا سادة الحرمين. وذلك بالرغم من تدخل الفاطميين في أُمورهم الخاصة، حينما يحدث النزاع بين بني الحسن وبني جعفر بن أبي طالب، فيعقدون الصلح بينهما في المسجد الحرام وخاصة الصلح الذي وقع سنة ٣٤٨هـ/٩٥٨م وممّا أثّر في نفوسهم، فانحازوا إلى الفاطميين في مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م

---

(١) كان مسلم يدبّر أمر مصر أيام كافور الإخشيدي. واسمه: محمّد بن عبدالله بن طاهر بن يحيى المحدث بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن عليّ بن الحسين بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فاوض الفاطميين على إمكانية احتلال مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م.

ودعــوا لهــم بمكّة والمدينة، كما ساعدهم المعز لدين الله الفاطمي بالأموال والعــتاد، كمــا احتفظ أُمراء مكّة والمدينة بكثير من مظاهر المذهب الشيعي السائد في مصر، فأدّى انتماؤهم للبيت العلوي أثره في الحرص على الولاء للفاطميين والابتعاد عن العباسيين.

وتُســمّى الدولــة التي أسّسها العلويون في الحجاز دولة الشرفاء، التي بدأت من منتصف القرن ٤هــ/١٠م. واستمرت عشرة قرون حيث دامت إلى أوائل القرن العشرين سنة ١٩٢٤م حينما أنهاها الملك (عبدالعزيز بن سعود) وضمها إلى مملكته الشاسعة في الجزيرة العربية.

وقد استمرت دولة بني مهنى في المدينة حتى القرن ٩هــ/١٥م. عندما انضموا إلى أشراف مكة(١).

أشراف مكة:

بدأ حكمهم فيها باسم الشرفاء الموسويّين، منذ الشريف جعفر الذي حكم بين ٩٥١ ــ ٩٦٨م.

أمّــا أبوالفــتوح الحسن بن جعفر فقد أعلن الخلافة فيها سنة ٩٩٤ ــ ١٠٣٩م. فــي عهــد الحــاكم بأمرالله الفاطمي. حيث اتّفق بنوالجراح أُمراء فلســطين علــى مبايعته بالخلافة سنة ٤٠١هــ/١٠١٠م فأقام الخطبة لنفسه، وتلقّــب بالراشد بالله، وسار إلى الرملة مع أنصاره من القبائل العربية، حيث رحّــب بهــم بنوالجراح وبايعوه خليفة، كما أقيمت لــه الخطبة في كثير من

---

(١) أُطلق شريف مكّة على من تولّ إدارتها من الحسنيين، ومن لم يتولّ منهم حكماً سُمّي السيد. وأشراف الحجاز كانوا حسنيين من أولاد الحسن بن عليّ عليه السلام في مكّة، وأشراف حسينيين في المدينة.

بـــلاد الشـــام. إلاّ أنّ الحاكم بأمر الله تمكّن من استمالة بني الجراح وغيرهم بـــالأموال فتخلّوا عنه، فطلب منه مساعدته في إرجاعه إلى مكّة فعادوا إليها سنة ٤٠٣هـــ .

وبعـــد أن حكـــم ابنه شاكر سنة ١٠٣٩ ــ ١٠٦١م انتهى بعده عصر الموسويّين الحسنيين[١].

وحـــدث بعض الاضطراب في الفترة التالية، فانعدم الأمن والاستقرار فـــي البلاد، ممّا دفع حاكم اليمن (الصليحي) إلى التدخل في شؤون الحجاز، فعين (أباهاشم محمد)[٢] حاكماً فيما بين ١٠٦٣ ــ ١٠٩٤، معلناً بداية سلسلة الهواشـــم مـــن الشرفاء. وقد انحاز أبوهاشم في سياسته نحو الفاطميين مرّة وتجاه السلاجقة مرة، فتأرجح في ولائه بين الجانبين، كما أنّ الأيّوبين حاولوا السيطرة عليهم. واعتنقوا الزيدية مذهباً.

وقـــد انحـــدر الشـــرفاء بعد ذلك من نسل موسى الثاني جد الموسويّة والهواشم. فوصل إلى الحكم قتادة[٣].

وقد ساعد أحد الأئمّة الحسنيين في تأسيس مملكة في اليمن.

ومـــن أشـــهر الأحـــداث في عصره: أن (رينودي شاتيون) أحد قواد الصليبيين حاول الاستيلاء على الأماكن المقدسة في الحجاز، وقطع الطريق على الحجاج، وجهّز سفناً لنهب المدن السواحلية، وأعمال القرصنة البحرية بالاستيلاء على السفن التجارية خلال أعوام ١١٨٢ ــ ١١٨٣م، إلاّ أنّ الملك

---

(١) الموسويون هم: أبناء موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام.

(٢) وهو شقيق الشريف الأول جعفر.

(٣) من نسل موسى الثاني.

العادل الأيوبي تمكّن من قتل الكثير منهم والتخلص منهم.

كما حدث سنة ١٢١٠م. أن اعتدى الشريف على الحجاج العراقيين في مكّـــة، وذلك عندما قتل الأسماعيليون أحد أبناء عمّ قتادة الذي كان شبيهاً له، فاعـــتدى عبيدة على الحجاج ونهبوهم، وكان من ضمنهم ربيحة خاتون أخت الملـــك العادل، ولم يتوقّف عن التعرض لهم إلاّ بعد أن دفعوا تعويضاً كبيراً قُدّر بمئة ألف دينار.

وكـــان قـــتادة يـــرى أنّـــه أحق بالخلافة من العباسيين، ممّا سبب في استمرار الخلاف بينهما، فبعد مئة عام من الحادث السابق احتل أحد الأشراف مديـــنة الحلـــة فـــي العـــراق أثناء إنحلال الحكم المغولي، فانقطع الحجاج العراقـــيون عـــن مكّة لمدة ١١ عاماً حينما عادوا إليها في ١٣٤٤م في عهد الشريف عجلان بن رميثة.

أمّا في القرن ١٣م. فقد حكم من الأشراف: أبونمى فيما بين ١٢٥٤ ــ ١٣٠١م وهي الفترة التي استغرقت حكم المماليك في مصر. ثمّ حكم الحسن بن عجلان سنة ١٣٩٦ــ١٤٢٦م. وابنه بركات الأوّل حتى سنة ١٤٥٥م ثمّ ابـــنه محمّـــد الـــذي عـــمّ الازدهار والرخاء في عهده فيما بين سنة ١٤٥٥ ــ ١٤٩٧م.

ولمـــا جاء بركات الثاني سنة ١٤٩٧ــ١٥٢٥م، كان قد ظهر السلطان العثماني سليم واستولى على مصر.

وحكـــم الشـــريف محمد بن أبي نمى ما بين سنة ١٥٢٥ــ١٥٦٦م ثمّ الحسن سنة ١٥٦٦ــ١٦٠١م وتميّز عهده بالهدوء والسلام واتّساع نفوذه إلى خيـــبر فـــي الشمال، و إلى حائل في الجنوب، وإلى داخل نجد، معتمداً على مصادر مصر ومساندتها. وحدث بعض الاضطراب بعد الحسن، فسيطر زيد

على الحكم ما بين ١٦٣١ ــ ١٦٦٦م[١].

وقد بدأ في هذا الوقت النزاع التركي الإيراني، فأثر في الأحداث بمكّة، عندما أمر السلطان العثماني بطرد الحجاج الايرانيين منها وعدم السماح لهم بـــأداء مناســـك الحج، إلاّ أنّ الشرفاء الشيعة رفضوا الأمر وسمحوا لأفراد الشـــيعة بأداء مراسم الحج والبقاء في البلدة، كما سلكوا التصرف نفسه نحو الزيديين.

ولكـــن الوضـــع السياسي المضطرب أدى إلى حدوث نزاع بين أُسرة الشـــرفاء مـــن ذوي زويـــد وذوي بـــركات وذوي مسعود، وبين السلطات العثمانية.

وفي الوقت الذي استلم الشريف غالب الحكم سنة ١٧٨٨ ــ ١٨١٣م، كـــان الوهابيون قد ظهروا في شرق الجزيرة العربية، وحدثت حروب بينهم وبيـــن الأشراف، إلى أن أرسل محمد عليّ باشا والي مصر حملته المشهورة إلـــى الجزيرة العربية لمحاربة الوهابيين والتخلص منهم، فأنهى قاعدتهم في الدرعـــية ســـنة ١٨١٣م، وقد أيد الشريف غالب الوالي المصري في حملته وساعده بامكاناته، إلاّ أنـــّه نفى إلى سالونيك، وتُوفّي بها سنة ١٨١٦م فتولّى محمّد عليّ باشا تعيين الشرفاء العبادلة في الحجاز وهم:

ــ محمّد بن عون سنة ١٨٢٧ــ١٨٥٠م.

ــ عبد المطلب من ذوي زيد سنة ١٨٥٠ــ١٨٥٦م، ثمّ محمّد بن عون مرة أُخرى.

ــ عبدالله سنة ١٨٥٨ــ١٨٧٧م وأخوه حسين سنة ١٨٧٧ــ١٨٨٠م.

---

(١) اعتنق الشرفاء في هذا الوقت المذهب الشافعي.

ــ عبدالمطلب مرة ثانية. ومات سنة ١٨٨٦م.

ــ عون الرفيق سنة ١٨٨٢ــ١٩٠٥م.

ــ عبدالإله، مات في طريقه من اسطنبول إلى مكّة.

ــ عليّ ابن أخ عون سنة ١٩٠٥ــ١٩٠٨م.

ــ الحسين سنة ١٩٠٨ــ١٩٢٤م وهو من أبناء إخوة عون، وآخر شريف حكم مكة[1]، فقد استولى الملك عبدالعزيز بن سعود على الطائف ومكّة سنة ١٩٢٤م، فهرب الحسين إلى العقبة ومنها إلى قبرص سنة ١٩٢٥ م. فأعلن ابن سعود أنّه الملك على الحجاز والجزيرة العربية كلّها سنة ١٩٢٦م.

ب ــ الدولة الأُخيضرية:

تأسّست دولة بني الأُخيضر في اليمامة حين استولى عليها محمد الأُخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبدالله ابن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام في عهد المستعين بالله العباسي، فأقام دولة علوية مستقلة عن الخلافة العباسية.

واشتهر من حكامها أولاده: محمد، وإبراهيم، وعبدالله، ويوسف الذي حكم بعده مشتركاً مع ابنه إسماعيل الذي انفرد بالحكم بعد أبيه. وقد أزال القرامطة دولتهم في أوائل القرن ٤هـ.

وقد انتشر العلماء والثوار من مذهب أهل البيت في البحرين واليمامة مثل باقي أجزاء الدولة الإسلامية ينشرون المبادئ والأهداف التي منها يمكن

---

(١) ينتمي الشرفاء في مكة إلى قبيلة كنانة القرشية، ويعتبر قصي بن كلاب بن مرة أول رجل من كنانة يحكم قريش. وقد تُوفّي في سنة ٤٩٠م.

أن تعـيد للإسلام مجده وقوته وهيبته، فقامت حركات سياسية على أثر ذلك، برزت منها في الجزيرة العربية في منتصف القرن ٣هـ ثورة علوية بقيادة إسـماعيل بـن يوسـف، ثمّ أخوه محمد الملقب بالأُخيضر، قدم إلى اليمامة فاستولى عليها سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م. وأسّس الدولة الأُخيضرية التي استمرت أكثر من قرنين؛ إذ حكموا حتى سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م. وقد ساعده في إقامة دولته أخوال أبيه جعفر بن كلاب المتاخمين لـه، وهو ما جعله يختار اليمامة بـدلا من الحجاز التي كان العباسيون يشرفون عليها. وتوارثوا الحكم حتى ظهور القرامطة في القرن ١٠مـ٩٣٦م. وقد اتّخذ محمد قلعة الخضرمية[١] مقراً له.

وذُكـر عـن نسـبه أنـّه يرجع إلى أبي عبدالله محمد بن يوسف بن الأُخيضـر بن إبراهيم بن موسى الجون، إلى الحسن بن عليّ عليه السلام. فقد ذكر المسـعودي أنـّه سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م كانت بلاد اليمامة ما بين البحرين والحجـاز بـيد ولد الأُخيضر العلوي من ولد الحسن بن عليّ عليه السلام كما تحدث عنهم ناصر خسرو، فقال: ان فيها حصناً كبيراً وإنّ المدينة والسوق والصنّاع فـيها مـن كل نوع كانوا خارج الحصن، ومسجد قديم. وأهلها علويون منذ القدم، ولم ينتزع منهم أحد هذه الولاية، فليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر ومذهبهم الزيدية ويقولون في أذانهم: حيّ على خير العمل. وإنّ نسبهم يرجع إلى: بني موسى بن عبدالله بن الحسن بن عليّ عليه السلام. أمّا عن نهاية دولتهم فقد جاء أن القرامطة هاجموا اليمامة سنة ٩٢٩م. وأزالوا حكمهم في عهد أحمد بن الحسن الأُخيضري بعد حروب بين الجانبين. ولكن قيل إنّ حكمهم استمر

---

(١) هي بلدة حجر اليمامة في أولها لمن قصد البحرين.

حتى منتصف القرن ٥هــ ــ ١١م. دون أن يتدخل القرامطة في إنهاء نفوذهم؛ وذلك لاجتماعهم في المذهب والعقيدة[١] واتفاقهم في الأهداف على حرب العباسيين. وذكر ــ أيضاً ــ أنّهم اتّبعوا قرامطة البحرين، وأنّ أبا طاهر هو الذي ولّى الأُخيضر على اليمامة، وعلى الكوفة كذلك.

ج ــ دولة الأدارسة في عسير:

تكمن عسير في المنطقة الواقعة بين اليمن جنوباً والحجاز شمالا، وتمتدّ من البحر الأحمر غرباً إلى نجد شرقاً. وتنقسم إلى جزعين: عسير السراة: وهي المناطق الداخلية، وتشتهر من مدنها: أبها ــ خميس ــ مشيط وتهامة عسير: وهي الاجزاء الساحلية، وتعتبر صبيا والقنفذة وجازان من أهم مدنها. كما يدخل ضمنها المخلاف السليماني[٢].

وكانت المناطق الداخلية في اليمن يحكمها الأئمّة الزيديون تحت قيادة الإمام يحيى شرف الدين سنة ١٥٠٦ ــ ١٥٢٨م، في الوقت الذي حاول العثمانيون السيطرة على بلاد اليمن، فتصدى لهم الإمام المطهر بن يحيى شرف الدين ما بين سنة ١٥٤٦ ــ ١٥٧٢م واستعاد منهم صنعاء، إلاّ أنّ العثمانيين تمكّنوا من السيطرة عليها في سنة ١٥٧٠م بعد حروب طويلة. وتمكّن الإمام المؤيد محمّد بن القاسم سنة ١٦١٩ ــ ١٦٤٤م. بعد قرن من ذلك من إخراجهم من البلاد، فأصبحت اليمن أوّل دولة عربية تستقل عن الحكم العثماني، واستمر هذا الاستقلال حتى سنة ١٨١٤م عندما سيطر عليها

---

(١) فيكون مذهبهم الإسماعيلية لا الزيدية.

(٢) يعني: الإقليم أو المقاطعة أو المنطقة.

والي مصر محمد عليّ باشا. كما أنّ العثمانيين تمكّنوا من فتحها للمرة الثانية فـي سـنة ١٨٧٢م واستمروا في السيطرة عليها حتى سنة ١٩١٨م إلاّ أنّ الأئمّـة الزيديين قاوموا الاحتلال، وأثاروا القلاقل والثورات في البلاد منذ الإمـام الهـادي شـرف الدين بن محمد الملقب بأبي نيب وحتى أيام الإمام المنصور محمد بن يحيى حميدالدين سنة ١٨٨٩ ــ ١٩٠٤م والإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميدالدين سنة ١٩٠٤ ــ ١٩٤٨م، فالحكم العثماني استمر حتى سنة ١٩١١م حين عقد صلح دعان، فخرج العثمانيون من اليمن بعد الحرب العالمية الأُولى سنة ١٩١٨م.

أما بالنسبة لعسير والمخلاف السليماني فقد استمرت بعد توحيدهما في متصـرفية عثمانية تحت الإدارة التركية حتى عام ١٩٠٧م عندما ظهر فيها السيد محمد بن عليّ الادريسي ليؤسس حكومة الأدارسة التي ستتحمل نتائج الكفـاح ضد الوجود التركي الذي سينتهي في سنة ١٩١٨م ويخرج الأتراك من البلاد.

ويـرجع نسب الإدريس هذا إلى أدارسة المغرب الذين انتهت إمارتهم هـناك في سنة ٩٨٥م. وفي الاندلس حين حكم فرع بنو حمود منهم ما بين سنة ١٠١٦ــ١٠٥٧م.

وقد وصل جدهم السيد أحمد بن إدريس إلى عسير.

وقد ولد في فاس سنة ١٧٥٨م/١١٧٢هـ وتعلم أُصول الدين وعلومه على يد المشايخ والعلماء، وبرع في حفظ القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وآله، وصار من حفاظ علوم الحديث حتى قيل عنه: إنّه قصر فكره نحو ثلاثين سنة على استخراج معاني القران الكريم.

وفي سنة ١٧٩٩م سافر بحراً إلى مكّة للحج، فاتّصل بالناس وعلّمهم،

وناظــر العلماء، وتعرّف على السيد عبدالرحمن الأهدل من رجال العلم في زبــيد اليمــن، فدعاه إلى بلاده فاتّجه إليها في سنة ١٨٢٧م، فنشط في تعليم الــناس وتدريســهم وإلقاء المواعظ، كما زار مدنها. ثمّ رحل إلى صبيا في عســير حيث رحب به أميرها عليّ بن مجثل العسيري، ومنحه راتباً شهرياً، وتُوفّــي ســنة ١٨٣٧م بعــد أن تــرك تــراثاً ثقافياً كبيراً أشاد به العلماء والمؤرخون في اليمن وعسير.

وكــان لــه ابنان: محمّد، وعبدالمتعال. أمّا عبدالمتعال فقد خرج إلى المغرب، ثمّ إلى صعيد مصر. ثمّ السودان في دنقله حيث تُوفّي فيها. واشتهر من أبنائه: المأمون، ومصطفى، ومحمد السنوسي.

وأمّــا محمــد فقد خلّف أباه في مركزه الروحي، وسافر إلى الحُديدة. ومات في سنة ١٨٨٨م ودفن في صبيا.

ومن أولاده عليّ الذي مات في سنة ١٩٠٦م ولكنه خلّف ثلاثة أولاد، هــم: الحسن وأحمد، ومحمد الثاني، وهو مؤسس دولة الأدارسة في عسير. ولمــا كانــت لــه مكانة روحية ودينية ممتازة عند الناس، تمكّن من انتهاز الظروف السيئة للحكم العثماني من فوضى وخلاف ليؤسس دولته هناك.

وقد ولد محمّد في صبيا في سنة ١٨٧٦م وتعلّم في مصر، وأقام فترة في مكّة، ثمّ هاجر إلى القاهرة ليدرس بالأزهر، كما رحل إلى المغرب لتلقّي التعليم على أيدي العلماء كالسيد السنوسي وشيخ أحمد المغربي. وحصل من هؤلاء العلماء على إجازات عامة في كلّ ماتعلّمه. وفي طريقه إلى صبيا زار أبناء عمومته في السودان. وبذلك يكون قد أكمل دورة علمية وثقافية وسياسية استفاد منها تماماً، وأهّلته لقيادة البلاد في المستقبل.

وكانــت الظروف في عسير مهيّأة لــه ولنشاطه السياسي، فقد انتشر

الفساد والفوضى والجهل، كما ذكر هو عنها: رأيت المساجد معطلة والأرض قاحلة، والمصائب متواصلة، ورأيت من السلب والنهب وقتل الأرواح البريئة مما تنزعج منه النفوس الثابتة وتلين لـــه القلوب القاسية. ممّا أثّر في نفسية محمـــد بـــن عليّ، فقرّر أن يؤسس حكماً دينياً دنيوياً في عسير يحتل مكان الحكم العثماني المنهار.

وتمكـــن مـــن أن يوحـــد القبائل المتفرقة، فجمع قبائل صبيا مع قبيلة الجعافـــرة[١]، وشـــكل مجلساً قبلياً ضمّ كبار الشيوخ والزعماء، فتخلّص من المواقـــف العدائية بينهم، كما نظم البلاد إدارياً، فأنشأ محكمة شرعية للفصل فـــي المـــنازعات بالأســـلوب الشـــرعي، وعيّن وزراء ومستشارين وأُمراء للمـــناطق وولاة وقـــادة جيوش، وأعلن صبيا عاصمة لحكمه، وجازان ميناء على البحر الأحمر. كما اعتنى بالجانب الاقتصادي ونشاط التجارة البحرية، وإنشاء الموانيء والجمارك. ولكنّه كان يتبع الحكم العثماني اسمياً، أي: أنـــّه حكـــم المـــنطقة باسم العثمانيين، إلاّ أنـــّه لم يقبل بالوجود التركي في بلاده، فاتّصـــل برؤســـاء القبائل، واستمالهم إليه، وحرّضهم على الدولة العثمانية، وطـــرد موظفـــيها فـــي الموانيء، كما تشدّد في موقفه أمام متصرف عسير العثمانـــي، وجمـــع قوة بلغت ٣٠ ألف مسلحاً، انطلق بهم نحو (أبها) ليعلن الثورة ضد الاتراك.

وقـــد حاصر (أبها) في سنة ١٩١٠م لفترة طويلة أزعجت أهلها حتى أكلوا القطط والكلاب، فاستنجد الاتراك بالشريف حسين في الحجاز لمساعدة المحاصرين، فبعث قوة على رأسها ولداه: الشريف عبدالله، وفيصل في سنة

(١) وهـــي مـــن قبائل المخلاف السليماني على ساحل البحر شمال غرب صبيا. وتعرف بلادهم بالقوز، وهي ميناء لمدينة صبيا، تقرب منها أطلال مدينة عثّر التاريخية.

١٩١١م إلاّ أنّهـم انهزموا في معركة القوز، وفرّ ولدا الشريف عريانين بعد أن نزع الثوار ملابسهما، إلاّ أنّ القوات العثمانية الحجازية المشتركة تمكّنت مـن الاستيلاء على (أبها) في سنة ١٩١١م. وكان الإمام يحيى في اليمن قد تعـاون مـع الإدريسـي في حربه للعثمانيين لتوافقهما في المذهب الشيعي، واتّفاقهمـا علـى أنّهما من نسل النبيﷺ ولذا تمّ التحالف بينهما ضد العدو المشترك للحصول على الاستقلال وطرد الاتراك.

إلاّ أنّ الوضع تغيّر بينهما بعد ذلك، فبعد الثورات المتكررة أيام يحيى حميدالدين وجهاده ضد الأتراك الذين احتلوا صنعاء في سنة ١٩١١م، وانتهاء الأحداث إلى عقد صلح دعّان[١] الذي حصل منه الإمام على الاستقلال، فإنّه أوجـد فرقة بينه وبين الأدارسة حيث ظل الإدريسي لوحده يناضل الأتراك، بالإضـافة إلـى أنّ الإمـام سعى إلى محاربة الإدريسي الذي أُعتبر عدواً للأتراك.

إلاّ أنّ القبائل اتّجهت إلى موقف الإدريسي، مثل: قبيلة حاشد الزيدية، وقبائل بني نشر، والواعظات الذين استبدلوا الإمام بقيادة الإدريسي في حرب الأتـراك، والإمـام اليمنـي، بعـد أن استحدث جيشه وأعدّه بكل المعدات والأسلحة والتدريب وبناء القلاع والحصون.

كمـا تمّ التقارب في هذا الوقت بين الإدريسي والإيطاليين الذين أمدّوه بالمال والذخيرة والسلاح والمساعدات العسكرية؛ وذلك لما كانت عليه إيطاليا مـن موقـف عدائي وحربي ضد العثمانيين في أوربا وإفريقية وخاصة في ليبـيا، فتعاونـت مع الإدريسي للضغط عليهم وإضعافهم في جبهة الجنوب

---

(١) تقع دعان شمال غرب صنعاء على بعد ٥٥كم.

العربـــي وإشغالهم عن الجبهات الشمالية في إفريقية، فأعلنت إيطاليا عن فتح مستعمراتها في إفريقية على الشاطيء الغربي للبحر الأحمر للتبادل التجاري مـــع الموانيء الإدريسية ممّا أنشطت التبادل التجاري بين الجانبين الذي أثر في الوضع الاقتصادي و ازدهاره في البلاد.

أمّا في جبهة القتال فقد انتصر الإدريسي في معركة الحفائر الكبيرة في ســـنة ١٩١١م ضد العثمانيين الذين خسروا الشيء الكثير مادياً وبشرياً ممّا أضـــعف موقفهـــم، كما دخلت قواته ميناء القنفذة واستولى عليها، كما تسلّم جزيرة فرسان. إلاّ أنّ التحالف بينهما قد انفك بعد توقف الحرب وعقد هدنة بيـــن الإيطالييـــن والأتـــراك، مما جعل الإدريسي ينفرد في مجابهة الأتراك وأطراف اُخرى معادية له، مثل: اليمن، والشريف حسين في الحجاز.

أمـــا بالنسبة لتحالفه مع إيطاليا فقد استفاد منه تماماً في تأكيد زعامته وقوته في البلاد، وأنـــّه لم يمنح إيطاليا أي نفوذ أو امتياز في المنطقة. ولذا فإنّـــه عندما اتّجهت الدولة العثمانية إلى الصلح معه بعد توسيط الإمام يحيى، فقـــد أصر الإدريسي ألاّ يكون مثل صلح (دعّان) الذي اعتبره غير مشرف، فقـــد رأى أن يكـــون صلحه معهم على أساس المشاركة بينه وبينهم في كلّ شـــيء بدون خداع، وألاّ يكون اُلعوبة في أيديهم، الأمر الذي يؤكّد قوته في مركزه، ولباقته ونبوغه السياسي وسعة اطّلاعه. ولذا فقد رفض المواد التي أعلنها الأتراك:

ــ أن يكون رئيساً على تهامة وعسير والمخلاف السليماني.

ــ وأن يتخلى عن علاقته بالأجانب.

ــ ويخضع لطاعة الإمام يحيى.

ــ وتضمن له الدولة العثمانية راتباً شهرياً.

حيــث رأى في ذلك تبعية كاملة لهم، وهو الذي هدف إلى أن يخضع لهــم اسمياً فقط دون أي امتياز، وأن يطبق اللغة العربية في البلاد، ممّا أكد مركزه القوي وتطلّعه إلى الاستقلال.

وقد أدّى هذا الوضع الخلافي إلى إعلان العداء واستمرار الحروب بين الطرفيــن حــتى الحــرب العالمية الأُولى في سنة ١٩١٤م/١٣٣٣هــ حين تدخلــت بريطانــيا طرفاً مسانداً للإدريسي. فتحالف معها للتخلّص من نفوذ وأطماع العثمانيين، إذ إنّ الانجليز كانوا في عداء مع الأتراك يبغون التخلّص مــن نفوذهــم فــي الجزيرة العربية، فتمّ عقد معاهدة صداقة وحسن نية بين الطرفيــن فــي ســنة ١٩١٥م تسهم بريطانيا بموجبها في الحفاظ على دولة الإدريسي الذي يساعدها في حربها ضد تركية، وأن تمدّه بالأسلحة والمعدات والأموال فقط.

وقــد أنتعشت البلاد اقتصادياً من ذلك نتيجة حرية التجارة بين موانئه وميناء عدن خصوصاً خلال الحرب التي فرضت فيها بريطانيا الحصار على الموانــيء الأُخرى في اليمن وما يتبع منها الدولة العثمانية. وكان نداً وكفواً فــي تعاملـــه مع الإنجليز وحريصاً على أن يستفيد من تعامله معهم دون أن يتنازل أو يتهادن.

كما ساعدت في الحروب قبائل: يام، وحاشد، وبكيل الزيدية، فاستولى الإدريسي على القنفذة التي اعتبرها حداً طبيعياً لشمالي بلاده، كما تسلّم جزر فرسان، ورفع عليها علم الأدارسة، فأصبحت جزراً من أملاك الإدريسي.

وتمكّن بعد الحرب من أن يتسلّم القنفذة وأبها في سراة عسير، وامتلك بعض الأراضي اليمنية الداخلية والساحلية مثل بلاد قيس والخميسين وحجور وباجل والصليف، كما تسلم الحديدة ميناء اليمن الهام في سنة ١٩٢١م الأمر

الذي دفع الإمام يحيى أن يستعيدها في سنة ١٩٢٢م خلال إمارة السيد عليّ بن محمّد الإدريسي.

وقد تُوفّي محمّد الإدريسي في سنة ١٩٢٢م فحكم بعده عليّ بن محمّد، ثمّ عمّه الحسن بن عليّ.

أمّا علاقتهم مع اليمن، فكانت عدائية منذ سنة ١٩١٩م وذلك للسيطرة علـــى الأملاك بين حدودهما، كما تدخّل طرف جديد في مضايقتهم، وهم: آل ســـعود الذين انتهزوا الفرص والخلاف بين الأدارسة وآل عائض في (أبها) فيما بين سنة ١٩١٩ــ١٩٢٢م فتمكن آل سعود من ضمّ العسير إليهم وانتقال آل عائض إلى الرياض.

وقد استمرّت العلاقات جيدة بين آل سعود والأدارسة؛ إذ عقدت اتفاقية علاقـــات حســـنة بينهما؛ إلاّ أنّ الوضع تغيّر في الفترات التالية، فقد ضعفت الدولـــة بعد المؤسّس محمّد، فساد النزاع بين أُسرته، وخلع عليّاً وعيّن عمه الســـيد الحســـن بن عليّ في سنة ١٩٢٤م واستغل إمام اليمن الفرصة فاحتل الحديـــدة وميدى وغيرهما، ممّا أضطر الحسن إلى عقد معاهدة مع آل سعود في مكة المكرمة في سنة ١٩٢٦م على أن يكون تحت حمايتهم، فتعاون معه فـــي الحكـــم مندوب سعودي حتى سنة ١٩٣٠م، وعندما شعر بضعف نفوذه اشـــترك فـــي ثورة حزب الأحرار الحجازي، ممّا جعل عبدالعزيز آل سعود يســـعى إلـــى القضـــاء عليهم في سنة ١٩٣٣م فاستولى على تهامة وعسير والمخلاف السليماني لتصبح إحدى مقاطعات الدولة السعودية.

وهكـــذا انتهـــت الدولة التي أسسها السيد محمد بن عليّ الإدريسي في جـــنوب غـــرب الجزيرة العربية عام ١٩٠٧م/١٣٢٥هــ والتي كان لها أثر تاريخي كبير في المسار السياسي للمنطقة حتى عام ١٩٣٣م.

فقد أعادت هذه الدولة الفتية روح الدين الإسلامي للمنطقة وتعاليمه حين طبقت الشريعة الإسلامية حكماً وإدارة وقضاءً بعد أن ظهر اندثارها، كما أوجدت تاريخاً حديثاً مستقلا لها عن تاريخ اليمن. وشاركت في الأحداث الإقليمية والعالمية المهيمنة على المنطقة، فحملت لواء الثورة ضد الحكم العثماني المتسلط إلى أن أخرجته منها، وحافظت عليها من تدخل القوى الأجنبية فيها، وفتحت المجال الاقتصادي وانعاشه وازدهاره بتشجيع التجارة البحرية بين موانئ البحر الأحمر.

كما أنَها ساهمت في توحيد القبائل وتألفها في دولة واحدة بعد القضاء على حالة الحروب والفتن بينها. وشجعت أبناءها على تحمل المسؤوليّة في كل مجال بعد أن غلب عليهم العمل كعمال أو عاطلين دون عمل، كما أنّهم شجّعوا التراث الأدبي والفكري والتاريخي للبلاد، فأوجدوا المكتبات الخاصة في المنطقة.

د ــ دولة بني الرس في اليمن:

كانت اليمن ضمن ولايات الدولة العباسية؛ إذ عيّن عليها المأمون: محمد بن إبراهيم الزيادي والياً في سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م فاهتمّ بها، وأنشأ مدينة زبيد عاصمة له، وجعل فيها الحكم وراثياً في أبنائه، على أن يتبعوا العباسيين.

وكان انتشار الدعوة الشيعية قد بدأت في اليمن منذ أيام المأمون. فثار في (صعدة): يحيى بن القاسم الرسي(١) الملقب بالهادي إلى الحق، وأسّس

(١) يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن ابراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام من كبار الزيدية.

دولـــة بنـــي الـــرس في سنة ٢٨٠هـــ/٨٩٣م على المذهب الزيدي، فاستمرّ حكمهم حتى سنة ٧٠٠هـــ/١٣٠٠م.

٤ ــ الدولة الفاطمية:

عـــندما تُوفّي إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في سنة ١٤٥هـــ/ ٧٦٢م رأى أتباعه أنّ الإمامة انتقلت بعد وفاة الإمام عليه السلام إلى حفيده محمّد بن إســماعيل الــذي عُــدّ الإمام السابع، فدعا لـــه أنصاره خلال عهود الخلفاء العباسيين: المهدي، والهادي، والرشيد، حتى نجحت دعوتهم في إنشاء الدولة الفاطمـــية. وقـــد طارد العباسيون محمد بن إسماعيل، فهرب من المدينة إلى الري فجبال دماوند، واستقرّ بقرية (سملا) التي سميت باسمه (محمد آباد) بعد ذلك، وخلفه عبدالله الراضي في الإمامة، وهرب إلى مازندران مصطحباً ابنه (احمـــد) وذلك في أيام المأمون، ثُمّ سارا إلى الأهواز، فواصلا هروبهما إلى قرية (سلّمية) قرب حمص التي أصبحت دار هجرة للإسماعيليين، فقد خرج مـــنها الدعاة لنشر دعوتهم في الجهات الأُخرى من البلاد الإسلامية. وأصبح الإمـــام بعد أحمد ابنه الحسين الذي اشتهر بحبه للهاشميين وبنشر الدعوة في مـــناطق أكـــثر من ذي قبل، فقد بعث الداعي أبو عبدالله الشيعي إلى اليمن، وابـــن حوشـــب الكوفي إلى المغرب في سنة ٢٧٨هـــ/٨٩١م(١). أمّا الإمام

(١) كـــان التشـــيع قد انتشر قبل هذا الوقت في المغرب على يد الأدارسة، فاعتنقه البربر وكثـــير مـــن وزارء الأغالـــبة في تونس، فعمل كل هؤلاء على نشر المذهب الشيعي الـــذي اعتـــنقه معظم أهالي البلاد، وهو ما سهّل جهود أبي عبدالله الشيعي في إزالة سلطان الأغالبة، ومدّ نفوذ الفاطميين إلى أكثر أجزاء بلاد المغرب في سنة ٢٦٩هـــ/ ٩٠٨م.

عبـــيدالله بـــن الحسين بن أحمد[(١)] فقد خرج من (سلّمية) قاصداً المغرب عن طـــريق مصـــر، فرحّـــب به واليها (محمد بن سليمان الكاتب)، وسهّل لـــه الخـــروج، مـــع بذل الأموال والرشاوي للمسؤولين، فتمكّن من الوصول إلى طـــرابلس ثُـــمّ سجلماسة بالمغرب الأقصى، فأُخذت لـــه البيعة فيها في سنة ٢٩٦هـــــ/٩٠٨م فقامت الخلافة الفاطمية بذلك في شمال إفريقية. وبدأ العمل هـــناك ببـــناء عاصـــمة لـــه على بعد ستين ميلا جنوبي القيروان، سمّـــاها المهدية في سنة ٣٠٥هـــ/٩١٧م بالإضافة إلى مدينة أُخرى بجانبها سمّـــاها (زويلة) نسبة إلى إحدى القبائل المغربية البربرية.

وحكم بعده ابنه أبو القاسم، وهو القائم بأمر الله في سنة ٣٢٢هـــ/٩٣٣م وتمكّـــن إسماعيل ابنه الملقب بالمنصور من التخلص من الأخطار الخارجية والداخلية التي واجهته من قبل الخوارج والبربر والأُمويين في الأندلس، كما أسّس مدينة جديدة قرب القيروان باسم المنصورية، واتّخذها عاصمة، فنقلت إليها الأسواق والصناع، فازدهرت بها التجارة والصناعة وتقدّمت في جانب كبير في المجالات المختلفة حتى سنة ٣٦٢هـــ/٩٧٢م حين انتقلت فيها الدولة إلى مصر.

وفي عهد المعز لدين الله ـــ معد أبوتميم ـــ برز قائده (جوهر الصقلي) الذي وطّد الحكم لهم وفتح المدن الجديدة حتى وصل ساحل المحيط الأطلسي ثُمّ استولى على مصر في سنة ٣٥٨هـــ/٩٦٩م، ووضع أساس مدينة القاهرة شمالي الفسطاط، وسمّـــاها المنصوريّة على اسم والد المعز، ولكنّه سمّـــاها

---

(١) ولد في ٢٩٩ أو ٢٦٠هـــ ومات في ٣٢٢هـــ/٩٣٣م بويع بالخلافة في عمر الـــ ٤٠، وحكم ٢٤سنة.

القاهرة عندما قدم إليها بعد أربع سنوات. ثمّ قرّر أن يبني جامعاً يكون رمزاً لسيادة الدعوة الفاطمية، فأنشأ الجامع الأزهر في سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م. خلال سنتين، فأُقيمت الصلاة فيه لأوّل مرة في ١٧ من شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ/٩٧٢م وقد سمّي بالأزهر نسبة إلى جدتهم الزهراء عليها السلام.

وأضافوا في الخطبة: «اللّهمّ صلِّ على محمّد النبي المصطفى وعلى عليّ المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً».

نظام الحكم وإدارة البلاد:

قسّم الفاطميون مصر إلى أربع ولايات، وأشرفوا على شؤون الإدارة عدّة دواوين اختصّ كلّ منها بعمل معين، كما أنّ الرواتب كانت عالية عاش منها الناس في رغد، ممّا ساعد على تقدّم المرافق الاقتصادية. وأعطوا الإهتمام بالجيش وتقويته لحماية الدولة، كما أنشأوا أُسطولا كبيراً لصدّ الأعداء من البحر، وأسّسوا خزانة السلاح التي احتوت على أنواع الأسلحة المعروفة، تمدّ الجيش بما يحتاجه منها، كما أنشأوا خزائن أُخر للمعدّات الحربية، ودواوين خاصة بأعداد الجيش وتجهيزه وتنظيم الإنفاق عليه، وأصبح للأُسطول ديوان يعرف بديوان الجهاد، يشرف على بناء السفن وتجهيزها بالمعدات الحربية ودفع المرتّبات.

وفي الجانب الاقتصادي اعتنوا بالزراعة على أنّها أهم مصادر الثروة في البلاد، فأنشأوا الترع والجسور، وإدارة خاصة تشرف على أُمور الزراعة، وأقاموا مشروعات مهمة لتنظيم الري، وعاملوا الفلاحين بالطيب وروح التسامح الديني. أمّا في الصناعة فقد ظهرت منها أساليب جديدة

وتنوّعــت أصنافها، مثل صناعة الزجاج والخزف والنسيج التي صُدّر منها إلـــى فارس، كما أنشأوا دار الكسوة التي تعمل الثياب لموظفي الدولة وكسوة الكعــبة والخلع التي يمنحها الخلفاء للآخرين. وقد تفوقت مصر في صناعة المنســوجات الصــوفية، عُرفت بالمصري، وصناعة المنسوجات الحريرية فأُنتج نوع منها عُرف بالديباج، وأنشأوا عدة مصانع لانتاج أنواع فاخرة من الثياب عمل بها ثلاثة آلاف صانع.

كمـــا اشـــتهر الورق البردي بمصر، فاستخدمه المسلمون حتى أوائل القـــرن ٤هـــ عندما استخدم نوع من الورق يصنع من الكتان سُمّي الكاغذ نقلـــت صـــناعته مـــن الصـــين إلى بلاد المسلمين، حيث اشتهرت سمرقند بصـــناعته. فانتهى عهد ورق البردي المؤرخ في سنة ٩٣٥م. وبدأت كتابة الوثـــائق على الكاغذ منذ عام ٩١٢م، فانتشرت الوراق في العصر الفاطمي حيث كان الوراقون يشتغلون بصنع الورقة وتجارته وبالنسخ والتجليد.

كمـــا أنشـــأ الفاطمـــيون الطـــرق البرية التي تساهم في تطور الحياة الاقتصـــادية، كالجســـور علـــى النيل، ورصدوا المبالغ الكبيرة لها، وحددوا ميزانية قدرها ١١٠ ألف دينار لصيانتها وعمارتها.

أمّـــا فـــي الجانب الإجتماعي فقد تميّز عصرهم بالاهتمام بالاحتفالات الدينـــية كعيد الفطر والأضحي ورأس السنة الهجرية ومولد النبيﷺ ومولد الإمـــام أمير المؤمنيـــن عليّعليه السلام والإمام الحسن والحسينعليهما السلام والسيدة فاطمة الزهـــراءعليها السلام ويـــوم عاشوراء وليلة أوّل رجب والنصف من شعبان وعيد الغديـــر، وكانت تضاء في لياليها المساجد والجوامع، فتبدو القاهرة بأنوارها، ويخـــرج الناس إلى الجامع الأزهر، إلاّ يوم عاشوراء، فقد كان الحزن يعم، وتعطـــل الأسواق، ويخرج الناس لإلقاء الأناشيد في رثاء الحسينعليه السلام ثمّ يقام

ســماط الحزن يقدم عليه خبز الشعير والعدس والجبن، بحضور الخليفة الذي ارتدى الثياب القاتمة. وأمر بآذان حيّ على خير العمل في المساجد.

إلا أنّ ملـوك بنـي أيـوب اتّخـذوا يوم عاشوراء يوم فرح وسرور يوسـعون فـيه علـى عيالهم، ويتبسطون في المطاعم، ويصنعون الحلوى، ويـتّخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج أيام عبدالملك.

أمّـا صـلاح الدين فقد حمل كافة الناس على عقيدة الشيخ أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري، وشرط ذلك في أوقافه، فاستمرّ الحال على ذلك في مصر والشام والحجاز واليمن والمغرب حتى صار هذا الاعتقاد حتمياً إذا خالفه أحد ضرب عنقه.

وفي الجانب الثقافي أعطوا الاهتمام الأكبر لنشر الثقافة العلمية والأدبية والمذهبـية، فكان للجامع الازهر أثره الكبير في النهوض بكل ذلك؛ إذ دُرّس به المسائل الفقهية المستمدّة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وتحوّل الجامع الأزهر إلـى معهد للدراسة منذ سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م فعُيّن فيه بعض الفقهاء للقراءة والـتدريس، وأنشـئ لهم دار للسكن بقربه، ومُنحوا أرزاقاً شهرية. واتّخذوا بجانـب تلـك القصور ـ أيضاً ـ كمراكز لنشر العلم والثقافة، فألحقوا بها مكتبات ضخمة ضمت أندر الكتب والمؤلفات؛ إذ كانت بمكتبة القصر أربعين خـزانة كتب في سائر العلوم مايزيد على مئة ألف مجلد: يتناول الفقه على سـائر المذاهب، والنحو، واللغة، والحديث، والتاريخ وسير الملوك، والفلك، والكيمياء.

وأسّس الحاكم بأمرالله دار الحكمة في سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م وعرفت مكتبتها باسم (دار العلم) احتوت على الكثير من الكتب في سائر العلوم، كما

سمح للناس بالتردّد عليها. وذكر عنها المقريزي واصفاً لها: «أنّه لم يرَ مثلها لأحد قط من الملوك». وتميّز روّادها بأنّهم من المهتمين بالقراءة أو النسخ أو التعلم، وجُهّز فيها كلّ مايحتاج إليه الباحث من أقلام وورق ومحابر، وتوفّرت فيها العلوم والمعارف المختلفة بجانب علوم أهل البيت وفقه الشيعة؛ إذ اعتقد المعز لدين الله أنّ النهضة العلمية يجب أن تقوم على يد الأئمّة من أهل بيت الرسولﷺ.

وقد درس فيها كثير من العلماء كان أشهرهم: ابن يونس المنجم، وأبا عليّ محمّد بن الحسن بن الهيثم، وعليّ بن رضوان[١] الذين اشتهروا في علوم الرياضيات والطبيعة والطب. كما جذبت إليها الكثير من أعلام الشرق، مثل: ناصر خسرو الرحالة والداعى الحسن الصباح.

ولم تنتشر المدارس في القاهرة فحسب، بل في مدن مصر الأُخرى: كالاسكندرية وأسيوط، وقوص، وأسوان، وادفو، مما مهد السبيل لتخطّي حدود مصر والنفاذ إلى بلاد السودان.

وهكذا ازدهرت الحركة العلمية والأدبية بفضل تشجيع الخلفاء والوزراء، فخلقت نهضة كبيرة أبرزت علماء ومفكرين اشتهروا في ذلك الوقت، مثل:

المؤرخ أبوالحسن عليّ الشابشتي. تُوفّى سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م.

ـ المختار عزّالملك المعروف بالمسبحي. توفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م وقد كتب (تاريخ مصر) فنقل عنه كلٌّ من المقريزي وأبي المحاسن.

---

(١) مصري المولد، كان فقيراً وصل بجهده إلى رئيس الأطباء في البلاط الفاطمي. توفّي في سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م.

ـ أبو عبدالله القضاعي، من أعلام المؤرخين ـ مصري المولد ـ تُوفّي ٤٥٤هـ/١٠٦٢م.

ـ أبو القاسم عليّ الصيرفي، تميّز بالشعر والبلاغة.

فقد كانت الدولة الفاطمية نموذجاً يقاس عليه ويعرض فيه ما لايعرض في قيام الدول الأُخرى من العبر والأطوار وصنوف التدبير، فقد قامت بين ستة دول أو أكثر إسلامية وأجنبية تعاديها وتخشاها.

فقد كان إنشاؤها يعني زوال دول كثيرة: العباسية والاخشيدية والأغالبة والأُموية في الأندلس ودويلات الأُمراء هنا وهناك. وحضارتهم كانت مصرية ذات صفة وطنية ليست كغيرها من الحضارات التي قبلها وبعدها.

النشاط التجاري والعلاقات الخارجية:

ازداد النشاط التجاري البحري والبري، فتمتعت الفسطاط برخاء تجاري كبير، وكثرت فيها الاسواق والمتاجر بجميع أنواع السلع، وبلغ عدد الدكاكين فيها حوالي عشرين ألف دكان، كما اُنشئت القياسر: وهي مجموعة من المباني العامة تحوي حوانيت ومصانع ومخازن ومساكن ومساجد(1).

وأصدرت الحكومة الدنانير الخاصة بها، مثل: الدينار المعزي. واستخدمت الحوالات في المعاملات التجارية في القرن الرابع الهجري.

وقام الصيارفة والوكلاء مقام البنوك الآن. وقد نقشوا على وجه العملة: «لا إله إلا الله محمّد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، عليّ أفضل الوصيين، وزير خير المرسلين».

---

(١) كالمجمعات التجارية الكبيرة في الوقت الحاضر.

وقد ساعد قيام الدولة الفاطمية على ازدياد الارتباط مع الدول الأُوروبية والآسيوية؛ لما تميّزوا به من تسامح ديني، حين منحوا أهل الذمة المناصب والوظائف، وكان لهم الحرية في العمل بالميدان الاقتصادي، وفتحت البلاد أبوابها للتجار الأجانب، فوفدوا إليها من أُوروبا والشرق حاملين السلع القيمة. فقد تنافس أُمراء المدن الإيطالية: أمالفى، وبيزا، وجنوه والبندقية على التعامل مع مصر في العهد الفاطمي. فقد حصلت تلك المدن على امتيازات تجارية جيدة بمصر، وأصبحت على صلة طيبة بها.

فعقدت علاقات تجارية في (١٠٦٣م) لحماية تجارهم في مصر. فقد عمل الخلفاء على حماية رعايا مدينة جنوه أثناء إقامتهم بمصر والأراضي الفاطمية، كما نشطت العلاقات التجارية مع صقلية التي كانت قد خضعت للنفوذ الفاطمي. كما كانت لهم علاقات مع أسبانيا التي ساعدتهم في إرسال المواد الغذائية أثناء الشدة العظمى بمصر خلال حكم المستنصر بالله. كما أنّ البندقية أقامت علاقات ودية معهم، فجلبوا الخشب الصالح لبناء السفن، كما عمل تجارها على تنمية العلاقات مع المسلمين، فصارت سفنهم تنقل من موانىء مصر منتجات آسيا إلى أسواق أوروبا.

كما نجحوا في إقامة علاقات تجارية مع الشرق مع الهند والصين؛ إذ كانت تجارة الشرق الأوسط تسير من الخليج العربي إلى البحر الأحمر إلى ميناء عيذاب الفاطمي على ساحل السودان.

وكانت عيذاب قد اتّخذها الفاطميون كقاعدة حربية على البحر الأحمر بسبب نشاط الصليبيين ضد المسلمين هناك، كما اتّخذت ميناءً كبيراً فضّله الحجاج على ميناء القصير، وكانت تمثّل حلقة اتّصال بين الشرق والغرب

تأتي إليها تجارة الهند وعدن وشرق إفريقية واليمن وتجارة الحجاز، فربطت الحجاز ومصر خلال العصر الإسلامي؛ إذ أصبحت عيذاب مركزاً رئيساً للنشاط التجاري منذ القرن الثالث الهجري أي القرن التاسع الميلادي. وبلغت أوج نشاطها خلال العصر الفاطمي بسبب السياسة الرشيدة التي انتهجها الفاطميون في إنعاش الحركة التجارية بمينائها. فحيثما كان التاجر المصري يولّي وجهه كان دعاة الإسماعيلية يجدّون أثره.

وقد سمح للتجار الأجانب بإنشاء الفنادق الخاصة بهم، فكان لكلّ جالية أجنبية بالإسكندرية فندق يقيم به تجارهم، ويحفظون بضائعهم، وفرنٌ يصنعون به خبزهم حسب عادتهم، وكنيسة صغيرة لإقامة شعائرهم الدينية.

وقد أثر كلّ ذلك في علو شأن التجار المسلمين في البلاد الأُخرى، وتحسّنت أحوال الجاليات الإسلامية هناك، وثراء الكثيرين من أهل البلاد، وجلب الأرقّاء من مختلف الأصناف إلى الدول الإسلامية، وكثرة الرحلات والمغامرات، ووفود طلاب العلم، واجتهاد الفقهاء في المسائل المستجدة(١).

علاقة الفاطميين الخارجية وسياستهم تجاه الدول الأُخرى:

اتّصفت علاقتهم السياسية مع الأُمويين في الاندلس بالعداء، فكان عبدالرحمن الناصر الأُموي قد أمر بلعن الفاطميين على منابر بلاده، وهي سياسة بني أُمية التقليدية تجاه أهل البيت عليهم السلام، وبالرغم من ذلك فقد طلب من

---

(١) وجد في أسكندناوة وفي السويد خاصة عشرات الآلاف من النقود الإسلامية تحمل نقوشاً يرجع تاريخها إلى ما بين أواخر القرن (٧م ــ١١م)، كما وجدت كميات منها على طول مجرى نهر الفولجا، مما يؤيد امتداد النشاط التجاري الإسلامي إلى بلاد البلقان عبر بحر الخزر والبحر الأسود وروسيا.

المعز الفاطمي التصالح والموادعة، إلاّ أنّ المعز كتب إليه: « ما أنا بالمداهن فـــي دين الله، ولا بالراكن بالمودة إلى أعداء الله، ولا بالمخادع في أمر من اُمور الله عزّ وجلّ، فماله عندي سواه إنما أراد هذا الفاسق أن يقطع الزمان بهذه المراسلة والمكاتبة بيننا وبينه».

وكذلـــك ساءت علاقتهم بالبيزنطيين، فظل النزاع قائماً بينهما منذ سنة ٣٥٨هـــ/٩٦٩م حتى سنة ٩٨٧م. حين عُقد صلح بينهما طلب فيه (العزيز الفاطمـــي) من شروط: أن يُدعى لـــه بجامع القسطنطينية في خطب الجمعة، والمســـاجد الواقعـــة داخـــل حدود الدولة البيزنطية، وأن يعيدوا بناء جامع القســـطنطينية الـــذي كان قد تهدّم، رداً على هدم كنيسة القيامة. وقد استمرّ العداء بين الطرفين إلى أيام الحروب الصليبية، وبروز نور الدين محمود في الشام وتطلّعه إلى مصر.

وقـــد تبعـــت القدس الفاطميين في ٩٦٩هـــ/١٥٦١م حيث أمر الحاكم بأمـــر الله بتدمير المزارات المسيحية. كما أمر الخليفة الظاهر باصلاحات في المســـجد الأقصـــى كشفه وجود اسمه والزخارف الفاطمية وأشكال الأقواس القريـــبة مـــن لقـــبه، فالقسم الكبير من المسجد الحالي هو من تشييد الخليفة الظاهـــر الفاطمي الذي أشاد الحد الشمالي للمسجد وهو ما عليه اليوم. وأشار اليه كريسويل المستشرق الإنجليزي الخبير في هندسة العمارة الإسلامية فأكد أن قســـماً كبيراً من المسجد الأقصى الحالي من تشييده وأنه تألف من سبعة أروقة.

وذكر المقدسي من أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: عن فلسطين أيام الفاطمييـــن، أنـــه سكان بيت المقدس كانوا كلهم شيعة وليس بها معتزلة أو مالكـــية. وذكر ناصر خسرو أن بالقدس بيمارستان مستشفى هو من المعاهد

الكبرى التي أسسها الفاطميون في البلاد حيث كان أول مستشفى بها. وهناك مكتوب مطبوخ بالكاشاني على الجدار الخارجي لقبة الصخرة: أنا مدينة العلم وعلي بابها.

كما أن من مساجد بيت المقدس: مسجد اليقين وبظاهره مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسين(رض) وفي أعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام كتب على أحدهما: بسم الله الرحمن الرحيم، لله العزة والبقاء، وله ما ذرأ ومابرأ، وعلى خلقه كتب الفناء، وفي رسول الله أسوة. هذا قبر أُم سلمة فاطمة بنت الحسين(رض). وفي اللوح الآخر منقوش: صنعة محمد بن أبي سهل النقاش بمصر، مع أبيات من الشعر عنها. كما أن في عسقلان مشهداً لرأس الإمام الحسين عليه السلام قبل نقله الى القاهرة، وهو مسجد عظيم سامي العلو كما ذكر ابن بطوطة.

كما تمكّن الإسماعيليون من نشر مذهبهم بين السامانيين؛ إذ رحب بهم نصر بن أحمد وبمبادئهم، فانحاز إلى عبيدالله المهدي الفاطمي، واعترف بسلطته الروحية على أن يساعده بالرجال.

وممّن اشتهر من الدعاة الفاطميين عندهم: أبو عبدالله محمد بن أحمد النّسفي في عصر نصر بن احمد، فأصبح صاحب الأمر والنهي، ولكن نوحاً ابنه مال إلى السُنّة ضد الشيعة، فقتل النسفي.

والدول السامانية هي من أُسرة عريقة تنسب إلى بهرام جور صاحب كسرى هرمز. تكونت دولتهم في خراسان وفيما وراء النهر ما بين سنة ٢٦١ ــ ٣٨٩هـ/ ٨٧٤ ــ ٩٩٩م، وقد اتّخذوا سمرقند عاصمة لهم. فاستمرت مئة وسبعين عاماً انتهت على يد آل سبكتكين الأتراك.

وشملت خراسان في عهدهم: سمرقند، فرغانة، الشاش وأشرسنة،

هراة، بخارى، نيسابور، مرو وبلخ.

وما وراء النهر ضمت: الصُغد وعاصمتها بخارى، وسمرقند، خوارزم، فرغانة، الشاش، صغانيان. وقد أنهوا الدولة الصفارية في طبرستان والري مستقلين كدولة، تعبيراً عن القومية الإيرانية، باحياء اللغة الفارسية الحديثة التي أصبحت لغة الفكر والثقافة، برز منهم الفردوسي أفضل من عبر عن القومية الإيرانية وثقافتها. وقد امتدحهم الكتّاب في سيرتهم حيث تمسكوا بالخير والحق، وأحسن ملوكهم السيرة، فغلب عليهم العدل والدين والعلم، واهتموا بالطرق التجارية من بخارى إلى سمرقند إلى الصين، وروسيا، وعاملوا التجار بالطيب، حتى إنّ معظم النقود التي اكتشفت في شمال أوروبا يرجع سكها إلى القرن الرابع الهجري وينسب أكثرها إلى السامانيين.

وهكذا توسع الفاطميون في دولتهم فشملت بلاد الشام والعراق والحجاز[1] واليمن والأحساء ـ الخليج العربي ـ فقد ضعف نفوذ العباسيين منذ أواخر القرن الثالث الهجري مما زاد في نشاط الدعاة الإسماعيليين للدعوة إليهم، فبرز عدد من الدعاة العظام انتشروا في العراق واليمن والجزيرة العربية يدعون لهم. ففي العراق تمكّن الحاكم بأمر الله من استمالة أمير بني عقيل: (قرواش بن المقلد العقيلي) سادة الموصل إلى جانبه في سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م فخرج عن طاعة العباسيين، ونشر المذهب الفاطمي في الموصل والأنبار والمدائن والكوفة، وخطب لهم، وذلك في أيام القادر بالله العباسي، كما تأثر بهم رئيس الأتراك (أبو الحارث أرسلان البساسيري) في

---

(١) كانت مكة والمدينة تحت حكم الأشراف من بني الحسن وبني جعفر بن أبي طالب، فساندوا حكم الفاطميين وانحازوا إليهم وأقاموا الخطبة لهم.

بغداد فانحاز إليهم، وعمل على خلع الخليفة العباسي وإقامة الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، فاستولى على بغداد في سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وانضم إليه أهل الكرخ الشيعة، وأرغم (القائم بأمرالله العباسي) على كتابة تعهد يعترف فيه أنه: لا حق لبني العباس ولا له في الخلافة بوجود بني فاطمة الزهراء عليها السلام. وقد احتفظ بهذا العهد حتى أيام صلاح الدين الأيوبي الذي استولى عليه، وبعث به إلى الخليفة العباسي في سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م أمّا نفوذهم في بغداد فقد أنهاه السلطان طغرلبك السلجوقي في سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م.

ومن أشهر خلفائهم:

الحاكم بأمرالله الذي تميّز بإصداره المراسيم والقوانين، وما اتّهم به من خروجه على قواعد الإسلام، وما عرف به من صفات لم تكن في غيره. فقد كوّن مجلساً ضم كبار الموظفين لبحث شؤون الحكم، ممّا يدل على الأُسلوب الديمقراطي الذي تميّز به، وبُعده عن التحكم والسيطرة الفردية، كما كان يتجوّل ليلا للوقوف على أحوال البلاد والناس، فأمر بإنارة الحوانيت في طرقات القاهرة والفسطاط، مما أحدث تغييراً واضحاً في نظم الحياة المصرية، كما اهتمّ بالإصلاح والأخلاق وتطهير النفوس من الرذائل، فمنع النساء من السير خلف الجنائز أو الخروج إلى الأسواق والحمامات أو التطلع من النوافذ ومن سطوح المنازل، وفرض قيوداً على بعض المأكولات والمشروبات، فمنع بيع الزبيب حتى لايصنع خمراً، وأمر باتلاف أشجار الكروم، وأن لايصطاد السمك بغير فلس (القشر)، وكافح الغلاء، فأمر بعدم تخزين المواد والمؤنة وحدّد الأسعار، وجعل عقوبة المخالف القتل.

وقـــد اتّصـــف بالتقشـــف في حياته، فمنع الناس من ذكر عبارة سيدنا ومولانـــا، وأن يلقّب بأمير المؤمنين، وألاّ يقُبّل أحد لـــه الأرض أو يده عند الســـلام علـــيه، وألاّ يصلّى عليه في الخطب. وكان في أبسط المظاهر عند خـــروجه إلـــى الصلاة، كما زهد في أموال الدولة برغم ما تكدس لديه من الأمـــوال والتحف، حتى إنّه كان يحوّل أملاك أحد رجاله إذا زادت وكثرت إلى بيت المال.

وقـــد اعتـــنى بالقضـــاء وطهّره من الرشوة، واهتمّ بمطاردة العابثين بالأمـــن. كما اعتنى بالعلم والفكر، وشجّع الفلكيين والمنجمين، فأقام مرصداً فـــي جـــبل المقطم لرصد النجوم، إلاّ أنـــه حرّم التنجيم في سنة ٤٠٤هــ/ ١٠١٣م.

ولـــيس هـــناك ما يثبت أنـــه خرج على قواعد الإسلام في تصرفاته الدينية، برغم الاتهامات التي وجهت لـــه في ذلك، وخصوصاً أنّ كل ما قيل عـــنه كان بعد اختفائه[1]. وممّا يمكن الإستدلال عليه هنا ما أصدره الخليفة الظاهر من قوانين واصدارات وأوامر بإنكار ما يدعيه بعض عن تأليه آبائه، فهـــدّد بإيقاع الأذى الشديد على كلّ من تحدثه نفسه بذلك. فما قيل عنه وذكر فـــي هـــذا الأمر كان بسبب ظهور محمّد بن إسماعيل البخاري الدرزي في أيامـــه، حيث قيل: إنّه زين للحاكم الألوهية في سنة ٤٠٩هــ/١٠١٩م فهربه من البلاد حين طارده الناس لقتله، فتوجه إلى الشام لنشر الدعوة في الجبال، فنزل في قرية (بانياس)، وسمّي أتباعه هناك بالدرزية.

أمّـــا أشـــهر وزرائهم، فكان: بدر الجمالي الذي تقلد الوزارة في عهد

---

(١) قتل الحاكم في سنة ٤١١هــ/ ١٠٢١م. وقيل إنّه اختفى في جبل المقطم.

المستنصر، وكان إمامياً تعصب للمذهب الشيعي. تولّى ــ أيضاً ــ إمارة دمشق في سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ونيابة عكّا في سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م، وتمكّن من إعادة الأمن والاستقرار في القاهرة بعد أن تخلص من التمردات والاضطرابات في أنحاء مصر. تُوفّي سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م فخلفه ابنه الأفضل الذي برزت في عهده النزارية والمستعلية.

فقد تدخل في تعيين أحمد المستعلي بالله خليفة بعد المستنصر ضد أخيه نزار وليّ العهد، ممّا أدّى إلى اضطراب الأُمور في مصر؛ إذ تشيع الناس إلى فريقين مؤيدين لهذا وذاك، فقد أيّد جزء من الشعب المصري نزاراً كما أيّدته جماعة الإسماعيلية في فارس، فقويت سلطتهم في ساوة بين الري وهمدان. وتزعّم الدعوة هناك الحسن بن الصباح الذي أعلن (الأفضل) الحرب عليه، فهرب من مصر إلى إصبهان يدعو للنزارية.

أمّا الوزير أبو عليّ أحمد بن الأفضل فكان إمامياً دعا إلى الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه في الخطب، وضرب دنانير ودراهم جديدة باسم الإمام المنتظر عجل الله فرجه ممّا أثّر في ضعف المذهب الإسماعيلي، وكان قد عيّن من القضاة أربعة في سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م اثنان منهم شيعيان كان أحدهما إمامياً.

كما اشتهر الوزير طلائع بن زُريك الذي كان والياً على الإشمونين بمصر. وعندما قتل الخليفة الظافر في سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م طلبت إليه نساء قصره إنقاذ البلاد من الأخطار، فلبس السواد، وحمل الأعلام السود، ودخل القاهرة، فتقلّد الوزارة، وقضى على الاضطرابات، وتلقّب بالملك الصالح، في خلافة الفائز بنصر الله الذي كان صغير السن. وتُوفّي سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، فأقام طلائع الخليفة العاضد بعده. وكان إمامياً عمل على إحلال المذهب

الجعفري في مصر بدل الإسماعيلية.

وفي هذا الوقت كان قد ظهر صلاح الدين الأيوبي في مصر، وزاد نفوذه في سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م فوجه اهتمامه بالقضاء على المذهب الشيعي، فأسند إلى أهله المناصب المهمة[١]، وأنشأ مدرسة لتدريس المذهب الشافعي والمالكي، وعزل قضاة الشيعة، مما ساعد على استعادة المذهب السني مكانته، فاختفى المذهب الشيعي تدريجياً، وهو ما أثر بعد ذلك في زوال النفوذ الفاطمي. ولكنّه لم يجرؤ على تغيير اسم الخليفة الفاطمي في الخطبة، ويذكر بدله اسم الخليفة العباسي الذي طلب منه ذلك، فقام بذلك نيابة عنه رجل فارسي عرف بالأمير العالم حينما أعد لذلك، فخطب يوم الجمعة سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م للخليفة العباسي المستضيء.

٥ ــ الدولة الصفوية في فارس:

أسّسها الشاه إسماعيل الصفوي ابن حيدر بن جنيد بن صفي الدين الذي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام. فهو أحد أفراد أهل البيت عليهم السلام في ١٥٠٠ــ١٥٢٤م. فأقام حكومة دينية كان هو على رأسها، واتّخذ المذهب الشيعي ديناً رسمياً لها. وجعل من فارس دولة عظيمة. واصطدموا بالقوى الخارجية، فنشبت الحرب بينهم وبين تركية التي تعصّبت للمذهب السني، واستمرّت حتى سنة ١٦٣٩م، كما واجهوا قوات البرتغال بزعامة قائدهم (دالبوكيرك)؛ إذ اعتبروهم كفاراً دخلاء. وانتهى عهدهم في سنة ١٧٣٦م بعد وفاة عباس الثالث.

---

(١) جعل أباه على بيت المال، وأقطع إخوته الأراضي.

وقــد جــاءت دولتهم بعد فترة ضعف تعرضت لها فارس، واستمرت ثمانــية قرون، فأعادوا بناء دولة إيرانية قوية صحيحة. وعرفت قبائلهم باسم (قزل باش) أو حمر الرؤوس.

وإســماعيل هــو من نسل سلسلة من الزعماء الدينيين. فقد كان جدهم الشــيخ (صفي الدين الأردبيلي) عالماً وواعظاً وصاحب كرامات، عاش ما بين سنة ١٢٥٢ــ١٣٣٤م.

فــي عام ١٥٠٠م. هزم إسماعيل قبائل الخراف البيضاء. وحكم تبريز في سنة ١٥١٠م. واستولى على العراق وفارس وكرمان وهمدان وخراسان. وأعلن المذهب الشيعي مذهباً رسمياً في إيران.

كمــا حــارب الشاه عباس الكبير في سنة ١٥٨٧م الأتراك في الشرق والعثمانييــن في الغرب. وتحالف مع الإنجليز لطرد البرتغاليين من هرمز، وأنشأ ميناء بندر عباس.

وتــنازع الســلطة فــي إيران أُمراء الأفغان وغيرهم، كما تعرضت للانقسام، والتدخل من جانب روسيا في السواحل الشمالية.

اشتهر في عهدهم:

ــ المحقق الثاني الشيخ عليّ عبدالعال، زمن الشاه طهماسب الصفوي.

ــ الشيخ المجلسي صاحب بحار الأنوار.

ــ بهــاء الديــن العاملــي، وهو الشيخ البهائي، الابن الاصغر للشهيد الثانــي: زيــن الديــن بــن علــيّ العاملــي، نال شهرة في الفلسفة والفقه والرياضــيات، وأصبح شيخ الإسلام، وألمع شخصية في بلاط الشاه عباس. استشهد في سنة ٩٦٦هــ/١٥٥٨م.

٦ ــ دولة المشعشعين في العراق:

وهــي دولة شيعية إماميّة، وقد أنشأها السيد محمّد بن فلاح المشعشع أحد تلاميذ الشيخ أحمد بن فهد الحلي. وقد نسبه المؤرخون إلى الإمام موسى الكــاظمعليه السلام من ذرية السيد محمد العابد بن موسى الكاظمعليه السلام أو عبدالله بن موســى الكــاظمعليه السلام، وقد اتّسعت دولتهم، فشملت الأهواز إلى الحلة، حيث حــارب علــيّ المشعشع الحلة، ونهبها، كما استولى على أموال المشهدين، وأحرق وخرب وقتل، ثمّ حاصر بهبهان في سنة ٨٦١هــ/١٤٥٦م إلاّ أنــّه قتل. فحكم بعده: حسن بن عليّ بن زينل في سنة ٨٧٣هــ/١٤٦٨م.

أما محسن المشعشع في سنة ٩٠٥هــ/١٤٩٩م فقد كان كريماً فاضلا، راسله علماء الشيعة، واتّصلوا به، منهم شمس الدين محمد الأسترابادي. وفي القرن ١٢هــ حكم (الحاج يوسف بن الحاج محمّد بن ياسين بن عبدالله) الذي انــتهى نســبه إلــى جعفر الطيار وحّد الأُسرة المعروفة بــ«البيكات» لمدة أربعين سنة منذ ١١٣٣هــ/١٧٢٠م وفي عهده استولى نادر شاه على الحلة بعد حصاره لبغداد.

ثــم جــاء بعده (الأمير عبد الجليل بن سلطان بن الحاج يوسف) الذي حاربه (سعدون) شيخ المنتفق في سنة ١١٥١هــ/١٧٣٨م كما تعرّضت الحلة لغــارات الوهابيين بالإضافة إلى غاراتهم على كربلاء والنجف، إلاّ أنّ أهل الحلة صمدوا أمامهم، ودفعوهم عن البلاد.

الفصل الثالث

تأسيس دول شيعية علوية

بالإضافة إلى الدول والممالك التي أنشأها أفراد عظماء من أهل البيت عليهم السلام فقد أنشأ أفراد آخرون موالون لأهل البيت عليهم السلام دولا وإمارات شتّى في بقاع الأرض، متّخذين المذهب الجعفري والتشيع مذهباً رسمياً لدولهم. ومن أشهر تلك الدول والإمارات:

١ ــ الدولة الحمدانية.

٢ ــ الدولة البويهية.

٣ ــ الدولة المزيدية.

٤ ــ الدولة الجلايرية.

٥ ــ الدولة الطاهرية.

٦ ــ إمارة بني عمار.

٧ ــ دول في الجزيرة العربية والخليج:

أ ــ في اليمن.

ب ــ في عدن.

ج ــ في عمان.

د ــ القرامطة في الاحساء.

هــ ــ امارة بني عصفور

٨ ــ دولة بني كنز الدولة في مصر.

٩ ــ دولة لكنهو في الهند.

وسنتناول معالم تلك الدول في هذا الفصل.

١ ــ الحمدانيون:

ينتسبون إلى حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب التي استوطنت ديار ربيعة في الجزيرة بالقرب من سنجار ونصيبين. كان له من الأولاد: إبراهيم، الحسين، نصر أبوالسرايا، أبو الهيجاء عبدالله، أبو العلاء سعيد، وداود.

وقد خدم الحسين بن حمدان الدولة العباسية، وكوّن إمارة في قلعة ماردين، ثمّ حارب في سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م أحد المتمردين على حكم المعتضد العباسي: وهو هارون الشاري، فخلع عليه الخليفة، ووسّع عليه وعلى أهله.

أمّا في الموصل فقد زاد نفوذهم حين تقلّد ولايتها عبدالله بن حمدان في سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م من قبل الخليفة المكتفي العباسي، وأقره عليها المقتدر فظل عليها حتى سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م ولكنّه قتل عندما اشترك في مؤامرة لخلع المقتدر إلاّ أنّه لم يستغنِ عنهم، فاستعان بهم في إقليم الجزيرة لمواجهة حركات القبائل المتحاربة، فأسند إلى الحسن بن عبدالله بن حمدان ولاية الموصل، فبسط سلطانه عليها وعلى جميع أرجاء ديار بكر وربيعة. وعلا شأنهم بعد أن ساهم الحسن في القضاء على اضطرابات عام ٣٣٠هـ/ ٩٤١م فخلع (الخليفة المتقي) عليه ولقبه «ناصر الدولة» كما خلع على أخيه عليّ بن عبدالله ولقبه «سيف الدولة».

واستحدث العباسيون منصب أمير الأُمراء في مقابل منصب الوزير للتخلص من سطوته، فأصبحت تولية الولاة وعزلهم بيد الأمير الذي سيطر

علــى الوضــع حتى أصبح الوزير دون نفوذ، وذلك في عهد الراضي سنة ٣٢٢ـ٣٢٩هـ/٩٣٣ـ٩٤٠م إذ إنّ الأمير تدخل في شؤون الوزراء وعزلهم وتوليــتهم، ممّا أثار المنافسات بين الأُمراء إلى أن وصل الأمر إلى الحروب بيــنهم على المنصب والأموال، فصادروها، وفرضوا الضرائب على التجار الذيــن اضــطروا إلــى الهــروب من بغداد، وعجز الشرطة عن مطاردة اللصــوص والمفسدين. وقد تعيّن ناصر الدولة أميراً للأُمراء في سنة ٣٣٠ هـ/٩٤١م في عهد المتقي بالله، فاستهان بالخليفة وصادر ممتلكاته.

وقــد تمكّن معز الدولة البويهي من الاستيلاء على الموصل ونصيبين فــي عام ٣٤٧هـ/٩٥٨م، فاضطر ناصر الدولة إلى الخروج منها إلى حلب عــند (ســيف الدولــة) الذي كان قد استقلّ بها منذ سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م، ثمّ عادوا إليها بعد قبولهم دفع ضرائب إلى البويهيين، إلاّ أنّ نفوذهم في الموصل ضعف منذ سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م نتيجة لعدة أسباب جوهرية:

ــ اختلاف أولاده وانقسامهم إلى فريقين متحاربين، انحاز أحدهما إلى (حمــدان بــن ناصــر الدولــة) والآخر إلى أخيه أبي تغلب الذي تغلب في الحروب في سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م.

ــ تعرضوا للأخطار الخارجية من قبل الروم الذين هدّدوهم بالغارات المســتمرة، ومن البويهيين الذين استولوا على الموصل وديار ربيعة ومضر وميافارقيــن، والاكراد الذين أغاروا على مدنها في سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م بعد وفــاة أبــي تغلب كما تطلع (بنو عقيل) إلى امتلاك البلاد بعد ضعفها، برغم أنّهــم كانوا من رعاياهم يؤدّون إليهم الإتاوة، ويساهمون معهم في حروبهم، فاســتولى أمــيرهم أبو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد العقيلي الموصل ونصيبين في عام ٣٧٩هـ/٩٨٩م مؤسساً بذلك دولة العقيليين التي

استمرّت حتى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م.

وكان بنو عقيل وغيرهم من القبائل العربية مثل: بني كلاب، وبني نمير، وبني خفاجة، يقيمون بين الجزيرة والشام، وأصبحوا من رعايا الحمدانيين، كما أقرّ بهاء الدولة البويهي حكمهم على نصيبين.

وقد نشر المقلد أخو أبي الدرداء، الدعوة الفاطمية في الموصل والأنبار والمدائن والكوفة.

أمّا دولة بني حمدان في حلب:

فقد أنشأها (سيف الدولة) مستقلا بها دون أن يدفع جزية للخلافة العباسية، أو يكون تابعاً لها، أو نائباً عنها في حكم حلب؛ إذ اعتبر حامياً للمسلمين من الروم منذ سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م.

وقد سيطر على الشام واستلمها من الإخشيديين الذين ظهر ضعفهم، فاصطدم مع (محمد بن طغج الإخشيد) الذي تولّى الإمارة من قبل العباسيين، إلاّ أنّ صلحاً تمّ بينهما في سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م تضمن شروطاً كان أهم بنودها: أن تكون حلب لسيف الدولة وما يليها شمالا من الشام، وللإخشيد دمشق، على أن يدفع جزية سنوية لسيف الدولة الذي أصبح حاكماً مستقلا، وأصبحت دولته حاجزة ضد هجمات الروم. ولكنّه استولى على دمشق بعد وفاة الاخشيد.

وقد تميّز عهده بالحروب الدائمة مع البيزنطيين حماية منه للثغور الإسلامية، ومقاومة لتقدم الروم نحو الحدود الشمالية للمسلمين، حتى ذكر أنه غزاهم أربعين غزوة، وأنّه جمع من الغبار الذي أصابه في غزواته، فصنع لبنة منها بقدر الكف أوصى أن يوضع خده عليها في لحده. فلولا جهوده في النصف الأول من القرن الرابع الهجري في صد غاراتهم لتمكنوا من

الاستيلاء على الشام في غفلة من العباسيين. فقد استمرّت الحروب مع الروم عشــرين عاماً اعتبرت مقدمة للصراع بين المسيحية والإسلام ايام الحروب الصليبية.

كمــا أنّهم اشتركوا مع البويهيين في مساعدة القرامطة عندما واجهوا الفاطميين الذين حاولوا احتلال الشام.

وقــد ظهــر الضعف في الدولة بعد وفاته سنة ٣٥٦هــ/٩٦٧م نتيجة المــنازعات الداخلية، وتهديد الفاطميين للشام، فواجه ابنه (سعيد الدولة) سنة ٣٥٦ــ٣٨١هــ/٩٦٧ــ٩٩٢م. تلك الأزمات، فانحاز للفاطميين وأقام الخطبة لهم.

وعــندما حــاول الفاطمــيون احتلال حلب في عهد ابنه (سعيد الدولة أبي الفضائل) كان يخوفهم بالروم. إلاّ أنّ الوضع انقلب لغير صالحهم عندما طمع مولاه لؤلؤة في الحكم، فقتله، وأبعد ولديه: أبا الحسن علي وأبا المعالي شريف وأُسرة بني حمدان إلى القاهرة. وانتزع الحكم لنفسه ولأُسرته متقرباً إلى الفاطميين، فأقام الدعوة لهم، وأعلن الولاء للحاكم بأمرالله، ممهداً الطريق لهم للإستيلاء على حلب، والقضاء على سلطة الحمدانيين في سنة ٤١١هــ/ ١٠٢٠م.

إلاّ أنّ بعــض أُمــراء الحمدانيين عملوا قواداً في الجيش الفاطمي بعد ذلك، وحاولوا استعادة نفوذهم وسيطرتهم على حلب من الأُمراء العرب الذين تــبادلوا الســيطرة عليها، خصوصاً المرداسيين ــ من بني مرداس ــ الذين حكموها لمدة ستين عاماً، ولكنّها تعرّضت في أواخر القرن الخامس الهجري لهجوم السلاجقة وبعض من أُمراء العرب كالعقيليين، فاستولوا عليها في سنة ٤٧٣هــ/١٠٨٠م.

وقد اعتبر تكوين إمارة حلب الحمدانية تعبيراً عن كره الشام للعباسيين، وميلهم إلى الاستقلال وإلى ما كان لهم من نفوذ في تاريخهم القديم.

وقد نظم الحمدانيون دولتهم كباقي الدول الأُخرى، فاستخدموا الوزراء الذين خضعوا لهم، فساعدوا في تنظيم الدواوين، وعيّنوا نواباً عنهم في إدارة الولايات، واتّبع ناصر الدولة هذا التنظيم، فولّى ابنه حمدان الرحبة، وابنه هبة الله ميافارقين، وأبا فراس حران وحمص، بعد أن أطلق الروم أسره.

كما أنّهم اشتهروا بتشجيعهم للآداب واللغة، فبرز الشعراء في عهدهم كالمتنبي، والفيلسوف أبي العلاء المعري، صاحب نظرية الشك والتشاؤم في الفلسفة الإسلامية. كما أنّهم شجّعوا على الزراعة، واعتنوا بها، فأدخلوا زراعة القطن إلى بلاد ما بين النهرين، فاشتهرت بها حران ومجدل في الجزيرة.

أمّا في خطبة الجمعة فكانوا يدعون: «اللّهمّ صلِّ على وليك الأزهر، وصدّيقك الأكبر عليّ بن أبي طالب، أبي الخلفاء الراشدين المهديين، وصلّ على السبطين الطاهرين الحسن والحسين، وعلى الأئمّة الأبرار والصفوة الأخيار من أقام فظهر ومن خاف فاستتر، اللّهمّ صلّ على الإمام المهديّ بك»

٢ ـ البويهيون: ٣٢٠ ـ ٤٤٧هـ/٩٣٢ـ١٠٥٥م

ينتسبون إلى زعيم فارسي: (أبو شجاع بن بويه) قائد قبيلة فارسية تقطن جنوب بحر قزوين، فهم من أهالي الديلم، دخلوا الحياة الإسلامية في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل الرابع الهجري خلال فترة ضعف الدولة العباسية، فعملوا كمرتزقة في الجيش، وخدموا السامانيين، وتمكّنوا من تأسيس إمارات لهم كغيرهم من المغامرين الذين ظهروا في هذا العصر.

وعندما نجحوا في بعض الفتوحات في أراضي فارس اعترفت الخلافة العباسية بهم كدولة شرعية مستقلة مثل باقي الدول في إيران. إلاّ أنّهم طمعوا إلى أكثر من ذلك، فتطلّعوا إلى بغداد، فدخلوها في سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م بعد أن هزموا العنصر التركي المستبد بها، وذلك في عصر (المستكفي) ففرضوا أنفسهم أوصياء على الخلافة، فأصبحوا أصحاب السلطة الحقيقية فيها.

وقد تمكّن عليّ بن بويه وأخوه الحسن من التوصل إلى مرتبة الأُمراء في جيش (ماكان) الديلمي، ثمّ انتقلا إلى خدمة (مرداويج) بن زيار الديلمي[١] فتولى عليّ بلاد الكرج جنوب شرقي همدان، وأظهر كفاية في الإدارة وحسن المعاملة، إلاّ أنّ مرداويج حاربه، فسار إلى (أرجان) إحدى كور فارس، واحتلها في سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م ثمّ أخذ شيراز.

أمّا أحمد أخوه فاحتل كرمان، كما دخل الأهواز بعد موت مرداويج في سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م ممّا ساعدهم على التوسع والسيطرة على إصفهان والري والأهواز وبلاد فارس، وأرسل عليّ إلى الخليفة الراضي العباسي يطلب اعترافه بسلطته في فارس، فبعث إليه الخلع والهدايا على أن يتعهد أن يرسل له سنوياً مبلغ ٨٠٠ مليون درهم، ولكنّ علياً أخذ الخلع، وامتنع عن دفع المبلغ. أمّا الحسن فاستولى على بلاد العراق العجمي والري وإصبهان وهمدان.

ولما ساءت الأحوال في عهد (المستكفي) توجه أحمد إلى بغداد للمساعدة في تحسين الأحوال المضطربة بها في سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م فمنحه الخليفة لقب أمرة الأُمراء، ومنحهم ألقاباً متميّزة: فقد لقّب علياً عماد الدولة،

---

(١) مؤسس الدولة الزيارية في طبرستان سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م.

والحسن ركن الدولة، وأحمد معزّ الدولة.

وأصبح لمعز الدولة مطلق التصرف في شؤون العراق، فاستأثر بالسلطة، وحجر على الخليفة، وحدّد له ميزانية خمسة آلاف درهم كلّ يوم، وخلع المستكفي واعتقله في سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، فحبسه في داره، وعيّن المطيع لله خليفة، فلم يكن له من نفوذ سوى ذكر اسمه في الخطبة.

واشتهر منهم: عضد الدولة الذي اعتبر من أقدر أمرائهم في الإدارة والسياسة، فقام بإصلاحات عدة، وأعاد الأمن والرخاء إلى العراق وفارس، فقد وصفه ابن الأثير: «أنّه كان عاقلا فاضلا حسن السياسة، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ثاقب الرأي، محباً للفضائل، سخياً في العطاء، ناظراً في عواقب الأُمور».

وبلغ حكمه مناطق شاسعة، شملت المناطق الممتدّة بين بحر قزوين والخليج العربي.

بنى عضد الدولة داراً بمدينة كازرون، وهي مركز نسج الكتان، بلغ دخلها كل يوم عشرة آلاف درهم. وكثرت في أيامهم الأسواق في إصبهان والأسواق التجارية، كما كان فيها سوق الصرافين شمل ٢٠٠ صراف.

أحصى في أوائل القرن الرابع الهجري عدد السفن التي تنقل الناس والتجارة في بغداد فبلغت ثلاثين ألف سفينة، وكسب ملاحوها في كل يوم تسعين ألف درهم كما انتشر نفوذهم في كل إيران سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م، ووجهوا الحياة الإسلامية في كلّ العالم الإسلامي بالرغم من أنّهم كانوا شيعة، كما أقاموا علاقات قوية مع الفاطميين، فمثلوا دوراً رئيساً في السياسة الإسلامية.

وهم لم يقيموا دولتهم على الإدارة المركزية، بل اقتسم أعضاء الأُسرة

المناطق فيما بينهم، فأقام كلّ أمير في عاصمة خاصة به، مما كان لــه أثره الإيجابي في ازدياد مراكز الحضارة في العالم الإسلامي.

وقد سيطروا على منصب الوزارة، وتدخلوا في تولية الخلفاء وعزلهم، وعيّنوا الوزراء غيرهم من العمال والولاة، واتّخذوا وزيرين بدلا من واحد، واتّخــذوا لقب أمير الأُمراء أو ملك الملوك، كما كتبوا أسماءهم على النقود، ودُعــي لهم على المنابر، وبنوا القصور الضخمة التي فاقت قصور الخلفاء اُبهّة وعظمة.

ولمــا كــان البويهــيون شيعة فقد رأوا أنّ العباسيين غصبوا الخلافة وأخذوهــا مــن مســتحقيها، ممّا جعل معز الدولة يفكر في نقل الخلافة إلى العلويين الذين كانوا أصحاب الحقّ الحقيقيين، اغتصبه منهم العباسيون.

ولــذا فــإنّهم اســتبدوا بالسلطة في بغداد، وقضوا على نفوذ الخلفاء، فشــاركوهم مظاهــر ســيادتهم السياسية والدينية، فأقاموا إمارة وراثية على المذهــب الشــيعي الذي تأثروا به، واعتنقوه في الديلم عندما نشره حسن بن علــيّ الــزيدي[1]، كما تأثّروا بالدعوة الفاطمية، وهو ما جعلهم يفكرون في القضــاء على الخلافة السنية وإقامة خلافة شيعية، وخاصة معز الدولة سنة ٣٣٤ــ٣٥٦هــــ/٩٤٥ــ٩٦٦م الذي قرّر نقل الخلافة إلى أحد العلويين، إلاّ أنّ خواصه حذّروه من ذلك: «إنّك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنــّه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه، ومتى أجلست بعض العلويين

---

(١) نشر الإسلام في الديلم وطبرستان في أوائل القرن الرابع الهجري وقضى على النظام الإقطاعــي الســائد، فحكم طبرستان مع اُسرته حتى سنة ٣٠٤هــ/٩١٦م حين قضى عليهم مرداويج بن زيار.

خليفة، فكان من معك يعتقد صحة خلافته، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه».

ولـــذا فقد فضل أن يستبد بالحكم لنفسه في ظل خليفة ضعيف على أن يتبع خليفة يعترف بإمامته. ولكنّهم مع ذلك اتّصلوا بالفاطميين، وسمحوا نشر دعوتهم وعقيدتهم الشيعية في العراق وغيرها، حتى إن عضد الدولة بن ركن الدولـــة سنة ٣٦٧ــ٣٧٢هــ/٩٧٧ــ٩٨٢م اعترف بإمامة الخليفة الفاطمي، وتعاون معه في صدّ خطر الروم البيزنطيين[١].

وقـــد ظل البويهيون يشجّعون المذهب الشيعي، فعُرفوا بالتعصب لـــه، فقـــرّبوا إلـــيهم أتـــباع المذهـــب، ممـــا كان يؤدّي أحياناً إلى قيام تمردات واضطرابات بين السنة والشيعة في بغداد[٢].

وفـــي أيـــام بهـــاء الدولة بن عضد الدولة برز (أبو الحارث أرسلان البساسيري)[٣] في بغداد، الذي حكم فيها باسم الفاطميين.

وكـــان أحد قواد بني بويه ومولىً لأبي عليّ الحسن بن أحمد الفارسي الـــنحوي، ثمّ أصبح من مماليك بهاء الدولة، وزاد نفوذه بعد أن عيّنه الخليفة العباســـي رئيســـاً للأتـــراك، فاستبدّ بالسلطة حتى أصبح الخليفة والسلطان البويهـــي ضـــعفاء أمامـــه. وقد انحاز إلى الفاطميين بعد أن ساءت علاقته بالخليفة العباسي الذي تمكّن مع الأتراك من طرده، فرحل إلى الحلة عند بني مـــزيد، وظلّ بها حتى سنة ٤٤٧هــ/١٠٥٥م في الوقت الذي عظم فيه نفوذ

---

(١) بذل المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي نشاطاً كبيراً في استمالتهم نحو الفاطميين.

(٢) شـــجّع وجـــود البويهيين في بغداد على هجرة الشيخ الكليني اليها فسكن الكرخ مقر الشيعة.

(٣) نسبة إلى بلدة بسا بفارس تقع على أربع مراحل من شيراز ويقطن بها جمع كبير من الديلم.

السلاجقة المعادين للبويهيين، فهرب بعضهم إلى البساسيري في الرحبة ــ على شاطئ الفرات بين بغداد والرقة ــ فأعلن الخروج على العباسيين مؤيداً من الفاطميين بالمال والسلاح والخيل، حملها إليه المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي الذي نجح في تكوين تجمع وتحالف من المرداسيين وأُمراء ديار بكر وميافارقين وصاحب الحلة (نور الدولة دبيس بن مزيد) فاجتمعوا في الرحبة عند البساسيري في سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م.

كما انحاز إليه إبراهيم بن ينّال أخو طغرلبك الذي قتله في سنة ٤٥١ هـ/١٠٥٩م فدب الخلاف والحروب بينهما، مما أعطى الفرصة للبساسيري لدخول بغداد حاملا رايات المستنصر الفاطمي دون مقاومة في سنة ٤٥٠ هـ/١٠٥٨م، فمال إليه أهل الكرخ الشيعة، وأقام خطبة الجمعة للخليفة الفاطمي، والأذان بحيّ على خير العمل على جميع منابر بغداد، وأخرج الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى (حديثة عانة) قرب الأنبار مع حاشيته، وجعله يكتب عهداً اعترف فيه أنّه لاحق لبني العباس في الخلافة مع وجود بني فاطمة الزهراء عليها السلام»[1].

وهكذا استمرّ البساسيري في السيطرة على الأجزاء الأُخرى في البصرة وواسط، إلاّ أنّ طغرلبك والسلاجقة هاجموه وأخرجوه من بغداد في سنة ٤٥١هـ فعادت الخلافة إلى العباسيين.

وفي سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م استولى أبو كاليجار البويهي على الحكم،

---

(١) تغنت إحدى المغنيات تحت قصر الخليفة الفاطمي بأبيات تمدحهم بها وتذم العباسيين، فأعجب المستنصر بغنائها، فأقطعها أرضاً لاتزال تعرف بالقاهرة باسم أرض الطبالة:

يا بني العباس صُدّوا ملك الأمر مَعَدّ

ملككم كان معاراً والعواري تُستَردُ

وأصلح الوضع مع طغرلبك، وتقرّب إلى الفاطميين ليخوّف بهم العباسيين المتحالفين مع السلاجقة، إلاّ أنّ النزاع الأُسري بينهم أعطى الفرصة للسلاجقة للتدخل في شؤونهم وإنهاء حكمهم في العراق وإيران، وضعف نفوذ السلاجقة أيضاً وزال نهائياً في سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م.

٣ ــ الدولة المزيدية:

في الحلة بالعراق: تقع الحلة غربي الفرات جنوبي بابل، وقامت فيها حضارات قديمة، أطلق العرب على أهلها النبط، وسمّوا أرضها السواد، كما ينسب إليها السريان.

تمكّنت أُسرة بنى مزيد من بنى أسد من الحكم فيها خلال القرن الرابع الهجري باسم آل بويه، استمرّ لمدّة قرن ونصف. وحكم منهم ثمانية أفراد، كان أولهم: أبا الحسن عليّ بن مزيد الذي تُوفّي سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م، فخلفه ابنه دبيس نور الدولة في عمر أربع عشرة سنة واستمرّ حكمه سبعاً وستين سنة[١]، وهو الذي ساعد البساسيري في بغداد، وتحالف معه لإعلان الولاء للفاطميين، وإنهاء الدولة العباسية في سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م.

واشتهر من حكامهم: سيف الدولة صدقة ٤٧٩ــ٥٠١هـ/١٠٨٦ــ١١٠٧م فكان من أعظم الرجال؛ إذ أثنى عليه الكثير من المؤرخين، فقد كان جواداً كريماً عادلا يودعون الأموال عنده، أحبه رعيته، فكان متواضعاً وعالماً، لم يصادر أحداً، فكانت داره حرماً للخائفين.

اتّخذ الحلّة عاصمة في سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م فسكنها الناس، وقصدها التجار حتى أصبحت من أكبر مدن العراق، وأحسنها معيشة، وبنى حولها

---

(١) توفى ٤٧٤هـ/١٠٨١م.

ســـوراً، وحفر خندقاً في سنة ٤٩٨هــ/١١٠٤م واختار لها موقعاً يجمع بين مدينة بابل التاريخية ومدينة قديمة سمّيت الجمعين أو الجامعين. ثمّ اتّسع في إمارته حتى البصرة وواسط والكوفة وهيت، كما خضعت لــه أقوى القبائل العربية في ذلك الوقت مثل: خفاجة وعقيل وعبادة، والجاوان الكردية.

اهتمّ الأمير سيف الدولة بالشؤون الإدارية والعمرانية والثقافية، واحترم العلمـــاء والادبـــاء، وأجزل لهم العطاء، فأسرع إليه الشعراء والأدباء. وجّه جيشاً قتل الكثير من قبيلة خفاجة التي أغارت على مشهد الإمام الحسين عليه السلام في سنة ٤٨٩هــ/١٠٩٦م سواءٌ في المشهد أو الضريح.

حـــالفهم الأكراد من قبيلة الجاواني الذين كانوا على المذهب الشافعي، فلما اندمجوا مع المزيدية اعتنقوا المذهب الإمامي مثلهم.

حســـده السلاجقة لما وصل إليه من نفوذ، فاتّهموه بالباطنية، وحاربوه، واســـتولوا علـــى أملاكه ومدنه، ثمّ قتلوه في معركة النعمانية، وأسّروا ولده دُبيس، وحملوا رأسه إلى السلطان السلجوقي سنة ٥٠١هــ/١١٠٧م، وتمكّن ابنه (بدران) من الفرار إلى الشام ثمّ إلى مصر حيث تُوفّي بها في سنة ٥٣٠ هــ/١١٣٥م[1].

تولـــى الحلـــة من بعده قائد جيشه: سعيد بن حميد العمري[2] بمعرفة الســـلاجقة. إلاّ أنّ (دبيس) عاد إلى الحلّة في سنة ٥١٢هــ/١١١٨م فحكمها ســـبع عشـــرة ســـنة، ورأى أنّـــه الأحق بالحكم من العباسيين الذين ضعفوا وتســـلط علـــيهم الســـلاجقة، فراســـل الملـــوك والأُمراء، وعقد الاتفاقيات

---

(١) خانه ابن عمّه بمساندة السلاجقة.

(٢) وهو من خفاجة.

والمعاهدات معهم ليقوي مركزه السياسي والعسكري، وتزوج ابنة سنجر السلجوقي، وهدّد الخليفة العباسي المسترشد، ولكن تمّ الصلح بينهما، إلاّ أنّ ذلك لم يرضِ السلاجقة الذين عملوا على إعادة الجفاء والخلاف والتوتر بين الطرفين، فاستخدم الخليفة العباسي وسائل الإعلام المزيفة ضده، فأشاع عنه أنّه يشرب الخمر، ويسفك الدماء، ويسب الصحابة، فأفتوا بقتله، فقتل في سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م في تبريز أو خوي.

قال فيه ابن خلكان: «إنّه ملك العرب، جواد كريم، له معرفة بالشعر والأدب». وقال فيه ابن الطقطقي: «كان صاحب الدار والجار والحمى والذمار. وأيامه أعياد، والحلة في زمنه محط الرحال وملجأ بني الآمال، ومأوى الطريد، ومعتصم الخائف الشريد». حتى إنّه أكرم أخا الخليفة العباسي المسترشد (أبا الحسن) عند ما التجأ إليه، فاعطاه داراً، ورفض تسليمه.

وجاء بعده ابنه عليّ بن دبيس في سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م الذي انقرضت الإمارة المزيدية في عهده، فتبعت الدولة العباسية مباشرة، إلاّ أنّ بني أسد أهل الحلة المزيدية كانوا يرفضون الخضوع لبني العباس ممّا تخوّفوا دائماً من إعادتهم الإمارة مرة أُخرى.

واستولى عليها بعد ذلك (يزدن بن قماج التركي) فحكمها باسم الخليفة العباسي، وكان متشيعاً، ثمّ تولاها الأمير (أبو المكارم مجير الدين طاشتكين) في سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م وكان شيعياً أيضاً، اتّصف بحسن السيرة والعبادة والكرم والشجاعة.

وممن أشرف على إدارة الحلة وقيادتها: الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي، وهو أسدي. درس بالحلة على عميد الرؤساء في سنة ٦٤٣هـ/

١٢٤٥م وعُيّن وزيراً في الدولة العباسية، فعيّنه هولاكو حاكماً على الحلة.

قال فيه ابن الطقطقي: رجل فاضل، كريم وقور، محب للرياسة، كثير التجمل، متمسك بالقوانين، خبير بأدوات السياسة، ويحب أهل الأدب، ويقرب أهل العلم.

كما عمل في سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م ابن أبي الحديد صاحب شرح نهج البلاغة، مشرفاً بالحلة.

وأصبح أبو المكارم عز الدين حمزة بن محاسن العكرشي ناظراً للحلة، وهو جد صفي الدين الحلي الشاعر المشهور. كما تولّى الأشراف في الحلة في سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م: تاج الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد بن رمضان المعروف بالطقطقي، والد صفي الدين، صاحب كتاب الآداب السلطانية، وينتهي نسبه إلى إبراهيم بن إسماعيل طباطبا ابن إبراهيم بن الحسن المثنى. قتل في سوق بغداد سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م.

كما توجّه الملك غازان المغولي في سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م إلى الحلة، وقصد مشهد الإمام عليّ عليه السلام. وكان أول من أسلم من المغول، وأصبح إمامياً، فأمر للعلويين هناك بمال كثير، ثمّ زار المشهد الحسيني عليه السلام، ووزع الأموال. وأنشأ بالحلة (دار السيادة) ليجعل وقفه للفقراء والمساكين من العلويين، وأنشأ مثلها في كلّ مدينة كبيرة.

أمّا ابنه محمّد خدا بنده ٧٠٣ــ٧١٦هـ/١٣٠٣ــ١٣١٦م فقد كان سنياً، فأصبح إمامياً عن طريق تعاليم العلاّمة الحلي (الحسن بن يوسف بن المطهر) فجعله المذهب الرسمي في جميع أنحاء مملكته، وضرب النقود باسم الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام كما كتب أسماءهم على أعلام الجيش، فكان هذا أوّل ظهور

رسمي للتشيع في إيران[(١)].

وقـــد صنع السلطان خدابنده مدرسة متنقلة للعلامة الحلي معمولة من الأدم ــ الجلـــود ــ تنقل معه في أسفاره، فإذا أقام في أي مكان أقيمت لـــه المدرسة بجميع مايلزم من غرف وأواوين ولوازم.

وفـــي القرن التاسع عشر الميلادي. ١٨٣٢م. أصبحت الحلة تحكم من قبل الولاة الوزراء، فساءت الأحوال وفسدت الأُمور، وفشت الفوضى، ودخل الفـــرس العـــراق لاحتلالها، فثار أهالي الحلة بزعامة مرزوق آغا من أحفاد دبيس بن مزيد الأسدي.

النهضة العلمية والثقافية في الحلة:

وقـــد ابتدات في عهد (سيف الدولة صدقة المزيدي) منذ القرن السابع الهجـــري فأصـــبحت الحلـــة دار هجرة طلاب العلوم والآداب والمعارف، فدرسوها على يد علمائها الأفاضل. واعتبرت مدرستها أكبر جامعة إسلامية، شـــجّع عليها الأُمراء المزيديون لحبهم للعلوم والأداب؛ إذ اقتنى سيف الدولة مكتـــبة ضخمة ضمت آلاف المجلدات. فقد اعتنوا بالعلم والعلماء وشجّعوهم، ومـــنحوهم المـــال؛ إذ اشـــتهروا بالكرم والسخاء. وكان لقربها من النجف الأشرف تأثير في تطور الجانب العلمي فيها، خصوصاً بعد ما غادر (الشيخ الطوســـي) مـــتوجهاً إلـــى الـــنجف مع تلاميذه، كما وفد إليها أبو الفوارس المعروف بحيص بيص، وهو: الأمير شهاب الدين سعد بن محمّد بن سعد بن

---

(١) قـــدم فـــي عهده إلى العراق عزالدين زيد الأصغر بن أبي نمي، ملك سواكن بعد أن أُخرج منها، فسكن الحلة، وتولّى النقابة الطاهرية. ونقل جثمانه بعد وفاته إلى النجف الأشرف.

الصيفي التميمي، الذي كان عالماً وشاعراً.

كما اشتهر رضي الدين عليّ المزيدي وهو: عليّ أبو الحسن بن جمال الدين أحمد بن يحيى، كان أديباً فقيهاً، من أكابر تلاميذ العلامة الحلي، روى عنه الشهيد الأوّل، وروى هو عن والده. تُوفّي سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م ودفن بالنجف.

كما برز يحيى بن البطريق من آل البطريق[١]، كان عالماً محدثاً فقيهاً، كتب في الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، وتُوفّي سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، كما أنّ أُسرة آل نما الربعي خدمت العلم والأدب، وقادت الزعامة الروحية في الطائفة الجعفرية، اشتهر منهم: أبو البقاء هبة الله بن نما، الذي روى عنه صاحب البحار المجلسي. ونجيب الدين بن نما كان رئيس الطائفة في زمانه، ومحققاً مدققاً. تحدث عنه الشهيد الثاني، ويوسف بن المطهر الحلي.

وبرز ــ أيضاً ــ المحقق الحلى (نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد) من أُسرة آل سعيد، وكان عالماً فقيهاً، وأفضل أهل زمانه قدراً بين العلماء. صاحب كتاب شرائع الإسلام، وهو عمدة كتب الشيعة في الفقه، تُرجم إلى الروسية والفرنسية، تُوفّي سنة ٦٧٦ أو ٧٢٦هـ/١٢٧٧ أو ١٣٢٦م[٢].

كما برز العلماء والفقهاء والمجتهدين الأعاظم من آل طاووس وآل المطهر.

---

(١) بيت رفيع وذو علم، وهم شيعة امامية.

(٢) ولد في سنة ٦٠٢ أو ٦٢٤هـ/١٢٠٥ أو ١٢٢٧م.

٤ ـ الدولة الجلايرية:

قامـت بعـد انقراض الدولة الإيلخانية، أسّسها الشيخ (حسن بن أبوقا الجلايري) أحد قواد الإيلخانيين، فحكمها بعد نهاية سلطة أمراء المغول لمدة تسعين عاماً في بغداد، ثمّ انتقلوا إلى الحلة، وهي من الدول الشيعية. واشتهر منهم: الشـريف أحمـد بـن الشريف، رميثية بن أبي نما، أمير مكة، لقب بالشـريف أحمـد بـن شهاب الدين وكني بأبي سليمان. حاربه الشيخ حسن الجلايـري وقتله، فأنهى حكمه بعد أكثر من ثمان سنوات. ونقل جثمانه إلى المشهد الغروي. وقد زار ابن بطوطة الحلة في عهده. تُوفّي الشيخ حسن في سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م فحكم ابنه أويس المشهود لـه بحسن السيرة حتى سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، فسيطر أحمد ابنه على البلاد من سنة ٧٨٤ـ٨١٤هـ/١٣٨٢ـ١٤١١م، وقد تعرّضت البلاد لهجوم تيمورلنك فهرب السلطان أحمد إلـى مشـهد الإمام عليّ عليه السلام، ثمّ إلى مصر خوفاً من جنوده، إلاّ أنـّه رجع ليواجه تيمورلنك فتمكّن من إعادة الحلة إلى نفوذه بعد حروب بين الطرفين.

وفي هذا الوقت ظهر قرايوسف مؤسس دولة الخروف الأسود: (قراقو نيلو) في سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م فحارب السلطان أحمد، وقتله، واستولى على العراق، فانتقلت الدولة الجلايرية إلى الحلة التي اصبحت عاصمة. وقد انتهت دولتهم في الحلة سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م.

٥ ـ الدولة الطاهرية:

كانت الدويلات المستقلة في إيران بداية لظهور القوميات فيها منذ سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م فظهر في كلّ قسم جغرافي منها حركة استقلالية منفصلة؛ إذ إنّ التعبير القومي فيها لم يكن شاملا.

ومـــن أشـــهر تلـــك الدويلات الدولة الطاهرية التي أسّسها (طاهر بن الحســـين) فـــي إقلـــيم خراسان ما بين سنة ٢٠٥ــ٢٥٩هــ/٨٢٠ــ٨٧٢م. فأصبحت نيسابور من مراكز البعث والإحياء الفارسي عن طريق إحياء اللغة الفارسية القديمة والأدب الفارسي.

واعتـــبرت دولة شيعية؛ إذ كانت إيران في تلك الفترة سنية حتى بداية القرن الثالث الهجري، فقد كانوا على مذهب الأحناف والشوافع، ما عدا (قم) التي كانت شيعية تماماً.

كانت الدويلات المستقلة في إيران بداية لظهور القوميات فيها منذ سنة ١٣٢هـــــ فـــظهر في كلّ قسم جغرافي منها حركة استقلالية منفصلة؛ إذ إنّ التعبير القومي فيها لم يكن شاملا.

كان طاهر بن الحسين[1] أحد قوّاد المأمون وموضع ثقته. اتّخذ نيسابور قاعدة، وحاول إنشاء حكم مستقل في خراسان، إلاّ أنّهم دفعوا الجزية للخلافة فـــي بغـــداد، وقد شجعوا العلم والتعليم، واعتنوا بالزراعة، وساعدوا الدولة العباسية في القضاء على الثورات المضادة لها.

وقـــد ذكر أنـــه خطب في يوم جمعة، فلما بلغ ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له وقال: اللّهمّ أصلح أمّة محمّد بما أصلحت به أولياءك، واكفنا مؤونة من بغى علينا وحشد فيها بلمّ الشعث وحقن الدماء وإصلاح ذات البين. تُوفّي ســـنة ٢٠٧هــ/٨٢٢م حيث وجد ميتاً في فراشه. وتولّى خراسان بعده ابنه طلحـــة لعـــدة سنين، ثمّ حكم بعده ابنه عبدالله الذي توجّه إلى مصر في سنة ٢١٠هــ ليحارب الثائر عبيدالله بن السرى الذي أراد الاستقلال بها، فاضطره

---

(١) ذكر أنـــه كان أعور، ولقّب ذااليمينين.

إلـــى الاستسلام، كما طلب منه أهل الاسكندرية الأمان. مات في سنة ٢٣٠ هـــ/٨٤٤م بنيسابور. وقد بلغ خراج دولته في زمنه ٤٨ مليون درهم.

حكـــم بعده ابنه طاهر، ثمّ محمّد بن عبدالله بن طاهر الذي توفّي عام ٢٥٣هـــ/٨٦٦م، فتولّى الإقليم سليمان بن عبدالله بن طاهر في سنة ٢٥٥هـــ/ ٨٦٨م الـــذي تظاهـــر بالهـــزيمة أمام الحسن بن زيد في حروب طبرستان، ليكسب الحسن المعركة، ويظفر بحكم الإقليم.

وعرف عن بني طاهر أنّهم كانوا موالين لأهل البيت عليهم السلام.

٦ ــ إمارة بني عمار ــ طرابلس لبنان:

وهم شيعة قدموا من المغرب إلى مصر مع الفاطميين. فتولّوا الإمارة والقضـــاء في طرابلس الشام من قبل الفاطميين، واستمرّوا في حكمها ثمانين عامـــاً منذ ٤٢٠ــ٥٠٢هـــ/١٠٢٩ــ١١٠٨م فاستولى عليها الصليبيون. وهم شـــيعة إمامية ذكرهم بذلك ناصر خسرو الرحالة في سنة ٤٢٨هـــ/١٠٣٧م. وقـــد أسّس الإمارة: أبو طالب أمين الدولة بن عمار الذي تشبّه بسيف الدولة الحمدانـــي في حلب، فاستمال طلاب العلم إلى عاصمته، وأنشأ مكتبة ضخمة ضـــمت مـــئة ألف مجلد، فبلغت طرابلس خلال حكمهم شهرة علمية وأدبية بالإضـــافة إلـــى ازدهارها الاقتصادي. واشتهر من علمائها في ذلك الوقت: (القاضـــي الشـــيخ عـــبدالعزيز بـــن البراج) تلميذ السيد المرتضى والشيخ الطوسي.

٧ ــ دول الجزيرة العربية والخليج العربي:

أ ــ في اليمن:

اشتهر في صنعاء أُمراء بني يعفر، كان منهم في سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م الأمير عبدالله بن قحطان بن أبي يعفر، ويوسف بن الأسد، وقد حكموا المنطقة منذ سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م واستولوا على تهامة وزبيد، وتبعوا الفاطميين الذين قد بعثوا من سلّمية في سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م الدعاة إلى اليمن لنشر الدعوة لآل محمد ﷺ. فتمكّن أكبر دعاتهم هناك: أبو القاسم رستم ابن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي، من إقرار الأمن والاستقرار في البلاد تحت نفوذ وسلطة الفاطميين.

كما أنّ (عامر بن عبدالله الزواحي) صرف ماله في نشر الإسماعيلية والدعوة للفاطميين، وعندما حكم بعده (علي بن محمد الصليحي) الفقيه الصالح، ذاعت شهرته، فأحيا الدعوة الإسماعيلية في اليمن في سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م واستولى على أجزاء اليمن كلها، وتخلص من مناوئيه من أتباع العباسيين. وعيّن (أسعد بن شهاب) أخا زوجته: أسماء بنت شهاب، على ولاية زبيد في سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م فأحسن السيرة فيهم، وأظهر التسامح مع أهل السنة.

ونظراً لأمانة الصليحي وعلاقته الطيبة بالفاطميين، فقد أيّدوه وساعدوه بكل الإمكانات، فمنحوه المكانة اللائقة به ولقبوه: عمدة الخلافة. إلاّ أنّه اغتيل في سنة ٤٥٩هـ فحكم بعده ابنه المكرم أحمد، ولكن زوجته: السيدة أروى الحرة بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي، أصبحت هي الحاكمة الفعلية في عهده، فكان لها نشاطها الكبير في نشر الدعوة باليمن وعمان والهند، كما أنّها تدخلت في النزاع بين الأُسرة الفاطمية، فأيّدت خلافة

المســتعلي ضد نزار. وتميزت بأخلاقها الرفيعة وإلمامها بالأخبار والتاريخ وأيام العرب والاشعار. لقّبها أهل اليمن: سيدتنا الحرة الملكة.

ب ــ في عدن:

ظهر فيها آل زريع منذ سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م وكان جدهم عباس بن المكــرم الهمدانـــي، قد عمل داعياً للفاطميين، وتولّى مع أخيه مسعود ولاية عــدن من قبل السيدة الحرة، ثمّ حكم ابنه زريع بعده فاستقل بالحكم في عدن بعد وفاة السيدة الحرة إيذاناً بسيطرة آل زريع على الحكم موالين للفاطميين. وزال حكمهم في سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م حين قدم إليها صلاح الدين الأيوبي، فاستولى على اليمن في سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م وأرسل أخاه تورانشاه للقضاء علـــى دولـــة بني مهدي بزبيد أيام إمارة عبدالنبي بن مهدي، ثمّ إلى صنعاء وعدن وتعز، فتمكّن أنْ يسيطر السيطرة التامة على اليمن كلها، فانتهى نفوذ الفاطميين فيها سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م.

ويـــرجع المقريـــزي الأسباب التي دفعت صلاح الدين لفتح اليمن إلى رغبـــته فـــي إقامة دولة يلجأ إليها إذا ما حاول نور الدين محمود زنكي أن ينزع منه مصر[(١)].

ج ــ في عمان:

كـــان (بـــنو شامة بن لؤي بن غالب) يحكمونها خلال خلافة المعتضد العباســـي، إلاّ أنّ القرامطة استولوا عليها في سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م وخطبوا فيها للمهدي الفاطمي، فدخلت عمان تحت نفوذ القرامطة، وتولّوا تعيين الولاة عليها.

كمـــا اســـتقل بها يوسف بن وجيه، وحاول الاستيلاء على البصرة في

---

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك.

سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م ولكنّه أخفق. فتآمر عليه مولاه نافع وحكم بدلا منه تابعاً للبويهيين. ولما حاول الاستقلال عنهم حاربه معزالدولة في سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م، فأدخل البلاد تحت نفوذه بإدارة وحكم أبي الفرج بن العباس نيابة عن البويهيين. كما حارب عضد الدولة الخوارج الذين ثاروا عليهم وأقلقوهم.

واشتهر من الأُسر الكبيرة في عمان بنو مكرم، وهم من الأعيان. ساعدوا البويهيين في إدارة البلاد، واستبدوا بالسلطة لمّا ضعف البويهيون، فتوارثوا الحكم. وبرز منهم مؤيد الدولة أبو القاسم عليّ بن ناصر الدولة الحسين بن مكرم. تولّى الحكم في سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م وتوارثته أُسرته، ولكنهم ضعفوا بعد سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م فسيطر البويهيون على عمان مرة أُخرى. إلاّ أنّ الخوارج نافسوهم على السلطة، فسيطروا عليها في سنة ٤٤٢ هـ/١٠٥٠م مما جعل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أن يطلب من المكرم أحمد حاكم اليمن السيطرة على عمان في سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م.

د ـ دولة القرامطة في الأحساء:

تذكر المراجع أنّه تأسّست حركتهم في سنة ٨٩٢م. في واسط وأنّ مؤسس دولتهم في الكوفة حسين الأهوازي دعا لإمام من أهل البيت عليهم السلام. وتمكّن أحدهم وهو (أبو سعيد بن بهرام الجنابي)[1] من تأسيس دولته في الأحساء ونشر الدعوة الإسماعيلية، فاستولى على هجر وعلى الأحساء في أوائل القرن ١٠م./٢٨٧هـ/٩٠٠م. وأصبح لها شأن كبير في جزيرة العرب. وقد جعل الإمام الحسين عليه السلام مثلا وقدوة له، فكأنّه كان مطالباً بحقّ الحسين عليه السلام ممّا زاد في عدد أتباعه من الفلاحين والصناع والبدو، فقوى أمره حتى إنّه هدّد بغداد والخليفة العباسي.

---

(١) جنابة: بلدة صغيرة على ساحل فارس، هي بندر گناوه الآن.

واشتهر من حكامهم أبو طاهر سليمان الذي شيد الأحساء في سنة ٩١٢م كعاصمة له، وقلعة ضخمة سمّاها المؤمنية أو دار الهجرة. وركّز سياسته على تأييد الفاطميين ومعاداة العباسيين، فاتّبع أُسلوب إشغال العباسيين عن توسع الفاطميين وتوطيد نفوذهم في المغرب، كما أصبحت غاراتهم حاجزاً للفاطميين ومساعداً لتوسيع نفوذهم وازدياد قوتهم في المغرب وتمهيداً لفتح مصر، كما كان لاتحادهم مع الفاطميين لنشر المذهب الإسماعيلي أثره في سطوع نجم العلويين في القرن الرابع الهجري.

وقد هاجم الكوفة والجزيرة والبصرة وبغداد التي خربها في سنة ٩٢٧م حتى اضطر الخليفة العباسي إلى دفع عشرين ألف دينار له للتخلّص من المأزق. كما استولى على عمان وأغار على مكّة في سنة ٩٣٠م ونهب الحُجّاج، وأقام الخطبة في مكّة للخليفة الفاطمي. وقد أظهر أبو طاهر بأفعاله تلك عجز العباسيين وضعفهم، والتقليل من شأنهم وهيبتهم أمام العالم الإسلامي، وعدم أهليتهم لقيادته، قاصداً إعادة النفوذ العلوي في الدولة الإسلامية. كما تمكّن من السيطرة على البريمي وجلفار ــ رأس الخيمة ــ وتعرضت الشام لحملاتهم المتكررة بالتعاون مع الحمدانيين، وحاربوا الإخشيد في سنة ٣٥٣و٣٥٧هـ/٩٦٤و٩٦٨ حتى دفعوا ثلاثمئة ألف دينار لأخيه أحمد بن أبي سعيد الذي حكم في سنة ٩٧٩م.

وفي عهد الأعصم أبي عليّ الحسن بن أحمد بن أبي سعيد سيطروا على جميع أطراف الخليج من جنوب العراق إلى عمان، وامتدّت حروبه إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، إلاّ أنّه تواطأ مع العباسيين ضد الفاطميين، فاحتلّ دمشق وهاجم مصر، وأقام الخطبة للعباسيين والدعوة لهم، كما اتّصل

بالبويهيين في العراق يطلب منهم المال والسلاح لاسترداد الشام ومصر من الفاطميين على أن يتولّى حكمهما باسم العباسيين. إلاّ أنّ جوهر الصقلي القائد الفاطمي تمكّن من الصمود أمامه ودحره، فتقهقر إلى الأحساء في سنة ٣٦١ هـ/٩٧١م وقد ضعف أمرهم في أواخر القرن ٤هـ ٣٨٩هـ/٩٩٩م. وتمكّن بنو عيون من إنهاء دولتهم في الأحساء.

وقد اشتهروا في تاريخ المنطقة، بأنّهم أفضل من نظم الجانب الإداري والاقتصادي، فقد تركّزت مبادئهم على:

ــ محاربة النظام الطبقي في الدولة الإسلامية، والغاء الملكية الفردية في الأراضي الزراعية.

ــ المساواة بين جميع الطوائف دون نظر إلى الأديان والجنسيات.

ــ إقامة نظام جمهوري دستوري.

وفي الجانب الاقتصادي أقيم مكان خاص للحرفيين ونُظّم العمل بينهم وبين علاقاتهم مع الدولة، وأشار (ناصر خسرو) إلى حسن معاملة الحكام للرعية، فأنشأوا مصارف تعاونية مملوكة للدولة تهدف إلى مساعدة المحتاجين، وهو أوّل مصرف تعاوني في التاريخ، وأوّل من أنشأ النقابات في العالم الإسلامي. واعتبر المقدسي مذهبهم من مذاهب الإسلام فقال: العمل بهجر على مذهب القرامطة. وساووا بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ومنحوا المرأة حرية العمل.

إنّ حركتهم ــ كما يعترف معظم المؤرخين ــ أوسع الحركات الثورية في المجتمع الإسلامي أثراً في الجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي باسم المباديء الإنسانية التي جاء بها الإسلام تحت راية الدعوة إلى العدالة الاجتماعية، فانتشرت في مختلف البلاد الإسلاميّة العربية، والأقوام

والاجناس والمذاهب، وبين البدو والحضر، فانتشرت من إيران شرقاً حتى المغرب العربي. ويرى (دي خويه) أنهم أسّسوا أوّل جمهورية عربية اشتراكية في الأحساء حين ألغوا الملكية الفردية في الزراعة، ووزّعوا الأراضي على الأُجراء والمعدمين، وأنشأوا أوّل مصرف (بنك) للإقراض الزراعي، وعدة نقابات زراعية ومهنية، وشجّعوا الصناع والزراع عن طريق مصرف التسليف.

ومن المؤرخين من يعتبرهم جزءاً من الحركة الشعبية الثورية التي ناهضت الحكم الأُموي والعباسي، وأنّ الجماهير نظروا إليهم على أنّهم الأهل في التخلّص من ظلم الإقطاع والارستقراطية العربية والفارسية ومن سيطرة الأتراك الظالمة، وهو ما دفع العرب والفرس والموالي والزطّ السود من إفريقية والبدو من القبائل الانضمام إليهم؛ إذ استقطبت حركتهم جميع الفئات المضطهدة بمختلف أجناسها ومذاهبها وأقوامها.

إلاّ أنّهم في التاريخ يتعرضون للإهانة والسباب واللعن من كل الطوائف، بالرغم من أنّ القرامطة كانوا على اتّصال دائم بالفاطميين، وأعلنوا الولاء لهم، فقد كان أبو طاهر على ولاء وصلة بالإمام عبيد الله المهدي يقرّ له بالزعامة الروحية والإمامة، ويقدّم له الخمس والزكاة حسب مبادئ الإسماعيلية، فالقرامطة والفاطميون طرفان أساسيان تابعان للمدرسة الإسماعيلية، اتّحدا في نشر المذهب.

وعند الخلافات الأُسرية بينهم، كان العباسيون والحمدانيون والاخشيد والبويهيون والقبائل العربية الأُخرى من بني عقيل وطي، يساندون الأعصم في حروبه ضد الفاطميين، ممّا يعني: أنّ مساندتهم له على أنّه شخص مسلم غير ما قيل عنهم بأنّهم كفرة وفساد.

كما أنّ وزراء وأمراء الدولة العباسية هم الذين شجّعوا أبا طاهر على الثورة ضد العباسيين، وخصوصاً المتشيعين منهم، فقد بعث أفراد من آل الفرات وبني القاسم الذين أظهروا التشيع، وراسلوه وشجّعوه على القيام ضد خلفاء بني العباس، وكذلك أيّد أفراد من الشيعة في الكوفة والسواد أبا طاهر، وأبدوا إعظامهم له حتى قالوا فيه: إنّه ولّي الله وحجّة الله، كما عمل الكثير منهم كجواسيس له يخبرونه بأخبار الخليفة ورجاله ومقاصدهم، وحالفه الكثير منهم في محاولة الاستيلاء على بغداد.

وممّا يوضح أهدافهم ومبادئهم السليمة كتاب أبي طاهر إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله تناول فيه الأوضاع الاجتماعية السيئة السائدة، داعياً له إلى تقوى الله والأخذ بشريعة النبيﷺ وسُنّته، واحتجّ على الفساد في المجتمع الإسلامي مثل: شرب الخمر، وانتشار اللهو، والطرب، واللواط، وارتكاب المحارم، وما وصل إليه الحال سياسياً حتى تولّى أمر المسلمين الصبيان والخدم، وصرفت الأموال على الحاشية ومنعها عن مستحقيها، واستخدام المساجد والجوامع مركزاً للأغراض السياسية والطائفية حتى أصبح رجال الدين أدوات طيّعة في أيدي الحكام والسلاطين.

كما يؤكد مكانتهم المعتدلة والصحيحة، تعاون أبي سعيد الجنابي مع الحمدانيين الشيعة في حروب الإخشيد، وكان سيف الدولة حليفاً أساسياً لهم، كما تحالف معهم البويهيون، فساعدوهم ضد السامانيين، وزوّدوهم بالمال والسلاح، وتدخلوا في النزاع بين أُسرة آل بويه، ووقفوا على الحياد في الحروب الحمدانية البويهية.

ومما يلاحظ في هذه الفترة أنّ الفرق المتناحرة في القرن الثالث

الهجري ـ وما أكثرها ـ لم تدع مجالا لتمييز المؤمن من الكافر، فكانت كلّ فرقة تكفّر الأُخرى، مستنبطة الأدلة من القرآن والسنّة، وكان الشيعة في تلك الظروف القاسية في فوضى واسعة النطاق تنتابهم النكبات، وتتقاذفهم الوشايات والدسائس والدعايات، فلا غرابة أن يظهر مضلّلون، وتظهر فرق متناحرة. وكان القرامطة قد ظهروا أثناء الغيبة الصغرى للإمام المهدي عجل الله فرجه وأصبحوا ضحية الكُتّاب الذين أعطوا أهتمامهم واعتناءهم للحكام والقواد والقصور والملوك والأُمراء، وأهملوا دور الشعب والفرد عند سرد التاريخ وكتابته. أمّا الكتب التي ألفها دعاة القرامطة الإسماعيلية فقد تضمّنت أسرار الدعوة وأساليب إبلاغها إلى الجمهور، والمعتقدات المذهبيّة التي ركّزت على الإيمان بالإمام والتسليم بمكانته المقدسة من خلال سرد سيرة آل البيت النبوي الكريم وبطريقة تبرز للناس المآسي التي حلّت بهم على أيدي الأُمويين والعباسيين، كما أنّها ركزت على أهمية فهم القرآن الكريم بتأويل آيات السور بما يؤيّد حقّ أبناء بيت الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في ولايته إمارة المؤمنين، ويظهر مساوئ الأطراف الإسلامية الأُخر التي اتّهمها الشيعة بالوثوب على حق الخلافة التي كانت من حقّ هذا البيت الكريم.

هـ ـ إمارة بني عصفور: ١٢٣٨ـ١٣٨٢م:

يرجع نسبهم إلى عقيل بن عامر بن صعصعة من العدنانيين، وأشهر بطونهم: بنو عبادة، وبنو المنتفق، وبنو عامر. وقد توافد ظهورهم في الأحساء مع القرامطة الذين آزروهم وتحالفوا معهم، كما اعتمد القرامطة على بني عامر عسكرياً، فكانوا جنوداً في جيشهم، كما أنّ كثيراً من بني سليم وعقيل تحالفوا مع أبي طاهر وعملوا كجنود له.

وتمكّــنوا من أن يسقطوا دولة بني عيون[١]، فاحتلّوا القطيف وأوال، وانــتزعوها مــن الزنجييــن[٢]، وحكموهــا حتى أنهى نفوذهم بنو جبر ــ العقيلــيون ــ واشــتهر منهم عصفور بن راشد العقيلي العامري الذي حكم البحرين واليمامة.

وقــد ازدهرت المنطقة خلال حكمهم؛ إذ هاجر إليها أقوام كثيرون من فارس هرباً من الوضع المتردّي بسبب هجوم المغول على جنوب إيران، ممّا ساعد في إنعاش البلاد تجارياً.

إنّ عصرهم تزامن مع اجتياح هولاكو لبغداد وانهيار الخلافة العبّاسيّة في سنة ١٢٥٨ وانتصار المماليك عليهم في معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠ م، ممــا أدّى إلــى أن يزيد نفوذهم في الخليج، فتوطدت علاقتهم مع اُمراء البحريــن؛ إذ ســار وفد بني عامر ليقابل السلطان (بيبرس) لتهنئته برئاسة محمّــد بن أحمد العقيلي. وقد اعتنق آل عصفور المذهب الجعفري. ويعيش منهم الآن في المنطقة كثيرون، ومنهم علماء دين أجلاّء في البحرين.

وقــد انــتقل جماعة منهم في القرن الثالث عشر الهجري الى الساحل الفارســي وفــي بوشــهر خاصـــة، واشتهر منهم الشيخ حسن آل عصفور بوشهري، وهو من علماء بوشهر كتب عنه العلاّمة السيد محسن العاملي في أعــيان الشــيعة ذاكــراً نسبه أنّــه ابن الشيخ حسين بن محمد بن أحمد بن ابراهــيم بــن أحمد بن عصفور بن أحمد بن عبدالحسين بن عطية بن شيبة البحراني، الذي عاش في اوائل القرن الثالث عشر الهجري.

---

(١) العيونــيون مــن بني عبدالقيس، ينتسبون الى واحة العيون بالأحساء، سيطروا على القطيف والبحرين والأحساء منذ ٤٦٦هــ/١٠٧٤م، وانتهت دولتهم في سنة ١٢٣٢م.

(٢) وهم قوة فارسية.

وفى كتاب أنوار البدريين في علماء البحرين، جاء أن والد الشيخ حسن كـان لـه ستة أولاد علماء وأفاضل، اشتهر من بينهم الشيخ حسن، الذي هاجـر الـى بوشهر بعد وفاة والده في ١٢١٦هـ حيث تقلّد مناصب دينية عالية، وأمّ الناس في صلاة الجمعة والجماعة، وفي حل القضايا والمشكلات. تُوفّي في بوشهر سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٦٥م ودفن في منزله حيث تعوّد الناس أن يزوروا قبره تبركاً، وخاصة الأخباريين في بوشهر.

وقـد اشـتهر عنه أنـّه أشترك مع أهالي بوشهر في الدفاع عنها ضد الإنجليز، وذلك في عام ١٨٣٧م[(١)].

٨ ـ دولة بني كنز الدولة في مصر:

وهـم خليط من ربيعة والحدراب من قبيلة ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وتعد هجرتهم من هجرات عرب الخليج إلى السودان وقد تمكّنوا من تأسـيس إمـارة عربـية بصعيد مصر، امتدّت من قوص إلى أسوان وحتى النوبة، إذ حارب أبناء كنز الدولة النوبة وملكوها وتولّى رئاستها (أبو المكارم بن هبة الله) مؤيّداً من الفاطميين الذين منحوا زعيمهم لقب كنز الدولة، الذي تمكّن من القضاء على حركة (أبي ركوة) الأُموي في مصر أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي.

وقـد أصبح بنو كنز حماة للحدود الجنوبية لمصر من هجمات النوبة، فحـاربوا ملوكها. كما أنّهم أضعفوا من قوة البجة، ومنعوهم من غزو صعيد

---

(١) السيد محمد حسن نبوي (نقش روحانيون در قيام ضد استعمارى مردم جنوب ايران) ـ رئـيس علـى دلـواري ـ مجموعة مقالات ـ چاپخانه علوي ـ بوشهر ١٣٧٣ هـ.ش، ص ٢١٠.

مصر، وتفرّغوا لنشر الإسلام وتعاليمه والأمان في تلك المناطق وفي مملكة البجة خاصة ثمّ اندمجوا معهم عن طريق المصاهرة والتزواج، وسمحوا للعرب باستثمار المعادن تحت حمايتهم.

وعرفوا بتشيعهم وموالاتهم للدولة الفاطمية. قدموا من اليمامة إلى أسوان في سنة ٢٤٠ هـ/٨٥٤م في زمن المتوكل العباسي، وعاشوا في ثراء وقوة في القرن السادس الهجري فنافسوا الدولة الأيوبية، وحاولوا استرجاع الدولة الفاطمية وإعادتها حينما أعدّ كنز الدولة في سنة ٥٧٠هـ جيشاً سار به إلى القاهرة؛ لإعادة الخلافة الفاطمية، وتمكّن من قتل عدّة أُمراء أيوبيين، إلاّ أنّ العادل أبابكر بن أيوب أخا صلاح الدين تمكّن من قتله، فكان آخر ملوكهم في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م وبذا انتهى حكمهم هناك.

وهناك مسجد في أسوان يعرف باسم ٧٧ ولياً، بناه كنز الدولة في العصر الفاطمي بالقرب من قباب، وأضرحة موتاهم من الشخصيات الورعة التقية.

٩ ـ دولة لكنهو في الهند:

انتشر التّشيع في جزء من الهند في عهد الإمام الصادق عليه السلام عندما تشيع أحد ملوكها على يد الإمام الصادق عليه السلام وأرسل إليه الهدايا، إلاّ أنّ التشيع اتّسع نشره أيام الفاطميين الذين بعثوا الدعاة إلى هناك، مما أثر في إسلام أحد كبار عبدة الأصنام وهو المهنت، ثمّ انتشر نطاق التشيع خلال العصور الوسطى، فأصبح المذهب الرسمي أيام الشاه إسماعيل الصفوي في بلاد السند والهند في أوائل القرن السادس عشر الميلادي. إذ أنّ الصنوبيين ساعدوا في قيام الدول بالهند ونشر التّشيع بينهم فزاد نفوذ التشيع هناك منذ

سنة ١٥٢٢م كما أصبح حكامهم وسلاطينهم من الشيعة. وقامت في الهند عدّة دول شيعية، جعلوا من لكنهو مركزاً لدولتهم أودة. وقد اهتم ملوكها بأهل البيت عليهم السلام وبإقامة العزاء الحسيني، وإقامة المآتم، والترويج للمذهب، وتأسيس المدارس الضخمة والحوزات العلمية، وإكرام العلماء ونشر تراث الشيعة.

واشتهر من ملوكهم آصف الدولة الذي أسّس حسينية كبيرة في لكنهو، وأوقف لها الأراضي الزراعية والعمارات. وقد أصبحت لكنهو من الآثار الإسلامية الهامة في الهند؛ إذ تعتبر أكبر مدينة شيعية فيها، بلغ عدد سكانها أكثر من مئة مليون. واستمرت كدولة شيعية لعدّة قرون. واهتمّ ملوكها ببناء المزارات الشبيهة بالعتبات المقدسة في النجف وكربلاء، والمدارس العلمية الكبيرة التي ضمت أكبر حوزة في الهند، تخرج منها العلماء والمجتهدون الذين كتبوا وألفوا في المذهب، وساهموا في نشر وتوسيع التشيع في أنحاء الهند.

واشتهر من هؤلاء:

السيد دلدار عليّ[(١)] وابنه حسين، وابنه سلطان العلماء السيد محمّد بن السيد دلدار عليّ، وعدّة من تلاميذهم. كما أسّس طائفة من العلماء والمجتهدين في لكنهو مدارس وحوزات علمية، وقاموا بنشاط بارز في تأسيس المؤسسات والجامعات الدينية والعلمية لترعى شؤون الأجيال. كما أنّ أحد المجتهدين الهنود كان من طلبة وحيد البهبهاني في كربلاء نقل التيار الأُصولي إلى هناك في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

وفي سنة ١٧٢٢م وافق الامبراطور الهندي محمد شاه على تعيين

---

(١) توفّي ١٢٣٥هـ/١٨١٩م.

(مــير محمّد أمين الموسوي) من سلالة الإمام الكاظمعليه السلام حاكماً على أودة (عوضة) عاصمة لكنهو، ونجح أولاده في تأسيس دولتهم متخذين لقب نواب.

وكــان ملوكهم يبعثون المساعدات الكبيرة إلى النجف وكربلاء. كذلك حكــام الدكن وكشمير اعتنوا بتعمير المقدسات في المدينتين المقدسيتين. وقد أعلن (يوسف عادل شاه) في بيجابور تمسكه بالمذهب الجعفري أمام الناس، وطلــب من رجال الدين وأشراف البلاد أن ينشروا العقيدة الجعفرية؛ إذ كان قــد نذر أن يؤدّي ذلك بعد أن رأى النبي الكريمصلى الله عليه وآله وسلم في المنام يأمره بذلك. فكــان أوّل عــاهل هــندي يجرأ على إجراء المراسيم الدينية بهذه الصورة، عــلاوة علــى التصــريح بالأذان بــ(عليّ ولّي الله)، وأن تقرأ الخطبة في المساجد باسم الائمّة الاثني عشرعليهم السلام.

جداول توضيحية للدول الشيعية:

أ ــ الدول والممالك التي أنشأها أبناء أهل البيت عليهم السلام

الدولة	المؤسّس	الموقع	الفترة الزمنية
الأدارسة	إدريس بن عبدالله	المغرب	١٧٢-٣٧٥هــ/٧٨٨م/-٩٨٥م
الفاطمية	عبيدالله المهدي	المغرب ــ مصر	٢٩٦هــ٩٠٨/٣٥٨هــ٩٦٩م/٥٦٧هــ١١٧١م
الأشراف	بنو الحسن وبنو الحسين	مكة والمدينة	منذ القرن ١٠ م/اوائل القرن ٢٠م
بني الأُخيضر	محمد الأُخيضر	اليمامة	٢٥٣-٣١٧هــ/٨٦٧م/-٩٢٩م
بني الرس	محمد بن ابراهيم الزيادي	اليمن	٢٨٠-٧٠٠هــ/٨٩٣م/١٣٠٠م
الزيدية	يحيى بن عبدالله	إيران-طبرستان	١٧٥-٣٥٥هــ/٧٩١م/-٩٦٥م
الصفوية	الشاه إسماعيل الصفوي	إيران	١٥٠٠/١٧٣٦م

ب ــ دول وممالك شيعية:

الدولة	الموسّس	الموقع	الفترة الزمنية
الطاهرية	طاهر بن الحسين	خراسان ــ ايران	٢٠٥-٢٥٩هـ/٨٢٠ـ٨٧٣م
البويهية	عضد الدولة	إيران والعراق	٣٢٠-٤٤٧هـ/٩٣٢-١٠٥٥م
المزيدية	أبوالحسن علي بن مزيد	العراق	٣٨٠-٥٧٠هـ/٩٩٠-١١٧٤م
الجلائرية	الشيخ حسن بن أبوقا الجلائري	بغداد والحلة	٧٠٠-٨٣٥هـ/١٣٠٠-١٤٣١م
المشعشعية	السيد محمد بن فلاح المشعشع	الأهواز والحلة	٨٠٠-١١٥٠هـ/١٣٩٧-١٧٣٧م
الحمدانية	عبدالله بن حمدان سيف الدولة الحمداني	الموصل، حلب	٢٩٢-٣٣٣-٤١١هـ/٩٠٤-٩٤٤-١٠٢٠م
بني عمار	أبوطالب أمين الدولة بن عمار	طرابلس ــ لبنان	٤٢٠ - ٥٠٢هـ/١٠٢٩-١١٠٨م
بني يعفر الصليحيون	حكموا باسم الفاطميين	اليمن	٣٠٣هـ/٩١٥م
آل زريع	حكموا باسم الفاطميين	عدن	٥٣٠-٥٦٠هـ/١١٣٥-١١٦٤م
بني مكرم	بنوشامة بن لؤي بن غالب	عمان	بنو مكرم منذ ٤١٨-٤٦٩هـ/ ١٠٣٧-١٠٧٦
القرامطة	أبو الحسن الجنابي	الأحساء والبحرين	٢٨٧-٣٨٩هـ/٩٠٠-٩٩٩م
بني عصفور	عصفور بن راشد العقيلي العامري	الأحساء والبحرين	١٢٣٨-١٣٨٢م
بني كنز الدولة	أبو المكارم بن هبة الله	صعيد مصر	٢٤٠-٥٧٠هـ/٨٥٤-١١٧٤م
لكنهو	آصف الدولة	الهند	منذ ١٥٢٢م

ويمكن الاستنتاج من ذلك:

١ ــ إنّ الــدول التي أنشأها أفراد من أهل البيت عليهم السلام بدأت مبكرة في تــاريخ الأُمــة الإســلامية، فقــد نجحوا في إقامتها بعد صراع مع الجهات الحكومية لمنعهم من الظفر بأي نوع من الحكم والقيادة في العالم الإسلامي.

٢ ــ وأنّ أيّاماً منها لم تؤسّس خلال الحكم الأُموي، بل نشأت في بداية العصر العباسي منذ الفترة الأُولى منه، أي: في عصر القوة والحكام الأقوياء. فإذا كانت الدولة العباسية قد تأسّست في سنة ١٣٢هــ/٧٤٩م، فإن أكبر دولة مــن دول أهل البيت نشأت بعد أربعين عاماً فقط في شمال إفريقية في سنة ١٧٢هــ/٧٨٨م.

٣ ــ وأنّ معظــم تلــك الــدول قد انتشرت في جميع أراضي الدولة الإســلامية، فلم يقتصر وجودها على جزء محدد ومعين منها؛ إذ قامت تلك الــدول شــرقاً فــي إيران، وغرباً في مصر وشمال إفريقية، وفي الحجاز والجزيرة العربية واليمن.

٤ ــ وأنّ بعضــاً مــنها وإن استمر بقاؤها فترة قصيرة، فإنّ معظمها عــاش لفــترة طويلــة اســتمرت لفــترة قرنين أو أكثر، كما أنّ قسماً منها كالأشــراف فــي الحجــاز حكموا منذ أوائل القرن الرابع الهجري ــ القرن العاشر الميلادي . وحتى أوائل القرن الذي نعيش فيه(العشرين).

٥ ــ كان لتلك الدول والممالك تأثيرٌ إيجابيٌ وبارزٌ في نشاطات العالم الإســلامي والعــالم ككــل، فهــي قدّمت نوعاً مميزاً من الحضارة والمدنية والــتراث مازال أثرها باقياً إلى اليوم. فالمدن التي أنشأوها وأوجدوها مازال لهــا العطــاء الممــيز والبقاء والاستمرار الحياتي: كالقاهرة وفاس، كما أنّ

المؤسسات العلمية والثقافية الزاهرة التي أوجدوها مثل جامعة الأزهر وجامعة فاس، لها الأثر والصدى والعطاء، مما تبرزه من حضارة، وتقدّمه من ثقافة وعلم لأهلها ولأفراد الشعوب الأُخر. فالمراكز العلمية والمدن التي تأسّست في أنحاء العالم الإسلامي، لم تكن بالقوة والأثر الذي كانت تلك المدن والمعاهد والمراكز العلمية التي أسّسها أبناء أهل البيت في مصر والمغرب والحجاز؛ لأنّ كثيراً منها قد زال واندثر، ولم يبقَ له وجود الآن، أو أنّ أثرها قلّ عن ذي قبل، أو أصبحت قرىً صغيرة تذكر في كتب التاريخ فقط.

كما كان لتلك الدول دورها التاريخي القوي في الصراع بين القوى الأجنبية الساعية إلى السيطرة على المنطقة ومقدساتها، فاعطت كلّ اهتمامها، ووضعت كلّ إمكاناتها في سبيل الحفاظ على الأرض والدين والعقائد من الانحراف أو الضعف والاندثار، كالدولة الفاطمية التي واجهت الأطماع الغربية خلال الحروب الصليبية، وأدّت دورها كاملا دون أي إهمال أو ضعف.

وكذلك الدولة الصفوية التي برزت في أوائل القرن السادس عشر الميلادي. وكان لها دورها التاريخي في المواجهة مع القوى الغربية في منطقة الشرق والخليج؛ لإبعاد خطرها وأطماعها عنها والمحافظة على كيانها.

٦ ـ وأنّ معظم تلك المدن والمراكز قام أبناء الإمام الحسن عليه السلام بتأسيسها، وهم الذين يتصلون بنسبهم إليه، كما أنّ بعضاً ممن يتصل بنسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام يتولّى زمام الحكم في دول عربية في اليوم الذي نعيش فيه كالمغرب التي يحكمها الملك الحسن، والأُردن التي يحكمها الملك حسين، فالأول يرجع بنسبه إلى الأدارسة، والثاني إلى أشراف الحجاز.

٧ ــ كما أنّ منها ما تأسّس في القرن العشرين كدولة الأدارسة في عسير، التي كان لها دور سياسي بارز خلال الحرب العالمية الأُولى حين تحالفت مع القوى الأجنبية كالانجليز والإيطاليين للمحافظة على كيانها واستقلالها.

٨ ــ وأنّهم تمكّنوا من تأسيس دولة في الأندلس مركز الحكم الأُموي، بل استطاعوا أن ينهوا الدولة الأُموية فيها، فأهل البيت عليهم السلام هم الذين قضوا عليها وتخلّصوا منها، وأنشأوا فيها دولة خاصة بهم.

أمّا الدول الشيعية التي أنشأها أفراد موالون لأهل البيت عليهم السلام، فقد انتشرت في جميع بقاع العالم الإسلامي منذ بداية القرن الثاني الهجري أي: في العصر العباسي الأوّل، واستمرّت إلى العصر الذي نعيش فيه. وإنّ معظمها قام بالعراق وإيران والجزيرة العربية، برزت منها دول قوية كان لها الأثر المباشر والمميز في حياة العالم الإسلامي والمناطق الأُخر في العالم، كالدولة الحمدانية التي تميّزت بموقفها الدفاعي عن أراضي الدولة الإسلامية الشمالية ضد غزوات واعتداءات الروم. كما كان لتلك الدول دورها التاريخي في الصراع المستمر بين القوى الأجنبية الساعية إلى السيطرة على المنطقة، فأعطت كلّ اهتمامها وإمكاناتها في سبيل الحفاظ على الأرض والدين والعقائد من الانحراف أو الضعف.

كما أنّه يعرف عن تلك الدول أنّ مؤسّسيها وحكامها كانوا بناة حضارة ومدنية، ومحبين للثقافة المميزة داعين لانتشارها في الاجزاء التي يحكمونها، فهم كثيراً ما نشطوا في تأسيس المدن الجديدة والاهتمام بها والاعتناء بتطورها وازدهارها وتوسعها، حتى يمكن أن تستوعب أعداداً أكبر من السكان. وشجّعوا ــ أيضاً ــ إنشاء المعاهد الثقافية والمؤسسات العلمية

التـــي أصـــبح لها دور مؤثر في حياة الأفراد وتراثهم، واستمر ذلك لفترات طويلة يمكن أن يلمس ذلك الآن.

ويمكـــن القـــول ــ أيضاً ــ: إن تلك الدول لم تكن عدائية، فلم تظهر ســلوكاً عدوانــياً تجاه غيرها من الدول أو الأفراد، فلم تحاول الاعتداء على غـــيرها مـــن الشـــعوب، بل على العكس من ذلك، فإنّها كانت دولا مسالمة أعطـــت كلّ اهتمامها وجلّ اعتنائها لنشر العلم والثقافة واللغة العربية والدين فـــي المناطق المجاورة؛ ذلك أنّها كانت دولا حضارية اهتمت ببناء الحضارة والمدنية الإسلامية، فهي لم تكن تستخدم القوة والعنف إلاّ في حالة الدفاع عن كيانها.

أمـــا الـــثورات فـــي العراق التي قام بها أفراد من أهل البيت عليهم السلام أو الموالون لهم، فانها لم تنجح في تحقيق أهدافها، وانما نجح هؤلاء الأفراد أو الموالون في تكوين وتأسيس دول صغرى وكبرى فيها.

ومـــن تلـــك الدول ماقامت وتأسّست خلال وجود وحياة الأئمّة الاثني عشـــر عليهم السلام، فمـــن الدول التي أنشأها أفراد البيت النبوي الكريم أثناء وجود الأئمة عليهم السلام:

ــ دولـــة الأدارســـة في المغرب، ودولة الزيدية في إيران خلال أيام الإمـــام الكـــاظم والرضا عليهما السلام، ودول الأُخيضر في اليمامة أيام الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام.

أما الدول الأُخر التي أسّسها أفراد موالون فكانت: الدولة الطاهرية في خراسان خلال حياة الإمام الرضا عليه السلام وحتى الإمام العسكري عليه السلام.

أمّـــا الـــدول التي ظهرت خلال فترة الغيبة الصغرى وفي أثناء وجود نواب الإمام الأربعة ما بين سنة ٢٦٠ــ٣٢٩هــ/٨٧٣ــ٩٤٠م فكانت:

ــ الأشراف في الحجاز في مكّة والمدينة.

ــ الدولة الفاطمية في المغرب.

ــ دولة بني الرس في اليمن.

ــ الدولة الحمدانية في الموصل.

ــ البويهيّة في العراق وإيران.

ــ دولة بني يعفر في اليمن.

ــ القرامطة في الأحساء والبحرين وعمان.

أمّا البقية الأُخرى من الدول فقد برزت خلال فترة الغيبة الكبرى للإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف بعد سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م.

الباب الخامس

المحور الأثري

الآثـار السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية للمراكز والعتبات المقدسة.

الفصل الأول: المراقد والمراكز الدينية في العراق.

الفصل الثاني: المراقد والعتبات المقدسة في إيران.

الفصل الثالث: المراقد المقدسة في مصر والشام.

الفصـل الـرابع: الأثر السياسى والاجتماعي والعلمي للمراكز والعتبات المقدسة في المجتمع الاسلامي.

الفصـل الخـامس: القبائل والعشائر التي تنتسب الى أهل البيت عليهم السلام.

بعــد أن عرضـــنا فـــي الفصـــول السابقة لأهم آثار الأئمّة السياسية والاجتماعـــية والعلمية، وما قاموا به من مجهودات ضخمة في سبيل تثبيت دعـــائم الإسلام والمحافظة على مبادئه وكيانه، وما قدموه للحفاظ على تراث المسلمين وكيانهم، بالصمود أمام التيارات الفكرية المنحرفة والفرق الهدامة، ومـــا جهـــدوا به من نشاط في سبيل إنشاء ممالك ودول في أطراف الدولة الإســـلامية وأرجائهـــا، تكون قاعدة صحيحة لتأسيس الدولة الإسلامية، فإننا سنتابع آثارهم وتأثيرهم بعد وفاتهم، إذ إن ذلك التأثير والتأثر لم يقتصر على الفترة التي عاشوها بين الافراد في المجتمع الإسلامي فحسب، بل امتد إلى ما بعـــد وفـــاتهم عن طريق مدافنهم الشريفة، وذلك لما سنلاحظ من نور وعلم ومعـــرفة وتغيير في الأحوال الاجتماعية التي برزت من خلال تلك المقابر والمدافـــن، حيـــن قـــدم الناس واجتمعوا حولها، الأمر الذي أدى إلى إنشاء الحضـــارات والمدنيات وازدهارها في ظل تلك القبور والمدافن الكريمة. فقد أصـــبحت مدافنهم منذ وجودها مراكز ومواقع للسكن، والحياة تطورت عبر الســـنوات لتصبح مدناً صغرى وكبرى، ساهمت في بناء المجتمع الإسلامي وتطـــوره، مما كان دورها المؤثر في أحداث العالم العربي والاسلامي، كما أضـــحت مراكز إشعاع ونور وانطلاق لانبعاث الثقافة والمدنية حافظت على الـــتراث والدين. لقد سارع الافراد بالتوجه إليها من كلّ صوب لزيارتها ثمّ الســـكنى حولها؛ إذ كانت تلك الأماكن خالية من السكان، أو نائية عن المدن، أو لم تكن موجودة في الاصل، أو معروفة لدى الأفراد، أو مأهولة بالسكان، ولم تكن صالحة للسكنى والإقامة، إلاّ أنـــّها تغيرت تماماً بعد دفن الأئمةعليهم السلام فـــيها، فأصبحت قرىً ومدناً ومراكز حضارية متطورة، وقواعد وأُسساً ثابتة

كوســـيلة من وسائل إنشاء المدن وتطورها، كان لها التأثير الفعال في تغيير هيكل المناطق والأماكن التي وجدت بها تمكنت من منافسة أكبر المدن التي أُنشئت قبلها بآلاف السنين.

يذكر في علم الجغرافيا البشرية أنّ من أهم دوافع إنشاء المدن وعوامل وجودهـــا، ظروف الأفراد؛ إذ إنـــه يمكن أن تنشأ حول البحار أو الأنهار أو الســـهول أو المناطق الحيوية ذات الاهمية الخاصة لحياة الأفراد، ومن أهمها القـــبور والمشـــاهد الكريمة، فالمدينة تنشأ حينما يصادف الإنسان في طريقه عقـــبة تضطره للوقوف، يفكر في اجتيازها باتخاذ طريق جديد، الأمر الذي جعـــل المـــدن تنشـــأ عند منافذ الجبال، وعند مجاري الأنهار، وعلى حدود الصـــحراء، وعـــند حافات الهضاب، وعلى سواحل البحار، كما أنّ الطرق نفســـها أصبحت سبباً في إنشائها على جانبيها، فالأفراد عادة ينشؤون المدن كمراكز استيطان نظراً لتوافر موارد العيش التي تتركز على سهولة الزراعة وإنتاج الثروة. ويكون للمدينة نواة واضحة قد تكون جامعاً أو برجاً أو مدفناً لقديس وعالم، فقد نمت القاهرة حول الأزهر، ولندن حول البرج، وفينا حول القديســـة اتيين Souint Etiomne وتتطور لتجتمع حول النواة الاحياء مثل حـــي الفاتـــيكان، أو ديـــر قـــوى النفوذ مثل سان جرمان في باريس، ودير وستمنســـتر فـــي لندن، وحي الأزهر في القاهرة، ثم تنشأ الطرق والشوارع لتوصيل الاحياء إلى قلب المدينة فتكبر الاحياء وتتسع في كل الاتجاهات.

إلا أنّ الـــتطور الكبير يحدث حين تتسارع الهجرات إلى المدن، وهي مـــن الظواهـــر الاجتماعية الهامة؛إذ تتم زيادة عدد السكان فيها على حساب الهجـــرة من المناطق الأصلية، إلاّ أنـــه من المؤكد إذا لم تكن لها مادة قوية لاســـتمرار عمرانها وثباتها، فإنّها تنقرض ويتناقص عمرانها شيئاً فشيئاً إلى

أن يهجرها سكانها فتخرب. وهكذا فإنّ الدافع الديني يعد النواة الأُولى لإنشاء المدن، ومن أهم عناصر تأسيسها وتطورها واستمرارية حضارتها ووجودها إلى قرون عديدة، فقد اعتبرت المراقد المقدسة والجوامع الدينية من أشهر النواة، وهو ما يعنينا في بحثنا الذي نتناول فيه تلك القبور والمراقد كعامل مهم في تأسيس المدن المختلفة التي ظهرت في أجزاء من الدولة الإسلامية، وتطور الحضارة من حولها.

فالمساجد والجوامع هي مراكز اتصال بين أفراد الجماعة الإسلامية الكبرى يلتقي فيها الغرباء ويجتمعون، فلا يشعر الإنسان الغريب بأنّه غريب في بلد إسلامي، مثلما كانت أحياناً نواة تنشأ حولها تجمعات إسلامية جديدة من تجار أو مهاجرين، فتتطور الجماعة إلى نطاق أوسع فتكون مدناً زاهرة، ولذلك اعتبرت المساجد الجامعة مصدراً من مصادر التاريخ، فهي تقدّم لنا في تاريخها صفحات طويلة من التاريخ السياسي والاجتماعي للجماعات التي أنشأتها.

ومن الأحاديث المعتبرة ما تؤكد أنّ الله تعالى جعل قبور الأئمّة عليهم السلام معاقل الخائفين، وملاجئ المضطهدين، وأماناً لاهل الأرض، مازارها مغموم إلاّ وفرج الله عنه، وما تمسّح بها سقيم إلاّ وشفي، وما التجأ إليها أحد إلاّ أمن.

ولما كان من الصعب حصر تلك المشاهد الكريمة، فإنّنا سنتناول أهمها وأشهرها التي كانت عاملاً في ظهور المدن الكبرى حولها. ويرقد معظم الأئمة وأحفادهم في بلاد العراق وإيران ومصر والشام وبلاد المغرب.

الفصل الأول

المراكز والعتبات المقدسة في العراق

وتوجد بها مراقد الإمام علي عليه السلام وابنه الشهيد الإمام الحسين عليه السلام والإمامين الجوادين عليهما السلام في الكاظمين، والإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء.

أولاً: النجف الأشرف:

قيل: إنّ النبي إبراهيم عليه السلام زارها في طريقه هارباً من بابل إلى الشام، وعندما سأل عنها قيل له: إنّها نجف فعرض على الأهالي شراءها، إلاّ أنّهم قدّموها هبة له فنزلت بها البركة، مما جعلهم يسرعون للإقامة بها، قال عنها النبي إبراهيم عليه السلام: «إنّه يحشر من ولده من ذلك الموضع سبعون ألف شهيد».

وقد اتخذها المناذرة ملوك الحيرة مصيفاً لهم، وجاء في الأخبار أنّ الإمام علياً عليه السلام اشترى مابين الخورنق إلى الحيرة حتّى الكوفة بأربعين ألف درهم؛ لما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنّه يحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب. فاشتهيت أن يحشروا في ملكي».

وقد تطورت المنطقة بعد أن دفن فيها الإمام عليّ عليه السلام فسكنها الناس وأفراد من الشيعة على الخصوص، منذ أن برزت القبة على مرقده الشريف في ١٧٠هـ إذ إنّه لم يعرف مكان المرقد لفترة طويلة منذ ٤٠هـ حتى استكشف في عهد الرشيد، فتوسع العمران حوله، وبنيت الجوامع والمساجد،

وانتقلت إليها الحركة العلمية. فالنجف تأسست كمدينة منذ أواخر القرن الثاني الهجـــري فســـكنها عدد كبير من العلويين من أهل العلم والسيادة حتى أوائل القرن الرابع الهجري .

تعمير المشهد العلوي:

وأوّل مـــن اعتـــنى بتعميره هارون الرشيد، ثمّ محمّد بن زيد الحسن صاحب طبرستان والديلم في ٢٧٠هـــ، فبنى عليه قبة، كما قام (أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان)[1] بفرش الضريح وإعلاء قبته. وصرف عليه عضدالدولة البويهي الأموال حتى ٧٥٣هـــ حينما زاره في ٣٧١هـــ وتصدّق على الناس وأعطـــاهم علـــى اختلاف طبقاتهم، فبلغ نصيب الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم.

المدفونون معه وحوله عليه السلام:

تشـــرّف بالدفن معه عدد كبير من السلاطين والأعيان والعلماء تبركاً بــــه؛ إذ دفن عضدالدولة البويهي في المشهد في ١٣٧٣م. وكذلك ابنه شرف الدولـــة، وعدد كبير من اُمراء ووزراء الدولة البويهية، وملوك آخرون من القاجاريين. كما دفن في الصحن وفي الإيواء الكبير عدد من علماء المسلمين كان أشهرهم:

١ ــ شـــيخ الطائفـــة أبـــو جعفر محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي في ٤٦٠هـــ .

٢ ــ أبو علي عبدالحميد بن عبدالله بن اُسامة بن أحمد بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين النسابة الكوفي ٥٧٩هـــ .

---

(١) من اُمراء الحمدانيين في حلب.

٣ ــ المولى أحمد بن محمد المقدس الأردبيلي في ٩٩٠هــ .

٤ ــ السيد محمّد مهدي بن السيد مرتضى بحر العلوم في ١٢١٢هــ .

٥ ــ الشيخ محمّد باقر القمي في ١٣٣٤هــ .

٦ ــ الشيخ محمّد علي الحاج حسن الخونساري في ١٢٥٤هــ .

٧ ــ السيد أبو الحسن الاصفهاني في ١٣٧٦هــ .

ثانياً: كربلاء المشهد الحسيني:

تقــع الكوفة على الضفة الغربية من الفرات وعلى بعد ثلاثة أميال من مملكة الحيرة القديمة والتي كانت قريبة من النجف الحالية. والحيرة في اللغة الســريانية تعني المعسكر، مما يدل على أنــّها استخدمت معسكراً للجند، ثمّ أصبحت مدينة كثرت بها المنازل والقصور.

ومــن العرب الذين سكنوها: تنوخ، وهم من عرب البحرين، والعباد: ســكان الحــيرة نفســها، واعتنقوا المسيحية ديناً، والأحلاف: وهم من قبائل متفرقة نزلوا بها بعد أن حالفوا تنوخاً.

وكانــت الحيرة عاصمة للعرب اللخميين أو المناذرة، فاتسع سلطانهم، وحكمهــا الملــوك منذ القرن الثالث الميلادي في ٢٦٨م وحتى القرن السابع المــيلادي فــي ٦٠٢م حيــن انتهــت دولتهم. أمّا عدد ملوكهم فكانوا اثنين وعشــرين ملكــاً، تولــى أولهم عمرو بن عدي من آل نصر أو لخم، وجاء الآخرون كلّهم من نسله. واتبعوا في حكمهم إمبراطورية بني ساسان الفرس، فدخلــوا فــي حمايتهم؛ إذ اعتبرهم آل ساسان سداً أمام هجمات الروم، أي: الدولة حاجزة.

أمّــا فــي العهد الإسلامي فقد أنشأ المسلمون مدينة جديدة عام ١٧هــ

حين اختاروا الكوفة التي كان بينها وبين مملكة الحيرة نحو فرسخ ــ ٧كم ــ فقد جرت العادة العربية أن تنشأ المدن في مواضع قرب المدن القديمة السابقة عليها. وفي خلال عشرين عاماً تطورت المدينة فأصبحت من أهم مراكز العالم الإسلامي، فقدمت إليها القبائل العربية، وأقامت بها الجاليات من تلك القبائل ذات لهجات متعددة، وآلاف آخرون من الصناع والموالي من الفرس. ومن أشهر من سكنها من القبائل العربية عبد القيس التي اشتهرت بالحضارة والمدنية، كما وفد إليها عدد من نصارى من بني تغلب، ونصارى ويهود نجران اليمن الذين عملوا في الصيرفة، وعدد من السريان الذين أنشأوا المدارس فيها قبل الإسلام، ودرسوا بها العلوم الإسلامية، كما اُعتبر الفرس الذين سكنوها مواطنين حقيقيين وسكان أصليين للمدينة.

ومن المعروف أنّ الإمام علياًعليه السلام أقام بها، واتخذها عاصمة للدولة الإسلامية لوجود شيعته بها، ووقوعها في مكان متوسط يسهل الاتصال منها بأجزاء الدولة الإسلامية الأُخرى، ولقربها من الحدود التي تفصل بين العراق والشام، ممّا يعتبر ميزة عسكرية ومركزاً استراتيجياً. فهي ــ إذن ــ ثانية عواصم الدولة الإسلامية بعد المدينة المنورة.

وقد زاد عدد سكانها بعد إنشائها، فوصل إلى أكثر من ١٥٠ ألف نسمة، كما كان لاحتكاك أهلها بالشعب الفارسي الموهوب والشعوب الأُخرى أثره في تطورها وازدهارها، مما أدى إلى قيام حركة ثقافية حية بها، وبشعور أهلها بالرغبة في الاستقلالية والاعتزاز بشخصيتها المستقلة.

إنّ تلك العوامل والأسباب الواضحة هي التي دفعت الإمام الحسينعليه السلام لاختيار الكوفة مسرحاً لأعماله السياسية والعسكرية والفكرية، فهو اختارها لكي يسمع نداءه وأفكاره أكبر عدد من الافراد والاجناس، فكان لابد من

أرضـــية صالحة يمكنها المشاركة في نشر مبادئه وأفكاره، أي: يعلمها أفراد مـــن كلّ الطوائف والعقائد والقبائل والعشائر والجنسيات، فكانت الكوفة خير مكـــان، لامـــتزاجها بعدة عناصر من السكان؛ إذ اختلط بها العرب والفرس والـــترك والأنـــباط والســـريان، وتنوعـــت فيها الأديان: من إسلام ويهودية ونصرانية، بالإضافة أنـّـها كانت نقطة اتصال بين الشعوب والدول، وموطناً معروفاً للمعارضة ضد بني أُمية.

ولم تكن كربلاء التي جرت فيها الأحداث المأساوية للإمام الحسين عليه السلام وأهلـــه بعـــيدة عن هذه المنطقة الحضارية، فأصبحت بفضل قبره الشريف ومـــزاره المقدس مدينة لها شأنها ومكانتها اليوم بين المدن العراقية، بل إنّها تعد من أهم مدنها وأكبرها وأكثرها شهرة وسمعة.

تعمير المشهد الحسيني:

اهـــتم أبـــناء زيـــد بن علي بضريح الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك والدة الخلـــيفة العباسي المهدي، أُم موسى، التي كانت تمنح الهبات والهدايا الخيرة للمشـــهد، واعتـــنى البويهـــيون والسلاجقة بتعميره كذلك وخاصة ملك شاه الســـلجوقي الـــذي زاره فـــي ١٠٨٦هـــ، كما أن الصفويين منحوه الاهتمام وخاصـــة الشـــاه إســـماعيل. واهتم به أيضاً السلطان العثماني مراد الرابع، والســـلطان القاجـــاري فتح علي، وناصر الدين شاه، والشاه طهماسب الذي اعتنى بمرقد العباس في ١٦٢٢م ونادر شاه في ١٧٤٢م.

وعـــندما فتح الشاه إسماعيل الصفوي العراق في ١٥٠٨م زار المشهد وأمر بتذهيب حواشي الضريح، مما اعتبر أول عهد بادخال الذهب في عمارة المشاهد الكريمة. كما أن حكام مناطق الدكن وكشمير وأودة في الهند اعتنوا كثـــيراً بتعمير المقدسات في النجف وكربلاء، حيث بعث (يوسف عادل شاه)

مؤسس مملكة شاهية في بيجابور عام ١٤٨٩م بمبلغ ستين ألف روبية وزعت علـــى السادة ورجال الدين العلماء بعد أن مرض وشفي من مرضه، كما أن الســلطان العثماني سليمان القانوني زار كربلاء والنجف في ١٥٣٤م فترجل أحــد رجالــه إجــلالا لعظمة قبة الإمام علي عليه السلام فتردد السلطان في الترجل واستخار القرآن فظهرت الآية: **(فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى)** مما جعله يترجل من مسافة بعيدة.

وجــاء فـــي الــروايات أن زنجياً باسم مرجان أنشأ (منارة العبد) في ١٥٧٤م/٩٨٢هـــ وسميت المنارة (أنكوشتى يار) أي اصبع التابع المحب، بمعـــنى أثـــر صـــغير لايزيد على أصبع في اشارة إلى ولائه وحبه للإمام علـــي عليه السلام، كمـــا أنشـــأ حولها مسجداً خاصاً، وقد اعتنى بها الشاه طهماسب الصفوي فرممها وأقام تحسينات حولها في ٩٨٢ هـــ، إلاّ أنـــّها هدمت بحجة ميلانها إلى السقوط في ١٩٣٧م.

وكـــان مـــرجان هـــذا قـــد عصى أميره الذي هدده، فاستجار بالحرم الحسيني ونذر أن يبني مأذنة خاصة في الحرم الشريف متى ما خرج سالماً، وقد كان عندما صفح عنه السلطان أويس الجلائري.

وفي ١٣٠٥م. أنشأ السلطان (خدابنده)[١] مدينة السلطانية على بعد مئة ميل غرب قزوين فاعتبرت أهم مدينة مغولية في إيران، وقصد أن يتخذ منها مقـــراً لرفات الإمامين علي والحسين عليهما السلام بعد أن ينقلها من كربلاء والنجف، إلا أنه توفي قبل ذلك في ١٣٠٦م فدفن هو فيها.

---

(١) محمـــد خدابنده: ملك مغولي كان اسمه نيقولاوس بن أرغون بن بغا بن هولاكو. وقد أعلن التشيع، وكذلك ابنه أبوسعيد بهادرخان.

ثالثاً: الكاظمين:

كانـــت المنطقة جزءاً من ممتلكات الكاشيين القدماء حين دخلوا العراق فـــي أواسط القرن الخامس عشر ق.م من الجبال الشرقية من منطقة لرستان بزعامة كندش فاحتلوا بابل. واشتهر منهم الملك كاريكالزو الذي شيد عاصمة جديدة لدولته أطلق عليها اسمه، وتعرف اليوم باسم عقرقوف.

وذكـــر (ابـــن الفقيه) إن المكان كان مقبرة لملوك الكيانيين من النبط حكموا قبل آل ساسان.

وجـــاء عن (حمدالله المستوفي القزويني)[١] إن الذي بنى عقرقوف هو وكياووس، وهو النمرود الذي اشتهر أيام النبي إبراهيمعليه السلام. كما أنها عرفت فـــي القرن الرابع ق.م باسم (قُطَربَلْ)، وأطلق عليها أيام الساسانيين (طسّوج قُطـــربَل) أي كـــورة قطـــربل، وهي تشبه الأسماء اليونانية. فالبقعة يرجع تاريخها إلى ما قبل ٣٠٠٠ عام.

وقـــد بـــدأ الاستيطان بها منذ القرن الثالث الهجري بعد دفن الإمامين الكـــاظم والجـــوادعليهما السلام بهـــا، وعمـــرت بعد القرن الرابع الهجري، وسميت الكاظمـــية نسبة إلى الإمام موسى الكاظمعليه السلام كما استخدم لفظ الكاظمي كلقب لمـــن ســـكنها ابتداء من أواخر القرن السابع الهجري وجاء في الاخبار أن الإمـــام الكاظمعليه السلام هو الذي اشترى الجزء الذي دفن فيه قبل وفاته. وقيل إنّ أبـــا جعفر المنصور العباسي شيّد مقبرة قريش لدفن ولده جعفر في ١٥٠هــ ثم دفن فيها الامامان في ١٨٣هــ و٢٢٠هــ/ ٧٩٩م و٨٣٥م، إذ كانت مقبرة قديمة سماها المنصور بقريش ليدفن فيها العلويون والعباسيون.

---

(١) نزهة القلوب.

وتقـــع مقبرة الشهداء في الغرب الجنوبي من مقابر قريش، حيث دفن فـيها شهداء المسلمين الذين حاربوا الخوارج في ٣٧هـ أو الذين حملوا من أرض الـنهروان فمـاتوا هناك. فالإمام علي عليه السلام حارب الخوارج في قرية أصبحت بغداد بعد ذلك، فقد ذكر في الاخبار أن الإمام عليه السلام وصل هذه الناحية وصـلّى في (براثا) إحدى القرى المجاورة، ودخل حماماً هناك واستحم فيه، فجامع (براثا) صلّى فيه الشيعة، حتى إنه عندما أُخبر المقتدر بالله العباسي أن الرافضة تسب الصحابة في هذا الجامع ويخططون للإطاحة به، أمر بمداهمته يـوم الجمعة، فحبس المصلين وهدم المسجد وسواه بالأرض، فاستمر خرابا حـتى عام ٣٢٨هـ عندما أمر الأمير (بجكم) بإعادة بنائه وتوسعته، فصلى فـيه الـناس تبركاً، في أيام الراضي بالله، ثم وضع فيه المتقي لله منبراً كان للرشـيد، وصلى فيه إمام المسجد: (أحمد بن الفضل بن عبدالملك الهاشمي) صلاة الجمعة في ٣٢٩هـ[1] فسيطر الشيعة على جامع براثا منذ ٤٢٠هـ .

تعمير المشهد والمسجد:

اهـتم بتعمـيرهما كثير من السلاطين والحكام منذ دفنهما في المكان المقدس، فقد اعتنى بهما البويهيون، حيث ساد الأمن والاستقرار في عهدهم، ممـا زاد فـي عـدد الزوار والافواج، وتطوير المنطقة وتحسينها، فكثرت البـيوت والمـنازل وتحولت إلى قرية من قرى بغداد، ووضع على القبرين ضـريحان، فأصـبحا مقراً للخائفين وملجأً لهم. وفي ٣٦٩هـ بنى عضد الدولـة سوراً حول المشهد، وزاد في التعمير، وفتح المستشفى في ٣٧١هـ،

---

(١) وهي السنة التي توفي بها آخر نواب الإمام المهدي«عج»، وتدل هذه الصلاة على أن الشيعة الإمامية كانوا يصلون الجمعة في ذلك الوقت.

وجلب إليه الأدوية كما أوصل إليه المياه في ٣٧٧هـ مما زاد في أعداد البيوت والمهاجرين. وقد أمّ الخليفة الطائع العباسي ٣٦٢ ــ ٣٨١هـ صلاة الجمعة في جامع الكاظمية حيث كانت له ميول شيعية قوية.

واهتمّ بعمارته أيضاً: أبو الحارث أرسلان البساسيري في ٤٤٥هـ، والخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي أحب أهل البيت ووالى الأئمّة عليهم السلام فاعتنى بالعتبات المقدسة في الكاظمين في ٥٧٥هـ، كما أمر ببدء الدراسة العلمية والدينية واللغات في حجرات الصحن الشريف، واشترك الكثير من العلماء والفقهاء في تزويد الكتب لهذه المدرسة. كما قدم ابنه الخليفة الظاهر وابنه المستنصر خدمات كثيرة للإمامين عليهما السلام.

وفي ٦٤٧هـ أمر المستعصم بعمارة المشهد الكاظمي، فعثر أثناء ذلك على نقود يونانية عليها صور وكتابات توضح أن ضربها تم في بغداد وواسط، فأمر بصرفها على عمارة المشهد، وكانت تساوي قيمة ألف درهم.

كما أن الصفويين أنشأوا المشهد الحديث أيام الشاه إسماعيل ١٥١٦م/ ٩٢٦هـ[(١)] وأعاد بناء القبر الشريف، وكذلك العثمانيين حيث بنى السلطان سليم منارة جديدة كانت الخامسة.

وأهدى السلطان محمود الثاني ابن عبد الحميد الأول ١٧٨٤ــ١٨٣٩م/ ١١٩٩ــ١٢٥٥هـ ثلاث ستائر كانت على الضريح النبوي الشريف إلى مقامات بغداد: الكاظمية وأبو حنيفة وعبدالقادر الگيلاني.

كما أن هولاكو وحكامه اعتنوا بالمشهد والجامع الكاظمي، فكان الشيعة قد بعثوا إليه وفداً اتفق على عدم تعرضه للعتبات المقدسة، فتم الاتفاق على

---

(١) الشاه إسماعيل بن الشاه حيدر بن جنيد الصفوي الموسوي.

أن يـرابط مئة مغولي للمحافظة على النجف وكربلاء. وفي ١٢١١هـ أمر السلطان محمد شاه الأول مؤسس الدولة القاجارية بتذهيب القبتين الكريمتين ورؤوس المنابر الشريفة، وأضاف منائر ثلاثة أُخرى، وفرش الروضة والرواق بالمرمر الأبيض، وعمّر الصحن وزاد في التوسعة بشراء بعض البيوت المجاورة.

أما في ١٢٩٣هـ ابتدأت أعمال العمارة التي تولى أمرها (اعتماد الدولة فرهاد ميرزا بن العباس بن ميرزا بن فتح علي شاه القاجاري)[١] واستمرت حتى ١٣٠١هـ حيث بنى الصحن الكاظمي الأنور ووسع فيه بشراء بعض البيوت، ونظم السراديب الخاصة بدفن الموتى، ووضع صخوراً ثمينة جلبها من إيران لتغطية الصحن، ووضع فيه ساعتين كبيرتين، وجدد تذهيب المآذن المقدسة.

أما أشهر من قام بزيارة الكاظمين، (تيمور لنگ) إضافة إلى زيارته للنجف وكربلاء في ٨٠٣ هـ . كما قام بزيارته السلطان العثماني سليمان القانوني في ٩٤١هـ وعرف (قبلان مصطفى باشا التركي) بولعه في زيارة الأئمّة والأولياء في ١٦٧٧م[٢].

المدفونون في الكاظمين:

تشرف بالدفن مع الإمامين عليهما السلام وحولهما: الشيخ المفيد الذي لصق جدار ضريحه بالإمامين عليهما السلام، كما دفن أستاذه: الشيخ محمد بن جعفر قلوب،

---

(١) تولى شيراز في عهد أخيه السلطان محمدشاه. توفي بطهران في ١٣١٥هـ وحمل جثمانه إلى الكاظمين.

(٢) شيد جامع القبلانية المعروف ببغداد.

والشـــيخ أبوجعفر محمد بن نصير الطوسي[١]، وموسى بن ابراهيم الأصغر بـــن الإمام الكاظم عليه السلام الملقب بالمرتضى، ووالده إبراهيم المرتضى، كما قيل إن أضرحة الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام[٢] وولديه الشريف الرضي والمرتضى موجودة في مشهد الإمام الحسين عليه السلام.

ودفن معه أيضاً: ابن المرتضى أبوالحسن علي بن المرتضى بن علي الحسني المعروف بالأمير السيد، وقد عرف بالفقه والعلم والزهد، وألّف كثيراً من الكتب وتولّى التدريس بجامع السلطان[٣].

ودفـــن فـــي قـــبره: فرهاد ميرزا بن نائب السلطنة عباس ميرزا ابن الســـلطان فتح علي شاه القاجاري الملقب معتمد الدولة، حيث دفن في مقبرته التي بناها في حياته[٤].

وفي ٣٩١هـ توفي الكاتب والشاعر المعروف: أبوعبدالله الحسين بن أحمـــد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج فدُفن في المشهد عند رجلي الإمـــام وأوصى أن يكتب على قبره: **(وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)**. كما دفن بالصحن: أبوالفتح نصرالله بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الجزري[٥]، والوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي بالمشهد[٦]. وهناك حجرة صغيرة بالصحن يرقد بها إبراهيم وأخوه جعفر ابنا الإمام الكاظم عليه السلام.

---

(١) توفي ٦٧٢هـ .

(٢) كنيته أبو أحمد.

(٣) توفي في رجب ٥٨٨هـ .

(٤) توفي بطهران ١٣١٥هـ ونقل جثمانه إلى الكاظمين.

(٥) توفي ٦٣٧هـ .

(٦) توفي ٦٥٦هـ .

كمـــا دفن في المقبرة: عبدالله بن أحمد بن حنبل الذي أوصى بألا يدفن بجانب أبيه حيث قال: أنه صح عندي أن بالقطيعة نبياً مدفوناً ولأن أكون في جوار نبي أحب إليّ أن أكون في جوار أبي(١).

ودفــن في مقابر قريش أيضاً: الشاعر المعروف أبو الفوارس سعد بن محمــد بـــن سعد بن صيفي التميمي الملقب شهاب الدين والمعروف بحيص بـــيص في ٥٧٤هـــ . كما اتصل بالجامع والصحن، جامع الإمام أبي يوسف يعقـــوب بـــن إبراهيم صاحب أبي حنيفة ومؤلف كتاب الخراج، فيكون قبره ملاصقاً لسور المشهد الكاظمي(٢).

رابعاً: **سامراء**:

كان اسمها القديم (الطيرهان) وقد يرجع إلى العصر الأرامي واليوناني لكـــثرة مـــا يتردد في الكتب النصرانية أكثر مما يذكر في الكتب الإسلامية. وذكـــر المسعودي أن المدينة كانت لسام بن نوح وجدت مكانها سابقاً، وذكر يـــاقوت أنهـــا سميت بالفارسية سام راه نسبة إليه. فهي في صورتها اللفظية أقرب إلى الفارسية منه إلى السامية.

كمـــا ســـميت (ســـاء من رأى) فاختصرت إلى (سر من رأى) ثمّ إلى سامراء.

أمـــا فـــي العصـــر العباسي فقد بناها المعتصم في ٢٢١هـــ واشترى أرضها من النصارى أصحاب دير سامراء في ٢١٩هـــ/٨٣٤م. ومما دفعه

---

(١) توفي ٩٠٣هـــ .

(٢) توفي ٧٩٨هـ .

إلـــى ذلك، ازدياد نفوذ الأتراك في بغداد وكثرة عددهم الذي بلغ سبعين ألفاً، وهــم ظهــروا فـــي العصر الأول العباسي، وقدموا من موطنهم فيما وراء نهــر سيحون، الذي فتح (قتيبة بن مسلم الباهلي) تلك الجهات أيام الوليد بن عــبدالملك، ولقـــي المسلمون صعوبة في نشر الإسلام هناك حتى إنهم كانوا يمـــنحونهم المال ليحضروا صلاة الجمعة في المساجد، كما سهلوا لهم قراءة القــرآن باللغـــة الفارسية، إلاّ أن الأغلبية منهم لم تعتنق الاسلام حتى أيام المعتصـــم، وفـــي عهده تقلدوا قيادة الجيش وتقلدوا مراكز ممتازة في مجال السياسة والحروب، ومنحهم الأفضلية في كل شيء على العرب والفرس، مما أشـــعرهم بقوتهـــم فأساءاوها في أيذاء أهالي بغداد الذين قدموا الشكاوى إلى الخلـــيفة لسوء تصرفاتهم، وأنهم اعتزموا الثورة عليه، مما جعله يقرر بناء معسكر لهم بعيداً عن بغداد بستين ميلا.

وقـــد زاد نفوذ الأتراك منذ القرن الثالث الهجري وصاروا مصدر قلق واضـــطراب للدولة، وكرهوا العرب والفرس، كما لم يكونوا على وفاق مع بعضـــهم، فتفرغوا للمؤامرات والدسائس والتدخل في شؤون الحكم والخلفاء والتحكم فيهم. حتى أن المتوكل فكر في نقل العاصمة إلى دمشق عندما رحل إلـــيها في ٢٤٤هـــ للإستقرار فيها. فنتيجة للإضطرابات فيها منذ ٢٥٣هـــ انـــتقل نظام الحكم وادارته إلى بغداد في ٢٧٩هـــ فانتهت سامراء كعاصمة للدولة العباسية لفترة ٥٥ سنة.

تعمير المشهدين:

قـــام (البساسيري) بعمل الضريحين، واهتم بها ناصرالدولة الحمداني، الذي شيد الدار وكلل الضريح بالستور وأحاط سامراء بسور في ٣٣٣هـــ ثم شيده معزالدولة البويهي فأسس الدعائم وعمر القبة والسرداب، ورفع الضريح

بالاخشاب وملأ الحوض بالتراب، وجدد الصحن وسوره وطرز البناء وأكمل عمــارة الحمداني في ٣٣٧هـ كما وضع عضد الدولة البويهي سياجاً حول الروضة، وستر الضريح بالديباج وَعمَّرَ الأروقة، ووسع الصحن وشيد السور فــي ٣٦٨هـــ كمــا ساهم الأمير أرسلان في تعمير القبة والضريح وعمل الصــندوق من الساج في ٤٤٥هـ وجدد أيضاً بركياروق السلجوقي الأبواب وسـيج الروضــة ورمم القبة والرواق والصحن والدار في ٥٤٩هـ كما أن الناصــر العباســي عَمَّر القبة والمأذنة وزيّن الروضة، وكتب أسماء الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام على نطاق العقد على يد الشريف معد بن محمد بن معد في ٦٠٦هـ .

وقام المستنصر بالله العباسي بتعمير المشهد المقدس بعد الحريق الذي أصــابه، فَعَمَّر الروضة والسياج على يد السيد جمال الدين أحمد بن طاووس في ٦٤٠هـ ثم زيّن (أبو أويس حسن الجلائري) الضريح وشيد القبة والدار ونقــل المقابــر في الصحن الى الصحراء في ٧٥٠هـ. كما أن الشاه حسين الصــفوي زيّن الروضة بالساج وعمل الشباك من الفولاذ ووضع الرخام في ١١٠٦هـــ وجــدد الشاه ناصر الدين القاجاري الشباك وذهّب القبة وَعَمَّر الضــريح والمــرافق في ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م. أما العمارة الحالية فهي من تشــييد أحمد خان الدنبلي من حكام آذربيجان في ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م. حيث أنفق الكثير مع ولده في توسيع الصحن والأروقة.

أمــا مــن زار الحرمين الشريفين، ففي ٩٦١هـ زارهما (سيدي على رئــيس) الــذي تولــى قبطانــية مصر، كما زارهما في ١١١٧هـ الوزير حســن باشــا الجديد وأنعم على الفقراء والخدم، وكذلك ناصر الدين شاه في ١٢٨٦هـ .

كمــا زارهمــا عــدد مــن الــرحالة العرب اشتهر منهم: ابن جبير، المسعودي، ابن بطوطة، المنشي البغدادي في ١٨٢٢م وابن حوقل، المقدسي، المســتوفي في القرن الرابع عشر الميلادي، وعبدالوهاب عزام في ١٩٣١م/ ١٣٤٩هـــ .

وقــام بــزيارتهما كذلــك عدد من الرحالة الأجانب، كان من أبرزهم (فيلكس جونز) من رجال البحرية البريطانية.

ومن الحوادث التي تعرضت لها:

وقوع حريق في مشهد الإمامين عليهما السلام في ٤٦٠هـــ، كما أصاب المنطقة مــرض الطاعون في ١١٣٢هـــ إذ كثرت الاصابات وارتفعت أعدادها إلى الآلاف يومــياً، مما دفعهم إلى الهروب منها، كما حدثت سرقة للوحتين من الذهب وقطع من الفضة في ١٣٥٦هـــ .

أمــا أشهر من دفن في الحرم وفي المدينة: فكانت السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام في ٢٧٤هـــ .

والســيدة نرجس زوجة الإمام العسكري عليه السلام أم الإمام المهدي عجل الله فرجه في ٢٦٠هـــ .

وداوود أبو هاشم من ذرية عبدالله بن جعفر في ٢٦١هـــ .

وقــد جــاء عن الغرب أن الامبراطور جوليان الروماني قد دفن في سامراء أيضاً.

الفصل الثاني

العتبات المقدسة في إيران

أولا: **خراسان مشهد**:

كانـــت خراســـان الموطـــن الأول للآريين والشعب الهندي الأوربي، انطلقـــوا منها، فتألفت منهم الشعوب والأمم في آسيا وأوربا. والمرجع الأول للـــتاريخ الإيرانـــي العـــام، فقد كان مؤلف الشاهنامة: فردوسي، خراسانياً. ويصـــفها زرادشـــت فـــي كـــتاب الأفستا، أنها الأقدم في السكن والخصوبة والحاصـــلات التي كثرت في الصغد ومرو وبلخ ونسا، كما ذكر أن سكانها مـــن أفاضل الناس. وأن وجود الحضارة بها يرجع إلى ما قبل أربعة آلاف عام ق.م ويختلف المؤرخون في معنى تسميتها، فقيل إنها مؤلفة من كلمتين، خُـــر، أي: الشمس بالفارسية الدرّية، وأسان، تعني الموقع والبلاد، فهي إذن بـــلاد الشـــمس أو مطلع الشمس. كما قيل إن خور تعني الأكل وأسان تعني السـهل أو (علـــى راحة وعلى كيفك)، فهي تعني إذن كل سهلا. كما أطلق علـــيها أيضـــاً خرسان. كان لها دورٌ تاريخيٌ طويلٌ مميزٌ عبر الأجيال، فقد اهـــتم بها الحكام والملوك منذ القدم وحتى العصر الإسلامي، فكان لها شأن عظيم أيام الراشدين والأمويين والعباسيين، وقامت بها الدويلات التي تكونت مـــن أُسر وعائلات مختلفة. كما خرج منها الآلاف من أئمّة الحديث والفقه، كالإمـــام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري. وابن سينا في الفلسفة والطب، كما بـــرز علمـــاء فـــي مختلف العلوم كالفارابي، وفي العلوم الدينية والتفسير:

أبوجعفر الطوسي والزمخشري، وفي الحكمة والفلسفة: أبوحامد الغزالي، وفي النحو واللغة: الأخفش الأوسط، وفي الفلك والرياضيات: عمر الخيام، وفي الشعر الفردوسي والرودكي، وفي التاريخ: البيروني. وفي الإدارة والوزارة ظهر البرامكة وآل سهل والنوبخت، وفي القيادة والحكم: أبو مسلم وطاهر بن الحسين.

وذكر عن أهميتها ومكانتها أن الكتابة والخط ظهرت فيها، كما ظهرت فيها أقدم الأديان كالصابئية والمجوسية، وتأثرت أيضاً بالبوذية التي نبعت في بلخ وانتشرت منها إلى البلدان الأُخرى، كما كان فيها معبد الأصنام يحج إليه الهنود والصينيون. فخراسان إذن هي مبعث الأديان القديمة. ودخلها دين الزرادشت فقيل إنّ زرادشت ظهر بأذربايجان قرب بحيرة رضائية، بألف سنة قبل الميلاد، وذكر أنه ولد في أردبيل، فالتجأ بعد ظهوره لدينه إلى خراسان فانتشرت تعاليمه في فارس والهند وتركستان وآسيا الصغرى. كما عرفت خراسان المانوية، حيث بشر فيها ماني الذي قدم إلى مرو للتبشير بدينه. وتأثرت أيضاً باليونانيين الذين حكموها منذ عهد الإسكندر ثمانين عاماً.

ولكل هذا لم يكن غريباً أن يتقبل أهلها الإسلام؛ إذ اعتنقوه بعد إدراك ووعي وفهم لروح الاسلام، لا مثل الشعوب الأُخرى التي عاندت في قبوله. فقلما حظي قطر من أقطار المسلمين بالثناء عليه إيماناً وتقوى وشجاعة وأدباً وعلماً وحكمة، وصفات تحلّى بها الإنسان كما حظيت بها خراسان.

أما مشهد فقد ورثت مدينة طوس القديمة، وكانت عاصمة لخراسان. وتكونت طوس من مدينتين: الطابران ونوقان وهي أصغر منها. وفتحها المسلمون في ٣١هـ بقيادة عبدالله بن عامر الذي صالح حاكمها على ٦٠٠

ألف درهم. وقد بنى الشاه طهماسب الصفوي سوراً حولها.

تعمير المشهد الرضوي:

بنى المأمون العباسي قبة على قبر الإمام الرضا(ع). واشتهر الديالمة ـ البويهيون ـ بتعمير المشهد المقدس، الا أن سبكتكين والد محمود الغزنوي هدم القبة. ولكن السلطان محمود بن ناصر الدين سبكتكين جدد عمارة المشهد. وفي عهد السلطان سنجر السلجوقي، عَمَّر المشهد شرف الدين القمي، فخربه التتار، ثمّ جدده السلطان محمد خدابنده حفيد هولاكو. وقد تطور عمرانه مع عمران المدينة حتى ٨٠٨هـ حين تطورت المدينة منذ ذاك الوقت. واهتم الصفويون بتعمير المشهد المقدس أكثر من غيرهم، فقد زين القبة الشاه عباس الكبير حين زار المشهد الرضوي من إصفهان في ١٠١٠هـ وذهّب الشاه إسماعيل الصفوي القبة في ١٠٨٦هـ . فقد اهتم الشاه اسماعيل بتعمير الضريح المقدس حتى لا يتوجه الإيرانيون للنجف وكربلاء بعد ما قررت السلطات التركية رسوماً عالية عليها.

وكان عهد الصفويين عهد ازدهار المدينة فتنافس ملوكهم في تعمير المشهد وتجميله وتعمير المدينة كلها، وخاصة الشاه طهماسب الأول ٩٣٠ ـ ٩٤٨هـ والشاه عباس الكبير، الذي حصل على قطعة الألماس التي سرقها حاكم بلخ فأرسلها الشاه إلى الروم بفتوى من العلماء لبيعها ووقف ثمنها على تعمير الضريح والمشهد. كما أنه أوقف كثيراً من النفائس والكتب والأملاك على الحرم الشريف. كما اهتم بها نادرشاه فَعمَّر المدينة والمشهد وبنى قبره فيها أيضاً.

وعندما اعتنق السلطان محمد أولجاتيو المذهب الشيعي وهو من الأُسرة المغولية، أعاد بناء المشهد المطهر في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي.

مع أن اُمه كانت مسيحية سمته نقولا، ولكنه أصبح مسلماً شيعياً في الكبر. وقد كتب على العملات التي قام بسكها في أيامه أسماء الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام (١).

أما أشهر من قام بزيارة المشهد والمدينة:

فقد قام السلطان محمد خوارزم شاه بزيارة الإمام الرضا عليه السلام في ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م.

وفي ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م زار الحرم الشريف الشاه عباس الصفوي، وكذلك في ١٦٠٠م وثالثة في ١٦٠١م ماشياً من إصفهان، على الأقدام، في مسافة ٨٠٠ ميل، وكان يضيء المشهد بآلاف الشموع ويكنس الحضرة المقدسة. وقصده الطلاب للعلم من أرجاء إيران ومن أفغانستان والهند، فكان يزور المشهد سنوياً الآلاف ليصل ما بين ٣٠ إلى ١٠٠ألف حيث يأتي أعداد هؤلاء بعد مكة والمدينة.

كما زاره السفير الأسباني كلافيو الذي زار بلاط تيمورلنك في ١٤٠٥م فزاره في طريقه، حيث كان يسمح للنصارى في تلك الفترة بدخول المشهد.

ومن الرحالة الأجانب، زاره في القرن ١٩م: فريزر في ١٨٢٢م وفي ١٨٣٢م، وكونولي في ١٨٣٠م وإيستويك في ١٨٦٢م وماس في ١٨٩٣م.

وقد ذكر عنها العديد من الشخصيات الإسلامية، الصفات الحسنة، فقد قال عنها زكريا بن محمد: أن خراسان من أحسن أرض الله وأعمرها وأكثرها خيراً، وأهلها أحسن الناس صورة، وأكملهم عقلا وأقومهم طبعاً. أما

---

(١) يذكر جعفر الخليلي مؤلف موسوعة العتبات المقدسة: أن الشاه محمدرضا بهلوي اعتنى بعمران المرقد وتزيينه حتى أصبح من أفخم العمارات في العالم.

ابـــن قتيبة فذكر أن أهل خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة، ولم يزالوا في أكـــثر ملـــك العجم لقاحاً لا يؤدون إلى أحد بأتاوة ولا خراجاً، كما وصفهم المـــأمون أنهم أشجع الناس، فما في الدنيا أحد أشجع من عجم أهل خراسان، ولا بأشـــد شوكة ولا أثقل وطأة على العدو. واعتبر عمر بن عبدالعزيز أنه ليس من ثغور المسلمين ثغر أهم له ولا أعظم عنده من ثغر خراسان. ولذلك فقـــد اســـتخدم أكثر الخلفاء أهلها في حروب أعدائهم وخاصة بالصيف وذلك لجلدهم وقوتهم وشدة بأسهم، إذ إنهم اشتهروا بالقوة والشجاعة والبطولة منذ القـــدم، حيـــث كان منهم رستم الذي اشتهر في الأساطير الإيرانية، ولذا فإن المسلمين استفادوا منهم أكثر من غيرهم من الشعوب في المعارك والحروب، حيـــث اشتركوا في حروب الخوارج والفتوحات في اليمن والأجزاء الأُخرى من الدولة الإسلامية.

وقـــد اهتم بها معظم الحكام والملوك والقواد، وأقام العباسيون دولتهم علـــى أكتاف أهلها وقالوا لولا الخراسانيون لما تم شيء من هذا، أي لم تقم دولـــتهم، كمـــا أن المأمون أعد الجيوش والعدة منها لحرب أخيه الأمين في بغـــداد وتمكـــن مـــن الانتصار عليه، وبرز منها أشهر الوزراء في الدولة العباسية، كالفضل بن سهل الذي كان من سرخس.

ومن أشهر من دفن في مشهد المقدسة:

هـــارون الرشـــيد، ودفن بقربه أمين الإسلام الشيخ أبو علي الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان، ومقبرة الشاه زاده محمد، من أولاد الإمام زين العابديـــن عليه السلام ومقبرة السيد أحمد مع ثلاثة من أولاد الإمام موسى الكاظم عليه السلام كمـــا يوجـــد فـــيها قـــبر الخواجة ربيع أحد الزهاد الثمانية من خيار وكبار الصالحين، كان الإمام علي عليه السلام قد عينه والياً على الري فمات في ٦٨٤م/٦٣هـــ،

كمـــا يوجد بجوار مدرسة ميرزا جعفر، قبر الحر العاملي صاحب الوسائل، ومقبرة البهائي، والشاه طهماسب الصفوي، وعباس ميرزا ابن فتح علي شاه المتوفي ١٢٤٩هــ .

ومن مقابرها المشهورة، مقبرة (قتلگاه) التي تضم قبور مئات المسلمين الذين قتلهم جنگيز خان في نفس الموقع.

ومـــن آثارها مسجد گوهر شاد زوج الأمير شاهرخ بن الأمير تيمور لـنك الكوركاني أمير هراة وخراسان في أوائل القرن ٩هــ/ ٨٠٩ ــ ٨٥٠ هــ ، فقد بُني في ١٤١٨م.

ثانياً: **قم**:

كانـــت قـــم في التاريخ القديم جزءاً من المنطقة الحضارية الأُولى في إيـــران والتى سميت سيالك الواقعة في الشمال الغربي من إيران على مقربة مـــن مدينة كاشان في الجنوب الشرقي من العاصمة طهران. وإذا هي الآن جافـــة صحراوية، فإن سكانها قديماً عاشوا على بحيرة كبيرة، كما أن نهراً كـــان يجري إليها، وكانت الأرض خصبة يزرع بها الحبوب اللازمة للخبز، كما نبتت فيها غابات عاشت فيها الحيوانات والطيور يصيدها الأهالي للغذاء.

وأقـــدم تاريخ لها يرجع إلى ٥٠٠٠ عام ق.م حيث عاش فيها السكان علـــى صناعة الفخار ونسج القماش وصناعة الغزل، واشتهروا بالذوق الفني فـــي زخرفة الفخار بالألوان وتنويع أشكاله، وكانوا يصدرون صناعاتهم إلى الشـــعوب المجـــاورة، كما كان التجار يفدون إليها من الخارج. وقد برزت حضـــارة ســـيالك ظاهرة لمن كان حولها مثل قم وساوة والري وتپة حصار ودامغان في ٤٠٠٠ ق.م، كما أثرت مراكز حضارة سوسة في الجنوب على

حضـــارة ســـيالك فكانت لها صلة عميقة بحضارتها في هذه الفترة. وقد شيد الفـــرس في واحة كاشان حصناً أقام فيه زعيمهم فوق المرتفع الذي أقام فيه أهل سيالك في عصر ما قبل التاريخ، ولما كانت الزراعة متقدمة في سيالك مـــنذ عام ٥٠٠٠ ق.م فقد ازدهرت حضارتها في ٤٠٠٠ ق.م عند أهالي قم وساوة والري وهيسار بالقرب من دامغان.

وتـــرجع تسميتها إلى الكلمة الفارسية كَمْ، أي: قليل، وعرفت بعد الفتح الإسلامي بــقم، أو قبل الفتح الإسلامي، حيث جاء في أخبار الأئمّةعليهم السلام أنها ســميت قــم، لأن أهلهــا يجــتمعون مـــع قائم آل محمدصلى الله عليه وآله فيقومون معه وينصـــرونه، كمـــا أنها كانت من المراكز الرئيسية للشيعة في عصر الإمام العســكريعليه السلام. وتوجه إليها المهاجرون من الكوفة والعراق زمن الاضطهاد الأُمـــوي للشـــيعة والموالين لأهل البيتعليهم السلام) كما نزل بها عدد من أفراد آل الرسولصلى الله عليه وآله من نسل الحسنيين والحسينيين.

فقـــد هـــرب العلمـــاء ورجال الدين إليها لاجئين فراراً من الاضطهاد الأُمـــوي والعباســـي، فنشـــروا التشيع هناك، إذ إن التشيع كان موجوداً عند العرب، والفرس تشيعوا بتأثير من علماء العرب.

وإذا كانـــت إيـــران دولة سنية حتى بداية القرن الثالث عشر الميلادي عـــندما أصـــبحت دولـــة شيعية رسمية، فإن قم تستثنى من ذلك، فهي التي تمســكت بالتشـــيع، علـــى عكس ما كان عليه أهل إصفهان الذين غالوا في معاوية حتى اعتقد بعضهم أنه نبي مرسل.

وقـــد ثـــار أهـــل قـــم في عهد المأمون العباسي عند ما طلبوا خفض الضرائب المقررة عليهم والتي بلغت مليوني درهم، إلا أنه حاربهم وضاعف عليهم المبلغ إلى سبعة ملايين درهم.

كما أن ثورة إيران الإسلامية بدأت منها عندما اشتد النزاع بين العلماء ورجـال الديـن نحـو الشاه في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات من هذا القرن.

إلا أن أشهر من نزل بها كانت فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام في ٢٠١هـ فاشتهرت المدينة بوجود حرمها فيها فعرفت بها المدينة.

وأم السـيدة فاطمة المعصومة هي نجمة ـ تُكْتم ـ أروى ـ سمان ، سكن أو سكنى، زوجة الإمام الكاظم عليه السلام وكانت جارية من المغرب اشتراها الإمام عليه السلام بأمر الله ووحيه على حسب رأيه، حيث أنه قد حلم بها وبصورتها حين قدمها لـه النبي صلى الله عليه وآله وأبوه الإمام الصادق عليه السلام وذكر أنها ستلد خير أهل الأرض وأن اسـمه علـيّ، فعـندما ولدت الإمام الرضا عليه السلام سماها الإمام الكاظم عليه السلام بالطاهرة وكناها أم المؤمنين.

فالسـيدة المعصـومة ولدت بالمدينة المنورة في ذي القعدة ١٧٣هـ وتوفيـت ٢٠١هـ عـن عمـر ٢٨ عاماً، وحرمت من عطف أبيها وهي صـغيرة، حيث كان ينقل من سجن لآخر، فأصبحت يتيمة في سن العاشرة. وهي لم تتزوج مثل باقي أخواتها.

أما سبب حضورها إلى قم، فإن المأمون العباسي عندما استقدم الإمام الرضـا عليه السلام مـع عدد من أهل بيته، ومجموعة أُخرى كانوا قد خرجوا على المـأمون فـي ٢٠١هـ ، إلـى خراسان، كتب لها الإمام عليه السلام يطلب منها الحضـور إلى مكان إقامته، فأعدّت نفسها للسفر إلى طوس، وانقسم الركب إلـى مجموعتيـن، اتجهـت أحداهمـا إلى طوس عن طريق الري وساوة، والأُخـرى عن طريق شيراز. وقد ضمت المجموعة الأُولى إخوة الإمام عليه السلام وأبـناء العمومـة وأولادهم وأقاربهم ومواليهم حيث وصل عددهم إلى ثلاثة

ألاف، وأنضـــم إليهم عدد كبير في الطريق فارتفع عددهم إلى خمسة آلاف، الأمـــر الذي خوف المأمون فشعر بالخطر منهم، فطلب من حاكم شيراز أن يـــرجعهم إلى المدينة، إلا أن معركة جرت بين الجانبين، قتل فيها أحمد بن موسى الكاظمعليه السلام المعروف بشاه جراغ، وأخوه حسين المعروف بالسيد علاء الدين حسين[١]، والسيد محمد المعروف بالعابد وهو الاخ الثالث[٢]. وبذا فقد تفرقـــت جموعهـــم وخاصـــة عندما خدعوهم بنشر الإشاعة عن وفاة الإمام الرضاعليه السلام.

أما الركب الثاني فقد قادته السيدة المعصومة، مصطحبة معها إخوانها: هارون، فضلاً، جعفراً، هادياً، قاسماً، إلا أنهم تعرضوا أيضاً للحرب فقاتلوهم وشـــردوهم، فقتل هارون، كما فقدت سائر إخوتها، على بعد ٥٥ كم من قم. كمـــا أن السيدة الجليلة مرضت في ساوة فخرج أشراف قم لإستقبالها بقيادة، موسى بن خزرج الأشعري الذي اصطحبها إلى منزله مع جواريها وإمائها، حيث بقيت في هذه الدار سبعة وعشرين يوماً ثم توفيت في الثاني عشر ربيع الثانـــي ٢٠١هـــــ وكانـــت الســيدة قد نقلت كثيراً من الأحاديث عن جدها الرسولصلى الله عليه وآله وسلم وجدتها الزهراءعليها السلام. ومنذ ذلك الوقت تغير وجه قم، فأصبحت بفضـــل ساكنتها مركزاً من المراكز الإسلامية الشهيرة وصلت الآن إلى أن تكون أهمها وأعظمها.

ونظراً لأهميتها التاريخية وما ستصل إليه من مكانة ومنزلة عظيمتين، فـــإن الأئمّـــةعليهم السلام قـــد تنـــبأوا لهـــا بذلك وأخبروا عنها، فقال عنها الإمام الصادقعليه السلام:

---

(١) مزاره في شيراز مع أخيه شاه جراغ.

(٢) مرقده بشيراز.

ــ إن لــنا حــرماً هــو بلدة قم، وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمى فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنة.

ــ تربة قم مقدسة وأهلها منا ونحن منهم، لايريدهم جبار بسوء إلا عجلت عقوبته مالم يخونوا إخوانهم، فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم جبابرة السوء.

ــ إذا اصابتكم بلية وعناء فعليكم بقم، فإنها مأوى الفاطميين ومستراح المؤمنين.

ــ ما أراد أحد بقم وأهلها سوءاً إلاّ أذلّه الله وأبعده من رحمته.

كمـا ذكر عنها الإمام الكاظم عليه السلام: قم عش آل محمد ومأوى شيعتهم، ولكـن سـيهلك من شبابهم بمعصية آبائهم والاستخفاف والسخرية بكبرائهم ومشايخهم. ومع ذلك يدفع الله عنهم شر الأعادي وكل سوء.

وقـال عـنها الإمـام الرضـا عليه السلام: إذا عمت البلدان الفتن فعليكم بقم وحواليها ونواحيها، فإن البلاء مرفوع عنها.

وعـن زيارة السيدة المعصومة عليها السلام قال: من زار المعصومة بقم كان كمن زارني.

وقـال عنها العسكري: أهل قم وأهل أبة مغفور لهم، لزيارتهم لجدي علي بن موسى الرضا عليه السلام بطوس ألا ومن زاره فأصابه في طريقه قطرة من السماء حرّم الله جسده على النار.

كما أن الإمام علي عليه السلام ترحم على أهلها عندما جاء ذكرهم أمامه فقال: رضـي الله عـنهم، إن للجنة ثمانية أبواب، واحد منها لأهل قم، وهم خيار شيعتنا من سائر البلاد، خمّر الله تعالى ولايتنا في طينتهم.

كما ذكر: إن البلايا مدفوعة عن قم وأهلها، وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلهـا حجـة على الخلائق، وإن الملائكة لترفع البلايا عن قم وأهلها، وما

قصده جبار إلا قصمه قاصم الجبارين وشغله عنهم بداهية أو مصيبة أو عدو وينسي الله الجبارين من دولتهم ذكر قم وأهلها كما نسوا ذكر الله.

الفصل الثالث

المراقد المقدسة في مصر والشام

أولا: في مصر:

تكثر الأضرحة في مصر حيث تصل أعدادها إلى حوالي الألف، إلا أن أشهرها وأكثرها زيارة وإقبالا من الناس، أضرحة أهل البيت عليهم السلام. فمصر تتشرف باحتوائها لتلك الأضرحة والمزارات الشريفة، حيث يرى الشيخ عبد ربّه بن سليمان، أنه ليس هناك ولي لله تعالى يجري الله على يديه خرق العادات والنعم وإظهار الكرامات، إلاّ ويكون من أهل البيت النبوي الكريم صلى الله عليه وآله. فهذه الأماكن لا تبرحها الملائكة، ويصبح فيها الدعاء مستجاباً، كما أن الطواف حول الأضرحة يكون طلباً للبركة. وقد توزع أحفاد الإمام الحسن عليه السلام في البلاد الإسلامية، ومنها مصر، حيث ظهرت بها دعوة بني الحسن فبايعهم الكثير في الباطن، وكاد أن يتم الأمر لهم، حتى قامت بها الدولة الفاطمية التي أسسها أحد أحفاد بني الحسن عليه السلام.

ومن أشهر تلك المشاهد الكريمة والأضرحة الشريفة والمساجد المباركة:

١ ــ ضريح ومسجد السيدة زينب بنت الإمام علي عليه السلام:

وصلت مصر في أول شهر شعبان ٦١هـ بعد كربلاء بشهور بعد استبعادها من المدينة بأمر يزيد بن معاوية، فاستقبلها والي مصر (مسلمة بن مخلد الأنصاري) مع جماهير غفيرة، على مشارف مصر حتى وصلت الفسطاط، وأول كلمة قالتها عند استقبال الناس لها: **(هذا ما وعد الرحمن**

وصدق المرسلون)، وقد خرج المصريون حفاة لاستقبالها مع الولاة والفقهاء وكبار الأمة، قرب بلبيس عند العباسة، وبكت وبكى معها الحاضرون. أقامت في دار مسلمة بن مخلد الوالي بمنطقة الحمراء القصوى، وكانت دارها مأوى لكل ضعيف ومحتاج فلقبت بأُم العواجز، وعند أهل الجود والكرم بأُم هاشم، وعند أهل العزم بأُم العزائم. واجتمع في دارها بمصر الوالي ورجاله فعرفت برئيسة الديوان. كانت تروي الكثير عن أبيها وأُمها وأخويها وعن أم سلمة وغيرهم، كما روى عنها ابن عباس وعلي بن الحسين وعبدالله بن جعفر وفاطمة بنت الحسين عليه السلام.

ثم توفيت مساء السبت ١٤/رجب ٦٢هـ وقد دفنت في نفس البيت الذي سكنته ثم أقيم الجامع. وقد جدد الوالي العثماني علي باشا الجامع في ١٥٤٧م، ثم أعاد تجديده الأمير عبدالرحمن كتخدا في ١١٧٠هـ .

أما المسجد الحالي فقد أقامته وزارة الأوقاف في ١٩٤٠م وهناك نص في المسجد يذكر ذلك:

«أمر بإنشاء الجامع الشريف والمقام الزينبي المنيف خديوي مصر المفخم محمد توفيق. وباشر العمل وأتمه حسب الأمر محمد زكي باشا مدير الأوقاف ١٣٠٢هـ ١٨٨٤م». كما جرى توسيع المسجد في عهد الملك فاروق وافتتح لصلاة الجمعة في ١٩٤٢م.

وكان ميدان السيدة يعرف قبلا باسم قنطرة السباع، واندثر منزل مسلمة إلا الضريح فقد صانوه وجددوه كلما تهدم، وقد اهتم به العارف بالله السيد محمد أبو المجد القرشي الحسيني المعروف بالشيخ العتريس خادم الضريح، أخو السيد إبراهيم الدسوقي، المتوفي ٦٧٦هـ والمدفون بالجهة البحرية من ضريح السيدة. كذلك اهتم بالضريح منذ القدم بالقباب والمحاريب

والنقوش، فقام الفاطميون بإصلاحه، وكذلك بنى أيوب والسلطان وسليمان بن سليم العثماني، والمماليك ومحمد علي باشا والخديوي عباس وتوفيق وغيرهم من الأمراء والملوك المحبين لأهل البيت عليهم السلام.

٢ ــ مسجد الإمام الحسين عليه السلام ورأسه الشريف:

ذكر عن رأس الإمام الحسين عليه السلام أنه نقل مع أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة ليدفن في البقيع. ولذا قيل الكثير عن موقع الرأس الشريف، فذكر أنه نقل إلى كربلاء ووضع مع الجثة الطاهرة، أو أنه في حلب وسط جبل جوشن، وفي مرو بخراسان، أو في مدينة الرقة بالعراق، أو في دمشق حيث المشهد الحسيني، ولكن ما يثبت أنه في مصر، أنه كان في عسقلان فأخذه الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك واشتراه بثلاثين ألف دينار من الإفرنج وأحضره إلى المشهد الحسيني بمصر، وذلك في الثامن من جمادى الاخرة ٥٤٨هـ/٣١ أغسطس ١١٥٣م.

وقد خرج (طلائع) لاستقبال الرأس ليلا عنه الصالحية بكفر الشيخ حافياً مع رجال الدولة و العساكر كلهم حفاة، فحمل الرأس الى قصر الزمرّد ودفنه في سرداب القصر لمدة عام، ثم انشأ له الضريح في ٥٤٩ هـ.

وقد أوضح ذلك الإمام الهروي حين زار ثغر عسقلان في ٥٧٠هـ فوصفه: «وبعسقلان مشهد الحسين عليه السلام كان به رأسه، فلما أخذتها الأفرنج نقله المسلمون إلى القاهرة في ٥٤٨هـ». وأنشأ عليه أبوالقاسم بن يحيى بن ناصر السكري المعروف بالزرزور مأذنة في ١٢٣٦م. في العهد الأيوبي.

وهناك منبر منقوش عليه نص تأريخي كان موجوداً في عسقلان يوضع فيه الرأس الشريف، ونُقل هذا المنبر الى المشهد الخليلي بالقدس، وهو باق لحد الآن.

واهتم بالتوسيع والتجديد في المسجد: السلطان بيبرس والناصر محمد بـن قـلاوون المملوكي. كما قام بتوسيع المشهد الأمير حسن كتخدا عزبان الجلفـي ونقل إليه الهدايا والفضة، ووضع الستر على المقام. وكذلك الأمير عبدالرحمـن كـتخدا[1]، وجـدد بنيان المشهد في ١٧٦١م/ ١١٧٥هـ وقام باصـلاحات كثيرة، من إعادة المسجد وتوزيع مرتبات القائمين عليه، وكتب على الجدران: لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ الإمام علي ـ الإمام الحسن ـ الإمام الحسين.

كمـا اهـتم العثمانـيون بتوسيع المسجد زمن السلطان سليم، وأيضاً سـلاطين أسـرة محمـد علي باشا، اعتنوا بالمسجد والضريح، حيث حدد الخديوي إسماعيل في ١٢٧٩هـ البناء ونقل إليه منبر خشبي مطلي بالذهب من جامع أزبك[2] بميدان الأوبرا، وتكلفت التجديدات ٧٩ ألف جنية تحملتها الأوقاف وتبرعات الأغنياء.

كما اهتمت حكومة الثورة بالمشهد والمسجد بالتوسعة والإضافة. وفي عام ١٩٦٥م أهدت طائفة البهرة الهندية مقصورة من الفضة للمقام ترصعها فصوص من الألماس.

---

(١) اتفقت أقوال الرواة والكتاب: العقاد وسعاد ماهر والمقريزي والببلاوي وعلي مبارك، أن عبدالرحمـن كتخدا أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الحسيني فقيل لـه إنه لم يثبـت في هذا المشهد دفن، فأراد التحقيق في ذلك، فكشف المشهد بمحضر من الناس ونـزل فـيه مـن العلماء: الجوهري الشافعي والشيخ الملوي المالكي فشاهدا الرأس بداخلـه، فبـنى على شهادتهما في محضر الناس، وتحقق وجود الرأس الشريف في مكانه بالمسجد الحسيني بالقاهرة.(أعلام التاريخ الإسلامى بمصر، ص ٨٢)

(٢) تنسب إليه منطقة الأزبكية.

٣ ــ جامع السيدة نفيسة:

وهـــي السيدة العالية القدر ابنة الإمام الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الإمام الحسن السبطعليه السلام. ولدت بمكة في ١٤٥هــ شهر ربيع الأول، و أقامت بالمديـــنة مع والدها ملازمة الحرم النبوي الشريف، وأدت الحج ثلاثين مرة ملبية، وماشية على الأقدام في أغلبها.

تـــزوجها إسحاق المؤتمن بن الإمام الصادقعليه السلام وهو ابن عمها الذي تولـــى المديـــنة من قبل العباسيين بعد ولاية أبيها، ورزقت منه: القاسم وأُم كلـــثوم ولم يعقبا. قامت مع زوجها بزيارة قبر النبي إبراهيمعليه السلام ثم قدما إلى مصر في ١٩٣هــ يوم السبت ٢٦ رمضان وعمرها ٤٨ سنة فاستقبلها أهل مصـــر رجالاً ونساءً بالخيول والهوادج في العريش لما كان لها في نفوسهم مـــن منزلة عظيمة، ونزلت في دار (جمال الدين عبدالله بن الجصاص) كبير تجار مصر ثم انتقلت إلى دار السيدة الجليلة أُم هانيء بالمصوصة في حارة بشارع الخليفة خلف مسجد شجر الدر تعرف بحارة الحسينية، ثم انتقلت إلى دار أكـــبر وهبها لها الوالي عبيدالله بن السري بن الحكم. وأقامت في مصر خمســـة عشر عاماً خدمتها ابنة أخيها (زينب بنت يحيى المتوج) وأحبها أهل مصر. وتزاحموا عليها يتعلمون منها العلوم فكان لها يومان في الأُسبوع تلتقي بالوافدين عليها في مصر وعندما طلب منها زوجها العودة إلى الحجاز رفضت ذلك؛ لأن النبيصلى الله عليه وآله أخبرها في المنام ألا تترك مصر وأنها ستتوفى فيها.

وقـــد اشـــتهرت بكـــراماتها، فقـــد زاد النيل في مياهه بدعائها حينما نقـــص[١]، وتـــردد علـــيها أئمة العلم والفقه كالإمام الشافعي الذي طلب منها

---

(١) ومـــن جملة كراماتها أنها تنبأت بوفاة الإمام الشافعي، كما أن كثيراً من اليهود الذين سكنوا بجوار منزلها أسلموا، وجعلت أميراً ظالماً يعود عن ظلمه ويُصبح خيّراً.

الدعـــاء ليشفى من المرض، وصلّت عليه عند وفاته في بيتها. وكان يزورها ويناقشها في الفقه وأصول العبادة، كما قصدها الإمام أحمد بن حنبل. وكانت تـــوزع فوراً ما يمنحونها من أموال على المحتاجين دون أن تنفق منها على نفسها.

وقـــد جـــاء أنها حفرت قبرها الشريف بيديها وقرأت فيه ١٩٠ ختمة، حيـــث توفيـــت في ٢٠٨هـــ فخيم الحزن العميق على كل دار وسمع البكاء والعويـــل واجـــتمع الناس في كل قرى مصر، واوقدوا الشموع وسُمع البكاء علـــيها من كل دار، كما ازدحموا يوم دفنها. وأراد زوجها أن يحمل جثمانها إلـــى المدينة المنورة لتدفن عند جدها الرسول صلى الله عليه وآله إلا أن أهل مصر اجتمعوا إلـــى الوالي (عبيدالله السري بن الحكم) ليمنعه ذلك، كما عرضوا عليه المال فـــرفض. فجـــاءه النبي صلى الله عليه وآله في المنام وقال لـــه: «يا إسحاق لاتعارض أهل مصـــر في نفيسة فإن الرحمة تنزل عليكم ببركتها. رد عليهم أموالهم وادفنها عندهم» فدفنت بدارها في درب السباع بحي الخليفة، بين القطائع والعسكر[(١)] وعرفت فيما بعد بكوم الجارحي. فالمسجد يقوم في الحي الذي يدعى باسمها.

وأول من بنى على قبرها الوالي (عبيدالله السري) ثم تهدم فجدد الخليفة الفاطمي المستنصربالله الضريح في ١٠٨٩م وأنشأ عليه قبة عالية. كما جدده الخليفة الحافظ لدين الله في ١١٣٨م وزاد المرافق حولها، ليتبرك بها العامة والخاصة حتى الآن.

واهـــتم بالمشـــهد أيضاً الناصر محمد بن قلاوون فجدده وأنشأ بجواره مسجداً في ١٣١٤م.

---

(١) وهما عاصمتا مصر قبل القاهرة.

أمــا الأمــير عبدالرحمن كتخدا فقد عمر المشهد وبنى الضريح على هيئته، إذ أن المشهد بعمارته الباقية من أعماله في ١٧٦٠م، كما جعل للنساء طــريقاً خاصــاً للــزيارة فــي ١١٧٣هــ وحبس عليه الأراضي الزراعية والحوانيــت للصــرف عليه. وعندما شب حريق في ١٨٩٣م، قام الخديوي عــباس حلمــي الثاني بتجديده وإعماره. وكانت الأوقاف تصرف لها الزيت والحصر والبسط، كما بلغت النذور من صناديقها ٢٥ ألف قرشاً.

وقــد دفن بجوار الضريح من جهة الشرق كثير من الخلفاء العباسيين الذين عاشوا في مصر زمن الظاهر بيبرس الملوكي.

٤ ــ مشهد السيدة آمنة (سكينة):

هــي الســيدة آمنة بنت الإمام الحسين عليه السلام. أُمها الرباب بنت امرىء القــيس بــن عدي بن أوس، سيد بني كلب. ولدت في ٤٧هــ فسميت باسم جدتها أُم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولقبت بسكينة، لأن نفوس أهلها كانت تسكن إليها لحيويتها ومــرحها. غلــب علــيها الاستغراق مع الله والتعبد لــه، فكانت عابدة تقية ورعــة، وسيدة نساء عصرها. أقامت مع أخيها الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة المنورة بعد مأساة كربلاء وتوفيت فيها في ١١٧هــ وقيل بمكة في ٥ ربيع الأول ١٢٦هــ .

تزوجها ابن عمها (عبدالله بن الحسن) الذي استشهد في كربلاء. وقيل عن وجودها في مصر، أنها قدمت مع عمتها السيدة زينب عليها السلام إلى مصر ثم عــادت إلــى المدينة بعد وفاتها ودفنت بالبقيع، ويقع ضريحها بحي الخليفة بالقاهرة بالشارع الذي سمي باسمها. أما المسجد فيرجع إلى عهد عبدالرحمن كــتخدا فــي ١١٧٣هــ/ ١٧٦٠م بناه تقرباً إلى الله من آل البيت عليهم السلام حيث سميت بيوت الله بأسمائهم أو وفاء لنذر.

٥ ـ مشهد السيدة رقية بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

كما نسبوها إلى الإمام الرضا عليه السلام استناداً إلى ما هو مكتوب على باب الضريح: بقعة شرفت بآل النبي وببنت الرضا علي رقية.

ذكـر أنه كان لها ضريح بدمشق تصدع، ولم يجدده إلا واحد من آل البيـت هـو (ابن المرتضى) الذي نزل إلى القبر ولفها في ثوب، فقد كانت صـغيرة دون الـبلوغ. ولكـن (الشعراني) عدها من أهل البيت المدفونين بمصر، في المشهد القريب من جامع دار الخليفة مع جماعة من أهل البيت، وهو معروف الآن بجامع شجر الدر، على يسار جامع السيدة نفيسة.

وقـد نقـش على المشهد: «وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً في شهر ذي القعدة ٥٢٧هـ وهـو حسـبي الله». كمـا أن هناك تابوتاً خشبياً نقش عليه بالخط الكوفي: هـذا ضريح السيدة رقية بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. أمر بعمل هذا الضريح المبارك الجهة الأميرية الكريمة في ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م. وقد أعادت بناء مسجدها ابنة الآمر بأحكام الله الفاطمي.

ودفن بجوار ضريحها العالم محمد مرتضى الزبيدي صاحب كتاب تاج العـروس وزوجته زينب، وكذلك قبر السيد علي الجعفري الصوفي والسيدة عاتكة زوجة محمد بن أبي بكر الذي قتل بمصر ودفن بها.

٦ـ مسـجد حسن الأنور بن زيد الأبلج بن الإمام الحسن السبط عليه السلام والد السيدة نفيسة:

ولد في ١٠١هـ أو ٨٣هـ وتوفي ١٨٦هـ عن عمر ٨٥ عاماً. كان عالمـاً كبيراً لـه مكانته بين آل البيت من الأشراف العلويين واشتهر بالكرم

والسخاء. تولى المدينة أيام أبي جعفر المنصور لمدة خمس سنوات[١]، حتى وشى به (ابن أبي ذوئيب)[٢] عند المنصور فسلبه أمواله وملكه، ولكنه لما عرف كذبه رد إليه اعتباره وأعاده إلى المدينة وأرسل هدية إلى ابن أبي الذوئيب دون أن يلومه أو يعاقبه.

وقيل إن المهدي أطلق سراحه[٣].

وصل عدد أولاده إلى تسعة: القاسم ــ محمد ــ علي ــ إبراهيم ــ زيد ــ عبدالله ــ يحيى ــ إسماعيل ــ إسحاق، وابنتين هما: أُم كلثوم ــ نفيسة. وأُمهم: زينب بنت الحسن، عمة الإمام الحسن عليه السلام ولقبها أُم سلمى.

وقد شيد الناصر محمد بن قلوون المسجد القديم في ٧٤٨هـ فتهدم بمرور الزمن فعمر في ١٢٨٠هـ والمسجد الحالي يقع في مكانه القديم في الميدان الذي سمي باسمه في الجيزة بمصر القديمة. ويوجد معه ضريح والده زيد الأبلج.

٧ ــ مشهد الإمام زين العابدين عليه السلام:

وهو مشهد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام الذي قيل إن رأسه قدم إلى مصر، فبنى عليه الفاطميون المشهد. وقد بلغ عمر زيد حين استشهد ٤٢ سنة في ١٢١هـ/ ٧٣٩م. وتوجد لوحة تذكارية على مدخل المسجد القديم تعرف المشهد: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا مشهد الإمام علي زين العابدين بن

---

(١) وقد تزوج أبو العباس السفاح ابنته أُم كلثوم،؟ ولذا تعاون مع العباسيين وتولى إمارة المدينة في عمر ٦٧ سنة لمدة ٦ سنوات.

(٢) كان من بين من أكرمه حسن الأنور وأعطاه، فأنكر الجميل.

(٣) وكان محمد بن إسحاق راوي السيرة النبوية من تلاميذه.

الإمام الحسين عليه السلام سنة ٥٤٩هـ».

وَعمَّر المشهد الأفضل الجمالي الوزير الفاطمي في ٥٢٥هـ، كما جدد المسجد (عثمان آغا) في ١٨٠٥م/ ١٢٢٠هـ .

وقد بنى له ولزوجته مقبرة في المسجد فتوفي في ١٢٣٩هـ وقام عبدالواحد التازي بكسروة عتب باب القبة بالقاشاني العثماني في ١٣٠٤هـ . أما في عهد الملك فاروق ١٩٤٤م فقد جدد واجهة المسجد والباب الأصلي، وأعيد تجديد الزخارف الأصلية والنصوص التاريخية. ويرجع المسجد في تاريخه إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. ويقصده الناس الآن تبركاً وخاصة يوم عاشوراء، حيث الدعاء عنده مستجاب. وعرف الحي باسمه، حيث كان حي زين العابدين يعرف باسم الحمراء القصوى.

٨ ـ جامع السيدة عائشة بنت الإمام جعفرالصادق عليه السلام أخت الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

اشتهرت بالعبادة وعدت من القانتات المجاهدات، حضرت إلى مصر وعاشت بها حتى وفاتها، وكتب على لوح على قبرها: «هذا قبر السيدة الشريفة عائشة من أولاد جعفر الصادق عليه السلام توفيت ١٤٥هـ» في نفس السنة التي جاءت فيها إلى مصر.

وحينما بنى صلاح الدين سوراً حول القاهرة، فصل قبة السيدة عن باقي القرافة، وفتح في السور باباً سمي بباب السيدة عائشة، وهو الباب المعروف بباب القرافة، أما المسجد الحالي فهو بشارع السيدة عائشة عند بداية الطريق إلى المقطم بالقلعة.

وبنى الأمير عبدالرحمن كتخدا المسجد الحالي في ١٧٦٢م. وتم تجديده في ١٨٩٦م. ومنذ ١٩٧١م اعتنت الحكومة باعادة بناء مسجدها، فخصص

مصـــلى للسيدات ومكتبة دينية ومكتب لتحفيظ القرآن، وقسم لشؤون خدمات المسجد.

٩ ــ مشهد أُم كلثوم بقرافة الإمام الشافعي:

وهـــي بنـــت القاســـم الطيب بن محمدبن جعفرالصادقعليه السلام وأُم جعفر بن موسى الكاظمعليه السلام.

كانـــت من الزاهدات العابدات، ويقع المشهد بالقرب من ضريح الإمام الشـــافعي بشارع (سيدي الشبية) ويعرف بزاويته أُم كلثوم. انتسب إليها عدد مـــن أفـــراد أُســـرتها في مصر والحجاز عرفوا بالكلثميين نسبة إلى اسمها الطاهـــر، تزوجـــت بمصـــر وصار لها أولاد دفنوا معها في مصر. وكانت وفاتها في نهاية القرن الثالث الهجري في مقابر قريش بمصر.

١٠ ــ مشهد طباطبا:

وهـــو إبراهيم بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبطعليه السلام[1].

وقـــد دفن بنفس التربة من أبنائه: الحسن الأكبر والأصغر، وعبدالله، وأحمد، والببغاء الكبير والصغير والأزرق الكبير والصغير. يقع مشهده على بعد ٥٠٠م غرب مسجد الإمام الشافعي بقرافة الإمام الشافعي.

ومن أشهر أولاده المدفونين بالمشهد: القاسم الرسّي ابن طباطبا. نسبة إلى الرس، قرية من قرى المدينة المنورة، التي نشأ بها.ويرجعها البعض إلى أحـــد بطون السادة العلويين. وفد إلى مصر أول القرن الثالث الهجري فكان أكـــثر أهـــل زمانه علماً وحديثاً. أحبه الناس، وكانت دعوته مستجابة. مات

(١) وهو الذي ذكر عنه أنه كانت في لسانه رتّة فيقلب القاف طاء.

بالرس في ٢٢٠هـ وقيل إنه دفن بمصر.

كما دفن معه في المشهد من أولاده: الإمام أحمد بن علي بن الحسن بن طباطبا، كان كريماً إلى أبعد الحدود، فتصدق بكل ما ورثه عن أبيه[١] حتى لم يبق له ما ينفق منه، فمنحه ابن طولون قرية من قرى مصر، مما زاد في روابط الصداقة بينهما، حتى إنه كان يتشفع لدى ابن طولون في قضاء حوائج الناس. وصفه ابن زولاق: بأنه كان أكثر أهل البيت الذين جاءوا مصر شفقة ورأفة وسعياً في حوائج الناس[٢].

وقد دفن معه ابنه: عبدالله بن أحمد بن طباطبا في نفس القبة. كان غنياً تصدق على الفقراء والأرامل والمحتاجين والمنقطعين كما كان صديقاً لكافور الإخشيدي، وحلم ليلة أنه زار الرسول صلى الله عليه وآله والسيدة خديجة عليها السلام والسيدة فاطمة عليها السلام والإمام علي عليه السلام والإمام الحسن والحسين عليهما السلام. توفى بمصر في ٣٤٨هـ.

ودفنت زوجته عند باب قبة والمشهد وهي: السيدة خديجة بنت محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا.

اشتهرت بالزهد والعبادة حيث سابقت زوجها إلى صلاة الليل. توفيت في ٣٢٠هـ. والشريف الطباطبا الأصغر أخوه توفي ٣٣٤هـ.

وفي المشهد أيضاً: أبو الحسن علي بن الحسن بن طباطبا المعروف بصاحب الحورية. فقد شاهد في المنام الجنة والحوريات فأُعجب بواحدة منهن، طلبت منه أن يختم القرآن مئة مرة حتى يمكن أن يعيش معها. فمات

---

(١) مدفون معه وتوفى ٢٥٥هـ.

(٢) وكان شاعراً.

بعد إتمام الختمة.

وبه كذلك: أبو محمد الحسن بن علي بن طباطبا. توفي ٣٥٤هـ ويس بن الحسن.

وأبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم: كان من أعيان القوم وشاعراً. وتوفي ٣٤٥هـ .

وكذلك: أبو القاسم يحيى بن علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسن السبط عليه السلام. كان رئيساً لمجلس القوم، ويعد من كبار العلويين.

ودفن معهم أيضاً: سهل بن أحمد البرمكي الوزير الفاطمي المحب لآل البيت عليهم السلام.

وسليمان بن علي بن عبدالله المبتلى، من خدام المشهد. توفي ٦٧٦هـ، وجمع كبير من أهل العلم والصلاح والتقوى.

١١ ــ يحيى الشبيهي بن القاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق عليه السلام:

بايع أهل الكوفة ومكة والمدينة أبوالقاسم الطيب على الخلافة، كما أيدته قزوين وطبرستان وبلاد الديلم وأرسل إلى أهل الأهواز والبصرة يبايعونه بالخلافة أيضاً، فطلبه العباسيون حياً أو ميتاً، مما جعله يسير إلى مصر مختفياً عند إسكافي.

كما فر ابنه يحيى الشبيهي إلى مصر نجاة من الظلم، حيث كان الإلتفاف حول آل البيت ومحبة وتقدير المسلمين يمثل الخطر الأكبر لدى الأمويين والعباسيين، في حين أن آل البيت لم يطمعوا في حكم أو سلطان أو جاه.

ولقب بالشبيه لشبهه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لوجود شامة بين كتفيه تشبه

خـــاتم النبوة. وقيل استقدمه أحمد بن طولون إلى مصر لتتشرف به. وأرسل إلـــيه الهدايا ليحضر مع أسرته. وأحسن الحكام والشعب استقبالهم وضيافتهم فكـــان يـــوم قدومه مشهوداً عند المصريين. حضر معه أخوه: سيدي عبدالله القاســـم، الذي دفن معه حين، توفي في ١٢ رمضان ٢٦١هـــ/ ٨٧٥م، كما دفن معه في القبة: السيدة أم الذرية زوجة القاسم الطيب، وهي من الأشراف. وأيضاً: يحيى بن الحسن الأنور أخو السيدة نفيسة، الذي توفى في ٢٨ رجب ٢٦٣هـــــ/ أبـــريل ٨٧٧م. أما عمارة المشهد فترجع إلى أيام الفاطميين في القرن السادس الهجري .

١٢ ــ جامع سيدي شبل:

هـــو سيدنا محمد بن الفضل بن العباس بن عبدالمطلب. وسمي محمد شبل الأسود، لسواد لونه من طرف أمه الحبشية. مات شهيداً في المنوفية ٤٠ هـــ ولكن يرجح أن يكون قد حضر إلى مصر في ٦٤هـــ ومات بها في ٦٥ هـــــ والجـــامع يعـــد من أهم آثار مدينة منوف القديمة، وتشتهر بها مدينة الشـــهداء، وهـــم الذين قتلوا بعد المعركة التي جرت بين أنصار ابن الزبير والمروانيين أيام مروان بن الحكم في ٦٥هـــ فسميت بالشهداء.

١٣ ــ مســـجد الشـــيخ عطية بن عزالدين بن يحيى المعروف بأبي الريش:

وينتهـــي نســـبه إلـــى إدريس بن عبدالله الحسن العلوي مؤسس دولة الأدارســـة بالمغرب. ولد عزالدين بمكة في ٣١١هـــ في عهد الخليفة المقتدر بـــالله العباســـي، وبقي فيها حتى بلغ ٧١ عاماً من العمر فرحل إلى المدينة المـــنورة فـــي عهـــد الوالـــي الحســـن بن طاهر بن مسلم أحد أحفاد الإمام الحسين عليه السلام عينه الخليفة الفاطمي العزيز بالله والياً عليها، وكان له دور كبير

فـــي وضـــع المدينة تحت يد الشيعة برغم ما أغراه العباسيون من مال وجاه لينحاز إليهم.

أمـــا الشـــيخ عطـــية فقـــد ولد بالمدينة ٣٩٤هـــ ودرس فقه المذاهب الإسلامية بجانب المذهب الشيعي، ورحل إلى مصر في عهد الخليفة الفاطمي الظاهـــر، فتوجه إلى الشرقية، وتنقل أيام بدر الجمالي الوزير من مدينة إلى أُخـــرى حـــتى استقر بدمنهور، فتوفي بها ٤٨٤هـــ وقد دفن في قبره ولداه: محمد شمس الدين قضيب، ومحمد الشبلي.

وتوجد الآن بالقرب من بلبيس خلوة تعرف باسم خلوة أبو الريش.

١٤ ــ جامع سيدي إبراهيم أو مسجد تبر:

فقد تعددت أسماؤه، فعرف قديماً بمسجد التبر والجميزة والتبريز. كما ســـماه العامة بمسجد التبن. أما سيدي إبراهيم فهو: إبراهيم الجواد بن عبدالله الملقب بالكامل بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبطعليه السلام. قتله المنصور العباسي في ١٤٥هـــ عن عمر ٤٨ سنة، فأرسل رأسه إلى مصر فنصبت في جـــامع عمرو بن العاص، فسرقه أهل مصر ودفنوه في مسجد تبر. وقيل إن ابـــن أبـــي المكارم هو الذي حمل رأسه الشريف إلى مصر. وقد تحقق انه إبراهـــيم بـــن عبدالله المحض أخو محمد المهدي الذي بايعه الإمام أبوحنيفة وأفتى بالخروج معه.

أما تبر فهو أحد الأُمراء أيام كافور الاخشيدي، والمسجد الآن بالمطرية بشارع البرنس (ماهر) يعرف بجامع سيدي إبراهيم، يزور العامة ضريحه. وكانت المطرية منطقة مهجورة في ذلك الوقت وبعيدة عن العاصمة.

١٥ ــ مسجد خضرة الشريفة:

ويرجح أن تكون إحدى أفراد آل البيتعليهم السلام الذين قدموا إلى مصر قبل

قيام الدولة الفاطمية، ويقع المسجد في القرافة الكبرى جنوب شرقي الفسطاط، شيدته السيدة تغريد زوجة المعز لدين الله الفاطمي وأم العزيز بالله في ٣٦٦ هـ، كما أنها أقامت جامعها المعروف باسم جامع الأولياء إلى جوار المسجد. كما بنى عليها (عبدالله بن مانع) قبة وألحق بها مسجداً عرف بمسجد القبة.

١٦ ـ جامع إبراهيم الدسوقي:

العارف بالله سيدي إبراهيم بن عبدالعزيز أبي المجد بن قريش بن محمد بن أبي النجاء بن زين العابدين بن محمد الطيب بن عبدالله الكاظم بن أبي القاسم بن جعفر الزكي بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا عليه السلام.

أُمه: السيدة فاطمة بنت عبدالله بن الجبار، أُخت قطب المتصوفة أبي الحسن الشاذلي. فيتصل نسبه مع أحمد البدوي عند جعفر الزكي بن علي الهادي عليه السلام الجد العاشر لهما.

ولد بقرية دسوق بمحافظة كفر الشيخ في ٣٠ شعبان ٦٥٣هـ، ودرس العلوم والدين لمدة ٢٣سنة، وتكلم بجميع اللغات منها السريانية والعبرية، واشتهر بمحاضراته القدسية والعلوم الدينية، وأنه شيخ الطائفة البرهامية، حفظ القرآن والحديث وكتب الفقه والتفسير ودخل الخلوة في عمر الخامسة ثم كثر مريدوه. فترك ميراثاً كبيراً في الكتب ترجم بعضه عدد من المستشرقين.

عرف بالشجاعة والجرأة لايخاف الحكام والسلاطين، فقد بعث برسالة إلى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون المملوكي يلومه على ظلمه للشعب فأمره بالقدوم إليه فرفض، فتوجه إليه السلطان معتذراً لخشونة سلوكه معه. كما أن الظاهر بيبرس قربه إليه وعينه شيخاً للإسلام. وعينه الملك الكامل الأيوبي شيخاً للإسلام دون أن يقبل بأجر، بل وزعه على فقراء المسلمين.

توفي ٦٩٦هــ عن عمر ٤٣ سنة. وشُيّد على مقبرته ضريح تعلوه قبة ومسجد، أوقفت عليه بعض الأوقاف بعض الأملاك للإنفاق عليه وعلى الطلبة الدارسين فيه. أما عمارة المسجد الحالي فترجع إلى القرن التاسع عشر الميلادي. حيث يتبع الأزهر(١).

١٧ ــ جامع الرفاعي:

وهو الإمام أحمد الرفاعي بن صالح أحمد محيي الدين بن العباس، المعروف بالرفاعي، وينسب إلى العلويين، فقد كان يرجع إلى الإمام الحسين عليه السلام من ناحية أبيه، وإلى الإمام الحسن عليه السلام من ناحية أُمه. ولقب بالرفاعي نسبة إلى جده السابع رفاعة واسمه الحسن، رحل إلى المغرب هرباً من اضطهاد العباسيين، ثم رجع إلى المشرق حاجاً ثم أقام بالبصرة وتزوج بها فأنجب أبو الحسن الرفاعي والإمام أحمد الرفاعي الكبير. فقد ولد بالعراق في ٥١٢هــ زمن الخليفة المستظهر بالله العباسي في بيت خاله الشيخ منصور البطائحي، الذي كان من أهل الهدى والدين. وقد رأى خاله في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله يبشره بأحمد الذي سيكون رأس الأولياء. فهو أحد السادات الأشراف الأربعة: عبدالقادر الجيلي، أحمد البدوي، إبراهيم الدسوقي، وينتهي نسبهم إلى الإمام الحسين عليه السلام ماعدا سيدي عبدالقادر فينتهي إلى الإمام الحسن عليه السلام. تزوج السيدة خديجة بنت ابن أخي خاله الشيخ منصور وأنجب منها: فاطمة وزينب. وتزوج بعدها أختها رابعة فأنجب منها صالح.

وقد تبعه مئات الآلاف من مريديه وزادوا فانتشروا في بقاع العالم

---

(١) ودفن أخوه الإمام العتريس في مواجهة ضريح السيدة زينب عليها السلام، وكان إخوته عشرة. وكان ملازماً لمسجد السيدة زينب، فقد درس فيه حتى أصبح إماماً للمسجد. وأوصى بأن يدفن بجوارها.

الإسلامي، كما ترك تراثاً فكرياً إسلامياً في معارف فروع الإسلام. توفي بالعراق في ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م.

أما في مصر فقد دفن الرفاعي المعروف بالشيخ علي أبي شباك بن الإمام أحمد الصياد حفيد الرفاعي الكبير، جاء إلى مصر في ٦٨٣هـ أو ٨٦٣هـ وتزوج من بنات أحد امراء المماليك، وأسس طريقة جده الرفاعية في مصر.

١٨ ـ جامع السيد أحمد البدوي:

السيد أحمد البدوي: أبو فراج وأبو العباس وأبو الفتيان بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن عمر بن علي بن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن علي بن محمد بن حسن بن جعفر بن الإمام علي الهادي عليه السلام.

وأمه: السيدة فاطمة بنت محمد بن أحمد الشريف وهو حسيني.

ولد بفاس في ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م، وقدمت أسرته إلى الحجاز ثم رحلوا إلى العراق، فدرس على علمائها. وقام مع أخيه حسن بزيارة المشاهد المقدسة في الكاظمين، ثم قدم إلى مصر واستقر بطنطا لنشر دعوته وطريقته في ٦٣٧هـ أيام الأيوبيين. فهو صاحب مدرسة تخرج منها الألاف حملوا لواء الدعوة والجهاد في سبيل الله، فقد خلق بها رجالا تمكنوا من صد جيش لويس التاسع في حملته على مصر، فأزال الصفة المسيحية عن طنطا لتصبح إشعاعاً للإسلام، وهو صاحب الطريقة الأحمدية القطب الملثم. وطريقته أكبر الطرق الصوفية في العالم وهي طريقة أخلاقية، فقد أوصى السيد مريديه بالحلم والسخاء والعلم والشفقة والصبر والتقوى ومعرفة الله ومراعاة أوامره والتمسك بسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ودوام الطهارة والرضا عن الله في كل حال،

واليقيــن بما عند الله وتحمل الأذى والتواضع والعلم بأُمور الشيطان، توفي سنة ٦٧٥هـــ.

أمــا مســجده فقد قام السلطان قايتباي المملوكي بتوسعته في ٩٠١هـــ وكذلــك علي بك الكبير الذي أقام عليه القباب وأوقف له الأراضي الزراعية بولاية الأشمونين وفي طنطا، إضافة إلى عمائر ووكالات أعطت ريعاً سنوياً كبــيراً. كمــا تحــول المسجد إلى جامع علمي على نمط الجامع الأزهر في عصر علي بك الكبير، درست فيه العلوم الدينية واللغوية، وعين لذلك الفقهاء والمدرسون والمعيدون تحت إشراف شيخ الجامع الأحمدي. إلا أنه في نهاية القــرن الثامن عشر الميلادي سلب الفرنسيون الضريح بمحتوياته من الذهب والحلي الذهبية، فاعتنى محمد علي باشا بالمسجد والمعهد الأحمدي ورعاه.

كمــا أن عــباس الأول شــيد جامعاً جديداً، جدد في أيام عباس الثاني ١٩٠٢م. واهــتم أيضاً الملك فؤاد بتبعيد الطرق الموصلة إلى الجامع وأقام سوراً جديداً حول الحجر الأسود لمنع الزائرين من تقبيله.

ووصــلت أعداد الدارسين في الجامع الأحمدي إلى ألفين تحت إشراف الجامع الأزهر كباقي المعاهد الدينية، كما زاد عدد زواره سنة بعد سنة تبركاً به وتقرباً إلى الله تعالى. وأصبحت أوقافه كثيرة لايحصيها إلا الدفاتر.

١٩ ــ محمد بن الحسين بن حمزة بن عبدالله:

ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين عليه السلام واشتهر بين المصريين باسم ساعي الــبحر أبــي الشفقة، أو الشريف المكي، جاء إلى مصر في العهد الطولوني فــراراً من العباسيين، وتوفي ٢٦٢ أو ٣٣٠هـــ فدفن في مصر القديمة في شارع يعرف باسمه، وهو شارع ساعي البحر، وبه مسجد فيه ضريحه. وقد ســمي باسمه؛ لانه دعا للنيل حين توقف عن الفيضان ليفرج الكرب ويكشف

الغمة ففاض النيل.

٢٠ ـ مرزوق اليماني:

وهو حسيني ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين عليه السلام. جاء إلى مصر مجاهداً في سبيل الله لمحاربة الصليبيين، فعينه الكامل الأيوبي مشرفاً على المدرسة الكاملية بالجمالية، وتولي قيادة المحمل حتى وفاته، وبقي ذلك في ذريته أجيالا حتى توقف المحمل، وهو من مواليد اليمن ٦٠٤هـ، وتوفي بمصر ٦٧٧هـ، عاش بحيّ الجمالية بالقاهرة.

٢١ ـ أبو العلاء الحسيني سلطان العلماء:

جاء من مكة التي ولد فيها إلى مصر وعاش ١٢٠ عاماً. ينتسب إلى آل البيت من أحفاد الإمام علي عليه السلام مكث أربعين سنة للعبادة. ولد في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري وتوفي ٨٩٠ أو ٨٩٥هـ واسمه المسجل على ضريحه هو: الحسين أبو علي حتى ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين عليه السلام وكانت بولاق هي المنطقة التي عاش فيها في خلوته. ودفن بضريحه الموجود بمسجده ببولاق.

وفي كل عام يقام له مولد يفد إليه المريدون من أقاليم مصر تقديراً له ولمكانته السامية في نفوسهم.

وهناك عدة أضرحة أُخرى بمصر متوزعة في أنحائها ترجع إلى البيت النبوي الكريم. مثل: ضريح السبع بنات في الفسطاط أُقيم في ٤٠٠هـ، كما أنه في أسوان مجموعة كبيرة من الأضرحة ذات قباب ترجع إلى العصر الفاطمي في القرن الخامس الهجري، حيث كان المذهب الشيعي قد انتشر بالصعيد واستمر حتى العصر المملوكي، فيوجد في (إسنا) المسجد العمري الذي شيد في العصر الفاطمي ٤٦٩هـ وعمره بدر الجمالي.

وهـــناك الجـــامع الذي بناه الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي سمي جامع الحـــاكم أو الجامع الأنور، وبدء في انشائه في رمضان ٣٨٠هــ وانتهى في رمضان ٣٨١هــ .

كمـــا أن الحـــاكم حصــــل على حصير الإمام الصادقعليه السلام عندما فتح دارهعليه السلام وهو سجادة لطيفة اعتبرها الفاطميون سجادة معظمة.

وقـــد تردد في العرض السابق للمزارات والقبور المتوافرة في مصر، أسماء كل من: الملك الصالح طلائع بن رزيك، وعبدالرحمن كتخدا بن الأمير عــثمان كتخدا، تابع حسن جاويش الفازدوغلي، وهما ممن اعتنى بالأضرحة والمساجد المرفقة بها والخاصة بأفراد أهل البيتعليهم السلام .

فـــالملك الصـــالح طلائـــع، تولـــى الوزارة في ٥٤٩هــ خلال الدولة الفاطمـــية، حيـــن قتل الخليفة الظافر، فأرسلت النساء والخدم في القصر إليه يســـتنجدون به، مرفقان شعورهن طيّ الكتاب، فدخل القاهرة بأعلام وثياب سوداء حزناً على الظافر، ووضع الشعور على الرماح.

وهـــو شيعي إمامي، زار مشهد الإمام عليعليه السلام بالنجف ورأى بالمنام الإمـــام يخبره بتولية أمر مصر فقد ذكر المقريزي أن الإمامعليه السلام أخبر: «بأن طلائع بن رزّيك من أكبر محبينا، فقل له اذهب فإنا قد ولّيناك مصر». وهو مـــاحدث حيـــنما دخل القاهرة وأصبح وزيراً للخليفة الفاطمي الظافر والفائز والعاضد.

وقـــد اعتنى بالمقدسات الإسلامية، فكان يحمل إلى الحرمين الشريفين وأهلهما والأشراف، ما يحتاجون من الكسوة والمؤن وغيرها، كما حمل إلى العلوييـــن فـــي مشـــاهد الكاظميـــن والـــنجف وكربلاء ومشهد، الكثير من الإحتـــياجات. كمـــا اعتنى بتعمير الجامع الأزهر وزاد في مساحته وأضاف

أروقـة إلى المحراب وعمل فيه مدفناً له، وزاد في مرتبات الأزهريين وفي كميات الخبز، ورتب الطعام في رمضان وقت الإفطار.

وجدد المشهد الحسيني والزينبي ونفيسة وسكينة، وبنى جامعاً له خارج بـاب زويلـة في ٥٥٥هـ ليدفن فيه رأس الإمام الحسين عليه السلام إلا أن الخليفة منعه من ذلك. وقد كتب على الواجهة الغربية من جامعه النص التالي: (أمر بإنشـاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة: السيد الأجل الملك الصالح فـي ٥٥٥هـ والحمـد لله وصل الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسـلين وعلـى أمـير المؤمنيـن علـي بن أبي طالب أفضل الوصيين وعلـى ولديـه الطاهريـن أبـي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين، وعلى الأئمـة مـن ذريـتهم أجمعين، وسلم وشرف وكرم وعظم إلى يوم الدين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الـزكاة وكـانوا لـنا عابدين. رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد).

وكـان طلائع عالماً أديباً وشاعراً، يفضل أهل العلم عنده ويجزل لهم العطـاء، وصـف (بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين). كما كان مدبـراً بارعاً يحسن السياسة والإدارة ويتقنها. وجاهد الصليبيين مدة حكمه بحـراً وبـراً، ويعود إليه الفضل في نشر التشيع في جنوب مصر بالصعيد وأنحـاء أُخرى. وهناك حارة في مصر وهي حارة الصالحيين سمّيت باسمه تقع بين المشهد الحسيني وبين البرقية.

أمـا نهايـة حـياته فشبهت بنهاية حياة الإمام علي عليه السلام حيث قتل في ٥٥٦هـ بأمر من عمه الخليفة العاضد وبتدبير مؤامرة، فضرب بالليل يوم

١٩ رمضان يوم الإثنين[١]. وكان قد أوصى بالوزارة لإبنه رزيك الذي لقب بالعادل فأحسن الإدارة والوزارة[٢].

أما الأمير عبدالرحمن كتخدا، فقد عين كتخدا مصر أي وزيراً مفوضاً لمـــدة سنتين، فأبطل المنكرات وتصدق على الفقراء واهتم ببيوت الله خاصة مزارات أهل البيت. كان خبيراً في شؤون الهندسة والعمارة فأنشأ العديد من القـــناطر والمســـاجد والأســـبلة والأسواق في مدينة القاهرة. وجدد المشهد الحسيني في ١٨٦١م. وهو من كبار المماليك في مصر العثمانية، ومن أكبر مـــن اهـــتم بالجامع الأزهر على طول العصور الماضية فاقترن اسمه دائماً باســـم الجـــامع الأزهر، فهو أكثر الأمراء والسلاطين شهرة وأعلاهم مكانة وأعمهـــم نفعاً وأشدهم اخلاصاً وحباً لعمارة بيوت الله، أوقف نفسه وجهوده ومالـــه على النفع العام، فأقام بيوت الله وعمرها، وعمل على تجميل الأزهر في شتى نواحيه وتأثيثه، فقام في ١١٦٧هـــ/ ١٧٥٣م بترميم مبانيه وإضافة زيـــادات كثيرة شملت بيت الصلاة الأصلي، فأصبح بيت صلاة الأزهر من أكبر بيوت الصلاة في مساجد مصر. وأنشأ غرفة خصصها لتحفيظ الصبيان القـــرآن، كما أعد ضريحاً لـــه داخل الرحبة، وأنشأ الباب الرئيسي للأزهر المعروف بباب المزينين، وبنى مئذنتين من خمسة مآذن.

وفي الجانب السياسي كانت له القوة والمكانة العظيمة حين وصل علي بـــك الكبير إلى مكان الصدارة بفضل معونة عبد الرحمن كتخدا الفازدوغلي

---

(١) ولد في ٤٩٥هـــ ويقع قبره في الجهة الغربية من جامع الأولياء في القرافة الكبرى.

(٢) ولـــي طلائع، أمر الصعيد لشاور الذي قتل العادل بعد ذلك وصار وزيراً تلقب بأمير الجيوش، وأخذ أموال بني رزيك وذخائرهم في ٥٥٨هـــ .

الــذي أصــبح أعظــم وأحضــر أو أحب أمراء المماليك إلى قلوب الشعب المصري.

ودفن بمدفن أنشأه بنفسه في ١١٥٥هـ/ ١٧٣٩م.

ثانياً: في الشام:

حيث يقع مسجد وضريح ومقام السيدة زينب على بعد عدة كيلومترات مــن دمشــق العاصمة، وذكر أنها السيدة زينب بنت الإمام علي عليه السلام وأخت الإمــام الحســين عليه السلام إلا أن الوثائق تؤكد أنها مدفونة بمصر، وأن المدفونه بالشام هي زينب الصغرى بنت الإمام الحسين عليه السلام.

وقــد اعتنى بالمشهد والمسجد عدد كبير من المسلمين، ففي ١٣٠٢هـ قــام السلطان العثماني عبدالعزيز بإعادة بناء قبة المقام بالاشتراك مع بعض التجار، فتمت توسعة وكسوة سقفه وجدرانه بتزيينات ونقوش من المرايا وفق تصميم هندسي جميل. كما تبرع أحد تجار الخليج باكساء المأذنين بالقيشاني، وأهــدى تاجر باكستاني قفصاً فضياً ثميناً للمقام وضعه فوق القبر الشريف. كما أن الضريح أُهدي من الشعب الإيراني، مصنوع من الأبنوس وموازييك والعــاج ومطعــم بخيوط الذهب. كما يحتوي المقام على العديد من النفائس الموقوفــة، كالســجادات الثمينة والثريات الكريستال الفخمة إضافة إلى التاج الذهبي الموضوع فوق الضريح.

وقــد أُلحق بالمقام مستوصف خيري ومدفن ومسلخ لذبح المواشي من نذور وهبات.

وكذلك تتوافر في الشام مقامات عدة لآل البيت عليهم السلام وبخاصة في مقبرة «باب الصغير»، من أشهرها:

ــ ضـــريح السيدة أُم سلمة زوجة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والسيدة أُم حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ــ ضريح السيدة حميدة بنت مسلم بن عقيل عليه السلام.

ــ ضريح السيدة ميمونة بنت الإمام الحسن عليه السلام.

ــ ضريح السيدة أسماء زوجة جعفر الطيار عليه السلام.

ــ ضريح عبدالله بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

ــ ضريح السيدة فضة جارية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

ــ ضريح عبدالله بن جعفر الطيار عليه السلام.

ــ ضريح السيدة فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين عليه السلام.

الفصل الرابع

الجوانب السياسية والإجتماعية والإقتصادية والعلمية للمراكز والعتبات المقدسة، وآثارها في المجتمع الإسلامي

أولاً: الجانب الإقتصادي والإجتماعي

تتنوع أنماط السياحة في العالم، وتبرز السياحة الدينية من بينها، حيث يــزداد عــدد السياح في مواسم معينة معروفة، أو مناسبات ذات طابع ديني كالحج والعمرة والأماكن المقدسة الأُخرى في العراق وإيران ومصر والشام، فقــد اعتــبرت زيــارة تلك الأماكن من أكثر أنواع السياحة أثارة واتصالا بالافــراد؛ لأنهــا ترتبط بالجانب الروحي لديهم، بالاضافة الى أنهم يعتزون بمقدساتهم الدينية ويحترمونها مما يجعلهم يسرعون إلى زيارتها بالسفر إليها كلمــا واتــتهم الفرصة. فمنذ أن وجد الإنسان، أعطى الآثار الدينية والمعابد اهتماماً وقدسية مميزة، فهي بجانب مكانتها الدينية للعبادة، تعتبر خير مورد اقتصــادي للأفراد والدولة، وخاصة عندما يتقاطر الناس جماعات على تلك الأماكــن فــي مواسم معينه أو في كل وقت، مما يعني أنها لم تصبح سياحة موسمية، بل دائمة طوال العام، الأمر الذي يؤدي إلى امتلاء الفنادق وانتعاش الحركة التجارية والتسوق، واستخدام وسائل النقل، ورواج المطاعم والمقاهي والمنــتزهات والمرافق الأُخرى، مما يعني انتعاش الحالة الاقتصادية للأفراد والدولــة. لقــد أدى ذلــك إلى اهتمام الدول والحكومات على تلك الأضرحة والقــبور والمحافظة عليها والاعتناء بها، وكذلك بالمدن التي توجد فيها تلك المزارات، وتوفير المرافق اللازمة للزوار والإعتناء بهم، بتيسير الوسائل لهم

وتسهيل كل إجراء لهم، حتى يتم تحقيق ما قدموا لأجله دون مضايقات أو شعور بالآلام.

لقد عُدت هذه الزيارات للقبور والمساجد مغريات تاريخية، وعنصراً هاماً من عناصر الجذب السياحي، وعاملا خالداً لايفنى، إذ إنها تبرز وتعنى بشخصيات هامة ذات شهرة معينة أثرت في حياة الأفراد والدول في يوم ما، ولذلك دخلت ضمن الآثار الخالدة التي تروي قصة الحضارة والتاريخ الإنساني، وتحكي قصصاً عن شعوب وأُمم ودول وحكومات وامبراطوريات وأحداث وحروب، وجوانب ثقافية وعلمية، يقف أمامها المعاصرون معجبين بعظمتهم وإبداعهم وفكرهم ونشاطهم اللامحدود.

إن الاهتمام الذي يمنحه العالم للمراقد والقبور والأماكن الدينية ليس مقصوراً على العالم الإسلامي فحسب، بل إن الغرب المسيحي يعطي الاعتناء الكبير لمقدساته منذ القدم، فضلا عن أنه يقدم احترامه للمقدسات الدينية الخاصة بالمذاهب والأديان الأُخرى المتوفرة في أرضه. ونحن لاننسى تلك الحروب الطويلة التي انشغل بها العالم المسيحي والمعروفة بالصليبية، للإستيلاء على الأماكن المقدسة والآثار الدينية الخاصة بهم في الشام والتي استمرت قرنين من الزمان، أما في الوقت الحاضر فإن شعوب الغرب تتحرك لزيارة تلك الأماكن بجانب الفاتيكان والمدن الأُخرى في اليونان وأسبانيا والشرق الإسلامي.

كان كل ذلك مؤشراً قوياً يدعو إلى الإهتمام بتلك الأماكن المقدسة والاعتناء بها والحفاظ عليها، فهي تعد كنوزاً فريدة وموردأً أساسياً وكاملا مهماً من عوامل الجذب السياحي الذي ينعش اقتصاديات الدول والأفراد.

في العراق:

وبالنســبة للعتبات المقدسة في العراق وأثرها الإقتصادي، فإن القنصل الفرنســي (مســيوفو نتانييه) الذي زار النجف في ١٨٨٤م. ذكر أن الأفراد الذيــن يــزورون ضريح الإمام علي عليه السلام سنوياً بلغت أعدادهم إلى مئة ألف أجنبــي كما ذكر الرحّالة الانجليزي (لوفتس) في ١٨٥٣م أن زوار وصلت أعدادهم الى ثمانين ألفا في العام، كما أن نقل الجثث إلى النجف من أطراف العــالم الإسلامي، كان من أهم الموارد الاقتصادية والمالية للدولة والأفراد، فقــد وصل المبلغ الذي حصل منها في العهد العثماني إلى عشرين ألف جنيه استرليني سنوياً من داخل العراق وخارجها، فقد بلغ عدد ما وصل من إيران مــن جثــث ٥٣٠٠ جثة في المتوسط، كما أن عدد الجنائز التي دفنت هناك خــلال عام ١٨٥٣م تراوح ما بين ٥٠٠٠ و ٨٠٠٠ جنازة في السنة، أخذت مــنها الرسوم والأُجور ما بين عشرة ومائتي تومان، وهو ما يساوي خمسة إلــى مــئة جنيه استرليني. وقد اشترك في نقل الجنائز عدة تجار ووسطاء ووكــلاء اســتغلوها تجارة رابحة، فكانوا يسافرون الى إيران لجمع الجنائز ونقلهــا إلــى العتــبات المقدسة، حتى ان تاجراً يهودياً حصل من بغداد في ١٩١٤م علــى امتياز لذلك لمدة ثلاث سنوات، فدفع ١٣ ألف ليرة تركية ــ ١١ ألف جنيه في سبيل ذلك. وفي عام ١٩٢٣م تعاقدت الوزارة على رسوم الدفــن مــع تاجــر ســني في بغداد دفع ثمانين ألف روبية ــ ٥٣٣٣ جنيه للحصول على امتياز النقل وعندما كانت بعض الحكومات مثل الهند وإيران تمــنع نقل الموتى بسبب الاوبئه والأمراض والحروب، فإن الحكومة التركية كانــت تشجع بالسماح لنقل الجثث على مسؤوليتها الخاصة، حيث رأت فيها

تجارة رابحة ذات دخل كبير للدولة[١].

وقد عمل الأتراك بمراقبة عمليات النقل بدقة وخاصة أنهم كانوا يفرضون عليها رسوماً عند الحدود، فصدر قانون نقل الجنائز في ١٩٢٤م وعمل به دون أن يحصل منه ما يعكر المناخ الاجتماعي أو يؤثر على الصحة العامة

وفي تقرير خاص قدمته الحكومة البريطانية إلى عُصبة الأُمم في ١٩٣١م تناول الاحوال الصحية في العراق، جاء فيه: أنه لابد من تنظيم دفن الجنائز والإشراف عليه في المدن المقدسة الأربع. حيث بلغ عدد ما يدفن سنوياً عشرين ألف جنازة، تأتي جنائز ١٢ ألف منها من الخارج وبخاصة من إيران.

أما عن الزوار فقد بلغ عددهم ١٥٠ ألف في العصر العثماني، كما بلغ عدد القادمين من إيران في أواخر القرن ١٩ مئة ألف أنفقوا ٤٢٥٠٠٠٠ تومان وهو ما يعادل مليون وسبعين ألف جنيه استرليني. وفي عام ١٩١٨م قدر تقرير بريطاني أن ما تتلقاه النجف من هبات خيرية وأوقاف من إيران يمكن أن يحقق دخلا سنوياً يقترب من مليون جنيه استرليني، وهو ما يؤكد أهمية الأضرحة المقدسة اقتصادياً، إذ إن الأعداد الوافرة من الزوار ساعدت في غنى الأفراد ورخاء المدينة وغناها في تلك الايام.

وكذلك في الهند، فقد شجع ملوكهم الاعتناء بالمشاهد المقدسة، فقام (غازي الدين حيدر) ملك أودة في ١٨١٩م بمنح الانجليز قرضاً قدره عشرة ملايين روبية بفائدة قدرها ٥% على أن تصرف الفوائد سنوياً على بعض

---

(١) خليل حيدر: العمامة والصولجان، ص ١٥٩.

الأهالـــي والمجتهدين والفقهاء في النجف وكربلاء بحد أقصى ١٥٥١٢ جنيه استرليني، وقد اشتهرت هذه الهبات بخيرية عوض دفعت ابتداء من ١٨٥٢م. عـــن طـــريق المقيم السياسي البريطاني في بغداد وبإشراف المرجع الديني مرتضى الأنصاري. وكذلك أوقف ملوك أودة الاخرون مبالغ كبيرة لتوزيعها على المستحقين في كربلاء والنجف، إذ استثمروا ثلاثة ملايين ونصف مليون جنـــيه استرليني في قروض حكومية تصرف على العتبات المقدسة في مكة والمدينة بالإضافة إلى النجف وكربلاء.

أما عن السكان وازدياد أعدادهم بعد إنشاء المدن حول القبور والمشاهد الكـــريمة، فقـــد زادت الأعـــداد سنة بعد سنة وفترة بعد اُخرى، فقد بلغ عدد سكان كربلاء حسب إحصاء ١٩١٩م ثمانين ألف فرد، وسكنتها جالية كبيرة من الإيرانيين، حتى إن كثيراً من العراقيين حمل الجنسية الإيرانية هرباً من التجنـــيد الإلزامـــي العثماني، ولذا كان طابع المدينة فارسياً حيث بلغت نسبة أفـــرادهم ٧٥% مـــن ســـكانها، وكذلك النجف فقد أصبح ثلث السكان منهم، وعندما أصدرت الحكومة العراقية قانون الجنسية عام ١٩٢٤م إتخذ الانجليز موقفـــاً معاديـــاً للنفوذ الإيراني في كربلاء، فانحدرت نسبة الفرس فيها إلى ١٢% عام ١٩٥٧م.

وقـــد تـــناول الكاتـــب الامريكي (جورج هاريس) الأحوال العامة في العـــراق والأجانب على الخصوص في ١٩٥٨م فذكر أن حوالي ألف أفغاني شيعي يعيشون في النجف والكاظمين، يتصلون بالجالية الإيرانية لغة وعقيدة، وأن الســـلطات السنية تعمل كثيراً على مضايقة الشيعة عن طريق الابتزاز ووضـــع العراقـــيل فـــي المحجر الصحي، والتأشيرات والجوازات، كما أن أصـــحاب الخانـــات والحماليـــن العاملين بالطرق الممتدة بين المدن المقدسة

يتعسفون في معاملتهم، وكذلك بالعاملين بالعتبات نفسها.

وعن حضارة العراق وعدد سكانها قال: إن عدد السكان في كربلاء كان من البدو في ١٩٤٧م بلغوا ٢٥٠ ألفاً في العراق كلها أقام نصفهم في كربلاء، وهم من قبائل عنزة.

وكان السكان قد بلغ عددهم في ١٩١١م ستين ألفاً من العرب وعدد من الإيرانيين والهنود والمسلمين وبعض اليهود، أما الأتراك فكانوا الموظفين العاملين هناك.

وقد انتعشت كربلاء اقتصادياً وزادت رخاء وثروة نتيجة العدد الهائل من الزوار للضريح الشريف حتى أصبحت نقطة انطلاق لقوافل الزوار الفرس المتجهين إلى النجف وإلى مكة. كما أن النجف وكربلاء تميزتا كمركز لتموين قبيلة شمر من آل رشيد بالحبوب ومواد التموين الأُخرى، بالرغم من أن كربلاء كانت ميناءً صحراوياً، إلا أنها تمتعت كمركز للتجارة الداخلية مع البلاد العربية المجاورة.

أما الكاظمين فقد اشتهرت بأسواقها الكبيرة مثل سوق (الاسترابادي) في ١٣٣٩هـ التي أوجدت بها الحمامات المتنوعة والمساجد والخانات. كما قدم إليها الكثير من الأفراد الشيعة فاشتركوا في بناء البيوت، ولاذوا بقبر الإمام عليه السلام حتى بلغت البيوت حوالي ثلاثة آلاف بيت، و جاء في رحلة (الأديب الملك) في ١٢٧٣هـ أن زوار الإمامين بلغ عددهم ما بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ رجل وامرأة كل يوم سبت في بغداد، كما ذكر في دليل المملكة العراقية سنة ١٩٣٥م أن زوارهما بلغ عشرات الآلاف سنوياً وأن عدد أفراد المدينة وصل إلى ٤٢٢٧٢ من المواطنين و ٦٤٠٤ من الأجانب، كما بلغ عدد الدور والقصور بها ٤٢٦٤ والاكواخ والصرائف وبيوت الشعر ٩٧٩.

أما إحصاء ١٩٤٧م، فقد أعلن أن عدد سكانها بلغ أكثر من ١١٥ ألف نسمة.

وفي سامراء التي أنشأها المعتصم في ٢٢١هـ فإنها انتهت كعاصمة للدولة العباسية في ٢٧٩هـ/ ٨٧٠م. مستمرة ٥٥ سنة، مما أدى إلى التقليل من شأنها منذ ذلك الوقت إلى نهاية الدولة العباسية، لولا وجود ضريح الإمامين العسكريين عليهما السلام بها، الذي أدى إلى زيارة الوفود إليها، وكثرة أعداد الزوار إليها، وبذا فإن بقاءها ووجودها منتعشة إلى اليوم كمدينة مهمة يرجع إلى وجود العتبات المقدسة بها. وقد بنى سكان الشيعة حولهما العمارات وأنشأوا الدور والمنازل، فاستمر عمرانها إلى ما بعد انحلال الدولة العباسية، أما في العهد التركي فقد أصبحت سامراء مركز قضاء أيام الوالي مدحت باشا، وسكنها معظم العشائر المحيطة بها، وادعى أكثرهم السيادة على أنهم من نسل الإمامين عليهما السلام مما ساعدهم في العيش على الزوار القادمين من إيران والهند وأفغانستان، وعندما كان يقل عددهم يتوجه الأهالي إلى العمل بالزراعة والتجارة، مما جعل مستوى المعيشة يرتفع لديهم حتى أصبحوا يشربون المياه من الحنفيات بدل السقائين، كما استخدموا الكهرباء في الإنارة، ومر بها قطار الشرق السريع القادم من أوروبا.

ومن أشهر من زارها من الأجانب (فيلكس جونز) من رجال البحرية البريطانية، وذكر أن عدد زوار الإمامين عليهما السلام بلغ حوالي عشرة آلاف زائر في عام ١٨٤٦م. مؤكداً أن هذا العدد قليل بالرغم من عدم فرض أية ضرائب عليهم، إلا أن أصحاب الفنادق والبيوت التي كان يقيم بها الزوار، كانوا يدفعون قرشين إلى الحكومة عن كل زائر، مما كان يساهم بالكثير في ميزانية الدولة التي انخفضت بسبب سياسة الولاة التعسفية.

أما عن الرحالة العرب الذين قدموا لزيارتها فقد اشتهر (السيد محمد

بن السيد أحمد الحسيني المنشي البغدادي) في ١٨٢٢م مشيراً أن عدد الزوار بلــغ ثلاثين ألفاً في السنة. وفي الإحصاءات الأخيرة ذكر أن عدد سكانها بلغ مــن المواطنيــن ٦٤٩٠٤ عام ١٩٤٧م دون احتساب الأجانب، كما أصبح مجموع العشائر التي سكنتها في ١٩٥٧م ١٥ ألف عشيرة.

أمــا فــي العهــد الملكــي فقــد توســعت طرقاتها أيام الملك فيصل الأول ١٣٤١هــــ وفــي عهد الملك غازي الأول ١٣٥٢هـــ والملك فيصل الثانــي ١٣٠٦هــــ حيث نورت الروضة بالكهرباء ووصل إليها الماء في ١٣٤٣هــ .

وقــد ذكر الرحالة الدنمركي نيبور في ١٧٦٥م أن عدد زوار العتبات المقدســة في السنة بلغ حوالي خمسة آلآف زائر، مع الاعتبار لمشقة السفر وظــروفه الســيئة فــي ذلــك الوقت، كما أن عدداً من طلاب العلم قصدها فأصبحت مورداً للعلوم الجعفرية، برز منها العلماء.

ويمكن أن نؤكد على مدى ماتقدمه المزارات من قوة اقتصادية للبلاد، إذا علمــنا مــا حــدث للعثمانييــن حيــنما اهتم الشاه عباس بضريح الإمام الرضــا عليه السلام في مشهد مشجعاً الناس لزيارته، مما أثر ذلك في انخفاض عدد الزوار للعتبات في العراق، الأمر الذي أدى إلى حرمان العثمانيين من الدخل الكبــير الذي كانوا يحصلون عليه من وراء قوافل الزوار الفرس المتوافدين على العراق.

وفي إيران، برزت مشهد وقم كمركزين عظيمين كان لهما الأثر الكبير فــي تــاريخ إيران والمسلمين، فقد تطور عمران المدينة مع تطور المشهد الرضــوي مــنذ ٨٠٨هــــ/ ١٤٠٦م إلى وقت الصفويين الذي أُعتبر عهد ازدهار المدينة، حين تنافس سلوكهم في تعمير المشهد وتحمبله بالإضافة إلى

تعمير المدينة كلها، وبخاصة الشاه طهماسب الأول ٩٣٠ ــ ٩٤٨هــ والشاه عــباس الكبير الذي أوقف كثيراً من النفائس والأملاك على الحرم الشريف. كمـــا اهتم نادر شاه أيضاً بالمدينة والمشهد فاعتنى بتعميرهما. كما أن طلاب العلــم قصدوها من أرجاء إيران ومن افغانستان والهند، فقام بزيارة المشهد ســنوياً مـــا بين ٣٠ إلى مئة ألف حتى وصلت أعدادهم إلى أقل ما يحج إلى مكّة ويزور المدينة المنورة.

وعندما كان يحدث أي تخريب أو عدوان عليها كما حدث عندما هجم علــيها التــتار بقيادة تيمورلنك ٨٠٨هــ/ ١٤٠٦م وهاجر منها الأهالي إلى سناباد، فإنهم تحصنوا بمرقد الإمام علي عليه السلام ثم قاموا بعمران ما حوله ليبنوا البيوت والمباني.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أن مشهد المقدسة، يتوافر بها أغنى الأســواق وأكثرها ازدحاماً، بالإضافة إلى غنى المدارس الدينية في أوقافها ووارداتهـــا، وأكثر الخانات والمنازل أرباحاً وثروة، وأهم الحمامات وتوافر زبائــنها، حيــث اعتبر كل ذلك بالإضافة إلى المساكن والبيوت ملكاً خاصاً للإمـــام عليه السلام كما عادت لـــه ممتلكات من أراضي ومباني وقنوات في ولايات أُخـــرى مـــن إيران، بجانب ما يقدمه الزوار من صدقات ونذور ومعونات، يصـــرف مـــنها علـــى الموظفيـــن والمســـتخدمين وصيانة الحرم والترميم والإضاءة.

وقد أدى كل ذلك التعمير والاعتناء بالمدينة فأصبحت ثانية مدن إيران مـــن حيث السكان والمساحة بعد أن كانت قرية في سناباد، فقد تطورت من عهـــد نادر شاه الذي وجد بها ستين ألف دار، وبلغ عدد سكانها ثمانين ألف فـــرد فـــي أول القرن العشرين الميلادي ١٣٥٣هــ ، وقد جاء في مذكرات

الـــرحالة محمـــد ثابت في ١٩٥٢م أن للإمام الرضا عليه السلام من الأوقاف الشيء الكثـــير، فكـــل المباني في الحي ملك لـــه، غير الأراضي الزراعية والهدايا الثميـــنة، وذلك لما كان يخصصه الأغنياء من أوقاف كثيرة عليه. أما خلال القـــرن التاسع عشر الميلادي فقد بلغ عدد زوراه ثلاثين ألف سنوياً حسب ما قدره الرحالة (بيت)، كما قدره الرحالة (بيلبو) في ١٨٧٢م ما بين أربعين إلى خمســـين ألف سنوياً، وزاده (اللورد كرزون) في ١٨٨٩م مئة ألف، دون أن يدخل في ذلك المواسم والزيارات الدينية، كما قدر اللورد أوقاف مشهد ودخل عقاراتها في ١٨٩٠م نحو ستين ألف تومان، أما الرحالة (فريزر)، فإنه وجد فـــي ١٨٨٢م نحواً من ٢٥ إلى ٣٠ خاناً في مشهد مخصصة للزوار، إلا أن عـــدد الزوار ارتفع إلى أرقام كبيرة في السنوات الأخيرة حيث قدرت بأكثر من مليون زائر من أنحاء إيران وخارجها.

أما قم:

فقد كانت قرية صغيرة قبل الفتح الإسلامي، ثم أصبحت إحدى المراكز الرئيســـية للشـــيعة منذ عصر الإمام العسكري عليه السلام كما توجه إليها أفراد من العلوييـــن، فنزل بها الحسنيون من بني الحسن عليه السلام وكذلك السادة الحسينيون، وأعظـــم مـــن نـــزل بها كانت فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام في ٢٠١هـــ، فاشـــتهرت المدينة بوجود حرمها حتى عرفت بها المدينة، فأصبحت بفضل ساكنتها مركزاً من المراكز الدينية الإسلامية الشهيرة، تطورت إلى أن تكون أهمهـــا وأعظمها في الوقت الحالي، حيث قامت بها مدرسة علمية كبيرة منذ أيام الإمام العسكري عليه السلام.

قامـــت بنشـــر علوم أهل البيت عليهم السلام وعلوم المدنية الإسلامية، واستمر ازدهارها العلمي والعمراني حتى صارت زمن الغيبة الصغرى أعلى مركز

علمـــي فـــي العـــالم الإسلامي، فقد اجتمع فيها العلماء والرواة والشخصيات العلمية والأدبية الشهيرة.

وبالإضافة إلى المكانة العلمية والدينية التي اصطبغت بها المدينة، فإن الــزوار وفدوا إليها لتلقي العلم من ناحية وزيارة حرم السيدة المعصومة من ناحــية أُخرى، وزادت أعدادهم يوماً بعد يوم حتى وصلت إلى الآلاف. لقد وصـــل عـــدد طـــلاب العلم في معاهدها ومؤسساتها الدينية، الحوزات، إلى ثلاثين ألفاً.

وأول مـــن أسس الحوزة العلمية بها (آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري الــيزدي) فـــي ١٣٤٠هـــ، وساعده في ذلك وصول عدد من علماء العراق إلــيها، حيـــث قاموا بالتدريس والقاء البحوث على الطلاب. وبرز منها في القـــرن الماضي الرابع عشر الهجري علماء مجتهدون أصبحوا مراجع تقليد لكثير من أفراد الشيعة في إيران والدول الأُخرى.

وقـــد تطور الجانب العلمي فيها، فقد تأسست مؤسسات ومعاهد ودور نشر وجامعات أكاديمية بجانب المعاهد الدينية والحوزات، كما دخلت الأجهزة الالكترونـــية المعاصرة والآلات الحديثة في المكتبات والمدارس لتساند تلك الحركة العلمية والأدبية في سرعة النشر والتوزيع.

أما في مصر:

فإن الأضرحة والقبور الخاصة بأفراد من أهل البيت عليهم السلام قد انتشرت في أراضيها حتى وصلت أعدادها إلى حوالي الألف، وهي أكثر الأضرحة شهرة واقـــبالا وزيارة من الناس، حتى إن الأحياء السكنية والمدن اتُّخذت أسماؤها ومكانتها من هؤلاء المدفـــونين. فالسيدة زينب بنت الإمـــام علي عليه السلام سكنت

الميدان الحالي عندما قدمت الى مصر، وكان يعرف قبلا باسم (قنطرة السباع)، واندثر بيت مسلمة الذي سكنت فيه إلا الضريح فقد بقي حتى اليوم بعد صيانته وتجديده كلما تعرض للهدم أو الانهيار ومنه تطورت المنطقة وتوسعت حتى وصل العدد الذي يسكنها اليوم الملايين من البشر، إذ إنها أصبحت من أكبر الأحياء المصرية في الوقت الحالي. وكذلك حي الإمام الحسين عليه السلام أصبح أشهر الأحياء المصرية حيث سكنها الملايين فأضحت أكبر منطقة تجارية واستثمارية في مصر يتوافر بها كل المرافق الحيوية والعمرانية والمؤسسات العلمية والأدبية والثقافية بجانب التجارية.

كما أن السيدة نفيسة، يقوم مسجدها في الحي الذي يدعى باسمها، وحبس لها الأراضي الزراعية والحوانيت للصرف عليه، وكذلك الأوقاف تصرف له الزيت والحصر والبسط، كما بلغت النذور من صناديقها ٢٥ ألف قرشاً في القرن الماضي.

وهكذا فإن معظم الأحياء التي توجد بها تلك القبور والمشاهد فإنها تدعى باسم ساكنتها، أو يطلق على الشارع الذي يشرف عليها، كالسيدة آمنة بنت الإمام الحسن عليه السلام التي سُمي الشارع الذي يوجد به مسجدها باسمها، وحي السيدة رقية، وميدان السيد حسن الأنور بمصر القديمة، وحي زين العابدين الذي كان يعرف بالحمراء القصوى من قبل، وشارع السيدة عائشة بنت الإمام الصادق عليه السلام.

وفي المطرية يقع مسجد تبر الذي دفن فيه سيدي إبراهيم الجواد من أحفاد الإمام الحسن عليه السلام ويقع في شارع البرنس ـ ماهر ـ ويزوره العامة. وقد أصبحت المطرية بفضل هذا المسجد من المناطق المأهولة بعدما كانت مهجورة وبعيدة عن العاصمة.

ولاتقـل الأقالـيم في الاعتناء بالمشاهد الشريفة لأهل البيتعليهم السلام عن العاصمة، حيث أن للأضرحة والمساجد فيها أهمية خاصة، فقد ازدهرت تلك المـناطق بوجود تلك الأضرحة، حين بنيت حولها المنازل والمحال التجارية والمـدارس والمكتبات، وعبدت فيها الطرق، وجاءها الوفود من الزوار من كل إقليم وقرية ومدينة مجاورة أو نائية لحضور الموالد فيها، كالسيد إبراهيم الدسوقي في دسوق، والسيد أحمد البدوي في طنطا الذي أوقف لـه (علي بك الكبير) كثيراً من الأراضي الزراعية في طنطا وفي ولاية الأشمونين،إضافة إلـى عمائـر ووكالات ذات ريع كبير في السنة، كما اهتم الملك فؤاد بتبعيد الطرق الموصلة إليه، فزاد عدد زواره سنة بعد سنة وأصبحت أوقافه لكثرتها لايحصيها إلاّ الدفاتر.

وفي الشام:

أيضـاً كـان لوجود أضرحة أهل البيتعليهم السلام أثرها في تشييد الأحياء والمـدن، فقد تأسس حي السيدة زينبعليها السلام باسمها وأصبحت مدينة كاملة بعد أن كانـت أرضـاً مهجـورة مجهولة، ونتيجة لذلك اُنشئت المرافق اللازمة للمسـجد والضـريح والتابعة لهما حيث اُلحق بها مستوصف خيري ومدفن ومسـلخ لذبـح المواشي من نذور وهبات، وتوافد على مقامها عدد كبير من الزائرين سنوياً وصل عددهم إلى المليون زائر في السنوات الأخيرة.

إن هـذه المقامـات والأضـرحة والمساجد، تموج دائماً بزوارها من أحـباب النبـيصلى الله عليه وآله وسلم وأهـل بيـته الكرام، يأتون إليها زحفاً من طول البلاد وعرضـها ومن بلاد اُخرى، إحياءً لذكراهم ووفاءً لهم واسترجاعاً لسيرتهم العطـرة واسـتعادة لصـفحات مضيئة من التاريخ الإسلامي الحافل بالعبر والعظـات. وهـم بذلـك يعيشون في رحاب أهل البيت، حيث عاش الآباء

والأجداد كلهم في رحابهم، «فما رأينا الخير إلاّ منهم، وما عرفنا العلم إلاّ في أماكنهم، وما عرفنا البركة إلاّ في الود بهم، أحببناهم؛ لأنهم موصولون بالله، فقد جاءنا الخبر ممن نؤكد صدقه أنهم موصولون بالله ولايعرفهم إلاّ الناس الذين انكسرت نفوسهم لمنهج الله»[(١)].

ثانياً: الجانب السياسي:

كانت للعتبات المقدسة ومدنها أدوارٌ سياسية كبيرة فعالة في حياة الأفراد والمجتمع المحلي والإقليمي والدولي، فقد اشتركت هذه الأماكن وبلدانها بكل ما لديها من قوة وإمكانات لمكانتها السامية في جميع الأحداث السياسية التي عصفت بالمنطقة، فكان لأهاليها الدور الكبير في تحريك الشعوب للدفاع عن بلادهم، والصمود أمام التيارات المتناقضة القادمة من الخارج والتدخلات المؤثرة في شؤونهم الخاصة، فكان لها دورٌ إيجابيٌ في إشعال الثورات الشعبية وتحرير البلدان والجهاد ضد المستعمرين الأجانب. فهي لم تكن أماكن للعبادة والتعليم وزيارة أصحاب الأضرحة المكرمين فحسب، بل بؤرة عسكرية خرج منها الثوار والمجاهدون للدفاع عن مقدساتهم وحضارتهم ومكتسباتهم. إذ إن الثورات وحركات تحرير البلدان بدأت من تلك المدن المقدسة لامن عواصم تلك البلاد. وقد أكدت هذا الجانب الفعال لدور المدن المقدسة التاريخي في حياة الشعوب الكاتبة الانجليزية (مس فرايا ستارك) Fraya Stark التي قامت بزيارة الكاظمين في ١٩٣١ فذكرت: «إن المدن المقدسة والجوامع على الخصوص تعتبر أماكن عظيمة تفرخ فيها الفتن والشغب، وأن الأهالي وقفوا في صف الانجليز طالبين منهم التدخل

---

(١) الشيخ متولي الشعراوي.

لإنهاء الحكم التركي، لأنهم لم يحترموا المقدسات، فدخلوا حرمها بأحذيتهم، وقاموا بأمور غير محببة لهم». كما تحدث الكاتب الأمريكي (جورج هاريس/ ١٩٥٨م) عن حضارة العراق وسكانها فقال: «إن رجال الدين الشيعة في النجف وكربلاء ومناطق أُخرى، برز منهم جهاز قيادة معارضة أمكنه تحريك الأفراد وتوجيههم ضد سياسة الحكومة ومشاريعها في عهد الانتداب وبعده».

ولذلك فاننا سنلقي الضوء في هذا الفصل على الدور السياسي المؤثر والفعال لتلك المدن في تطور الاحداث في المنطقة والعالم.

في العراق:

كان الخلفاء العباسيون ينظرون بتخوف نحو المراقد والاماكن المقدسة في البلاد، كان أشهرهم المتوكل العباسي الذي أمر بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام عدة مرات خلال حكمه ما بين ٢٣٢ــ٢٤٧هـ؛ نظراً لما كان عليه الحرم المقدس من مكانة ومنزلة في نفوس الأهالي، ونتيجة لحقده وكرهه لأهل البيت عليهم السلام، وقد جاء عن السبب الذي جعله يقدم على ذلك في أول مرة، هو زيارة إحدى جواريه المغنيات لحرم الإمام عليه السلام في شهر شعبان ٨٤٦م، وأمر (ابراهيم الديزج اليهودي)[١] بالهدم.

كما أن هذه المدن قد تعرضت لغارات وهجمات القبائل العربية لنهبها وسلبها فيما تحويه من نفائس وتحف نادرة، ففي ٩٨٠م/٣٦٠هـ أغار (ظبة بن محمد الأسدي) وعصابته المكونة من اللصوص وقطاع الطرق، على كربلاء خلال حكم الطائع لله، فنهب الخزائن والنفائس وأحدث تخريباً في

(١) يعني بالفارسية الحمار الأدغم.

المقـــام والمشـــهد الشريف، ثم هرب الى البادية إلاّ أن عضدالدولة البويهي أرســـل فرقة من الجنود إلى مقره في عين التمر لتأديبه مع جماعته، ثم قام باصلاح المشهد والطرق المتوجهة إليه.

وفي الكاظمين:

حدثـــت فتنة بغداد المشهورة بين السنة والشيعة حينما أحرقوا ضريح الإمام الكاظم عليه السلام وحفيده الإمام الجواد عليه السلام وما جاورهما من قبور ملوك بني بويـــه والـــوزراء والرؤساء، وقبر أبي جعفر المنصور وأُمه سلامة كما قام المتعصبون بحفر قبر الإمامين عليهما السلام لنقلهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل، إلاّ أنهم لـــم يهتدوا إلى مكانهما، كما أن نقيب الهاشميين منعهم من فعل ذلك، فنهبوا المشـــهد المقدس والدور المجاورة. أما سبب كل ذلك فهو ما كتب على باب المسجد: «**محمد وعلي خير البشر**» مما أثار السنة فدار القتال بين الطرفين.

وفـــي ٦٥٦هـــ/١٢٥٨م أحرق المغول عند هجومهم على بغداد مواقع كثـــيرة كان من ضمنها مشهد الإمامين عليهما السلام كما أن السلطان العثماني (مراد الثانـــي) نهب جنوده المدينة عندما دخل بغداد في ١٠٤٧هـــ ونهبوا المشهد الكاظمـــي مـــن قناديل الذهب والفضة والنفائس والستائر الخاصة بالروضة المقدسة.

وكـــثر نهـــب القبائل العربية للأملاك والأموال في ١٢٢٩هـــ، فقامت قبائل (زبيد والخزاعل والظفير) بسرقة ونهب المشهد الكاظمي.

أما النجف:

فقد تعرضت لغارات وهجمات الوهابيين التي شنوها في أعوام ١٨٠١ ــ١٨٠٣ــ١٨٠٦م فقـــد ذكر الرحالة الغربيون وعلى رأسهم (لونكريك) أن

الوالي التركي أمر بنقل النفائس الموجودة في خزائن النجف الى خزانة الإمام الكــاظم عليه السلام كمــا عززت الحامية العسكرية، وقاد الدفاع عن المدينة الشيخ جعفر كاشف الغطاء الذي تمكن من إفشال مخططاتهم في الاعتداء على البلدة وســرقة محــتويات الحرم المقدس، كما منعت أسوارها الحصينة وخنادقها خطرهم، فانتصر الأهالي على الغزاة وقتلوا منهم الكثير خلال المعارك التي دارت بين الجانبين.

وفــي ١٢٥٨هـــــ/ ١٨٤٣م هاجم الوالي التركي نجيب باشا كربلاء، فأوقع مذبحة عظيمة وحشية تشبه مافعله الوهابيون قبله في ١٢١٦هـــ مبرراً فعلــته الشــنيعة، بمطــاردة المتمردين الذين التجأوا إلى الجامع والحضرة، بالــرغم مــن أنهــم في الواقع لم يكونوا سوى المجاورين واللائذين بالقبر الشــريف، ومتصوفين، وطلاب علم، وروحانيين، وباعة محترفين، لم يصل عددهــم المئات، الاّ أن الوالي الشرس فتك بهم بوحشية وإرهابية، واستباح المديــنة لمــدة أربــع ســاعات، انــتهك فيها الأعراض والأموال والبيوت والدكاكيــن، وتطور الوضع إلى القتل في داخل الضريح، مما استنكره العالم الإنساني والاسلامي في ذلك الوقت.

أمــا الاحــداث السياسية التي كان لها صدى في العالم واشتركت في إثارتهــا المدن المقدسة، فقد اشتهرت في القرن العشرين منذ بدايته، ففي عام ١٩١١م/١٣٣٢هـــ برز الثائر السيد مهدي الحيدري[(١)]، عندما استغاث به الأهالــي بعد هجوم الانجليز على العراق من جهة البصرة، خلال الأحداث

(١) تمكــن مــن إخمــاد نار فتنة أثارها الأتراك ضد الشيعة في كربلاء، فسار بنفسه مع مجموعة من العلماء لتهدئة الوضع وإخماد الفتنة في شهر رجب ١٣٣٤هـ/ ١٩١٣م.

الأولية للحرب العالمية الأولى، فطلبوا منه إعلان الجهاد العام، فأصدر فتواه بوجوب الدفاع عن الوطن ومحاربة الغزاة. كما دعا الى عقد اجتماع عام في الصحن الكاظمي فخطب في الجماهير داعياً الى الجهاد، وكان العلماء قد أيدوه في موقفه وحضروا الى الكاظمين للاشتراك بجانبه ومساندته، ومنهم من أرسل نائباً عنه للاشتراك في المعركة إذا حدثت، فقد أرسل (الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي) ابنه الاكبر المجاهد الميرزا محمدرضا، وكذلك الإمام السيد كاظم اليزدي بعث ابنه الاكبر السيد محمد، أما المجاهد الكبير السيد محمد سعيد الحبوبي فقد توجه بنفسه مصطحباً مجموعة من العلماء من النجف، مع عدد كبير من المجاهدين توجهوا مباشرة إلى ساحات القتال، حيث تحرك العلماء جميعاً إلى بغداد في شهر محرم ١٣٣٣هـ فالتقى جيش المجاهدين بالجيش الانجليزي، وجرى القتال الذي استغرق النهار كله بقيادة الشيخ مهدي الخالصي وحماسه، حين حمل القرآن والسيف، وتمكنوا بعد العمليات العسكرية من إيقاع الهزيمة بالعدو الذي انسحب من مواقع المعركة بعد أن تكبد خسائر فادحة في الأرواح والسلاح والمعدات، حيث تحطمت لهم باخرة، وقتل منهم ألفان، وجرح عدد أكبر. أما المسلمون فقد استشهد منهم أربعة عشر فرداً وجرح خمسون آخرون، وتعرف هذه المعركة بموقعة يوم الاربعاء ٥ ربيع الاول ١٣٣٣هـ/١٩١٢م.

وكان للشيخ (محمد علي كمونة) رئيس (اسرة كمونة زاده) علاقات حسنة بـ(السيربرسي كوكس)، فاقترح عليه تكوين منطقة مستقلة من سامراء إلى النجف في عام ١٩١٥م إلا أن الأتراك أعلنوا الحرب فقصفوا العتبات بالمدافع وأضروها، ولكن الأهالي تمكنوا من طردهم من كربلاء التي ترأسها

اخـــوان من آل كمونة. وقد شاركت النجف والحلّة أعمال وفعاليات كربلاء، بالثورة والتمرد على الأتراك، مما ساعد الانجليز في احتلال بغداد ١٩١٧م، واســتمر محمــد علــى كمونة في إدارة أملاكه، كما تعين ولده في منصب الكليدار وأخوه الشيخ هادي رئيساً للبلدية، إلاّ أن الوضع السياسي تغير لغير صالحهم، فنفي الشيخ محمد علي إلى الهند، وقُدّم الشيخ هادي الى المحاكمة، واُقصي من منصبه.

وقد تطور الوضع الخطير في العراق الى إندلاع ثورة عامة في البلاد عام ١٩٢٠م قادها زعماء الدين في مدن العتبات المقدسة.

ففــي ١٩١٧م كتب اللورد بلفورد وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد روتشيلد زعيم القضية الصهيونية:

(ان علمــاء الديــن في النجف الأشرف والكاظمين وكربلاء، وزعماء وعشــائر الفــرات الأوســط هــم الذين يحملون الروح القومي العام للثورة وتخليص البلاد من الاستعمار) وذلك أن رجال الدين وزعماء العشائر كانوا قــد اجــتمعوا فــي دار آية الله الشيخ (محمدمهدي الخالصي) في الكاظمين وأعلــنوا احــتجاجهم على بيان الوزير الفرنسي بشأن الثورة، ورفعوه الى حكومة فرنسا والحكومات الاُخرى، كما أعلنوا رفضهم للانتداب والاستعمار في سوريا ولبنان وفلسطين، ولكل معاهدة تربطها بالدول الكبرى دون معرفة واشــتراك الشــعوب العربــية الإيجابي في تلك المعاهدات والاتفاقيات، كما أعلــنوا الثورة نتيجة تلك الأوضاع السياسية المتردية وأسندوا قيادتها روحياً الى آية الله الإمام (الميرزا محمدتقي الحائري الشيرازي)، كما تأسس مجلس مكــون مــن كــبار العلمــاء للتشــاور والمتابعة، تميز منهم: الشيخ مهدي الخالصي، والسيد أبوالقاسم الكاشاني، والشيخ محمدرضا الشيرازي، وطالبوا

بالإضافة إلى المطالب السابقة: تأسيس حكومة وطنية ورفع الظلم عن الشعب.

وقد برز من بين هؤلاء العلماء، (السيد الكاشاني) الذي عمل منذ وقت بعيد ضد السياسة البريطانية في المنطقة، فقد اتخذ موقفاً عدائياً صارماً تجاهها، فظل يكافح الانجليز ويهدم مخططاتهم إلى أن تم تهجيره مع عدد من العلماء إلى إيران، إلاّ أنه استمر في مناوئته وكفاحه للانجليز من إيران، فبرز بقوة أيام رئيس الوزراء الإيراني محمدمصدق الذي اشتهر بإعلانه إلغاء امتياز شركة النفط الإنجليزية الإيرانية.

أما أعماله خلال الثورة العراقية وما قبلها فقد أدى أعمالا جبارة بشأنها، فقد قام بطبع المنشورات في الكاظمين وتوزيعها سراً مع التوقيع عليها على أنه الرئيس، مما أدى إلى سريان الثورة من الأماكن المقدسة إلى بغداد تحت قيادة دينية، كما كتب الى آية الله الشيخ مهدي الخالصي للقدوم الى الكاظمين ليتولى زعامة وقيادة الثورة، وهو ما جعل زعماء الطوائف المسيحية واليهودية يقفون في صف المسلمين ويعلنون تأييدهم للثورة، ثم توافدوا على الكاظمية لتقديم الشكر إلى زعماء المسلمين والانضمام اليهم، فقام العلماء برد الزيارة الى البطاركة والحاخاميين في بغداد.

وقد برز في هذه الاحداث دور المجالس الحسينية، وتأثيرها الإيجابي في تحميس الناس وإثارتهم للانضمام الى الثورة، وقد أصدر المرجع الأعلى للشيعة في كربلاء (الميرزا محمدتقي الشيرازي) فتوى تتعلق بنظام الحكم في العراق: (بأنه ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غيرالمسلم للإمارة والسلطة على المسلمين). الأمر الذي جعل الانجليز يظهرون العداء لزعماء البلدة ووجهائها وإبعادهم عنها، حيث إن الفتوى قد أثرت في الحركة الثورية

التي تطورت إلى ثورة كبرى عام ١٩٢٠م، أكدت أن الثورة مهّدت لها مدينة سيدالشهداء عليه السلام في كربلاء، وأفشلت مخططات الاستعمار للسيطرة على العراق، فاضطر الانجليز الى تشكيل حكم وطني اشترك فيه أول وزير شيعي من كربلاء المقدسة هو السيد محمدمهدي الطباطبائي الكربلائي في ١٩٢٠م. وفي عام ١٩٢٢م عمل العلماء على إخراج الأجانب من بلادهم فدعا الشيخ مهدي الخالصي إلى عقد مؤتمر بكربلاء، كان الهدف منه ظاهرياً البحث في نتائج غارات الوهابيين المتكررة على جنوب العراق، وأساليب التعامل معها، أما الحقيقة، فإنه عقد البحث في وسيلة سليمة لإجلاء الانجليز عن البلاد والتخلص منهم والصمود أمام الانتداب البريطاني وإلغائه. وعقد أول اجتماع في دار الإمام الشيرازي نفسه، ثم توالت الجلسات في صحن الإمام الحسين عليه السلام وحضرها ٢٠٠ألف من الأفراد، ومئات العلماء والوجهاء وشيوخ العشائر والوطنيون من السنّة والشيعة. إلاّ أن الانجليز أمروا بإبعاد الشيخ مهدي الخالصي إلى خارج البلاد فتضامن معه تسعة من العلماء وخمسة وعشرون فرداً آخرين غادروا معه البلاد إلى إيران في يونيو ١٩٢٣م.

وبذا فإن العلماء والمراكز الدينية المقدسة في العراق قاموا بأدوار القيادة لحركة الجهاد، فأعلنوا الحرب على الكفار الانجليز، وأرسلوا للشيخ خزعل حاكم المناطق الجنوبية، للوقوف معهم وتأييدهم ضد الانجليز، كما أن العلماء المجتهدين اشتركوا بأنفسهم في المعارك الحربية، وعلى الخصوص في معركة الشعيبة التي جرت في أبريل ١٩١٥م حيث سقط الآلاف من المجاهدين شهداء.

ولم تكن سامراء بعيدة عن الأحداث، فقد أصبحت قبل الحرب العالمية الأُولى نهاية لسكة حديد برلين بغداد، وقاعدة عسكرية للأتراك بعد سقوط

بغـداد في ١٩١٧م، وخلال الحرب تراجع الجيش الانجليزي فانسحب من جـبهة سـامراء في واقعة السكر، كما تحصن الأتراك بعد انسحابهم الى سامراء للدفاع أمام الانجليز الذين انهزموا الى تكريت.

وعندما اختير النظام الملكي لحكم العراق أيد بعض العلماء الأمير (فيصل بن الحسين) ملكاً على البلاد بينما عارض ترشيحه علماء أخرون كان أشهرهم: السيد أبوالحسن الإصفهاني من علماء النجف، أما الشيخ مهدي الخالصي والسيد محمدالصدر فقد أيدا ترشيحه بإعلانه ملكاً في ١٩٢١م.

ومن الآثار الإيجابية التي تركتها الأعمال الثورية، أن تولى في حكومة العراق الوطنية وزراء شيعة، حين تعين في عام ١٩٥٠م ستة وزراء منهم سيطروا فيها على الوزارات الحساسة كالداخلية والمالية والاقتصاد والمعارف، كما تقلد منصب رئاسة الوزراء أربعة من الشيعة فيما بين ١٩٤٧ ــ ١٩٥٨م، وأصبح في ١٩٥٨م ستة من بين أصل سبعة من كبار ملاّك الأراضي من الشيعة. واستمرت أدوار العلماء السياسية خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن حتى نهايته، حيث قام العلماء بالتصدي لأفكار الشيوعية والإلحاد وتقوية الوعي الديني لدى الشيعة في مواجهة الأفكار الواردة.

وحينما انتقلت المرجعية بعد وفاة السيد الحكيم[(١)] إلى الإمام الخوئي[(٢)]، الذي اتخذ سياسة الهدنة تجاه الدولة، فقد اختار الناس السيد (محمدباقر

---

(١) توفي ١٩٧٠م.

(٢) توفي ١٩٩٢م.

الصدر) رغم صغر سنه كمرجع للتقليد خلال السبعينات.

إلا أنه بعد أحداث الحكم الدموي للنظام البعثي، خرج معظم العلماء من النجف الى مشهد في إيران، كما تم إبعاد الآخرين مثل: السيد عبدالله الموسوي الشيرازي، بعد أن أقام فيها ٦٣ سنة، وتم اعتقال السيد محمدباقر الصدر في ١٩٧٢م، وأُصدر حكم السجن المؤبّد له، وحكم الإعدام على آخرين من العلماء، كما وضعت الأوقاف الشيعية تحت إشراف الحكومة في ١٩٧٨م الأمر الذي جعل الهيئة العلمية في النجف تصدر بياناً خاصاً عن الوضع السياسي السيّء في البلاد متهمين نظام الحكم بالتخطيط للقضاء على الشيعة ووجودهم. وبرز في هذه الاحداث (السيد الصدر) فصمد ضد النظام البعثي وأصدر عدة فتاوى تخص رئيس الدولة، كما أوثق علاقته بالإمام الخميني والثورة الإيرانية، مما أدى الى القبض عليه وإعدامه في ١٩٨٠م، والقضاء على ٩٠ فرداً من أسرة السيد الحكيم انتقاماً لقيادة محمدباقر الحكيم، المعارضة والثورة ضد الحكومة، وأعدموا ستة منهم. وقد سار على مبادئ السيد محمدباقر الصدر، الكثير من القياديين في الثمانينات مثل: زعيم حزب الله في لبنان، والسيد محمدباقر الحكيم وغيرهم. أما السيد الإمام الخوئي فقد شكل قيادة عسكرية ضمت بعض الضباط كان قد أعدهم للإنتفاضة في مارس ١٩٩١م بعد تحرير الكويت من الغزو العراقي.

ومن ذلك نعلم أن العلماء والمجتهدين تفاعلوا مع الاحداث السياسية، فمنهم من أعلن الجهاد في أواخر ١٩١١م نحو الغزو الإيطالي لليبيا، كما دعا الخراساني الى الجهاد ضد الغزو الروسي لإيران، كما دعا الكبار منهم منذ ١٩٠٦م الى اقامة نظام اقتصادي اسلامي يستند الى الاكتفاء الذاتي، والى فتح معامل ومصانع إسلامية تغني عن البضائع الأجنبية.

ومن أخطر الفتاوى والأحداث التي ظهرت على مسرح الأحداث العالمية، فتوى الامام المجدد (الميرزا محمد حسن الشيرازي) الذي اتخذ سامراء مقرّاً له، فقد عارض (السلطان ناصرالدين شاه) بخصوص مسألة منح امتياز التنباك للانجليز في ١٣١٨هـ/١٨٩٨م، فأفتى ببطلان الامتياز، وتحريم تدخين التنباك، مما جعل الحكومة البريطانية تضطر إلى إلغائه خوفاً من الثورة الشعبية.

وكان جمع من العلماء قد حضروا اليه من بوشهر للإستعانة به في ثورتهم على استغلال الأجانب للإمتيازات واحتكارهم المواد ونشر الفساد في إيران، فدعا السلطان ناصرالدين إلى الاهتمام بتلك الموضوعات، إلا أنه لم يوضح موقفه، فبعث إليه محذراً: «إن عجزت الدولة عن الجواب فلسنا عاجزين، وإن لم تقدر أن تطالب بحقوق الملّة فخلّ بيننا وبينه». وقد كان ذلك إيذاناً الى تفاقم الوضع وحدوث الاضطراب بين أصحاب الامتياز وأصحاب الأراضي الزراعية الذين أحرقوا التنباك، كما أن الإمام أفتى بتحريم استخدامه: «إن استعمال التنباك والتتن حرام ومن استعمله كان كمن حارب الإمام عجل الله فرجه الشريف» مما دفع الناس الى الامتناع عن التدخين حتى الفساق الذين رأوا أن شرب الخمر له توبة، ولكن هذا ليس له توبة أو لاتقبل توبته؛ لأنّ قاتل الإمام ومن حاربه لاتقبل توبته. وقد تطور الوضع إلى أن كسر أصحاب المقاهي أدوات الغليون، وإن كانت غالية الثمن، وكسر أصحاب المعامل آلاتهم وأجهزتهم، ووصل الأمر الى القول: بأن شرب الأفيون له توبة بخلاف التنباك. كما تطور الوضع إلى أن السلطان نفسه لم يعاقب حرمه وخدمه عندما امتنعوا عن التدخين، كما أن اليهود والمجوس والفرق الباطلة أيدوا الفتوى متضامنين مع المسلمين، بل لقد امتنع المسلمون في العالم

الإسلامي عن التدخين. فقد بلغت درجة هذا الحكم عظمة لم يكن لها مثيل في التاريخ كله، حتى أن الأجانب تخوفوا من آثار الإفتاء السلبية نحوهم فخرجوا من إيران، وقيل إن بعضهم لبس الملابس النسائية في هروبه خوفاً من إيقاع الأذى بــه. إلا أن الجانــب الاقــوى والأخطر للفتوى كان من طرف الدول الكــبرى التـــي تخوفت من اتساع نفوذها ونطاقها الى تحريم كل مايرد من أوروبا الى البلاد الإسلامية، مما اضطرهم الى قبول إلغاء الإمتياز وخروج الأجانــب مــن إيران، وهو ما شجع على الإفتاء بالسماح باستعمال التنباك وشــربه، فانتشر الخبر في كل أرجاء القارات، ونشر في الجرائد والصحف العالمــية. الامــر الــذى جعل هذا العالم العظيم واحداًمن أعظم الناس قوة وصموداً أمام أربعة دول كبرى.

أما في إيران:

فــإن الاماكن المقدسة كان لها الدور الكبير في الأحداث السياسية التي مــرت علــى الدولة في العصور المختلفة، فمن الأحداث التي تعرضت لها المــراقد المقدسة، ما قام به سبكتكين بهدم القبة التي بناها المأمون على قبر الإمــام الرضا عليه السلام كما تهدمت على أثر غارات جنكيزخان قائد المغول الذين خــربوها عند هجومهم عليها في ١٢٢٠م، حيث قتل المئات الذين دفنوا في مقــبرة (قــتلگاه). كما هجم عليها التتار بقيادة تيمورلنك الذي أفزع الأهالي فهاجــروا مــنها إلى سناباد وتحصنوا بمرقد الإمام عليه السلام في ١٤٠٦م. أما في ٦٩٥هـــــ/١٢٩٥م، فقــد هجم داود بن البراق حفيد جنكيزخان على طوس ونهبها، كما حاصرها (عبد المؤمن خان أوزبك) حاكم بلخ، وهو ابن عبدالله خــان ملك الاوزبكية لمدة أربع سنوات في ١٥٨٧م/٩٩٦هـــ وقد قتل الكثير ونهــب جميع ما في الحرم الشريف بما فيه قطعة الماس بقدر البيضة كانت

هدية من (قطب الدين) شاه الدكن في الهند، إلاّ أن (يارمحمدخان) أعادها الى الشاه عباس الصفوي.

وفـــي أيام الدولة القاجارية ١٧٨٦ـ١٩٢٥م أصبح للعلماء المجتهدين دور كبير، وفرصة تاريخية للتدخل والتأثير في الشؤون السياسية وتطوراتها فـــي إيـــران، فقد برز دورهم في قيادة السلطة والأُمور العامة وبخاصة في الحـــروب الروسية الإيرانية الأُولى فيما بين ١٨٠٤ـ١٨١٣م، وفي الحرب الثانـــية ١٨٢٦م حيـــث كـــان لفتاواهم بالجهاد ضد الروس دور مؤثر كبير وفعـــال. إذ إنه تزايد الدور القيادي للمرجعية والمجتهدين العلماء في العصر القاجاري واتّسع أكثر منه في العصر الصفوي، فقد أدى الصراع الداخلي في إيران، وسقوط الدولة الصفوية وتدهور الأوضاع، إلى هجرة أعداد كبيرة من رجال الدين الإيرانيين الى النجف وكربلاء.

وكـــان العلمـــاء قد شاركوا بفعالية في الثورة الدستورية ١٩٠٥م كان أبـــرزهم: السيد محمد الطباطبائي، وعبدالله البهبهاني، وحسن المدرس، كما ســـاند ثورتهـــم علماء النجف، إلاّ أن الشيخ محمد كاظم اليزدي في النجف والميرزا حسن في تبريز رفضوها ولم يقبلوا بها.

وفـــي ١٩١١م قصـــف الروس المشهد المقدس وأطلقوا عليه المدافع واســـتولوا علـــى المدينة في مارس، فخربوا جزءاً من القُبّة، وكان تبريرهم لذلـــك أن اللصـــوص اتخذوا من المدينة مقراً لهم لنهبها، مما اضطرهم الى إعـــلان الحرب عليهم للتخلص منهم، ولكن عملهم قد أضرّ بالقباب والمباني العالـــية، كمـــا قـــتل حوالـــي مئة شخص، كما أنهم دخلوا المسجد بأحذيتهم وكلابهم.

أمـــا في عهد رضاشاه بهلوي الذي أنهى حكم القاجار في ١٩٢٦م فإن

العلماء هم الذين ساندوه في الوصول الى السلطة، إلاّ أنهم عارضوا إجراءاته التعســفية، وقد اشتهر في هذا الوقت وفي تلك الأحداث، السيد حسن المدرس الذي اُعتقل في ١٩٢٩م أو قتل عام ١٩٣٧م. وفي عهد ابنه محمدرضا شاه في ١٩٤١م أصبحت أحوال الحوزات والعلماء سيئة نظراً لسوء الظروف من قسوة معاملته لهم وقوانينه التعسفية بجانب ظروف الحرب العالمية، وانتشار الأفكار الهدامة من قبل الأحزاب السياسية كالشيوعية والتيارات الغربية.

وفي هذه الفترة تبرز شخصية آية الله السيد أبوالقاسم الكاشاني١٨٨٢ــ ١٩٦٢م، فاعتقلــته الســلطات البريطانية بسبب نشاطه السياسي في ١٩٤٢ وأفرجــت عنه في ١٩٤٥م، ثم نُفي الى بيروت لمدة سنة فعاد في ١٩٥٠م ليساهم في مكافحة الشيوعية والآراء المتطرفة التي اجتاحت المنطقة في تلك الفــترة، فكــان لــه دور كبير في تأييد القضية الفلسطينية وحركة الإخوان المسلمين بالإشتراك مع (نواب صفوي) قائد تنظيم (فدائيان إسلام) في إيران.

أمــا فــي الستينات فقد ظهرت شخصيته الإمام الخميني وخاصة في أحــداث يــناير ١٩٦٣م فاعتُقلــت مجموعة من العلماء كان منهم: آية الله شريعتمداري، والقمي والطالقاني، كما حُكم على الإمام الخميني بالاعدام، إلاّ أن تضــامن العلماء والمراجع معه مثل شريعتمداري والميلاني، أجبر الشاه علــى إطلاق سراحه من السجن ونفيه إلى تركيا في ١٩٦٥م ثم الى النجف بعد عام، حيث خطط منها للإطاحة بالشاه والثورة عليه.

وإذا نظــرنا الى قوة العلاقة بين العلماء والشعوب في إيران والعراق ومــدى تأثيرهم عليهم، فإنهم في العراق لم يصبحوا عاملاً فعالا في السياسة الوطنية، ولم ينجحوا في إعداد الأعداد الكبيرة للعمل السياسي؛ لأن العشائرية كانــت أقوى منهم، كما أن علاقتهم بالتجار، وعلاقة التجار بالمرجعية كانت

ضعيفة الى حد ما، أما الإيرانيون فلم يقطعوا صلتهم بالعلماء فكانت العلاقات قوية بين المراجع الدينية وتجار (البازار)، كما أن ثراء الأوقاف والمؤسسات الدينية فيها قد تضاعفت وزادت يوماً بعد يوم.

وفي مصر:

كان للمساجد والأضرحة دورها التاريخي في أحداث البلاد، فقد أصبح جامع الأزهر منذ إنشائه في ٣٥٩هـ/٩٧٠م جزءاً من تاريخ مصر وموطناً مصـــرياً ساير التاريخ يوماً بعد يوم حتى يمكن أن تؤرخ لمصر بتتبع تاريخ الأزهـــر الذي أُنشئ في حي الإمام الحسين ومجاوراً لــــه، فقد ندر أن وقع حادث في مصر لـــــه شأن إلاّ وكان الأزهر بدايته أو منتهاه. فهو سجل حافل لـــتاريخ مصـــر السياســـي والعلمي حيث تقرأ في تاريخه أسماء الفاطميين والأيوبييـــن والمماليك والعثمانيين وأُسرة محمد علي باشا، وأسماء كثيرة من أقطاب التاريخ الفكري والسياسي لمصر والعالم الاسلامي خلال تلك القرون.

وكـــان الأزهر ملاذ الشعب وقلعته فاعتبر عامة الشعب علماء الأزهر حكامهم الروحانيين وأصحاب السلطان الحق عليهم، حتى اعتادوا إذا حلّ بهم مكروه، أو وقع عليهم ظلم، أو نالهم شر من العثمانيين، أو غيرهم، سارعوا الـــى الأزهـــر استنجاداً بعلمائه. فإذا كان الأزهر قد استطاع أن يحمي الدين واللغـــة ويعد جيلا عالماً أنار بفضله وعلمه الأذهان، وبصّر الناس بحقوقهم وقـــادهم إلى مواطن الصراع في سبيل الحق والواجب، واستخلاص حقوقهم مـــن أيـــدي الغاصبين، فإن هذا المعهد الخطير يفخر بأنه قدم زعماء وقادة سياسيين وطنيين دافعوا عن بلادهم ضد الأجانب أو الغزاة، وقد تصدر أول زعيم لقيادة الجماهير غير معتمد على منصب أو جاه، هو السيد عمر مكرم نقيب الأشراف، الذي يعد أول زعيم شعبي تصدر لمخاطبة الجماهير والتعبير

عــن آرائها، فقد وقف أمام أُمراء المماليك وطغيانهم، وأمام الحملة الفرنسية فقــاد ثــورة ضدهم في ١٢١٤هــ/١٨٠٠م. وإذا كان الحكام الذين سيطروا علــى مصر غرباء عنها وعن أهلها، فإن الازهر أدى رسالته السامية التي أنصت اليها الجميع، ووجدوا فيها دعوة الحق، فسمع الحكام صوت الشعب، وقــد توالــى بروز القياديين من الأزهر، عملوا في سبيل الدفاع عن البلاد وصــد الغــزاة والمستعمرين، مثل الشيخ محمد عبده، وأحمد عرابي، وسعد زغلــول. فالازهر أدى رسالته في الزعامة الزمنية في فترات الحكم السيئة وأن يكون رأياً عاماً ناضجاً أدرك الحكام خطره فتراجعوا عن سياسة التجبر والطغيان.

ثالثاً: الجانب الثقافي والعلمي:

تطور التعليم والتدريس في الحوزات العلمية:

يتردد القول الذي يؤكد بأن الشيخ المفيد أبوعبدالله محمد بن محمد بن الــنعمان بن عبدالسلام المعروف بابن المعلّم، هو الذي وضع أساس التعليم الديني والجامعي في النجف. إلاّ أن رأياً أخر يرى أن الجانب العلمي والديني فــي الــنجف يرجع الى أيام الإمام علي عليه السلام الذي أثر في أهل الكوفة علمياً وثقافياً ودينياً، حيث انتشر الزهد في البلدة خلال الدولة الاُموية بفضل تعاليم الإمــام عليه السلام واعتنائه بنشر الفضائل بين الناس، حتى نعت أهلها بالرغبة في البحث والتنقيب بالرغم من طبيعتهم الجافة وصعوبة انقيادهم، فقد علّمهم ذلك الإمــام علي عليه السلام الذي ذكرنا كثيراً مما قدمه لهم في المجال الثقافي والعلمي والديني في فصل سابق[1]، واستمرت تلك العلوم وغيرها من العلوم منذ أيام

(١) راجع الباب الثالث، الفصل الأول.

الإمام عليه السلام الى أن ازدهرت في أيام الإمام الصادق عليه السلام. ولكن رأياً ثالثاً يذهب بعيداً فيؤكد أن الحوزات العلمية وجدت في الدولة الإسلامية قبل ذلك منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله حيث انتشرت في زمنه عدة مدارس دينية تعلم منها آلاف من المتعلّمين، حيث كان من التكاليف الدينية أن الرسول صلى الله عليه وآله قام بتشجيع الأفراد على التعليم ونشر الدين والعلوم الإسلامية وإشاعتها بين الناس في سبيل توصيل الأحكام الإسلامية اليهم ومعرفتها. ويثبت صاحب هذا الرأي موقفه بما تناوله النبي صلى الله عليه وآله من أحاديث خاصة بالعلم والتعليم والحث عليه قولا وفعلا.

فقد ذكرت أحاديثه: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وانه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الارض حتى الحوت في البحر. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير النجوم ليلة البدر. وأن العلماء ورثة الانبياء. وأن الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر.

وحدّث صلى الله عليه وآله أباذر: ساعة في طلب العلم أفضل عند الله سبحانه وتعالى من ختمة اثني عشر ألف قرآن. وقال صلى الله عليه وآله عن مجالس العلم والعلماء: حضور مجالس العالم أفضل من حضور ألف جنازة، ومن عيادة ألف مريض، ومن قيام ألف ليلة، ومن صيام ألف يوم، ومن ألف درهم يتصدق بها على المساكين، ومن ألف حجة سوى الفريضة، ومن ألف غزوة سوى الواجب في سبيل الله بمالك ونفسك، أما علمت أن الله يطاع بالعلم، ويعبد بالعلم، وخير الدنيا والآخرة مع العلم، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل.

مـــن تعلـــم باباً من العلم ليعلمه الناس إبتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبياً، ومن تعلم باباً من العلم ليعلّمه الناس أو لم يعمل، كان أفضل من أن يصلي ألف ركعة طوعاً.

ولـــذا فإنـــه لاهـــتمام النبي ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام بالعلم والعلماء واعتنائهم بتعميمه بين الناس، فإنه نشأت المعاهد والمدارس العلمية في المدن الاسلامية المختلفة، وشجع عليها الائمة عليهم السلام جميعهم في حياتهم، واستمر ذلك الإزدهـــار العلمـــي والثقافـــي بعد مماتهم أيضاً، في المدن التي وجدت بها مدافـــنهم ومقابـــرهم الشـــريفة. ففي عصر الإمام المهدي عجل الله فرجه تزعم القيادة الدينـــية، نوابـــه الأربعة، حتى كان زمن النائب (محمد بن عثمان العمري) فسأله اسحق بن يعقوب أن يوصل له كتاباً سأل فيه عن مسائل أُشكلت عليه، فـــورد التوقـــيع بخـــط مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه: «أما الحوادث الواقعة فـــارجعوا فـــيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم». ويقصـــد بالحوادث الواقعة ما يستجد من أحداث اجتماعية ومشكلات تواجه المســـلمين. رأى الإمـــام عجل الله فرجه أن يرجعوا في حل تلك المشكلات إلى رواة الأحاديث، أي: الفقهاء، وحجة الله تعني أن الإمام كان مثل الرسول ﷺ حجة ومـــرجعاً للناس، فالفقهاء مسؤولون عن الامور الاجتماعية، ومراجع عامة لجماهـــير الناس، وحجة الله هو الشخص الذي نصبه الله لتنفيذ اُمور معينة، تكون جميع أعماله وتصرفاته وأقواله حجة على المسلمين. وبذا فإن الفقهاء هم حجة على الناس من قبل الإمام عجل الله فرجه وجميع الاُمور وكل المسائل موكولة إليهم، وكل من يتخلف عنهم في أمر الحكومة وإدارة اُمور المسلمين، وتناول الواردات العامة وصرفها، سوف يحتج الله تعالى عليه.

وقد روى الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي، أنه عند وفاة النائب الرابع،

أبي الحسن علي بن محمد السمري، خرج توقيع إلى الناس (بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، عظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك ولاتوصِ إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفترٍ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). ولما سُئل قبل وفاته، من وصيك بعدك، قال: لله أمر هو بالغه، وقضى، فكان آخر كلام سمع منه(رضي الله عنه) في ٣٢٩هـ .

مما يعني أن المرجع في الدين والشرائع تقرر في العلماء والفقهاء والمجتهدين بأمر الإمام عجل الله فرجه الشريف إذ إن النيابة ثابتة لهم على سبيل العموم حسب ما جاء عن الإمام عجل الله فرجه الشريف: «فأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا» فالناس مكلفون بالرجوع إليهم اضطراراً لعدم تعيين نائب مخصوص في زمن الغيبة الكبرى، بل حكم بانقطاع النيابة الخاصة والسفارة، مما جعل أن تصبح مكانة المجتهد هي مكانة النائب العام للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ينوب عنه ويتوسط بينه وبين الناس.

وقد برز من العلماء الأفذاذ في تلك الفترة المبكرة (الشيخ أبوجعفر محمد بن يعقوب بن إسحق الكليني): حيث ولد في أيام ولادة الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف ٢٥٥هـ، وكان والده من كبار علماء الإمامية في فترة الغيبة الصغرى، وأدرك الإمام العسكري عليه السلام أيضاً، أما الشيخ فقد أدرك أيام الغيبة وبعضاً من أيام الامام العسكري عليه السلام حيث توفي ٣٢٩هـ عن عمر ٦٩ أو ٧٥ عاماً. وقد أصبح الشيخ من الأعلام المشهورين في زمن الغيبة ومن

المقربيـن الـى الـنواب الأربعـة، واجتمع عنده العلماء يأخذون من علمه ويروون عنه حتى أصبح كتابه الكافي مرجعاً للجميع. وفي حياته سافر الى بلـدان كثيرة كالعراق ودمشق ولبنان، واتصل فيها بالعلماء هادفاً جمع آثار الائمة الأطهار عليهم السلام في كتابه، فامتد ذلك الى عشرين سنة.

وقـد وصفه إبن الأثير: أنه الإمام المجدد لمذهب الإمامية على رأس المئة الثالثة. وقال عنه الشهيد الثاني: أنه الشيخ السعيد الجليل رئيس المذهب، وعـن رجالـه في كتابه الكافي الذي لايوجد في الدنيا مثله جمعاً للأحاديث وتهذيـباً للأبـواب وترتيـباً، صنفه في عشرين سنة، وسمي كذلك بالشيخ الأوحد، ورئيس المحدثين.

وقـد أعطـى اهتماماً واعتناء تامين في إعلاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام بشأن توحيد الله سبحانه، وصنف في كتاب التوحيد ٢١٢ حديثاً في ٣٥ باباً، عـبّر كل باب عن رأي الشيعة الإمامية ومنهج أهل البيت عليهم السلام نحو المسائل العقائديـة التي ظهرت بالوجود وأصبحت مدار البحث والنقاش بين المذاهب الإسـلامية، وأفـرد كتاباً خاصاً سماه كتاب الحجة تضمن ١٣٠ باباً تناول الإمامـة وشـرائطها ولـزومها وعـدد الائمـة وصـفاتهم وميراثهم عن الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم، فوضـع ثروة كبيرة من أحاديث المعصومين في هذا الباب تكشـف عـن المسائل العقلية والعقائدية عن طريق أحاديث أهل البيت عليهم السلام والتي قدر الشيخ المجلسي عددها بـ ١٦١٢١ حديثاً.

وقد جاء في ذكر الأسباب التي دعت الشيخ الكليني الى تأليف الكتاب، أن أهـل العلم والموالين لأهل البيت من أصحابه طلبوا منه القيام بذلك، كما أن الواجـب الشرعي الديني أمام انتشار العقائد والمذاهب الفاسدة والمنحرفة فـي المجـتمع، وتفشـي الجهل بين الناس، واضطراب العقليات كانت من

الدوافـــع القويـــة لتأليفه حتى يكون مرجعاً للطلاب والعلماء، إذ إن الوضع تطلب هذه الموسوعة الجامعة الناقلة لأخبار وسنن أهل البيت عليهم السلام للعمل على ضـــوئها وبموجبها، وخاصة أنه حاول خلال عشرين عاماً أن يجمع الأخبار الصـــحيحة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بالتدقيق في تلك الأخبار والبحث عن أســـانيدها ورواتهـــا وفحصـــها ومحصها، علماً أنه كان يعيش زمن النواب الأربعـــة ويجتمع بهم، مما يؤكد أنهم تعرفوا على الكتاب واطلعوا عليه، بل يمكن القول أن الامام المهدي عجل الله فرجه قد تعرف عليه أو عُرض عليه، فقد جاء أن الإمـــام عليه السلام اطلـــع عليه فعلا وقال فيه: الكافي كاف لشيعتنا. أو أن يكون الإمام عليه السلام قد اطلع على جزء منه، واطلع النواب والوكلاء على أجزاء اُخرى منه.

وقـــد أعجب الكتاب الكثير من العلماء والفقهاء فتحدثوا عنه ووصفوه بأفضـــل الصفات وأحسنها، حيث ذكر الشيخ المفيد: أن كتاب الكافي هو من أجلّ كتب الشيعة وأكثرها فائدة.

وقـــال المولـــى محمدباقر المجلسي، صاحب بحار الأنوار: إنه أضبط الاُصول وأجمعها وأحسن مؤلفات الفرقة الناجية وأعظمها.

أما الشهيد الأول، محمد بن مكي، فقال: إن كتاب الكافي في الحديث لم يُعمل للإمامية مثله.

وذكـــر الشهيد الثاني، الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين المعروف بالشـــيخ محمـــد الســـبط العاملي[1]: ان كتب الحديث الأربعة التي هي عماد الإيمـــان وأســـاس دعائم الإسلام هي: الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار.

(١) توفى ١٠٣٠هـــ.

ووصف المحدث القمي الشيخ: بأنه شيخ أجل وأوثق وأثبت، هو كهف الإسلام ومفتي طوائف الإسلام ومروّج المذهب في غيبة الإمام عليه السلام وثقة الاسلام.

أما السيد محسن الحكيم فقد أكد أن الكافي هو أحد الكتب الأربعة الخالدة المعروفة، يدور عليها عمل الشيعة الإمامية من تأليف شيخ المحدثين وأوثقهم الشيخ الكليني المعروف بثقة الاسلام.

وبذا فإن الكافي يحتل الصدارة الأُولى من بين كتب الحديث والفقه، والمصدر الأساس والمرجع المهم الذي لايستغني عنه الفقيه والعالم والخطيب والأديب وطالب العلم، ذلك أنه جمع كل الفنون والعلوم الإلهية، وضمنه الأُصول والفروع، ولُقب بثقة الإسلام حيث لم يعرف هذا اللقب لأحد غيره سواء قبله أو بعده.

هذا وقد أكد رأى آخر أن القيادة المرجعية ابتدأت على يد الشيخ الفقيه (الحسن بن علي بن أبي عقيل العماني) من سلطنة عمان، إذ إنه أول من هذب الفقه واستعمل النظر وفتق البحث عن الأُصول والفروع حيث كان موجوداً قبل الشيخ المفيد بسنوات عديدة، فقد توفي ٣٢٩هـ/٩٤٠م، أما الشيخ المفيد فقد ولد في ٣٣٦هـ وتوفي ٤١٣هـ/١٠٢٢م مما يمكن التأكيد أن الزعامة الدينية كانت له، ثم انتقلت إلى محمد بن أحمد بن جنيد الإسكافي المتوفي ٩٩١م ثم الشيخ المفيد المتوفي ١٠٢٢م ثم الشريف المرتضى المتوفي ١٠٤٤م ومنه للمحقق الطوسي الذي توفي ١٢٧٤م.

الشيخ الفقيه الحسن بن علي بن أبي عقيل، أبومحمد العماني الحذاء:

فقيه متكلم، كتب في الفقه والكلام، فهو من جملة المتكلمين وفضلاء الإمامية، ينسب إليه إبداع أساس النظر في الأدلة وطريقة الجمع بين مدارك

الأحكام بالاجتهاد الصحيح.

كما أنه أول من هذب الفقه واستعمل النظر وفتق البحث عن الأُصول والفروع وفي ابتداء الغيبة الكبرى. فاشتهر بالعلم والفضل والفقه، ونقل عنه الكثير من العلماء الأفاضل، اشتهر كتابه: المستمسك بحبل آل الرسول، بين جموع الطائفة، فاشتراه كل حاج، وثقه الجميع.

ويأتي بعده، (الشيخ ابن الجنيد) فاعتبر من كبار الطبقة السابعة، الا أن ابـــن أبـــي عقيل يعد أعلى طبقة منه، إذ إن (ابن الجنيد) من مشايخ المفيد، والشيخ العماني، من مشايخ شيخه جعفر بن محمد بن قولوية.

كـــان جـــده: أبو عقيل يحيي بن المتوكل الحذاء المدني، نشأ بالمدينة، وانـــتقل الى الكوفة، وروى عنه أهل العراق، وتوفي ١٦٧هـــ وقد ذكره ابن حجر وغيره وضعفوه وذلك لتشيعه. وانتقل هو وأولاده من الكوفة الى عمان من بلاد البحرين.

الشيخ أبو علي محمد بن أحمد بن الجنيد البغدادي الإسكافي:

هـــو أول مـــن أبدع أساس الإجتهاد في أحكام الشريعة، وأحسن الظن بأُصول فقه المخالفين من علماء الشيعة، وتبع في ذلك، الحسن بن أبي عقيل العمانـــي ـــ المعاصر للشيخ الكليني ـــ وقد عمل صراحة بالقياسات الحنفية واعـــتمد على الاستنباطات الظنية، مما أثار اختلاف الكثيرين عنه، فقد ذكر الشـــيخ الطوســـي، أنـــه كان جيد التصنيف الا أنه كان يرى القول بالقياس، فتركـــت كتـــبه وأُهملت ولم يعتن بها. بينما ذكر السيد المرتضى فيما يخص المسألة في أخبار الآحاد: أنه كان في رواتنا ونقلة أحاديثنا من يقول بالقياس، كالفضـــل بن شاذان ويونس بن عبدالرحمن، وجماعة أُخرى معروفين. وقال عنه أيضاً الشيخ الصدوق في الفقه: أن الشيخ ابن جنيد، عاش في أيام (معز

الدولة البويهي) الذي عمل وزيراً للخليفة الطائع العباسي، وكان إمامياً عالماً، فعظم أمر الشيعة في زمنه، حتى أمر أهل بغداد بالبكاء والنوح وإقامة المآتم على الحسين عليه السلام يوم عاشوراء في السكك والأسواق، والتهنئة والسرور يوم الغدير. ولذا لم يمكن أن ينكر إبن جنيد ضرورة من ضروريات المذهب، فيصنف كتاب: (كشف التمويه والإلتباس على أغمار الشيعة في أمر القياس) يبطل فيه ما هو معلوم عند جميع الشيعة، ويسمي من خالفه فيه أغماراً وجهالا، كما أن السلطان الحاكم كان يعظمه ويسأله ويكاتبه. ثم إنه كان من رجال الغيبة الصغرى ومعاصراً للسفراء، فلم يرد عنه من الناحية المقدسة ذم ولا قدح، ولا صدر من السفراء اعتراض عليه ولا طعن. ولذا فإن خطأه في القياس كان كالخطأ في مسائل الفروع يعذر فيها المخطئ ولايخرج به عن المذهب، ولايعني إسقاط كتبه وإهمالها وعدم التعويل عليها أيّ أمر سيّء تجاهها.

إن اختلاف الفقهاء في مباني الأحكام لايوجب عدم الاعتبار بقولهم؛ لأنهم قديماً وحديثاً كانوا يختلفون في الأُصول التي تبنى عليها الفروع كاختلافهم في خبر الواحد، والاستصحاب والمفاهيم وغيرها من مسائل أُصول الفقه، حتى لاتجد اثنين منهم متوافقين في جميع مسائله.

ومن كتبه الكثيرة ومؤلفاته: تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة، وهو يتكون من عشرين مجلداً اشتمل على عدة كتب فقهية.

قيل إنه كان عنده مال للصاحب عليه السلام وسيف أيضاً، وأنه أوصى به إلى جاريته فهلك. وله كتاب: الأحمدي في الفقه المحمدي، وهو كتاب جيد يدل على فضله وكماله وبلوغه الغاية القصوى في الفقه.

وقد لقب بالكاتب لمهارته في حسن الإملاء وفن الإنشاء. وبالنسبة إلى

اسمه، فقد حدث لَبْس فيه وفي نسبه، الجندي والجنيدي، فقد ذكر النجاشي في ترجمة الشيخ المفيد، أن له رسالة الجنيدي الى أهل مصر. وذكر أن شخصاً يقال له الجنيدي من أهل إصفهان قدم إلى سمرقند في ٣٦٠هـ كرسول لوالي خراسان (ابن منصور بن نوح) إلى الترك، فقتل في بلاد الترك في تلك السنة. وعن وفاته فقد ذكر أنه توفي بالري في ٣٨١هـ في نفس زمن الشيخ الصدوق، إلا أن ذلك غير صحيح، إذ إن (ابن الجنيد) كان قد توفي قبل ذلك.

أما الشيخ المفيد[(١)]:

فقد تخرج من مدرسته التي عرفت بالمدرسة الكبرى فطاحل العلماء، وعلى رأسهم الشريف الرضي والمرتضى وشيخ الطائفة الطوسي. اشتهر الشيخ المفيد بالفقه وعلم الكلام والرواية والعلم، وعد شيخ الإمامية، ذكر عنه ابن النديم: إن رئاسة متكلمي الشيعة انتهت إليه. واحترمه عضدالدولة البويهي فكان يزوره في داره مما دفع الى القول بأنه أسس الجامعة النجفية. فكان يحضر مجلسه العلمي الكثير من العلماء، ويناظر أهل كل عقيدة. ولمع نجمه في بغداد فأسس الحوزة العلمية وحضر دروسه العشرات من العلماء، كما جاء أن الإمام المهدي عجل الله فرجه كتب إليه عدة رسائل، في كل سنة رسالة، يخبره فيما سيكون متنبأ بالأحداث القادمة، ومحذراً من العواقب والنتائج السيئة لها، مثلما جرى من الأحداث في القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية وكان عصر الشيخ المفيد متميزاً بكثرة المدارس وحلقات الدروس، وتطور علم الكلام والجدل، وظهور العديد من العلماء تميزوا بأساليب

---

(١) ولد في٣٣٦هـ وتوفي ببغداد ٤١٣هـ، ودفن بالحرم المطهر بالكاظمين، وشيعه عند وفاته ٨٠ ألفاً من الشيعة.

المناقشات والمناظرات حول قضايا الدين والمذاهب، كالمناقشة والمنافسة بين الأشـاعرة والمعـتزلة، ممـا جعل علماء كل طائفة يهتمون بوضع الكتب والأسـانيد للطعـن والرد على الأُخرى، كما اجتمعوا كلهم للرد على الشيعة والتشيع، فأصبح الشيخ المدافع والصامد أمام هؤلاء والواقف بالمرصاد لهم، حيـث كـان يشرح العقيدة بالأدلة المدعمة، ويرد عنها الشبهات، في الوقت الـذي كـان ينتقد الآخرين ومذاهبهم، معتمداً في كل ذلك على منطق العقل والتفكير الحر بعد أن كانوا لايتجاوزون حرفية النصوص الى العقل، فأصبح العقل أساس النصوص الدينية والعقيدة.

كانت له مكانته ومنزلته في مسار التفكير العلمي للتشيع في مجال علم الكلام والفقه، فهو أحد العلماء الإماميين البارزين وفقيهاً محكماً، امتدت آثاره الى اليوم حين وضحت في وجود الحوزات العلمية المعاصرة.

وبـرز دوره فـي القضايا الساخنة التالية: تأكيد استقلالية مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وتأسـيس إطـار علمي صحيح في دراسة الفقه الشيعي، والجمع بين العقل والنقل في الفقه والكلام، مما جعله يكون أول موضع القاعدة الأساسية بمجهوده العلمي لتنفيذ تلك المهام. فهو ممن أسس حوزة بغداد العلمية الشيعية التـي كـان لها دور كبير في التاريخ الشيعي، حين أصبحت بغداد في زمنه مركزاً أساسياً لعلوم الشيعة ومعارفها ومرجعاً لحل المسائل الفكرية والدينية، ومكانـاً يهـوي إليه طلاب العلم، حتى أصبحت شهرة حوزة بغداد تلتصق بالشـيخ، وتـرجع الى وجوده، واحتلت موقعاً فريداً لم تصل إليه الحوزات الأُخرى، فتخرج على يديه جمع من الطلاب من خلال عمله في نصف قرن، واستمرت فاعليتها العلمية حتى ظهور حوزة النجف في ٤٤٨هـ .

وقــد تميز الشيخ في موهبته كما كان عليه العلماء الأقدمون في الفقه والكــلام وفي علم الرجال والحديث وقدرته على الجدل والمناظرة الفكرية، فكان مجمعاً للمعارف، أوضح مقامه ومكانته العلمية تلميذه السيد المرتضى(١) واســتفاد مــنه شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي(٢) اللذان واصلا نفس المنهج الذي أرساه الشيخ المفيد.

وذكــر عنه ابن النديم: أنه رأس الشيعة في الفقه والكلام والحديث في عمر لايتجاوز ٤٤ سنة.

وقال عنه الذهبي: أنه كان مميزاً في كافة العلوم، خرّجت حوزته بعد ذلك الأعلام كالسيد المرتضى وشيخ الطائفة الطوسي.

ومن ذلك يمكن التأكيد على أنه هو الذي وضع أسس الحوزات العلمية الشــيعية للقــرون التالــية منذ ٤١٣هـ حين أخذ على عاتقه مسؤولية رسم الحدود الواضحة لمذهب أهل البيت عليهم السلام عن طريق تنقيح المذهب من شوائب الأفكــار التي دخلت من المذاهب والفرق الأُخرى، حيث أصبح فقه المذهب واضــحاً للدارسين والباحثين، ومميزاً لــه خصائصه الفريدة التي تمنع من الخلط والاشتباه بالمذاهب والفرق الأُخرى.

وقد كتب في تلك الأُمور عدة كتب أشهرها: المقنعة في الفقه، والتذكرة بأُصــول الفقه، وتبلورت منهما لأول مرة قواعد الاستنباط الفقهي التي أفتى على أساسها. وكتاب التذكرة هو أول كتاب في أصول الفقه لدى الشيعة، كان مقدمة لإبداع علمي وفني للاستنباط الفقهي. كما صنف كتاب الأعلام، جمع

---

(١) توفي ٤٣٦هـ .

(٢) توفي ٤٦٠هـ .

فيه موارد من الأحكام المتفق عليها بين فقهاء الشيعة مع بيان عدم أخذ فقهاء السنة بأي منها في أحكامهم. وصنف أيضاً كتاب المسائل الصاغانية، أجاب فيه على مشكلات أثارها فقيه حنفي على فقه الشيعة.

ويعتبر كتاب أوائل المقالات في المذاهب والمختارات أهم ما تناوله في إثبات الفروق بين الشيعة والمعتزلة حيث سعى إلى وضع مرجع وأساس عقائدي يكون بمثابة الإطار المرجعي للباحث عن الأُسس الفكرية للمذهب، مؤكداً أن المعتزلة تدين الى الشيعة فيما تراه من أفكار وآراء لاالعكس، مشيراً إلى استقلالية الشيعة التامة في آرائهم وأفكارهم دون الأخذ من الغير أو الحاجة إلى ذلك.

إلاّ أن الشيخ تعرض لمضايقات ومحن عديدة انتهت الى نفيه بعد حوادث محرم ٤٠٦هـ والفتنة العظمى نحو الشيعة، فاختارت السلطات الحاكمة السيد المرتضى ليمثل الشيعة في التفاوض معها، متجاهلة الشيخ المفيد الذي كان هو الرئيس المطلق للشيعة في ذلك الوقت، وكان السيد المرتضى تلميذه.

أما شيخ الطائفة: أبوجعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، فقد هاجر الى بغداد في ٤٠٨هـ في عمر ٢٣ ولازم الشيخ المفيد وتتلمذ عليه لمدة خمس سنوات وبقي معه حتى ٤٣٦هـ ، كما لازم أستاذه الثاني السيد الشريف المرتضى أبوالقاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الإمام الكاظم عليه السلام فاصطحبه ٢٣سنة، وأجرى عليه الرزق حيث كان يمنحه ١٢ ديناراً كل شهر، ثم رشّحه للزعامة الشيعية بعد وفاته منذ ٤٣٦هـ ، وقد استلهم أُسلوب الاستدلال الفقهي من الشيخ المفيد وتعلمه منه مباشرة وهو نفس الأُسلوب الذي اعتقده أُستاذه فعمل به

وعلمه لتلاميذه.

وقد بلغ عدد تلاميذه ٣٠٠ مجتهد من أعلام الشيعة ومن أهل السنة ما لايحصى، إذ كان إمام الفقه والتفسير والحديث والكلام، احترمه وقدره لمكانته العلمية، الخليفة العباسي (القائم بأمرالله) فجعل له كرسياً للتحدث مع طلاب العلم.

قام بتأليف العديد من الكتب وصل عددها الى ٤٢ كتاباً اشتهر منها كتاب الاستبصار في الجمع بين ما تعارض من الأحكام، وكتاب تهذيب الأحكام، وهما من الكتب الأربعة المعتمدة عند طائفة الشيعة. وقد تأثر في كتاباته بالشيخ المفيد إذ إن كتاب التهذيب هو شرح للمقنعة وبيان استدلالي فقهي عليها، فيذكر عنها أنها شافية في معناها، كافية في أكثر ما يحتاج إليه من أحكام الشريعة، وهي بعيدة عن الحشو. وقد ألّف الشيخ الطوسي كتاب التهذيب في حياة الشيخ المفيد قبل عام ٤١٣هـ .

كما استفاد في مؤلفاته وعلومه من مكتبتين عظيمتين:

١ ــ مكتبة أبي نصر شابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة البويهي في ٣٨١هـ حين أسسها في بغداد ليستفيد منها الشيعة على الخصوص، فاعتبرت أهم مكتبة لما تحتويه من كتب قيمة جلبت من العراق وفارس والهند والصين والروم، فضمت عشرة آلاف مجلد ومائة مصحف، إضافة إلى كتب قديمة بخطوط مؤلفيها. وتردد عليها الباحثون للدرس والبحث، كان أشهرهم أبو العلاء المعري. وأشرف على إدارتها وتنظيمها عدد من كبار الرجال وأئمة العلم في ذلك العصر مثل: الشريف المرتضى.

إلا أنه عندما دخل طغرلبك السلجوقي العراق، قام بإحراق ما فيها

فضاعت ثروة لاتقدر ولاتعوض من تراث المسلمين وكنوزهم[١].

٢ ـ مكتبة أستاذه الشريف المرتضى[٢]، التي اشتملت على ٨٠٠ ألف كتاب.

ولـذا لم يظهر من يفوقه علماً ومكانة في عهده حتى اعتبره مؤرخوا السـنة مـن أعلامهم فعدوه من علماء الشافعية. الا أنه في الأحداث الطائفيه الدامية التي اندلعت بين السنة والشيعة في ٤٤١ واستمرت الى ٤٤٨هـ في عهـد السـلاجقة، تم الاعتداء على دار الشيخ الطوسي بالكرخ وسلبوا كتبه ودفاتـره وأُحرقت، فهرب الشيخ الى النجف في ٤٤٩هـ، مما جعل النجف تـأخذ مظاهـر العلم والثقافة فتقوى مكانتها في ذلك، فتأسست الجامعة التي ازداد عدد أفرادها وطلابها، وأنشأ حوزة علمية جديدة فيها.

أما السيد المرتضى:

فقـد ألـف في أُصول الفقه الجعفري، ويعتبر كتابه الضخم (الشافي) صـورة لمعـارف الإمامـية وعلومهم، فقد عالج مسألة الإمامة كمبدأ ديني واجتماعي وسياسي، وأثبت بالعقل أنها ضرورة دينية واجتماعية، وهو أول كـتاب جامع في الدراسات الإسلامية الإمامية، لايستغني الباحث عنها، أشاد بـه العلاّمه الحلّي ومدحه بقوله: إن كتب الشريف يستفيد منها الإمامية منذ زمنه حتى الوقت الحاضر، فهو المعلم والركن الأساس عند الإمامية.

أمـا الحوزة فقد تزعمها بعد الشيخ الطوسي، ابنه: أبو علي الطوسي

---

(١) الشيخ الطوسي: نسبة الى طوس بخراسان، ولد في ٣٨٥هـ وهاجر الى بغداد وتوفي ٤٦٠هـ أو ٥١٥هـ .

(٢) ولد الشريف المرتضى ٣٥٥هـ وتوفي ٤٣٦هـ .

الحسن بن محمد بن الحسن، الذي تطورت عن طريقه المرحلة العلمية المنتظمة في النجف حينما استلم الزعامة، وتستمر تلك المرحلة بين الشدة والضعف، حيث قام بتنسيق الدراسة العلمية في أقسام ثلاثة: الفقه، الحديث، الأُصول. ووضع فيها مؤلفات مهمة أعجبت العلماء والفقهاء فاعتنوا بها واهتموا برعايتها، كما جمع الأحاديث المنقولة عن الائمة عليهم السلام، الامر الذي أوجد من ذلك أربعة مصادر موسعة للحديث: اثنان منهم أصليان وهما: التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي، كما وضع كتاب الرجال وطبقاتهم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله الى ما بعد الائمة عليهم السلام فبلغت مؤلفاته نحو ٤٧ مؤلفاً تناولت جوانب متعددة في العلوم والآداب، كما عرض في بحوثه الفقهية منهج الفقهاء من الشيعة القدماء الذين مثلوا المرحلة الأولية والابتدائية من التفكير الفقهي، وهو ما أُطلق عليه: منهج الإخباريين الذين ركزوا على أخذ الأحكام والأحاديث والروايات واتباع النصوص دون الاهتمام بالتوسع والانصراف عن التفريع، كما عرض منهج الفقهاء الشيعة الأُصوليين الذين فكروا بذهنية أُصولية ومارسوا التفريع الفقهي في نطاق واسع.

وكانت الحركة العلمية قد انتقلت من النجف الى الحلة، نتيجة أحداث سياسية وأحوال اجتماعية سيئة، كهجوم الأعراب عليها، وارتفاع مستوى الأسعار والغلاء، وقلّة المياه فيها، وانتقال زعيم الحركة العلمية إليها وهو الشيخ ابن ادريس[(١)]:

محمد بن إدريس فخرالدين محمد بن أحمد بن إدريس الحلي العجلي:

كان أُصولياً مجتهداً، أثر بفعالية في تاريخ الفقه الشيعي، فقد ثار على

---

(١) كان الشيخ الطوسي جده لأُمه. توفي ٥٩٨هـ .

ما كان سائداً في عصره من جمود في الاجتهاد، وطعن على الشيخ أبي جعفر الطوسي؛ لان الفقهاء بعد عصره ضعفت عندهم روح الاستنباط والاجتهاد بتركيزهم على أقوال الشيخ الطوسي، فأظهر الجرأة في فقهه وأفكاره، ونادى بفتح باب الاجتهاد. قال عنه الحسن بن داود الحلي: إنه شيخ الفقهاء، متقن للعلوم كثير التصانيف، ولكنه أعرض عن أخبار أهل البيت كلية.

إن الامامية أبقت الاجتهاد مفتوحاً منذ عصر الائمة عليهم السلام حتى عصر الطوسي في النصف الأول من القرن الخامس الهجري فضعف بعد عصره، وهو ما جعل ابن إدريس يناقش آراءه وأفكاره ونظرياته، لإزالة الجمود الفكري والاجتهاد المغلق، وقد نجح في ذلك إلى حد كبير ومدى بعيد.

ويتطلب الموضوع هنا أن نوضح بعض الجوانب التي تتطلب التفسير والشرح، كي لاتتعارض الأفكار وتتحرف عن بعض القراء والسائرين نحو الاتجاهات المحددة في أفكارهم ونظرياتهم، فنتناول بايجاز تاريخ الحركتين الأُصولية والأخبارية.

كان الشيعة الإماميون يتبعون منهج الأخباريين الى القرن الثالث الهجري حين كان الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه موجوداً حتى العقد الأول من النصف الثاني من القرن الثالث الهجري فلم يكن هناك حاجة إلى الاجتهاد أو بيان مناهج الإستنباط؛ لأن الأئمة عليهم السلام كانوا أحياء يسألهم الناس ويجيبونهم بصورة مباشرة، وبذا فقد غلبت النزعة الاخبارية على هذه الفترة. ففي القرن الثالث الهجري والرابع الهجري كان فقهاء الشيعة ضد الاجتهاد، وهي الكلمة التي استعملت أول مرة في بعض مدارس الفقه السني، فالاجتهاد كما يرى (السيد محمدباقر الصدر) لقي معارضة شديدة من أئمة أهل البيت والفقهاء،

كالشيخ الصدوق، والمفيد، والسيد المرتضى في أوائل القرن الخامس الهجري مستمراً حتى القرن السابع الهجري.

وأول من اتجه الى منهاج الأُصوليين: (محمد بن أحمد بن الجنيد الأسكافي)(١) ومحمد بن أحمد بن عقيل، من فقهاء القرنين الثالث والرابع الهجريين حين كان الشيعة لايقلدون الميت ويرجعون في أحكامهم إلى المجتهد الحي الجامع للشروط بعد غيبة الإمام المعصوم عليه السلام الذي كلفهم بالرجوع الى العلماء العدول في زمن غيبته الكبرى.

أما الأخباريون فلم يتجاوزوا ما جاء بالسنة وأقوال الأئمة عليهم السلام دون النظر إلى الاجتهاد وما وراءهما، على أساس أنهم جاءوا بكل ما يحتاج إليه الناس، فالله سبحانه وتعالى ختم الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وهو العالم إن الشريعة تم بيانها، فلا حاجة بعدهم إلى بيان. ومن أبرز قياديي الحركة الاخبارية، المرحوم (الميرزا محمد أمين الاسترآبادي) في أوائل القرن الحادي عشر الهجري حاول أن يرجع تاريخ الحركة إلى عصر الأئمة عليهم السلام مشيراً بذلك إلى أن لها جذوراً عميقة في تاريخ الفقه الإمامي فقال: إن الاتجاه الأخباري كان هو السائد بين فقهاء الإمامية إلى عصر الكليني والصدوق وغيرهما، ولم يتزعزع هذا الاتجاه إلاّ في أواخر القرن الرابع الهجري عندما انحرف جماعة من علماء الإمامية عن الخط الأخباري فاعتمدوا العقل في الاستنباط، وربطوا البحث الفقهي بعلم الأُصول تأثراً بالطريقة السنية في الاستنباط، ثم توسع هذا الانحراف وشاع وانتشر.

ويعتبر هذا الاعتراض أول فتح باب للطعن على المجتهدين في كتابه:

---

(١) كتب في الفقه المقارن بين فقه الإمامية وفقه الجمهور.

(الفوائد المدنية) حيث ذكر أن هناك ضرورة بالاعتماد على آل البيت والعترة النبوية في فهم الدين، فلا سبيل في ما لانعلمه من الأحكام النظرية الشرعية أصلية أو فرعية، إلاّ السماع من الصادقين من أل البيت، فلا يجوز استنباط الأحكــام الــنظرية من ظواهر كتاب الله ولاظواهر السنن النبوية ما لم يعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر، فأهل البيت هم المؤهلون للقيام بهذه المهمة.

فالأخــباريون بذلــك رصــدوا بعض الأُمور ووضعوا لها تصورات محددة: فقد تخيلوا أن ربط الاستنباط بالعناصر والقواعد الأُصولية يؤدي الى الابــتعاد عن النصوص الشرعية والتقليل من أهميتها، ونظروا إليه على أنه نتيجة للمذهب السنّي، خاصة عندما اتفق (ابن الجنيد) وهو أحد رواد الاجتهاد مــع المذاهــب السنية في القول بالقياس، وأن علماءنا اقتبسوا الاجتهاد من علمــاء السنة، الأمر الذي دفعهم الى رفض الاجتهاد، كما عارضوا المؤيدين لــه، فاتجهوا إلى العمل ضد من يأخذ بالعقل، ورأوا أن علم الأُصول لم ينشأ فــي الإطار الإمامي إلا بعد الغيبة، مما يعني أن أصحاب الائمةعليهم السلام وفقهاء مدارســهم ســاروا بدون علم أُصول دون الحاجة إليه، ولذا فلا ضرورة في التورط في هذا الأمر الحديث.

فالأخــبارية بذلــك، تنادي بمنع الاجتهاد في الأحكام الشرعية، وتعمل بالأخــبار الــواردة عــن النبيصلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيتهعليهم السلام[(١)]، وأن ما تناولته كتب الأخــبار الأربعــة عند الشيعة قطعي السند موثوق بصدوره، فلا حاجة الى البحث عن سندها. كما يرون عدم الحاجة الى تعلم أُصول الفقه، وأسقطوا من أدلته: دليل العقل والإجماع، فاقتصرت على: القرآن والخبر، وهو ما عرف

---

(١) جعفر الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة ــ قسم النجف، ج ٢ص ٦٦.

بهمـــا الأخبارية. وبجانب ذلك يقررون جواز تقليد الميت الفقيه ابتداء، خلافاً للأُصوليين.

وقـــد اتخـــذ الأخباريون اتجاههم الفكري في كربلاء في القرن الثاني عشـــر الهجري كنقطة ارتكاز وانطلاق، معاصرين لمدرسة جديدة نشأت في الفقه والأُصول على يد رائدها المجدد: محمد باقر البهبهاني(١) حيث قاومت هـــذه المدرســـة الحركة الأخبارية وأيدت علم الأُصول حتى تضاءل الإتجاه الأخباري.

أما نتائج هذا الاختلاف وآثاره بين الاتجاهين، فقد برزت في مجموعة مـــن الكتـــب القـــيمة والموســـوعات الضخمة التي تناولت الفقه والأُصول والمعـــارف كان لها أثرها ودورها في تطوير الدراسة والتحصيل العلمي في النجف.

ويمكن أن نوجز الاختلاف والاتفاق بين الاتجاهين في النقاط الآتية:

١ ـــ ركز الأُصوليون في رأيهم على وجود الاجتهاد عيناً أو تخييراً. أما الأخباريون فإنهم يحرمونه ويوجبون الأخذ بالرواية عن المعصوم عليه السلام.

٢ ـــ كان الاجتهاد عند الأُصوليين يمكن أخذه زمن غيبة الإمام عليه السلام مع الأخذ منه زمن حضوره.

أما الأخباريون، فيوجبون الأخذ منه مطلقاً وإن كان بالواسطة.

٣ ـــ ويكـــون المجـــتهد المطلق عالماً بجميع أحكام الدين بالدولة، أما الأخباريون فيذهبون إلى أن لاعالم بجميع أحكام الله إلا المعصوم.

٤ ـــ يـــثاب المجـــتهد وإن أخطـــأ عند الأُصوليين، الا أن الأخباريين

---

(١) توفي ١٢٠٦هـــ .

يرونه مأثوماً مطلقاً إذا حكم في شيء بغير خبر صريح صحيح.

٥ ـ لايجوز الرجوع الى غير المعصوم فيما خفي نصه، ولكن الأخباريين يجوزن طلب الحديث ولو كان من عامي.

٦ ـ تجب إطاعة المجتهد العالم، كالإمام‏عليه السلام، والأخباريون لايوجبون ذلك.

٧ ـ يرى الأُصوليون عدم الاعتقاد بصحة جميع ما في الكتب الأربعة؛ لان فيها الصحيح والموثق والحسن والضعيف، أما الأخباريون فيؤكدون صحة جميع ما فيها.

٨ ـ تحددت الأدلة عند الأصوليين في أربعة مصادر: الكتاب والسنة والإجماع ودليل العقل. وركز الأخباريون على الكتاب والسنة.

٩ ـ حصر الأُصوليون الرعية في صنفين: مجتهد ومقلد، بينما اعتبر الأخباريون الرعية كلهم مقلدين للإمام المعصوم‏عليه السلام، فلا يجوز الرجوع الى المجتهد بغير حديث صريح صحيح[1].

ومن العلماء الذين برزوا في القرن الرابع الهجري وكان لهم دورهم في التعليم الديني وتطور الحوزة الدينية:

الشيخ أبوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق، كما يدعى نزيل الري وشيخ خراسان. جاء الى بغداد في ٣٥٥هـ وتوفي بالري ٣٨١هـ . وكان والده قد طلب في دعائه

---

(١) كان الفقيه اللبناني الحر العاملي من الأخباريين، ساهم في الترويج له في مناطق الشيعة في البحرين وجنوب العراق، إلا أن مجتهدي جبل عامل في لبنان كانوا الأسبق في مهاجمة الإخباريين.

من الامام المهدي عجل الله فرجه أن يدعو له ويطلب من الله أن يرزقه أولاداً، فحصل علـــي: محمد والحسين. وللأخير أولاد وأحفاد علماء. وقد أجازه: محمد بن علي الفضل الكوفي عام ٣٥٤هـــ بالمشهد العلوي.

كمـــا أن من أبرز من كتب في الفقه الامامي ومن العلماء حتى نهاية القرن الثالث الهجري:

ــ أبوسهل النوبختي، من شيوخ المتكلمين، كتب في الأُصول.

ــ أحمد بن الحسن المارداني، صنف الكتب في فضائل أهل البيت عليهم السلام أيـــام المعتمد العباسي ٢٧٥هـــ . ونشر التشيع بين أهالي الري الذين كانوا سُنَّة، وتقرب الى الناس فأحبوه.

وقد ازداد بذلك عدد العلماء والفقهاء بالنجف الأشرف منذ زمن الشيخ الطوسي، فساهموا في بناء صرح النجف العلمي، فتأسست منذ وجود الشيخ الجامعـــة الدينية بشكل الحوزه العلمية ونظمها وقام بالتدريس بها حتى بلغت مركزاً علمياً، وفد إليها العلماء والأُدباء وأقاموا بها. كما تأسست بها المكتبات مـــنذ القرن الرابع الهجري عند تأسيس المكتبة العلوية أو الحيدرية في ٣٧٢ هـــ/٩٨٢م والتي اعتنى بها عضد الدولة البويهي، بالرغم من أن حريقاً شبّ فـــي المشـــهد العلوي عام ٧٥٥هـــ/١٣٥٤م فاحترقت المكتبة مما تسبب في إحـــراق ثـــلاث مصـــاحف كانت مكتوبة بخط الإمام علي عليه السلام نفسه[١]. كما صدرت الإجازات العلمية من بعض المشايخ العلماء الساكنين في النجف إلى تلاميذهم.

---

(١) توجـــد الآن قطعة من مصحف مكتوب على رق بخط كوفي كتب في آخره، تم سنة أربعين هجرية كتبه علي بن أبي طالب.

أمــا فــي القرنيــن السادس والسابع الهجريين برز من آل طاووس: (رضي الدين علي بن سعد الدين موسى)[(١)]: وهم سادة نقباء من ولد داود بن الحسن المثنى، ينسبون لجدهم أبي عبيدالله محمد الطاووس، كان عالماً فقيهاً وشاعراً أديباً تولى النقابة أيام الإيلخانيين، وله مؤلفات كثيرة، اتصل بالوزير (مؤيد الدين العلقمي) وأقام معه علاقات قوية. وبرز منهم: جمال الدين أحمد أبوالفضـــائل بن سعدالدين موسى: المجتهد الأكبر والإمام في الفقه والأُصول والأدب. قــيل عــنه أنه السيد الإمام الطاهر المعظم فقيه أهل البيت وأروع فضـــلاء زمانـــه، صنف ٨٢ كتاباً في مختلف العلوم. وإشتهر من تلاميذه: (الحسن بن المطهر الحلي) المعروف بالعلاّمة، العالم الفقيه، وحيد عصره في العلــوم، درس علـــى يـــد خاله، المحقق الحلي، ووالده (يوسف بن المطهر) وعلى الخواجه (نصيرالدين الطوسي) وكتب كثيراً في الكتب والتصنيف، كما اتصـــل بالســـلطان خدابنده في إيران، وناظر العلماء في مسألة الإمامة، مما جعـــل خدابـــنده يتشيع وينشر المذهب الإمامي. وقد سافر الى مصر ومات بالحلة ٦٧٣هـــ .

ومـــن آل المطهر نبغ رجال العلم والأدب والخدمات الاجتماعية، فهي أســـرة ذات علـــم وشـــرف تنتمـــي الى بني أسد، اشتهر منهم: (يوسف بن المطهر)[(٢)]، الفاضل الفقيه والمتبحر في العلوم العقلية والنقلية، وهو ممن وفد على هولاكو قبل فتح بغداد في ٦٥٦هـــ .

وفي القرنين السابع والثامن الهجريين برز علماء وأدباء أجلاء من بني

---

(١) ولد في ٥٨٩هـــ وتوفي ٦٦٤هـــ وقبره في النجف أو الكاظمين أو الحلة.

(٢) ولد في ٦٤٨هـــ توفي ٧٢٦هـــ ونقل الى النجف.

الأعـــرج، اشــتهر مــنهم: (مجدالديـــن الأعرج)، العالم المحقق. وهم سادة حســينيون ينتهي نسبهم الى (عبدالله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين عليه السلام).

وقــد تميز القرن السادس الهجري وما بعده بكثرة التأليف والكتابة في كتب علم الأُصول عند الشيعة، فظهرت الحلة في أوائل القرن السابع الهجري كمركــز شــيعي دينـــي، بقيادة المحقق الحلي فازدهرت الحياة العلمية فيها وضـــعفت فـــي النجف، كما أصبحت الهجرة عكسية منها الى الحلة، نظراً للظـــروف السياسية التي مرت بها، إلاّ أن الحالة الطبيعية عادت إليها زمن العلاّمة (المقدس الأردبيلي) لتزدهر النجف كمركز علمي شيعي ويستمر حتى اليوم فتعد أكبر مركز علمي لاينافسه بلد آخر في هذا المجال.

وكـــان التحول الى المنهج الأُصولي قد بدأ مع كتاب المعارج للمحقق الحلـــي[(١)]، الذي دعا إلى الاجتهاد ورغب فيه. أما في العصور اللاحقة فقد بـــرزت عائلـــتان ظهـــر منهما أقوى المجتهدين وأكثرهم تقديراً وتأثيراً في المجال العلمي الديني الشيعي وهما:

ــ آغا محمدباقر البهبهاني الشهير بالوحيد البهبهاني، الذي تميز بالعمل علـــى الإطاحة بالمدرسة الأخبارية في كربلاء والنجف، كما عمل على إبعاد الأخباريين عن الحوزات العلمية لتسيطر عليها المدرسة الاصولية.

عاش ما بين ١٧٠٦ــ١٧٩٢م في إصفهان، وهاجر شاباً الى كربلاء، ودرس علـــى يد والده، وقيل إنه حلم بالإمام الحسين عليه السلام يطلب منه البقاء في كربلاء. وبما أنه كان متشدداً تجاه الأخباريين حيث إنه كفرهم، مما زاد في

---

(١) توفي ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م.

المنازعات التي انتهت بفوز الأُصوليين في العصر القاجاري.

ــ السيد محمدمهدي الطباطبائي البروجردي الشهير ببحر العلوم[(١)]، كان من أهم علماء عصره، درس على يد الوحيد البهبهاني في كربلاء والنجف التي أصبحت مركزاً رئيساً للفقه الشيعي منذ ذلك الوقت.

وينحدر الاثنان من العالم الكبير (محمدباقر المجلسي) الذي كان أخبارياً، واشتهر بكتابه (بحارالأنوار) كما وضع ستين كتاباً عن الشيعة، وقرر في كتابه (عين الحياة) أن طاعة الملوك واجبة حتى لو تحولوا إلى طغاة، وعلى المسلم أن يصلي ويدعو لأصلاحهم؛ لأن في الخروج عليهم، نزول الكوارث على الشعب. وقد كان له دوره وأثره في نشر التشيع.

أما في العصر الصفوي، فقد اتخذت الدعوة الى الإجتهاد المطلق على يد المجتهد (المقدس الأردبيلي)[(٢)] كما أصبح الشيخ (علي الكركي) خاتم المجتهدين ونائب الإمام وأول مراجع الشيعة الكبار في إيران، في عهد الشاه طهماسب، وقد أفتى بعدم جواز تقليد المجتهد الميت. كما أن عدد المدارس الدينية قد زاد في هذه الفترة، ساعد على نموها سياسة نادرشاه المتطرفة ضد الشيعة، مما جعل العلماء يتوجهون الى النجف.

وفي الفترة التالية في القرن التاسع عشر الميلادي أصبحت للمدرسة الأخبارية السيطرة على مدارس النجف وكربلاء، مما دفع الأُصوليين للاهتمام بالقضاء عليها بعد أن قام (الميرزا محمد النيشابوري) بتجديده وخاصة بعدما دعا على القائد الروسي بالهلاك عند حصاره لباكو فهلك

---

(١) توفي ١٧٩٧م.

(٢) توفي ١٥٨٥م.

وقطع رأسه.

وظهر في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (الشيخ مرتضى الأنصاري) الذي جعل القيادة مركزية فأصبح المجتهد الأعلم ومرجع التقليد لكل الشيعة. كما أصبحت النجف أهم مركز رئيسي للمرجعية في هذا الوقت، وأصبح الشيخ (محمدحسن النجفي) أهم رجال المرجعية الشيعية، إلا أن المرجعية تعددت بعد وفاته في ١٨٥٠م ولكنها عادت فتركزت بعد ذلك في (الشيخ مرتضى بن محمدأمين الأنصاري)[١] ١٧٩٩ـ١٨٦٤م فصار مرجع التقليد الأوحد للشيعة. وأجاز أكثر من ٣٠٠ عالم في الاجتهاد، كما كان يوزع ٢٠٠ ألف تومان سنوياً من مجموع أموال الزكاة والخمس والصدقات.

ودرس على يد الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ علي بن جعفر كاشف الغطاء، وبعد موته، ترأس الشيخ مرتضى الجانب العلمي والديني في العراق، فانتشر صيته في العالم الاسلامي وأصبح مرجع تقليدهم.

وفي ١٨٧٢م برز الميرزا السيد محمد حسن بن محمود الحسيني الشهير بالميرزا الشيرازي[٢]: الذي انتقل الى سامراء فبنى مدرسة دينية التحق بها عدد كبير من الطلاب فأصبحت سامراء مركزاً في الفقه والدراسة. وهو يعتبر من أعظم علماء الشيعة ومجتهديهم في العصر العثماني، كان له

---

(١) وهو من نسل جابر بن عبدالله الأنصاري الصحابي: مرتضى بن محمد أمين بن شمس الدين بن أحمد بن نور الدين بن محمد الصادق الشوشتري. ولد في دزفول ١٢١٤هـ ـ ١٢٨١هـ .

(٢) ولد في ١٨١٥ـ وتوفي ١٨٩٥م

دور كبير مؤثر في الحياة الاجتماعية والسياسية، فقد وزع المواد الغذائية في النجف حينما عم القحط في العراق عام ١٨٧٠م كما بنى جسراً في سامراء كلف عشرة آلاف روبية وأهداه إلى الدولة، وصرف معاشات لكثير من الفقراء من أهل السنة، كما تدخل في الفتنة الطائفية التي حدثت في سامراء والمناطق المجاورة عام ١٨٩٣م رافضاً التدخل الأجنبي ــ القنصل البريطاني ــ في حل المشاكل الخاصة والوضع الطائفي للمسلمين، فقد رأى أن المسلمين يجتمعون في دين واحد وقبلة واحدة وقرآن واحد، وهم يتفقون مع العثمانيين. وهو صاحب الفتوى الشهيرة ضد امتياز التبغ في ١٨٩١م. وقد بلغ عدد المجتهدين الشيعة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كبيراً حيث وصل إلى ٧٥ مجتهداً في عهد ناصر الدين شاه. وخلال القرن العشرين وفي الخمسينيات والستينيات منه. مرت الحوزات العلمية في النجف في أصعب الظروف وأقساها لمدة عشر سنوات، حيث ظهرت أفكار وأحزاب سياسية إلحادية، دفعت عدداً من العلماء إلى تأسيس جماعة العلماء في النجف الأشرف لتقوية الوعي الديني لدى الأفراد، وبرز في هذه الفترة السيد محسن الحكيم كمرجع أعلى للتقليد، ثم انتقلت المرجعية بعد وفاته الى الإمام الخوئي الذي لم يأخذ مواقف متشددة تجاه النظام الحكومي وسياسة الدولة، فاتخذ الناس السيد محمدباقر الصدر رغم صغر سنه كمرجع للتقليد خلال السبعينيات، وقد أصدر عدة فتاوى ضد الحكومة البعثية، كما أوثق علاقته بالامام الخميني في إيران، الأمر الذي دفع الحكومة الى اعتقاله وإعدامه[١].

---

(١) ولد في ١٩٣٣ وأعدم في ١٩٨٠م.

وكـــان قـــد درس على يد آية الله الخوئي والشيخ عباس الرميثي الذي أجازه الإجـــتهاد في سن مبكرة، كما اشتهر بكتاباته الإسلامية المطورة التي استفاد مـــنها الســـنة والشيعة، كما ساند حركة الأسلمة بإنشاء شبكة من المؤسسات الـــتربوية والاجتماعـــية علـــى أســـس إسلامية. وقد أثرت أفكاره السياسية والاقتصادية في الثورة الإسلامية، وخاصة في دور الفقيه المسيطر في الدولة الإســـلامية، فكان يرى أن مراجع التقليد والفقهاء هم المعبرون تشريعياً عن الإســـلام، وأن المـــرجع الأعلـــى هو النائب العام أو الممثل للإمام الغائب، فيصبح بذلك لهذا المرجع الوظائف التالية:

ـ يكون الممثل الأعلى للدولة والقائد الأعلى للقوات المسلحة.

ـ يقرر شرعية المسائل الدستورية حسب الشريعة الإسلامية.

ـ يعين محكمة لمنع الانحراف، ومجالس للمظالم، ومجلساً مكوناً من مائة عالم وخطيب ومفكر ديني لإدارة عمل المرجعية.

أمـــا السيد الإمام الخوئي فقد أنشأ دار العلم وشملت ٣٨ ألف كتاب ، و ١٥٠٠ مخطـــوط، إلاّ أن حاكم العراق ورجاله قاموا بتدميره. وكذلك السيد آيـــة الله محسن الحكيم، أنشأ مكتبة دار الحكمة التي ضمت ٦٠ ألف كتاب و ٢٠ ألف مخطوط.

فمن الملاحظ أن الحوزة العلمية في العراق مرت في تطورات مختلفة نتـــيجة لظـــروف متعددة، وقد ضعفت في السنوات الأخيرة نتيجة مشكلات تعرضت لها وبخاصة في العصر الحديث، نذكر الأهم منها:

ـ ضـــغوطات الحكومـــات المتوالية عليها منذ زمن العثمانيين حتى اليوم.

ــ العمليات الإرهابية التي تعد لها وتنفذها الحكومات.

ــ عدم تعاون التجار معهم مثل ما يحدث في إيران، مما يضعف الموارد المالية لديها.

ومن العلماء الذين برزوا في الساحة الثقافية والدينية، وكان له الأثر الكبير والدور الإيجابي في عالم الإجتهاد والتشيع في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي(١).

وهو من أكابر علماء وفلاسفة الشيعة، يرجع إليها في الفتاوى، وله مؤلفات كثيرة تزيد على المائة، كما أنه كبير الطائفة المشهورة بالمهاشير من بني خالد، خرج من الإحساء بعد احتلال آل سعود لها إلى إيران. فطلبه السلطان فتحعلي شاه في إيران ليلتقي به عندما سمع بأخباره وعلومه وتميزه في الدين والعلوم والمعارف، فترك مدينة يزد مع العالم الفاضل ميرزا علي رضا ليقابل السلطان الذي استقبله بكل احترام وتقدير طالباً منه الإقامة في إيران، فاختار يزد سكناً له وأحضر أهله من البصرة ليعيشوا فترة خمسين سنة معه. وعندما زار الإمام الرضا عليه السلام في مشهد قدره العلماء فيها وأجلوه واحترموه واعترفوا له بالعلم الغزير، ثم اتجه لزيارة الإمام علي عليه السلام في النجف مما جعل أهل يزد يحزنون لفراقه؛ لأنهم شعروا ببركته معهم، وفي الطريق وصل إصفهان فاستقبله العلماء والأعيان بأحسن اللقاء والتعظيم، وقام معظمهم بطبع رسائله وكتبه ونشرها دون أن يتجرأ أحد على أن يعيب شيئاً من أقواله وتفسيراته، مع العلم بأن سلطان العلماء، صاحب الرئاسة

---

(١) الشيخ أحمد بن زين الدين بن ابراهيم بن صقر بن ابراهيم آل صقر الأحسائي. ولد في ١٧٥٣ وتوفي ١٨٢٦م ١١٦٦ ــ ١٢٤١هــ وقيل ١٧٥٢ ــ ١٨٢٥م في الأحساء في المطيرفي، وتوفي في أهدبة قرب المدينة المنورة.

الكبرى «الاغا مير محمد حسين» كان يعيش في إصفهان في هذه الفترة. وفي كرمانشاه عظمه الناس أيضاً وعاش معهم عزيزاً مكرماً، فقام منها بعدة زيارات الى الائمة عليهم السلام في العراق، فاستغل الفرصة ليتقابل مع عدد من أعظم العلماء وأفاضلهم، الذين أجلوه ووقروه. أما في كربلاء فقد قام بالتدريس في الرواق المقدس يشرح الرسالة العملية، فحضر دروسه العلماء والدارسين، الذين اعتبروه جامعاً للعلوم عارفاً بحقائق الأُمور وسالكاً مسلك أئمة الهدى عليهم السلام، واجتمع فيها مع العلم المحقق والمجتهد الأكبر الميرزا أبو القاسم القمي الذي شهد له بالفضل الواسع حينما اطلع على بعض رسائله في الفقه.

إلا أن بعض الحاسدين أظهروا له العداء لما رأوا كثرة من التفّ حوله من العلماء والطلاب، فنقلوا عنه أموراً وحرفوها مما كتبه في رسائله وكتبه، كما وصفوه بالغلو والبعد عن المذهب، وأنه يطمع في الرياسة، مما أدى الى إثارة فتنة، أشعلها أكثر عندما اتهموه بالكفر، بالرغم من أن الشيخ كان قد درس على يد وحيد البهبهاني والسيد محمد بحر العلوم، وكاشف الغطاء في كربلاء والنجف. كما أن السلاطين والعلماء والناس قدروا مكانته، فقد أظهر الناس والعلماء في معظم المدن الإسلامية كل توقير واحترام له في البحرين والقطيف والأحساء والنجف وكربلاء والكاظمين والبصرة والحلة وبغداد، وهمدان وكرمانشاه وطهران وقم وبروجرد وإصفهان وشيراز وكاشان وخراسان وطبس وكرمان ويزد وساحل قزوين، دون أن يطعن أيّ منهم في كتبه ورسائله، إلا أن الملا محمدتقي البرغاني القزويني، كفره في ١٨٢٢م فأعلموا السيد مهدي بن المير سيد علي، بأن في كتابات الشيخ أُموراً غير صحيحة تدعو إلى الكفر، مما جعل هذه الإشاعة تسري بين الناس،

فتطورت إلى فتنة بين الجهلاء، الذين أعدوا سجلا يؤكد تكفير الشيخ، إلا أن ذلــك لم يتم حيث لم يقبل به العلماء والكبار والأفاضل. ولكن الفتنة تطورت إلــى مــا هــو أكثر من ذلك، فظهر أحدهم ليؤلف كتاباً ضمنه أفكار جميع المذاهــب الباطلة ونسبها إلى الشيخ، الأمر الذي أثر في نفوس الناس فأخذوا يلعنونه ويكفرونه ويفترون عليه، كل ذلك بالرغم من أنه دافع عن نفسه بذكر جمــيع الأخطــاء التي وردت في حقه، وأنها محض أفكار سيئة نسبت إليه افــتراء، توضحها كتبه ومؤلفاته المتوافرة للجميع، وطلب منهم الابتعاد عن الفتــنة التي تدعو الى التفرقة في الدين، إلا أنهم رفضوا كل دلائله وحججه، وأمعــنوا في الكيد له، فعرضوا الجزء الثاني من شرح الزيارة الجامعة على الوزيــر فــي بغداد، والذى تناول فيه حكاية حسن بن هاني حيص بيص مع المــتوكل، التــي كانــت تضــر الشيعة جميعاً، مما دفع الشيخ الى التعجيل بالهــروب مــن العــراق إلى بيت الله الحرام خوفاً من الاضطهاد والتنكيل والهــلاك، فوصل مع أهله الى هدية قرب المدينة المنورة، ولكنه توفي هناك نظراً لسوء صحته وكبره وضعفه، فدفن بالبقيع عند الإمام الحسنعليه السلام.

وقد اتهم الشيخ بالجهل والمغالاة في أهل البيتعليهم السلام وبفرض نفسه على العلمــاء، معتمديــن فــي آرائهم تلك على من كان ضد أراء الشيخ أو من الأجانــب أو من ذوي الأهواء الذين يعتمدون المصادر غير الموثوقة و غير الصحيحة في كتاباته.

ومــن أشهر من هاجمه: السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة، بلا مبرر، إذ إنه ترجم لــه بمعلومات غير واقعية. وكذلك الشيخ عبدالله بن نعمــة في كتابه فلاسفة الشيعة، الذي نقل ما عند السيد محسن الأمين. ولكن الواقع أن الشيخ لم يكن مبدعاً أو مؤسساً لفرقة، بل عالماً متقدماً متطوراً، من

فلاسفة العلماء الذين تناولوا الوجود، فقد تميز عن غيره بمعرفته في أغلب العلوم الأدبية والعلمية والفلكية والطبيعة والطلاسم والعلوم الغريبة من علم الحرف والاكسير والرمل وغيرها، فهو قد أحاط بأغلب العلوم السائدة في عصره، كما ذكر عنه تلميذه السيد كاظم الرشتي الذي أكد أنه اطلع على جوامع العلوم وأحاط بكليات الرسوم بالتوجه الى الحي القيوم ببركة الإمام المعصوم.

وقد كان الشيخ يؤكد دوماً عقيدته أنه من الفرقة الناجية من الإمامية الاثني عشرية، حيث أوضح ذلك في كتابه «حياة النفس في حضرة القدس» الذي تناول فيه: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد الجسماني، كما أنه أثبت عندما يتحدث عن الأئمة عليهم السلام أنه ليس مغالياً فيهم، فلم يجعلهم أرباباً من دون الله سبحانه وتعالى، فلم ينسب اليه أنه أشار إلى أي إمام بأنه بلغ مرتبة الربوبية أو النبوية، فما نقله علماء الأحساء من تعظيم آل البيت عليهم السلام هو من كتب الأخبار الواردة والأحاديث التي ذكرت في حقهم ومناقبهم. فما قاله الإمام علي عليه السلام لأبي ذر: اعلم يا أباذر أنا عبدالله وخليفته على عباده، لاتجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لاتبلغون كنه ما فينا ولانهايته. هذا القول ينقله العلماء عامة، فليس مقصوراً على علماء الأحساء، فهم يؤكدون أن من يذكر قولا زيادة على ما هم عليه يكون هو الكفر الصريح والغلو القبيح والتعطيل الباطل والمذهب الفاسد.

كما أن كتب علماء الأحساء تهاجم المفوضة والمقصرة وتعتبرهم منحرفين عن الطريق المستقيم، إذ إن الأولى هي الغلاة والثانية هي القلاة، وكلاهما تقلل من شأن الأئمة عليهم السلام.

ولذا فإن الشيخ أكد تمسكه والتزامه بالأُصول الخمسة ثابتاً على عقيدته

في النبوة والإمامة مثل باقي الإمامية، معتقداً أن المغالين في الأئمة عليهم السلام كفرة مفوضــة رفعوا مراتبهم التي رتبهم الله بها، مما يؤكد قاطعاً بعبده عن تهمة الغلو.

وللشيخ كتب عديدة ورسائل نفيسة في مختلف مجالات العلوم، اشتهر مــنها: شــرح الزيارة الجامعة، كتاب الفوائد، جوامع الكلم، الكشكول، شرح المشــاعر. كما لـــه مخطوطات غير مطبوعة وخطب تدل على حسن بيانه ونظم كلامه وإحاطته بعلوم اللغة ومعانيها.

ومــن كتــبه أيضاً: حياة النفس في الأُصول الخمسة، ورسالة عصمة الــرجعة فــي رجعة الائمة عليهم السلام وعصمتهم، وتفسير لآيات قرآنية، والرسالة العملية.

لقد ترك الشيخ الجليل من التراث ١٤٠ كتاباً ورسالة بلغت ٥٥٠ تعتبر مصابيح هدى وصلاح على درب الإنسانية، كما قال د. الدكتور حسين علي محفوظ.

ومن أشهر كتبه: شرح الزيارة الجامعة، الذي يعد سفراً ضخماً يحتوي تحقــيقات وأبحــات علمــية قيمة تناولها بأُسلوب علماء الحكمة فيما يتعلق بكــرامات ومعاجز أهل البيت عليهم السلام، وعندما لم يتمكن البعض من تفهم أجزاء من مصطلحاته وعباراته، توهم أن فيه غلواً وانحرافاً.

وهــو فــي الكتاب يوضح طريقة علماء الطائفة في استنباط الأحكام الإلهــية والشرعية، على أنها هي التي يتبعها علماء الإمامية، من الاستدلال بالأدلــة التفصــيلية الأربعة: القرآن، السنة النبوية، الإجماع، العقل. أما في الاجتهاد فيقرر أن أكثر العلماء اشترط للمقلد الاجتهاد والأعلمية، بل أوجبوا تقليده والأخذ بفتواه.

وقــد شــهد للشيخ بالعلم والفقه والمعارف معظم العلماء الأجلاء، كما أجازه أكبرهم ومن المجتهدين في زمانه.

فقد تناوله بالمديح الشيخ أغا بزرك الطهراني في كتابه: أعلام الشيعة وفي الذريعة بقوله: كفى في علو شأنه وسمو فضله الإجازات التي منحت له على أيدي أساطين علماء عصره، كالسيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء والسيد الميرزا مهدي الشهرستاني، والعلامة الشيخ حسين آل عصفور، وآية الله العظمى السيد علي الطباطبائي.

فقــد ذكر آية الله السيد محمد مهدي بحر العلوم[١] عنه: أنه ممن أخذ بــالحظ الوافر الأسنى وفاز بالنصيب المتكاثر الأهني، زبدة العلماء العاملين ونخبة العرفاء الكاملين، الأخ الأسعد الأمجد الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحســائي، زيــد فضــله ومجده، وعلا في طلب العلى جدّه، فسارعت إلى إجابــته وقابلت التماسه بإنجاح طلبته لما ظهر لي من ورعه وتقواه وفضله ونبله وعلاه.

أما الشيخ حسين آل عصفور البحراني[٢] فقد جاء عنه: التمس مني من له القدم الراسخ في علوم آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وكان حريصاً على التعلق بأذيال أثارهم، أن أكتب لــه إجازة. وهو العالم الأمجد ذو المقام الأنجد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، وهو في الحقيقة حقيق بأن يجيز لعراقته في العلوم الإلهية لا أن يجاز. فاستخرت الله سبحانه وسألته الخيرة فيما أذن وأجاز وأن يجعله بالعلى والرقيب من قداح العناية قد فاز وحاز، فأجزت لــه أن يروي

---

(١) توفي ١٢١٢هـ .

(٢) توفي ١٢١٦هـ .

عني.

كمـــا جـــاء في أقوال الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء[١]: فإن العالم العامل والفاضل الكامل زبدة العلماء العاملين وقدوة الفضلاء الصالحين الشيخ أحمـــد بـــن زيـــن الدين، قد عرض عليَّ نبذة من أوراق تعرض فيها لشرح تبصـــرة المتعلميـــن، ورسالة صنفها في الرد على الجبريين فرأيت تصنيفاً رشيقاً قد تضمن تحقيقاً وتدقيقاً، دل على علو قدر مصنفه وجلال شأن مؤلفه.

وجاء عن السيد الميرزا محمد مهدي الشهرستاني[٢]: إن الشيخ الجليل والعمدة النبيل والمهذب الأصيل، العالم الفاضل والباذل الكامل المؤيد المسدد الشـــيخ أحمد الأحسائي، أطال الله بقاءه وأقامه في معارج العز وأدام ارتقاء من رتع في رياض العلوم الدينية وكوع من حياض سلسبيل الأخبار النبوية، قـــد استجازني فيما صحت لي روايته، وثبت لديَّ درايته من معقول ومنقول وفـــروع وأُصـــول حسبما جرى عليه السلف والخلف، ولما كان أهلا لذلك، فســـارعت الـــى إجابته وإنجاح طلبته مما كان إسعاف مأموله فرضاً لفضله وجودة فطنته.

أما أية الله العظمى السيد علي الطباطبائي[٣] فقال: مولانا الشيخ أحمد بـــن زيـــن الدين الأُحسائي، العالم العامل والفاضل الكامل ذو الفهم الصائب والذهـــن الثاقب الراقي أعلى درجات الورع والتقوى والعلم واليقين، سألني، بـــل أمرنـــي أن أجـــيز لـــه ما صحت لديّ إجازته، واتضح لي روايته من

---

(١) توفي ١٢٢٧هـــ .

(٢) توفي ١٢١٦هـــ .

(٣) توفي ١٢٣١هـــ .

مصـــنفات علمائـــنا الأبـــرار وفقهائنا الأخيار بالأسانيد المتصلة الى الائمة الاطهار الخلفاء للرسول المختار.

وكذلك أجازه كل من:

- الشـــيخ أحمـــد الدمستاني البحراني[١]، ومحمد بن عبدالنبي الصايغ المحـــدث النيشابوري[٢] الذي كتب عنه في كتابه الروضات: أنه فقيه محدث عارف وحيد في معرفة الأُصول الدينية، لـــه رسائل وثيقة، ولاشك في ثقته وجلالته.

ومـــن جهـــة أُخرى فإن كثيراً من العلماء الأفاضل والكتاب والأُدباء تـــناولوا الحديـــث عنه وعن فضائله وآثاره. فقد ذكر عنه الميرزا محمدباقر الموسوي الخونساري ــ عاش في ١٢٨٦هــ ــ في كتابه روضات الجنات: لـــم يعهد في هذه الأواخر مثله، في المعرفة والفهم والمكرمة وجودة السليقة وحســـن الطريقة وصفاء الحقيقة، والعلم بالعربية، والحكم العلمية والعملية، وحســـن التعبـــير والفصـــاحة، وخلوص المحبة والوداد لأهل بيت الرسول الأمجاد، بحيث يرمي عند بعض أهل الظاهر من علمائنا بالإفراط والغلو، مع أنه لاشك من أهل الجلالة والعلو.

كما كتب عنه في موسوعته في علم الرجال، ومن جملته حامل أسرار أمـــير المؤمنيـــن عليه السلام، ترجمان الحكماء المتألهين، ولسان العرفاء المتكلمين، غرة الدهر، وفيلسوف العصر، العالم باسرار المباني والمعاني، الشيخ أحمد بـــن زين الدين بن الشيخ إبراهيم الأحسائي البحراني، كان ماهراً في أغلب

---

(١) توفي ١٢٠٥هــ .

(٢) توفي ١٢٧٨هــ .

العلـــوم وواقفـــاً على جملته من الحروف والرسوم وعارفاً بالطب والقراءة والرياضة والنجوم، ومدعياً لعلم الصنعة والأعداد والطلسمات.

كما كتب العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء[1] في كتابه: الآيات البيـــنات: كان العارف الشهير الشيخ أحمد الأحسائي في أوائل القرن الثالث عشر الهجري قد حضر على السيد بحرالعلوم وكاشف الغطاء وله منها إجازة تدل على علو مقامه عندهم وعند سائر علماء ذلك العصر، والحق أنه رجل مـــن أكابر علماء الإمامية وعرفائهم، في غاية الورع والزهد والإجتهاد في العبادة كما سمعناه ممن نثق به ممن عاصره ورآه. نعم له كلمات في مؤلفاته مجملة متشابهة لايجوز من أجلها التهجم والجرأة على تكفيره بها.

كمـــا وصـــفه العلامـــة الشيخ عباس بن محمدرضا القمي[2]، بالحكيم المـــتأله الفاضـــل العـــارف العابد المحدث الماهر والشاعر، وصاحب شرح الـــزيادة وشـــرح الحكمـــة العرشية لملاّ صدرا، وشرح التبصرة والرسائل الكثـــيرة، والذي توفي في أوائل ١٢٤٣هـ في سفر الحج ودفن بالبقيع. كان كثير التعبد مواظباً على النوافل، قالوا فيه: من نظر الى عبادته مدحه، وإلى عباراته قدحه.

كمـــا تـــناول الحديث عنه العلامة الشيخ عبدالحسين الأميني في كتابه شـــهداء الفضيلة: أنه أحد فطاحل العلماء يروي عن سيدنا بحرالعلوم والشيخ كاشـــف الغطـــاء والسيد صاحب الرياض والسيد مهدي الشهرستاني والشيخ أحمـــد البحرانـــي. ويـــروي عـــنه صاحب الجواهر والحاج ميرزا إبراهيم

---

(١) توفي ١٣٢٣هـ .

(٢) توفي ١٣٣٩هـ .

الكلباسي صاحب الاشارات.

أمـــا رأي العلامـــة البحاثة الشيخ عبدالمنعم الكاظمي، أنه من العلماء الفقهـــاء وأنه صاحب الجواهر روى عنه، وأنه من العرفاء والحكماء، وأن كـــتابه شرح الزيارة دليل على ذلك، وأن العرفاء يشتمل كلامهم غالباً على رموز أو ألفاظ لها معانيها المقصورة، ولكنها غير مفهومة، إلا للخواص من أهل العلم ممن درسوا الحكمة والعرفان، وكذلك كان الشيخ أحمد الأحسائي، لايفهمـــه حـــتى الفقهاء الذين ليس لهم إلمام بالحكمة والعرفان، فكيف يفهمه سائر الناس؟ فهل يصح بحكم الشرع والعقل والإنصاف والوجدان، أن تحكم علـــى شخص بالتكفير أو الشرك بمجرد أن كلامه لايفهمه إلا الخواص؟ وقد رأى الكاتب العلامة مرتضى المدرسي الأُستاذ بجامعة طهران، أن شخصيته الفـــذة المعروفة بالعلم الغزير والفضل الكثير جرّت الحساد المعاصرين الى إثـــارة اللغط والضجة عليه، مع أننا لانرى في تأليفاته بدعاً، بل بأنها مترعة بالحقائق الإسلامية المشفوعة بدلائل قاطعة راجعة الى أخبار أهل البيت عليهم السلام والذوق الفلسفي السليم، إن طريقة الشيخ في البحث والتحليل تستند الى طريقة العلمـــاء البحرانيين، كالسيد هاشم بن سليمان بن أبي جمهور الأحسائي، في الجمع بين الأحاديث والذوق الفلسفي اللطيف. ولذا فإنه كان أستاذاً بارعاً في العلوم الإسلامية وذا أراء حرة وليس له نظير في الفلسفة والعرفان. وله ذوق خـــاص وســـليقة منفردة في تتبع أخبار أهل البيت عليهم السلام وآراء فلسفية اتخذها مصدراً لبحوثه العلمية.

وأخيراً ذكر عنه د. حسين علي محفوظ: أنه أحد عيان فضلاء الإمامية وأُدبـــائهم وعلمائهم المشهورين في القرن الثالث عشر الهجري فكان يعد في زمانـــه من كبراء أساتذة الحكمة والاعلام، و من العلماء الراسخين في العلم

والفلسفة والحكماء العارفين المتألهين.

ومـــن أشـــهر تلامـــيذه الذيـــن كتبوا عنه: السيد كاظم قاسم الرشتي الحائـــري[(١)]، حيـــث تـــناول فصلا كاملا في ترجمة أستاذه في كتابه: دليل المتحيريـــن. والمـــيرزا الشفيع ثقة الإسلام، وإبنه الشيخ موسى[(٢)]، وحفيده المـــيرزا علـــي الذي أصبح بطلا قومياً لإيران عندما شنقه الروس لمقاومته احتلالهم لتبريز.

وممن ترأس جماعته في كربلاء: الملا محمدباقر الإسكوئي[(٣)]، ثم ابنه الميرزا موسى، وحفيده ميرزا على الحائري الذي رأس الجماعة الشيخية في الكويت. كما نشر أراءه وافكاره المتفقة مع الأُصوليين، الحاج أبوالقاسم خان الإبراهيمي في رسالته الفلسفية.

وقد اتخذ جماعته ومريدوه تسمية الشيخية، بالرغم من أنهم يرفضونها؛ لأن خصومهم هم الذين أطلقوها عليهم. فقد ذكر السيد عبدالرزاق الحسني في كتابه: «الباسيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم» إن فكرة الشيخية هي ولـــيدة الفكرة الباطنية التي هي ليست من الإسلام في تعاليمه. اذ إن الشيخية ظهـــرت فـــي القرن الثالث عشر الهجري والباطنية برزت في القرن الثاني الهجري فالفاصل الزمني بينهما كبير وممتد، كما أن المبادئ الباطنية تختلف كلـــية عـــن المبادئ الإسلامية التي اعتنقها الشيخ وأتباعه، فهؤلاء يستخفون بالصلاة والعبادات وفروضها، ويؤدونها حسب أمزجتهم، الا أن الشيخية هم

---

(١) توفي ١٨٤٠م.

(٢) توفي ١٩٠١م.

(٣) توفي ١٨٨٣م.

أفضل من تمسك بمبادئ الإسلام من صلاة جماعة وجمعات، وسائر العبادات والنوافل وزيارة العتبات المقدسة، فهم أكثر من غيرهم في التمسك الشديد بأهل البيت عليهم السلام، مما جعل خصومهم يرمونهم بالغلو والمبادئ الهدامة. فالشيخية إذا جاز التعبير، هم إماميون فعليون كغيرهم من الإمامية وأُصوليون لايقلدون الشيخ ولا السيد كاظم الرشتي لا في الأُصول ولا في الفروع، إذ إن أُصول الدين لاتقليد فيها، أما في الفروع فإنهم يقلدون العلماء الأحياء المتقين والمجتهدين العاملين في ميدان الشرع، فليس هناك بينهم وبين غيرهم من الجعفرية الإمامية فرق واختلاف في المذهب والدين والعبادة والتقليد، فهم يأخذون كذلك من مصدر واحد كتبهم ومبادئ مذهبهم من الكتب الأربعة المعتمدة عند الإمامية: الكافي، التهذيب، الاستبصار، من لايحضره الفقيه. أما المصادر الأُخرى المعتمدة، فهم كلياً وجزئياً يتفقون مع غيرهم من الشيعة الإمامية دون أي اختلاف أو فروق.

وقد ظهرت بالنجف طائفة من الأُسر والعائلات الدينية كانت لها مكانتها العلمية والاجتماعية في المجتمع ومن أشهرها:

ــ آل الأنصاري، وينتهي نسبهم إلى جابر بن عبدالله الأنصاري.

ــ آل كاشف الغطاء، وينتهي نسبهم إلى مالك الأشتر.

ــ آل طريح، وينتهي نسبهم إلى حبيب بن مظاهر الأسدي.

ــ آل الحكيم، وقاد منهم المرجعية آية الله السيد محسن الحكيم.

ــ آل الجواهر، وبرز منهم الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر، صاحب الجواهر، توفي ١٢٦٦هـ .

ــ غياث الدين عبدالكريم بن أحمد المعروف بابن طاووس، وينتهي نسبه إلى الحسن المثنى. وقد اختص في كتابة تاريخ النجف. ولد بكربلاء في

٦٤٨هـــ ونشــأ بالحلة وتعلم في بغداد وتوفي بمشهد الإمام الكاظم عليه السلام في ٦٩٣هـ عن عمر ٤٥ سنة، وحمل جثمانه إلى مرقد جده الإمام علي عليه السلام.

أما العائلات العلمية والدينية في كربلاء، فقد اشتهر منها:

ــ الأسترابادي، وينتهي نسبهم الى الإمام الحسين عليه السلام حيث سكنوها في القــرن الثالث عشر الهجري. ومنهم من سكن الكاظمين، كالحاج عبدالهادي الــذي ولاه الأمير فرهاد ميرزا، عمارة صحن الكاظمين في ١٢٩٦هـ كما أنه عمّر صحن وقبة الإمامين العسكريين عليهما السلام والعباس، وأقام جسر سامراء.

ــ آل الأمير: وينتهي نسبهم الى زيد بن علي، وتفرعت منها عدة أسر علمية ودينية، كان أبرزها:

- آل البحرانــي، واســتوطنوا كــربلاء في مطلع القرن الثاني عشر الهجري وبرز منهم: السيد علي الكبير.
- آل البهبهانــي، وينــتمون الى الإمام الكاظم عليه السلام وظهر منهم: السيد حســين بــن السيد إبراهيم البهبهاني الموسوي الذي قتل بالمدينة في ١٢٠٠ هــ.
- آل الرشتي، وآل الطباطبائي، وهم سادة حسنيون.
- آل طعمة.
- آل الشهرستاني.

وفــي الكاظميــن ســكنتها بعض العائلات التي تميزت بالعلم والدين، اشتهر منها:

ــ آل المرعشي، من ذرية الحسين الأصغر إبن زين العابدين عليه السلام.

ــ آل الخالص ويسمون الخالصية، ويرجع نسبهم الى علي بن مظاهر الأسدي الأخ لحبيب بن مظاهر. واشتهر منهم الشيخ محمد مهدي الخالصي،

الزعـــيم الديني الكبير والمجتهد الجري والقائد السياسي الذي واجه الانجليز. توفي ١٣٤٣هـــ .

ــ آل السبزواري، من ذرية الحسين الأصغر بن زين العابدين عليه السلام.

ــ آل المنشي، من ذرية مالك الأشتر. وبرز منهم الدكتور جواد علي.

ــ آل الجمالـــي، مـــن خدام الحضرة الكاظمية. وبرز منهم د. محمد فاضل الجمالي ابن الشيخ عباس.

ــ آل الحكيم الطباطبائيون.

ــ آل بحر العلوم.

ــ آل زلزلة من الداودية، وهم سادة حسنيون.

ــ شـــبر، الـــبزاز، الســـيد حسن جنّي، العاملي، القزويني، وهي أسر حسينية.

ــ آل الصـــدر، آل شـــرف الديـــن، آل الـــنواب، آل الحّاك، السادة القندرجية. وهم أسر موسوية.

ــ الشيخ جعفر نقدي، عالم فقيه، لـــه بحث في مدفن السيدة زينب عليها السلام بدمشـــق، حيث قرر أنها زينب الصغرى ــ أم كلثوم ــ وأما الكبرى فدفنت في المدينة.

ــ آل أبي اللحم وهم أقارب آل الكاظمي في الكويت:

فهـــم مـــن البوطباخ من بلدة الدجيل بالقرب من مدينة بلد في طريق سامراء، رحلوا إلى الكاظمين في الهجرة الثانية بسبب طاعون گير الكبير في ١٢٤٦هـــــ وهـــم مـــن بني سلامة السلاميين، ينسبون أباءهم إلى جابر بن عبدالله الأنصاري الصحابي، كما ينسبون مع بني عمومتهم البوغنام إلى قبيلة شمر، وينتسب فريق من السلاميين إلى زبيد، وكلها إلى قحطان.

ومنهم آل الكاظمي في الكويت، حيث أقام جدهم حسن زمن السلطان عبدالمجيد العثماني في الكويت واستوطنها، وعمل بتجارة التبغ. فأصبح لبني سلامة فخذٌ آخر بالكويت.

وكان جدّ أبواللحم، حسن ـ المقتول بالقطيف ـ ابن محمد جواد أبواللحم، وهو والد الحاج عبدالحسين الكاظمي، جد الحاج زيد الكاظمي.

الحوزات العلمية والدينية في إيران:

أصبحت خراسان ـ مشهد ـ ثانية مدن إيران من حيث عدد السكان ومركزاً علمياً قصدها طلاب العلم من داخل إيران وخارجها. وتطور التعليم الديني فيها منذ زمن بعيد وأصبحت مركزاً علمياً بعد وفاة الإمام الرضا عليه السلام ودفن بها. ففي العصر الصفوي اتخذت الدعوة الى الاجتهاد المطلق على يد المجتهد المقدس الأردبيلي في عهد الشاه طهماسب، الا أنه في عهد نادرشاه وكريم خان زند، تسببت سياستهم التعسفية والمضادة للشيعة في هجرة العلماء الى النجف تخلصاً من الموقف السيء الذي نفذ تجاه العلماء والمدارس الدينية، فقد كانت لسياستها السلبية تجاه المؤسسات الدينية الإيرانية والمرجعية الشيعية أثرها المدمر على المدارس والحوزات، ولكنها ساعدت من جانب آخر في استقلالية المرجعية والاعتماد على مصادرها الخاصة في الإنفاق. أما في عهد فتح على شاه القاجاري، ١٨٣٤م فإن الوضع تغير لصالح العلماء، حيث كان متديناً فاعتنى بالجانب الديني، وزار العتبات المقدسة في إيران والعراق وأنفق عليها الأموال كما بنى المدارس الدينية. وقد أصبح للعلماء المجتهدين في هذه الفترة دور كبير وفرصة تاريخية للتأثير على التطورات السياسية العامة في إيران، فبرز دورهم في قيادة

السلطة والأُمور الأُخرى وخاصة في الحروب الروسية الإيرانية الأُولى ١٨٠٤ ــ ١٨١٣م، وفي الحرب الثانية بينهما في ١٨٢٦، كان لفتاواهم بالجهاد ضد الروس دور مؤثر كبير. ففي العصر القاجاري اتسع الدور القيادي للمرجعية والمجتهدين وتزايد أكثر مما كان في العصر الصفوي، كما زاد عدد المجتهدين في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وقد شارك العلماء والمجتهدين بفعالية في الثورة الدستورية عام ١٩٠٥ كان أبرزهم: السيد محمد الطباطبائي وعبدالله البهبهاني، وحسن المدرس، وعندما أنهى رضا شاه بهلوي في ١٩٢٦ حكم القاجار سانده العلماء في الوصول الى السلطة، إلا أنهم عارضوه في إجراءاته التعسفية.

أما في عهد محمدرضا شاه بهلوي، فإن الحوزات العلمية والدينية أصبحت في أحوال سيئة نظراً لسوء الظروف السياسية والاجتماعية، من قسوة معاملته للعلماء، وقوانينه التعسفية، وظروف الحرب العالمية، وانتشار الأفكار الهدامة من قبل الأحزاب السياسية.

وبرزت في هذه الفترة شخصية آية الله أبوالقاسم الكاشاني ١٨٨٢م ــ ١٩٦٢م الذي اعتقلته السلطات البريطانية في ١٩٤٣م وعاد في ١٩٥٠م ليباشر مهامه في مكافحة الشيوعية.

وقد اهتم العلماء في هذه الفترة بتنمية المراكز الدينية في قم ومشهد فازداد عدد الطلاب في قم من ٣٢٠٠ طالب عام ١٩٥٢م إلى ٥٠٠٠ عام ١٩٥٦م كما ظهرت مكانة قم الدينية وساد الود في العلاقات بين المرجعية والسلطات الحاكمة، فازدهرت الحوزة في مشهد بزعامة آية الله ميرزا أحمد الخراساني أحد أبناء محمد كاظم الخراساني، الذي كان له الدور الكبير في ثورة العراق عام ١٩٢٠م.

وابتدأت الدعوة الى إصلاح المرجعية وتطويرها في ١٩٦٠م نادى بها مجموعــة مــن الفقهــاء والعلماء وأساتذة من جامعة طهران بقيادة «الشيخ مرتضى مطهري»، كان من أبرز أهدافهم:

ــ استقلالية المرجعية مالياً.

ــ إنشاء مجلس أعلى وأعم للإفتاء يضم أبرز مراجع التقليد.

ــ تطويــر أداة الاجتهاد كوسيلة لتنمية المبادئ الإسلامية وأثرها في مختلف أمور الحياة.

ــ تخصص المجتهدين في مجال معين ليكونوا خبراء فيه.

وفي أحداث ١٩٦٣م برز الإمام الخميني حيث اعتقل ونفي الى النجف عام ١٩٦٥م فبدأ التخطيط للإطاحة بالشاه والثورة على نظام حكمه.

أمــا قــم فإنهــا كانت من المراكز الرئيسية للشيعة منذ عصر الإمام العسكري، توجه إليها المهاجرون من العراق زمن الاضطهاد الأُموي للشيعة والمواليــن لأهــل البيــتعليهم السلام. وقد نزل بها الطالبيون من السادة الحسنيين والحسينيين والسادة العريضية من السادات الموسويين. إلا أن أشهر من نزل بها كانت فاطمة بنت الإمام موسى الكاظمعليه السلام في ٢٠١هــ فاشتهرت المدينة بوجــود حــرمها وعرفت بها، فأصبحت بفضل مقامها مركزاً من المراكز الإســلامية الشهيرة وصلت الى أن تكون أهمها وأعظمها في الوقت الحالي. فقامت بها مدرسة علمية كبيرة ساهمت بنشر علوم أهل البيتعليهم السلام حتى قيل: لولا القميون لضاع الدين.

واســتمر إزدهارها العلمي والديني حتى صارت زمن الغيبة الصغرى أعلــى مركــز علمــي فــي العــالم الاسلامي، فاجتمع بها العلماء والرواة والشخصيات العلمية الشهيرة، كان أبرزهم:

ــ زكريا بن آدم في أيام الإمام الرضا عليه السلام.

ــ علي بن الحسين بن موسى بن بابوية ــ المتوفي ٣٢٩هــ .

ــ الشيخ الصدوق، نزيل الري. فهي احتلت مكان الكوفة في القرنين الثاني والثالث الهجري كمركز لمدرسة الحديث أما في القرن الرابع عشر الهجري فقد برز فيها علماء ومجتهدون، كان منهم: آية الله العظمى السيد آغا حسين البروجردي. والسيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، وآية الله السيد روح الله الخميني. وآية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي. وآية الله السيد محمدرضا الگلپايگاني، وآية الله الشيخ محمد علي الأراكي، وآية الله جواد آملي، وآية الله الشيخ مكارم الشيرازي.

أما آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي، فقد سعى لتعزيز مركز قم كمقر للحوزة الدينية، فأسس الحوزة العلمية بها في ١٣٤٠هــ على حساب مركزي النجف وكربلاء، إذ إن الأوضاع السيئة هناك دفعت العلماء الى الهجرة منها الى قم، فقد أدى الصدام بين السلطات في العراق والمجتهدين في ١٩٢٣م الى اعتقال الشيخ مهدي الخالصي ونفيه مع أولاده الى إيران، كما تبعه عدد من العلماء احتجاجاً وتضامناً مع الشيخ، وكانت السلطات قد اعتقلت تسعة من كبار المجتهدين، كان منهم السيد أبوالحسن الإصفهاني والسيد محمدحسن النائيني، وسفروهم الى إيران، الأمر الذي ساهم في تشييد الحوزة وتطويرها خاصة بعد أن قام هؤلاء العلماء الأجلاء بالتدريس فيها وإلقاء بحوث على طلابها.

وهكذا نشطت الحركة العلمية خلال هذين العقدين من الزمن، فتأسست المجامع العلمية ومؤسسات ومعاهد ودور نشر وجامعات أكاديمية بجانب المؤسسات الدينية، كما دخلت الأجهزة المعاصرة والآلات الكهربائية الحديثة

في المكتبات والمدارس لتساند تلك الحركة في سرعة النشر والتوزيع.

إن هذا الاهتمام والاعتناء الذي جهد به العلماء في قم، كان لـــه الأثر الكبــير فـــي تقوية مركزها الديني ومدارسها المختلفة، فاكتسبت أفضلية في الطــباعة ونشر الأدبيات الشيعية دولياً وخاصة في عهد آية الله البروجردي الذي انتقل الى قم في ١٩٤٤ مما زاد في مكانتها العلمية ومركزها السياسي، عندما أصبح مرجع التقليد الأوحد بإجماع العلماء حتى وفاته في ١٩٦١ في الوقت الذي تقلصت فيه جهود النجف وضعفت نوعية مطبوعاتها، وقد وصل عدد الطلاب في معاهدها الدينية وحوزاتها الى ٣٠٠ ألف في الوقت الحالي. كما تطورت العلاقات بين العلماء وجماهير الناس، حيث كانت قوية، فهم لم يقطعـــوا صـــلتهم بالشارع، وقويت علاقتهم بتجار البازار، مما أثر في ثراء الأوقاف والمؤسسات الدينية، على عكس ما حدث في العراق.

إن هذه المكانة العلمية التي غلبت على قم، كان الأئمةعليهم السلام قد تنبأوا بها منذ زمن طويل، فكثيراً ما جاء ذكر قم عندهم يمتدحونها ويثنون على أهلها، ويؤكدون أهميتها العلمية والدينية.

فقـــد ذكـــر الإمام الصادقعليه السلام عنها: سلام الله على أهل قم، يسقي الله بلادهـــم الغيث، وينزل الله عليهم البركات، ويبدل سيئاتهم حسنات، هم أهل ركـــوع وسجود وقيام وقعود، وهم الفقهاء والعلماء والفهماء، هم أهل الدراية والرواية وحسن العبادة.

كمـــا تنبأعليه السلام: ستخلو الكوفة من المؤمنين ويأزر عنها العلم كما تأزر الحـــية فـــي جحـــرها، ثـــم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم، تصير معدناً للعلم والفضل، حتى لايبقى مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحجال.

وقـــد أصـــبح لحـــوزات خراسان أثرها في إنشاء حوزات اُخرى في

مناطق إيران المختلفة، فقد تأسست حوزة الري بجهود العالم الجليل الكليني، حوزة ماوراء النهر في الشرق، التي كان لها دورها في إعداد وتخريج عدد كبير من العلماء والمحدثين، فهناك العديد منهم من ينتسب الى سمرقند أو كيسن القريبة منها وإلى بخارى، وبلخ، وهرات، وسرخس، ونيسابور، وبيهق، وفارياب (بين بلخ ومرو الرفد) فاشتهرت منهم أسرة العياشي، وهم من الشيعة وأهل العلم، ويؤكد كل ذلك رواج علوم أهل البيت وأهمية الحوزات العلمية في تلك المدن.

الحوزات الدينية في أذربيجان:

جهود عائلة الأحقاقي في نشر الدين والعلم في المنطقة وما جاورها وفي البلاد الأُخرى.

وكان للحوزات الدينية في قم وخراسان أثرها في انتشارها في المدن الأُخرى التي أسست الحوزات الدينية والعلمية فيها، فامتد أثرها الى مدينة تبريز لتؤسس عائلة الأحقاقي الكريمة حوزات ومدارس دينية كان لها أثرها البعيد وصداها في العالم الإسلامي.

ظهر العالم المجدد الآخوند الملا محمد سليم في ١٢٠٠هـ ليخدم الدين بمنهج الولاية، فبادر إلى الإرشاد والوعظ والتعليم ونشر آثار ومناقب أهل البيت عليهم السلام وبخاصة أن المنطقة لم يكن بها من العلماء ما ينور أُمور دينهم في تلك الفترة، مما دعا الملا أن يباشر تعليم الأهالي دينهم وأحكامه، ليسد ما نقصهم من معرفة في الجوانب الدينية، وحين تأكد من هذا الوضع قال: إن البلاد جميلة ولكنه مع حالهم هذه، كجسم جميل فاقد الروح. وعندما طلب منه الأهالي الإقامة بينهم، اعتبر ذلك تكليفاً شرعياً وجب عليه أداؤه نفعاً للناس

وخدمتهم وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة، فقام بتدريس الطلبة، في العلوم واللغة العربية والفقه والتفسير وسائر العلوم الإسلامية، مما أدى الى تحول تلك المنطقة علمياً وسلوكياً مازال أثره باق إلى الآن. كما أن أحفاده وأولاده مازالوا يعيشون فيها حتى اليوم.

وقد أرسل بعض من هؤلاء الطلاب إلى كربلاء والنجف للدراسة في الحوزات العلمية فيها، اشتهر من بينهم: ميرزا محمدباقر الإسكوئي، شارح ومفسر القصائد الأثني عشرية للشيخ أحمد زين الدين الأحسائي. وفي مدينة إسكو التي تعتبر أقدم المناطق تاريخياً في أذربيجان، عاشت أسرة الإحقاقي حيث أن الأهالي يقلدون الإمام المصلح الحاج ميرزا حسن الإحقاقي، ولهم ولاء كبير لآل البيتعليهم السلام. وأنشأت أول مدرسة حديثة فيها عام ١٣٢٨ حين أسسها السيدرضا أقا الحائري الإسكوئي ابن السيد مصطفى الحائري الإسكوئي من تلاميذ الميرزا محمدباقر الإسكوئي، أما السيد رضا فهو من تلاميذ الحاج ميرزا موسى أقا الإسكوئي. وكانت أُسرة الحائري من الأُسر الشريفة المؤمنة الساعية للخير ونشر الثقافة، فقد تركوا آثاراً طيبة عند الأهالي والناس جميعاً. ومنهم من ساهم في تحرير إيران من الاستعمار، كالميرزا على أقا ثقة الإسلام الذي أُعدم شنقاً عندما صمد أمام الاحتلال الروسي والدفاع عن استقلال البلاد. كما اشتهر منهم العالم الكبير والفقيه المرجع ميرزا شفيع ثقة الإسلام، الذي عُدّ أحد أفضل تلاميذ الشيخ الأوحد، فقدره الجميع في المؤلفات التاريخية. أما الميرزا محمدباقر بن محمد سليم الحائري[1]، فكان من أكابر علماء عصره ومراجعه، فقيهاً أُصولياً محققاً في

---

(١) توفي ١٣٠١هـ .

أغلب العلوم والمعارف ومدرساً بارعاً في الحوزة العلمية، وكان قد درس العلم في النجف في حوزاتها، فأخذ علومه الدينية من أعظم المجتهدين أمثال: الشيخ مرتضى الأنصاري، والميرزا حسن الشهير بگوهر في كربلاء، فنال الإجازات في الفقه والأصول والحكمة والعلوم النقلية والعقلية، كما أنه استلم قيادة المرجعية للشيعة بعد وفاة أستاذه، حيث قلده عدد كبير من أهالي كربلاء والخليج ومناطق إيران، وأسس كذلك حوزة علمية في كربلاء حضرها جمع كبير من طلاب العلم، خرجت علماء أجلاء مجتهدين بارزين، اشتهر منهم: حجة الإسلام ميرزا اسماعيل بن العلامة ميرزا محمد حجة الإسلام، والعالم ميرزا علي أقا الطباطبائي، والسيد مصطفى الحائري، والشيخ موسى أبوخمسين الأحسائي، حيث أصبحوا من المجتهدين العظام وصل بعضهم مقام المرجعية.

وله مؤلفات كثيرة تناولت مختلف العلوم والمعارف الاسلامية في علم الأُصول والفقه والتفسير، وأشهرها: كتاب معين التجارة والمصباح المنير، وحق اليقين، وكشف المراد[1].

أما الميرزا موسى بن ميرزا محمدباقر الحائري فكان عالماً فقيهاً جامعاً للعلوم النقلية والعقلية وأُصولياً ومفسراً قديراً، ولد بكربلاء ودرس على أيدي علماء أجلاء فاصبح مؤهلا للمرجعية في عمر ٢٢ سنة. وقلده جموع كثيرة من العالم الإسلامي في أذربيجان وخراسان والخليج والعراق. أمر في ١٣٤٤هـ ببناء أفخم حسينية في الحائر الحسيني باسم حسينية الحائري، ليصلي فيها الجماعة ويدرس بها طلابه ويلتقي بمريديه، ويقيم

---

(١) كتبت في سنوات ١٢٧١هـ، ١٣٨٢هـ .

الولائـــم العامــة في المناسبات كعاشوراء، كما أنشأ حوزة علمية في كربلاء خرجت عدداً من العلماء والمجتهدين، كان على رأسهم أولاده: آية الله ميرزا علي أقا، والعلامة محمدباقر الشهير بميرزا أقا، والعبد الصالح ميرزا حسن أقا الإحقاقي، الذي يسكن الكويت حالياً.

ولـــــه مؤلفـــات ورسائل عدة، اشتهر منها كتاب: إحقاق الحق، الذي يحـــتوي على مجموعة من المباحث النفيسة من العقائد الضرورية للمسلمين الشيعة مبنية على حكمة أهل البيت عليهم السلام [(١)].

وقـــد بـــرز من أولاده الميرزا على أقا[(٢)] الذي قلده الأهالي بعد وفاة والـــده، وأقام مشروعات كبيرة في الكويت حيث أقام بها، فقد بنى أول منارة عالـــية فـــي مســـجد الصـــحاف وسميت المئذنة العلوية ١٨٩٠م ١٣٨٠هـــ والمـــئذنة الحـــيدرية في مسجد الحاكة الذي سمي بمسجد الإمام الصادق عليه السلام الآن. كمـــا أســـس الحســـينية الجعفـــرية والعباسية في الكويت، وكذلك بنى المســـاجد والحسينيات في الأحساء، كما شجع طباعة الكتب الدينية وأقام في الأحساء حوزة علمية لتدريس الأُصول والفقه والتفسير، أظهرت علماء أجلاء كثيرين، اشتهر منهم: الشيخ محمد الهاجري، والشيخ حسن الصحاف والملا على الموسى النجادة وغيرهم. وقد درس بها الميرزا حسن الاحقاقي وأدارها بعد أن تركها أخوه.

وقد ولد آية الله العظمى الميرزا حسن الاحقاقي بكربلاء في ١٣١٨هـــ ودرس بالنجف على يد أخيه الميرزا علي، وفي حوزات كربلاء ساعده والده

---

(١) الميرزا عبدالرسول الإحقاقي، يذكر في كتابه أن أسرتهم لقبت بالإحقاقي نسبة الى هذا الكتاب ص ١٢٩.

(٢) توفي ١٣٨٦هـــ ونقل الى كربلاء.

وأرشده حتى نال درجة الاجتهاد فأصبح المرجع الديني بعدما أجازه العلامة شيخ الشريعة الإصفهاني، ووالده وأخوه وعدد من الفقهاء، كما أنه استفاد من دروس وأبحاث المراجع الدينية حينما سكن مشهد المقدسة، مثل السيد الفقيه السبزواري والشيخ محمدحسن الطوسي، والعلامة الميرزا أحمد الكفائي ابن الشيخ محمدكاظم الخراساني. كما صحب بعض العلماء الأفاضل كالسيد علي أكبر الخوئي وابنه آية الله السيد ابوالقاسم الخوئي زعيم الحوزة في النجف. وقدم الى الكويت بعد وفاة أخيه، فقلده الكثير من أهاليها وأهالي الأحساء وإيران.

وقام بالتدريس في الهفوف وتبريز، وأسس مدرسة هناك، كما عمل بالتأليف في الكتب والرسائل العلمية والدينية، وترجمت رسالته العملية الى اللغات الأجنبية. وقد اهتم بتأسيس المدارس والجوامع والحسينيات والمؤسسات الخيرية في عدة أمكنة من العالم الإسلامي، في الهند وباكستان وسوريا ولبنان وإيران والكويت والبحرين وإفريقيا والولايات المتحدة، وذلك رغبة في الترويج للمذهب الإمامي ونشر الإسلام ومساعدة الفقراء والمحتاجين. وقد تجاوز عدد المؤسسات التي قام بانشائها المائة شملت: مساجد وحسينيات ودور أيتام ومدارس علمية ومستشفيات[1] وقد ذكر عنه أنه من العلماء النادرين في زمانه، حكيم خطيب فقيه وقائد بعيد النظر، بارع في الفنون والمهارات، يلم ببعض اللغات الأجنبية، ويعرف الطب وعلم النجوم والرياضيات. كما أنه اشتهر في جهاده ضد الغزو السياسي والفكري والعقائدي الشيوعي في المناطق الشمالية لإيران في ١٣١٢هـ ، حيث تأثر

(١) وبناء حمامات، وطبع المصاحف الشريفة والكتب الدينية ومنشورات إسلامية.

الـــناس بالـــثقافة الغربية، وبرز أدعياء يصدرون أحكاماً دينية غير سليمة، وتصـــرفوا بـــأموال المســـلمين باســـتعمال الحيل وتدخلت المذاهب الهدامة كالشـــيوعية والبابية والبهائية تضلل الناس فينحرفون عن الطريق المستقيم، كمـــا انتشرت الرذيلة والفساد حتى في مدينة إسكو الصغيرة. ومن هنا تقدم المـــيرزا لـــيؤدي واجـــبه في إصلاح الأُمور، فافتتح المسجد الجامع لإقامة الصـــلاة ونشر الوعظ والإرشاد في سبيل إصلاح خلق الناس، واستخدم في ذلـــك أســـاليب اللـــين والدعوة الحسنة دون إبداء أي سلوك مخالف كاللعن والطعـــن أو القـــوة، وبـــذا تمكن من القضاء على أساليب الفساد، كما زالت مراكز الدعوات الهدامة، وزاد التحاق الشباب بالمساجد وبيوت العبادة.

أمـــا مؤلفاتـــه فتتقدمها أحكام الشيعة وهي رسالة علمية جامعة للفقه، وهـــناك رســـالة الإيمان ورسالة الإنسانية، وأُصول الشيعة، والحاكم العادل، مجموعـــة رســـائل دينية علمية أُخرى. وقد طبعت رسائله باللغات الفارسية والانجليزية والفرنسية والاردو.

أمـــا الميرزا الحاج عبدالرسول الأحقاقي[(١)] ابن العالم الأكبر الميرزا حسن، فقد تخرج من الحوزات العلمية في كربلاء ومشهد وتبريز و طهران، ولـــــه عدة مؤلفات منها: كتاب الولاية وتفسير الثقلين، وقرنان من الاجتهاد والمرجعية، ورسالة أحكام الشيعة.

ثالثاً: في مصر والشام:

اهـــتم الأهالـــي والأُمراء والقادة في مصر بتعمير الأضرحة الخاصة

---

(١) ولد في الكويت ١٩٢٨. ومما يتميز به أنه أنهى دراسة المرحلتين المتوسطة والثانوية خلال عامين وشهر ونصف بدل ستة أعوام.

بـــأهل البيت عليهم السلام وبنوا المساجد عليها وحولها، واعتنوا بتجديدها والإضافة إلـــيها، كمـــا كـــانوا يلحقون بها المدارس والمكتبات، التي ساهمت في تعليم الأفـــراد وتثقيفهم دينياً، وتدريس التراث الذي تركه هؤلاء الأخيار من أحفاد أهل البيت عليهم السلام كالتراث العلمي والأدبي والديني الذي تركه جامع الأزهر في حي الإمام الحسين عليه السلام.

وأول من تولى التدريس في الأزهر هو القاضي أبوالحسن بن النعمان بـــن محمد المتوفي ٣٧٤هــ/٩٨٤م وهو ابن داعى الدعاة الفقيه الإسماعيلي الـــنعمان بن محمد المتوفي ٣٦٣هــ/٩٧٤م وكذلك أخوه القاضي محمد بن الـــنعمان بـــن محمد المتوفي ٣٨٩هــ/٩٩٩م. كما درس فيه خلال العصر الفاطمـــي، الأمـــير المخـــتار عـــبدالملك محمد بن عبدالله بن أحمد الحراني المعروف بالمسجى المؤرخ، ٣٦٦ـــ٤٢٠هــ/٩٧٦ ـــ ١٠٢٩م. وأبوعبدالله القضـــاعي المؤرخ الذي أخذ عنه تقي الدين المقريزي، والحسن بن زولاق المـــؤرخ، وأبوالقاسم الرعيني الشاطبي عالم القراءات، كما درس به علماء الرياضـــيات، الذين اشتهر منهم في ذلك: الحسن بن الخطير الفارسي. وبرز في القرن الخامس الهجري هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي المؤيد في الدين[1]، الذي كان من حملة العلم وعبقرياً من أعلام العلوم العربية، وأبرز دعاة الفاطميين فقد كان داعي الدعاة. غادر شيراز في ٤٢٩هــ الى الأهواز وتوجـــه الى أمير بني عقيل: قرواش أبي المنيع بن المقلد، ثم إلى مصر بعد عام ٤٣٦هــ ثم الى الشام فمصر التي توفي بها ٤٧٠هــ .

أمـــا في العصر الأيوبي فقد أصبح الأزهر خاملا من الناحية العلمية،

---

(١) ولد بشيراز ٣٩٠هــ اعتبره الأميني النجفي من شعراء الغدير في موسوعة الغدير.

واستعاد مكانته العلمية والثقافية والدينية أيام المماليك، فتحول الى جامعة حقيقية، قدم إليها الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، وظهر منهم عدد كبير نشطوا في نشر النهضة الفكرية في مصر والعالم العربي والإفريقي، مثل: عبدالرحمن الجبرتي، رفاعة رافع الطهطاوي، على مبارك، محمد عبده، سعد زغلول، رشيد رضا، عبدالله النديم، طه حسين، مصطفى المنفلوطي، أحمد حسن الزيات، علي عبدالرزاق، مصطفى عبد الرزاق، محمد مصطفى المراغي.

ولايضارع الأزهر معهد آخر في الدنيا في الخدمات العلمية التي قدمها منذ إنشائه وحتى اليوم، فكانت وفود الطلاب تأتي إليه من اركان الدنيا ثم يعودون إلى بلدانهم شيوخاً وعلماء يقومون بدورهم في إنشاء المعاهد الدينية الإسلامية، فحيثما تذهب تجد الأزهريين من الفلبين شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً والى قلب إفريقيا. فالأزهر له الفضل فيما تتمتع به مصر من مكانة ومركز من مراكز العلم في الدنيا. كما أن المسجد الزينبي لايقل أثراً وقوة في نشر العلم والأدب واللغة عن الأزهر، فقد استغل الشيخ سليم البشري شهرة المسجد ومكانة صاحبته في نفوس الناس، فنظم فيه مجلس علم ديني يفيد العامة والخاصة، فأصبح الجامع كجامعة صغيرة تقوم بأداء رسالة سامية من رسالات التثقيف والإعداد الديني لطبقات خاصة، غير تلك تدرس وتعلم بالأزهر، وقد أدى رسالته نحو الجامع الزينبي حتى أصبح شيخاً للجامع الأزهر ــ الخامس والعشرين ــ في ١٩٠٠م/ ١٣١٧هـ .

وكذلك ترك العارف بالله سيدي إبراهيم الدسوقي تراثاً علمياً وأدبياً، قام بترجمة بعضه عدد من المستشرقين فأنشئت في مسجده مدارس دينية كثيرة، وأوقفت عليه الأوقاف بعض الأملاك للإنفاق عليه وعلى الطلبة الدارسين

فيه. كما تحول مسجد السيد أحمد البدوي في طنطا إلى جامع علمي على نمط الجامع الأزهر في عصر علي بك الكبير، درست فيه العلوم الدينية واللغوية، وعين لذلك الفقهاء والمدرسون والمعيدون تحت اشراف شيخ الجامع الأحمدي. ووصلت أعداد الدارسين في الجامع إلى ألفين من الطلاب.

وكذلك في الشام فإن عدداً من العلماء البارزين أسسوا المعاهد الدينية والحوزات في منطقة السيدة زينب عليها السلام وبجانب حرمها الشريف، مستمرة في تعليم الطلاب الوافدين من كل صوب لتلقي العلوم الدينية والثقافة العامة في هذه المعاهد العظيمة حتى يومنا هذا، بل إنها تزداد قوة وحجماً وعدداً وعلماً.

الفصل الخامس

القبائل والعشائر التي تنتسب إلى أهل البيت النبوي الكريم عليهم السلام

نظراً لما قدّمة الابناء والأحفاد من أهل البيت عليهم السلام من تضحيات جسيمة في سبيل تقويم الإنحراف الذي حدث في المجتمع الإسلامي، وتعديل المسار الخاطــئ الذي مضى فيه الحكام من بني اُمية وبني العباس، وما حاولوه من جهــد في ذلك بالوسائل المختلفة كالثورات التي شنّوها على تلك الحكومات، والمعارك والحروب التي أعلنوها لها، وما جاهد به بعضهم لإقامة حكومات إسلامية عادلة ودول مستقلّة عن تلك الحكومات الجائرة، ممّا دفع هؤلاء إلى تتبع آثارهم ومطاردتهم من مكان إلى مكان، الأمر الذي أدّى إلى أن يتوزّع هــؤلاء الأبــناء والأحفــاد فــي الأقطــار، ويعيشوا فيها بعيداً عن الأذى والاضطهاد، فظهرت منهم قبائل وعشائر تنتمي إلى أهل البيت الكرام عامة، وإلى الحسن والحسين خاصة.

وقــد تحــدّدت مراكــزهم غالباً في مصر والحجاز والجنوب العربي واليمن، والشام والعراق والسودان وإفريقية.

١ ـ في مصر:

عــند قــيام الدولة العباسية في سنة ١٣٢هــ/٧٤٩م هرب جماعة من العلوييــن برئاســة عليّ بن محمد بن الحسن بن عليّ عليه السلام في سنة ١٤٥هــ/ ٧٦٢م إلــى الصعيد في قرية طوخ الخيل في الأشمونين. ورحّب بهم عرب

الصعيد، ومنحوهم كلّ احترام وتقدير، وساعدوهم في الاختفاء عن العباسيين. وتزوج عليّ بن محمد العلوي ابنة زعيم المعاقر: عسامة بن عمر المعاقري، وعاش هناك حتى وفاته.

كما كان لقرار المتوكل العباسي سنة ٢٣٢ـ٢٤٧هـ/٨٤٦ـ٨٦١م بإخراج آل عليّ بن أبي طالب عليه السلام من مصر وترحيلهم إلى العراق أثره في نزوح العلويين إلى الصعيد وخصوصاً أسوان.

وقد عاش بالصعيد كثير من الأشراف من آل الحسين بن عليّ عليه السلام، أقاموا حول مدينة جرجا، وعرفوا بالأشراف الحسينيين، فقد سكنت قبائل قريش (البهنسا) التي فيها منطقة تُسمّى حارة الأشراف.

ومن أشهرهم:

ـ الجعافرة من بني جعفر الطيار بن أبي طالب، هاجروا إلى صعيد مصر منذ القرن الثالث الهجري (العاشر الميلادي) وامتدّت بلادهم من منفلوط إلى سمالوط لكثرة عددهم.

وأهم بطون الجعافرة:

قبائل الزيانبة: وهم أولاد عليّ بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وأُمهم السيدة زينب بنت الإمام عليّ عليه السلام. فعُرف بنو عليّ هؤلاء بالزيانبة بأُمهم زينب عليها السلام، وسمّوا كذلك بالزينبيين.

ومنهم بنو ثعلبة، أقاموا في حرجة مير بأسيوط. وبنو ظلحة، وبنو جعفر، وبنو وعلان، وبنو حامد، وبنو وديعة، وبنو إبراهيم أولاد مسلم الجعفري.

وتفرع من الجعافرة: بنو محمد، بنو عبدالله، الخلصيون، الصالحيون، بنو عليّ، بنو صالح، بنو قاسم، بنو شاكر، بنو شعران، بنو داود، بنو والي،

بنو زيد، بنو عبدالله. وظهرت أسماء على شواهد لقبور منهم بأسوان، كان أشهرهم إبراهيم بن محمد، وينتهي نسبه إلى جعفر بن إبراهيم بن جعفر بن أبي طالب. تُوفّي سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م وأولاد الشريف حصن الدولة ثعلب، وكان منهم من سكن الفيوم.

كما هاجر إلى الصعيد قوم من نسل الإمام الحسن عليه السلام بقيادة عليّ بن عبدالله في سنة ١٤٤ـ١٤٥هـ/٧٦١ـ٧٦٢م واشتهر منهم ابن الصوفي العلوي أحمد بن عبدالله بن طباطبا ـ توفي سنة ٢٥٩هـ/٨٧٣ الذي أُطلق عليه بغا الأكبر، وقام بثورة ضد ابن طولون، وأقامت قبائل بني الحسن في منفلوط وأتليدم بالأشمونين وما حولها في الصعيد.

ومن بني الحسين عليه السلام عاش بالصعيد بنو جعفر الصادق عليه السلام في منفلوط وسمالوط، كان منهم:

الحيادرة، السلاطنة، وسكنوا في قرية طوخ طوه بالأشمونين بجوار سمالوط، التي كان بها قبر عليّ بن محمّد بن عبدالله بن الحسين المتوفّى سنة ١٤٥هـ، كما وجد شاهد قبر في أسوان يرجع إلى منتصف القرن الثالث الهجري لزينب بنت عليّ بن عيسى بن جعفر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

واعتبر هؤلاء أخطر عامل على الدولة الأُموية في مصر؛ لقيامهم بالثورات المتتالية على ولاتهم بالصعيد.

ونظراً لكثرة وجود القبائل العلوية في الأشمونين فقد أُطلق عليها بلاد قريش.

وقد وجد الأشراف في مصر قبل الفاطميين. كان لهم نقيب يعمل على حمايتهم من الأدعياء والتصرف في أُمورهم. وكان لرئيسهم ١٢ نقيباً، وديوان ومشارف وعامل. واستمرت نقابة الأشراف إلى اليوم.

وفي العصور الحديثة كان لها دور سياسي في تاريخ مصر، كما حدث خلال نقابة السيد عمر مكرم الذي قاد الانتفاضات الشعبية ضد الفرنسيين والإنجليز والعثمانيين. ومنهم السيد أحمد عرابي الزعيم الوطني.

وينتشر الأشراف اليوم في صعيد مصر قرب قنا؛ إذ توجد بلدة تُسمّى الأشراف ينتسب أهلها إلى أهل البيت عليهم السلام، ويُعدّ السيد رفاعة الطهطاوي من الأشراف، والسيد عمر مكرم حسيني، أمّا أحمد عرابي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

وكان الإخشيد يستخدمون سياسة اللين والتقرب إلى العلويين لمعرفتهم مدى حبّ أهل مصر لهم، فأنشأ نقابة الطالبيين. وكان عبدالله بن طباطبا والحسين بن طاهر من العلويين المقربين للإخشيد لايفارقانه.

وأصبح للحسين بن طاهر نقيب العلويين دوره في الصلح بين الإخشيد ومحمّد بن رائق الذي أعدّ لمهاجمة مصر في سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م كما أنّ عبدالله بن طباطبا كان من أغنياء مصر يرسل الحلوى كلّ يوم إلى كافور الإخشيدي الذي قربّ العلويين، وأجرى الرزق والمعاشات لنساء الأشراف.

وعمل عليّ بن محمد بن طباطبا في الخراج أيام الفاطميين، وأبو عبدالله الرسّي في خراج الأشمونين.

ومن أشهر القبائل العلوية في مصر:

ـ الزنانية: بطن من بني جعفر الصادق عليه السلام كانوا فيما بين منفلوط وسمالوط.

ـ السلاطنة: بطن من بني جعفر الصادق عليه السلام من بني الحسن السبط عليه السلام سكنوا ما بين منفلوط وسمالوط. ويعرفون بأولاد جحيش.

ـ محمد: بطن من الجعافرة من جعفر الطيار، أقام بمصر، وهم بنو

محمد بن عليّ بن عبدالله بن جعفر.

وفـــي بني محمد بطون كثيرة: الصالحيون، بنوعلي، بنو ادريس، بنو شاكر، بنو زيد، بنوثعلب، بنو يعقوب بن مسلم، بنو علاق.

ــ الحســين بن علي: بطن من هاشم من قريش، وهم بنو الحسين بن عليّ بن أبي طالبعليه السلام، ومنهم جماعة سكنوا قرب منفلوط.

ــ الحــيادرة: بطن من الجعافرة من بني الإمام الصادقعليه السلام وينسبون إلـــى جدّهــم حيدرة من بني جعفر. ويعرفون ــ أيضاً ــ ببني أيمن، سكنوا مابين منفلوط وسمالوط.

ــ الخلصــيون: بطن من بني محمد من الجعافرة، وهم ولد عيسى بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن جعفر.

ــ قنبر: بطن ينتسب إلى عليّ بن أبي طالبعليه السلام سكنوا الأشمونين.

ــ الصـــالحيون: بطن من بني محمد من الجعافرة، من ولد صالح بن محمد بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن جعفر.

ــ إبراهــيم بن إسماعيل: بطن من الجعافرة ينتسبون إلى إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر.

ــ إبراهيم بن محمد: بطن من الجعافرة ينتسبون إلى إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن جعفر.

ــ ثعلب بن داود: بطن نسب إلى ثعلب بن داود بن موسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. ونزلت منهم عشيرة عرفوا بطلحة وجعفر بأسيوط.

ــ ثعلــب بن يعقوب: بطن من الجعافرة من بني ثعلب بن يعقوب بن مســلم بن يعقوب بن أبي جميل بن جعفر بن موسى بن إبراهيم بن إسماعيل

بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن جعفر.

ــ السادات: من أصل حجازي قدموا مصر أواخر العهد الفاطمي. تولّى معظمهم إمارة الحجّ زمن الأيوبيين، وينتهي نسبهم إلى جعفر بن أبي طالب.

ــ والجعافرة: ــ أيضاً ــ بطن من بني هاشم. تحدّدت مراكزهم في كتانة وهي: عين بين الصفراء والأثيل، وذو أثَيْل بين بدر والصفراء، ويسمّون ــ أيضاً ــ بني جعفر الصادق عليه السلام وجاءت طائفة منهم إلى مصر، ونزلوا الصعيد، وفي وادي بني زيد في الشام، وكذلك بالقدس، وفي بعض قرى أذرعات. يدّعون أنهم من بني جعفر.

وهناك الجعافرة، إحدى القبائل التي تألّف منها أشراف الحجاز انقسموا إلى ٢١ قبيلة، وتقع ديارهم شمالي جيزان.

٢ ـ القبائل العلوية في الحجاز:

ــ السليمانيون: فخذ من الحسينيين، كان منهم أُمراء مكّة بعد نواب خلفاء بني العباس، وقبل الهواشم.

كما ملكوا المدينة أيضاً، فجمعوا بين الحرمين. وانقرضت دولتهم، فساروا إلى اليمن، وهم من بني سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام.

ــ بنو طاهر: فخذ من الحسينيين وهم: بنو أبي القاسم طاهر من ولد يحيى الفقيه من ولد الحسن بن الحسين السبط عليه السلام، كان منهم أُمراء المدينة المنورة.

ــ زيد: بطن يعرف بذوي زيد، من سلالة الإمامين الحسن والحسين،

أقاموا جنوبي مكّة.

ـ المعصوم: بطن من العلويين، كان منهم في مكّة، وآخرون في الهند.

ـ المناديل: عشيرة من سلالة السبطين الحسن والحسين عليهما السلام، أقامت في الحجاز.

ـ المنّاعة: عشيرة من سلالة السبطين عليهما السلام بالحجاز.

ـ الحرّث: بطن من سلالة السبطين عليهما السلام بالحجاز.

ـ عمرو: عشيرة تعرف بذوي عمرو، من سلالة السبطين عليهما السلام بالحجاز.

ـ جيزان: عشيرة تعرف بذوي جيزان، من سلالة السبطين بالحجاز.

ـ الحسن بن عليّ: بطن من هاشم بن عبد مناف، وهم بنو الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. كان لهم رَضْوى على سبع مراحل من المدينة المنورة.

ـ حسين: عشيرة تعرف بذوي حسين من سلالة السبطين عليهما السلام بالحجاز.

ـ إبراهيم: عشيرة تعرف بذوي إبراهيم من الأشراف من سلالة السبطين عليهما السلام بالحجاز.

ـ الثعالبة: بطن من بني الحسن بن عليّ عليه السلام وهم: بنو ثعلب بن مطاعن بن عبدالكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان بن عبدالله أبي الكرم بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن عليه السلام، ومنازلهم في أرض الحجاز.

ـ الشّكْرة: بطن من بني الحسن عليه السلام وهم: بنو صرخة بن إدريس بن

مطاعة بن عبدالكريم بن موسى... إلى الحسن المثنى بن الحسن عليه السلام. وكانوا في (ينبع).

ــ العبادلة: عشيرة من سلالة السبطين عليهما السلام أقامت في عسير والحجاز.

ــ عبدالكريم: عشيرة تعرف بذوي عبدالكريم من سلالة السبطين عليهما السلام أقامت خارج مكّة من الجنوب إلى البحر الأحمر حتى ميناء جدّه.

ــ الأُخيضر: بطن من بني الحسن بن عليّ عليه السلام وهم بنو محمد الأُخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن الحسن بن عليّ بن الحسن السبط عليه السلام.

ــ الإسحاقيون: بطن من جعفر الطيار، وهم: بنو إسحاق العِرضيّ بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. والعرض موضع بالمدينة.

٣ ـ العلويون في اليمن والجنوب العربي:

ــ الأفهاد: فرع من آل فاطمة من يام، إحدى القبائل المهمة في نجران الجوف.

ــ بدر: فرع من آل فاطمة من قبيلة يام.

ــ البهّال: بطن من العلويين باليمن.

ــ الجُعّة: فرع من آل فاطمة من يام في نجران.

ــ جيبان: من آل فاطمة من يام.

ــ حالق: من آل فاطمة من يام.

ــ الرسّي: فخذ من الحسنيين وهم: من القاسم الرسي بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم إلى الحسن السبط عليه السلام. كانوا في صنعاء ومنهم أئمة الزيدية باليمن من الفترة ٨٢١هـ/١٤١٨م.

ــ باعلوي أو آل علوي: عشيرة كبيرة ذات جاه، ظهر منها كثير من السادات والمتصوفين في حضرموت على الخصوص. وقد عرفوا بالأدب والتقوى والصلاح والعلم. كان جدهم الأكبر: علوي بن عبدالله بن أحمد بن عيسى المهاجر بن عليّ العُريضي بن جعفر الصادقعليه السلام. فهم أشراف من آل البيتعليهم السلام واشتهر منهم:

ــ محمد بن علي بن محمد العلوي الملقب بالأُستاذ الأعظم والفقيه المقدّم سنة ٥٧٤ــ٦٥٣هــ/١١٧٨ــ١٢٥٥م وهو من مشايخ الصوفية في الجزيرة العربية، وصاحب طريقة علوية.

ــ علوي بن محمد العلوي، تُوفّي سنة ٦٦٩هــ/١٢٧٠.

ــ ابنه عبدالله العلوي: ٦٣٨ ــ٧٣١هــ/١٢٤٠ــ١٣٣٠م.

ــ محمد بن علي بن علوي: ٧٠٥ ــ ٧٦٥هــ/١٣٠٥ــ١٣٦٣م.

ــ وابنه عبدالرحمن السقاف، جد آل سقاف والعيدروسي.

ــ شيخان بن عليّ بن هاشم السقاف العلوي ١٢٤٨ ــ١٣١٣هــ/ ١٨٣٢ــ١٨٩٥م. تُوفّي بالمكلاّ.

وقد تفرعت الطريقة الصوفية العيدروسية عن الطريقة العلوية، فاشتهر منهم:

أبوبكر بن عبدالله الشاذلي العيدروسي ٨٥١ــ٩١٤هــ/١٤٤٧ــ١٥٠٨م.

عبدالرحمن بن مصطفى العيدروسي الحسيني ١١٣٥ــ١١٩٢هــ/ ١٧٢٢ــ١٧٧٨م.

ــ نعمة بن يوسف: بطن من العلويين باليمن، وهم أشراف وادي وساع.

ــ العُبالي: بطن من العلويين باليمن. جدهم إسماعيل بن عبدالله بن

محمد القاسم الحسني.

ــ الحمــزيون: بطــن من بني الحسن السبط عليه السلام وهم: بنو حمزة بن الحسن بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم بن طباطبا الحسني باليمن.

٤ ـ في الشام:

ــ الرفايعة: عشيرة بناحية بني جهمة أو البطون بمنطقة عجلون. يقال إنّهم من سلالة الإمام الحسين عليه السلام. خرجوا من معرّة النعمان من قضاء حلب، ويقطــنون الــيوم فــي قرية علمال، ولهم أقارب في اُم الولد بالبلقاء يدعون بالرفايعة أيضاً.

ــ الإســحاقيون: بطــن من العلويين ينتسبون إلى أبي محمد إسحاق المؤتمــن بــن جعفر الصادق عليه السلام كان منهم نقباء حلب والشام وجماعة في بعلبك.

ــ القضــاة: عشيرة بناحية جبل عجلون يقال: إنّهم من أعقاب الإمام الحسين عليه السلام. هاجر جدهم عطية من المعرة إلى دمشق، وتُوفّي بها. خلّف ولداً اسمه علّي الذي خلّف ثلاثة أولاد: محمد ــ أحمد ــ زين الدين.

خــرج أحمــد إلى الكرك، وله فيها أعقاب يقال لهم: القضاة. وذهب محمد وزين الدين إلى قرية جبل عجلون، ومكثا بها مع أعقابهما. وكانوا منذ أوّل عهدهــم حلفــاء للفريحات، كما كانوا يداً واحدة مع المؤمنية ضد أهل سوف.

٥ ـ في العراق:

ــ آل معيتة: سادة حسنيون من عقب إبراهيم الغمر. سكنوا الحلة، وهم بيت جليل تولوا النقابة، وتوارثوها منذ عهد الناصر العباسي، وكانوا متقدمين عــند الخلفاء، اشتهر منهم: تاج الدين أبو عبدالله جعفر بن معيتة، وهو عالم جليل وشاعر أديب.

ــ آل طاووس: سادة نقباء من ولد داود بن الحسن المثنى. كان منهم: غــياث الدين أبو المظفر عبدالكريم بن جمال الدين أحمد بن طاووس. وهو فقــيه نسّابة نحوي وشاعر أديب، اشتهر بسرعة البديهة والذكاء. درس على يــد عمّه وعلى يد المحققّ الحلي والخواجة نصير الدين الطوسي. عاش بين سنة ٦٤٨ــ٦٩٣هــ/١٢٥٠ــ١٢٩٤م ونقل إلى مشهد الإمام الكاظمعليه السلام وقيل عند جده الإمام عليّعليه السلام.

والحســن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى، هو جد آل طــاووس وأب لقبــيلة آل طاووس برز منهم العلماء الأجلاّء الأفاضل مثل: السيد العالم الزاهد جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر. وأخوه: السيد العالم نقيب النقباء، رضي الدين عليّ بن موسى.

وإذا ذكــر فــي كتب الأدعية والزيارات اسم ابن طاووس فهو يعني: رضي الدين عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد.

أمّــا ابــن طاووس الذي يذكر في الكتب الفقهية والرجالية فهو جمال الدين أحمد.

كما اشتهر منهم السيد مجد الدين صاحب كتاب (البشارة) الذي يتناول فــيه أخــبار بنــي العباس والمغول. وهو ممّن خرج لاستقبال هولاكو الذي عظّمه ومنحه الأمان كما منح الأمان للحلة.

٦ ـ في السودان وإفريقية:

قدمت على السودان قبائل عربية من أبناء عقيل بن أبي طالب، سكنوا وادي العلاقي، ثُمّ نزحوا جنوباً نحو النوبة، وأقاموا في كورسكو والمضيق، وأطلق عليهم اسم (العليقات).

وقد زال ملك النوبة عند قيام الدولة الفاطمية عن منطقة النوبة الشمالية، وتحوّلوا إلى الإسلام، وأقاموا إمارة عربية تحت حكم أولاد الكنز، فعرّبوا النوبة، ونشروا الثقافة العربية طوال العهد الفاطمي.

وفي سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م أسّس العرب مراكز تجارية على شاطئ إفريقية بعد هجرة أبناء زيد بن عليّ نتيجة اضطهاد الأُمويين، فكانت هجرتهم أوّل هجرة عربية خرجت من اليمن إلى الساحل الشرقي لإفريقية. وعرفوا باسم الاموزيدج، وهو تحريف سواحلي للزيدية.

ـ السنوسي أبوعبدالله محمد بن علي السنوسي الخطابي الادريسي: ١٢٠٢ـ١٢٧٦هـ/١٧٨٨ـ١٨٥٩م. وهو من الأدارسة الذين يرجعون إلى جدّهم إدريس الأكبر مؤسس دولتهم بالمغرب. انتقل إلى الجغبوب في جنوب ليبيا للابتعاد عن قوات إيطاليا المستعمرة، فتحولت جغبوب إلى مركز تعليمي بعد بناء مسجدها ومدرستها ومكتبتها التي أسّسها السنوسي، فأصبحت مركزاً لتخريج الدعاة. وقد ألّف ٤٤ كتاباً ورسالة في الفقه والتصوّف.

وخلفه ابنه محمد المهدي ١٢٦٠ـ١٣٢٠هـ/١٨٤٤ـ١٩٠٢م قيل عنه: إنّه إمام آل بيت النبوة، فهو يؤكّد دون شك أنّه هو المهدي. كان يأمر مريديه بقراءة صحيح البخاري والموطأ، ويقول: إنّه يتلقى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنّه مأمور منه صلى الله عليه وآله وسلم.

فالسنوسية امتدت من واحة الكفرة وخزان حتى وصلت بحيرة تشاد ثم

وادي النـــيجر الأعلى مخترقة الصحراء التي أصبحت طرقها أمنة وعامرة بالناس، حملت الإسلام الى أقصى بلاد جمهوريات تشاد والنيجر والفولتا.

ــ حمّــود بـــن يعقوب: بطن من الأدارسة من بني الحسن السبطعليه السلام وهم: بنو حمود بن يعقوب بن أحمد بن عليّ بن عبدالله بن عمر بن إدريس.

ــ ســليمان بن عبدالله: بطن من بني الحسنعليه السلام وهم: بنو سليمان بن عــبدالله بن الحسن المثنى بن الحسنعليه السلام كان لهم ملك بتلمسان وما معها من بلاد المغرب الأوسط.

ــ صالح بن عبدالله: بطن من بني الحسن السبطعليه السلام وهم: بنو صالح بــن عــبدالله بن موسى بن أبي الكرام بن موسى الجون، كانت لهم دولة في بلاد غانة من بلاد السودان من جهة المحيط المغربي.

ــ العبــيديون: بطن من الحسينيين، ملكوا بلاد المغرب ومصر والشام وإفريقية وصقلية.

٧ ـ قبائل وعشائر اخرى:

ــ محمد بن عبدالله: بطن من عقيل بن أبي طالب وهم العقيليون: بنو محمد بن عبدالله الأحول بن محمد بن عقيل بن أبي طالب.

ــ هِجار: بطن من بني الحسن السبطعليه السلام.

- الهواشــم: بطن من بني الحسن السبطعليه السلام: بنو أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبطعليه السلام.

ــ العــباس بـــن عليّ: بطن من بني علي بن أبي طالبعليه السلام وهم: بنو العــباس السقاء بن عليّ بن أبي طالبعليه السلام وقيل السقاء؛ لأنّه سقى الماء أخاه

الإمام الحسين عليه السلام وأطفاله يوم عاشوراء.

ـ الجورية: بطن من بني جعفر الصادق عليه السلام ينتسب إلى محمد الجور.

ـ الحدايـدة: مـن عشائر الصلت قيل: إنّ نسبها يتصل بالحسين بن عليّ عليه السلام.

ـ إسـماعيل بن عبدالله: بطن من قريش: بنو إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن عبدالمطلب بن هاشم.

ـ الحنفيون: بطن من العلويين: بنو محمد بن الحنفية بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ـ الدندان: بطن من العلويين.

ـ عمر بن عليّ: بطن من أبي طالب هم: بنو عمر الأطرف بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ـ العوكلانـيون: بطن ينتسب إلى عبدالله بن موسى الكاظم عليه السلام نزلوا في عوكلان قبيلة أو بلد، فسمّوا بذلك.

في ختام الكتاب

وهكذا بعد أن قدمت ما أعانني الله عليه من عمل، وما وفقني اليه من بحـــث، مســـتعيناً بالله في إخراجه الى الناس بصورة صادقة مؤيدة بأفضل البراهين ولأقوى الاسانيد، وما انفقته من وقت في سبيل الله في قراءة مئات المصـــادر والمراجع، وزيارة الكثير من المكتبات العامة والخاصة للاطلاع علـــى كتب ومراجع صالحة لموضوع الكتاب، وما انفقته من شراء كتب عدّة تنفع كمراجع لتحقيق هذا الكتاب، وما قمت من سفر وزيارات للمناطق التي وجـــدت بهـــا اضرحة الائمة عليهم السلام والاطلاع على ما فيها من تحف ونفائس وغـــيرها، ومقابلة العلماء الأجلاء في المدن المقدسة للتشاور والنقاش معهم حول بعض الموضوعات الساخنة التي تناولها الكتاب حتى يمكن تحصيل ما هـــو صحيح وحقيقي، أرجو من الله سبحانه أن يتقبله والائمة الطاهرون عليهم السلام والمســـتنيرون من رجال الفكر والعلماء الأفاضل، دون ان تضيق به صدور الـــبعض منهم، بالرغم من انني قدمت هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجه الله تعالى ولنيل رضاه عز وجل، فلا اطلب عليه اجراً سواه سبحانه وتعالى، فلا ارتقب من احد في الحياة حمداً ولا شكراً، فهو عزوجل حسبي ونعم الوكيل، بـــيده الخـــير يهـــدي من يشاء الى سواء السبيل ويجزيه من فضله الثواب الجزيل.

وأسأله دوام التوفيق والهداية، انه سميع مجيب.

والحمـــد لله رب العالميـــن، وصلى الله محمد وعلى آل بيته الخيرين الطيبين.

المراجع والمصادر

أولاً: تاريخ وحضارة:

أ ـ التراث:

١ ـ ابـو بكر بن العربي المالكي: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبيﷺ (القاهرة ـ مكتبة السُنّة ١٤١٢هـ).

٢ ـ احمـد بن ابي يعقوب، (إبن واضح الأخباري): تاريخ اليعقوبي (النجف الاشرف ـ المكتبة الحيدرية ١٩٦٤).

٣ ـ إبـن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة (القاهرة دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٩) عز الدين ابو حامد بن هبة الله بن محمّد بن الحسين المدائني.

٤ ـ إبن قتيبة، ابو محمّد عبد الله بن مسلم الدينوري: تاريخ الخلفاء ـ الامامة والسياسة (بيروت مؤسسة الوفاء ١٩٨١).

٥ ـ احمـد بـن عـبد الله القلقشندي: مأثر الإنافه من معالم الخلافة ـ التراث العربي (الكويت وزارة الارشاد والأنباء ١٩٦٤).

٦ ـ ابـو عـبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي: خصائص أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (القاهرة مكتبة الآداب ١٩٨١).

٧ ـ احمـد بن محمّد بن عبد ربه الاندلسي: العقد الفريد (القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥).

٨ ـ إبـن الأثـير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني: الكامل في التاريخ (بيروت دار صادر ١٩٧٩).

٩ــ ابــن دقمــاق، ابراهــيم بن محمّد بن أيدمر العلائي: الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين (بيروت عالم الكتب ١٩٨٥).

١٠ ــ ابــن تيمــيه، الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: (القاهرة مصر للطباع ــ بدون تاريخ) تحقيق: هاشم محمّد الشاذلي.

١١ ــ تقي الدين احمد بن علي المقريزي: فضل آل البيت (القاهرة دار الاعتصام ١٩٨٠).

١٢ ــ الحــافظ شــمس الدين ابو عبد الله الذهبي: دول الإسلام (بيروت مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ١٩٨٥).

١٣ ــ الحافظ الذهبي: العبر في خبر من غير ــ التراث العرابي (الكويت وزارة الارشاد والانباء ١٩٦٦).

١٤ ــ عمــاد الدين اسماعيل، ابو الغداء: المختصر في اخبار البشر ــ تاريخ ابي الغداء (القاهرة ــ مكتبة المتنبي).

١٥ ــ علــي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت دار الاندلس ١٩٨١).

١٦ ــ عبد الحسين احمد الامين النجفي: الغدير (طهران دار الكتب الاسلامية ١٣٧٢هــ ١٩٥٢م.

١٧ ــ محمّد بن عبد الله بن احمد الازرقي ابو الوليد أخبار مكة (مكة المكرمة دار الثقافة ١٩٨٢).

١٨ ــ محمّــد بــن جريــر الطــبري ابو جعفر (تاريخ الامم والملوك (القاهرة المطبعة الحسينية المصرية).

١٩ ــ محمّــد بن الفتال النيسابوري: روضة الواعظين (قم ايران ــ منشورات الشريف الرضي ١٩٦٦).

٢٠ ــ محمّد باقر المجلسي: بحار الانوار (بيروت دار الرضا ــ بدون).

٢١ ــ كمال الدين محمّد بن موسى الدميري: حياة الحيوان (القاهرة كتاب التحرير ١٩٦٥).

٢٢ ــ محمّد مهدي شمس الدين: ثورة الحسين (بيروت دار الاندلس بدون تاريخ).

ب ــ كتب حديثة:

١ ــ أحمد ابراهيم الشريف: دراسات في الحضارة الاسلامية (القاهرة دار الفكر العربي ١٩٧٦).

١ ــ إسماعيل احمد إسماعيل: المسجد النبوي الشريف ومزارات أهل البيت عليهم السلام والنبوي جبر سراج (القاهرة دار الشعب ١٩٧٤).

٢ ــ جرهاردكو نسلمان: سطوع نجم الشيعة. ترجمة: محمّد ابو رحمة (القاهرة مكتبة مدبول ١٩٩٢).

٣ ــ حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في افريقيه (القاهرة النهضة المصرية ١٩٥٨).

٤ ــ حسن احمد محمود: حضارة مصر الاسلامية (القاهرة النهضة المصرية ١٩٦٠).

٥ ــ جعفر حسين خصبال: العراق في عهد المغول الايلخانين (بغداد مطبعة العاني ١٩٦٨).

٦ ــ حسن إبراهيم حسن: تارخي الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (القاهرة النهضة المصرية ١٩٧٩).

٧ ــ خليل علي حيدر: العمامة والصولجان (الكويت دار قرطاس للنشر ١٩٩٧).

٨ ــ خالد محمّد خالد: ابناء الرسول في كربلاء (القاهرة دار ثابت للنشر ١٩٨١).

٩ ــ سعيد عبد الفتاح عاشور ــ محمّد أنيس: النهضات الأوروبية في العصور الوسطى (القاهرة مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٦٠).

١٠ ــ سعيد عبد الفتاح عاشور: اوروبا العصور الوسطى النظم والحضارة (القاهرة النهضة العربية ١٩٦٢).

١١ ــ سعيد عبد الفتاح عاشور: اوروبا العصور الوسطى التاريخ السياسي (القاهرة الانجلو المصرية ١٩٦١).

١٢ ــ سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المالكي في مصر والشام (القاهرة النهضة العربية ١٩٦٥).

١٣ ــ سعيد عبد الفتاح عاشور: المدينة الاسلامية وأثرها في الحضارة الاوروبية

(القاهرة النهضة العربية ١٩٦٣).

١٤ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور: **الجامعات الاوروبية في العصور الوسطى (القاهرة النهضة المصرية ١٩٥٩).**

١٥ ــ السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية (القاهرة النهضة العربية ١٩٦٠).

١٦ ــ سعدون عباس نصر الله: دولة الادارسة في المغرب والأندلس (بيروت دار النهضة العربية ١٩٩٦).

١٧ ــ سعدون بن عباس نصر الله: دولة الادارسة في المغرب (العصر الذهبي) (بيروت دار النهضة العربية ١٩٨٧).

١٨ ــ سنية قراعة تاريخ الازهر في الف عام (القاهرة مكتبة الصحافة الدولي للنشر ١٩٦٨).

١٩ ــ ستيفن هيمسلي لونكريك: اربعة قرون من تارخي العراق الحديث.

ترجمعة: جعفر الخياط (قم ايران منشورات الشريف الرضي ١٩٦٨).

٢٠ ــ سليمان كتاني: الإمام علي نبراس ومتراس (بغداد مطبعة الازهر ١٩٦٧).

٢١ ــ روكس بن زائد العزيزي: الإمام علي ــ اسد الإمام وقديسه (بيروت دار الكتاب العربي ١٩٧٩).

٢٢ ــ صالح الورداني: الشيعة في مصر (القاهرة مكتبة مدبولي ١٩٩٢).

٢٣ ــ سنية قراعة: الرسالات الكبرى (القاهرة ــ مكتبة الصحافة الدولي ١٩٦٦).

٢٤ ــ طه حسين: الخلفاء الراشدون (بيروت دار الكتاب الضباخ ١٩٧٢).

٢٥ ــ علي حسن الخربوطلي: ١٠ ثورات في الإسلام (بيروت دار الآداب ١٩٧٨).

٢٦ ــ عبد الرحمن الشرقاوي: أئمة الفقه التسعة (القاهرة الهيئة المصرية العامة ١٩٨٧).

٢٧ ــ عبد الرحمن الشرقاوي: علي إمام المتقين (القاهرة مكتبة غريب ١٩٨٥).

٢٨ ــ عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي بن أبي طالب (القاهرة مكتبة مصر).

٢٩ ــ عبد الحسين ابراهيم الحسيني: سفينة النجاة (بيروت مطبعة الانصاف ١٩٦٣).

٣٠ ــ عبد العزيز عبد الله حبيب: معركة بدر الكبرى (بيروت دار الصفوة ١٩٩٣).

٣١ ــ علي ابراهيم حسن: التاريخ الاسلامي العام (القاهرة النهضة المصرية ١٩٧١).

٣٢ ــ علي الزين: فصول من تاريخ الشيعة في لبنان (بيروت دار الكلمة للنشر ١٩٧٩).
٣٣ ــ عبد الله فياض: تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة (بيروت مؤسسة الأعلمي ١٩٧٥).
٣٤ ــ عمر ابو النصر: إلى محمّد في كربلاء (القاهرة دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٧).
٣٥ ــ عبد القادر بن محمّد النعيمي الدمشقي: الدراس في تاريخ المدارس (بيروت دار الكتب العلمية ١٩٩٠).
٣٦ ــ كي لستربخ: بلدان الخلافة الشرقية (بغداد مطبعة الرابطة ١٩٥٤). عبد اللطيف علي: تاريخ مصر الرومانية (القاهرة النهضة المصرية ١٩٦٠).
٣٧ ــ محمّد بحر العلوم: من رحاب الشيعة زينب (بيروت دار الزهراء ١٩٨٠).
٣٨ ــ محمّد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية (القاهرة دار الفكر العربي ١٩٥٩).
٣٩ ــ محمّد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية (القاهرة دار الفكر العربي ١٩٦٠).
٤٠ ــ محمّد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق (القاهرة دار الفكر العربي ١٩٦٥).
٤١ ــ محمّد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق (القاهرة دار الفكر العربي ١٩٥٩).
٤٢ ــ محمّد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي (القاهرة الأنجلو المصرية ١٩٩٠).
٤٣ ــ محمود الشرقاوي: المدينة المنورة (القاهرة دار الشعب ١٩٧٦).
٤٤ ــ محمّد حسين المظفر: تاريخ الشيعة (بيروت دار الزهراء ١٩٧٩).
٤٥ ــ ممدوح عبد الرحمة الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر (القاهرة مكتبة مدبولي ١٩٩٦).
٤٦ ــ مجموعة علماء وباء: علي بن ابي طالب ــ نظرة عصرية جديدة (بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٤).
٤٧ ــ الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي:

قرنان من الإجتهاد والمرجعية (الكويت منشورات مكتبة الامام الصادق عليه السلام ١٤١٥هـ).

محمّد الخضري: الدولة العباسية (بيروت دار المعرفة ١٩٩٥).

٤٨ ـ نوري جعفر: علي ومناوئوه: (بيروت مؤسسة الوفاء ١٩٨٢).

٤٩ ـ نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة اوروبا في افريقية الغربية (الجزائر المكتبة الوطنية للنشر ١٩٧٤).

٥٠ ـ يوسف حسن محمّد العارف: العثمانيون وحكومة الأدارسة في عسير (جدة جامعة الملك عبد العزيز ١٩٨٥).

٥١ ـ يوسف كركوسة الحلي: تاريخ الحلة (قم ايران منشورات الشريف الرضي ١٤١٣ هـ).

٥٢ ـ يوسف جعفر سعادة: القوى السياسية في كوت الأحساء ودورها في تشكيل الأحداث في منطقة الخليج (الكويت المجموعة الدولية ١٩٩٧).

٥٣ ـ يوسف جعفر سعادة: الجهاد بني النظرية والتطبيق من خلال ثورة الإمام الحسين عليه السلام (الكويت منشورات ذات السلاسل ١٩٨٥).

ثانياً: الموسوعات والمعاجم

١ ـ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي ـ الدولة الأموية (القاهرة النهضة المصرية ١٩٨٢).

٢ ـ جعفر الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة (بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٨٧).

٣ ـ عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية ـ أعلام التصوف (القاهرة دار الرشاد ١٩٩٢).

٤ ـ عبد المنعم الحفني: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية (القاهرة دار الرشاد ١٩٩٢).

٥ ـ عبد السلام الترمانيني: أزمنة التاريخ الإسلامي (الكويت المجلس الوطني للثقافة

والفنون ١٩٨٢).
٦ ــ عمر رضان كحالة: معجم قبائل العرب (بيورت مؤسسة الرسالة ١٩٩٤).
٧ ــ محمّد حرز الدين: مراقد المعارف (النجف الأشرف مطبعة الآداب ١٩٦٩).
٨ ــ مــراجع من العلماء والأعلام: مجموعة وفيات الأئمة (قم إيران انتشارات الشريف الرضي ١٤١٣هــ).
٩ ــ مجموعة علماء وادباء وكتاب: تراث الإنسانية (القاهرة ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر).
١٠ ــ محمّــد الحســين كاشف الغطاء: العبقات العنبرية في الطبقات الجعفري (بيروت بيسان للنشر ١٩٩٨).
١١ ــ ابو الفرج الإصفهاني: مقاتل الطالبيين (بيروت دار المعرفة بدون تاريخ).
١٢ ــ أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف ــ ذخائر العرب (القاهرة دار العارف ١٩٥٩).
١٣ ــ محسن الأمين: أعيان الشيعة (بيروت دار التعارف ١٤٠٦ هــ).
١٤ ــ محمّد باقر الخوانساري الاصبهاني: روضات الجنان في احوال العلماء والسادات (بيروت الدار الاسلامية ١٩٩١).
١٥ ــ محمّد بن عبد الكريم بن ابي بكر الشهرستاني: الملل والنحل (بيروت دار المعرفة ١٩٨٢).
١٦ ــ محمّد ابن سعد: الطبقات الكبرى: (بيروت دار صادر، بدون تاريخ).

ثالثاً: التراجم والسير:

١ ــ إبراهيم بيضون: سليمان بن صرد الخزاعي (بيروت دار التراث الاسلامي ١٩٧٤).
٢ ــ احمد الشهاوي سعد شرف الدين: فاطمة الزهراء عليها السلام (القاهرة دار التأليف ١٩٧٠).
٣ ــ إبراهيم محمّد حسن الجمل: زوجات النبي محمّد صلى الله عليه وآله (القاهرة دار الشعب ١٩٧٧).
٤ ــ الســيد ابــو الحســن هاشــم: سيدة عن آل محمّد صلى الله عليه وآله (قم ايران المطبعة العلمية ١٤١٦هــ).

٥ ـ السيد ابو الحسين علي الحسني الندوي: السيرة النبوية (دار الشروق ـ جدة ١٩٧٧).

٦ ـ توفيق ابو علم: الحسين بن علي (القاهرة دار العارف ١٩٧٩).

٧ ـ جرجي زيدان: العباسة اخت الرشيد (بيروت مكتبة الحياة).

٨ ـ حسن إبراهيم حسن: زعماء الإسلام (القاهرة النهضة المصرية ١٩٨٠).

٩ ـ حسين فوزي النجار: رفاعة الطهطاوي ـ أعلام العرب (القاهرة الدار المصرية التأليف والترجمة).

١٠ ـ خالد محمّد خالد: رجال حول الرسول (بيروت دار الكتاب العربي ١٩٧٣).

١١ ـ رمضان لاوند: الإمام الصادق عليه السلام (بيروت مكتبة الحياة).

١٢ ـ سامح كريم: أعلام في التاريخ الاسلامي في مصر (القاهرة الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٧).

١٣ ـ صبري الدمرداسن: قطوف من سير العلماء (الكويت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ١٩٩٧).

١٤ ـ صلاح عزام: نفيسة العلم والمعرفة (القاهرة دار الشعب ١٩٦٩).

١٥ ـ عبد الحميد جودة السحار: حياة الحسين (القاهرة مكتبة مصر).

١٦ ـ عباس محمود العقاد: ابو الشهداء الحسين بن علي (بيروت المكتبة العصرية).

١٧ ـ عباس محمود العقاد: عمرو بن العاص (بيروت دار الكتاب العربي ١٩٦٩).

١٨ ـ عباس محمود العقاد: العبقريات الإسلامية (بيروت دار الكتاب اللبناني ١٩٧٤).

١٩ ـ معاوية بن ابي سفيان في الميزان (بيروت دار الكتاب العربي ١٩٦٩).

٢٠ عبد الحميد جودة السحار: ابوذر الغفاري (القاهرة مكتبة مصر).

٢١ ـ علي ناصر الدين: ابوذر الغفاري الثائرون العرب في التاريخ (بيروت مكتبة الحياة ١٩٦٧).

٢٢ ـ عبد الحليم محمود: السيد احمد البدوي (القاهرة دار الشعب).

٢٣ ـ عبد العزيز محمّد الشناوي: عمر مكرم ـ اعلام العرب (القاهرة دار الكاتب العربي ١٩٦٧).

٢٥ ـ علي حسن الخربوطلي: المختار الثقفي أعلام العرب (القاهرة المؤسسة المصرية

العامة للتأليف والترجمة ١٩٦٢).

٢٦ ــ عبد الرزاق مقدم: العباس (قم ايران منشورات الشريف الرضي).

٢٧ ــ عبد الرحمة الشقاوي: عمر بن عبد العزيز (القاهرة مكتبة غريب).

٢٨ ــ علي محمّد راض: المأمون العباس (القاهرة الدار القومية للنشر).

٢٩ ــ عبد الله الخنيزي: ابو طالب مؤمن قرين (بيروت دار التعارف ١٩٧٨).

٣٠ ــ عبد العزيز سيد الاهل: زين العابدين علي بن الحسين (القاهرة المكتبة العلمية ١٩٦١).

٣١ ــ فؤاد علي رضا: غصة الرسول، الحسين بن علي (بيروت مكتبة العارف ١٩٧٢).

٣٢ ــ محمّد يوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة (القاهرة دار التراث العربي ١٩٨٢).

٣٣ ــ محمّد كاظم القزويني: الإمام الجواد عليه السلام من المهد إلى اللحد (قم ايران مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ).

٣٤ محمّد كاظم القزويني: الامام الهادي عليه السلام من المهد إلى اللحد (قم ايران مركز نشر آثار الشيعة ١٤١٢هـ).

٣٥ ــ محمّد جواد الطبس: حياة الإمام العسكري عليه السلام (قم ايران مكتبة الاعلام الإسلامي ١٤١٦هـ).

٣٦ ــ محمّد جواد فضل الله: الإمام الصادق عليه السلام (بيروت دار الزهراء ١٩٨١).

٣٧ ــ محمّد علي دخيل: سيرة الائمة الاثني عشر (بيروت دار التراث الاسلامي ١٩٧٤).

٣٨ ــ السيد مرتضى الشيرازي: السيدة نرجس عليها السلام مدرسة الأجيال (بيروت مركز الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله للنشر ١٩٩٧).

٣٩ ــ محمّد حسين زيدان: سيرة بطل (جدة ــ الدار السعودية للنشر ١٩٦٧).

٤٠ ــ محمّد رضا: محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله (القاهرة دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٦).

٤١ ــ محمّد رضا: الحسن والحسين (بيروت دار الكتب العلمية ١٩٧٥).

٤٢ ــ محمّد حسن النائيني: فاطمة الزهراء عليها السلام (بيروت مؤسسة الوفاء ١٩٨١).

٤٣ ــ محمّد كاظم القزويني: فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد (قم ايران المطبعة العلمية ١٤١٤ هـ).

٤٤ ــ محمّد مصطفى الأعظمي: كتّاب النبي صلى الله عليه وآله (بيروت المكتب الإسلامي ١٩٧٤).
٤٥ ــ موسى محمّد علي: سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام (القاهرة دار التراث العربي ١٩٨٢).
٤٦ ــ محمّد ابو زهرة: الإمام الصادق عليه السلام (القاهرة دار الفكر العربي بدون تاريخ).
٤٧ ــ محمّد علي اسبر: احمد بن زيد الدين الأحسائي في دائرة الضوء (بيروت دار الأصالة ١٩٩٢).
٤٨ ــ محمّد مهدي الموسوي الكاظمي: زيد بن علي (بغداد مطبعة المعارف).
٤٩ ــ محمّد جواد فضل الله: حجر بن عدي الكندي (بيروت دار التراث الاسلامي ١٩٧٤).
٥٠ ــ مصلح سيد بيومي: الحسن البصري (القاهرة النهضة المصرية ١٩٨٠).
٥١ ــ نور الدين الشاهرودي: أسرة المجدد (طهران ١٩٩٠).
٥٢ ــ والدة السيد محمّد كاظم الشيرازي روائع من حياة الامام الكاظم عليه السلام (قم ايران انتشارات اهل البيت عليهم السلام ١٤١٦هـ).
٥٣ ــ هاشم معروف الحسني: سيرة الأئمة الاثني عشر (بيروت دار القلم ١٩٧٨).
٥٤ ــ عائشة عبد الرحمة بنت الشاطئ: تراجم سيدات بيت النبوة (بيروت دار الكتاب العربي ١٩٨٢).
٥٥ ــ عباس القمي: منتهى الآمال (قم ايران مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٤هـ).

رابعاً: المجلات الدورية

١ ــ احمد ابو زيد: حقوق الإنسان عالم الفكر (الكويت المجلد الأول العدد ٤ يناير ١٩٧١).
٢ ــ زكريا البري: (الإسلام وحقوق الإنسان) عالم الفكر (الكويت المجلد الأول العدد ٤ ١٩٧١).
٣ ــ عثمان خليل عثمان: (تطور مفهوم حقوق الناس) عالم الفكر (الكويت المجلد الأول العدد٤ ١٩٧١).
٤ ــ فؤاد زكريا: (العلم والحرية الشخصية) عالم الفكر (الكويت المجلد الأول العدد٤

١٩٧١).

٥ ــ محمّد عوصن محمّد: (حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق) عالم الفكر (المجلد الأول العدد ٤ ١٩٧١).

٦ ــ محمّد عبد الستار عثمان: (المدينة الإسلامية) عالم المعرفة (الكويت المجلسي الوطن للثقافة والعلوم ١٩٨٨).

٧ ــ محمّد البهي: (الدين والحضارة الإنسانية) كتاب الهلال (القاهرة العدد ١٥٧ ابريل ١٩٦٤).

٨ ــ محمّد ابو زهرة: (المجتمع الإنساني في ظل الإسلام) مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٦).

٩ ــ جبور عبد النور: (إخوان الصفاء) نوابع الفكر العربي (بيروت دار المعارف ١٩٥٤).

١٠ ــ أحمد الشرباص: (شهيد إشتاقت له الجنة) مجلة العرفان (بيروت العدد الأول المجلد ٥٨ مايو ١٩٧٠).

١١ ــ حسن الأمين: (ثورة الاحرار على الحجاج) العرفان (بيروت العدد الأول المجلد ٥٨ مايو ١٩٧٠).

١٢ ــ روكس العزيزي: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان العرفان (بيروت العدد الأول المجلد ٦٣ يناير ١٩٧٥).

١٣ ــ صالح الشهرستاني: (قبر مزعوم لزيد الشهيد) العرفان (بيروت العدد الأول المجلد ٦٣ يناير ١٩٧٥).

١٤ ــ التعريف بالصحيفة السجادية: مجلة الإسلام (بيروت مكتبة النشر الإسلامي العدد ٧ السنة العاشرة ١٩٦٨).

١٥ ــ محمّد صادق بحر العلوم: (لمحة عن مؤلفات الشيخ الطوسي) مجلة الإيمان (النجف الأشرف ــ مطبعة النعمان ــ العدد ٢ ــ ٤ السنة الثالثة ١٩٦٧).

١٦ ــ محمّد باقر الصدر: (دور الأئمة في الحياة الإسلامية). الإيمان (النجف الأشرف ــ مطبعة النعمان ــ العدد ٢ ــ ٤ السنة الثالثة ١٩٦٧).

١٧ ــ عبد الله الفياض: (حياة أمير المؤمنين). الإيمان (النجف الاشرف ــ مطبعة

النعمان ــ العدد ٢ ــ ٤ السنة الثالثة ١٩٦٧).

١٨ ــ عبد الله السبيتي: (فقه الإسلام الكليني). (النجف الاشرف ــ مطبعة النعمان ــ العدد ٢ ــ ٤ السنة الثالثة ١٩٦٧).

١٩ ــ عبد الحميد العلوجي: (المجلس في ميزان بروكلمان) (مجلة الإيمان النجف الاشرف ــ العدد السابع).

٢٠ ــ حسين علي محفوظ: طرائف من سيرة الشيخ الطوسي (مجلة الإيمان النجف الاشرف ــ العدد السابع).

٢١ ــ حسين امين: الحركة الثقافية في العصر البويهي). (مجلة الإيمان النجف الاشرف ــ العدد السابع).

٢٢ ــ عبد الله الفياض: (من كتب الامالي عند الشيعة) (مجلة الإيمان النجف الاشرف ــ العدد السابع).

٢٣ ــ عبد الجبار منسي العبيدي: (قراءة جديدة في اسباب سقوط الدولة الاموية) عالم الفكر (الكويت وزارة الاعلام المجلد ١٥ العدد ٣ / ١٩٨٤).

خامساً: فلسفة وعقائد

١ ــ أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة البحراني: تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله (قم ايران مؤسسة النشر الاسلامي / ١٤١٦هـ).

٢ ــ احمد بن زيد الدين الاحسائي: حياة النفس (الكويت شركة مطابع المحمد العالمية). والسيد كاظم الرشتي الحسيني: اصول العقائد

٣ ــ احمد بن زيد الدين الاحسائي: شرح الزيارة الجامعة الكبيرة.

٤ ــ احمد عباس صالح: اليمين واليسار في الإسلام (بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣).

٥ ــ امير محمّد الكاظمي القزويني: الإمام المنتظر (الكويت دار الطليعة).

٦ ــ امير محمّد الكاظمي القزويني: الشيعة في عقائدهم وأحكامهم (الكويت دار الطليعة).

٧ ــ بولس سلامة: حديث العشية (بيروت دار الحضارة ١٩٦٢).

٨ ــ حسن الشيرازي: كلمة الإمام الحسن عليه السلام (بيروت المكتب التجاري للنشر ١٣٨٦هــ).
٩ ــ حسن الشيرازي: كلمة الإمام المهدي عليه السلام (بيروت مؤسسة الوفاء ١٩٨٠).
١٠ ــ حسن القبانجي: شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام.
١١ ــ حسين فوزي النجار: الإسلام والسياسة (القاهرة دار الشعب ١٩٧٧).
١٢ ــ روح الله الخميني الإمام: الحكومة الإسلامية (طهران مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ١٩٩٦).
١٢ ــ م/ سيد قطب: هذا الدين (القاهرة دار الشروق).
١٣ ــ صادق الحسيني الشيرازي: المهدي عليه السلام في السنة (الكويت صوت الخليج ١٩٨٠).
١٣ ــ م/ صدر الدين الصدر آية الله: الإمام المهدي عليه السلام (قم ايران إنتشارات انصاريان).
١٤ ــ طاهر حسن ملحم: من هم أهل البيت في القرآن الكريم.
١٥ ــ عبد المتعال الصعيدي: حرية الفكر في الإسلام (القاهرة مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦٠).
١٦ ــ عبد العزيز كامل: الإسلام والتفرقه العنصرية (القاهرة دار المعارف ١٩٧٠).
١٧ ــ عبد الفتاح عبد المقصود: السقيفه والحذافة (القاهرة مكتبة غريب).
١٨ ــ عبد الحسين شرف الدين الموسوي: النص والاجتهاد (بيروت مؤسسة الاعلمي ١٩٦٦).
١٩ ــ عبد الجليل علي الامير: شرح حياة النفس (الكويت مكتبة الإمام الصادق عليه السلام ١٩٩٧).
٢٠ ــ عبد الحسين شرف الدين الموسوي: المراجعات.
٢١ ــ علاء الدين أمير محمّد القزويني: الشقلان (الكويت مكتبة الصدوق ١٩٨٨).
٢٢ ــ السيد علي الخامنئي آية الله: دراسة عن دور شيخ المفيد في تثبيت الهوية المستقلة لمذهب أهل البيت عليهم السلام (قم ايران مؤسسة أم القرى ١٤١٢هــ).
٢٣ ــ عبد الرسول عبد المحسن الغفار: الكليني والكافي (قم ايران مؤسسة النشر الاسلامي ١٤١٦هــ).

٢٤ ـ محمّد جواد مغنيه: الشيعة في الميزان (قم ايران منشورات الشريف الرضي ١٤١٢هـ).

٢٥ ـ محمّد جواد مغنيه: فلسفات إسلامية (بيروت دار التعارف للمطبوعات ١٩٧٨).

٢٦ ـ محمّد جواد مغنيه: الجوامع والفوارق بين السنة والشيعة (بيروت مكتبة عز الدين ١٩٩٤).

٢٧ ـ محمّد جواد مغنيه: من هنا وهناك (بيروت مؤسسة الاعلمي ١٩٦٨).

٢٧/م ـ علي حيدر المؤيد: نبي ووصي ووصايا (بيروت مؤسسة الاعلمي ١٩٩٥).

٢٨ ـ عبد الله فهد النفيس: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث (الكويت المطبعة العصرية ١٩٧٦).

٢٩ ـ فؤاد العادل: العدالة الاجتماعية (دمشق دار الكاتب العربي ١٩٦٩).

٣٠ ـ كمال المنوفي: أصول النظم السياسية المقارنة (الكويت شركة الربيعان للنشر ١٩٨٧).

٣١ ـ كامل سليمان: يوم الخلاص في ظل القائم المهدي عليه السلام (بيروت دار الكتاب اللبناني ١٩٩١).

٣٢ ـ محمّد بن الفتال النيسابوري: روضة الواعظين (قم ايارن منشورات الشريف الرضي ١٩٦٦).

٣٣ ـ محمّد التيجاني السماوي: كل الحلول عند آل الرسول صلى الله عليه وآله (بيروت دار المجتبى ١٩٩٥).

٣٤ ـ محمّد ابو ريه: اضواء على السنة المحمدية (القاهرة دار المعارف ١٩٨٠).

٣٥ ـ محمّد باقر الصدر: أهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف.

٣٦ ـ محمّد عبده يماني: علموا اولادكم محبة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله (جدة دار القبلة للثقافة الإسلامية ١٩٩٢).

٣٧ ـ محمّد علي عابدين: التسيير الذاتي لانصار الحسين (بيروت دار الكتب اللبناني ١٩٨٠).

٣٨ ـ محمّد تقي المدرس: المجتمع الإسلامي (الكويت مكتبة الالفية ١٩٨٢).

٣٩ ــ مرتضى العسكري: معالم المدرستين (بيروت مؤسسة الاعلمي ١٩٨٦).
٤٠ ــ محمّد باقر الصدر: بحث حول الولاية (ثم ايران مطبعة حكمت).
٤١ ــ محمّد الحسيني الشيرازي: ثورة الامام الحسين (الكويت مركز الثقافة الإسلامية).
٤٢ ــ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء: اصل الشيعة واصولا (بيروت مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ١٣٩١هـ).
٤٣ ــ محمّد رضا المظفر: السقيفه (بيروت مؤسسة الاعلمي ١٩٧٣).
٤٤ ــ محمّد حسين الزين: الشيعة في التاريخ (بيروت دار الآثار ١٩٧٩).
٤٥ ــ محمّد كامل سليمان: الايدلوجية الشيعة في رثاء الحسين (بيروت دار الكتاب اللبناني ١٩٨١).
٤٦ ــ محمّد زكي عبد القادر: الحرية والكرامة الانسانية (القاهرة مؤسسة الخابخي ١٩٥٩).
٤٧ ــ محمّد قطب: شبهات حول الإسلام (بيروت دار الشروق).
٤٨ ــ محمّد حسن النائيني: الكلمات الدرر للمعصومية الاربعة عشر عليهم السلام (الكويت المطبعة الاهلية).
٤٩ ــ محمّد حسيني السابقي: عبقرية الشيخ الاوحد (الكويت مطابع دار القبس).
٥٠ ــ محمود مرهج الفاطمي: أصفى المناهل في جواب السائل (الكويت منشورات مكتبة الإمام الصادق عليه السلام).
٥١ ــ معتصم سيد أحمد: الحقيقة الضائعة: رحلتي نحو مذهب آل البيت عليهم السلام (بيروت دار المحجة البيضاء ١٩٩٦).
٥٢ ــ محمّد علي البار: الإمام الرضا ورسالته في الطب النبوي (بيروت دار المناهل ١٩٩٢).
٥٣ ــ هارولدج لاسكي: الحرية في الدولة الحديثة ــ ترجمة: أحمد رضوان عز الدين. (القاهرة الدار المصرية للكتب ١٩٥٧).
٥٤ ــ هاشم معروف الحسني: الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة (بيروت دار القلم ١٩٧٨).
٥٥ ــ هادي المدرس: الشهيد والثورة (بيورت مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ١٩٧٨).

٥٦ ــ متولي الشعراوي: انا من سلالة أهل البيت: سعيد أبو العينين ١٩٩٧).

٥٧ ــ موسى الموسوي: المتآمرون على المسلمين الشيعة (القاهرة مكتبة مدبولي ١٩٩٦).

٥٨ ــ عبد الرزاق نوفل: القرآن والمجتمع الحديث (بيروت دار الكتاب العربي ١٩٧٤).

٥٩ ــ عباس القمي: مفاتيح الجنان: تعريب السيد محمود رضا النوري النجفي (الكويت مكتبة الالفيه ط٣ ١٩٩١).

٦٠ ــ الصحيفة السجادية: تقديم السيد محمّد باقر الصدر (الكويت مكتبة الالفيه ١٩٨٩).

٦١ ــ علي الكوراني العاملي: تدوين القرآن (دار القرآن الريم ــ قم ١٤١٨هـ، ١٩٩٨).

المحتويات

